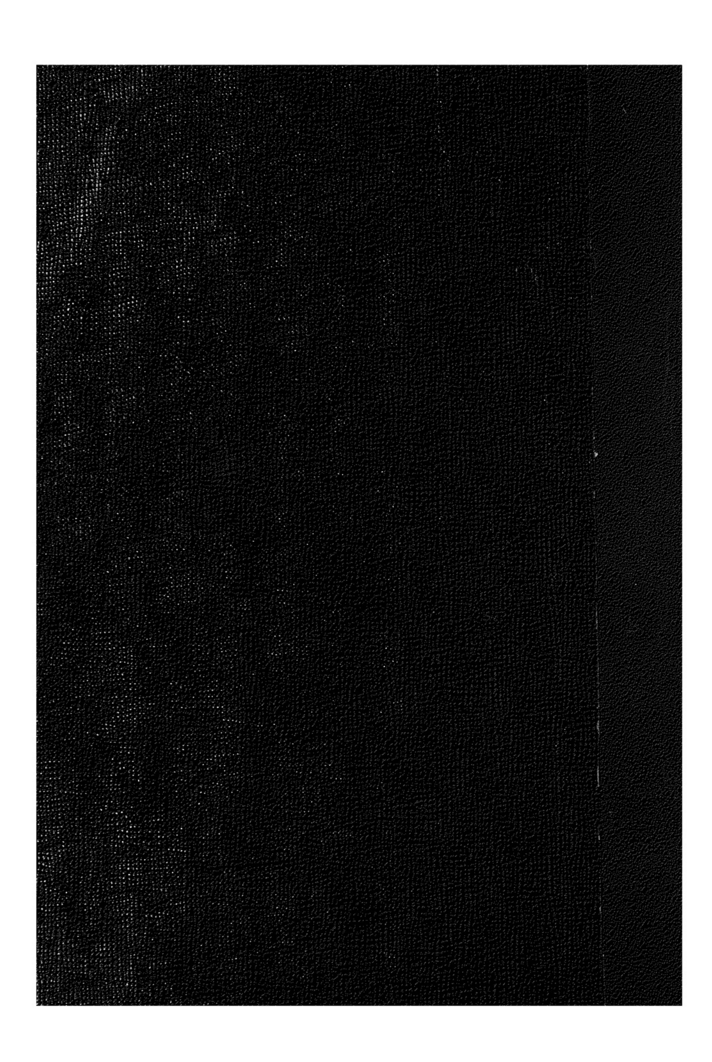


تراثنا



تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء السابع

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه

• شارع وقف الخربوطلي بالظاهر – ٩٠١١٨

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء السابع
من كتاب الأغانى

أخبار الوليد بن يزيد ونسبه

نسبه وكنيته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبى العاصى بن أُميَّة ابن عبد شمس بن عبد مَناف ، ويُكْنى أبا العبّاس . وأمّه أم الحجّاج بنت محمد بن يوسف بن الحَكَم بن أبى عَقيل الثَّقفيّ ، وهى بنت أخى الحجّاج . وفيه يقول أبو نُخَيلة[1] :

بين أبى العاصى وبين الحجّاجْ * يا لكُمَا نُورًا سِراجٍ وَهّاجْ

* عليه بعد عَمّه عَقد التّاجْ *

وأم يزيدَ بن عبد الملك عاتكةُ بنت يَزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حَرْب ابن أُميّة . وأمّها أم كُلْثوم بنت عبد الله بن عامر . وأمّ عبد الله بن عامر أم حَكيم البَيْضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ؛ ولذلك قال الوليد بن يزيد :

نَبِيُّ الهُدَى خالى ومن يَكُ خالُه * نبيَّ الهدى يَقْهَرْ به من يُفاخرُ

---

(١) أبو نخيلة وهو اسمه . وكنيته أبو الجنيد ، شاعر يغلب عليه الرجز ، عاصر الدولتين الأموية والعباسية ، اتصل ببنى هاشم ومدح خلفاء بنى العباس فى دولتهم وهجا بنى أمية . (انظر ترجمته فى الأغانى جـ ١٨ ص ١٣٩ طبع بولاق) .

كان شاعرا خليعا مرميا بالزندقة

وكان الوليد بن يزيد من فتيان بنى أُمَيّة وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم، وكان فاسقا خليعا متّهما فى دينه مرميًّا بالزندقة ؛ وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقُتل . وله أشعار كثيرة تدلّ على خبثه وكفره . ومن الناس من ينفى ذلك عنه وينكره، ويقول : إنه نُحِلَه وأُلصِق إليه . والأغلب الأشهر غير ذلك .

ولاه أبوه العهد بعد هشام وطمع هشام فى خلعه

أخبرنى الحسن بن علىّ وأحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ عن إسحاق بن أيّوب القُرَشىّ وجُوَيرِيَة بن أسماء وعامر بن الأسود والمِنْهال بن عبد الملك وأبى عمرو[1] آبن المبارك وسُحَيم بن حَفْص وغيرهم :

أن يزيد بن عبد الملك لمّا وجّه الجيوش الى يزيد بن المهلّب[2] وعقد لمَسْلَمَة آبن عبد الملك على الجيش و بعث العبّاس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهل دمشق، قال له العباس : يا أمير المؤمنين، إن أهل العراق أهل غَدْرٍ و إرجاف، وقد وجهتنا محاربين والأحداثُ تحدُث، ولا آمَنُ أن يُرْجِفَ أهلُ العراق و يقولوا : مات أمير المؤمنين ولم يعهَد، فَيَفُتَّ ذلك فى أعضاد أهل الشأم؛ فلو عهدت عهدا لعبد العزيز بن الوليد! قال : غدًا . و بلغ ذلك مَسْلَمَة بن عبد الملك، فأتى يزيدَ فقال : يا أمير المؤمنين، أيُّما أحبُّ إليك : ولدُ عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال : بل ولدُ عبد الملك . قال : أفأخوك أحقُّ بالخلافة أم آبنُ أخيك ؟ قال : اذا لم تكن فى ولدى فأخى أحقُّ بها من آبن أخى . قال : فآبنُك لم يَبْلُغ ، فبايِعْ لهشام ثم لآبنك بعد هشام — قال : والوليدُ يومئذ آبن إحْدَى عشرةَ سنة — قال : غدًا

١٠٢ / ٦

(١) فى الأصول : «وأبو عمرو» .

(٢) هو يزيد بن المهلب بن أبى صفرة، كان اتهمه عمر بن عبد العزيز وسجنه فهرب من السجن فى آخر خلافة عمر . فلما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة طلبه فخرج عليه وخلعه وحاز البصرة فحاربه يزيد . (انظر الطبرى ق ٢ ص ١٣٧٩ طبع أوربا) .

أبايعُ له . فلما أصبح فعل ذلك وبايعَ لهشام، وأخذ العهدَ عليه ألّا يَخْلَعَ الوليدَ بعده ولا يغيِّر عهدَه ولا يحتالَ عليه . فلما أدرك الوليدُ نَدِم أبوه، فكان ينظر اليه ويقول: اللهُ بيني وبين من جعل هشامًا بيني وبينك . وتُوُفِّي يزيد سنةَ خمسٍ ومائةٍ وٱبنُه الوليد ٱبن خمسَ عشرةَ سنة . قالوا (١) : فلم يزل الوليد مكرَّمًا عند هشام رفيعَ المنزلة مدّة، ثم طمِع فى خَلْعه وعقدِ العهدِ بعده لٱبنه مَسْلَمَة بن هشام، فجعل يذكر الوليدَ ٱبن يزيد وتهتُّكَه وإدمانَه على الشراب، ويذكر ذلك فى مجلسه ويقوم ويقعد به، وولّاه الحجّ ليظهَرَ ذلك منه بالحرمين فيسقُطَ ؛ فحجّ وظهر منه فعل كثير مذموم ، وتشاغَل بالمغنّين وبالشَّراب ، وأمر مولًى له فحجّ بالناس . فلما حجّ طالبه هشامٌ بأن يخلع نفسَه فأبى ذلك، فحرمه العطاءَ وحَرم سائرَ مَوَاليه وأسبابَه وجفاه جفاءً شديدا، فخرج مُتبدِّيا (٢) وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبه (٣)، وكان يُرمَى بالزندقة . ودعا هشامٌ الناسَ الى خلعه والبَيْعةِ لَمَسْلمة بن هشام — وأُمُّه أم حكيم بنت يحيى بن الحَكَم ٱبن أبى العاصى . وكان مَسْلمةُ يُكْنى أبا شاكر؛ كُنِى بذلك لمولًى كان لمروان يُكْنى أبا شاكر، كان ذا رأيٍ وفضلٍ وكانوا يعظّمونه ويتبركون به — فأجابه الى خَلْع الوليد والبيعة لمَسْلمة بن هشام محمدٌ وإبراهيمُ ٱبنا هشامِ بن إسماعيل المَخزوميّ والوليدُ وعبد العزيز وخالد بن القَعْقاع بن خُوَيْلد العَبْسيّ وغيرُهم من خاصّة هشام . وكتب الى الوليد : ماتَدَع شيئا من المنكر إلّا أتيتَه وٱرتكبتَه غيرَ متُحاشٍ ولا مستترٍ، فليت شعرى ما دِينُك ؟ ! أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ ! فكتب اليه الوليد بن يزيد — ويقال (٤) : بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونَحله إيّاه — :

---

(١) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، سـ : « قال » . (٢) كذا فى أكثر النسخ : وتبدّى : أقام بالبادية . وفى ب ، سـ : « متديا » وهو تصحيف . (٣) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، سـ : «مؤدبا» . (٤) فى ب ، سـ : « بل قال له ذلك » .

صـــوت

يأيّهـا السائلُ عن دِيننا * نحن على دين أبى شاكرِ
نشرَبُها صِرْفًا وممزوجةً * بالسُّخْنِ أحياناً وبالفاترِ

— غنّاه عمرُ الوادِى رَمَلًا بالبنصر — فغضب هشام على ٱبنه مسلمة، وقال: يعيِّرنى بك الوليدُ وأنا أرشِّحك للخلافة! فٱلْزَم الأدبَ، وٱحضُر الصلوات. وولّاه المَوْسِمَ سـنةَ ٥ سبع عشرةَ ومائة، فأظهر النُّسْكَ وقَسَم بمكة والمدينة أموالا. فقال رجل من موالى أهل المدينة:

يأيّهـا السائلُ عن دِيننا * نحن على دين أبى شاكرِ
الواهبِ البُزْلَ[1] بأرْسانها * ليس بزنديقٍ ولا كافرِ

قال المدائنىّ: وبلغ خالدًا القَسْرىَّ ما عزَم عليـه هشام، فقـال: أنا برىء من ١٠ خليفة يُكْنَى أبا شاكر؛ فبلغتْ هشامًا عنه هذه، فكان ذلك سببَ إيقاعه به.

تسابّ هو والعباس ابن الوليد فى مجلس هشام

١٠٣
―
٦

أخبرنى محمـد بن الحسن الكِنْدِىُّ المؤدِّب قال حدّثنى أبى عن العبـاس بن هشام قال:

دخل الوليـد بن يزيد يومًا مجلسَ هشام بن عبد الملك وقد كان فى ذِكْره قبل أن يدخل، فحمّقه من حضَر من بنى أميّة. فلما جلس قال له العباس بن الوليد وعمر ١٥ ٱبن الوليد: كيف حبُّك ياوليد للروميّات، فانّ أباك كان بهنّ مشغوفا؟ قال: إنى لأُحِبهنّ؛ وكيف لا أحبهنّ ولن تَزال الواحدة منهن قـد جاءت بالهَجين مثلك — وكانت أمّ العباس روميّة — قال: اسكتْ فليس الفحلُ يأتى عَسْـبه[2] بمثلى؛ فقال

(١) البازل من الإبل: الذى استكمل السنة الثامنة وطعن فى التاسعة. (٢) العسب: طرق الفحل، وقيل: هو ماء الفحل فرسا كان أو بعيرا؛ يقال: قطع الله عسبه أى ماءه ونسله. ٢٠

له الوليد : اسكتْ يآبنَ البَظْراء ! قال : أتفخَر عليّ بما قُطِع من بَظْر أمك . وأقبل هشام على الوليد فقال له : ما شَرَابُك ؟ قال : شَرَابُك يا أمير المؤمنين، وقام مغضَبا فخرج . فقال هشام : أهذا الذى تزعمون أنّه أحمقُ ! ما هو أحمق، ولكنى لا أظنه على الملّة .

دخل مجلس هشام فعبث بمن كان فيه من وجوه بنى أمية

٥ أخبرنى محمد بن العباس اليَزيدىّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المَدَائنىّ قال :

دخل الوليد بن يزيد مجلسَ هشام بن عبد الملك وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك وأبو الزُّبير مولى مَرْوان وليس هشام حاضرا، فجلس الوليدُ مجلسَ هشامٍ. ثم أقبل على سعيد بن هشام فقال له : من أنت ؟ وهو به عارف، قال : سعيد آبن ١٠ أمير المؤمنين، قال : مرحبًا بك . ثم نظر الى أبى الزبير فقال : من أنت ؟ قال : أبو الزبير مولاك أيها الأمير، قال : أنِسْطَاسٌ أنت ؟ مرحبًا بك . ثم قال لإبراهيم ابن هشام: من أنت ؟ قال : إبراهيم بن هشام . قال : مَنْ إبراهيم بن هشام؟ وهو يعرفه، قال : إبراهيم بن هشام بن إسماعيل . قال : مَنْ إسماعيل ؟ وهو يعرفه، قال : إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المُغيرة . قال : مَن الوليد بن المغيرة ؟ قال : ١٥ الذى لم يكن جدُّك يُرَى أنه فى شىء حتى زوّجه أبى وهو بعضُ ولدِ آبنته . قال : يآبن الخَنْاء! أتقول هذا! وآتخذا[1]. وأقبل هشامٌ، فقيل لهما : قد جاء أميرُ المؤمنين، فجلسا وكفّا . ودخل هشام، فما كاد الوليد يتنحّى له عن صدر مجلسه، إلا أنه زحل[2] له قليلًا، فجلس هشام وقال له : كيف أنت يا وليد ؟ قال : صالحٌ . قال : ما فعلتْ

(١) اتّخذا : تصارعا . (٢) كذا فى تجريد الأغانى، وزحل : تنحى . وفى الأصول :
٢٠ « دخل » بالدال المهملة والخاء المعجمة، وهو تحريف .

بَرابِطُك[1] ؟ قال : مُعْمَلة أو مُسْتعملة . قال : فما فعل ندماؤك ؟ قال : صالحون ، ولعنهم اللهُ إن كانوا شرًّا ممّن حضرك؛ وقام؛ فقال له هشام : يا بن الخَنَاء! جَئوا عنقه؛ فلم يفعلوا ودفعوه رُوَيْدا . فقال الوليد :

أنا ابن أبى العاصى وعثمانُ والدى * ومروانُ جَدّى ذو الفَعَال وعامرُ
أنا ابنُ عظيم القريتين[2] وعِزُّها * ثقيفٌ وفِهْرٌ والعُصَاةُ الأكابرُ
نَبِىُّ الهُدى خالِى ومن يكُ خالُه * نبىَّ الهُدَى يَقْهَر به من يُفاخرُ

مات مسلمة بن عبد الملك فرثاه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدَائنىّ قال :

كان هشام بن عبد الملك يُكثِر تَنَقُّصَ الوليد بن يزيد، فكان مَسْلمةُ يعاتب هشاما ويَكُفّه ، فمات مَسْلمةُ ، فغمّ الوليدُ ورثاه فقال :

١٠

صــــوت

أنانا بَريدانِ من واسطٍ * يَخُبّان بالكُتُب المُعْجَمَهْ
أقول وما البعدُ إلّا الرَّدَى * أمَسْلَمُ لا تَبْعَدَنْ[3] مَسْلَمَهْ
فقد كنتَ ورًّا لنا فى البلاد * تُضىء فقد أصبحتْ مُظْلمَهْ
كتمنا نعيَّك نَخْشَى اليقين * فجَلَّى[4] اليقينُ عن الجَمْجَمَهْ
وكم من يَتيم تلافيتَه * بأرض العدوّ وكم أيِّمَهْ
وكنتَ إذا الحربُ دَرَّتْ دَمًا * نصبْتَ لها رايةً مُعْلَمَهْ

١٥

١٠٤
٦

(١) كذا فى أكثر النسخ . والبربط : العود . وفى ب ، سـ : «برأيك» . وهو تحريف .
(٢) القريتان : مكة والطائف . واختلف فى عظيم القريتين ، فقيل : الوليد بن المغيرة بمكة وعروة ابن مسعود الثقفى بالطائف . وقال ابن عباس : الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عميرة الثقفى .
(٣) لا تبعدن : لا تهلكن . (٤) جلى عن الشىء : كشفه وأظهره . والجمجمة : إخفاء الكلام .

٢٠

غنّى فى هذه الأبيات التى أوّلها :

* أقول وما البعدُ إلا الرَّدى *

يونسُ خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وذكر الهشامىّ أن فيه ثقيلًا أوّلَ يُنسب الى أبى كامل[1] وعمر الوادى . وذكر حَبَش أن ليونُس فيه رَمَلًا بالبِنْصر .

أخبرنى الطُّوسىّ والحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى موسى بن زُهَير بن مُضَرِّس بن مَنْظُور بن زَبّان بن سَيّار عن أبيه قال :

رأيت هشام بن عبد الملك وأنا فى عسكره يوم تُوُفِّىَ مسلمةُ بن عبد الملك وهشامٌ فى شُرْطَته ، إذ طلع الوليدُ بن يزيد على الناس وهو نَشْوانُ يَجُرُّ مِطرَفَ خَزٍّ عليه ؛ فوقف على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عُقْبَى من بقِىَ لحوقُ من مضَى ؛ وقد أَقْفَر بعد مَسْلمةَ الصيدُ لمن يرى[2] ، واختلَّ الثغرُ فوَهَى ، وعلى أَثَرِ مَنْ سَلَف يمضى من خَلَف ؛ فتزوّدوا ، فإنّ خير الزاد التَّقْوى . فأعرض عنه هشامٌ ولم يَرُدّ جوابا ؛ ووجَمَ الناسُ فما همَس أحدٌ بشىء . قال : فمضى الوليد وهو يقول :

أهَيْنَمَةٌ[3] حديثُ القوم أم هُمْ * سُكُوتٌ بعد ما مَتَع[4] النهارُ
عزيزٌ كان بينهمُ نبيًّا * فقولُ القومِ وَحْىٌ لا يُحارُ
كأنّا بعد مَسْلَمةَ المُرَجَّى * شُرُوبٌ طوّحتْ بهم عُقَارُ
أو الْآلافُ هِجَانٌ فى قيودٍ * تلفَّتُ كلّما حَنّتْ ظُؤارُ[5]
فليتك لم تَمُتْ وفَدَاك قومٌ * تُرِيحُ غبيَّهم عنّا[6] الدِّيَارُ

(١) ستأتى ترجمته فى هذا الجزء . (٢) كذا بالأصول . (٣) الهينمة : الكلام الخفىّ لا يفهم . (٤) متع النهار : بلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال ، وقيل : متع النهار : طال وامتدّ .
(٥) الظؤار : جمع ظائر ، مفرده ظئر وهى الناقة العاطفة على غير ولدها المرضعة له . (٦) كذا فى ء وهامش أ ؛ وفى سائر الأصول : « عنها » .

سقيمُ الصَّدْرِ أو شَكِسٌ نَكِيدٌ * وآخرُ لا يَزُور ولا يُزَار

يَعنى بالسَّقيم الصدر يزيدَ بن الوَليد ، ويعنى بالشَّكِس هشامًا ، والذى لا يزور ولا يُزار مروان بن محمد .

أراد هشام خلعه من ولاية العهد فقال شعرا

قال الزُّبَير وحدّثنى محمد بن الضَّحّاك عن أبيه قال :

أراد هشام أن يخلَع الوليد ويجعل العهدَ لولده؛ فقال الوليد : ٥

كفرتَ يدًا من مُنْعِمٍ لو شكرْتَها * جزاك بها الرحمنُ ذو الفَضْل والمَنّ

رأيتُك تَبْنِى جاهدًا فى قَطِيعتى * ولو كنتَ ذا حَزْمٍ لهدّمتَ ماتَبْنِى

أراك على الباقين تَجْنِى ضَغِينةً * فياوَيْحَهم إن مُتَّ من شَرِّ ما تَجْنِى

كأنّى بهم يومًا وأكثرُ قولِهم * أياليتَ أنّا، حين"ياليت" لا تُغْنِى

أمر هشام بطرد عبد الصمد فطرده ولما اضطهد أعوانه ذمه بشعر

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المَدائنىّ قال : ١٠

عتَب هشام على الوليد وخَاصّته . فخرج الوليد ومعه قوم من خاصّته ومَوَاليه فنزل بالأَبْرَق بين أرض بُلْقَيْن وفَزَارة على ماء يقال له الأَغْدَف ، وخلّف بالرَّصافة كاتبَه عِيَاضَ بن مُسْلِم مولى عبد الملك ليكاتبَه بما يحدُث، وأخرج معه عبدَ الصمد بن عبد الأعلى . فشرِبوا يوما؛ فقال له الوليد : يا أبا وَهْب، قل أبياتا نُغَنّى فيها؛ فقال أبياتا، وأمر عمرَ الوادى فغَنّى فيها وهى : ١٥

صــــوت

١٠٥ / ٦

أَلَمْ تَرَ للنَّجْمِ إذ سَبَّعَا(١) * يُبَادِر فى بُرْجِه المَرْجِعَا

تحيَّر عن قَصْد مَجْراته * إلى الغَوْرِ والتمس المَطْلَعَا(٢)

(١) سبعا : أقام سبع ليال . (٢) كذا فى ء ، م وهامش أ . وفى سائر الأصول : « أتى » . ٢٠

فقلتُ وأعجبــنى شأنُه * وقد لاح إذ لاح لى مُطمِعا
لعـلّ الوليـدَ دنا ملكُه (١) * فأمسى اليه قـد ٱستجمَعا
وكنّا نؤمّـل فى مُلْكه * كتأميل ذى الجَدْب أن يُمْرِعا
عَقَـدْنا له مُحْكَمَاتِ الأمـو * ر طَوْعًا وكان لهـا مَوْضعا

فرُوِى هـذا الشعرُ، وبلغ هشامًا، فقطع عن الوليـد ما كان يُجْرِى عليـه وعلى أصحابه وحَرَمِهم، وكتب إلى الوليد : قد بَلَغنى أنك ٱتّخذتَ عبدَ الصمد خِدْنًا ومحدّثا ونديمًـا، وقد حقّق ذلك مابلغنى عنك، ولن أُبرِّئكَ من سوء، فأخْرِج عبدَ الصمد مذمومًا . قال : فأخرجه الوليدُ وقال :

لقد قذَفوا أبا وَهْبٍ بأمرٍ * كبيرٍ بل يزيد على الكبيرِ
وأشهَـد أنهم كذَبوا عليه * شهـادةَ عالِمٍ بهـمُ خبيرِ

فكتب الوليد إلى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد، وٱعتذر اليه من منادمتـه، وسأله أن يأذَن لٱبن سُهَيل فى الخروج اليه — وكان من خاصّة الوليد — فضرب هشامٌ ٱبنَ سهيل ونفاه وسيَّره — وكان ٱبنُ سهيل من أهل النَّباهة، وقد وَلِى الولاياتِ، وولِى دِمَشْقَ مرارًا وولِى غيرَها — وأخذ عِيَاضَ بن مُسْلِم كاتبَ الوليد فضربه ضربًا مبرِّحا وألبسه المُسُوحَ وقيَّده وحبسه، فغمّ ذلك الوليـدَ فقال : من يثق بالناس ! ومن يصنع المعروف! هـذا الأحول المشئوم قدّمه أبى على ولده وأهل بيته وولّاه وهو يصنَع بى ما تَرَوْن، ولا يعلم أنّ لى فى أحدٍ هَوًى إلّا أَضَرّ به ؛ كتب إلىّ بأن أُخْرِجَ عبـدَ الصمد فأخرجتُه، وكتبتُ إليه فى أن يأذَن لٱبن سُهَيل فى الخروج الىّ فضَرَبه وطَرَده وقد علم رأيى فيه ؛ وعرَف مكانَ عِيَاض منّى وٱنقطاعَه إلىّ فضرَبه وحبَسه، يُضارُّنى بذلك؛ اللهمّ أجِرْنى منه . ثم قال الوليد :

(١) فى س : « عليه » .

صـــــوت

أنا النَّـــذِيرُ لِمُسْـدِى نعمةٍ أبدًا * إلى المَقاريفِ[1] لَمَّا يَخْـبُرِ الدَّخَلا
إن أنْتَ أكرمْتَهم ألفيتَهـم بَطِروا * وإن أهنتَهـمُ ألفيتهـــمْ ذُللا
أتشمَخُون ومنّا رأسُ نعمتكم * ستعلَمون إذا أبصـــرتمُ الدُّوَلا
انظُر فإن أنت لم تقـدِر على مَثَلٍ * لهم سِوَى الكلبِ فاضرِبْه لهم مَثَلا
بَيْنَا يسمِّنه للصيـد صاحبُـــه * حتى إذا ما استوى من بعد ما هُزِلا
عدا عليـــه فـلم تَضْرُره عَدْوتُه * ولو أطاق له أكلًا لقد أكلا

غنّاه مالكٌ خفيفَ ثقيلٍ من رواية الهشامىّ .

شعره فى الفخر على هشام

قال : وقال الوليدُ أيضا يفتخر على هشام :

١٠

صـــــوت

أنا الوليـــدُ أبو العباس قد علِمتْ * عُلْيا مَعَـدٍّ مَدَى كَرِّى و إقْـدامى
إنى لَفى الذِّروةِ العُليا إذا انتسبوا * مُقَـابَلٌ[2] بين أخوالى وأعمامى
بَنى لىَ المجـــدَ بانٍ لم يكن وَكِلًا * على مَنـارٍ مُضِيئاتٍ وأعـــلام
حلَّتْ من جوهر الأعْياص[3] قد علِموا * فى باذخٍ مشمخرِّ العـــزِّ قَمْقام[4]
صَعْبِ المَرام يُسامِى النَّجمَ مطلعُه * يسمو إلى فرعِ طودٍ شامخٍ سامى

١٥

غنّاه عمرُ الوادى خفيفَ ثقيلٍ بالخنصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

١٠٦ / ٣٦

(١) المقاريف : الأنذال، والمقرف أيضا : الذى أمه عربية وأبوه غير عربى .

(٢) المقابل : الكريم النسب من قبل أبو يه . قال الشاعر :

إن كنت فى بكر تمت خؤولة * فأنا المقابل فى ذوى الأعمام

(٣) الأعياص من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم أربعة : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص . (٤) القمقام هنا : العدد الكثير قال الشاعر :

* من نوفل فى الحسب القمقام *

٢٠

وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حرب قال حدّثني مصعب الزُّبَيرىّ قال :

بعث الوليد بن يزيد إلى هشام بن عبد الملك راويتَه فأنشده قوله :

أنا الوليد أبو العباس قد علمت * عُليا مَعَدّ مَدَى كَرّى و إقدامى

فقال هشام : والله ما علمتْ له مَعَدٌّ كرًّا ولا إقدامًا ، إلا أنه شرب مرّة مع عمّه بكّار بن عبد الملك فعَرْبَد عليه وعلى جواريه ؛ فإن كان يعني ذلك بكرّه و إقدامه فعسى .

عابه هشام والزهرى فحقد عليهما

أخبرني الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا آبن مَهْرويه قال حدّثني عبد الله بن عمرو ابن أبي سعد قال حُدِّثت أن أبا الزِّناد قال :

دخلتُ على هشام بن عبد الملك وعنده الزُّهْرىّ وهما يَعيبان الوليدَ، فأعرضتُ ولم أدخل في شيء من ذكره . فلم ألبثْ أن آستُؤْذن للوليد فأُذن له ، فدخل وهو مُغْضَبٌ فجلس قليلا ثم نهض . فلما مات هشام وولى الوليدُ كتب إلى المدينة فحُمِلتُ فدخلتُ عليه ؛ فقال : أتذكر قولَ الأحول والزهرىّ ؟ قلتُ : نعم، وماعَرَضتُ في شيء من أمرك ؛ قال : صدقتَ ؛ أتدرى من أبلغنى ذلك ؟ قلت لا ؛ قال : الخادم الواقف على رأسه ، وآيم الله لو بقِيَ الفاسقُ الزهرىّ لقتلتُه . ثم قال : ذهب هشام بعمرى ؛ فقلت : بل يُبْقيك اللهُ يا أمير المؤمنين، وقام وصلّى العصر . ثم جلس يتحدّث الى المغرب ثم صلى المغرب ودعا بالعشاء فتعشّيت معه ثم جلس يتحدّث حتى صلى العَتَمةَ، ثم تحدّثنا قليلا ثم قال: آسقِنى فأتينه[1] بإناء مغطًّى، وجاء

(١) فى الأصول : «فأتوه» .

جَوَار فقُمْنَ بيني و بينه فشرب وآنصرفن، ومكث قليلا ثم قال: آسقِيني ففعلن مثلَ ذلك. وما زال والله ذلك دأبَه حتى طَلَع الفجرُ، فأحصيتُ له سبعين قدحًا.

وأخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عمّى مصعَب عن أبى الزِّناد قال:

أجمع الزُّهْرِىّ على أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولِى الوليدُ بن يزيد، فمات الزهرىّ قبل ذلك.

عابه بعض بنى مروان بالشراب فلعنهم وقال شعرا

قال المدائنىّ: وبلغ الوليدَ أنّ العباس بن الوليد وغيرَه من بنى مروان يَعيبونه بالشَّراب، فلعنهم وقال: إنهم ليَعيبون علىّ ما لو كانت لهم فيه لذّةٌ ما تركوه، وقال هذا الشعر، وأمر عمرَ الوادى أن يغنّىَ فيه — وهو من جيّد شعره ومُختاره. وفيه غناء قديم ذكره يونس لعمر الوادى غيرَ مجنّس —: ١٠

صــــوت

ولقد قضيتُ — وإن تَجَلَّل لِمّتى * شيبٌ — على رغم العِـدَا لذّاتى

من كاعباتٍ كالدُّمَى ومَناصِفٍ * ومراكب للصـيد والنَّشَواتِ

فى فتيـةٍ تأبى الهوانَ وجوهُهـم * شُمّ الأنـوف جَحاجح سـادات

إن يَطلبوا بِتراتِهـم يُعْطَوْا بهـا * أو يُطلَبوا لا يُدْرَكوا بـترات ١٥

الكتابان المتبادلان بينه وبين هشام

حدّثنى[1] المِنْهال بن عبد الملك قال: كتب الوليد الى هشام: "قد بلغنى[2] أحدث أمير المؤمنين من قَطْع ما قطع عنّى ومَحْو من محا من أصحابى، وأنّه حرَمَنى وأهلى. ولم أكن أخاف أن يبتلى اللهُ أميرَ المؤمنين بذلك فىّ ولا ينالنى مثلُه

١٠٧ / ٦

(١) راجع نص هذين الكتابين فى الطبرى (قسم ٢ ص ١٧٤٦ طبع أوربا).

(٢) كذا فى أكثر النسخ. وفى ب، س: «قال بلغنى» وهو تحريف. ٢٠

منه ، ولم يبلغ آستصحابى لابن سُهيل ومسئلتى فى أمره أن يَجْرى علىّ ما جرى . وإن كان ابن سهيل على ماذكره أمير المؤمنين ،فبحَسْب العَيْر أن يقرُب من الذئب . وعلى ذلك فقد عقد الله لى من العهد وكتب لى من العمر وسبّب لى من الرزق ما لا يقدر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عنّى دون مدّته ولا صَرْفه عن مواقعه المحتومة له . فقدَرُ الله يجرى على ما قدّره فيما أحبّ الناسُ وكرِهوا ، لا تعجيلَ لآجله ولا تأخير لعاجله ؛ والناس بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم من الله بما يَستوجبون العقوبة عليه . وأمير المؤمنين أحقّ بالنظر فى ذلك والحفظ له . والله يوفّق أميرَ المؤمنين لطاعته ، ويُحسن القضاءَ له فى الأمور بقدرته . وكتب اليه الوليد فى آخر كتابه :

أليس عظيمًا أن أرى كلَّ واردٍ * حِياضَك يومًا صادرًا بالنّوافل
فأرجعَ محمودَ[1] الرَّجاء مصرَّدا * بتحلئةٍ عن وِرْد تلك المناهل
فأصبحتُ مما كنت آمُلُ منكمُ * وليس بلاقٍ ما رجا كلُّ آمل
كمُقْتَبِض يومًا على عُرْض هَبْوةٍ[2] * يَشُدُّ عليها كفَّه بالأنامل

فكتب اليه هشام : " قد فهم أمير المؤمنين ما كتبتَ به من قطْع ما قطع وغير ذلك . وأميرُ المؤمنين يستغفر اللهَ من إجرائه ما كان يُجرى عليك ، ولا يتخوف على نفسه آقترافَ المآثم فى الذى أحدَث مِنْ قطع ما قطع ومحو مَنْ محا مِنْ صحابتك ، لأمرين : أمّا أحدهما فإنّ أمير المؤمنين يعلم مواضعَك التى كنتَ تصرف اليها ما يُجْريه عليك . وأما الآخَرُ فإثبات صحابتك وأرزاقُهم دارّةٌ عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البُعوثِ عليهم وهم معك تجول بهم فى سَفَهك . وأميرُ المؤمنين

---

(١) كذا بالأصول . (٢) الهبوة : الغبرة .

يرجو أن يكفِّر اللهُ عنه ما سلَف من إعطائه إيّاك باستئنافه قَطْعَه عنك . وأما آبنُ سُهَيل ، فلعمرى لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لمـا جعله الله لذلك أهلا . وهـل زاد آبنُ سُهَيل ، لله أبوك ، على أن كان زَفّانًا[1] مغنّيا قد بلغ فى السَّفه غايتـه ! وليس مع ذلك آبنُ سهيل بشَرٍّ ممّن كنتَ تستصحبُه فى الأمور التى ينزِّه أميرُ المؤمنين نفسَه عنها مما كنتَ لعَمْرى أهلًا للتوبيخ فيه . وأما ماذكرتَ مما سبَّبه الله لك ، فإن الله قد ابتدأ أميرَ المؤمنين بذلك وآصطفاه له ، والله بالغ أمره . ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلّا أنه لا يملك لنفسه بمـا أعطاه الله من كرامته ضُرًّا ولا نفعا ، و إن الله وَلِىّ ذلك منـه و إنه لا بدّ له من مفارقتـه ، وإنّ الله أرأفُ بعباده وأرحمُ من أن يولِّى أمرَهم غيرَ من يَرْتضيه لهم منهـم . و إن أمير المؤمنين مع حسن ظنّه بربّه لعلى أحسنِ الرجاء لأن يولِّيه بسهب ذلك لمن هو أهلهُ فى الرِّضا به لهم ؛ فإنّ بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يبلغَه ذكرُه أو يوازِيَه شكره إلّا بعون منه . ولئن كان قد قَدَر الله لأمير المؤمنين وفاةً تعجيلٍ ، فإن فى الذى هو مُفْضٍ وصائرٌ إليـه من كرامة الله خَلَفًـا من الدنيـا . ولعمرى إن كتابك لأمير المؤمنين بما كتبتَ به لغيرُ مُسْتنكَرٍ من سَفَهك وحُمْقك ، فأبْقِ على نفسك وقصِّر من غُلَوائها وآرْبَعْ على ظَلْعك ؛ فإنّ لله سَطَوات وغِيَرًا يصيب بهـا من يشاء من عباده . وأميرُ المؤمنين يسأل اللهَ العصمةَ والتوفيقَ لأحبِّ الأمور اليه وأرضاها له . وكتب فى أسفل الكتاب :

إذا أنتَ سامحتَ الهوى قادك الهوى * إلى بعض ما فيـه عليـك مقـالُ

والســـلام» .

(١) الزفن : الرقص .

بشر بالخلافة بعد موت هشام.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، وأخبرني أحمد ابن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة عن المدائنيّ عن جُوَيرية بن أسماء [1] عن المنهال بن عبد الملك عن إسحاق بن أيّوب كلّهم عن أبي الزُّبير المنذر بن عمرو — قال : وكان كاتبا للوليد بن يزيد — قال :

أرسل إليّ الوليدُ صبيحةَ اليوم الذى أتته فيه الخلافةُ فأتيتُه ، فقال لى : يا أبا الزُّبير، ما أتت عليّ ليلةٌ أطولُ من هذه الليلة، عرضتْ لى أمورٌ وحدّثتُ نفسى فيها بأمور ، وهذا الرجل قد أُولع بى ، فاركبْ بنا نتنفّس . فركب وسرتُ معه ، فسار ميلين ووقف على تلّ فجعل يشكو هشاما ، إذ نظر الى رَهْج [2] قد أقبل — قال عمر بن شبّة فى حديثه — وسمع قَعقعة البَريد ، فتعوّذ بالله من شرّ هشام ، وقال : إن هذا البريد قد أقبل بموتٍ وحيٍّ [3] أو بمُلك عاجل . فقلت : لا يسوءك اللهُ أيها الأمير بل يسرُّك ويُبقيك ، إذ بدا رجلانِ على البريد يُقبِلانِ ، أحدُهما مولًى لآل أبى سفيان بن حَرْب ؛ فلما قرُبا رأيا الوليدَ فنزلا يَعْدُوان حتى دنَوَا فسلّما عليه بالخلافة فوجَم ، وجعلا يكرّوان عليه التسليمَ بالخلافة ؛ فقال : وَيْحكم ! ما الخبرُ ؟ أمات هشام ؟ قالا نعم ؛ قال : فرحبًا بكما ! ما معكما ؟ قالا : كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن ؛ فقرأ الكتاب وانصرفنا . وسأل عن عِياض بن مُسلِم كاتبه الذى كان هشام ضربه وحبسه ، فقالا : يا أمير المؤمنين ، لم يزل محبوسًا حتى نزل بهشام أمر الله ، فلمّا صار إلى حالٍ لا تُرْجَى الحياةُ لمثله معها ، أرسل عياضٌ إلى الخُزّان : احتفظوا بما فى أيديكم فلا يصلنّ أحد إلى

(١) كذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول فيما سبق ، وهو الموافق لما جاء فى تهذيب التهذيب والطبرى فى عدّة مواضع . وقد ورد هنا فى هذا الموضع : «جويرية بن إسماعيل» وهو تحريف . (٢) الرهج (بفتح فسكون ويحرك) : الغبار . (٣) كذا فى ب ، حـ ، والوحىّ : السريع . وفى سائر الأصول : «بموت حيّ» .

شىء . وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئا فمُنِعَه، فقال : أرانا كنّا خُزّانًا للوليد ؛ وقضى من ساعته . فخرج عياضٌ من السجن ساعةَ قَضَى هشامٌ، فختم الأبواب والخزائن، وأمر بهشام فأُنزِل عن فراشه ومنعهم أن يكفِّنوه من الخزائن، فكفَّنه غالبٌ مولى هشام ، ولم يجدوا قُمْقُمًا[1] حتى آستعاروه . وأمر الوليدُ بأخذ آبنى هشام بن إسماعيل المخزومىّ ، فأُخذا بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك؛ فقال الوليد: ما أُراه إلّا قد نجا ؛ فقال له يحيى بن عُرْوة بن الزُّبير وأخوه عبد الله : إن الله لم يجعل قبر أبيك مَعَاذًا للظالمين ، فخُذْه برَدِّ ما فى يده من مال الله ؛ فقال : صدقتَ ، وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر، وكتب اليه أن يَبْسُط عليهما العذابَ حتى يَتْلَفا ، ففعل ذلك بهما وماتا جميعا فى العذاب بعد أن أُقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى آقتصُّوا[2] منه المظالمَ .

وقال عمر بن شَبّة فى خبره : إنه لمّا نعى له هشام قال : والله لأتلقّينّ هذه النعمةَ بسَكْرة قبل الظهر ، ثم أنشأ يقول :

طاب يومى ولذّ شربُ السُّلافه * إذ أتانى نَعِيُّ من بالرُّصَافَهْ
وأتانا البريدُ ينعَى هشامًا * وأتانا بخاتَم الخلافه
فآصطبحنا من خمر عانَةَ[3] صِرفًا * ولَهَوْنا بقَيْنةٍ عَزّافه

ثم حلَف ألّا يبرح موضعَه حتى يُغَنَّى فى هذا الشعر ويشربَ عليه ؛ فغُنِّيَ له فيه وشرب وسكر، ثم دخل فبويع له بالخلافة .

(١) القمقم : إناء من نحاس يسخن فيه الماء . (٢) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر النسخ : « اقتصوا » بالصاد المهملة . (٣) عانة : بلدة على الفرات تنسب اليها الخمر العانية . قال زهير :

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت * من خمر عانة لما يعد أن عتقا

قال: وسَمِع صياحا، فسأل عنه، فقيل له: هذا من دار هشام يبكيه بناتُه، فقال:

إنى سمعتُ بليلٍ * وَرَا المُصلَّى برَنَّهْ
إذا بناتُ هشامٍ * ينـدُبْنَ والدَهُنَّهْ
يندُبْنَ قَرْمًا جليلا * قد كان يَعْضُدُهُنَّهْ
أنا المخنَّث حقًّا * إن لم أُنِيكَنَّهُنَّهْ

وقال المدائنىّ فى خبر أحمد بن الحارث: وشرب الوليد يوما، فلما طابت نفسُه تذكّر هشامًا، فقال لعمر الوادى غنِّنى:

إنّى سمعت بليل * وَرَا المصلَّى برَنَّهْ

فغنّاه فيـه، فشرب عليـه ثلاثةَ أرطال، ثم قال: والله لئن سمعـه منك أحد أبدا ١٠ لأقتلنّك. قال: فما سُمِع منه بعدها ولا عُرِف.

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صـــوت

طاب يومى ولَذَّ شُرْبُ السُّلافه * إذ أتانا نَعِىُّ من فى الرُّصافَـهْ

غنّاه عمرُ الوادى خفيفَ رَمَلٍ بالبنصر.

١٥ أخبرنى إسماعيـل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَـبّة قال حدّثنى أبو غسّان قال قال حَكَمٌ الوادى:

كنّا عنـد الوليد بن يزيد وهو يشرب، إذ جاءنا خَصِىٌّ فشَقّ جيبَه وعزّاه عن عمه هشام وهنأه بالخلافـة وفى يده قضيب وخاتَم وطُومار[1]، فأمسكنا ساعةً ونظرنا اليه بعين الخلافة، فقال: غَنُّونى، غنّيانى: قد طاب شربُ السلافه ... البيتين، ٢٠ فلم نزل نغنّيه بهما الليلَ كلّه.

(١) الطومار: الصحيفة.

سأل الرشيد عنه ابن أبى حفصة فمدحه وذكر من شعره

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدّثنى مروان بن أبى حفصة قال :

دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فسألنى عن الوليد بن يزيد فذهبتُ أتزحزح، فقال : إن أمير المؤمنين لا يُنكر ما تقول فقُلْ ؛ قلت : كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس . فقال : أترْوِى من شعره شيئا ؟ قلت : نعم ، دخلت عليه مع عُمومتى وفى يده قَضيب ولى جُمّةٌ[1] فَيْنانة فجعل يُدخل القضيبَ فى جُمّتى وجعل يقول : يا غلام، ولدتْك سُكّر (وهى أمّ ولد كانت لمروان بن الحكم فزوّجها أبا حفصة) قال : فسمعته يومئذ يُنشد :

ليت هشاماً عاش حتى يرى * مكيالَه الأوفرَ قد أُتْرِعا[2]
كِلْنا له الصاعَ التى[3] كالَها * فما ظلمناه بها أصْوُعا
لم نأتِ ما نأتيه عن بدعة * أحلّه القرآن لى أجمعا

قال : فأمر الرشيد بكتّابتها[4] فكتبت .

كان شاعرا مجيدا وشىء من شعره

وللوليد أشعار جيادٌ فوق هذا الشعر الذى آختاره مروان . فمنها — وهو ما برّز فيه وجوّده وتبعه الناس جميعا فيه وأخذوه منه — قوله فى صفة الخمر — أنشدنيه

---

(١) الجمة : مجتمع شعر الرأس وهى أكثر من الوفرة، وهى أيضا ما تدلى من شعر الرأس على المنكبين .
(٢) رواية الطبرى لهذه الأبيات (ص ١٧٥٢ ق ٢ طبع أوروبا) :

ليت هشاما عاش حتى يرى * مكياله الأوفر قد طبعا
كلناه بالصاع الذى كاله * وما ظلمناه به إصبعا
وما أتينا ذاك عن بدعة * أحله الفرقان لى أجمعا

(٣) فى الأصول : « الذى » . والصاع يذكر ويؤنث . وقد آثرنا ما وضعناه لتلاؤم الضمائر .
(٤) فى ب ، س ، حـ : « بكتابها » وهو مصدر كالكتابة .

الحسن بن على قال أنشدنى الحسين بن فَهْم قال أنشدنى عمر بن شَبّة قال أنشدنى أبو غسّان محمد بن يحيى وغيره للوليد . قال : وكان أبو غسّان يكاد يرقص إذا أنْشدها — :

اِصدَعْ نجىَّ الهموم بالطربِ * وٱنعَمْ على الدهر بٱبنة العنبِ
وٱستقبِلِ العيشَ فى غَضارته * لا تَقْفُ منه آثارَ معتقِبِ
من قهوة زانها تقادُمها * فهى عجوز تعلو على الحِقب
أشهى الى الشَّرْب يوم جَلْوتها * من الفتاة الكريمة النَّسب
فقد تجلَّت ورَقّ جوهرها * حتى تبدّت فى منظَرٍ عجَب
فهى بغير المِزاج من شَرَر * وهى لدى المزج سائلُ الذهب
كأنها فى زجاجها قَبَسٌ * تذكو ضياءً فى عين مرتقِب
فى فتيةٍ من بنى أميّة أهـ * ـلِ المجد والمأْثُرات والحسب
ما فى الورى مثلُهم ولا فيهم (١) * مثلى ولا مُنْتَمٍ لمثل أبى

قال المدائنىّ فى خبره : وقال الوليد حين أتاه نَعْىُ هشام :

طال ليلى فبتُّ أُسقَى المداما * إذ أتانى البريد ينعَى هشاما
وأتانى بحُلّة وقضيب * وأتانى بخاتم ثم قاما
فجعلتُ الولىّ من بعد فقدى * يفضُل الناسَ ناشئًا وغلاما
ذلك ٱبنى وذاك قَرْمُ قريش * خيرُ قَرْمٍ وخيرُهم أعماما

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائنى عن جرير قال قال لى عمر الوادى :

---

(١) فى ب ، سـ : « ولا بهم » وهو تحريف .

كنت يومًا أغنّى الوليدَ إذ ذكَر هشامًا، فقال لى : غنّنى بهذه الأبيات، قلت : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ فأنشأ يقول :

صــــوت

هلَك الأحول المَشُــو * مُ فقــد أُرسل المطرْ
ثُمّتَ ٱستُخْلِف الوليـ * ـد فقد أَوْرق الشجرْ

أخذ أبو نواس وغيره من الشعراء معانيه فى أشعارهم

وللوليد فى ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها فى أشعارهم، سلَخوا معانيها ، وأبو نواس خاصّة فإنه سلخ معانيه كلّها وجعلها فى شعره فكرّرها فى عدّة مواضع منه . ولولا كراهةُ التطويل لذكرتُها هاهنا، على أنها تنبئ عن نفسها .

وله أبيات أنشدنيها الحسن بن علىّ قال أنشدنى الحسين بن فهم قال أنشدنى عمر بن شَبّة قال أنشدنى أبو غسّان وغيرُه للوليد — وكان أبو غسان يكاد أن يرقص إذا أنشدها — :

اِصْدَع نجىَّ الهموم بالطرب * وٱنعَمْ على الدهر بٱبنة العنب

الأبيات التى مضت متقدّما . وهذا من بديع الكلام ونادره، وقد جوّد فيه منذ ٱبتدأ الى أن ختم . وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك فى أشعارهما .

ومن جيّد معانيه قوله :

١١١
ـــ
٦

رأيتُك تَبنى جاهـدًا فى قطيعتى * ولو كنتَ ذا حزم لهدّمتَ ما تبنى

وقد مضت فى أخباره مع هشام .

وأنشدنى الحسن بن علىّ عن الحسين بن فهم قال أنشدنى عمرو بن أبى عمرو للوليد بن يزيد وكان يستجيده فقال :

إذا لم يكن خيرٌ مع الشرّ لم تَجِدْ * نصيحًا ولا ذا حاجةٍ حين تفزَع
وكانوا إذا همُّوا بإحدى هَنَاتهم * حسَرتُ لهم رأسى فلا أتقنّـع

ومن نادر شعره قوله لهشام :

فإن تك قد مَلِلتَ القربَ منّى * فسوف تَرى مُجَـانبتى وبعدى
وسـوف تلوم نفسَك إن بقِينا * وتبلو الناسَ والأحوال بعدى
فتنـدَمُ فى الذى فرّطتَ فيــه * إذا قايستَ فى ذمّى وحمـدى

قال يوم بيعته على المنبر بدمشق شعرا

أخبرنى الحسين بن يحيى قال حدّثنا آبن مَهْرويه وعبد الله بن عمرو بن أبى سعد قالا حدّثنا عبد الله بن أحمد بن الحارث (١) يشىّ قال حدّثنا محمد بن عائذ قال حدّثنى الهَيْثم بن عِمْران قال سمعتُه يقول :

١٠ لمـا بويع الوليد سمعتُه على المنبر يقول بدمشق :

ضَمِنتُ لكم إن لم تَرُعْنى منيّتى * بأنّ سماء الضرّ عنكم ستُقلِـع

كتب الى أهل المدينة شعرا وردّ عليه حمزة بن بيض

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنى عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

لمّـا ولى الوليد بن يزيد كتب الى أهل المدينة (٢) والشعر له :

١٥ مُحرِّمُكم (٣) ديوانُكم وعطاؤكم * به يكتب الكتّاب والكُتْب تُطبَعُ
ضَمِنت لكم إن لم تصابوا بمهجتى * بأنّ سماء الضرّ عنكم ستُقلِـع

وأوّل هذه الأبيات :

ألَا أيّهـا الركب المُخِبّون أبلغـوا * سـلامىَ سُكّانَ البـلاد فاسمعوا

(١) فى الأصول : «قال» . (٢) فى أ ، م : «مكة» . (٣) كذا فى أ ، م
٢٠ ونسخة الشنقيطى مصححة ومضبوطة بقلمه . وفى ب ، س ، حـ : «محزمكم» بالزاى .

وقولوا أتاكم أشبهُ الناس سنّةً * بوالده فاستبشروا وتوقّعوا
سيُوشك إلحاقٌ بكم وزيادة * وأعطيةٌ تأتى تِباعًا فتُشْفَع

وكان سبب مكاتبته أهلَ الحرمين بذلك أنّ هشامًا لمّا خرج عليه زيد بن علىّ رضى الله عنه منع أهلَ مكة وأهلَ المدينة أعْطِياتهم سنةً . فقال حمزة بن بِيْض يردّ على الوليد لمّا فعل خلافَ ما قال :

وصلتَ سماءَ الضرّ بالضرّ بعد ما * زَعمتَ سماء الضرّ عنّا ستُقلِع
فليت هشامًا كان حيًّا يسوسنا * وكنّا كما كنّا نُرجّى ونطمع

بعث الى جماعة من أهله يوم بيعته وأنشدهم شعرا يدل على مجونه

أخبرنى أحمد قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال روى جَرير بن حازم عن الفضل بن سُويد قال :

بعث الوليد بن يزيد الى جماعة من أهله لمّا ولى الخلافة فقال : أتدرون لِمَ دعوتكم؟ قالوا لا ؛ قال : ليَقُلْ قائلُكم؛ فقال رجل منهم : أردتَ يا أمير المؤمنين أن تُرِيَنا ما جدّد الله لك من نعمته وإحسانه؛ فقال : نعم، ولكنى :

١١٢ / ٦

أُشهِد اللهَ والملائكةَ الأبـ * ـرار والعابدين أهلَ الصلاح
أننى أشتهى السّماع وشربَ الـ * ـكأس والعضّ للخدود الملاح
والنديمَ الكريم والخادمَ الفا * رِهَ يسعى علىّ بالأقداح

قوموا إذا شئتم .

عرضت عليه جارية وغنته فأمر بشرائها

أخبرنى إسماعيل بن يونس وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال :

عُرِضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ صفراء كوفيّة مولّدة يقال لها سعاد ، فقال لها : أىّ شىء تُحسنين؟ فقالت : أنا مغنّية؛ فقال لها : غنّينى، فغنّت :

صـــوت

لولا الذى حُمّلتُ من حبّكم * لكان فى إظهاره مَخْــرَجُ

أو مذهبٌ فى الأرض ذو فسحةٍ * أجَلْ ومن حجّت له مَــذْحِجُ

لكن سباني منكمُ شادنٌ * مُرَبَّبٌ ذو غُنَّــة أدعجُ

أغرّ ممكورٌ[1] هضيـــمُ الحشى * قد ضاق عنه الحِجْــل والدُّمْلُجُ

— الشعر للحارث بن خالد . والغناء لابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر . وفيه لدَحْمانَ هَزَج بالوسطى ؛ وذكر الهشامى أن الهزج ليحيى المكّى — فطرب طرباً شديدا وقال : ياغلام اسقنى ، فسقاه عشرين قدحا وهو يستعيدها . ثم قال لها : لمن هذا الشعر؟ قالت : للحارث بن خالد . قال : وممّن أخذتيه؟ قالت : من حُنَيْن . قال : وأين لقيتِه؟ قالت : رُبِيتُ بالعراق وكان أهلى يجيئون به فيُطارحنى . فدعا صاحبه فقال : اذهب فابتعها بما بلغتْ ولا تُراجعنى فى ثمنها ففعل؛ ولم تزل عنده حَظِيَّةً .

شرب هو ومحمد ابن سليمان بن عبد الملك بجرن

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنى عبيد الله بن عمّار قال حدّثنى عبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشىّ قال حدّثنا العباس بن الوليد قال حدّثنا ضَمْرة قال :

١٠ خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يوماً الى بعض الدّيارات فنزل فيه وهو والٍ على الرّملة ؛ فسأل صاحبَ الدّير : هل نزل بك أحدٌ من بنى أميّة؟ قال : نعم ، نزل بى الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك . قال : فأىّ شىء صنعا ؟ قال : شربا فى ذلك الموضع ، ولقد رأيتهما شربا فى آنيتهما ، ثم قال أحدهما لصاحبه :

(١) المرأة الممكورة : المستديرة الساقين، أو هى المدمجة الخلق الشديدة البضعة .

هلمَّ نشرب بهذا الجُرْن[(١)] — وأومأ الى جرنٍ عظيم من رخام — قال : أفعلُ، فلم يزالا يتعاطيانه بينهما و يشربان به حتى ثَمِلا . فقـال عبد الوهاب لمولًى له أسـود : هاته . قال ضمرة : وقد رأيتُه وكان يوصف بالشدّة، فذهب يحرّكه فلم يقدر . فقال الراهب : والله لقد رأيتهما يتعاطيانه وكلٌّ واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه و يشربه غيرَ مكترث .

وفد عليه سعد بن مرة ومدحه فأجازه

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال :

وفَد سـعد بن مُرَّة بن جُبَيْر مولى آل كَثير بن الصَّلْت ، وكان شاعرا ، على الوليد بن يزيد، فعرَض له فى يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنزّه له، فصاح به : يا أميرَ المؤمنين، وافدُك و زائرك ومؤمِّلُك، فتبادر الحرس إليه ليصدّوه عنه، فقال : دَعوه، أُدْنُ إليّ فدنا اليه، فقال : من أنت؟ قال : أنا رجل من أهل الحجاز شاعر، قال : تريد ماذا ؟ قال : تسمع منّى أربعة أبياتٍ، قال : هاتِ

١١٣ / ٦

صـــوت

شِمْنَ المَخايِلَ نحوَ أرضِك بالحَيَا * ولَقِين ركابًا بعُرْفك قُفَّلا

قال : ثم مَهْ، قال :

فعمَدن نحوَكَ لم يُخَنْ[(٢)] لحـاجة * إلّا وقوعَ الطـير حتى تَرْحلا

قال : إن هذا السير حثيث[(٣)]، ثم ماذا ؟ قال :

يعمِدن نحـو مُوطِّئٍ حجراته * كَرَمًا ولم تعـدِل بذلك مَعْدِلا

(١) الجرن : حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به . (٢) كذا فى نسخة المرحوم الشنقيطى مصححة بخطه . و فى الأصول : « لم يحن بحاجة » . (٣) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر الأصول : « ان هذا لسير حثيث » .

قال : فقد وصلتَ إليه، فَمَهْ؛ قال :

لاحت لها نيرانُ حَيٍّ قَسْطلٍ[1] * فٱخترن نارَك فى المنـازل منزلا

قال : فهل غيرُ هذا؟ قال لا؛ قال : أَنجحتْ وِفادتُك، ووجبت ضيافتك؛ أعطوه أربعة آلاف دينار؛ فقبضها ورحل .

٥ الغناء لابن عائشة ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو والهشامىّ .

رجعتِ الراويةُ إلى حديث المدائنىّ قال :

مسلمة بن هشام وزوجته

لمّـا قدِم العباس بن الوليـد لإحصاء ما فى خزائن هِشَام وولدِه ســوى مَسْلَمة ابن هشام فإنه كان كثيرا مايَكُفّ أباه عن الوليد ويكلّمه فيه ألّا يعرضَ له ولا يدخل منزله . وكانت عند مسلمة أمُّ سَلَمة[2] بنت يعقوب المَخزوميّة، وكان مَسْلمة يشرب .

١٠ فلمّـا قدم العبّاس لإحصاء ما كتب اليه الوليدُ ، كتبتْ اليه أم سَـلَمة : ما يُفيق من الشّراب ولا يهتمّ بشيء ممـا فيه إخوتُه ولا بموت أبيـه . فلما راح مسلمة ابن هشام الى العباس قال له : يا مسلمة ، كان أبوك يرشّحك للخلافة ونحن نرجوك لمـا بلغنى عنك، وأنّبـه وعاتبه على الشراب ؛ فأنكر مسلمة ذلك وقال : من أخبرك بهـذا ؟ قال : كتبتْ إلىّ به أمّ سَـلَمة ؛ فطلّقها فى ذلك المجلس . فخرجت الى

١٥ فِلَسطين، وبها كانت تنزل، وتزوّجها أبو العباس السفّاح هناك .

قصة طلاق الوليد لزوجتـه سـعدة وتعشقه أختها سلمى

وسَلْمى التى عناها الوليدُ هناك هى سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان؛ وأمها أُمُّ عمرو بنت مروان بن الحَكَم، وأمّها بنت عمر بن أبى ربيعة المخزوميّ .

---

(١) قسطل : موضع قرب البلقاء من أرض دمشق فى طريق المدينة ، وهو أيضا موضع بين حمص ودمشق . وفى الأصول : « لاحت لها نيران حى قسطلا » . (٢) كذا فى عقد الجمان والطبرى (ق ٣ ص ٧ ٠ ٢) وفيما سيأتى فى بعض روايات أ . وفى جميع الأصول هنا : «أم مسلمة» وهو تحريف

٢٠

فأخبرنى محمد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلّام وعن المدائنىّ عن جُويرية بن أسماء :

أن يزيد بن عبد الملك كان خرج الى قُرَين[1] مُتَبدِّيا[2] به ، وكان هناك قصر لسعيد ابن خالد بن عمرو بن عثمان ، وكانت بنته أمّ عبد الملك ، واسمها سَعْدة ، تحت الوليد بن يَزيد . فرض سعيدٌ فى ذلك الوقت ، وجاءه الوليدُ عائدا ، فدخل فلمح سَلْمى بنت سعيد أختَ زوجته وسترها حواضِنُها وأختها فقامت ففرَعَتْهُنّ[3] طولًا ، فوقعت بقلب الوليد . فلما مات أبوه طلّق أمّ عبد الملك زوجتَه وخطب سلمى الى أبيها . وكانت لها أخت يقال لها أُمّ عثمان تحت هشام بن عبد الملك ، فبعثتْ الى أبيها — وقيل : بعث اليه هشام — : أتريد أن تستفحلَ الوليدَ لبناتك يطلّق هذه وينكح هذه ! فلم يزوّجه سعيد وردّه أقبحَ ردّ . وهوِيها الوليد ورام السلوّ عنها فلم يَسْلُ ، وكان يقول : العجب لسعيد ! خطبتُ اليه فردّنى ، ولو قد مات هشام ووَلِيتُ لزوّجنى ! وهى طالق ثلاثا إن تزوّجتها حينئذ و إن كنت أهواها . فيقال : إنه لمـا طلّق سَعْدة ندم على ذلك وغمّه . وكان لها من قلبه محلّ ولم تحصُل له سَلْمى ؛ فاهتمّ لذلك وجزِع . وراسل سَعْدة ، وقد كانت زُوِّجت غيرَه فلم ينتفع بذلك .

١١٤ / ٦

أرسل أشعب لزوجته بعد طلاقها فسرّته

فأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ والحسن بن علىّ قالا حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجَهْم قال حدّثنا المدائنىّ قال :

بعث الوليد بن يزيد الى أشعب بعد ما طلّق آمرأته ، فقال : يا أشعب ، لك عندى عشرة آلاف درهم على أن تبلّغ رسالتى سَعْدةَ ، فقال : أحضِر العشرةَ الآلاف

(١) قرين : موضع باليمامة يسمى قرين نجدة ، قتل عنده نجدة الحرورى . (٢) فى ب ، سـ : « مبتديا » ، وهو تحريف . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفرعتهن : طلتهن . وفى ب ، سـ : « فبرعتهن »

الدرهم حتى أنظر اليها؛ فأحضرها الوليد، فوضعها أشعبُ على عنقه وقال : هات رسالتك؛ قال : قل لها يقول لك أمير المؤمنين :

أَسَعْدَةُ هل إليكِ لنا سبيلٌ * وهل حتى القيامةِ من تَلاقِ

بَلَى ولعلّ دهرًا أن يُؤاتِي * بموتٍ من حَليلك أو طلاقِ

فأُصبِحَ شامتًا وتَقَرَّ عيني * ويُجمَعَ شملُنا بعد افتراقِ

فأتى أشعبُ البابَ فأُخبِرتْ بمكانه، فأمرتْ بفُرُش لها ففُرِشت وجلست وأَذِنت له. فلما دخل أنشدها ما أمره؛ فقالت لخدمها : خذوا الفاسقَ! فقال : يا سيّدتي إنها بعشرة آلاف درهم . قالت : والله لأقتلنك أو تبلّغه كما بلّغتني؛ قال : وما تَهَبين لي؟ قالت : بساطي الذي تحتي؛ قال : قومي عنه؛ فقامت فطواه وجعله الى جانبه، ثم قال : هات رسالتك جُعِلتُ فِداكِ؛ قالت : قل له :

أتبكي على لُبْنَى وأنت تركتَها * فقد ذهبتْ لبنى فما أنت صانعُ[1]

فأقبل أشعب فدخل على الوليد؛ فقال : هِيه ، فأنشده البيت ؛ فقال : أَوَّه قتلتني يابن الزانية! ما أنا صانع، فاختر أنت الآن ما أنت صانع[2] يابن الزانية ، إمّا أن أُدَلِّيَك

(١) رواية البيت في أمالي القالي (ج ٢ ص ٣١٥ طبع دار الكتب المصرية) عند ذكره لعينية قيس هكذا :

تبكي على لبنى وأنت تركتها * وكنت كآتٍ غيه وهو طائع

وتتفق هذه الرواية مع رواية صاحب الأغاني عند ذكره للبيت في ترجمة قيس (ج ٨ ص ١٣٢ طبع بولاق) وهي :

أتبكي على لبنى وأنت تركتها * وكنت كآت حتفه وهو طائع

(٢) وردت كلمة « ما أنت صانع » في بيت آخر من هذه القصيدة ونصه :

فيا قلب خبرني اذا شطت النوى * بلبنى وصدّت عنك ما أنت صانع

على رأسك منكّسا فى بئر أو أرمى بك منكّسا من فوق القصر أو أضربَ رأسكَ بعمودى هذا ضربةً، هذا الذى أنا صانع، فآختَرْ أنت الآن ما أنت صانع؛ فقال : ما كنتَ لتفعلَ شيئا من ذلك؛ قال : ولم يآبن الزانيــة ؟ قال : لم تكن لتعذّب عينين نظرتا إلى سُعْدة . قال : أَوّهْ! أفلتَّ والله بهذا يآبن الزانية ! أُخرجْ عنّى .

وقال الحسن فى روايته : إنها قالت له أنشِدْه :

أتبكى على لُبْنَى وأنت تركتهـا * وأنت عليها بالمَلَا(١) كنتَ أقـدرُ

وفى هذه الأبيات غناء هذه نسبتُه :

صـــوت

أرى بيت لُبْنَى أصبح اليوم يُهجَرُ * وهِجرانُ لبنى يالكَ الخـيرُ مُنْكَرُ

فإن تكن الدنيا بلُبْنَى تغيّرت * فلِلدّهر والدنيا بطونٌ وأظْهُـرُ

أتبكى على لُبْنَى وأنت تركتَها * وأنت عليها بالحَرَا(٢) كنتَ أقـدر

عروضُه من الطويل . والشعر لقَيْس بن ذَرِيح . والغناء فى الثانى والثالث للغريض ثقيل أوّلُ بالبنصر عن عمرو والهشامىّ . وفيهما(٣) لعَريب رملٌ بالبنصر . وفيه لشاريةَ خفيفُ رمل بالوسطى عن الهشامىّ . وفى الأوّل خفيفُ ثقيلٍ مجهول .

ريا يزى زيات زى سلمى وشعره فى ذلك

١١٥ / ٦

قال آبن سَلّام والمدائنىّ فى خبرهما : وخرج الوليد بن يزيد يريد فَرْتَنَى(٤) لعلّه يراها؛ فلقيه زيّات معه حمار عليه زيت؛ فقال له : هل لك أن تأخذ فرسى هذا وتُعطينى حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابى وتعطينى ثيابك ؟ ففعل الزيات ذلك . وجاء الوليد وعليه الثياب و بين يديه الحمار يسوقه متنكّرا حتى دخل قصرَ سعيد،

(١) الملا : موضع بعينه .

(٢) الحرا : جناب الرجل وما حوله ، يقال : نزل بحراه وعراه اذا نزل بساحته .

(٣) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر النسخ « وفيها » .

(٤) فرتنى : قصر بمرو الروذ .

فنادى : من يشترى الزيت ، فاطّلع بعضُ الجوارى فرأينه فدخلن الى سَلْمى وقُلْنَ : إن بالباب زيّاتا أشبهَ الناس بالوليد ، فاخرجى فانظرى إليه ، فخرجت فرأته ورآها ، فرجعت القَهْقَرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ! وقد رآنى ! فقلن له : لا حاجةَ بنا إلى زيتك ، فانصرف وقال :

إننى أبصرتُ شيخًا * حسنَ الوجه مليحْ
ولباسى ثوب شيخ * من عباءٍ ومُسوح
وأبيعُ الزيت بيعًا * خاسرًا غيرَ ربيح

وقال أيضا :

فما مِسْكٌ يُعَلُّ بزنجبيلٍ * ولا عسلٌ بألبان اللِّقاح
بأشهى من مُجاجة ريق سلمى * ولا مافى الزِّقاق من القَراح
ولا والله لا أنسى حياتى * وَثاقَ الباب دونى واطّراحى

قال : فلما ولى الخلافة أشخص إلى المغنّين فحضَروه وفيهم معبدٌ وابن عائشة وذووهما . فقال لابن عائشة : يا محمد ، إن غنّيتنى صوتين فى نفسى فلك عندى مائة ألف درهم ؛ فغنّاه قولَه :

* إننى أبصرتُ شيخًا *

وغنّاه :

* فما مسكٌ يعلّ بزنجبيل *

الأبياتَ . فقال الوليد : ما عدوتَ مافى نفسى ؛ وأمر له بمائة ألف درهم وألطاف وخِلَع ، وأمر لسائر المغنّين بدون ذلك .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صــــوت

فما مسكٌ يُعَلّ بزنجبيلٍ * ولا عسلٌ بألبان اللِّقاح
بأطيبَ من مُجاجة ريق سلمى * ولا ما فى الزِّقاق من القَراح

غنّاه آبن عائشة ، ولحنُه ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشامىّ وحماد بن إسحاق .

تزوج سلمى بعد ولايته الخلافة، وماتت بعد قليل فرثاها

قال المدائنىّ وآبن سَلّام : فلمّا طال بالوليد ما به كتب الى أبيها سعيد :

أبا عثمان هل لك فى صنيع * تُصيب الرشدَ فى صلتى هُديتا
فأشكرَ منك ما تُسدى[1] وتُحيى * أبا عثمان مَيْتةً ومَيْتا

قالوا : فلم يُجبه الى ذلك حتى ولى الخلافةَ، فلما وليها زوّجه إياها، فلم يلبث إلّا مدّة يسيرةً حتى ماتت . وقال فيها ليلة زُفّت اليه :

خفَّ من دار جيرتى * يا آبن داود أُنْسُها

وهى طويلة . وفيها ممّا يغنّى به :

أوَ لا تخــرج العرو * سُ فقد طال حبسُها
قد دنا الصبح أو بَدا * وهى لم يُقْضَ لُبْسُها
برزت كالهــلال فى * ليــلةٍ غاب نحسُها
بين خمس كواعبٍ * أكرمُ الخمسِ جنسُها

١١٦
٦

غناهُ آبنُ سُريج، فيما ذكره حَبَش، رملٌ بالبنصر، أوّله :

* خَفَّ من دار جيرتى *

وغناه معبد فيه خفيفُ ثقيلٍ، أوّله :

* ومتى تخــرج العــرو * س

(١) فى حـ « فأشكر منك المسدى وتحيى ... » .

فى رواية الهشامىّ وابن المكىّ . وغناء عمر الوادىّ فى الأربعة الأبيات الأُخَر خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو . وذكر فى النسخة الثانية ووافقه الهشامىّ أنّ فيه هزَجا بالوسطى ينسب الى حَكَم والى أبى كامل والى عمر .

غنى حكم الوادى للهدى فوصله

وقد أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الأصمعىّ قال : رأيت حَكَما الوادى قد تعرّض للهدىّ وهو يريد الحجّ، فوقف له فى الطريق وكانت له شهرة، فأخرج دفًّا له فنقر فيه وقال : أنا، أطال الله بقاءك، القائل :

ومتى تخـرج العرو * سُ فقد طال حبسُها

قد دنا الصبح أو بدا * وهى لم يُقْضَ لُبْسُها

قال : فتسرّع اليه الحرس، فصيحَ بهم، واذا هو حكم الوادى؛ فأُدخل اليه المَضْرِبَ فوصله وانصرف .

نسبة أوَلا تخرج العروس — قال : الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لعمر الوادىّ . وفيه لحنان هزجٌ خفيف بالخنصر فى مجرى البنصر [وخفيفُ رملٍ بالخنصر فى مجرى البنصر جميعا عن إسحاق][1]؛ وذكر حكم الوادىّ أنّ الهزج له؛ وذكر إسحاق أن لحن حَكَم خفيفُ رمل بالخنصر فى مجرى الوسطى . وقال فى كتاب يحيى : إن هـذا اللحن لعمر الوادىّ . وذكر الهشامىّ أنّ فيـه خفيفَ ثقيلٍ لمعبد ورملًا لابن سريج . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه للدّلال خفيفَ ثقيل أوّل بالبنصر .

ماتت سلمى فرثاها الوليـد

وقال المدائنىّ : مكثتْ عنده سَلْمَى أربعين يومًا ثم ماتت؛ فقال :

ألمّـا تعلمـا سَـلْمى أقامت * مُضَمَّنةً من الصـحراء لحـدا

لعمـرك ياوليدُ لقـد أجنّوا * بهـا حَسَبًا ومَكرُمةً ومجدا

(١) هذه العبارة ساقطة من ء ، ب ، س .

ووجهًا كان يقصُر عن مداه * شعاعُ الشمس أَهْلٌ أن يُفدّى
فلم أرَ ميّتًا أبكَى لعينٍ * وأكثر جازعًا وأجلّ فقدا
وأجدرَ أن تكون لديه مِلْكًا * يُريك جَلَادةً ويُسِرّ وَجْدا

شعره فى سلمى

ذكر أشعار الوليد التى قالها فى سلمى وغنّى المغنّون فيها منها :

صوت

عرفتُ المنزلَ الخالى * عفا من بعد أحوالِ
عفَاه كلُّ حَنّانٍ * عَسُوفِ الوَبْل هَطّال
لسلمى قرّةِ العين * وبنت العمّ والخال
بذلتُ اليوم فى سلمى * خِطَارًا[1] أتلفتْ مالى
كأنّ الريق من فِيها * سَحِيقٌ[2] بين جِرْيال

١٠

١١٧ / ٦

غنّاه عمر الوادىّ هزجا بالوسطى عن عمرو . وذكر ابن خُرْداذبه أنّ هذا اللحن للوليد بن يزيد . وفيه رَمَلٌ ذكر الهشامىّ أنه لابن سريج .

ومنها وهو الصوت الذى غنّاه أبو كامل فأعطاه الوليدُ قَلَنْسِيَته[3] :

١٥

صوت

منازلُ قد تَحُلّ بها سليمى * دوارسُ قد أضرّ بها السِّنونُ
أُميتُ السرّ حفظًا يا سليمى * اذا ما السرّ باح به الحَزُونُ[4]

(١) الخطار : جمع خطر (بالتحريك) وهو السبق الذى يترامى عليه فى الرهان . (٢) كذا فى اللسان (مادة جرل) . والجريال : صفوة الخمر . والسحيق : المسك . أى مسك سحيق بين قطع جريال أو أجزاء جريال . وفى الأصول : «كأن المسك فى فيها» . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «قلنسية» . (٤) الحزون : الكثير الحزن .

٢٠

غنّاه أبو كامل من الثقيل الأوّل . وفيه لابن سريج، و يقال للغريض، خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشامىّ، وقيل : إنه لحكم أو لعمر الوادى

ومنها :

صـــوت

أرانى قـــد تصابيتُ * وقـــد كنت تناهيتُ (١)

ولو يتركنى الحبُّ * لقـــد صمت وصلّيتُ

إذا شئتُ تصــبّرت * ولا أصــبر إن شيتُ

ولا والله لا يصــبـ * ـر فى الدّيمومة (٢) الحوت

سليمى ليس لى صــبر * وإن رخّصتِ لى جيتُ

فقبّلتُـــك ألفين * وفـــدّيت وحيّيتُ

ألا أحبِبْ بزَوْرِ زا * ر من سلمى ببيروت (٣)

غزالٌ أدْعَجُ العين (٤) * نـــقىّ الجيـــد والّلِيتِ (٥)

غنّاه ابنَ جامع فى البيتين الأوّلين هزجاً بالوسطى، وغنّاه أبو كامل فى الأبيات كلها على ما ذكرتُ بَدْلُ ولم تجنّســـه . وغنّى حَكَمٌ الوادى فى الثالث والرابع والسابع والثامن خفيفَ رملٍ بالوسطى عن عمرو والهشامىّ .

(١) فى هذا الشعر السناد وهو احد عيوب القافية . والسناد هنا — وهو أحد أوجه السناد الثلاثة — : اختلاف الحرف الذى قبل الردف بالفتح والكسر . والردف هو حرف اللين (الألف والواو والياء) قبل الروىّ . فالتاء فى هذا الشعر هى حرف الروىّ أى القافية ، والواو والياء ردف . (٢) الديمومة : الصحراء البعيدة . (٣) فى هذا البيت والبيت الذى يليه إقواء وهو اختلاف حركة الروى . وقد ورد البيت الأوّل منهما فى معجم ياقوت مع بيتين آخرين أثناء الكلام على بيروت هكذا :

ألا يا حبـــذا شخص * حمت لقيـاه بيروت

(٤) فى جميع الأصــول : « العينين » . (٥) الليت (بالكسر) : صــفحة العنق .

ومنها :

صـــوت

عتَبتْ سَلْمى علينا سَفاها * أن سبَبْتُ اليوم فيها أباها
كان حقُّ العتب يا قومُ منّى * ليس منها كان قلبى فِداها
فلئن كنتُ أردتُ بقلبى * لأبى سلمى خلافَ هواها
فثكِلتُ اليوم سلمى فسلمى * ملأت أرضى معًا وسماها
غير أنى لا أظن عدوّا * قد أتاها كاشحًا بأذاها (1)
فلها العُتْبَى لدينا وقَلّتْ * أبدًا حتى أنال رضاها

غنّاه أبو كامل خفيفَ رملٍ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ليحيى المكىّ ثقيل أوّل من رواية علىّ بن يحيى . وفيه رمل يقال : إنه لابن جامع، ويقال : بل لحن ابن جامع خفيف رمل أيضا . ١٠

خطب سلمى الى أبيها وهو سكران فرده فسبته فقال شعرا

١١٨ / ٦

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى عبد الله بن عمرو قال :

لقِىَ سعيد بن خالد الوليد بن يزيد وهو ثَمِلٌ ، فقال له : يا أبا عثمان، أتردّنى على سلمى (2)! وكأنى بك لو قد وَلِيتُ الخلافة خطبتَنى فلم أُجِبْك ، وإن تزوّجتُها حينئذ فهى طالق ثلاثا . فقال له سعيد : إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيقٌ بأكثر مما قلت ؛ فأمضّه الوليد وشتمه وتساءما وافترقا . وبلغ الوليدَ أنّ سلمى جزِعت لما جرى وبكتْ وسبّت الوليد ونالت منه ؛ فقال : ١٥

عتبت سلمى علينا سفاها * أن هجوتُ اليوم فيها أباها

(١) كذا فى نسخة الشنقيطى مصححة بخطه . وفى جميع الأصول : « فأذاها » بالفاء، وهو تحريف . ٢٠
(٢) كذا فى جميع الأصول . ولعله : « أتردّنى عن سلمى » .

وذكر الأبيات . وقال أيضا فى ذلك :

صــــوت

على الدور[1] التى بَليتْ سَــفَاها[2] * قفَــا يا صاحبىّ فسائِــلاها

دعتك صبابةٌ ودعاكَ شـوق * وأخضـل دمعُ عينك مأقِياها[3]

وقالت عنــد هجوتنــا[4] أباها * أردتَ الصَّرمَ فأنتَـدِه انتداها[5]

أردتَ بعـادَنا بهجاء شيخى * وعنـدك خُـلَّةٌ تبغى هواها

فإن رضيتْ فذاك وإن تمادتْ * نَهَبْها خُطَّـةً بلغت مَـداها

— غنّاه مالك بن أبى السَّمْح خفيفَ رمل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق .
وللهُذَلىّ فيه ثانى ثقيل بالوسطى عن يونس والهشامىّ ؛ وذكر حبش : أنّ الثقيل
الثانى لإسحاق — يعنى بقوله :

* أردتَ بعادنا بهجاء شيخى *

أنه كان هجا سعيد بن خالد، فقال :

ومن يكُ مفتاحا لخـير يريده * فإنك قُفْلٌ يا سعيد بن خالد

قال المدائنىّ : لمّـا غضبتْ سلمى من هجائه أباها قال يعتذر إليه بقوله :

ألا أَبلِــغْ أبا عـــثما * نَ عِذْرةَ مُعْتِبٍ أســفا

فلستُ كمن يودّك بالـ * ـلسان ويُكثِر الحَلِفا

(١) فى حـ : « على الدار » .   (٢) السـفا : التراب ، والسفاة : الكبة منـه .
(٣) مأق العـين : طرفها ممـا يلى الأنف وهو مجرى الدمع من العين . ولعله جاء على لغة من يلزم المثنى الألف فى كل أحواله .   (٤) كذا فى ب . وفى سائر النسخ : « هجـرتنا » بالراء، وهو تحريف .   (٥) انتـده انتـداها : أى ازدجر ازدجارا . وندهه ندها : زجره ورده وطرده بالصياح .

حتبتَ علىّ فى أشـيا * ء كانت بيننـا سَـرَفا
فلا تُشمِتْ بى الأعدا * ءَ والجـيرانَ ملتهفا
تـودّ لَوَ آننى لحـمٌ * رأته الطـير فآختَطفا
ولا ترفـعْ بــه رأسا(١) * عفا الرحمن ما سَلَفا

ومنها وهو من سخيف شعره :

صـــوت

خــبّرونى أن سـلمى * خرجتْ يوم المُصَـلّى
فإذا طـيرٌ مليــح * فـوق غصـن يتفـلّى
قلتُ من يعـرف سلمى * قال هـا ثــم تعـلّى
قلت ياطـير آدْنُ منّى * قال ها ثـم تـدلّى
قلتهل أبصرتَ سلمى * قال لا ثــم تـولّى
فنَــكا(٢) فى القلب كَلْمًا * باطنًـا ثـم تعـلّى

١١٥/٦ فيه ثقيل أوّل بالبنصر مطلق، ذكر الهشامىّ أنه لأبى كامل ولعمر الوادى ، وذكر حبش أنه لدَحْمان .

ومنهـا :

صـــوت

اِســقنى يآبن سالم قد أنارا * كوكبُ الصبح وآنجلى وآستنارا
اِسقِنى من سُلاف ريق سليمى * وآسق هـذا النديمَ كأسا عُقارا

(١) يريد : لا تذكره ولا تعلنه . (٢) نكا مسهل نكأ . ونكأ القرحة (من باب فتح) : قشرها قبل أن تبرأ فنديت . والكلم : الجرح .

غنّاه ابن قندح[1] ثانىَ ثقيل بالوسطى من رواية حبش .

سأل المأمون ندماءه عن شعر يدل على أنه لملك ثم قال لهم: إنه شعر الوليد

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنى عمّى عبيد الله قال حدّثنى أبى : أنّ المأمون قال لمن حضره من جلسائه : أنشدونى بيتًا لملك يدلّ البيتُ و إن لم يُعرف قائلُه أنه شعر ملِكٍ ؛ فأنشده بعضهم قولَ آمرئ القيس :

أمِن أجل أعرابيّة حلّ أهلُها * جَنُوبَ المَلَا[2] عيناكَ تبتدرانِ

قال : وما فى هذا مما يدلّ على مُلْكه ! قد يجوز أن يقول هذا سُوقةٌ من أهل الحَضَر، فكأنه يؤنّب نفسه على التعلّق بأعرابيّة ؛ ثم قال : الشعر الذى يدُلّ على أن قائله مَلِكٌ قولُ الوليد :

اِسقِنى من سُلاف ريق سليمى * وآسق هذا النديمَ كأسًا عقارا

أمَا ترى إلى إشارته فى قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك . ومثل قوله :

لىَ المحضُ من ودّهم * ويغمُرهم نائلى

وهذا قول من يقدِر بالمُلْك على طَويّات الرجال ، يبذل[3] المعروف لهم ويُمكنه آستخلاصُها لنفسه .

وفى هذا البيت مع أبيات قبله غناءٌ وهو قوله :

صوت

سقَيْتُ أبا كاملٍ * من الأصفر البابلى

وسقَّيتُها معبدًا[4] * وكلَّ فتى بازل

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٥٠ من الجزء الثانى من الأغانى طبع دار الكتب المصرية .

(٢) الملا : موضع .

(٣) فى ب ، س ، م : « ليبذل » .

(٤) البازل : الكامل فى عقله وتجربته . قال فى اللسان : « وقد قالوا : رجل بازل على التشبيه بالبعير . وربما قالوا ذلك يعنون به كماله فى عقله وتجربته » . والبازل من الإبل : الذى استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة وفطر نابه . وليس بعد البازل اسم .

لى المحضُ من ودّهم * ويغمُــرهم نائــلى

فما لامنى فيهــمُ * سوى حاسدٍ جاهل

غنّاه أبو كامل ثقيلًا أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر .

ومنها وهو من مُلَح (١) شعره :

صـــــوت

أرانى اللهُ يا سلمى حياتى * وفى يوم الحساب كما أراك

ألَا تَجْزِين مَنْ تَيَّمتِ عصرًا * ومن لو تطلبين لقد قضاك

ومَنْ لو مُتِّ مات ولا تموتى * ولو أُنسِى له أجلٌ بكاك

ومَنْ حقًّا لَوُ اعْطِى ماتمنّى * من الدنيا العريضة ما عداك

ومَنْ لو قلتِ مُتْ فأطاق موتًا * إذًا ذاق المماتَ وما عصاك ١٠

أَثِيبى عاشقًا كَلِفًا مُعنًّى * اذا خدِرت له رِجلٌ دعاك

كانت العرب تقول : إن الإنسان إذا خدِرتْ قدمه دعا بآسم أحبِّ الناس اليه فسكنتْ . فى الخبر أن رِجْل عبد الله بن عمر خدِرتْ ؛ فقيل له : ادع بآسم أحبِّ الناس اليك ؛ فقال : يارسول الله، صلى الله على رسول الله وعلى (٢) آله وسلم . ١٢٠/٦

ذكر يونس أنّ فى هذه الأبيات لحنًا لسِنَان الكاتب ، وذكرت دَنَانيرُ أنه لحكم ١٥ ولم تجنّسه (٤) .

(١) كذا فى أ كثر الأصول . وفى س : «أملح» . وفى حـ : «جيد» . (٢) أنسأ الله أجله : أخره . (٣) فى اللسان (مادة خدر) : «وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما أنه خدرت رجله ، فقيل له : ما لرجلك؟ قال : اجتمع عصبها ؛ قيل : اذكر أحب الناس اليك ؛ قال : يامحمد فبسطها» . ٢٠

(٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « ولم يجنسها » ، وهو تحريف .

ومنها :

صوت

وَيْحَ سَلْمى لو تَرانى * لعَنَاها ما عَنانى

مُتلِفًا فى اللهو مالى * عاشقًا حُورَ القِيانِ

إنما أحزن قلبي * قولُ سلمى إذ أتانى

ولقد كنتُ زمانًا * خالىَ الذَّرْع لشانى

شاقَ قلبي وعنانى * حبُّ سلمى وبرانى

ولَكَمْ لامَ نصيحٌ * فى سليمى ونهانى

غنّته فَريدة خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه ثقيل أوّل ينسب إلى معبد ، وهو فيما يذكرُ إسحاق يُشْبه غناءه وليس تُعرف صحّتُه له ، وذكر كَثير الكبير أنه له ، وذكر الهشامىّ أنه لابن المكىّ . وفيه لحَكَم هَزَجٌ صحيح .

ومنها :

صوت

بلِّغا عنّى سليمى * وسلاها لِىَ عمّا

فعلتْ فى شأن صبٍّ * دَنِفٍ أشعرَهمّا

ولقد قلت لسلمى * إذ قتلتُ البين علما

أنتِ همِّى يا سليمى * قد قضاه الربُّ حتما

نزلت فى القلب قَسْرًا * منزلا قد كان يُحمى

غنّاه حَكَمٌ خفيفَ ثقيلٍ . ولعمر الوادى فيه خفيفُ رمل بالخنصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها :

صـــوت

يا سُلَيْمَى يا سليمى * كنتِ للقلب عذابا

يا سليمى ٱبنةَ عمّى * برَد الليلُ وطابا

أيُّما واشٍ وشَى بى * فاملئى فاهُ ترابا

ريقُها فى الصبح مسكٌ * باشَر العذْب الرُّضابا

غنّاه عمر الوادى هَزَجًا بالبنصر عن الهشامىّ ، وذكر ٱبن المكىّ أنّه لمعان[1] .
وفى كتاب إبراهيم أنه لعَطَرَّد .

ومنها :

صـــوت

أَسَلْمَى تلك حُيِّيتِ * قِفِى[2] نُخْبِرْكِ إن شِيت

وقِيلِى ساعةً نَشْكُ * إليك الحبَّ أو بِيتى

فما صهباءُ لم تُكْسَ * قَذًى من خمر بيروت

ثَوَتْ فى الدَّنّ أعواما * خَتِيًّا عند حانوت

غنّاه عمر الوادى ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها :

صـــوت

يامَن لقلب فى الهوى مُتشعِّبٍ * بل مَنْ لقلب بالحبيب عميد

سَلْمَى هواه ليس يعرف غيرَها * دون الطَّريف ودون كلِّ تليد

---

(١) هكذا أثبتناه كما مرّ فى (ج ٢ ص ٦٨ من هذه الطبعة) نقلا عن ب ، س ، حـ . وقد ورد هنا فى أ ، ء ، م : « يمان » . وفى ب ، س ، حـ : « مان » .

(٢) فى الأصول : « قفا » وهو تحريف .

إن القرابة والسعادة ألَّفا * بين الوليد وبين بنت سعيد
يا قلب كم كلِف الفؤادُ بغادةٍ * ممكورةٍ ريَّا العظام خَريد

غنّاه عمر الوادى رملا بالبنصر عن عمرو .

ومنها :

صوت

قد تمنَّى معشرٌ إذ أُطربوا * من عُقَار وسَوامٍ[1] وذَهَبْ
ثم قالوا لى تَمَنَّ واستمِعْ * كيف نحو فى الأمانى والطلبْ
فتمنَّيتُ سليمى إنها * بنت عمّى من لَهَاميم[2] العربْ

فيه للهذلىّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وذكر الهشامىّ أن هذا
الخفيف الثقيل لخالد صامّة[3] . وذكر ابن المكىّ أن فيه لمالك ثانى ثقيل بالوسطى .

ومنها :

صوت

هل إلى أمّ سعيدٍ * من رسول أو سبيلِ
ناصحٍ يُخبر أنّى * حافظٌ وُدَّ خليلِ
يبذُل الودَّ لغيرى * وأُكافِى بالجميلِ
لستُ أرضى لخليلى * من وصالى بالقليل

غنّاه عمر الوادى هزجًا خفيفا بالسبّابة فى مجرى الوسطى .

(١) السوام : كل ما رعى من المال فى الفلوات . (٢) اللهاميم : جمع لهموم، وهو الجواد من الناس والخيل . (٣) كذا فى الأغانى (ج ٨ ص ١٦١ و ١٦٢ و ج ٢١ ص ١٧٠ و ١٧١ طبع بولاق، والكامل للبرد ج ١ ص ٢٨٦ طبع أوربا) . وفى ب، س فى هذا الموضع : « خاصة » بالخاء والصاد . وفى سائر الأصول : « خامة » بالخاء والميم، وهما تحريف .

ومنها :

صــــوت

طاف من سلمى خيالٌ * بعــد ما نِمتُ فهاجا

قلت عُجْ نحوى أُسائِلْ * ـك عن الحبّ فعاجا

يا خليــلى يا نديمى * قم فأُنفُثْ(١) لى سراجا

بفــلاةٍ ليس تُرعَى * أنبتَتْ شِيحًا وحاجا(٢)

غنّاه عمر الوادى ثانىَ ثقيـل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج فيـه خفيفُ رمل بالوسطى عن حَبَش . ولأبى سلمى المدنىّ ثقيل أوّل عن ابن خُرْدَاذْبه .

ومنها :

١٠

صــــوت

أُمَّ سَــلّامٍ أثيبى عاشقًا * يعـــلم اللهُ يقينــا ربَّه

أنكم من عَيْشه فى نفسه * يا سليمى فاعلَميه حَسْبُه

فارحميــه إنه يَهْذِى بكم * هائمٌ صبٌّ قد أَوْدَى قلبه

أنتِ لو كنت له راحةً * لم يُكدّر ياسليمى شِرْبُه

غنّاه حَكَمٌ رملا بالســبابة فى مجرى البنصر عن إسحـاق . وذكر عمــرو بن بانة ١٥ أن فيه لابن سريج رملا بالوسطى .

١٢٢/٦

ومنها :

صــــوت

ربّ بيتٍ كأنه متن سهــم * سوف نأتيه من قُرَى بيروتِ

من بلاد ليست لنـا ببلاد * كلمـا جئت نحوها حُيِّيتِ

٢٠

(١) النفث : النفخ . ولعله قطعت همزة الوصل فيه للضرورة ، إذ لم يرد فى معاجم اللغة فى مادّة نفث إلا الثلاثى (٢) الحاج : نبت من الحمض .

أمَّ سلّامَ لا بَرِحْتِ بخير * ثم لا زلتِ جنّتى ما حَيِيتِ

طربًا نحوَكم وتَوْقًا وشوقا * لاذِّكَارِيكُمُ[1] وطيبِ المبيتِ

حيثما كنتِ من بلاد وسرتم * فوقاكِ الإلٰه ما قد خَشِيتِ

فى البيت الأوّل والثانى لابن عائشة ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى البنصر عن

٥ الهشامىّ، وذكر غيره[2] أنه لإبراهيم . وفى الثالث ومابعده والثانى لابن عائشة أيضا

رمل بالوسطى، ولابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر . وقيل: إن الرّمل لعمر الوادى،

وهو أن يكون له أشبه .

ومنها :

صوت

١٠ طرَقَتْنى وصحابى هُجُوعٌ * ظبيةٌ أدْماءُ مثلُ الهلالِ

مثلُ قرن الشمس لما تبدّت[3] * وآستقلّت فى رءوس الجبال

تقطع الأهوالَ نحوى وكانت * عندنا سلمى أَلُوفَ الحجال

كم أجازت نحوَنا من بلاد * وَحْشَةٍ قتّالةٍ للرجال

لابن محرز فيه ثقيل أوّل مطلَق فى مجرى الوسطى عن إسحاق فى الثانى

١٥ والثالث . ولابن سريج فى الأوّل ومابعده خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيه

لحن لابن عائشة ذكر الهشامىّ أنه رمل بالوسطى . وفيه خفيف رملٍ يُنسب الى

ابن سريج وعمر الوادى .

---

(١) فى ب ، س ، حـ : « لاذكاريكم » بالباء الموحدة .

(٢) كذا فى ب ، س ، حـ وفى سائر النسخ : « بجير » ولم نعثر على هذا الاسم فى رواة

٢٠ الألحان . (٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « فوق روس » .

ومنهـا :

صـــوت

أنا الوليـدُ الإمامُ مفتخِرًا * أُنْعِم بالى وأتْبَع الغَــزَلا
أهوَى سُلَيمى وهى تصرِمنى * وليس حَقًّا جَفاء من وصلا
أسحَب بُرْدى إلى منازلهـا * ولا أبالى مقـالَ من عذَلا

غنّى فيه أبو كامل رملا بالبنصر . وغنّى عمر الوادى فيه خفيفَ رملٍ بالوسطى، ويقال إن هذا اللحن للوليد .

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال :

قال الوليد على لسان سلمى :

صـــوت

اِقْرَ منّى على الوليـد السـلاما * عـددَ النجم قلّ ذا للوليــدِ
حسدًا ما حسَدتُ أختى عليه * ربَّـا بيننا وبين سـعيد

غنّاه الهذلىّ خفيفَ ثقيل أوّلَ بالوسطى عن ابن المكىّ .

* * *

غضب على جاريته صدوف ثم صالحها لشعر رجل من قريش

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا خالد بن النَّضْر القُرَشىّ بالبصرة قال حدّثنا أبو حاتم السِّجِسْتانىّ قال حدّثنا العُتْبىّ قال :

كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لهـا صَدُوف ، فغاضَبها ، ثم لم يُطِعه قلبه فجعل يتسبّب لصلحها ، فدخل عليه رجل قرشىّ من أهل المدينة فكلّمه فى حاجة وقد عرف خبرَه، فبرِم به، فأنشده :

أعَتَبْتَ أن عتبتْ عليك صَدُوفُ * وعتـابُ مثلك مثلَهـا تشريف

لا تقعُدَنّ تلوم نفسك دائمًا * فيها وأنت بحبّها مشغوف
إنّ القطيعة لا يقوم لمثلها * إلا القويّ، ومن يحبّ ضعيف
الحبّ أملكُ بالفتى من نفسه * والذلّ فيه مسلك مألوف

قال : فضحك وجعل ذلك سببًا لصلحها ، وأمر بقضاء حوائج القرشيّ كلّها .

استقدم حمادا الراوية ليسأله عن شعر وأجازه

٥ أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال قال حمّاد الرّاوية :

استدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفين لنفقتي وألفين لعيالي، فقدمتُ عليه. فلما دخلتُ داره قال لي الخدم : أميرُ المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فسلّمت بالخلافة ؛ فقال لي : يا حمّاد؛ قلت : لبّيْك يا أمير المؤمنين؛ قال : "ثم ثاروا" ؛
١٠ فلم أدر ما يَعْني فقال : وَيْحك يا حمّاد ! "ثم ثاروا" ؛ فقلتُ في نفسي : راوية أهل العراق لا يدرى عمّا يُسأل ! ثم انتبهتُ فقلت :

ثم ثاروا إلى الصَّبُوح فقامت * قَيْنةٌ في يمينها إبريقُ
قدّمتْه على عُقار كعين الـ * ـدّيك صفّى سُلافَها الرّاوُوق
ثم فُضّ الختامُ عن حاجب الدّنّ[1] وقامت لَدَى اليهوديّ سُوق
١٥ فسباها منه أشمُّ عزيز * أريحيٌّ غذاه عيش رقيق

— الشعر لعديّ بن زيد . والغناء لحُنَين خفيف ثقيل أوّل بالبنصر . وفيه لمالك خفيف رمل . ولعبد الله بن العباس الرّبيعيّ رمل، كل ذلك عن الهشاميّ — قال: فإذا جارية قد أخرجتْ كفًّا لطيفة من تحت الستر في يدها قدح، والله ما أدرى

(١) في ب ، س ، م : «صاحب» وهو تحريف .

أيُّهما أحسن الكَنْف أم القدح، فقال : رُدِّيه فما أنصفناه! تغدّينا ولم نُغَدِّه! فأُتِيتُ بالغداء، وحضر أبو كامل مولاه فغنّاه :

صـــوت

أَدِرِ الكأسَ بيننـا * لا تُــدِرْها لِيَسارِ
اسْقِ هـذا ثم هـذا * صاحبَ العُود النُّضارِ
من كُمَيْت عتّقوها * منـذُ دهرٍ فى جِرارِ
خَتَمـوها بالأفاوِيـ * ـه (١) وكافورٍ وقارِ
فلقـد أيقنت أنّى * غيرُ مبعـوث لنـارِ
سأروض الناسَ حتى * يركبوا أَيْرَ الحمـار (٢)
وذَرُوا من يطلب الجـ * ـنة يَسـعى لِتَبارِ (٣)

١٠

— فيه هزجان بالوسطى والبنصر لعمر الوادى وأبى كامل — فطرِب وبرَز إلينا وعليـه غِلالة موَرَّدة، وشرب حتى سكر . فأقمت عنده مدّة ثم أذِن بالانصراف، وكتب لى إلى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم .

حكايات تروى عن تهتكه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ قال :

١٥

لمـا ولِى الوليدُ بن يزيد لَهِج بالغناء والشّراب والصيد، وحَمَل المغنّين من المدينة وغيرها إليه وأرسل إلى أشعب بجاء به (٤)، فألبَسه سراويلَ من جلد قرد له ذَنَب، وقال له : ارقُص وغنّنى شعراً يُعجبنى ؛ فإن فعلتَ فلك ألفُ درهم ؛ فغنّاه فأعجبه فأعطاه ألف درهم .

١٢٤/٦

(١) الأفاويه : ما يعالج به الطيب وهى أيضا ما أعدّ للطيب من الرياحين . (٢) فى أ ، ء : « دين الحمار » . (٣) التبار : الهلاك . (٤) كذا فى جميع النسخ . ولعله : «بجىء به» .

٢٠

ودخل إليه يوما، فلما رآه الوليد كشف عن أيره وهو مُنعِظٌ — قال أشعب : فرأيتُـه كأنه مِزْمار آبِنُوس مدهون — فقـال لى : أرأيتَ مثـلَه قطّ ؟ قلت : لا ياسيّدى ؛ قال : فآسجُدْ له ، فسجدت ثلاثا ؛ فقال : ما هذا ؟ قلت : واحدةً لأ يْرك وثنْتين لخُصْيتيك . قال : فضحك وأمر لى بجائزة .

٥ قال : وتكلم بعضُ جلسائه والمغنّية تغـنّى ، فكرِه ذلك وأضجَره ؛ فقال لبعض جلسائه : قُمْ فَنِكْهُ ، فقام فنا كه والناس حضورٌ وهو يضحك .

وذكرت جاريةٌ أنه واقعهـا يوما وهو سكرانُ ؛ فلمـا تنحّى عنها آذنه المؤذِّنُ بالصلاة ، فحلف ألّا يصلّىَ بالناس غيرُها ؛ فخرجت متلثّمةً فصلّت بالناس .

قال : ونزل على غدير ماء فآستحسنه . فلما سكِر حلف ألّا يبرح حتى يشربَ ١٠ ذلك الغدير كلَّه ونام ، فأمر العـلاءُ بن البُنْدار بالقِـرَب والرَّوَايا فأُحضرت ، فجعل ينزَحه ويصبّه على الأرض والكُثُب التى حولهم حتى لم يبق فيه شىء ؛ فلمـا أصبح الوليد رآه قد نشِف فطرِب وقال : أنا أبو العباس ! ارتحِلوا . فآرتحل الناس .

نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال النَّضْر بن حديد حدّثنى آبن أبى جَنَاح قال أخبرنى عمر بن جَبَلَة :

١٥ أنّ الوليد بن يزيد بات عند آمرأة وعدتْه المبيتَ ؛ فقال حين آنصرف :

قامت إلىّ بتقبيـل تعـانِقنى * رَيّا العظامِ كأن المسك فى فِيها
أُدْخُل فديتُك لا يشعُرْ بنا أحد * نفسى لنفسك من داء تُفـدِّيها
بتنا كـذلك لانومٌ على سُرُرٍ * من شدّة الوجد تُدنينى وأدنيها

حتى إذا مابدا الخَيْطان[1] قلت لها * حان الفِراقُ فكاد الحزن يُشجيها

ثم آنصرفتُ ولم يشعر بنا أحدٌ * واللهُ عَنِّى بحسن الفعل يَجْزِيها

مر بنسوة من بنى كلب استسقاهن وقال فيهن شعرا

وحدّثنى النَّضْر بن حَديد قال حدّثنا هشام بن الكلبىّ عن خالد بن سعيد قال:

مرّ الوليد بن يزيد وهو يتصيّد بنسوة من بنى كلب من بنى المِنْجاب، فوقف عليهن وآستسقاهنّ وحدّثهن وأمر لهنّ بصلة، ثم مضى وهو يقول :

ولقد مررتُ بنسوة أعشِقْنَنِى * حُورِ المدامعِ من بنى المِنْجاب

فيهــنّ خَرْعبــةٌ[2] مليح دلُّهــا * غَرْثَى الوِشاح دقيقة الأنيابِ

زَيْنُ الحواضر ماثَوَتْ فى حَضْرها * وتزين باديَهــا من الأعراب

أطلق غزالا صاده لشبهه بسلمى

قال النَّضْر وحدّثنى ابن الكلبىّ عن أبيه :

أن الوليــد خرج يتصيّد ذات يوم ، فصادت كلابه غزالا ، فأُتِى به فقال : خَلُّوه[3]، فما رأيت أشبهَ منه جِيدا وعينين بسَلْمَى . ثم أنشأ يقول :

ولقــد صِدْنا غزالًا سانحا * قــد أردنا ذبحَه لمــا سَنَحْ

فإذا شِبهُــك ما نُنْكِــره * حين أزجى[4] طَرْفَــه ثم لَمَح

فتركنــاه ولــولا حبُّكم * فآعلمى ذاك لقد كان آنذبح

أنتَ ياظبىُ طليقٌ آمِــن * فآغْدُ فى الغِزْلانِ مسرورًا وَرُحْ

بعث الى شراعة بن الزندبوذ وماجنه

نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال أخبرنى عمرو عن أبيــه عن عمرو بن واقــد الدمشقىّ قال :

---

(١) الخيطان : يعنى بهما الخيط الأبيض والخيط الأسود من الفجر . قال الله تعالى : (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) . وقد فسرهما صلى الله عليه وسلم فقال : "إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار" . (٢) الخرعبة : اللينة الرخصة الحسنة الخلق . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «حلوه» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . (٤) لعلها «أرخى» بالخاء المعجمة ، فصحفها الناسخ .

١٢٥ / ٦

بعث الوليد بن يزيد الى شُرَاعة بن الزَّنْدَبُوذ[1]، فلما قدم عليه قال : ياشُرَاعة، إنى لم أستحضرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيَك فى الفقه ولا لتحدّثنى ولا لتقرئنى القرآن؛ قال: لو سألتنى عن هذا لوجدتنى فيه حمارا . قال : فكيف علمُك بالفتوّة ؟ قال : آبنُ بَجْدَتها، وعلى الخبير بها سقطت، فَسَلْ عما شئت . قال : فكيف علمك بالأشربة ؟ قال : ليسألنى أمير المؤمنين عما أَحبّ . قال : ما قولُك فى الماء ؟ قال : هو الحياة، ويَشْرَكُنى فيه الحمار . قال: فاللّبن؟ قال : ما رأيته قطّ إلا ذكرت أمّى فآستحييتُ . قال : فالخمر؟ قال : تلك السارّة البارّة[2] وشراب أهل الجنة. قال: لله درّك ! فأىّ شىء أحسن ما يُشرب عليه ؟ قال : عجبتُ لمن قدَر أن يشرب على وجه السماء فى كِنّ من الحرّ والقُرّ كيف يختار عليها شيئا ! .

الوليد وحادثة المصحف

قال وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سُلَيم قال :

دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف، فلما فتحه وافق ورقةً فيها : ﴿وَآسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾؛ فقال : أسَجْعًا سَجْعا! علّقوه؛ ثم أخذ القوس والنّبل فرماه حتى مزّقه؛ ثم قال :

أتُوعِد كلَّ جَبّار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيدُ
إذا لاقيتَ ربَّك يوم حشر * فقل لله[3] مزّقنى الوليد

قال : فما لبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى قتل .

(١) كان من المجان الندماء، من أصحاب والبة بن الحباب ومطيع بن زياد وحماد عجرد. (أنظر ما كتب عنه فى الأغانى ج ١٠ ص ١٣٥، ج ١٢ ص ٩٦ و ١٠٦، ج ١٣ ص ٧٩ و ١٣٤ طبع بولاق) .

(٢) فى ب، س، حـ : «الباردة» . (٣) فى ء : «فقل يارب مزّقنى» وفى م : «فقل يارب خرقنى» . وفى أ، حـ : «فقل لله خرقنى» .

غضب على جارية أمرها بالغناء فى شعر لم تعرفه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى إسحاق بن ابراهيم قال حدّثنى معاوية بن بكر عن يعقوب بن عيّاش المَرْوزىّ (من أهل ذى المَرْوة)[1] أن أباه حمل عدّة جَوار الى الوليد بن يزيد؛ فدخل اليه وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسن الوجه والشَّعَرة وفيًّا؛ فأمر الوليد جاريةً منهنّ أن تغنّى :

لو كنتَ من هاشم أو من بنى أسد * أو عبدشمس أوَ اصحاب اللّوا الصِّيدِ

وأمرها أخوه أن تغنّى :

أتعجَبُ أن طرِبتُ لصوت حادِ * حدا بُزْلًا يَسِرْنَ ببطن وادِ

فغنّت ما أمرها به الغمر[2]؛ فغضب الوليد وٱحمرّ وجهه، وظن أنها فعلت ذلك ميلا الى أخيه . وعرفت الشرّ فى وجهه، فٱندفعتْ فغنّت :

صــــوت

أيها العاتبُ الذى خاف هجرى * وبِعادى وما عَمَدْتُ[3] لذا كا

أَتُرَى أنّنى بغـــيرك صبٌّ * جعـل الله من تظنّ فدا كا

أنت كنت الملولَ فى غير شىء * بئس ما قلت ليس ذاك كذا كا

ولوَ انّ الذى عتبتَ عليــه * خُيِّرَ الناسَ واحدًا ما عدا كا

فٱرْضَ عنّى جُعلتُ نعليك إنّى * والعظيمِ الجليلِ أهوى رضا كا

---

(١) ذو المروة : قرية بوادى القرى . (٢) فى هذا الخبر الذى ساقه أبو الفرج تباين؛ فقد ذكر أن عبد الجبار هو الذى أمر الجارية بالغناء ثم قال بعد ذلك : «فغنت ما أمرها به الغمر» والغمر من أولاد يزيد بن عبد الملك وأخو الوليد . ولم نقف على أسماء أولاد يزيد كلهم . غير أن ابن قتيبة فى المعارف وصاحب عقد الجمان وغيرهما ذكروا أن ليزيد ثمانية ذكور ولم يسموهم . فالغالب أن فى الخبر تحريفا فى أحد الاسمين لم نتبين صوابه لخلو المصادر التاريخية والأدبية التى بين أيدينا من هذا الخبر .

(٣) فى ب ، س : «عهدت» ، وهو تحريف .

— الشعر لعمر[1]. والغناء لمعبد من روايتى يونس وإسحاق، ولحنه من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر. وذكر حماد فى أخبار ٱبن عائشة أن له فيه لحناً. — قال: فسُرِّى عن الوليد وقال لها: ما منعك أن تغنّى ما دعوتك اليه؟ قالت: لم أكن أُحسنه، وكنتُ أحسن الصوت الذى سألتنيه، أخذتُه من ٱبن عائشة؛ فلما تبيّنتُ غضبَك غنّيت هذا الصوت وكنت أخذته من معبد. تعنى الذى ٱعتذرت به إليه.

١٢٦ / ٦

٥

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صـــوت

لو كنتَ[2] من هاشم أو من بنى أسد * أو عبد شمس أو ٱصحاب اللّوا الصِّيد[3]

أو من بنى نَوْفل أو آل مُطَّلِبٍ * أو من بنى جُمَحَ الخُضْرِ الجَلَاعِيدِ[4]

١٠

أو من بنى زُهْرَةَ[5] الأبطالِ قد عُرِفوا * لله دَرُّكَ لم تَهْـمُمْ بتهـديد

الشعر لحسّان بن ثابت، يقوله لمُسافِع بن عِياض أحدِ بنى تَيْم بن مُرّة، وخبرُه يذكر بعد هذا. والغناء لابن سريج خفيف رمل بالخنصر[6]، وقيل: إنه لمـالك.

(١) وردت هذه الأبيات فى ديوانه (ص ١٦٢ طبع أوربا) باختلاف عما هنا. (٢) وردت هـذه القصيدة فى ديوانه والكامل للبرد (ج ١ ص ١٤١) باختلاف عما هنا. (٣) هاشم: يريد به هاشم بن عبـد مناف بن قصىّ. وبنو أسد هم بنو أسد بن عبـد العزى بن قصىّ. وعبد شمس هو ٱبن عبد مناف بن قصىّ. وأصحاب اللواء: بنو عبد الدار بن قصىّ. والصيد: جمع أصيد وهو الملك أو من هو رافع رأسه كبرا. (٤) بنو نوفل هم بنو نوفل بن عبد مناف بن قصىّ. وآل مطلب، هم أبناء المطلب بن عبد مناف بن قصىّ. وبنو جمح هم بنـو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى. والخضر فيه قولان: أحدهما أنه يريد سواد جلودهم كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب:

١٥

٢٠

وأنا الأخضر من يعـرفنى * أخضر الجلدة فى بيت العرب

والقول الثانى أنه شبههم فى جودهم بالبحور. والجلاعيد: الشداد الصلاب، واحدهم جلعد، وزاد الياء لحاجة.
(٥) بنو زهرة: أبنـاء زهرة بن كلاب بن مرة. (انظر الكامل ص ١٤٢ طبع أوربا فى شرح هـذه الأبيات). (٦) فى أ، ء، م: «بالبنصر».

ومنها :

صـــوت

أتعجَب أن طرِبتُ لصوت حادٍ * حدا بُزْلاً يَسِرْنَ ببطن وادِ
فـلا تعجَبْ فإن الحبّ أمسَى * لَبثْنة فى السّواد من الفـؤاد

الشعر لجميل . والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر .

غنته جارية بشعر المخـزومى فطرب وأمر بشرائها

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى إسحاق ابن إبراهيم قال :

عُرِضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ مغنّية؛ فقال لها : غنِّى ؛ فغنّتْ :

صـــوت

لولا الذى حُمِّلتُ من حُبّكم * لكان من إظهاره مَخْـرجُ
أو مذهبٌ فى الأرض ذو فسحةٍ * أجَلْ ومن حَجّتْ له مَذْحِجُ
لكن سبانى منهمُ شادنٌ * مـربّبٌ بينهـمُ أدْعَجَ
أغرُّ ممكورٌ هَضِيمُ الحَشَى * قـد ضاق عنه الحِجْل والدُّمْلُج

فقال لها الوليد : لمن هذا الشعر؟ قالت : للوليد بن يزيد المخزومىّ . قال : فممّن أخذتِ الغناء؟ قالت : من حُنَيْن . فقال : أعيديه، فأعادته فأجادت ؛ فطرِب الوليد ونعر(١) وقال : أحسنتِ وأبى وجمعتِ كلّ ما يُحتاج إليه فى غنائك ، وأمر بآبتياعها، وحَظِيتْ عنده .

غنّى فى هـذا الصوت آبن سريج ولحنُـه رمل بالبنصر . وغنّى فيه إسحاق فيما ذكر الهشامىّ خفيفَ ثقيل .

(١) نعر : صوّت بخيشومه وهو كناية عن الطرب والاستحسان .

ومما يغنّى به من هذه القصيدة :

صـــوت

قد صرّح القوم وما لجلجوا * لجّوا علينا ليت لم يلججوا

باتوا وفيهم كالمها طفلةٌ * قد زانها الخلخال والدملج

٥ غنّاه صباح الخيّاط[1] خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر . وغنّى فيه ابن أبى الكنّات خفيفَ ثقيل بالوسطى .

حسان بن ثابت وهجوه مسافع بن عياض

فأما خبر الشعر الذى قاله حسّان بن ثابت لمُسافع بن عِياض أحدِ بنى تَيْم بن مُرّة ، فأخبرنى به الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا عثمان ابن عبد الرحمن :

١٠ أنّ عبيد الله بن مَعْمَر[2] وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز[3] اشتريا من عمر بن الخطاب رضى الله عنه رقيقًا ممّن سُبِى ، ففضل عليهما ثمانون ألف درهم ؛ فأمر بهما عمر أن يُلْزَما[4] . فمرّ بهما طلحة بن عُبيد الله[5] وهو يريد الصلاة فى مسجد رسول الله صلى

١٢٧ / ٦

(١) فى حـ «صياح» بالياء المثناة من تحت . (٢) هو عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو القرشىّ التيمىّ ، اختلف فى صحبته ، قيل : إنه صحب النبىّ صلى الله عليه وسلم وكان من أحدث أصحابه سنا ، وقيل :

١٥ إنه لا يطلق على مثله أنه صحب النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو غلام . واستشهد باصطخر مع ابن عامر وهو ابن أربعين سنة وكان على مقدمة الجيش . (راجع أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٣ ص ٣٤٥ طبع بولاق) .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة القرشى العبشمى ابن خال عثمان بن عفان . ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان كريما ميمون النقيبة . واستعمله عثمان على البصرة سنة تسع وعشرين وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فافتتح خراسان كلها وأطراف فارس وسجستان وكرمان . وكان أحد الأجواد الممدحين توفى سنة

٢٠ سبع وخمسين أو ثمان وخمسين . (راجع أسد الغابة ج ٣ ص ١٩١ طبع بولاق) . (٤) لزم الغريم ولازمه : تعلق به . (٥) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشىّ التيمىّ ، يعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض . وهو من السابقين الأولين الى الاسلام ، شهد أحدا وما بعدها وبايع بيعة الرضوان وأبلى يوم أحد بلاء عظيما ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه . قتل يوم الجمل لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، وكان عمره ستين أو اثنتين وستين أو أربعا وستين سنة . (راجع أسد الغابة ج ٣ ص ٥٩) .

الله عليه وسلم فقال : ما لآبن مَعْمَرٍ يُلازَم ؟ فأُخْبِر خبرَه؛ فأمر له بالأربعين ألفا[1] التى عليه تُقضى عنه. فقال آبن معمر لآبن عامر: إنها إن قُضيتْ عنّى بقيتَ مُلازَمًا، وإن قضيتْ عنك لم يتركنى طلحة حتى يقضىَ عنّى؛ فدفع إليه الأربعين ألفا[1] درهم فقضاها آبن عامر عن نفسه وخُلِّيت سبيلُه. فمرّ طلحة منصرفًا من الصلاة فوجد آبنَ معمر يلازَم فقال: ما لآبن معمر؟ ألم آمُرْ بالقضاء عنه! فأُخْبِر بما صنع؛ فقال : أمّا آبن معمر فعلم أنّ له آبن عم لا يُسْلِمه، احملوا عنه أربعين ألف درهم فآقضوها عنه، ففعلوا وخُلِّى سبيلُه. فقال حَسَّان بن ثابت لمُسافِع بن عِيَاض بن صخر ابن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة :

يا آلَ تَيْمٍ ألَا تَنْهَوْن جاهلَكم * قبلَ القِذاف بصُمٍّ كالجلاميدِ
فَنَهْنِهُوه[2] فإنّى غيرُ تارككم * إن عاد ما آهتزّ ماءٌ فى ثَرَى عودِ
لو كنتَ من هاشم أو من بنى أسد * أو عبد شمس أو آصحاب اللِّوا الصِّيد
أو من بنى نوفل أو آل مُطَّلِبٍ * أو من بنى جُمَحَ الخُضْر الجَلاعيد
أو من بنى زُهْرةَ الأبطال قد عُرِفوا * لله دَرُّك لم تَهْمُمْ بتهديد
أو فى الذُّؤابة من تَيْمٍ إذا آنتَسبوا * أو من بنى الحارث البيض الأماجيد
لكن سأصرفها عنكم وأعدِلُها * لطلحةَ بن عبيد الله ذى الجود

رجع الخبر الى سِياقة أخبار الوليد :

الوليد بن يزيد وأبو الأقرع الشاعر

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا آبن مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال قال الهَيْثم حدّثنى آبن عَيّاش قال :

---

(١) فى الأصول : « الألف » بالألف واللام . (٢) نهنهوه : ازجروه وكفوه .

دخل أبو الأقرع[1] على الوليد بن يزيد ؛ فقال له : أنشِدْنى قولَك فى الخمر ؛ فأنشده قولَه :

كُمَيْتٌ إذا شُجّتْ وفى الكأس وَرْدَةٌ * لها فى عظام الشارِبين دبيبُ
تُرِيك القَذَى من دونها وهى دونَه * لوجه أخيها فى الإناء قُطُوبُ

٥ فقال الوليد : شربتَها يا أبا الأقرع وربِّ الكعبة ! فقال : ياأمير المؤمنين، لئن كان نَعْتِى لها رابَك لقد رابنى معرفتُك بها .

رأى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب فشبب بها

أخبرنى الحسن قال حدّثنى آبن مَهْرويه قال حدّثنى عبد الله بن عمرو قال قال المدائنىّ :

نظر الوليد بن يزيد الى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن
١٠ ابن عَوْف وقد مرّوا بين يديها بالشمع ليلا ؛ فلما رآها أعجبتْه وراعه جمالُها وحسنها ؛ فسأل عنها فقيل له : إن لها زوجا ؛ فأنشأ يقول :

صـــوت

إنما هاج لقلبى * شَجْوَه بعد المَشيبِ
نظرةٌ قد وقَرَتْ فى ال * قلب من أمّ حبيب
١٥ فإذا ما ذقتُ فاها * ذقت عذبًا ذا غُروب[2]
خالط الراح بمسك * خالِص غير مشوب

---

(١) كذا فيا سيأتى من الأغانى فى الكلام على ترجمته (ج ١٢ ص ٢٥ طبع بولاق) . وهو عبد الله ابن الحجاج بن محصن بن جندب ، شاعر فاتك شجاع من معدودى فرسان مضر . خرج على عبد الملك بن مروان مع عمرو بن سعيد الأشدق ثم استأمن عبد الملك فأمنه . وفى جميع النسخ هنا : « ابن الأقرع » .

(٢) الغروب : جمع غرب وهو كثرة ريق الفم و بلله . وغروب الأسنان : مناقع ريقها ، وقيل : أطرافها وحدّتها وماؤها . قال عنترة :

إذ تستبيك بذى غروب واضح * عذب مقبله لذيذ المطعم

١٢٨ / ٦

غنّاه ابن محرز خفيفَ رملٍ بالوسطى عن الهشامىّ ؛ وذكر عمرو بن بانة أنه للأبجر، وهو الصحيح .

الوليد بن يزيد فى آخر دولته

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ عن النَّضر بن عمرو عن العُتْبىّ قال :

لمّا ظهرت المُسوِّدةُ[1] بخُرَاسان[2] كتب نصر بن سيّار الى الوليد يستمدّه، فتشاغل عنه؛ فكتب اليه كتابا وكتب فى أسفله يقول :

أرى خَلَلَ الرَّماد وَميضَ جمرٍ * وأَحْرِ بأن يكون له ضِرامُ

فإن النار بالعودين تُذْكَى * وإنّ الحرب مبدؤها الكلام

فقلتُ من التعجّب ليت شعرى * أأيقاظٌ أُميّةُ أم نِيامُ

فكتب إليه الوليد : قد أقطعتُك خراسانَ، فاعمل لنفسك أودَعْ، فإنى مشغول عنك

١٠

بابن سريج ومعبد والغريض .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابنُ مهرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد عن ابن الصبّاح عن ابن الكلبىّ عن حمّاد الراوية قال :

دخلت يوما على الوليد وكان آخرَ يوم لقيتُه فيه، فاستنشدنى فأنشدتُه كلَّ ضرب من شعر أهل الجاهليّة والإسلام؛ فما هَشّ لشىء منه حتى أخذتُ فى السُّخف

١٥

فأنشدته لعمار[3] ذى كناز[4] مجنبذا :

---

(١) المسوّدة : المراد بهم دعاة بنى العباس . وكان السواد شعارا للعباسيين وشيعتهم .
(٢) الذى فى مروج الذهب (ج ٢ ص ١٥٩ طبع بولاق) وابن الأثير (ج ٥ ص ٢٧٨ طبع أوربا) وسائر كتب التاريخ أن نصر بن سيار إنما بعث بهذا الشعر الى مروان بن محمد الجعدى آخر ملوك بنى أمية .
(٣) كذا فى حـ ، ب مصححة بقلم المرحوم الشنقيطى وهو الموافق لما سيأتى فى الأغانى (ج ٢٠ ص ١٧٤

٢٠

طبع بولاق) فى ترجمته وهو عمار بن عمرو بن عبد الأكبر يلقب ذا كناز. كان شاعرا ماجنا خميرا معاقرا للشراب وقد حدّ فيه مرارا، وكان يقول شعرا طريفا يضحك من أكثره جم السخف . وهو صديق حماد الراوية . وقد نشأ فى دولة بنى أمية . وفى سائر النسخ : «عمار بن ذى كناز» . والظاهر أن لفظة «ابن» مقحمة من الناسخ . (٤) وردت هذه الكلمة هكذا فى الأصول ولا معنى لها .

أشتهى منك منك منـ * ـك مكانا مُجنبذا (١)

فأجا فيه فيه فيـ * ـه بأير كمثل ذا (٢)

ليت أيرى وحرك يو * ما جميعا تجابذا (٣)

فأخذ ذا بشعر ذا * وأخذ ذا بقعر ذا

٥ فضحك حتى آستلق وطرب ، ودعا بالشراب فشرب؛ وجعل يستعيدنى الأبياتَ فأُعيدها حتى سكر وأمر لى بجائزة؛ فعلمتُ أن أمره قد أدبر . ثم أُدخلتُ على أبى مُسْلِم فآستنشدنى فأنشدتُه، قولَ الأفوه (٤) :

* لنا معاشرُ لم يبنوا لقومهمُ *

فلما بلغت الى قوله :

١٠ تُهدَى الأمورُ بأهل الرشد ماصَلَحَتْ * وإن تولّت فبالأشرار تَنقادُ

قال : أنا ذلك الذى تنقاد به الناس؛ فأيقنت حينئذ أنّ أمره مُقْبِل .

خطب يوما خطبة الجمعة بشعر

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال : وجدت فى كتاب (٥) عن عبيد الله بن سعيد الزُّهْرِىّ عن عمر عن أبيه قال :

خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب؛ فقيل له : إن اليوم الجمعة؛

١٥ فقال : والله لأخطبنّهم اليوم بشعر؛ فصعِد المنبرَ فخطب فقال :

الحمد لله ولىِّ الحمـ * ـدِ أحمَدُه فى يُسْرنا والجَهْدِ

وهو الذى فى الكرب أستعينُ * وهو الذى ليس له قرينُ

(١) فى ب ، س ، حـ : «يجنب ذا» ، وهو تحريف . والمجنبذ : المرتفع . (٢) أجا مسهل أجأ : والوجء : اللكز . (٣) فى حـ وفيما سيأتى فى ترجمته : «تآخذا» . (٤) هو

٢٠ الافوه الأودى واسمه صلاة بن عمرو من مذحج ويكنى أبا ربيعة . وقد وردت هذه القصيدة فى ديوانه (نسخة ضمن مجموعة مخطوطة بقلم الشيخ الشنقيطى محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٢ أدب ش) ومطلعها فيه وفى الأغانى (ج ١١ ص ٤٤ طبع بولاق) يختلف عما هنا . (٥) فى حـ : «كتاب عبيد الله بن سعيد» .

أشهد فى الدنيا وما سواها * أن لا إله غيره إلٰها
ما إن له فى خَلْقه شَريكُ * قد خضَعتْ لملكه الملوك
أشهد أن الدّين دينُ أحمدِ * فليس من خالَفه بمهتدى
وأنّه رسول ربّ العرشِ * القادرِ الفردِ الشديدِ البطشِ
أرسله فى خَلْقه نذيرا * وبالكتاب واعظًا بشيرا
ليُظهِرَ اللهُ بذاك الدّينا * وقد جُعِلْنا قبلُ مُشركينا
من يُطع اللهَ فقد أصابا * أو يَعْصِه أو الرسولَ خابا
ثم القُرانُ والهدى السبيلُ * قد بقِيا لمّا مضى الرسولُ
كأنّه لما بقى لديكُمْ * حىٌّ صحيحٌ لا يزال فيكم
إنّكمْ من بعدُ إن تَزِلُّوا * عن قصده أو نَهْجه تَضِلُّوا
لا تَتْركُنْ نصحى فإنى ناصحُ * إنّ الطريق فأعلمَنّ واضحُ
من يتّق الله يجِد غِبَّ التّقى * يومَ الحساب صائرًا إلى الهدى
إن التّقى أفضلُ شىءٍ فى العمل * أرَى جِماعَ البِرّ فيه قد دخلْ
خافوا الجحيمَ إخوتى لعلّكم * يومَ اللقاء تعرِفوا ما سرَّكمْ
قد قيل فى الأمثال لو علمتمُ * فأنتفِعوا بذاك إن عقَلتمُ
ما يزرعِ الزارعُ يومًا يحصدُهْ * وما يقدِّم من صلاح يَحْمَدُهْ
فأستغفِروا ربّكمُ وتوبوا * فالموتُ منكم فأعلموا قريبُ

ثم نزل .

الوليد بن يزيد والوليد البندار

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفلىّ عن أبيه عن الوليد البُنْدار[1] قال :

(١) البندار : الخازن .

١٢٩ / ٦

١٠

١٥

٢٠

حججتُ مع الوليد بن يزيد، فقلت له لمـا أراد أن يخطبَ الناسَ : أيها الأمير، إن اليوم يومٌ يشهَدُه الناسُ من جميع الآفاق، وأريد أن تشرّفنى بشىء . قال : وما هو ؟ قلتُ : إذا علوتَ المنبر دعوتَ بى فيتحدّث الناس بذلك وبأنك أسْرَرْتَ إلىّ شيئا، فقال : أفْعلُ . فلما جلس على المنبر قال : الوليد البُنْدار، فقمتُ اليه، فقال : ادْنُ منّى فدنوتُ، فأخذ بأُذُنى ثم قال : البُندار ولدُ زنا، والوليــدُ ولدُ زنا، وكلُّ من ترى حولنا ولدُ زِنا، أفهمتَ؟ قلتُ : نعم، قال : انزل الآن، فنزلتُ .

نادرة له مع أشعب

أخبرنى محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أســد قال حدّثنـا العُمَرىّ عن الهيثم بن عَدىّ عن أشْعَب قال :

دخلتُ على الوليد بن يزيد الخاسر وقد تناول نبيذًا، فقال لى : تَمَنَّ، فقلت : يَتَمَنَّى أميرُ المؤمنين ثم أتمنَّى، قال : فإنما أردتَ أن تَغلِبَنى، فإنى لأتمنّى ضعف ما تتمنّى به كائنًا ما كانَ، قلت : فإنى أتمنّى كِفْلَيْن(١) من العذاب، فضحك ثم قال : إذًا نوفِّرهما عليـك . ثم قال لى : ما أشياءُ تبلُغُنى عنـك ؟ قلتُ : يكذبون علىّ . قال : متى عهدُك بالأصمّ؟ قلتُ : لا عهدَ لى به . فأخرج أيره كأنه ناىٌّ مدهون ، فسجدتُ له ثلاث سجدات، فقال : وَيْلَك إنما يسجُد الناسُ سجدةً واحدةً، فقلت : واحدةٌ للأصمّ واثنتين لخُصْيتيك .

كان يغالى بالجوهر

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا محمد بن علىّ بن حمزة قال حدّثنى عبد الصمد بن موسى الهاشمىّ قال :

إنمـا أَغْلَى الجوهرَ بنو أميّة ، ولقد كان الوليد بن يزيد يلبَس منه العقودَ ويغيّرها فى اليوم مرارا كما تُغيَّر الثياب شغفًا، فكان يجمعه من كلّ وجه ويُغالِى به .

(١) الكفل : النصيب .

برز للناس راكبا فرسا وهو متهتك

قال : وكان يومًا فى داره على فرس له وجاريةٌ تضرب بطبـل قدّامَه ، فأخذه منها ووضعه على رقبته ، ونفَر الفرسُ من صوت الطبل فخرج به على أصحابه فى هذه الهيئة ، وكان خليعًا .

قدم المدينة وبعث لابن يسار بخمر

١٣٠ / ٦

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنىّ عن جُوَيرية بن أسماء قال : قدِم الوليد بن يزيد المدينةَ ، فقلت لاسماعيل بن يَسار : أَحْذِنا[1] ممّا أعطاك الله ؛ فقال : هَلُمّ أُقاسِمْك إن قبلتَ ، بعَث الىّ براويةٍ[2] من خمر .

مر باسكار حاجبه وكان لا يشرب

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى مُصعَب قال حدّثنى رجل قال :

كان الوليـد بن يزيد إذا أصـبح يومَ الاثنين تغدّى وشرِب رِطْلين ثم جلس للناس . قال : فحدّثنى عمر الوادى قال : دخلتُ عليـه وعنده أصحابُه وقد تغدّى وهو يشرب ؛ فقـال لى : اشرب فشربت ، وطـرب ، وغنّى صوتا واحدًا وأخذ دَفّافة فدفف بها ، فأخذ كلٌّ واحد منا دفافة فدفف بهـا[3] ، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب ؛ فلما رآنا الحاجب صاح بالناس : الحُرَم الحُرَم ؛ اخرُجوا . ودخل الحاجب فقال : جعلنى اللهُ فداءَك ، اليومَ يحضُر فيه الناس ؛ فقـال له : اجلس وآشرب ؛ فقال : إنما أنا حاجب فلا تحمِلْنى على الشّراب فما شربته قطّ ؛ قال : اجلس فآشرب ، فآمتنع ؛ فـا[4] فارقناه حتى صببنا فى حلقه بالقِمَع وقام وهو سكران .

قيل إنه اقترع بنتا له وكذب ذلك أبو الفرج

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى يعقوب بن شَريك قال حدّثنى عمّى على بن عمرو قَرْقارة قال حدّثنى أُنَيف بن هشام بن الكلبىّ ومات قبل أبيه قال حدّثنى أبى قال :

(١) أحذى الرجل : أعطاه مما أصابه . (٢) الراوية : المزادة (القربة) . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « يدفف » . (٤) فى ب ، سـ : « لما » وهو تحريف .

خرج الوليد بن يزيد من مقصورة له الى مقصورة؛ فإذا هو ببنت له معها حاضنتها، فوثب عليها فافترعها؛ فقالت له الحاضنة : إنها المجوسيّة؛ قال: آسكتى! ثم قال :

من راقب الناسَ مات غمًّا * وفاز باللـذّة الجَسـورُ

٥ وأحسب أنا أنّ هذا الخبر باطلٌ؛ لأنّ هذا الشعر لسَلْم الخاسر، ولم يُدرك زمن الوليد.

تمنى غلاء الخمر وعزة النساء لئلا يبتذلا

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال أخبرنى مَسْلَمة بن سَلْم الكاتب قال :

قال الوليد بن يزيد : وددتُ أنّ كل كأس تشرب من خمر بدينار، وأن كلّ حِرٍ فى جبهة أسد، فلا يَشرب إلا سخىّ، ولا ينكح إلا شجاعٌ .

شرب شرب الفرس سبعة أسابيع

١٠ أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى مصعب قال : سمعت رجلا يحدّث أبى بالكوفة قال :

أرسلت الى الوليد جَفْنَةٌ مملوءةٌ قواريرَ فِرْعَوْنيّة لم يُرَ مثلُها [(1)] قطّ . فلما أمسينا صببْنا فيها الشراب فى ليلة أربعَ عشرةَ ، حتى إذا آستوى القمر على رءوسنا وصار فى الجفنة قال الوليد : فى أىّ منزلةٍ القمرُ الليلةَ؟ فقال بعضهم : فى الحَمَل، وقال ١٥ بعضهم : فى منزلة كذا وكذا من منازل القمر؛ فقال بعض جلسائه : القمرُ فى الجفنة؛ قال : قاتلك الله! أصبتَ ما فى نفسى! لتَشْربَنّ المفتجنة [(2)] . فقال مصعب : فسأل أبى عن المفتجنّة فقال : شُرْب كانت الفرس تشربه سبعةَ أسابيع . فشرب تسعةً وأربعين يومًا .

(1) فى ب ، س : « لم أر » . (2) وردت هذه الكلمة محرّفة فى الأصول وصوابها ٢٠ ما أثبتناه وهى كلمة فارسية مركبة من كلمتين «هفت» ومعناها سبعة و«جنة» ومعناها مرح .

غناه المغنون فطرب واعترض على شعر لابن أذينة

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنى الزبير قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهرىّ عن عبد الله بن عِمْران بن أبى فَرْوة قال أخبرنى خالد صامة المغنّى وكان من أحسن الناس غناءً على عود، قال:

بعث الىّ الوليد بن يزيد، فقدمتُ عليه، فوجدتُ عنده معبدًا ومالكا والهُذَلىّ وعمر الوادى وأبا كامل؛ فغنّى القوم ونحن فى مجلس ياله من مجلس! وغلامٌ للوليد يقال له سَبْرة يَسقى القومَ الطِّلاءَ، إذ جاءت نَوْبةُ الغناء إلىّ، فأخذتُ عودى فغنّيت بأبيات قالها عُروة بن أُذينة يرثى أخاه بكرا:

١٣١
٦

صــــوت

سَرَى همّى وهمُّ المرء يَسرى * وغار النجمُ إلا قِيدَ فِتْرِ(1)

أُراقب فى المَجَرّة كلّ نجم * تعرّض فى المجرّة كيف يَجرى

بحُزْن ما أزال له مُديمًا * كأنّ القلب أُسعر حرَّ جمر

على بكر أخى ولّى حميدًا * وأىُّ العيش يحسُن بعد بكر

— غنّاه ابن سريج ثانىَ ثقيل بالوسطى. وغنّى فيه ابن عَبّاد الكاتب ولحنه رمل بالوسطى عن الهشامىّ — قال خالد: فقال لى الوليد: أعِدْ ياصَامُ فأعدتُ، فقال: من يقوله ويحك؟ قلتُ: ابن أذينة؛ قال: هذا والله العيش الذى نحن فيه على رغم أنفه، لقد تحجّر واسعا(2). قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عبد الله ابن أبى فَرْوة: وأنشدها ابنُ أذينةَ ابنَ أبى عتيق؛ فضحك ابن أبى عتيق وقال: كلّ العيش يحسُن حتى الخبز والزيت؛ فخلَف ابن أذينة لا يكلّمه أبدا؛ فمات ابن أبى عَتيق وابنُ أذينة مهاجِرٌ له.

(1) فى م، ء، حـ: «قيس شبر». والقاد والقيد والقاس والقيس، كل ذلك القدر.

(2) تحجر واسعا: ضيقه.

أنشدت سكينة بنت الحسين شعر ابن أذينة فاعترضت عليه

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : بلغنى أن سكينة بنت الحسين رضى الله عنها أُنْشِدَتْ ، وأخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزبير عن مصعب قال : أُنشدت سكينةُ، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن عبّاد عن أبيه عن أبى يحيى العِبادىّ :

٥ أنّ سكينة أنشدت أبياتَ عروة بن أذينة فى أخيه بكر؛ فلما انتهت إلى قوله :

على بكر أخى ولّى حميدا * وأىُّ العيش يحسُن بعد بكر

قالت سكينة : ومن أخوه بكر ! أليس الدَّحْدَاحَ[1] الأُسَيِّدَ القصير الذى كان يمرّ بنا صباحا ومساء ؟ قالوا : نعم؛ قالت : كلّ العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت .

سبق سليمان بن عبد الملك بين المغنين ببدرة فأخذها ابن سريج

١٠ أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبىّ عن إسحاق قال : قدِم سليمان بن عبد الملك المدينةَ، فجمع المغنّين وسَبَّق[2] بينهم ببَدْرة ، وقال : أيّكم كان أحسن غناءً فهى له ؛ فاجتمعوا . فبلغ الخبرُ ابنَ سريج، فجاء وقد أُغلِق الباب ؛ فقال للحاجب : استأذِن لى ؛ قال : لا يُمكن وقد أُغلق الباب، ولو كنتَ جئت قبل أن يُغلَق الباب لاستأذنتُ لك . قال: فدعنى أغنّ من شقّ الباب ؛ قال

١٥ نعم . فسكتَ حتى فرغ جميعُ المغنّين من غنائهم ثم اندفع فغنّى :

* سرى همّى وهمُّ المرء يسرى *

فنظر المغنّون بعضُهم إلى بعض وعرفوه ؛ فلما فرغ قال سليمان : أحسن والله ! هذا والله أحسنُ منكم غناءً ، أُخرج ياغلام إليه بالبَدْرة، فأخرجها اليه .

(١) الدحداح : القصير الغليظ البطن . والأسيد : تصغير الأسود . (٢) يقال : سبق البدرة بين

٢٠ الشعراء، من غلب أصحابه أخذها ، أى جعلها سبقا بينهم (انظر أساس البلاغة وشرح القاموس مادة سبق . وفى س : « سابق » .

الوليد بن يزيد وفرسه السندى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنىّ عن ابن جُعْدُبَة :
أنّ رجلا أهدى إلى هشام بن عبد الملك خيلا، فكان فيها فرس مَرْبوعٌ[1] قريبُ الرِّكاب؛ فعرف الوليد منه مالم يعرف هشام، فنهَر الرجلَ وشتَمه وقال: أتَجىء بمثل هذا إلى أمير المؤمنين! رُدّوه عليه، فردّوه . فلما خرج وجّه اليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه؛ فهو فرسه الذى يسمّيه السِّنْدىّ .

فأخبرنى بعض أصحابى أن الوليد خرج يوما يتصيّد وحده، فٱنتدَب اليه مولًى لهشام يريد الفتك به. فلما بَصُر به الوليد حاوَله فقهره بفرسه الذى كان تحته فقتله . وقال فى ذلك :

١٣٢ / ٦

ألم تَرَ أنّى بين ما أنا آمنٌ * يَخُبّ بى السِّنْدىُّ قفرًا فَيافِيَا
تطلّعتُ من غَورٍ فأبصرتُ فارسًا * فأوجستُ منه خِيفةً أن يرانيا
ولما بدا لى أنما هو فارس * وقفتُ له حتى أتى فرمانيا
رمانى ثلاثًا ثم إنّى طعنتُه * فروّيتُ منه صَعْدتى وسِنانيا

غنّاه أبو كامل لحنًا من الماخُورِىّ بالبنصر . ولإبراهيم فيه ثقيل أوّل، وقيل: إن له فيه ماخُورِيًّا آخر . وفيه لعمر الوادى ثانى ثقيل . ولمالك رَمَلٌ من رواية الهشامىّ .

قال: وقال الوليد أيضا فى فرسه السِّنْدىّ :

قد أغْتدِى بذى سَبِيبٍ[2] هَيكَلٍ[3] * مُشَرَّبٍ[4] مثلِ الغرابِ أرْجَلِ

---

(١) المربوع : الوسيط القامة . (٢) الهيكل من الخيل : الكثيف العبل اللين ، وهو أيضا الطويل علوا وعدوا . (٣) المشرب : الممزوج لونه بحمرة . (٤) الأرجل من الخيل : الذى فى إحدى رجليه بياض . والرجل مكروه فى الخيل إلا أن يكون به وضح غيره . (عن اللسان مادة رجل) .

أعددته لحَلَبات الأحول * وكلّ نقع ثائر بجحفل
* وكلّ خَطْب ذى شؤون مُعْضِل *

فقال هشام : لكنّا أعددنا له ما يسوءه ، نخلعه ونُقْصيه ، فيكون مهاناً مدحوراً مُطَّرَحاً .

ماتت سلمى بعد زفافها بسبعة أيام فرثاها

٥ نسخت من كتاب أحمد بن أبى طاهر حدّثنى أبو الحسن العَقِيلىّ[1] :

أنّ الوليد لمّا ولى الخلافة خطَب سَلْمَى التى كان يَنْسُب بها ، فزُوِّجها لمّا مضى صدرٌ من خلافته؛ فقامت عنده سبعةَ أيام فماتت؛ فقال يرثيها :

يا سلم كنت بجَنّة قد أَطْعَمَتْ[2] * أفنانُها دانٍ جَناها مُوضَّع[3]

أربابُها شَفَقًا[4] عليها نومُهم * تحليل موضعها ولمّا يَهْجَعوا

١٠ حتى إذا فسح الربيعُ ظنونَهم * ثَرَ الخريفُ ثمارَها فتصدّعوا

أمر وهو سكران بقتل نديمه القاسم ثم ندم ورثاه

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبى العالية ، وأخبرنى الحسن بن على عن أحمد بن سَعيد عن الزُّبَير بن بكّار عن عمّه :

أنّ الوليد بن يزيد لمّا انهمك على شربه ولذّاته ورفَض الآخرةَ وراء ظهره وأقبل على القَصْف والعسف مع المغنّين مثل مالك ومعبد وابن عائشة وذويهم ،

١٥ كان نديمُه القاسمَ بن الطويل العبادىّ ، وكان أديبًا ظريفًا شاعرا ، فكان لا يصبر عنه ؛ فغنّاه معبد ذات يوم شعر عدىّ :

صـــوت

بكَر العاذلون فى وَضَح الصبـ * ـح يقولون لى ألا تَستفيقُ

لست أدرى وقد جفانى خليلى * أعدوٌّ يلومنى أم صديق

٢٠ (١) فى ب ، س ، حـ : « أبو الحسين » ، وهو تحريف . (٢) أطعمت الشجرة : أثمرت . (٣) الموضع : المنضد . (٤) شفقا : خوفا .

ثم قالوا ألا آصْبَحونا فقامت * قينــةٌ فى يمينها إبريــق
قدّمتْـــه على عُقـار كعين الدّيك صَـــفّى سُلافَهـا الرّاووق

— فيه لمعبد ثقيل ويقال إنه لُحَنين . وفيه لمالك خفيف رمل . وفيه لعبد الله ابن العباس رَمَلٌ كلُّ ذلك عن الهشامىّ — قال : فآستحسنه الوليد وأُعْجِب به وطرب عليه وجعل يشرب إلى أن غلَب عليه السكر فنام فى موضعه ، فآنصرف ابن الطويل . فلما أفاق الوليد سأل عنه ، فعُرِّف حين آنصرافه ؛ فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفًا على رأسه يقال له سَبْرة : ائتنى برأسه ، فمضى الغلام حتى ضرب عنقه وأتاه برأسه فجعله فى طَسْت بين يديه ؛ فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعُرِّفه ، فآسترجع وندم على ما فرط منه ، وجعل يقلِّب الرأس بيده . ثم قال يرثيه :

١٣٣ / ٦

صـــوت

عينَىَّ للحَـدَث الجليـل * جُودا بأَرْبعـةٍ[1] هُمُـول
جـودا بدمـع إنّه[2] * يشفى الفؤادَ من الغَليل
لله قـــبرٌ ضُمِّنت * فيه عظامُ آبن الطويل
ماذا تضمّن إذ ثَـوَى * فيه من اللُّبّ الأصيـل
قد كنتُ آوِى من هوا * كَ إلى ذَرى كَهْف ظَليل
أصبحتُ بعدك واحدًا * فردًا بمَدْرَجة السيول

١٠ ١٥

(١) الأربعة يعنى بها الماظين والموقين فان الدمع يجرى من الموقين فاذا غلب وكثر جرى من الماظين أيضا . قال المتنبى :

كأن الصبح يطردها فتجرى * مدامعهـا بأربعـة سجـام

(انظر شرح التبيان للعكبرى على ديوان أبى الطيب ج ٢ ص ٤١٤ طبع بولاق) . (٢) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «بدمى» .

٢٠

— غنّاه الغَريض ثانىَ ثقيل بالوسطى عن عمرو . وغنّى فيه سُلَيم لحنا من الثقيل الأوّل بالبنصر عن الهشامىّ ، وذكر غيره أن لحن الغريض لدَحْمَان ، وذكر حبشٌ أنه لأبى كامل، وذكر غيره أن لحن الغريض لدَحمان(١) — قال: ثم دخل الى جواريه فقال : والله ما أبالى متى جاءنى الموت بعد الخليل ٱبن الطويل . فيقال : إنه لم يَعِش بعده إلا مُدَيدةً حتى قُتل . والله أعلم .

أجاز حمادا الراوية لطربه لشعر أنشده إياه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال رَوى الهيثم بن عدىّ عن ٱبن عَيَّاش عن حَمّاد الراوية قال :

دعانى الوليد يومًا من الأيام فى السَّحَر والقمر طالعٌ وعنده جماعةٌ من ندمائه وقد ٱصطبح، فقال : أنشدنى فى النَّسيب ، فأنشدته أشعارًا كثيرة ، فلم يَهَشّ لشىء منها ، حتى أنشدته قولَ عمّار ذى كَناز(٢) :

اصْبَحِ(٣) القومَ قهوةً * فى الأباريق تُحتَذَى
من كُمَيت مُدامةٍ * حَبّذا تلك حبّذا

فطرب . ثم رفع رأسَه الى خادم وكان قائما كأنه الشمس ، فأومأ اليه فكشف سِترًا خلفَ ظهره ، فطلع منه أربعون وصيفًا ووصيفةً كأنهم اللؤلؤ المنثور فى أيديهم الأباريقُ والمناديل ، فقال : أَسْقُوهم ، فما بَقِىَ أحد إلا أُسْقِىَ ، وأنا فى خلال ذلك أُنْشِده الشعر ، فما زال يشرب ويسقى إلى طلوع الفجر . ثم لم نخرج عن حضرته

(١) يلاحظ أن هذه الجملة مكررة فى أكثر الأصول وقد جاءت فى ء هكذا :
« ... بالبنصر عن الهشامى وذكر غيره أن لحن الغريض لدحمان ثم دخل الى جواريه ... الخ » .
(٢) فى الأصول «قول عدىّ بن زيد» وهو خطأ ، فان هذه الأبيات من القصيدة الذالية السالفة الواردة فى أخبار الوليد والمنسوبة لعمار ذى كناز . وقد جاءت هذه القصة فى الأغانى (ج ٢٠ ص ١٧٩ — ١٨٠ طبع بولاق) فى ترجمة عمار هذا ونسب الشعر فيها له . (٣) صبحت فلانا : ناولته صبوحا من لبن أو خمر .

حتى حملنا الفرّاشون فى البُسُط فالقَوْنا فى دار الضيافة، فما أفَقْنا حتى طلعت الشمس.
قال حمّاد : ثم أحضرنى فخلَع علىّ خِلعًا من فاخر ثيابه وأمر لى بعشرة آلاف درهم وحملنى على فرس .

خاصم وكيله الجعفرىّ فى أرض لدى هشام فلم ينصفه فقال هو شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدائنىّ عن أبى بكر الهُذَلىّ قال :

كان بين الحَكَم بن الزُّبَير أخى أبى بكر بن كلاب وبين بكر بن نَوْفل أحدِ بنى جعفر بن كلاب شىءٌ فى وَكالة للوليد بن يزيد يخاصم الجعفرىَّ فى الرَّحبة(١) من أرض دمشق، وكان الجعفرىُّ قد آستولى عليها فقطع شَفْره الأعلى، فآستعدى عليه هشامًا فلم يُعْدِه؛ فقال الوليد فى ذلك :

١٠

صــــوت

١٣٤ / ٦

أيَا حَكَمُ المَتْبولُ(٢) لو كنتَ تَعْتَرِى(٣) * الى أُسرةٍ ليسوا بسُود زَعانِفِ

لأيقنتَ قد أدركتَ وَتْرَك عَنْوةً * بلا حُكْم قاضٍ بل بضرب السوالِفِ

— غنّاه الهُذَلىّ ثقيلًا أوّل عن الهشامىّ و يونس — قال: فلما آستُخلِف الوليد بعث الى بكر بن نوفل الجَعْفرىّ(٤) فقال : ألا تعطى(٥) حَكَمَ بن الزُّبَيْر حقَّه ! قال: لا؛ فأمر به فشُتِرت(٦) عينُه . ثم قال :

١٥

يارُبَّ أمرٍ ذى شؤون جَحْفلِ(٧) * قاسيتُ فيه جَلَبات(٨) الأحْوَلِ

(١) رحبة دمشق : قرية بينها وبين دمشق ميل . (٢) المتبول : المصاب بتبل وهو الذحل والعداوة . (٣) تعترى : تنتسب . (٤) كذا فى ب مصححة بقلم المرحوم الشنقيطى وهو الموافق لسياق القصة . وفى الأصول «الى بكر بن الجعدى» وهو تحريف . (٥) كذا فى ب مصححة بقلم المرحوم الشنقيطى . وفى الأصول : «لا تعطى» بدون ألف وهو خطأ . (٦) شتر عينه : شقها وقلب جفنها . (٧) الجحفل : العظيم . (٨) كذا فى حـ . والجلبات : الشدائد . وفى سائر الأصول : «حلبات» بالحاء المهملة وهو تصحيف .

٢٠

مات ابنه مؤمن ونعاه اليه سنان الكاتب وهو سكران فرثاه

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال :

خرج الوليد الى متصيَّد له فأقام به ، ومات له آبن يقال له مؤمن بن الوليد، فلم يقدر أحدٌ أن يَنعاه إليه ،حتى ثَمِل فنعاه اليه سِنانٌ الكاتب وكان مغنيًّا؛ فقال الوليد — وفي هذا الشعر غناء من الأصوات التي آختيرت للواثق والرشيد قبله — :

٥

صـــوت

من المـائة المختارة من رواية على بن يحيى

أتاني سِنَانٌ بالوَدَاع لمؤمنٍ * فقلتُ له إني إلى الله راجـعُ

ألَا أيّها الحاثِي[1] عليـه ترابَه * هُبِلْتَ وشَلَّتْ من يديك الأصابع

يقولون لا تجـزَعْ وأظهِـرْ جَلادةً * فكيفَ بما تُخْنَى عليـه الأضالع

عروضُه من الطويل . غنّاه سِنان الكاتب ، ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لأبي كامل خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وقيل : إن فيه لحنًا لعبد الله بن يونس صاحب أَيْلَةَ .

١٠

كتب له مؤدبه يزيد شعرا ينصحه فرد عليه

اخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني عَقيل بن عمرو قال :

قال يزيد بن أبي مُساحِق السُّلَميّ[2] مؤدِّب الوليد شعرًا وبعث به الى النَّوَار جارية الوليد، فغنّته به، وهو :

مَضى الخلفاءُ بالأمر الحميد * وأصبحت المذَمَّةُ للوليد

تشاغَل عن رعيّته بلهو * وخالف فعلَ ذي الرأي الرشيد

٢٠

(١) حثا التراب عليه وفي وجهه يحثوه : قبضه ورماه . (٢) في حـ : (يزيد بن مساحق) .

فكتب اليه الوليد :

ليت حظّى اليومَ من كلّ مَعاشٍ لى وزاد
قهــوةٌ أبذُل فيها * طارف ثم تِــلادى
فيَظَــلّ القلب منها * هائمًا فى كلّ وادٍ
إن فى ذاك صلاحى * وفلاحى ورشادى

نهى بنى أمية عن الغناء وقال إنه رقية الزنا

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إبراهيم بن الوليد الحِمْصىّ قال حدّثنا هارون بن الحسن العَنْبَرىّ قال :

قال الوليد بن يزيد : يابنى أميّة، إياكم والغناءَ فإنّه يَنقُص الحياءَ ويَزيد فى الشهوة ويهدِم المروءةَ ويُثَوِّر على الخمر ويفعل ما يفعل السكر ، فإن كنتم لابدّ فاعلين ، فجنّبوه النساء فإنّ الغناء رُقْيَةُ الزِّنا . وإنى لأقول ذلك فيه على أنه أحبُّ إلىّ من كل لذّة وأشهى الىّ من الماء البارد إلى ذى الغُلّة ، ولكن الحقُّ أحقُّ أن يقال .

١٣٥ / ٦

قال له بعض مواليه إن الناس أنكروا عليك البيعة لابنيك فأجابه وقال شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنىّ قال حدّثنى بعضُ موالى الوليد قال :

دخلت اليه وقد عقد لابنيه بعده وقدّم عثمان؛ فقلت له : يا أمير المؤمنين ، أقول قولَ الموثوق بنصيحته أو يَسَعُنى السكوت ؟ قال : بل قُلْ قول الموثوق به ؛ فقلت : إن الناس قد أنكروا ما فعلتَ وقالوا : يُبايِع لمن لم يَحْتَلِمْ ؛ وقد سمعتُ ما أكره فيك؛ فقال : عَضُّوا ببظور أُمهاتكم، أفأُدْخِل بينى وبين ٱبنى غيرى؛ فيلْقَى منه كما لَقِيتُ من الأحول بعد أبى! ثم أنشأ يقول :

صــــوت

سَرَى طيفُ ذا الظبى بالعاقدا * ن ليلا فهيّج قلبًا عميــدا
وأرّق عيــنى عــلى غِرّة * فباتت بحــزنٍ تقاسى السُّهودا

تؤمل عثمان بعـــد الوليـ * ـد للعهـد فينا ونرجو سـعيدا (١)
كما كان إذ كان فى دهره * يزيدُ يرجّى لتـلك الوليـــدا
على أنها شَسَعتْ شَسْعَةً (٢) * فنحن نرجّى لها أن تعـــودا
فإن هى عادت فعاصِ القـريـ (٣) * ـبَ منهـا لتؤيِسَ منها البعيدا

٥ — غنّاه أبو كامل ثانىَ ثقيل بالبنصر من أصوات قليلةِ الأشباه . وذكر عمرو ابن بانة أن فيه لعمر الوادى لحنًا من الماخورىّ بالوسطى . وذكر الهشامىّ أن فيه خفيفَ رمل لحَكَم ، وذكرت دنانيرُ عن حكم أنه لعمر الوادى ، وذكر حبش أن الثقيل الثانى لمالك وأن فيه لفَضْل النجّار رَمَلا بالبنصر — أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبَير بن بكّار قال : هو

١٠ * سرى طيفُ ظبي بأعلى الغُوَيْر *

ولكن هذا تصحيف سليمان السَّوَادى أو قال : خُلَيد .

حبس يزيد الناقص وليى عهد الوليد وقتلهما

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال : كان الوليد قد بايع لابنيه الحَكَم وعثمان ، وهو أوّل من بايع لابن سُرِّيّةٍ أَمَةٍ ، ولم يكونوا يفعلون ذلك ، وأخذهما يزيد بن الوليد الناقص ، فحبَسهما ثم قتلهما ؛ ١٥ وفيهما يقول ابنُ أبى عَقِب :

(١) كذا فى الأصول . ورواية هذا البيت فى الطبرى (ق ٢ ص ١٧٥٦) :

تؤمل عثمان بعـــد الوليـ * ـد للعهد فينا ونرجو يزيدا

وفى هامشه رواية أخرى وهى :

تؤمل عثمان بعـــد الوليـ * ـد أو حكما ثم نرجو سعيدا

٢٠ ولم نجد فى كتب التاريخ ما يدل على أن للوليد ابنا يسمى سـعيدا . (٢) شسعت : بعـدت . (٣) عاص القريب ، يريد جاف القريب ولا تدنه من الخلافة بتوليتك اياه العهد . ورواية الطبرى :

فان هى عادت فأوص القريـ * ـب عنها ليؤيس منها البعيـدا

إذا قُتِــلَ الخَلْفُ المُدِيمُ لسُكرِه * بقَفْرٍ من البَخْراء[1] أُسِّسَ فى الرَّمْلِ
وسِيق بلا جُرْمٍ الى الحَتْفِ والرَّدَى * بُنَيَّاه حتى يُذْبَحا مَذْبَحَ السَّخْلِ
فويلُ بنى مروان ما ذا أصابهم * بأيدى بنى العباس بالأَسْرِ والقتل

تبع الكلبي الزنديق على قوله فى مانى وردّه العلاء البندار

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى على بن محمد النَّوْفَلىّ قال حدّثنى أبى عن العَلاء البندار قال :

كان الوليد زِنديقًا، وكان رجل من كَلْب يقول بمقالته مقالةِ الثَّنَوِيّة[2] ؛ فدخلت على الوليد يومًا وذلك الكلبىُّ عنده ، وإذا بينهما سَفَطٌ قد رُفع رأسه عنه فإذا ما يبدو لى منه حريرٌ أخضرُ ؛ فقال : آدْنُ يا عَلاء فدنوتُ ، فرفع الحريرةَ فإذا فى السَّفَط صورة إنسان وإذا الزئبقُ والنوشادر قد جُعلا فى جفنه فجفنُه يَطْرِف كأنه يتحرك ؛ فقال : ياعَلاء، هذا مانِى[3] ، لم يَبْعَثِ اللهُ نبياً قبله ولا يبعثُ نبياً بعده . فقلت : يا أمير المؤمنين، ٱتّقِ الله ولا يَغُرَّنّك هذا الذى ترى عن دينك . فقال له الكلبىّ : يا أمير المؤمنين ، ألم أقُلْ لك : إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث . قال العلاء : ومكثتُ أياما، ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه فى عسكره يُشرف به والكلبىّ عنده، إذ نزل من عنده وقد كان الوليدُ حمَله على بِرْذَوْن هِمْلاجٍ[4] أشقرَ من أفْرِه ما سُخِّر ، فخرج على بِرْذَونه ذلك فمضى به فى الصحراء حتى غاب عن العسكر؛ فما شعَر إلّا وأعرابٌ قد جاءوا به يحملونه منفسخةً عنقهُ ميتًا

١٣٦ / ٦

(١) البخراء : أرض بالشام سميت بذلك لعفونة فى تربها ونتنها . (٢) الثنوية : أصحاب الاثنين الأزليين ، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان . (انظر الملل والنحل للشهرستانى ص١٨٨) .
(٣) هو مانى بن فاتك الحكيم ، ظهر فى زمان سابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى عليه السلام . اتخذ دينا بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنبوّة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوّة موسى عليه السلام . (عن الملل والنحل) . (٤) الهملاج : الحسن السير فى سرعة وبخترة .

و بِرْذَوْنه يُقاد حتى أسلموه . فبلغني ذلك، فخرجت متعمِّدا حتى أتيتُ أولئك الأعرابَ، وقد كانت لهم أبياتٌ بالقرب منه فى أرض البَخْراء لا حجرَ فيها ولا مَدَر، فقلت لهم : كيف كانت قصّةُ هذا الرجل ؟ قالوا : أقبل علينا على بِرْذَون، فوالله لكأنه دُهْنٌ يسيل على صَفَاة من فَراهته، فعجبنا لذلك، إذ آنقضّ رجلٌ من السماء عليه ثيابٌ بيض فأخذ بضَبْعَيْه[1] فآحتمله ثم نكّسه وضرب برأسه الأرضَ فدقّ عنقه ثم غاب عن عيوننا، فآحتملناه فجئنا به .

قصة الخارجين عليه ومقتله

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ قال :

لمّا أكثر الوليد بن يزيد التهتّكَ وآنهمك فى اللذّات وشُرْب الخمر و بسَط المكروهَ على ولَد هشام والوليد وأفرط فى أمره وغيّه، ملّ الناسُ أيامَه وكرِهوه . وكان قد عقَد لآبنيه بعده ولم يكونا بلَغا، فمشى الناسُ بعضُهم إلى بعض فى خَلْعه، وكان أقواهم فى ذلك يزيدَ الناقصَ بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، فمشى الى أخيه العباس — وكان آمرأً صدقٍ ولم يكن فى بنى أميّة مثلُه، كان يتشبّه بعمر بن عبد العزيز — فشكا إليه ما يَجرى على الناس من الوليد، فقال له : يا أخى، إن الناس قد ملّوا بنى مروان، و إنْ مَشَى بعضُكم فى أمر[2] بعض أُكِلْتم، ولله أجَلٌ لا بدّ أن يَبْلُغه فآنتظِرْه. فخرج من عنده ومشى الى غيره، فبايعه جماعةٌ من اليَمانِيَة الوجوه، فعاد الى أخيه ومعه مولًى له وأعاد عليه القولَ وعرّض له بأنه قد دُعِى الى الخلافة، فقال له : والله لولا أنى لا آمَنُه عليك من تحامُله لوجّهتُ بك إليه مشدودًا، فنشَدْتُك الله ألّا تَسعى فى شيء من هذا . فآنصرف

(١) الضبع : العضد والإبط، يقال : أخذ بضبعيه أى بعضديه . (٢) فى ب، س، حـ : «فى أثر» .

من عنده وجعل يدعو الناسَ إلى نفسه . وبلغ الوليدَ ذلك فقال يذكر قومَه ومَشْىَ بعضهم إلى بعض فى خلعه :

صـــــوت

سَـلِّ همَّ النفس عنها * بعَلَنْـداةٍ(1) عَـلَاةِ
تَتَقِى الأرضَ وتَهـوِى * بخِفَـافٍ مُدْمَجَـاتِ
ذاك أَمْ ما بال قومى * كَسَروا سِنَّ قَنَـاتى
وآستخفُّوا بى وصاروا * كقُـرودٍ خاسِـئاتِ

الشـعر للوليد بن يزيد بن عبـد الملك . والغناءُ لأبى كامل غُزَيِّل الدِّمَشْقِىّ ماخُورِىّ بالبنصر . وفى هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد :

أصـبح اليومَ وليـدٌ * هائمًـا بالفَتَيـاتِ
عنـده راحٌ وإبريـقٌ وكأسٌ بالفَـلاةِ
ابعثوا خيـلًا لخيـلٍ * ورُماةً لـرُماةِ

١٠

١٣٧
٦٠

وأخبرنى بالسبب فى مقتله الحسن بن علىّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث قال حدّثنى المدائنىّ عن جُوَيرِيَةَ بن أسماء، وأخبرنى به ابنُ أبى الأزهر عن حمّاد عن أبيه عن المدائنىّ عن جُوَيرِيَة بن أسماء قال : قال ابن بِشر(2) بن الوليد بن عبد الملك :

١٥

لمّا أظهر الوليد بن يزيد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالَى بين الشرب وانهمك فى اللذّات ، سمّه(3) الناس ووعَظه من أشـفق عليه من

(1) العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . وناقة علاة الخلق أى طويلة جسيمة .
(2) كذا فى ا ، ء ، م وهو الصواب كما سيأتى . وفى ب ، سه ، حـ : «قال قال أبى بشر ابن الوليد بن يزيد بن عبد الملك» ، وهو خطأ . (3) فى الأصول : «شتمه» .

٢٠

أهله ؛ فلما لم يُقلِع دبُّوا فى خَلْعه . فدخل أبى بشر بن الوليد على عمّى العباس بن الوليد وأنا معه، فجعل يكلّم عمّى فى أن يخلع الوليدَ بن يزيد ومعه عمى يزيدُ بن الوليد، فكان العبّاسُ يَنْهاه وأبى يردّ عليه؛ فكنت أفرح وأقول فى نفسى : أرى أبى يجترئ أن يكلّم عمّى ويردّ عليه؛ فقال العباس : يا بنى مروان، أظن أن الله قد أذن فى هلاككم . ثم قال العباس :

إنى أُعيذُكمُ بالله من فِتَنٍ * مثلِ الجبال تَسَامَى ثم تندفعُ

إنّ البريّة قد ملّت سياستَكم * فآستمسكوا بعمود الدّين وآرتَدِعوا

لا تُلْحِمُنّ ذئابَ الناس أنفُسَكم * إنّ الذئاب إذا ما أُلْحِمَتْ رَتَعوا (١)

لا تَبْقُرُنّ بأيديكم بطونَكمُ * فَثَمّ لا فِديةٌ تُغْنِى ولا جَزَع (٢)

قال المدائنىّ عن رجاله : فلما آستجمع ليزيد أمرُه وهو مُتَبَدٍّ أقبل إلى دمشق، وبين مكانه الذى كان مُتَبَدِّيًا فيه وبين دمشق أربعُ ليالٍ ، فأقبل إلى دمشق متنكّرًا فى سبعة أنفس على حُمُر وقد بايع له أكثرُ أهلِ دمشق وبايع له أكثرُ أهلِ المِزّة . فقال مولًى لعَبّاد بن زِيَاد : إنى لَبِجَرُودَ — وبين جَرُودَ ودمشق مرحلةٌ — إذ طلع علينا سبعةٌ مُعتَمُّون (٣) على حُمُر فنزلوا، وفيهم رجل طويل جسيم، فرمَى بنفسه فنام وألقَوا عليه ثوبًا، وقالوا لى : هل عندك شىء نَشتريه من طعام ؟ فقلت : أمّا بيعٌ فلا، وعندى من قِرَاكم ما يُشْبِعكم؛ فقالوا : فعجِّله ؛ فذبحتُ لهم دَجاجًا وفِراخا وأتيتُهم بما حضر من عسل وسمن وشَوَانِيز (٤)، وقلت : أيقظوا صاحبَكم

---

(١) ألحمت القوم : أطعمتهم اللحم . (٢) فى الأصول : «جذع» بالذال المعجمة . والتصويب عن الطبرى . وقد جاء فيه الشطر هكذا :

* فثَم لا حسرة تغنى ولا جزع *

(٣) فى جميع الأصول : « معتمين » . (٤) الشوانيز : التوابل .

للغداء، فقالوا : هو محموم لا يأكل؛ فسفَروا للغداء فعرَفتُ بعضَهم، وسفَر النائم فإذا هو يزيد بن الوليد، فعرَفته فلم يكلمنى . ومضَوْا ليدخلوا دمشق ليلا فى نفر من أصحابه مُشاةٍ الى معاوية بن مَصَاد(١) وهو بالمِزَّة — وبينها وبين دمشق ميل — فأصابهم مطر شديد، فأتوْا منزلَ معاويةَ فضربوا بابَه وقالوا : يزيد بن الوليد؛ فقال له معاويةُ : الفراشَ، ادخل أصلحك اللهُ؛ قال : فى رجلى طين وأكره أن أفسدَ عليك بساطَك؛ فقال : ما تُريدنى(٢) عليه أفْسَدُ . فمشى على البساط وجلس على الفراش، ثم كلّم معاويةَ فبايَعه . وخرج الى دمشق فنزل دارَ ثابت بن سليمان الحَسَنِىّ(٣) مستخفياً، وعلى دمشق عبدُ الملك بن محمد بن الحجّاج بن يوسف، فخاف عبدُ الملك الوَباءَ فخرج فنزل قَطَنا(٤)، واستخلف ابنَه على دمشق وعلى شُرْطته أبو العاج كَثِيرُ ابن عبد الله السُّلَمىّ . وتمّ ليزيد أمرُه فأجمع على الظهور . وقيل لعامل دمشق : ١٠ إنّ يزيد خارجٌ فلم يصدّق . وأرسل يزيدُ الى أصحابه بين المغرب والعشاء فى ليلة الجمعة من جُمادَى الآخرة سنةَ سبع وعشرين ومائة(٥)، فكَمَنوا فى مِيضَأةٍ عند باب الفَراديس(٦)؛ حتى إذا أذَّنوا العَتَمَةَ دخلوا المسجد مع الناس فصلَّوْا . وللمسجد حَرَسٌ قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل؛ فإذا خرج الناسُ خرج الحرسُ وأغلق صاحبُ المسجد الأبوابَ، ودخل الدارَ من باب المقصورة فيَدْفعُ المفاتيحَ الى من يحفظها ١٥

١٣٨ / ٦

(١) كذا فى الطبرى (ق ٢ ص ١٧٨٩ طبع أوربا) . وفى الأصول : « معاوية بن معاذ » . وهو سيد أهل المزة وقد كان أهل المزة بايعوا يزيد إلا معاوية هذا .

(٢) فى الأصول : «ماتريد بى أفسد عليه» . وعبارة الطبرى : « الذى تريدنى عليه أفسد » .

(٣) فى الطبرى ق ٢ ص ١٧٨٩، ١٨٣٩ : « ثابت بن سليمان بن سعد الخشنى » .

(٤) فى الأصول : « قنطا » بتقديم النون على الطاء . والتصويب عن الطبرى . (٥) الصواب ٢٠ سنة ست وعشرين ومائة، كما فى كتب التاريخ . (٦) باب الفراديس : باب من أبواب دمشق . قال ابن قيس الرقيات :

أقفرت منهم الفراديس والغو * طة ذات القرى وذات الظلال

ويخرج . فلما صلّى الناسُ العَتَمةَ صاح الحرسُ بالناس فخرجوا، وتباطأ أصحاب يزيد الناقص، فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب، حتى لم يبق فى المسجد إلا الحرسُ وأصحابُ يزيد، فأخذوا الحرسَ . ومضى [يزيد بن] عَنْبَسةَ [السَّكْسَكِيّ] (١) (١) الى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال : قُمْ يا أمير المؤمنين وأبْشِرْ بعون الله ونصره؛ فأقبل وأقبلنا ونحن آثنا عشر رجلا . فلما كنّا عند سوق القمح لَقِيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم، فمضَوْا حتى دخلوا المسجدَ وأتَوْا بابَ المقصورة، وقالوا : نحن رسل الوليد، ففتح لهم خادمٌ البابَ، ودخلوا فأخذوا الخادم، وإذا أبو العاج سكرانُ فأخذوه وأخذوا خُزّان البيت وصاحبَ البريد (٢)، وأرسل الى كلّ من كان يحذَرُه فأخذه . وأرسل من ليلته الى محمد بن عُبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بَعْلَبَكّ، وإلى عبد الملك آبن محمد بن الحجّاج فأخذهما . وبعث أصحابَه الى الخَشَبِيّة (٣) فأتوه؛ وقال للبوّابين : لا تفتحوا الأبواب غُدْوةً إلّا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا . قال : فتركوا الأبواب فى السلاسل . وكان فى المسجد سلاح كثير قدِم به سليمانُ بن هشام من الجزيرة، فلم يكن الخُزّان قبضوه، فأصابوا سلاحا كثيرا فأخذوه وأصبحوا، وجاء أهلُ المِزّة (٤) مع حُرَيْث بن أبى الجَهْم . فما آنتصف النهارُ حتى بايع الناسُ يزيدَ وهو يتمثّل قولَ النابغة :

إذا آستُنْزِلوا عنهنّ للطعن أَرْقَلوا * إلى الموت إرقالَ الجمال المَصاعبِ

فجعل أصحابُه يتعجّبون ويقولون : انظروا إلى هذا ! كان قُبَيْلَ [الصبح] (٥) يسبّح وهو الآن يُنشد الشعر . قال (٦) : وأمر يزيدُ عبدَ العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك بن

(١) التكلة عن الطبرى وعن الأصول فيا سيأتى . (٢) يريد بيت المال . (٣) الخشبية سيذكر المؤلف بعد قليل أنهم أصحاب المختار بن أبى عبيد . (٤) عبارة الطبرى : « وجاء أهل المزة وابن عصام ... الخ » . (٥) التكلة عن الطبرى (ق ٢ ص ١٧٩١ طبع أوربا)

(٦) فى أ ، ء ، م : «قالوا» .

مَرْوان فوقف بباب الجابية فنادَى : [من كان له عطاءٌ فلْيأتِ الى عطائه، ومن لم يكن له عَطَاء فله ألف درهم مَعُونةً[1]]؛ فبايع له الناسُ وأمَر بالعطاء. قال: وندَب يزيدُ بن الوليد الناسَ الى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز، وقال : من ٱنتَدب معه فله ألفانِ، فٱنتَدب ألفا رجلٍ، فأعطاهم وقال: موعدُكم ذَنَبةُ[2]؛ فوافى ذَنَبةَ ألف ومائتا رجلٍ؛ فقال : ميعادُكم مَصْنعةٌ بالبَرِيّة وهى لبنى عبد العزيز بن الوليد؛ فوافاه ثمانُمائة رجل، فسار فوافاهم ثَقَلُ[3] الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فُرسانٌ منهم منصور ٱبن جُمْهور و يعقوب بن عبد الرحمن السُّلَمِىّ والأَصْبَغ بن ذُؤَالةَ وشَبيبُ بن أبى مالك الغَسّانىّ وحُمَيْد بن نصر اللَّخْمِىّ، فأقبلوا فنزلوا قريبًا من الوليد . فقال الوليد : أخرجوا لى سريرًا فأخرجوه فصعِد عليه . وأتاه خبرُ العباس بن الوليد : إنّى أجيئك . وأُتِى الوليدُ بفرسين الذّائد[4] والسِّنْدىّ؛ وقال : أعلىّ يتواثَبُ الرجال وأنا أثِبُ على الأسد وأتخصّر[5] الأفاعى! . وهم ينتظرون العباس أن يأتيَهم ولم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ ، فقُتل عثمان الخَشَبىّ[6]، وكان من أولاد الخَشَبِيّة الذين كانوا مع المختار[7] . وبلغ عبدَ العزيز بن الحجّاج أن العباس بن الوليد يأتى الوليدَ؛ فأرسل منصورَ بن جُمْهور فى جَرِيدة[8] خيل وقال : إنكم تَلْقَوْن العباس بن الوليد ومعه بنوه فى الشِّعْب فخُذُوه . وخرج منصور

---

(١) هـذه العبارة التى بين قوسين عبارة الطبرى . وفى الأصول : « ألا من كان له عطاء فله أربعون دينارا فى العطاء ومعونة ألف درهم فبايعه ... الخ » . (٢) كذا فى الطبرى . وهى موضع بعينه من أعمال دمشق . وفى الأصـول : « دنبة » وهو تصحيف . (٣) الثقل : المتاع .
(٤) فى الأصول : «الزابد» . والتصويب عن نسب الخيل لهشام بن محمد الكلبى (ص ٤٤) طبع ليدن وشرح القاموس مادة « ذود » . (٥) كذا فى الطبرى . وتخصر : أخذ المخصرة (العصا) بيده وأمسكها . وفى الأصول : «وأعض» . (٦) كذا فى الطبرى (قسم٢ ص ١٧٩٨، ١٨٠٤). وكان من أصحاب الوليد بن يزيد . وفى الأصـول : « يزيد بن عثمان الخشبي » وهو خطأ .
(٧) يريد المختار بن أبى عبيد . خرج بالكوفة سنة ست وستين مطالبا بدم الحسين رضى الله عنه وأهل بيته وذلك فى سلطان ابن الزبير وأخرج عن الكوفة عبد الله بن مطيع عامل ابن الزبير، ثم قتله مصعب بن الزبير .

فى تلك الخيل وتقدّموا الى الشِّعْب، واذا العبّاسُ ومعه ثلاثون[1] قد تقدّموا أصحابَه؛ فقال له : اعْدِل الى عبد العزيز، فشتَمهم؛ فقال له منصور : والله لئن تقدّمتَ لأُنْفِذَنّ حَصِينَك[2] بالرّمح؛ فقال : إنا لله ! فأقبلوا به يسوقونه الى عبد العزيز. فقال له عبد العزيز: بايِعْ ليزيد؛ فبايَعَ ووقف؛ ونصبوا راية[3] وقالوا : هذا العباس قد بايَعَ. ونادى منادى عبد العزيز؛ من لَحِق بالعباس بن الوليد فهو آمِنٌ؛ فقال العباس : إنا لله ! خُدْعَةٌ من خُدَع الشيطان ! هلك والله بنو مروان ! . فتفرّق الناس عن الوليد وأتَوا العباسَ . وظَاهَر الوليدُ فى درعين وقاتلهم. وقال الوليد : من جاء برأس فله خمسمائة درهم، فجاء جماعةٌ بعدّة رءوس، فقال : آكتبوا أسماءهم؛ فقال له رجل من مواليه : ليس هذا يا أمير المؤمنين يومًا يعامَل فيه بالنَّسيئة. وناداهم رجالٌ : اُقْتُلوا اللُّوطِىَّ قِتلةَ قوم لوط، فرمَوْه بالحجارة. فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال :

صـــــوت

دَعُوا لى سُلَيْمَى والطِّلَاءَ وقَيْنةً[4] * وكأسًا ألا حَسْبِى بذلك مالا

إذا ما صفا عيش برَمْلَةِ عالِجٍ[5] * وعانقتُ سلمى لا أُريد بِدالا

خذوا مُلْكَكم لاثبّت اللهُ مُلككم * ثباتًا يساوى ما حَيِيتُ عِقالا

وخَلُّوا عِنانى قبل عَيْرٍ وما جَرَى[6] * ولا تحسُدونى أن أموت هُزالا

(١) كذا فى أ، ء، م . وفى ب، س، حـ : «ومعه بنوه» . وعبارة الطبرى : «فى ثلاثين من بنيه» . (٢) كذا فى الطبرى، وقال : «يعنى درعك» : وفى الأصول : «خصيتيك»، وهو تحريف . (٣) كذا فى الطبرى . وفى الأصول : «ونصب» . (٤) كذا فى أ، ء . وفى سائر الأصول : «وفتية» وهو تحريف . (٥) عالج : رملة بالبادية . وقال أبو عبيد الله السكونى : عالج رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طيّئ، وهى متصلة بالثعلبية على طريق مكة لا ماء بها .

(٦) قبل عير وما جرى، قال أبو عبيد : إذا أخبر الرجل بالخبر من غير استحقاق ولا ذكر كان لذلك قيل : فعل كذا وكذا قبل عير وما جرى . قالوا : خص العير لأنه أحذر ما يقتنص، واذا كان كذلك كان أسرع جريا من غيره، فضرب به المثل فى السرعة . وقيل العير : إنسان العين، فاذا قيل : جاء قبل عير وما جرى فمعناه قبل لحظة العين . (راجع مجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ٣٦ طبع بولاق ولسان العرب مادة عير) .

— غنّاه عمرُ الوادى رملًا بالوسطى عن حَبَش — ثم قال لعمر الوادى : يا جامع لذّتى، غنّنى بهذا الشعر. وقد أحاط الجندُ بالقصر؛ فقال لهم الوليد من وراء الباب: أمَا فيكم رجل شريف له حسب وحياءٌ أكلّمه؟! فقال له يزيد بن عَنْبَسَةَ السَّكْسَكِىّ: كلّمنى؛ فقال له الوليد : يا أخا السَّكَاسِك، ماتنقِمُون منّى ؟ ! ألَم أَزِد فى أعطياتكم وأعْطِيةِ فقرائكم وأخدَمْتُ زَمْناكم ودفعتُ عنكم المؤن ! ؟ فقال : ما نَنْقِمُ عليك فى أنفسنا شيئًا، ولكن نَنْقِمُ عليك آنتهاكَ ماحرّم الله وشُرْبَ الخمور ونِكاحَ أمهات أولاد أبيك وآستخفافَك بأمر الله . قال : حَسْبُك يا أخا السَّكَاسك ! فلعمرى لقد أغرقتَ[1] فأكثرتَ، وإنّ فيما[2] أحلّ الله لسَعَةً عمّا ذكرتَ . ورجع الى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال : يومٌ كيوم عثمان[3]، ونشر المصحفَ يقرأ؛ فعَلَوُا الحائطَ؛ فكان أوّلَ من علا الحائطَ يزيدَ بن عنبسة، فنزل وسيفُ الوليد الى جنبه؛ فقال له يزيد: نَحِّ سيفَك، فقال الوليد : لو أردتُ السيف لكانت لى ولك حالةٌ غيرُ هذه . فأخذ بيده وهو يريد أن يُدْخِله بيتًا[4] ويُؤامِرَ فيه، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصورُ بن جُمْهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسَّرِىّ آبن زِياد بن أبى كَبْشة، فضربه عبد الرحمن السُّلَمِىّ[5] على رأسه ضربةً وضربه السَّرِىّ بن زِياد على وجهه، وجَرُّوه بين خمسة ليُخرجوه؛ فصاحت آمرأةٌ كانت معه فى الدار فكفّوا عنه فلم يُخرجوه، وآحتزّ رأسَه أبو عِلَاقة القُضَاعىّ وخاط الضربةَ

(١) أى تجاوزت الحدّ فى القول وبالغت فيه . (٢) فى الأصول «فيما» والتصويب عن الطبرى .

(٣) يريد عثمان بن عفان رضى الله عنه فانه لما قتل كان يقرأ فى المصحف وجرى دمه عليه .

(٤) فى ب، س : «بينا» وهو تحريف . (٥) عبارة الطبرى : «فنزل من الحائط عشرة منصور آبن جمهور وحبال بن عمرو الكلبى وعبد الرحمن بن عجلان مولى يزيد بن عبد الملك وحميد بن نصر اللخمى والسرى بن زياد بن أبى كبشة وعبد السلام اللخمى فضربه عبد السلام على رأسه وضربه السرى على وجهه وجروه ... الخ» .

١٤٠
٦

التى فى وجهه بالعَقَب[(١)]، وقُدِم بالرأس على يزيد ، قَدِم به رَوْح بن مُقْبِل ، وقال : أبْشِر ياأمير المؤمنين بقتل الفاسق ، فآستَمّ الأمْرُ له وأحسن صِلَتَه . ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضعَ ذكره .

قال : ولما قُتل الوليد بن يزيد جعل أبو مِحْجَن مولى خالد القَسْرىّ يُدخل سيفه فى آست الوليد وهو مقتول . فقال الأَصْبَغ بن ذُؤالة الكلبىّ فى قتل الوليد وأخذهم آبنيه :

من مُبْلِغٌ قيسًا وخِنْدِفَ كلَّها * وساداتِهم من عبد شمس وهاشم
قتلنا أميرَ المؤمنين بخالد[(٢)] * وبِعْنا ولِيَّىْ عهده بالدراهم

وقال أبو مِحْجَن مولى خالد :

لو شاهدوا حدَّ سيفى حين أُدخله * فى آسْتِ الوليد لماتوا عنده كَمَدا

كان عمر الوادى يغنيه حين قتل

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن هشام بن الكلبىّ عن جرير قال :

قال لى عمر الوادى : كنت أغنّى الوليدَ أقول :

صــــوت

كَذَبَتْكَ نفسُك أم رأيتَ بواسِطٍ * غَلَسَ[(٣)] الظلامِ من الرَّبابِ خيالا

قال : فما أتممتُ الصوت حتى رأيتُ رأسَه قد فارق بدنَه ورأيتُه يتشحّط فى دمه .

يقال : إن اللحن فى هذا الشعر لعمر الوادى، ويقال : لآبن جامع .

(١) العقب : العصب الذى تعمل منه الأوتار . (٢) هو خالد بن عبد الله القسرى ، وقد كان الوليد سلمه ليوسف بن عمر فبسط عليه العذاب حتى قتله (راجع تفصيل مقتله فى الطبرى قسم ٢ ص ١٨١٢ وما بعدها) . (٣) كذا فى ب ، سـ والسان مادة غلس . وفى سائر النسخ : « وسط الظلام » . والبيت لا خطل .

أخذ يزيد الحكم وعثمان وليى عهد الوليد وحبسهما وشتمهما

قالوا : وكان عثمان والحَكَم ٱبنا الوليد قد بايَعهما بالعهد بعده، فتغيّبا فأخذهما يزيد بعد ذلك فحبَسهما فى الخَضْراء[1] ودخل عليهما يزيدُ الأفقَمُ بن هشام فجعل يشتُمُ أباهما الوليدَ وكان قد ضرَبه وحلَقه[2]، فبكى الحَكَم، فقال عثمان أخوه: اسكت يا أخى؛ وأقبل على يزيد فقال : أتشتُمُ أبى ! قال : نعم؛ قال : لكنى لا أشتُمُ عمّى هشاما، ووالله لو كنتَ من بنى مروان ماشتمتَ أحدا منهم، فٱنظر الى وجهك فإن كنتَ رأيت حَكَمِيًّا[3] يُشْبِهك أوله مِثْلُ وجهك فأنت منهم، لا والله ما فى الأرض حَكَمِىّ يشبهك .

ندم أيوب السختيانى لمقتله تخوفا من الفتنة

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدَائنىّ عن مَسْلمة ٱبن مُحارِب قال :

لمـا قُتل الوليدُ قال أيّوب[4] السَّختِيانىّ : ليت القوم تركوا لنا خليفتَنا لم يقتلوه. قال : وإنما قال ذلك تخوُّفاً من الفتنة . ١٠

لعن الرشيد قاتليه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنىّ :

أن ٱبنًـا للغَمْر بن يزيد بن عبـد الملك دخل على الرشيد، فقال : ممّن أنت ؟ قال: من قريش، قال : من أيِّها؟ فأمسكَ قال : قُلْ وأنت آمن، ولو أنك مَرْوانىّ، قال : أنا ٱبن الغَمْر بن يزيد . قال : رحم الله عمّـك ولعن يزيدَ الناقص وقَتَـلَةَ عمّك جميعا، فإنهم قتلوا خليفةً مُجْمَعًا عليه، ارفع الىّ حوائجَك، فقضاها . ١٥

---

(١) الخضراء : موضع باليمامة، وهى أيضا حصن باليمن كما فى ياقوت ، ولعلها أيضا موضع بالشام لم تذكره معاجم البلدان . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وخلعه» وهو تحريف . (٣) يعنى من ينسب الى الحكم بن أبى العاص والد مروان رأس هذه الأسرة . (٤) هو أيوب ابن أبى تميمة كيسان السختيانى العنزى أبو بكر البصرى الفقيه أحد الأئمة الأعلام مات سنة ١٣١ هـ . ٢٠

رمى عند المهدى بالزندقة فدافع عنه

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا الغَلَابِىّ قال حدّثنا العلاء[1] بن سُوَيْد المِنْقَرِىّ قال :

ذكر ليلةً المهدىُّ أميرُ المؤمنين الوليدَ بن يزيد فقال : كان ظريفًا أديبًا . فقال له شَبيب بن شَيْبة : يا أمير المؤمنين إن رأيت ألّا تُجرِىَ ذكْرَه على سمعك ولسانك فٱفعلْ فإنه كان زنديقًا ؛ فقال : اسكت ، فما كان الله ليضع خلافته عند من يكفر به . هكذا رواه الصُّولىّ .

دافع عنه ابن علاثة الفقيه لدى المهدى

وقد أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز إجازةً قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا عَقيل بن عمرو[2] قال أخبرنى شَبيب بن شَيْبة عن أبيه قال : كنّا جلوسًا عند المهدىّ فذكروا الوليد بن يزيد ، فقال المهدىّ : أحسَبه كان زنديقًا ، فقام ٱبن عُلَاثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ، اللهُ عزّ وجل أعظمُ من أن يولِّى خلافةَ النبوة وأمرَ الأُمّة من لا يؤمن بالله ، لقد أخبرنى من كان يشهده فى ملاعبه وشربه عنه بمروءة فى طهارته وصَلاته ، وحدّثنى أنه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثيابا كانت عليه من مُطَيَّبة ومصبَّغة ثم يتوضأ فيُحسن الوضوء ويُؤْتَى بثيابٍ بِيضٍ نظافٍ من ثياب الخلافة فيصلّى فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود ، فإذا فرغ عاد الى تلك الثياب التى كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود الى شربه ولهوه ؛ أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ! فقال له المهدىّ : صدقت بارك الله عليك يا ٱبنَ عُلَاثة .

١٤١ / ٦

وفى جملة المائة الصوت المختارة عدّةُ أصواتٍ من شعر الوليد نذكرها هاهنا مع أخباره ، والله أعلم .

(١) فى حـ : «العلاء بن أبى سويد» ولم نقف عليه فى المراجع التى بين أيدينا . (٢) كذا فيا مر قريبا ص ٦٩ من هذا الجزء وفى جميع الأصول هنا : «عقيل عن عمرو» .

صـــوت

من المـائة المختـارة

أُمَّ سَـلّامَ ما ذكرتُكِ إلّا * شَرِقَتْ بالدموع منّى المآقى
أُمَّ سَلّامَ ذِكْرُكُمْ حيث كنتم * أنتِ دائى وفى لسانكِ راقى
ما لقلبى يَجُول بين التَّرَاقى * مُسْتَخِفًّا يَتُوق كلَّ مَتَـاقِ
حَذَرًا أن تَبِين دارُ سُلَيْمَى * أو يصيحَ الداعى لها بفِراق

غنّاه عمـر الوادى ، ولحنُـه المختارُ خفيف رملٍ مطلَقٌ فى مجـرى البنصر . وذكر عمرو بن بانة أنّ لسَلّامةِ القَسّ فيه خفيفَ رمل بالوسطى، ولعلّه يعنى هذا . ومن الناس من يروى هذه الأبيات لعبد الرحمن بن أبى عمّار الجُشَمِىّ فى سَلّامةِ القَسّ، وليس ذلك له، هو للوليد صحيح، وهو كثيرا ما يذكر سَلْمى هذه فى شعره بأُمّ سَلّام وبسَلْمى، لأنه لم يكن يتصنّع فى شعره ولا يُبالِى بما يقوله منه . ومن ذلك قوله فيها : ١٠

صـــوت

أُمَّ سَـلّامَ لو لقِيتِ من الوجـ * ـد عَشِيرَ الذى لَقِيتُ كفاكِ
فأثِيبِى بالوصـل صَبًّا عميـدًا * وشـفيقًا شجـاه ما قد شجـاكِ

غنّاه مالكٌ خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشامىّ . ١٥

ذكر أخبار عمر الوادىّ ونسبهُ

نسبه وإعجاب الوليد به

هو عمر بن داود بن زَاذَان . وجَدُّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفّان . وكان عمر مهندسا . وأخذ الغناء عنه حَكَمٌ وذووه من أهل وادى القُرَى . وكان قدم الى الحَرَم فأخذ من غناء أهله فحذِق وصنع فأجاد وأتقن . وكان طيِّبَ الصوت شجيَّه مُطرِبًا . وكان أوّلَ من غنّى من أهل وادى القُرَى ، واتصل بالوليد بن يزيد فى أيام إمارته فتقدّم عنده جدّا ، وكان يسمّيه جامع لَذّاتى[1] ومُحْيِى طربى . وقُتل الوليد وهو يغنّيه ، وكان آخرَ عهده به من الناس . وفى عمر يقول الوليد بن يزيد وفيه غناء :

صــــوت

١٤٢ / ٦

إنّنى فكّرتُ فى عمـــرٍ * حين قال القولَ فاختلجا

إنّـــه للمستنيـــر به * قمر قد طمّس السُّرُجا

ويغنّى الشـــعر ينظمُه * سيّدُ القوم الذى فلَجا

أكمَلَ الوادىُّ صـــنعتَه * فى لُباب الشعر فاندمجا

الشعر للوليد بن يزيد . والغناءُ لعمر الوادى هَزَج خفيفٌ بالبنصر فى مجراها .

كان الوليد يقدّمه على المغنين

أخبرنى الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان عمر الوادى يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنّين عند الوليد بن يزيد ، فلا يمنعه حضورُهم من تقديمه والإصغاءِ اليه والاختصاصِ له . وبلغنى أنه كان

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « لذتى » بالافراد . وقد وردت هذه الكلمة بعد ذلك مختلفة فى المواضع التى ذكرت فيها .

لا يضرب و إنما كان مرتجلا، وكان الوليد يسمّيه جامعَ لذّاتى . قال : و بلغنى أن حَكَما الوادىّ وغيره من مُغَنِّى وادى القُرى أخذوا عنه الغناء وآنتحلوا أكثرَ أغانيه .

غضب الوليد على أبي رقية فاسترضاه عنه

قال إسحاق وحدّثنى عبد السلام بن الرّبيع :

أنّ الوليد بن يزيد كان يومًا جالسا وعنده عمر الوادى وأبو رُقَيّة، وكان ضعيفَ العقل وكان يُمسك المصحفَ على أمّ الولِيد ؛ فقال الوليد لعمر الوادى وقد غنّاه صوتا : أحسنتَ والله ، أنت جامع لذّاتى، وأبو رقيّة مضطجعٌ وهم يحسَبونه نائما، فرفع رأسه الى الوليد فقال له : وأنا جامع لذّات أمّك ؛ فغضب الوليد وهمّ به ؛ فقال له عمر الوادى : جعلنى الله فداك ! ما يَعقِل أبو رقيّة وهو صاح ، فكيف يعقل وهو سكران ! فأمسك عنه .

سمع غناء من راع خلده عنه ومدحه

قال إسحاق : وحُدِّثتُ عن عمر الوادى قال : بينا أنا أسير ليلةً بين العَرْج[1] والسُّقْيا سمعت إنسانا يغنّى غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ منه وهو : ١٠

صـــوت

وكنتُ اذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضها * أرى الأرضَ تُطْوَى لى و يدنو بعيدُها

من الخَفِـراتِ البِيضِ وَدّ جليسُها * اذا ما آنقضتْ أُحْدوثةٌ لو تُعيدها

فكدت أسقط عن راحلتى طربًا ؛ فقلت : والله لألتمسنّ الوصولَ الى هذا الصوت ولو بذهاب عضوٍ من أعضائى حتى هبَطتُ من الشّرَف[2] ، فاذا أنا برجل يرعى غنمًا واذا هو صاحب الصوت، فأعلمتُه الذى أقصدنى اليه وسألتُه إعادتَه علىّ ؛ فقال : والله لو كان عندى قِرًى ما فعلتُ ، ولكنى أجعله قِراك، فربما ترنّمتُ به ١٥

(١) العرج : عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج تذكر مع السقيا . (٢) الشرف : المكان العالى .

وأنا جائعٌ فأشبع ، وكسلانُ فأَنْشَط ومستوحِشٌ فآنَس ، فأعاده علىّ مرارا حتى أخذته ، فوالله ما كان لى كلام غيرُه حتى دخلت المدينة ، ولقد وجدتُه كما قال .
حدّثنى بهذا الخبر الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى المؤمَّل ابن طالوت الوادىّ قال حدّثنى مَكين العُذْرىّ قال : سمعت عمر الوادىّ يقول :
٥ بينا أنا أسير بين الرَّوْحاء والعَرْج[1]، ثم ذكر مثله ، وقال فيه : فربما ترنّمتُ به وأنا غَرْثانُ فيُشْبِعنى ، ومستوحِشٌ فيؤنِسنى ، وكسلانُ فينشّطنى . قال : فما كان زادى حتى ولَجْتُ المدينةَ غيره[2]، وجرّبتُ ما وصفه الراعى فيه فوجدته كما قال .

١٤٣
٦

نسبة هذا الصوت

صوت

١٠ لقد هَجَرتْ سُعْدَى وطال صدودُها * وعاوَد عَيْنى دمْعُها وسهودُها
وكنتُ اذا ما زرتُ سُعْدَى بأرضها * أرى الأرضَ تُطْوَى لى ويدنو بعيدُها
منعَّمَةٌ لم تَلْقَ بؤسَ معيشةٍ * هى الخُلْدُ فى الدنيا لمن يَستفيدُها
هى الخُلْدُ ما دامتْ لأهلك جارةً * وهل دام فى الدنيا لنفس خلودُها

الشعر لكثيّر . والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ مطلَق بالبنصر عن يحيى المكىّ .
١٥ وذكر الهشامىُّ أنّ فيه ليزيد حَوْراء ثانىَ ثقيل . وفيه خفيفُ رَمَل يُنْسَب الى عمر الوادى ، وهو بعضُ هذا اللحن الذى حكاه عن الراعى ولا أعلم لمن هو . وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ لكثيّر سائرُها فى الغزل وهى من جيّد غَزَلِه ومختارِه . وتمامُ الأبيات بعد ما مضى منها :

(١) الروحاء : موضع بين مكة والمدينة ، أوّل من سماها بذلك تبع ، قال ابن الكلبىّ : لما رجع
٢٠ تبع من قتال أهل المدينة يريد مكة نزل بالروحاء فأقام بها وأراح فسماها الروحاء ، وقيل فيها غير ذلك . (انظر ياقوت فى الكلام عليها) . (٢) فى أ ، ء ، م : «غيرها» .

فتلك التى أصفيتُها بمودّتى * وليدًا ولمّا يَسْتَبِنْ لى نهودُها
وقد قتلتْ نفسًا بغير جَرِيرة * وليس لها عَقْل[1] ولا من يُقِيدُها
فكيف يَودّ القلبُ من لا يودّه * بلى قد تُريد النفسُ من لا يُريدها
ألا ليت شِعرى بعدنا هل تغيّرتْ * عن العهد أم أمست كعهدى عهودُها
اذا ذكرتْها النفسُ جُنّتْ بذكرها * وريعتْ وحَنّتْ وٱستُخِفّ جَلِيدها
فلو كان ما بى بالجبال لَهَدّها * وإن كان فى الدنيا شديدا هُدُودُها
ولستُ وإن أُوعِدتُ فيها بمُنْتَهٍ * وإن أُوقِدَتْ نارٌ فشَبّ وَقُودها
أَبيتُ نجيًّا للهموم مُسَهَّدًا * اذا أُوقِدتْ نحوى بليل وَقُودها[2]
فأصبحتُ ذا نفسين نفس مريضة * من اليأس ما ينفكّ همٌّ يعودُها
ونفس اذا ما كنتُ وحدى تقطّعتْ * كما ٱنسلّ من ذات النّظام فريدُها
فلم تُبْدِ لى يأسا ففى اليأس راحة * ولم تُبْدِ لى جُودا[3] فينفع جودُها

أخذ من الوليد خاتم ياقوت بصوت ٱقترحه عليه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب ابن عَبَاية قال :

قال عمر الوادى : خرج الىّ الوليد بن يزيد يومًا وفى يده خاتم ياقوتٍ أحمر قد كاد البيت يلتمع من شُعَاعه؛ فقال لى : ياجامعَ لذّتى، أتحبّ أن أهَبَه لك؟ قلت : نعم والله يا مولاى؛ فقال : غنّ فى هذه الأبيات التى أُنْشِدك فيها وٱجْهَدْ نفسَك، فإن أصبتَ إرادتى وهبتُه لك؛ فقلت : أجتهد وأرجو التوفيق .

(١) العقل : الدية . وأقاد القاتل بالقتيل : قتله به . (٢) كذا بالأصول ولعله : «إذا أوقدت ... وقودها» ، بالفاء فى الكلمتين . (٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : «تبذل» ، بالذال المعجمة .

١٠ ١٥ ٢٠

صـــوت

ألا يُسليكَ عن سَلْمَى * قَتِــيرُ[1] الشَّيب والحِلْمُ
وأنّ الشــكّ ملتبِسٌ * فلا وصلٌ ولا صُرْمُ
فــلا والله ربِّ النــا * س مالك عندنا ظُلْمُ
وكيف بظلم جاريةٍ * ومنهــا اللِّين والرُّحْمُ[2]

فخلوتُ فى بعض المجالس ، فما زلتُ أُديره حتى آستقام ، ثم خرجتُ إليه وعلى رأسه وصيفةٌ، بيدها كأس وهو يروم [أن][3] يشربها[4] فلا يقدر خُمَارا؛ فقال: ما صنعتَ ؟ فقلتُ : فرَغتُ ممّــا أمرتَنى به ، وغنّيتُه ، فصاح : أحسنتَ والله! ووثَب قائمــا على رجليه وأخذ الكأس وآستدنانى فوضع يده اليسرى على متكئا والكأس فى يده اليمنى ؛ ثم قال لى : أعِذْ بأبى أنت وأُمّى ! فأعدتُه عليه فشرب ودعا بثانيــة[5] وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائمــا حتى كاد أن يسقط تعبا ؛ ثم جلس ونزع الخاتم والحُلّة التى كانت عليه ، فقال: والله العظيم لا تبرح هكذا حتى أَسْكَرَ؛ فما زلت أُعيده عليه ويشرب حتى مال على جنبه سكرًا فنام .

سبق عبد المطلب ابن عبد الله بينه وبين أشعب وأبى رقية فى وجز

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن غُرَيْر[6] بن طَلْحة الأَرْقَمى عن أبى الحَكَم عبد المطلب بن عبــد الله بن يزيد بن عبــد الملك قال : والله إنى لبآلعَقِيق فى قصر القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وعندى أشْعَبُ وعمر الوادى

١٤٤
٤

---

(١) القتير: أول ما يظهر من الشيب. (٢) كذا فى حـ واللسان (مادة رحم). وقد وردت فى سائر الأصول محرّفة . والرحم : العطف والرحمة . (٣) ليست بالأصول . (٤) فى الأصول : «يشربه» والكأس مؤنثة . (٥) فى الأصول : «بثان وثالث ورابع» . (٦) كذا فى ء وشرح القاموس وفيما تقدم من الأغانى (ج ٣ ص ٣٤٨ من هـذه الطبعة) . وفى سائر الأصول : «عزيز» وهو تصحيف .

وأبو رقيّة، إذ دعوتُ بدينار فوضعتُه بين يَدَىّ وسبّقتُهُموه فى رَجَزٍ فكان أوّلَ من خَسَقَ[1] عمرُ الوادى فقال :

أنا ٱبن داود أنا ابن زَاذَانْ * أنا ٱبن مولى عمرو بن عثمان[2]

ثم خَسَق أبو رقيّة فقال :

أنا ٱبن عامر القارى * أنا ٱبن أوّل أعجمى

تقدّم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خَسَق أشعبُ فقال :

أنا ابن أُمّ الخلنداج * أنا ٱبن المحرّشة بين أزواج

النبىّ صلى الله عليه وسلم . قال أبو الحَكَم : فقلت له : أى أخزاك الله، هل سمعتَ أحدا قطّ فَخَر بهذا ! فقال : وهل فخر أحدٌ بمثل فخرى! لولا أن أُمّى كانت عندهنّ ثقةً ما قَبِلْنَ منها حتى يغضَب بعضُهنّ على بعض. ١٠

(١) الخسق : الرمى بالسهم . وقد وردت هذه الكلمة على وجه الاستعارة لمقام الرهان الوارد فى هذه القصة . (٢) هذه الأرجاز الثلاثة ليست متزنة اتزانا عروضيا . ولعله كلام يقصد به الى الهزل والمزاح أكثر مما يقصد به الى الجد . لأن أشعب لم يعرف عنه أنه كان شاعرا بل كان مزاحا صاحب نوادر، وأبو رقية رجل ضعيف العقل، وعمر مغن وليس بشاعر .

أخبار أبي كامل

اسمُه الغُزَيِّل، وهو مولى الوليد بن يزيد، وقيل : بل كان مولى أبيه، وقيل: بل كان أبوه مولى عبد الملك . وكان مغنّيا محسنا وطيِّبا مضحكا . ولم أسمع له بخبر بعد أيام بنى أميّة؛ ولعلّه مات فى أيامهم أو قُتل معهم .

كان مغنيا محسنا مضحكا

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنىّ : أن أبا كامل غنّى الوليدَ بن يزيد ذات يوم فقال :

غنى الوليد وأطربه فخلع عليه قلنسيته

صــــوت

نام من كان خليًّا من ألَمْ ❊ وبــــدانى بثٌّ ليــلى لم أنَمْ

أرقُب الصبـحَ كأنى مُسْـتَدٌّ ❊ فى أكفّ القوم تَغْشانى الظُّلَمْ

إنّ سـلمى ولنـا من حبّهـا ❊ دِيْدَنٌ فى القلب ما اخضرّ السَّلَمْ

قــد سَـبتْنى بشَتيت نَبْتُــه ❊ وثـنايا لم يَعِبْهنّ قَضَـمْ(1)

قال فطرِب الوليد وخلَع عليه قَلَنْسِيةَ وَشْيٍ(2) مُذْهَبَـة كانت على رأسـه . فكان أبو كامل يصونها ولا يلبَسها إلا من عيـد الى عيـد ويمسَحها بكمّه ويرفعها ويبكى ويقول : إنما أرفعها لأنى أجِدُ منها ريح سيّدى (يعنى الوليد) .

الغِناء فى هذا الصوت هَزَج بالوسطى ، نسبه عمرو بن بانة إلى عمر الوادى ، ونسبه غيرُه إلى أبى كامل، وزعَم آخرون أنه لحَكَم، هكذا نسبه ابنُ المكىّ إلى حكم وزعم أنّه بالبنصر .

---

(1) القضم : انصداع فى السن ، وقيل : تكسر وتأكل فى أطراف الأسنان . (2) كذا فى أ ، م ، ء . وفى سائر الأصول : « وخلع عليه حتى قلنسية وشى الخ » .

١٤٥ / ٦

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى الأصمعىّ عن صفوان بن الوليد المُعَيْطِىّ قال :

غنّى أبو كامل ذات يوم الوليدَ بن يزيد فى لحنٍ لابن عائشة، وهو :

جنّبانى أذاةَ كلّ لئيم * إنّه ما علمتُ شرُّ نديم

فخلَع عليه ثيابَه كلَّها حتى قَلَنْسِيَتَه . ثم ذكر باقى الخبر مثل الذى تقدّمه؛ وزاد فيه أنه أوصى أن تُجعل فى أكفانه . وللوليد فى أبى كامل أشعار كثيرة . فمنها ممّا يغنّى به :

للوليد فيه أشعار كثيرة

صوت

سقَيْتُ أبا كاملٍ * من الأصفر البابِلِى

وسقَّيتُها معبدًا * وكلَّ فتًى فاضلِ

١٠

وقال أيضا فيه :

وزِقٍّ وافر الجنبيـ * ـن مثل الجمل البازلْ

به رُحْتُ إلى صَحْبى * ونَدمانِى أبى كاملْ

شرِبناه وقد بِتْنا * بأعلى الدَّيْر بالساحِلْ

ولم تَقْبَل من الواشى * قبولَ الجاهل الخاطلْ

١٥

الغناءُ لأبى كامل خفيفُ رملٍ بالوسطى . وذكر الهشامىّ أنه ليحيى المكىّ وأنه نُحِلَه أبو كامل . وذكر أن لعمر الوادىّ أو لحَكَمٍ فيه رَمَلًا بالوسطى وهو القائم .

وأخبرنى أبو الحسن محمد بن إبراهيم قريش رحمه الله أنّ لِيَنْشُو فيه خفيفَ رملٍ .

ومنها في قول الوليد :

صوت

سَقَيْتُ أبا كاملٍ * من الأصفر البابلي

وسقّيتُها معبدًا * وكلَّ فتًى فاضل

لِيَ المحضُ من ودّهم * ويَغْمُرهم نائلي

٥ وما لامني فيهمُ * سوى حاسدٍ جاهل

فيه هَزَجٌ يُنسب إلى أبي كامل وإلى حكم . وفيه لِيَنْشُو ثقيلٌ أوّل . أخبرني بذلك قريشٌ ووجه الرُّزّة جميعا .

كان المعتضد يمدح شعر الوليد ويقول : فيه شمائل الملوك

وأخبرني قريش عن أحمد بن أبي العلاء قال :

١٠ كان للمعتضد عليَّ صوتانِ من شعر الوليد، أحدهما :

سَقَيْتُ أبا كاملٍ * من الأصفر البابلي

والآخر :

إن في الكأس لمسكًا * أو بكَفَّيْ من سقاني

وكان يُعجَب بهما ويقول لجلسائه : أمَا تَرَوْن شمائل الملوك في شعره! ما أبْيَنَها[1] :

١٥ لِيَ المَحْضُ من ودّهم * ويغمُرهم نائلي

وحين يقول :

كلّلاني توّجاني * وبشعري غنّياني

وقد نُسِب إلى الوليد بن يزيد في هذه المائة الصوت المختارة شعرُ صوتين ؛ لأن ذكر سُلَيْمى في أحدها، ولأن الصنعة في الآخر لأبي كامل[2]؛ فذكرتُ من ذلك

٢٠ ها هنا صوتين، أحدهما[3] :

(١) الكلام هنا ناقص ولعله : «ما أبينها في قوله أو حين يقول ... الخ» . (٢) أبو كامل كان مغني الوليد . (٣) ذكر المؤلف الصوت الآخر في أخبار إسماعيل بن الهربذ وهو :

امدح الكأس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش

إنما الكأس ربيع باكر * فاذا ما غاب عنا لم نعش

١٤٦
٦

صـــوت

من المـائة المختـارة

سُلَيْمى تلك فى العِــير (١) * قِفى نُخْبِرْكِ أو سِيرى

إذا ما أنتِ لم تَرْثِى * لصَبٍّ القلب مغمورِ

فلمـا أن دنا الصبحُ * بأصـواتِ العصافير

خرجنا نُتْبِع الشمسَ * عيــونًا كالقَوارير

وفينـا شادنٌ أحْــوَ * رُ من حُور اليَعافير (٢)

الشعر ليزيد بن ضَبّة . والغناء فى اللحن المختار لإسماعيل بن الهِرْبِذ، ولحنه رَمَلٌ مطلَق فى مجرى الوسطى . هكذا ذكر إسحاق فى كتاب شجا لابن الهربذ، وذكر فى موضع آخر أن فيه لحنًا لابن زُرْزُور الطائفى رملا آخر بالسبّابة فى مجرى البنصر. وذكر إبراهيم أن فيه لحنًا لأبى كامل ولم يجنّسه . وذكر حبش أن فيه لعَطَرَّد هَزَجًا بالوسـطى .

١٠

(١) العير : القافلة . (٢) اليعافير : الظباء، واحدها يعفور .

أخبار يزيد بن ضَبّة ونسبه

نسبه وولاؤه وانقطاعه الى الوليد ابن يزيد

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهَيْثم قال حدّثنى أحمد بن الهَيْثم عن الحسن بن إبراهيم بن سَعْدان عن عبد العظيم بن عبد الله بن يَزيد بن ضَبّة الثَّقَفىّ قال :

كان جدّى يزيد بن ضَبّة مولًى لثَقيف . واسم أبيه مِقْسم ؛ وضَبّةُ أُمّه غلبَتْ على نسبه ؛ لأن أباه مات وخلّفه صغيرا ، فكانت أُمّه تحضُن أولاد المُغيرة بن شُعْبة ثم أولاد آبنه عُرْوة بن المغيرة ، فكان جدّى يُنسب إليها لشهرتها . قال : وولاؤه لبنى مالك بن حُطَيْط ثم لبنى عامر بن يَسَار . قال عبد العظيم : وكان جدّى يزيد ابن ضَبّة منقطعًا الى الوليد بن يزيد فى حياة أبيه متصلا به لا يفارقه . فلما أفضت

أراد أن يهنئ هشاما بالخلافة فردّه لانقطاعه للوليد وشعره فى ذلك

الخلافة الى هشام أتاه جدّى مهنّئا بالخلافة . فلما آستقرّ به المجلس ووصلت اليه الوفود وقامت الخطباء تُثنى عليه والشعراء تمدحه ، مَثَل جدّى بين السِّماطين فآستأذنه فى الإنشاد ، فلم يأذَن له ، وقال : عليك بالوليد فآمدحه وأنشِدْه ، وأمر بإخراجه . وبلغ الوليدَ خبرُه ، فبعث إليه بخمسمائة دينار ، وقال له : لو أمِنتُ عليك هشاما لما فارقتَنى ، ولكن اخرج الى الطائف ، وعليك بمالى هناك ؛ فقد سوّغتُك جميعَ غلّته ، ومهما آحتجتَ إلىّ[1] من شىء بعد ذلك فآلتمسْه منّى . فخرج الى الطائف ، وقال يذكر ما فعله هشام به :

أرَى سلمى تَصُدّ وما صدَدْنا * وغيرَ صدودها كنّا أرَدْنا
لقد بخِلتْ بنائلها علينا * ولو جادت بنائلها حَمِدنا
وقد ضنّت بما وعدتْ وأمستْ * تغيَّرُ عهدَها عمّا عَهِدنا

(١) فى ب ، س ، حـ : « اليه » .

ولو علمتْ بما لاقيتُ سلمى * فتُخبرنى وتعلم ما وجدنا
تُلِمّ على تنائى الدار منّا * فيُسهرنا الخيال إذا رقَدْنا
ألم تَرَ أننا لمّا وَلِينا * أمورًا خُرِّقت فوهَتْ سَدَدنا
رأينا الفَتْق حين وهَى عليهم * وكم من مثله صَدْع رَفَأْنا
اذا هاب الكريهةَ من يَلِيها * وأعظمها الهَيُوبُ لها عَمَدنا
وجبّارٍ تركناه كَلِيلا * وقائدِ فتنةٍ طاغٍ أَزَلْنا
فلا تنسَوْا مواطِنَنا فإنّا * إذا ما عاد أهل الجُرم عُدْنا
وما هِيضتْ مَكاسِرُ من جبرْنا * ولا جُبِرتْ مصيبةُ من هدَدْنا
ألَا من مُبلِغٌ عنّى هشاما * فما منّا البَلاءُ ولا بَعُدْنا
وما كنّا الى الخلفاء نُقْصَى * ولا كنّا نؤخَّر إن شَهِدنا
ألم يك بالبلاء لنا جَزاءٌ * فنُجْزَى بالمحاسن أم حُسِدنا
وقد كان الملوك يرَوْن حقًّا * لوافدنا فنُكْرَمُ إن وفَدْنا
ولِينا الناسَ أزمانًا طِوالا * وسُسْناهم ودُسْناهم وقُدْنا
ألم تَرَ من ولَدْنا كيف أشْبَى[1] * وأشْبَيْنا وما بهمُ قعَدْنا
نكون لمن ولدْناه سماءً * إذا شِيمتْ مَخايِلُنا رعَدنا
وكان أبوك قد أسدى الينا * جسيمةَ أمره وبه سَعِدنا
كذلك أوّلُ الخلفاء كانوا * بنا جَدّوا كما بهم جدَدْنا
هُمُ آباؤنا وهُمُ بنونا * لنا جُبِلوا كما لهمُ جُبِلنا
ونَكْوِى بالعداوة من بَغانا * ونُسْعِد بالمودّة من وَدِدْنا

(١) أشبي الرجل : ولد له ولد ذكى . قال ذو الإصبع العدوانى :
وهم إن ولدوا أشبوا * بسرّ الحسب المحض

نرى حقًّا لسائلنا علينا * فنحبوه ونُجزل إن وعدنا

ونضمن جارَنا ونراه منّا * فنرفِدُه فنُجزل إن رفَدْنا

وما نعتدّ دون المجد مالًا * إذا يُغلَى بمكرُمةٍ أفَدْنا

وأتلَدُ مجدِنا أنّا كرامٌ * بمجد المَشْرِقيّة عنه ذُدْنا

هنأ الوليد بالخلافة فأعطاه لكل بيت ألف درهم

قال : فلم يزل مقيمًا بالطائف الى أن وَلِى الوليدُ بن يزيد الخلافةَ ، فوفَد اليه . فلما دخل عليه والناسُ بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنّأه بالخلافة ؛ فأدناه الوليد وضمّه اليه ، وقبّل يزيدُ بن ضَبّة رجليه والأرضَ بين يديه ؛ فقال الوليد لأصحابه : هذا طريدُ الأحول لصُحْبته إيّاى وانقطاعه الىّ . فاستأذنه يزيد فى الإنشاد وقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا اليومُ الذى نهانى عمُّك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغتُه بعد يأس، والحمد لله على ذلك . فأذن له ، فأنشده :

سُلَيمى تلك فى العِيرِ * قِفِى أسألْك أو سيرى

إذا ما بنتِ لم تأوِى * لصَبّ القلبِ مَغْمورِ

وقد بانت ولم تَعْهَد * مهاةٌ فى مَهًا حُورِ

وفى الآل(١) حُمولُ الحىّ تُزْهَى كالقَراقير(٢)

يُواريها وتبدو منـ * ـه آلٌ(٣) كالسَّمادير(٤)

(١) الآل هنا : السراب ، وقيل : الآل هو الذى يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض يرفع الشخوص ويزهاها . فأما السراب فهو الذى يكون نصف النهار لاطئا بالأرض كأنه ماء جار . فالآل من الضحى الى زوال الشمس والسراب بعد الزوال الى العصر . (٢) كذا فى أ ، ء ، م ، وكذلك صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطى بنسخته . والقراقير : السفن العظيمة أو الطويلة . وفى ب ، س ، حـ : « كالقوارير » . (٣) الآل هنا : الشخوص التى تظهر فى الآل (بالمعنى السابق) .
(٤) كذا فى أكثر النسخ . والسمادير : الأشياء التى تتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب وغشى النعاس والدوار . قال الكميت :

ولما رأيت المقربات مذالة * وأنكرت إلا بالسمادير آلها

وفى ب ، س : « كالشماذير » بالشين والذال المعجمتين ، وهو تصحيف .

وتطفو حين تطفو فيـ * ـه كالنّخل المَواقير (١)
لقد لاقيتُ من سَلْمَى * تباريحَ التّناكير (٢)
دعتْ عينى لها قلبى * وأسبابُ المقادير
وما إنْ مَنْ به شيبٌ * إذا يصبو بمعذور
لسلمى رسمُ أطلالٍ * عفتْها الرّيحُ بالمُور (٣)
خَرِيقٌ تَخَل التُّرْبَ * بأذيال الأعاصير (٤)
فأوْحَشَ إذ نأتْ سلمى * بتلك الدُّور من دُور
سأرمى قانصاتِ البِيـ * ـد إن عِشْتُ بعسبور (٥)
من العِيس شَجَوْجاةٍ * طواها النِّسْعُ بالكُور (٦)
إذا ما حقبٌ منها * قررناه بتَصْدير (٧)
زجرْنا العيسَ فارقَدّتْ * بإعصاف وتَشْمير (٨)
تُقاسيها على أيْن * بإدلاجٍ وتهجير (٩)

(١) المواقير: جمع ميقار. والنخلة الميقار كالموقرة: التى عليها حمل ثقيل. (٢) التباريح: الشدائد. وهو من الجموع التى لا مفرد لها. والتناكير: الأمور المنكرة. (٣) المور: الغبار المتردّد. وهو أيضا تراب تثيره الريح. (٤) الخريق: الريح الشديدة الهبوب. (٥) العسبور: الناقة الشديدة. (٦) الشجوجاة: الطويلة جدّا. وقيل: الطويلة الرجلين. وقيل: الطويلة الظهر. والنسع: سير مفتول يشدّ به الرحل. والكور: الرحل. (٧) الحقب: حبل يشدّ به الرحل فى بطن البعير مما يلى ثيله (وعاء قضيب البعير) لئلا يؤذيه التصدير أو يجتذبه التصدير فيقدّمه. والتصدير: الحزام، وهو فى صدر البعير، والحقب عند الثيل. (٨) الارقداد: سرعة السير. وفى ب، س: «فأرتدت» وهو تصحيف. والإعصاف: الإسراع فى السير. والتشمير: الجدّ فى الأمر والاجتهاد فيه. (٩) الإدلاج: السير فى الليل. والتهجير: السير فى الهاجرة.

إذا ما اعْصَوْصَبَ الآلُ[1] * ومال الظِّلُّ بالقُورِ
وراحت تَتَّقِي الشمسَ * مطايا القوم كالعُور
إلى أن يُفْضِحَ الصبحُ[2] * بأصوات العصافير
لِتَعْتامَ[3] الوليدَ القَرْ * مَ أهلَ الجود والخير
كريمٌ يَهَبُ البُزْلَ * مع الخُورِ[4] الجَرَاجِير
تُراعِي حين تُزْجيها * هَوِيًّا[5] كالمزامير
كما جاوبَتِ النِّيبُ * رِبَاعَ[6] الخُلُج الخُور
ويُعطِي الذهبَ الأحمـ * ـرَ وَزْنًا بالقناطير
بَلَوْناه فأحمدنا * ه في عُسْرٍ وميسور
كريمُ العُود والعُنْصـ * ـرِ غَمْـرٌ غير منزور
له السَّبْق إلى الغايا * ت في ضَمِّ المَضَامير
إمامٌ يُوضِح الحقَّ * له نور على نور
مقالٌ من أخي وُدٍّ * بحفظ الصدق مأثور
بإحكام وإخلاص * وتفهيم وتَحْبير

قال : فأمر الوليدُ بأن تُعَدّ أبيات القصيدة ويُعطَى لكل بيت ألفَ درهم ؛ فعُدَّتْ فكانت خمسين بيتا فأُعْطِيَ خمسين ألفا . فكان أوّلَ خليفة عَدّ أبياتَ الشعر

---

(١) اعصوصب : اشتد . والآل : السراب . والقور : جمع قارة وهى الجبيل المتقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة . (٢) أفضح الصبح : بدا . وفى حـ : « يفصح » بالصاد المهملة . (٣) اعتام : اختار واصطفى . يريد : تقصد اليه مختارة له . (٤) الخور : النوق الغزيرة اللبن . والجراجير : الكرام من الإبل . (٥) الهوىّ : الدوىّ فى الأذن . (٦) الرباع : جمع ربع (بضم ففتح) وهو ما ولد من الإبل فى أول النتاج . والخلوج : الناقة الكثيرة اللبن التى تحنّ الى ولدها .

وأعطى على عددها لكل بيت ألفَ درهم ؛ ثم لم يفعل ذلك إلّا هارون الرشيد ، فإنه بلغه خبر جدّى مع الوليد فأعطى مروانَ بن أبى حَفْصة ومنصورًا النَّمَرِىّ لمّا مدحاه وهَجَوا آلَ أبى طالب لكل بيت ألفَ درهم .

أمره الوليد بمدح فرسه السندى وكانا قد خرجا الى الصيد

قال عبد العظيم وحدّثنى أبى وجماعةٌ من أصحاب الوليد :

أنّ الوليد خرج الى الصيد ومعه جدّى يزيد بن ضَبّة ، فاصطاد على فرسه السِّنْدىّ صيدا حسنا ، ولحِق عليه حمارًا فصرعه ؛ فقال لجدّى : صِفْ فرسى هذا وصيدَنا اليوم ؛ فقال فى ذلك :

١٤٩ / ٦

وأحْوَى سَلِسُ المَرْسِن مثلُ الصَّدَعِ الشَّعَبِ(١)
سما فوق مُنِيفَاتٍ * طِوالٍ كالقَنَا سُلْبِ(٢)
طويلُ الساق عُنْجُوجٌ * أشَقُّ أصمعُ الكَعْبِ(٣)
على لَأْمٍ أصمَّ مُضَمَّ * رِ الأَشْعَرِ كالقَعْبِ(٤)
تَرَى بين حَوامِيه * نُسُورًا كنَوَى القَسْبِ(٥)
مُعَالًى شَنِجُ الأَنْسا * ءِ سامٍ جُرْشُعُ الجَنْبِ(٦)

(١) المرسن : الأنف . والصدع : الفتىّ الشاب القوىّ من الأوعال والظباء . والشعب (بالتحريك) : تباعد ما بين القرنين فهو وصف بالمصدر . وسكن للضرورة . (٢) الرمح السلب (ككتف) : الطويل والجمع سلب (بضمتين) . قال الشاعر :

ومن ربط الجحاش فان فينا * قنا سلبا وأفراسا حسانا

ويجوز فيه التخفيف بتسكين عينه كما هنا . (٣) العنجوج : الرائع من الخيل . والأشق : الطويل . والصمع فى الكعوب : لطافتها واستواؤها . (٤) اللام : الشديد من كل شىء ، ومن الحوافر : أشدّها . يريد : على حافر شديد صلب . والأشعر : ما استدار بالحافر من منتهى الجلد حيث تنبت الشعيرات حول الحافر . والقعب : القدح الصغير يشبه به الحافر . (٥) الحوامى : ميامن الفرس ومياسره . والنسر : لحمة صلبة فى باطن الحافر كأنها حصاة أو نواة . والقسب : تمر يابس يتفتت فى الفم صلب النواة . (٦) الأنساء : جمع نسا وهو عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر . وفرس شنج النسا : متقبضه ، وهو مدح له . وجرشع الجنب : منتفخه .

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

طَـوَى بين الشَّراسِيف * الى المَنْقَب فالقُنُب (١)

يغـوص اللحمَ القـائِ * ـمَ ذو حَـدٍ وذو شَغَب

عَتِيدُ الشَّــدِّ والتَّقْريـ * ـبِ والإحْضار والعَقْب (٢)

صليبُ الأُذْنِ والكاهـ * ـلِ والمَوْقِف والعَجْب (٣)

عريضُ الخـدِّ والجَبْهـ * ـة والبِرْكَة والهُلْب (٤)

إذا ما حَثَّـه حاثٌ * يُبارِى الرِّيحَ فى غَرْب (٥)

وإن وجَّهْـه أَسْر * ع كالخُذْرُوف فى الثَّقْب (٦)

وقَنَّاهُنَّ كالأَجْـدَ * لِ لما انضمّ للضَّرْب

ووالَى الطعنَ يختار * جَوَاشِنَ بُدَّنٍ قُبّ (٧)

تَرَى كلَّ مُـدِلٍّ قا * ئما يَلْهَثُ كالكلب (٨)

كأن المـاء فى الأعطا * ف منـه قِطَعُ العُطْب (٩)

كأن الدّمَ فى النَّحْـر * قَـذَالٌ عُلَّ بالخَضْب

يَزِينُ الدارَ موقوفًا * ويَشْفِى قَـرَمَ الرَّكْب (١٠)

---

(١) الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التى تشرف على البطن . والمنقب (كمقعد) : الموضع الذى ينقبه البيطار من بطن الدابة . والقنب : جراب قضيب الدابة . (٢) يقال : فرس عتيد : شديد الخلق معدّ للجرى . والتقريب : ضرب من العدو ، وهو أن يرفع يديه معا و يضعهما معا وهو دون الإحضار . والعقب : الجرى يجىء بعد الجرى الأوّل . (٣) الموقفان من الفرس : نقرتا الخاصرة على رأس الكلية . والعجب : أصل الذنب عند رأس العصعص . (٤) البركة : الصدر . والهلب : شعر الذنب . وفى الأصول : « اللهب » وهو تحريف . (٥) غرب الفرس : حدّته ونشاطه . (٦) الخذروف : شىء يدوّره الصبيّ بخيط فى يده فيسمع له دوىّ . (٧) الجواشن : الصدور . (٨) المدل : الجرىء . (٩) العطب : القطن . (١٠) القرم : الشهوة الى اللحم . وفى ب ، سـ : « قدم » بالدال المهملة ، وهو تحريف .

قال : فقال له الوليد: أحسنت يا يزيد الوصفَ وأجدته، فاجعل لقصيدتك تشبيبًا وأَعْطِه الغُزَيِّل وعمر الوادى حتى يغنيًا فيه، فقال :

صـــوت

إلى هنـــدٍ صـبا قلبى * وهنـــدٌ مثلُهـا يُصْبِى
وهنـــدٌ غادةٌ غَيْـداءُ * من جُرْثومةٍ غُلْبِ (١)
وما إنْ وجَد النـاسُ * من الأدواء كالحبِّ
لقـد لَجَّ بهـا الإعرا * ضُ والهجـرُ بلا ذنب
ولمّـا أقْضِ من هنـدٍ * ومن جاراتهـا نَحْبِى (٢)
أرى وجدِى بهنـدٍ دا * ئمـا يَزْداد عن غِبِّ (٣)
وقـد أطْوَلْتُ (٤) إعراضًا * وما بغضُهمُ طِـبِّى (٥)
ولكن رِقْبَـةُ (٦) الأعـيُـن قد تحجُز ذا اللُّبِّ
ورَغْمُ (٧) الكاشـح الراغ * م فيها أيْسَرُ الخَطْبِ

قال : ودفَع هذه الأبيات الى المغنّين فغنّوه فيها .

(١) الجرثومة : الأصل . والغلب : جمع أغلب ، وهو فى الأصـل الغليظ الرقبة ، وهم يصفون السادة أبدا بغلظ الرقبة وطولها . (٢) النحب : الحاجة . (٣) الغب : قلة الزيارة .
(٤) أطول كأطال ، أنشد سيبويه :

صددتِ فأطولتِ الصدود وقلما * وصال على طول الصـدود يدوم

(٥) الطب هنا : الشأن والعادة . (٦) كذا فى ء ، أ . وفى سائر الأصول : «رقية» بالياء المثناة ، وهو تصحيف . (٧) فى أ ، ء ، م : «زعم» بالزاى والعين المهملة .

كان فصيحا يطلب الحوشيّ من الشعر

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِيّ قال حدّثنا الرِّيَاشيّ عن الأصمعيّ، وحدّثني به محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعيّ قال :

كان يزيد بن ضَبّة مولى ثَقيف، ولكنّه كان فصيحًا، وقد أدركتُه بالطائف، وقد كان يَطلب القوافيَ المعتاصةَ والحُوشيّ من الشعر .

قال أهل الطائف إن له ألف قصيدة انحلتها شعراء العرب

قال أبو حاتم فى خبره خاصّة وحدّثنى غسّان بن عبد الله بن عبد الوهاب الثقفيّ عن جماعة من مشايخ الطائفيّين وعلمائهم قالوا : قال يزيد بن ضبّة ألفَ قصيدة، فاقتسمتها شعراء العرب وآنتحلتها، فدخلتْ فى أشعارها .

أخبار إسماعيل بن الهرْبِذ

ولاؤه، وقد غنى الوليد وعمر الى آخر أيام الرشيد

إسماعيل بن الهِرْبِذ مكيٌّ مولًى لآل الزُّبَير بن العَوّام، وقيل: بل هو مولى بنى كِنانة. أدرك آخرَ أيام بنى أميّة وغنّى للوليد بن يزيد، وعُمِّر الى آخر أيام الرشيد.

قدم على الرشيد وعنده بعض كبار المغنين فأطربه دونهم

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن عبد الله ابن أبى سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ عن أبيه:

ان إسماعيل بن الهِرْبِذ قدِم على الرشيد من مكة، فدخل اليه وعنده آبن جامع و إبراهيم وآبنه إسحاق وفُلَيْح وغيرُهم والرشيد يومئذ خاثِرٌ[1] به خُمَار شديد، فغنّى آبنُ جامع ثم فُلَيح ثم إبراهيم ثم إسحاق، فما حرّكه أحدمنهم ولا أطربه، فآندفع آبن الهِرْبِذ يغنّى، فعَجِبوا من إقدامه فى تلك الحال على الرشيد، فغنّى:

صـــوت

يا راكبَ العيس التى * وفدَت من البلد الحَرَامِ

قُل للإمام آبن الإما * م أخى الإمام أبى الإمام

زينِ البريّة إذ بدا * فيهم كمصباح الظلام

جعل الإلهُ الهِرْبِذيَّ فداك من بين الأنام

— الغناء لابن الهِرْبِذ رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو — قال: فكاد الرشيد يرقص، وآستخفّه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم. فقال له: يا أمير المؤمنين، إن لهذا الصوت حديثا، فإن أذن مولاى حدّثته به؛ فقال: حدِّث. قال: كنت مملوكا لرجل من ولد الزُّبير، فدفَع الىّ درهمين أبتاع

(١) خثرت نفسه: غثت واختلطت.

له بهما لحما ، فرُحْتُ فلقيتُ جاريةً على رأسها جَرّةٌ مملوءةٌ من ماء العَقيق[(١)] وهي تغنّي هذا اللحن في شعر غير هـذا الشعر على وزنه ورويّه؛ فسألتها أن تُعلّمنيه؛ فقالت : لا وحقِّ القبر[(٢)] إلّا بدرهمين؛ فدفعتُ اليها الدرهمين وعلّمتْنيه؛ فرجعت الى مولاي بغير لحم فضربني ضرباً مبرّحا شُغلتُ معـه بنفسي فأُنْسِيتُ الصوت . ثم دفـع اليّ درهمين آخرين بعـد أيام أبتاع له بهما لحما ؛ فلقِيَتْني الجـاريةُ فسألتُها أن تُعيـد الصوتَ عليّ؛ فقالت : لا والله إلا بدرهمين ؛ فدفعتُهما اليها وأعادته عليّ مرارًا حتى أخذتُه . فلمـا رجَعتُ الى مولاي أيضا ولا لحمَ معي قال : ما القصّة في هذين الدرهمين ؟ فصدَقتُه القصّةَ وأعَدْتُ عليه الصوت، فقبّل بين عينيّ وأعتقني . فرحلتُ[(٣)] اليك بهذا الصوت، وقد جعلتُ ذلك اللحن في هذا الشعر؛ فقال: دَع الأوّلَ وتَناسَه، وأقِمْ على الغناء بهذا اللحن في هـذا الشعر؛ فأمّا مولاك فسأدفع اليه بدل كلّ درهم ألفَ دينار؛ ثم أمر له بذلك فحُمل اليه .

١٥١ / ٦

شعر نسب الوليد وليس له

وممّا نُسب الى الوليد بن يزيد من الشعر وليس له :

صـــوت

من المـائة المختـارة

اِمدَح الكأسَ ومن أعْمَلها * واهْجُ قومًا قتـلونا بالعطشْ
إنما الكأس ربيعٌ باكـرٌ * فإذا ما غاب عنّا لم نَعِشْ

الشعر لنـابغة بني شَيْبان . والغناء لأبي كامل، ولحنُه المختار من خفيف الثقيل الثـاني بالوسطى ، وهو الذي تسمّيه النـاسُ اليومَ المـاخوريّ . وفيه لأبي كامل أيضا خفيفُ رمل بالبنصر عن عمرو . وذكر الهشاميّ أن فيه لمـالك لحنًا من الثقيل الأوّل بالوسطى، ولعمر الوادي ثاني ثقيل بالبنصر .

(١) العقيق : واد بناحية المدينة فيه عيون ونخيل. (٢) تريد قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(٣) في أ ، ء ، م : «فرحت» .

نسب نابغة بنى شَيْبان

نسبه، وهو شاعر بدوى أموى

النابغة اسمه عبد الله بن المُخَارِق بن سُلَيْم بن حضرة[1] بن قَيْس بن سِنَان بن حَمّاد ابن حارثة[2] بن عمرو بن أبى رَبيعة بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثَعْلبة بن عُكَابة بن صَعْب آبن علىّ بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلة بن أَسد آبن رَبيعة بن نِزار . شاعرٌ بدوىّ من شعراء الدولة الأُموية . وكان يفِد الى الشأم الى خلفاء بنى أميّة فيمدحهم ويُجْزِلون عطاءه . وكان فيما أرى نَصْرانيّا[3] لأنى وجدته فى شعره يَحلِف بالإنجيل والرُّهْبان وبالأيمان التى يحلف بها النّصارى . ومدَح عبدَ الملك بن مروان ومَنْ بعده مِنْ ولَده، وله فى الوليد مدائحُ كثيرة .

مدح عبد الملك لما هم بخلع أخيه وتولية ابنه العهد

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن سعد الكُرانىّ قال حدّثنى العُمَرىّ عن العُتْبىّ قال :

لما[4] همّ عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتَوْلِيةِ الوليدِ آبنِه العهدَ، كان نابغة بنى شيبان منقطعًا الى عبد الملك مَدّاحًا له؛ فدخل اليه فى يوم حَفْل والناسُ حواليه وولدُه قُدّامَه، فمَثَل بين يديه وأنشده قوله :

(١) كذا فى شرح القاموس (مادة نبغ) فى الكلام على نسب النابغة، وتجريد الأغانى فى ترجمته، وقد ورد فيه مضبوطا بالقلم بضم الحاء . وفى جميع الأصول : «حضيرة» بالحاء المهملة والضاد المعجمة . وفى ديوانه المخطوط بخط الأستاذ الشنقيطى : «خصيرة» بالخاء المعجمة والصاد المهملة .

(٢) كذا فى تجريد الأغانى وشرح القاموس وديوانه . وفى الأصول : «جارية» .

(٣) هذا ما رآه أبو الفرج . وقد ورد فى ديوانه ما يدل على أنه كان مسلما؛ فمن ذلك قوله فى قصيدته الرائية (ص ١٧ طبع دار الكتب المصرية) :

وتعجبنى اللذات ثم يعوجنى * ويسترنى عنها من الله ساتر
ويزجرنى الإسلام والشيب والتقى * وفى الشيب والاسلام للمرء زاجر

ويتجلى الروح الاسلامى فى كثير من شعره المذكور فى ديوانه .

(٤) فى الأصول : «وكان» .

أَشتقتَ (١) وآنهلَّ دمعُ عينك أنْ * أضحى قِفاراً من أهله طَلَحُ (٢)

حتى آنتهى الى قوله :

أزْحتَ عنّا آلَ الزبير ولو * كانوا هُمُ المالكين ما صلحوا

إن تَلْقَ بلْوَى فأنت مُصْطَبِرٌ * وإن تُلاقِ النُّعمى فلا فرح

ترمى بعينَىْ أقْنَى على شَرَف * لم يؤذه عائرٌ ولا لَخَح (٣)

آلُ أبى العاصِ آلُ مأثُرةٍ * غُرٌّ عِتَاقٌ بالخير قد نفَحوا

خيرُ قريش وهم أفاضلُها * فى الجِدّ جِدٌّ وإن هُمُ مَزَحوا

أرْحَبُها أذرُعاً وأصبرُها * أنتم إذا القوم فى الوَغَى كلَحوا (٤)

أمّا قريشٌ فأنتَ وارثُها * تكُفّ من صعبهم إذا طَمَحوا

١٠ حفِظْتَ ما ضَيّعوا وزَندَهم * أورَيْتَ إذ أصلدوا وقد قدحوا (٥)

آليتُ جَهْداً وصادقٌ قسمى * بربِّ عبدٍ تُجِنُّه الكُرَح (٦)

يَظَلّ يتلو الإنجيلَ يدرُسه * من خَشْية الله قلبُه طَفِح (٧)

---

(١) قد وردت هذه القصيدة باختلاف عما هنا فى ديوانه المطبوع بدار الكتب المصرية، فأثبتنا من الديوان ما رأيناه صوابا دون ما فى الأصول وأغفلنا ماعدا ذلك . (٢) طلح وذو طلح : موضع دون الطائف لبنى محرز، وقيل : موضع فى بلاد بنى يربوع . (٣) كذا ورد هذا البيت فى ديوانه . والأقنى : الصقر، سمى بذلك لقنا أنفه أى إرتفاع أعلاه واحديداب وسطه وسبوغ طرفه . والعائر : الرمد . واللخح : لصوق الأجفان بالرمص وهو وسخ أبيض جامد يلصق بالجفون . وفى الأصول :

١٥

ترمى بعينى أروى على شرف * لم يوده عائر ولا لحوا

والأروى : أنثى الوعول . ولم يظهر لنا فيه معنى واضح، فآثرنا رواية الديوان . (٤) كلحوا : تكشروا فى عبوس . (٥) كذا فى ديوانه . وأصلد الزند : قدحه ولم يور . وفى الأصول : « إن صلدوا وإن قدحوا » . (٦) كذا ورد هذا الشطر فى ديوانه . والكرح والأكيراح : بيوت صغار بأرض الكوفة تسكنها الرهبان . وفى الأصول : « لرب عبد الله ينصحوا » .

٢٠

(٧) رواية ديوانه : « قفح » بالقاف والفاء . وفسره الشقيطى بقوله : «قفح : وجع» .

لَابنُــك أولَى بمُــلك والده * ونجمُ من قد عصاك مُطَّرح
داود عَــدْلٌ فاْحكم بسيرته * ثم ابنُ حَرْب فإنّهــم نصَحوا
وهم خيارٌ فاْعمــل بســنّتهم * واْحىَ بخير واْكدَحْ كما كدَحوا

قال : فتبسّم عبــد الملك ولم يتكلم فى ذلك بإنذار[1] ولا دفع ، فعـلم الناس أنّ رأيه خلعُ عبد العزيز . و بلغ ذلك من[2] قول النابغة عبدَ العزيز ، فقال : لقد أدْخل اْبنُ النّصرانيّة نفسه مُدْخَلا ضيِّقًا فأوردها موردا خطرًا، وبالله علىّ لئن ظفِرتُ به لأخضِبنّ قدمَه بدمه .

هنأ يزيد بن عبد الملك بالفتح بعـد قتـل يزيد ابن المهلب

وقال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : لمـا قُتل يزيد بن المهلّب دخل النابغة الشّـيْبانىّ على يزيد بن عبد الملك بن مروان، فأنشده قولَه فى تهنئته بالفتح :

ألَا طال التنظُّــر والثَّــوَاءُ * وجاء الصيف واْنكشف الغطاءُ
وليس يُقيم ذو شَجَنٍ مُقيــمٍ * ولا يَمْضى اذا اْبتُغِى المَضَــاءُ
طَوَالَ الدهر إلّا فى كـتابٍ * ومقــدارٍ يُوافقــه القضــاءُ
فما يُعطَى الحريصُ غنًى لحِرْصٍ * وقــد يَنْمِى لذى الجــود الثَّرَاء
وكلُّ شــديدةٍ نزلتْ بحىٍّ * ســيتبعُها اذا اْنتهت الرَّخَاء

يقول فيها :

أؤُمُّ فــتًى من الأعياص مَلْكًا * أغرَّ كأنــ غُرّته ضِــياء
لأُسْمِعه غريبَ الشــعر مدحًا * وأُثنِى حيث يتّصــل الثنـاء
يزيد الخـير فهــو يزيد خيرًا * ويَنمِى كلّمـا اْبتُغِى النَّمَـاء
فَضَضتَ كتائبَ "الأزدىّ" فضًّا * بكبشك حينـ لفّهما اللقا

(١) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : « باقدار » ، وهو تحريف .
(٢) فى الأصول : « وقال » .

سَمَكْتَ⁽¹⁾ المُلْكَ مقتبَلًا جديدا * كما سُمِكَتْ على الأرض السماء
نرجّى أن تدوم لنا إماماً * وفى مُلك الوليد لنا رجاءُ
"هشامٌ" و"الوليدُ"⁽²⁾ وكلُّ نفسٍ * تُريد لك الفناء لك الفِداء

وهى قصيدة طويلة . فأمر له بمائة ناقة من نَعَم كَلْب وأن تُوقَر له بُرًّا وزَبيبا،
٥ وكساه وأجزل صلته .

وفد على هشام مادحا فطرده لغلوه فى مدح يزيد

قال : ووفد الى هشام لمّا وَلِى الخلافةَ ؛ فلمّا رآه قال له : يا ماصّ ما أبقت المَوَاسى من بَظْر أمّه! ألستَ القائلَ :

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ * تريد لك الفناءَ لك الفِداء

أَخْرِجوه عنّى ! والله لا يَرْزَؤُنى⁽³⁾ شيئا أبدا وحَرَمه . ولم يزل طولَ أيامه طريدًا،
١٠ حتى ولى الوليدُ بن يزيد؛ فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة؛ فأجزل صلته .

شعره فى صفة الخمر ومدحها

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى
١٥٣/٦ عُبيد الله بن محمد الكُوفىّ عن العُمَرىّ الخَصّاف عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن حَمّاد الراوية أنه أنشده لنابغة بنى شَيْبان :

أيها⁽⁴⁾ الساقى سقتْكَ مُزْنَةٌ * من رَبِيعٍ⁽⁵⁾ ذى أهاضيبَ وطَشّ
١٥ امدح الكأس ومن أعملها * واهْجُ قوماً قتلونا بالعطش
إنما الكأسُ ربيعٌ باكرٌ * فإذا ما غاب عنّا لم نَعِش

(١) سمك الشيء : رفعه . (٢) كذا فى الأصول وديوانه . ولم تتبين من المقصود بالوليد! الوليد بن عبد الملك وقد مات قبل يزيد هذا أم الوليد بن يزيد وهو ابن الممدوح وقد أسلف مدحه فى البيت السابق! . (٣) لا يرزؤنى شيئا : لا يصيب منى شيئا . (٤) قد وردت هذه القصيدة فى ديوانه
٢٠ ببعض اختلاف عما هنا . (٥) الربيع : المطر فى أوّل فصل الربيع . والأهاضيب : حلبات القطر بعد القطر . والطش : المطر الضعيف .

وكأنّ الشَّرْبَ قومٌ مُوِّتوا * من يَقُمْ منهم لأمرٍ يَرْتَعِش

خُرُسُ الألسن ممّا نالهم * بين مصروعٍ وصاحٍ منتعش

من حُمَيّا[1] قَرْقَفٍ حُصِّيَّةٍ * قهوةٍ حَوْلِيَّةٍ لم تُمْتَحَش

ينفع المزكومَ منها ريحُها * ثم تَنفى داءه إن لم تُنَش[2]

كلّ من يشربها يألفُها * يُنفق الأموالَ فيها كلَّ هَشّ

استنشده الوليد شعرا فأنشده فى الفخر بقومه فعاتبه ووصله

أخبرنى محمد بن مزيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الجُمَحِيّ — قال آبن أبى الأزهر : وهو محمد بن سلّام — :

غنّى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة الوليد بن يزيد :

امدَح الكأسَ ومن أعملها * واْهجُ قوماً قتلونا بالعطش

فسأل عن قائل هذا الشعر فقيل : نابغة بنى شيبان ؛ فأمر بإحضاره فأُحْضِر، فآستنشده القصيدةَ فأنشده إياها ؛ وظنّ أن فيها مدحًا له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم ؛ فقال له الوليد : لو سَعِد جَدُّك لكانت مديحا فينا لا فى بنى شَيْبان، ولسنا نُخْليك على ذلك من حظّ ؛ ووصله وآنصرف . وأوّل هذه القصيدة قوله :

خَلَّ[3] قلبى من سُلَيمى نبلُها * إذ رمتنى بسهامٍ لم تَطِش

طَفْلَةُ[4] الأعطاف رُؤْدٌ دُمْيةٌ * وشَوَاها بَخْتَرِيٌ لم يُحَش

(١) الحيا : دبيب الشراب . والقرقف : الخمر، سميت بذلك لأنها تصيب شاربها بقرقفة أى رعدة . والحصية : نسبة الى الحص وهو الزعفران . قال عمرو بن كلثوم :

مشعشعة كأن الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا

والحولية : التى مضى عليها حول . ولم تمتحش : لم تحرق . يريد : لم تصبها النار . (٢) لم تنش : من النشوة أى لم تسكر . (٣) خل : نفذ وثقب . (٤) الطفلة : الناعمة . والرؤد : الشابة الحسنة . والدمية : التمثال من رخام . والشوى : الأطراف . ولم يحش : لم يبق بالإحاطة عليه كما يحوش الصائد الصيد بحباله .

وكأنّ الدُّرّ فى أخْراصها[1] * بَيْضُ كَحْلاء أقـرّته بعُش

ولها عينا مَهاةٍ فى مهًا[2] * تَرْتَعِى نبتَ خُزَامَى ونَتَش

حُرّةُ الوجه رخيمٌ صوتُها * رُطَبٌ تَجْنيه كفُّ المُنْتَقِش[3]

وهى فى الليل إذا ما عُوِنقَتْ * مُنْيةُ البعل وهمُّ المُفترِش

٥ وفيها يقول مفتخرا :

و بنو شَيْبان حولى عُصَبٌ * منهمُ غُلْبٌ[4] وليست بالقَمِش

وَرِدوا المجدَ وكانوا أهلَه * فَرَوُوا والجودُ عافٍ[5] لم يَنِش

وتَرى الجُرْدَ لدى أبياتهم * أرِنَاتٍ[6] بين صَلْصالٍ وجُش

ليس فى الألوان منها هُجْنةٌ[7] * وَضَحُ البُلْقِ ولا عيبُ البَرَش

١٠ فبها يَحْوُون أموالَ العِدَا * ويَصيدون عليها كلَّ وحش

---

(١) الأخراص : جمع خرص وهو القرط . والكحلاء : طائر . (٢) المهاة : البقرة الوحشية . والخزامى : نبات طيب الريح . والنتش (بالتحريك) : أوّل ما يبدو من النبات على وجه الأرض وفى ب وس وح : «وتقش» بالقاف وفى باقى الأصول : «وتعش» بالعين المهملة، والتصويب عن الديوان . (٣) انتقش : تخير . (٤) الغلب : جمع أغلب وهو الغليظ

١٥ الرقبة . والقمش (بالسكون ونقلت حركة الأخير ها هنا الى الساكن قبله للوقف) : زعانف الناس وأرذالهم . (٥) العافى : الوافى . ولم ينش : لم ينضب . (٦) كذا فى ديوانه، والأرنات : النشيطات . وفى الأصول : «كرابب» . والصلصال : الحمار المصوّت . وجش : جمع أجش وهو الغليظ الصوت . ورواية هذا البيت والذى بعده فى ديوانه :

وترى الخيل لدى أبياتهم * كل جرداء وسابحٍ همش

٢٠ ليس فى الألوان منها هجنة * بلق القشر ولا عيب برش

يتجاذبن صهيلا فى الدجى * أرنات بين صلصال وجش

(٧) الهجنة : العيب . والبرش : البرص .

دَمِيَتْ أكفالُها[(١)] من طعنهم * بالرُّدَيْنِيّات[(٢)] والخيلِ النُّجُش

تُنْهِل الخَطِّىَّ[(٣)] من أعدائنا * ثم نَفْرِى الهامَ إن لم نَفْتَرِش

فإذا العِيسُ من المحلِ غَدَتْ * وهى فى أعينها[(٤)] مثلُ العَمَش

حُسَّرَ الأوبار مما لَقِيتْ * من سَحاب حاد عنها لم يُرِش[(٥)]

خُسَّفَ الأعينِ[(٦)] تَرْعَى جُوفَةً[(٧)] * هَمَدتْ أوبارُها لم تَنْتَفِش

نَنْعَشُ العافى ومن لاذ بنا[(٨)] * بسِجال الخير من أيْدٍ نُعُش[(٩)]

ذاك قولى وثنائى وهُمُ * أهْلُ ودّى خالصًا فى غير غِشّ

فسَلُوا شَيْبانَ إن فارقتُهم * يوم يمشون الى قبرى بنعش

هل غَشِينا مَحْرَمًا فى قومنا * أو جَزَينا جازيًا فُحْشًا بفُحْش

بعض شعره الذى غنى به

ومما يغنّى فيه من شعر نابغة بنى شيبان :

صوت

ذَرَفتْ عينى دموعًا * من رسوم بحَفِيرِ[(١٠)]

مُوحِشاتٍ طامساتٍ * مثلِ آيات الزُّبُور

(١) فى ب ، س : «أكفانهم» . وفى سائر الأصول : «أكفالهم» . والتصويب عن ديوانه .
(٢) الرديِنيات : الرماح نسبة الى «ردينة» وهى امرأة كانت تقوّمها . والنجش : المستثارة المسرعة .
(٣) الخطىّ : الرمح نسبة الى الخط وهى مرفأ للسفن بالبحرين . ونفرى : نشق . والهام : جمع هامة وهى الرأس . ونفترش : نصرع . (٤) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «وأعينها» وهو تحريف .
(٥) أرشت السماء : جاءت بالمطر . (٦) خسف الأعين : غائرتها . (٧) كذا فى الديوان . والجوفة : النبتة الفارغة الجوف . وفى الأصول : «جدبة» . (٨) فى ب ، س : «ومن لازمنا» . (٩) أيد نعش : تنعش لفعل الكرم والخير . (١٠) حفير : موضع بين مكة والمدينة ، وعن ابن دريد : بين مكة والبصرة . وموضع بنجد ، واسم لكثير من المواضع .

وزِقاقٍ مُسترَعاتٍ * من سُلافات العَصيرِ[1]

مُجلَخِدّاتٍ مِلاءٍ[2] * بطَنوهنّ[3] بقيرِ

فإذا صارت الهم * صُيِّرتْ خيرَ مصيرِ[4]

من شبابٍ وكُهولٍ * حكّموا كأسَ المُدير

٥ كم ترى فيهم نديمًا * من رئيسٍ وأميرِ

ذكر يونس أنّ فيه لمالك لحنًا ولابن عائشة آخر، ولم يذكر طريقتهما؛ وفيه خفيفُ رملٍ معروف لا أدرى لحن أيّهما هو .

صوت

من المائة المختارة

١٠ ياعَمْرُ حُمّ فِراقُكم عَمْرا * وعَزَمْتِ منّا النأىَ والهجرا

إحدى بنى أَوْدٍ[5] كَلِفتُ بها * حَمَلت بلا تِرَةٍ لنا وِتْرا

وتَرى لها دَلًّا إذا نطقتْ * تركتْ بناتِ فؤاده صُعْرا[6]

كتساقط الرُّطَبِ الجَنِىّ من الأفنانِ لا بَثْرًا[7] ولا نَزْرا

الشعر لأبى دَهْبَل الجُمَحىّ . والغناء لفَزار المَكّىّ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ

١٥ فى مجرى الوسطى عن الهشامىّ .

---

(١) رواية هذا البيت فى ديوانه :

فى زقاق كل جلب * من أضرّا بعصير

والجلب : السقاء العظيم . (٢) مجلخدات : مستلقيات . وفى الأصول : «منحدات وملاء» وهو تحريف . (٣) كذا فى الديوان . وفى ب، س، حـ : «طينوهن» بالنون . وفى سائر النسخ : «طيوهن» بالباء الموحدة . والقير : الزفت . (٤) رواية هذا البيت والذى بعده فى ديوانه :

٢٠ فاذا صرت الهم * صرت فى خير مصير

عند شبان وشيب * أعملوا كأس المدير

(٥) بنو أود : قبيلة . (٦) صعرا : مائلة . (٧) كذا فى حـ . والبثر : الكثير . وفى سائر الأصول : «بترا» بالتاء المثناة من فوق، وهو تصحيف .

أخبار أبى دَهْبَل ونسبه

نسبه

نسبه — فيما ذكر الزُّبير بن بَكّار وغيره — وَهْب بن زَمْعة بن أُسَيْد بن أُحَيْحَة ابن خَلَف بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤىّ ابن غالب . ولخلف بن وَهْب يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى أو غيرُه :

خَلَفُ بن وَهْب كلَّ آخر ليلةٍ * أبدًا يكثِّر أهلَه بعيال

سَقْيًا لوَهْب كَهْلِها ووليدها[1] * ما دام فى أبياتها الذيّال

نعم الشبابُ شبابُهم وكهولُهم * صُيّابة[2] ليسوا من الجُهّال

155 / 6

أمه امرأة من هذيل

وأمّ أبى دَهْبل امرأة من هُذَيل . وإياها يَعْنِى بقوله :

أنا ٱبن الفروع الكرامِ التى * هُذَيلٌ لأبياتها سائلهْ[3]

هُمُ ولدونى وأشبهتُهم * كما تُشْبِه الليلةَ القابلهْ

١٠

وٱسمها، فيما ذكر ابن الأعرابىّ، هذيلة[4] بنت سَلَمة .

كان شاعرا جميلا عفيفا

قال المدائنىّ : كان أبو دهبل رجلا جميلا شاعرًا ، وكانت له جُمّة يُرسلها فتضرب مَنْكِبيه ، وكان عفيفًا ، وقال الشعر فى آخر خلافة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ومدح معاويةَ[5] ، وعبدَ الله بن الزُّبير ، وقد كان ٱبنُ الزبير ولّاه بعضَ أعمال اليمن .

---

(١) كذا ورد هذا البيت فى الأصول . (٢) الصيابة : الخيار من كل شىء .

(٣) فى ب ، س ، حـ « سابله » بالباء الموحدة . (٤) فى تجريد الأغانى : «هزيلة» بالزاى ، والعرب سموا « هزيلة » بالزاى دون «هذيلة» بالذال . (٥) فى تجريد الأغانى : « ... ومدح معاوية بن أبى سفيان وعبد الملك (صوابه عبد الله) بن جعفر بن أبى طالب . وولاه ابن الزبير الخ ... » .

سأل قوم راهبا عن أشعر الناس فأشار إليه

حدّثنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العُمَريّ عن الكلبيّ عن أبي مِسْكين، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال حدّثني العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مِسْكين :

أنّ قوما مَرّوا براهب، فقالوا له : يا راهب، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : مكانَكم حتى أنظرَ في كتاب عندي، فنظر في رَقّ له عَتيق ثم قال : وَهْبٌ من وَهْبين، من جُمَح أو جُمَحين .

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عليّ بن صالح عن عبد الله بن عُرْوة قال :

قال أبو دَهْبل يفخَر بقومه :

قومي بنو جُمَح قوم إذا انحدرَتْ * شَهْباءُ تُبصر في حافاتها الزَّغَفا[1]

أهلُ الخلافة والمُوفُون إن وعَدوا * والشاهدو الروع لا عُزْلا ولا كُشُفا[2]

قال الزبير وأنشدني عمّي قال أنشدني مصعَب لأبي دَهْبل يفخَر بقومه بقوله :

أنا أبو دهبلَ وَهْبٌ لِوَهَبْ * من جُمَح في العز منها والحَسَبْ

والأُسرةِ الخَضْراء والعِيصِ الأَشِبْ[3] * ومن هُذَيل والدي عالي النَّسَبْ

أورثني المجدَ أبٌ من بعد أبْ * رمحي رُدَيْنيّ وسيفي المستلبْ

وبَيْضتي قَوْنَسُها من الذهبْ * دِرْعي دِلاصٌ سَرْدُها سردٌ عَجَبْ[4]

(١) الشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح . والزغف : الدروع . (٢) الروع : الحرب . والعزل : جمع أعزل وهو من لا سلاح معه . والأكشف : من لا ترس معه في الحرب، وقيل : من ينهزم فيها . (٣) العيص : الأصل . والأشب : الملتف . (٤) البيضة : ضرب من الدروع يتقى بها . وقونسها : أعلاها، وقيل : مقدّمها . ودرع دلاص : لينة ملساء براقة .

والقوس جَفَاءُ لها نَبْلٌ ذَرِبٌ * محشورةٌ أُحكِم منهن القُطُبُ[(١)]

* ليوم هَيْجاء أُعِدّت للرَّهَبْ *

كان يهوى امرأة من قومه فكادوا له عندها فهجرته

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثنا محمد بن زُهَير قال حدّثنا المدائنيّ :

أنّ أبا دهبل كان يهوى آمرأةً من قومه يقال لها عَمْرة، وكانت امرأةً جَزْلة[(٢)] يجتمع اليها الرجال للحادثة[(٣)] و إنشادِ الشعر والأخبار، وكان أبو دهبل لا يُفارق ٥ مجلسها مع كل من يجتمع اليها، وكانت هي أيضا مُحِبّة له .وكان أبو دهبل رجلا سيّدا من أشراف بَني جُمَح ،وكان يحمل الحَمَالات[(٤)] و يُعطي الفقراء و يَقْري الضيف .وزعمتْ بنو جمح أنه تزوّج عمرةَ هـذه بعد ذلك ، وزعم غيرُهم أنه لم يصل اليها . وكانت عمرة تُوصيه بحفظ ما بينهما وكتمانه ، فضمِن لها ذلك وآتصل ما بينهما .فوقفت عليه زوجتُه فدسّتْ الى عمرة آمرأةً داهيةً من عجائز أهلها ، فجاءتها فحادثتها طويلا ثم قالت ١٠ لها فى عُرْض حديثها : إني لأَعْجَبُ لك كيف لا تتزوّجين أبا دهبل مع ما بينكما! قالت: وأيُّ شيء يكون بيني و بين أبي دهبل! قال : فتضاحكت وقالت : أتستُرين عنّي شيئا قد تحدّثتْ به أشراف قريش فى مجالسها وسُوقةُ أهل الحجاز فى أسواقها والسُّقاةُ فى مواردها ! فما يتدافع آثنان أنه يهواكِ وتَهْوَيْنه، فوثبتْ عن مجلسها فآحتجبتْ ومنعت كلّ من كان يجالسها عن المصير اليها . وجاء أبو دهبل على عادته فحَجَبتْه ١٥ وأرسلت اليه بما كَرِه . ففى ذلك يقول :

١٥٦
٦

---

(١) قوس جفاء : ارتفعت سيتها فبان وترها عن معجسها (المعجس : مقبض القوس) . والقطب : النصال . (٢) الجزلة : الأصيلة الرأى . (٣) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : «من الحادثة» ، وهو تحريف . (٤) الحمالة (بفتح الحاء) : الدية والغرامة التى يحملها قوم عن قوم .

صـــوت

تطـاوَلَ هــذا الليـل ما يتبلّجُ * وأعيَتْ غَوَاشِي عَبْرَتى ما تَفَـرّجُ

وبتُّ كئيبًا ما أنام كأنما * خِلالَ ضـلوعى جمـرةٌ تتـوهّجُ

فطوْرًا أُمَنِّى النفس من عَمْرة المُنَى * وطورًا اذا ما لجّ بى الحزنُ أَنْشِجُ[1]

لقد قطع الواشـون ما كان بيننـا * ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوجُ ٥

— الغناء فى البيت الأوّل و بعده بيت فى آخر القصيدة :

أُخَطِّط فى ظهـر الحصـير كأنّنى * أسـيرٌ يَخاف القتـلَ ولهان مُلْفَجُ[2]

لمعبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وذكر حمّاد عن أبيه فى أخبار مالك أنه لحائد بن جَرْهَد وأنّ مالكا أخذه عنه فنسَبه الناس اليه، فكان إذا غنّاه وسُئل عنه يقول : هذا والله لحائد بن جَرْهَد لا لِى . وفيه لأبى‌عيسى بن الرشيد ثانى‌ثقيل بالوسطى عن حَبَش . وفى ١٠ "لقـد قطع الواشون" وقبله "فطورا أُمَنِّى النفس" لمـالك ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيل بالوسطى عن حبش —

رأوا غِرّةً فآستقبلوها بأَلْبِهـم[3] * فراحوا على ما لا نُحِبُّ[4] وأَدْلجوا

وكانوا أُناسا كنتُ آمَنُ غَيْبَهم * فـلم يَنْهَهم حلمى ولم يتحرّجوا

(١) النشيج : صوت معه توجع وبكاء . (٢) كذا صححها المرحوم الأستاذ الشنقيطى ١٥ فى نسخته وهو المتفق مع تفسير المؤلف للكلمة فيما يأتى . وفى الأصول : «مفلج» بتقديم الفاء على اللام وهو تحريف . (٣) بألبهم (بالفتح) : بجمعهم . والألب أيضا (بالفتح والكسر) : القوم يجتمعون على عداوة إنسان، يقال : هم ألب عليه، ومنه :

الناس ألب علينا فيك ليس لنا * إلا السيوف وأطراف القنا وزر

٢٠ (٤) كذا فى الشعر والشعراء ونسخة الشنقيطى مصححة بخطه . وفى ب، حـ، سـ : «على ما لا يحب» . وفى سائر الأصول : «على ما لم يحب» .

فليت كوانينا[1] من أهلى وأهلها * بأجمعهم فى قعر دجلة لججوا[2]
هم منعونا ما نحب وأوقدوا * علينا وشبوا نار صرم تأجج
ولو تركونا لا هدى الله سعيهم * ولم يلحموا قولا من الشر ينسج
لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا * ولا يستقيم الدهر والدهر أعوج
عسى كربة أمسيت فيها مقيمة * يكون لنا منها نجاة ومخرج
فيكبت أعداء ويجذل آلف * له كبد من لوعة الحب تلعج
وقلت لعباد وجاء كتابها * لهذا وربى كانت العين تخلج
وإنى لمحزون عشية زرتها * وكنت إذا ما جئتها لا أعرج
أخطط فى ظهر الحصير كأننى * أسير يخاف القتل ولهان ملفج

الملفج : الفقير[3] المحتاج .

وأشفق قلبى من فراق خليلة * لها نسب فى فرع فهر متوج
وكف كهداب الدمقس لطيفة * بها دوس[4] حناء حديث مضرج[5]
يجول وشاحاها ويغتص[6] حجلها * ويشبع منها وقف[7] عاج ودملج
فلما التقينا لجلجت فى حديثها * ومن آية الصرم الحديث الملجلج

---

(١) الكوانين : الثقلاء ، وقيل : الكانون : الذى يجلس حتى يحصى الأخبار والأحاديث لينقلها . وفى ب ، س : « كوانا » وهو تحريف . (٢) لججوا : وقعوا فى اللجة . (٣) من ألفج فهو ملفج (بفتح الفاء وهو نادر كأحصن وأسهب فهو محصن ومسهب بالفتح فيهما) اذا أفلس . والملفج أيضا : اللاصق بالأرض من كرب أو حاجة ، والذاهب الفؤاد فرقا . وقد يكون هذا المعنى الأخير أنسب بالسياق .

(٤) الدوس : المراد به هنا التزيين والترتيب . (٥) مضرج : مصبوغ . وفى س : « مدرج » بالدال المهملة ، وهو تحريف . (٦) كذا فى حـ ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . ويغتص : يمتلئ . وفى سائر الأصول : « يغتض » بالفاء والضاد المعجمة ، وهو تصحيف . (٧) الوقف : سوار من عاج . وفى ب ، س : « وفق » بتقديم الفاء على القاف ، وهو تصحيف .

شعره في عمرة

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أنشدني عمّي ومحمد بن الضحّاك عن أبيه محمد بن خَشْرم ومن شئتَ من قريش لأبي دهبل في عَمْرة :

يا عَمْر حُمّ فراقُكم عمرا * وعزَمْتِ منّا النأيَ والهجرا
يا عمر شيخُك وهو ذو كرم * يَحْمِي الذِّمار ويُكرم الصِّهرا
إن كان هذا السحرُ منك فلا * تُرْعِي عليّ وجدِّدي السِّحرا (١)
إحدى بني أَوْد كلِفتُ بها * حملتْ بلا وِتْرٍ لنا وِترا
وتَرى لها دَلًّا اذا نطقتْ * تركتْ بناتِ فؤاده صُعْرا
كتساقُطِ الرُّطَب الجَنيّ من الأفنان لا نَثْرًا ولا نَزْرا
أقسمتُ ما أحببتُ حبَّكم * لا ثَيِّبًا خُلقتْ ولا بِكْرا
ومقالةٍ فيكم عَرَكْتُ بها * جَنْبي (٢) أُريد بها لك العذرا
ومُريد سرّكم عدَلتُ به * فيما يحاول مَعْدِلًا وَعْرا
قالت يُقيم بنا لنَجْزِيَه * يومًا نُخيِّم عندها شهرا
ما إن أُقيم لحاجةٍ عرَضتْ * إلا لأُبْلِيَ فيكمُ العذرا

قالوا : وفيها يقول :

صوت

يلومونني في غير ذنب جنيتُه * وغيريَ في الذنب الذي كان ألوَمُ
أمِنّا أُناسًا كنتِ تأتمنينهم * فزادوا علينا في الحديث وأوهموا (٣)
وقالوا لنا ما لم يُقَل ثم كثَّروا * علينا وباحوا بالذي كنت أكتُمُ

---

(١) الإرعاء : الإبقاء على أخيك ؛ هكذا ذكره اللسان واستشهد بهذا البيت .

(٢) يقال : عركت ذنبه بجنبي اذا احتمله . قال :

اذا أنت لم تعرك بجنبك بعض ما * يسوء من الأدنى جفاك الأباعد

(٣) أوهموا : نقصوا .

— غنّى فى هذه الأبيات أبو كامل مولى الوليد رملًا بالبنصر —

وقد مُنِحتْ عينى القَذَى لفراقهم * وعاد لها تَهْتَانُها فهى تَسْجُمُ

وصافيتُ نِسْوانا فلم أر فيهمُ * هوايَ ولا الوُدَّ الذى كنتُ أعلم

أليس عظيماً أن نكون ببلدة * كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّم

سمع أبو السائب المخزومى شعره فطرب

أخبرنى حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أبو غسّان قال : سمع أبو السائب المخزومىّ رجلا ينشد قول أبى دهبل :

أليس عجيبا أن نكون ببلدة * كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم

فقال [له][1] أبو السائب : قف يا حبيبى فوقف؛ فصاح بجارية : يا سلامة اُخرجى فخرجت؛ فقال له : أَعِدْ بأبى أنتَ البيت فأعاده؛ فقال : بلى والله إنه لعجيبٌ عظيم وإلا فسلامة حرّة لوجه الله ! اِذهب فدَيْتُك مُصاحَباً . ثم دخل ودخلت الجاريةُ ١٠ تقول له : ما لَقِيتُ منك ! لا تزال تقطعنى عن شغلى فيما لا ينفعك ولا ينفعنى ! .

قصة لشاب خاطبته عشيقته بشعر أبى دهبل

وحدّثنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : كنّا نختلف الى أبى العباس المبرّد ونحن أحداثٌ نكتب عن الرُّواة ما يروُونه من الآداب والأخبار ، وكان يصحبنا فتًى من أحسن الناس وجها وأنظفِهم ثوبًا وأجملِهم زِيًّا ولا نعرف باطنَ أمره؛ فانصرفنا يوماً من مجلس أبى العباس المبرّد وجلسنا فى مجلس نتقابل بما كتبناه ١٥ ونصحّح المجلسَ الذى شهِدناه؛ فإذا بجارية قد اَطّلعتْ فطرحتْ فى حَجْر الفتى رقعةً ما رأيتُ أحسن من شكلها مختومةً بعنبر؛ فقرأها منفردًا بها ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية . فلم نَلْبَثْ أن خرج خادم من الدار فى يده كُرْش[2]، فدخل الينا فصفع

(١٥٨/٦)

(١) زيادة عن حـ . (٢) الكرش : لعله هنا وعاء الطيب .

الفتى به حتى رحمناه وخلّصناه من يده وقمنا أسوأ الناس حالا . فلما تباعدْنا سألناه عن الرقعة، فإذا فيها مكتوب :

كفى حَزَنًا أنَّا جميعًا ببلدةٍ * كلانا بهــا ثاوٍ ولا نتكلّم

٥ فقلنا له : هذا آبتداءٌ ظريف، فبأيّ شيء أجبْتَ أنت ؟ قال : هذا صوت سمعتُه يُغنَّى فيه ، فلمّا قرأته فى الرقعة أجبتُ عنــه بصوت مثله . فسألناه ما هو ؟ فقال : كتبتُ فى الجواب :

* أراعك بالخَابُور[1] نُوقٌ وأجمال *

فقلنا له : ما وقاك القومُ حقــك قط ، وقد كان ينبغى أن يُدْخلونا معك فى القصّة لدخولك فى جُملتنا ، ولكنّا نحن نُوَفّيك حقّك ؛ ثم تناولناه فصفعناه حتى لم يَدْرِ أىّ ١٠ طريق يأخذ، وكان آخر عهده بالاجتماع معنا .

رجع الخبر الى سياقة أخبار أبى دَهْبَل

أبو دهبل وعاتكة بنت معاوية

أخبرنى عمّى قال حــدّثنى الكُرَانِىّ قال حــدّثنى العُمَرىّ عن الهَيْثم بن عَدِىّ قال حدّثنا صالح بن حَسّان قال ، وأخبرنى بهذا الخبر محمّــد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى محمد بن عمر قال حدّثنى محمد بن السَّرِىّ قال حدّثنا هشام بن الكَلْبىّ عن ١٥ أبيه، يزيد أحدُهما على الآخر فى خبره، واللفظُ لصالح بن حسان وخبرُه أتمّ، قال:

حجّتْ عاتِكةُ بنت معاوية بن أبى سفيان ، فنزلت من مكة بذى طُوًى . فبينا هى ذات يوم جالسة وقد آشتد الحرّ وآنقطع الطريق ، وذلك فى وقت الهاجرة، إذ

---

(١) الخابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة، ولاية واســعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه ، فنسبت اليه . كذا ذكره ياقوت واستشهد بهذا الشطر ونسب الشعر للأخطل .

أمرتْ جواريَها فرفعن السّترَ وهى جالسةٌ فى مجلسها عليها شُفُوفٌ لها تنظر الى الطريق، إذ مرّ بها أبو دهبل الجمحىّ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرا؛ فوقف طويلا ينظر اليها والى جمالها وهى غافلة عنه؛ فلمّا فطِنت له سترَتْ وجهها وأمرت بطرح السّتر وشتَمَتْه . فقال أبو دهبل :

إنى دعانى الحَيْنُ فاْقتادنى * حتى رأيتُ الظبى بالبابِ
يا حسنَه إذ سبّنى مُدْبِرًا * مستترًا عنّى بجلْبابِ
سبحان من وقّفها حسرةً * صُبّت على القلب بأوصابِ
يذود عنها إن تطلّبتُها * أبٌ لها ليس بوهّابِ
أحلّها قصرًا منيعَ الذُّرَى * يُحمَى بأبوابٍ وحُجّابِ

قال : وأنشد أبو دهبل هذه الأبيات بعضَ إخوانه ، فشاعت بمكّة وشُهرتْ وغنّى فيها المُغنّونَ، حتى سمعتها عاتكةُ إنشادًا وغناءً، فضحكت وأعجبتها وبعثتْ اليه بكُسوةٍ ، وجَرتِ الرسل بينهما . فلما صدَرت عن مكة خرج معها الى الشام ونزل قريبًا منها، فكانت تَعَاهَدُه بالبِرّ واللُّطَف[1] حتى وردتْ دمشقَ وورد معها، فاْنقطعتْ عن لقائه وبَعُد من أن يراها، ومرِض بدمشق مرضًا طويلا . فقال فى ذلك :

طال ليلى وبتّ كالمحزونِ * ومَلِلتُ الثَّواءَ فى جَيْرونِ[2]
وأطلتُ المُقام بالشأم حتى * ظنّ أهلى مُرَجَّماتِ الظّنونِ
فبكتْ خشيةَ التفرّق جُمْلٌ * كبكاء القرينِ إثْرَ القرينِ

---

(١) اللطف : الهدايا . (٢) جاء فى الأغانى (ج ١٣ ص ١٤٩ طبع بولاق) أن قائل هذا الشعرهو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فى أخت معاوية . وجاء هذا الشعر فى الكامل للبرد منسوبا لأبى دهبل . ثم قال بعد ذلك : وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسان . ثم ساق خبر هذا الشعر فى قصة تخالف قصة الأغانى، فانظره (ص ١٦٨ طبع أوربا) . وجيرون : حصن بدمشق، وقيل : هى دمشق نفسها .

وهى زهراءُ مثــلُ لؤلؤة الغــوّاصِ مِيزتْ من جوهرٍ مكنون

وإذا ما نسبْتَهــا لم تَجِــدْها * فى سَــناء من المكارم دون

ثم خاصرتُها إلى القُبّــة الخضْــراءِ تمشى فى مَرْمَرٍ مَسْنون (١)

قُبّــةٍ من مَراجل ضربوها (٢) * عنــد بَرْد الشــتاء فى قَيْطون

عن يَسارى اذا دخلتُ من البــا * ب وإن كنتُ خارجًا عن يمينى

ولقــد قلتُ إذ تطاول سُقْمى * وتَقَلّبتُ ليــلتى فى فنون

ليت شعرى أمِنْ هوًى طار نومى * أم بَرانى البــارى قصيرَ الجفون

قال : وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاويةَ فأمسك عنه، حتى إذا كان فى يوم الجمعة دخل عليه الناسُ وفيهم أبو دهبل، فقال معاوية لحاجبه : إذا أراد أبو دهبل الخروجَ فامنعه وارْدُده إلىّ ؛ وجعل الناس يسلّمون وينصرفون، فقام أبو دهبل لينصرفَ، فناداه معاوية : يا أبا دهبل إلىّ ؛ فلما دنا اليه أجلســه حتى خلا به، ثم قال له : ما كنتُ ظننتُ أنّ فى قريش أشعر منك حيث تقول .

ولقــد قلت إذ تطاول سُقْمى * وتقلّبتُ ليــلتى فى فنون

ليت شعرى أمن هوًى طار نومى * أم برانى البــارى قصيرَ الجفون

غير أنّك قلتَ

وهى زهراءُ مثــل لؤلــؤة الغــوّاصِ مِيزتْ من جوهرٍ مكنــون

وإذا ما نســبْتَها لم تَجِــدْها * فى سَــناء من المــكارم دُون

وواللهِ إنّ فتــاةً أبوها معاويةُ وجَدُّها أبو ســفيان وجدّتها هنــد بنت عُتْبــة لكما ذكرتَ ؛ وأىّ شىء زدتَ فى قَدْرها! ولقد أسأتَ فى قولك :

(١) المســنون : المصبوب على استواء . (٢) المراجل : ثيــاب من ثياب اليمن . والقيطون : البيت فى جوف البيت .

ثم خاصرتُهــا الى القبّــة الخضـ * ـراء تَمشى فى مرمر مَسْنونِ

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما قلتُ هذا ، وإنما قيل على لسانى. فقال له : أمّا من جهتى فلا خوف عليك، لأنّى أعلم صيانةَ ٱبنتى نفسَها، وأعرف أنّ فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب فى كلّ من جاز أن يقولوه فيه وكلّ من لم يَجُز، وإنمــا أكره لك جِوارَ يزيد، وأخاف عليك وَثَبَاته، فإن له سَوْرةَ الشباب وأَنَفَــةَ الملوك . ٥

وإنمــا أراد معاويةُ أن يَهرُبَ أبو دهبل فتنقضى المقالةُ عن ٱبنته؛ فحذِر أبو دهبل فخــرج الى مكة هاربًا على وجهه، فكان يكاتب عاتكةَ . فبينا معــاويةُ ذات يوم فى مجلسه إذ جاءه خَصِىٌّ له فقال : يا أمير المؤمنين، والله لقد سقَط الى عاتكة اليوم كتاب، فلمّا قرأته بكت ثم أخذته فوضعته تحت مُصَلّاها، وما زالت خاثرةَ النفس منذ اليوم. فقال له : اذهب فٱلطُف لهذا الكتاب حتى تأتينى به . فٱنطلق الخَصِىّ، فلم يزل يَلْطُف حتى أصاب منها غِرّةً فأخذ الكتابَ وأقبل به الى معاوية، فإذا فيه : ١٠

١٦٠ / ٦

أعاتكَ هــلّا إذ بخلْتِ فلا تَرَىْ * لذى صَبْوة زُلْفَى لديك ولا حَقّــا[1]

رَدَدْتِ فؤادًا قــد تولّى به الهوى * وسكّنْتِ عينًا لا تَمَلّ ولا تَرْقا[2]

ولكن خلعتِ القلبَ بالوعد والمُنى * ولم أرَ يومًا منك جُودا ولا صدقا

أتَنْسَيْنَ أيّامى برَبْعــك مُدْنَفًا * صريعًا[3] بأرض الشأم ذا سَقَم مُلْقَى ١٥

وليس صــديقٌ يُرتضَى لوصــيّةٍ * وأدعو لدائى بالشّراب فــا أُسْقَى

وأكبرُ همّى أن أرَى لك مُرْسَــلًا * فطولَ نهارى جالسٌ أرْقُبُ الطُّرقا

فوَا كبدِى إذ ليس لى منك مجلسٌ * فأشكو الذى بى من هواك وما أَلْقَى

رأيتُــك تزدادين للصّبّ غلظــةً * ويزداد قلبى كلَّ يوم لكم عشــقا

(١) كذا فى تجريد الأغانى. وفى الأصول : «ولا رقا» . (٢) لا ترقا : لا يجف دمعها. ٢٠

(٣) فى ا ، ى ، م : «مريضا» .

قال : فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية، فأتاه فدخل عليه فوجد معاوية مطرِقًا، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا الأمرُ الذى شجاك؟ قال: أمر أمرَضَنى وأقلقنى منذ اليوم، وما أدرى ما أعمَل فى شأنه. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الفاسق أبو دَهْبل كتب بهذه الأبيات إلى أختك عاتكة، فلم تزل باكيةً منذ اليوم، وقد أفسدها، فما تَرى فيه؟ فقال: والله إن الرأى لهيِّنٌ. قال: وما هو؟ قال: عبدٌ من عبيدك يكمُن له فى أزِقّة مكة فيُريحنا منه. قال معاوية: أفٍّ لك! والله إنّ آمرأً يُريد بك ما يُريد ويسمو بك إلى مايسمو لغيرُ ذى رأيٍ، وأنتَ قد ضاق ذَرْعُك بكلمة وقَصُر فيها باعك حتى أردتَ أن تقتل رجلا من قريش! أو ما تعلم أنك إذا فعلتَ ذلك صدّقتَ قولَه وجعلتنا أُحدوثةً أبدا! قال: يا أمير المؤمنين، إنه قال قصيدة أخرى تَنَاشَدَها أهل مكة وسارت حتى بلغتْنى وأوجعتْنى وحملتْنى (1) على ما أشرتُ به فيه. قال: وما هى؟ قال قال:

ألَا لا تَقُلْ مهلًا فقد ذهب المَهْلُ * وما كلّ من يَلْحَى محبًّا له عقل
لقد كان فى حولين حالًا ولم أُزُرْ * هواى وإن خُوِّفتُ عن حبها شغل
حِمَى الملكُ الجبّار عنّى لقاءَها * فمن دونها تُخْشَى المتالفُ والقتل
فلا خيرَ فى حبٍّ يُخاف وبالُه * ولا فى حبيبٍ لا يكون له وصل
فواكَبِدِى إنّى شُهِرتُ بحبّها * ولم يك فيما بيننا ساعةً بَذْلُ
ويا عجبًا إنى أُكاتم حبَّها * وقد شاع حتى قُطِّعت دونها السُّبُلُ

قال: فقال معاوية: قد والله رفّهتَ عنّى، فما كنتُ آمَنُ أنه قد وصل إليها؛ فأمّا الآن وهو يشكو أنّه لم يكن بينهما وصل ولا بذلٌ فالخطبُ فيه يسير، قُمْ عنّى؛

(1) هذه الكلمة ساقطة فى ب، س.

فقام يزيد فانصرف . وحجّ معاويةُ فى تلك السنة؛ فلما انقضت أيام الحجّ كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبى دهبل، ثم دعا بهم ففرّق فى جميعهم صِلاتٍ سنيّةً وأجازهم جوائزَ كثيرةً . فلما قبض أبو دَهْبل جائزته وقام لينصرفَ دعا به معاويةُ فرجَع اليه؛ فقال له : يا أبا دهبل، مالى رأيتُ أبا خالد يزيدَ ابن أمير المؤمنين عليك ساخطًا فى قَوارِص[1] تأتيه عنك وشعرٍ لا تزال قد نطقتَ به وأنفذتَه إلى خُصَمائنا وموالينا ، لا تعرِضْ لأبى خالد . فجعل يعتذر إليه ويحلِف له أنّه مكذوبٌ عليه . فقال له معاويةُ : لا بأس عليك، وما يضرّك ذلك عندنا ؛ هل تأهّلتَ؟ قال : لا . قال : فأىّ بنات عمّك أحبّ اليك ؟ قال : فلانة؛ قال : قد زوّجتُكها وأصدقتُها ألفى دينار وأمرتُ لك بألف دينار . فلما قبضها قال : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو لى عمّا مضى! فإن نطقتُ ببيت فى معنى ما سبَق منّى فقد أبحتُ به دمى وفلانةُ التى زوّجتَنيها طالقٌ البتّةَ . فسُرّ بذلك معاويةُ وضمِن له رضا يزيد عنه ووعده بإدرار ما وصله به فى كل سنة؛ وانصرف الى دمشق . ولم يَحْجُجْ معاويةُ فى تلك السنة إلا من أجل أبى دهبل .

قصته مع شامية تزوجها وشعره فيها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى مصعب قال حدّثنى إبراهيم بن عبد الله قال :

خرج أبو دهبل يريد الغزو، وكان رجلا صالحًا وكان جميلا . فلما كان بجَيْرون جاءته امرأةٌ فأعطته كتابا فقالت : اقرأ لى هذا الكتاب فقرأه لها، ثم ذهبتْ فدخلت قصرا ثم خرجتْ اليه فقالت : لو بلغتَ[2] القصر فقرأتَ الكتاب على امرأة كان لك

(١) كذا فى س وتجريد الأغانى . والقوارص : الكلم التى تؤلم وتنغص . وفى سائر الأصول «قواريض» بالضاد المعجمة .
(٢) فى الأصول : «تبلغت» .

فيه أجرٌ إن شاء الله، فإنه من غائب لها يعنيها أمره ، فبلغ معها القصر ، فلما دخلا إذا فيه جوارٍ كثيرة ، فأغلقن القصرَ عليه ، واذا فيه آمرأة وضيئة ، فدعته الى نفسها فأبى ، فأمرتْ به فحُبس فى بيت فى القصر وأُطْعِم وسُقِى قليلاً قليلاً حتى ضَعُف وكاد يموت ، ثم دعته الى نفسها فقال : لا يكون ذلك أبدا ، ولكنّى أتزوّجك ؛ قالت : نعم ، فتزوّجها ؛ فأمرتْ به فأُحْسِن اليه حتى رجعتْ اليه نفسُه ، فأقام معها زمانًا طويلا لاتدَعُه يخرج ، حتى يَئِس منه أهلُه وولدُه ، وتزوّج بنوه وبناته وآقتسموا ماله ، وأقامت زوجتُه تبكى عليه حتى عَمِشتْ ولم تقاسمهم ماله . ثم إنه قال لآمرأته : إنك قد أثمْتِ فىّ وفى ولدى وأهلى ، فأْذَنى لى أطالِعهم وأعود اليك ؛ فأخذتْ عليه أيمانًا ألّا يقيم إلا سنةً حتى يعود اليها . فخرج من عندها يجرّ الدنيا[1] حتى قدِم على أهله ، فرأى حالَ زوجته وما صار اليه ولدُه . وجاء اليه ولدُه ، فقال لهم : لا والله ما بينى وبينكم عمل ، أنتم قد ورِثتمونى وأنا حىّ فهو حظّكم ؛ والله لا يَشْرَكُ زوجتى فيما قَدِمتُ به أحد ؛ ثم قال لها : شأنَك به فهو لك كلّه . وقال فى الشاميّة :

صاحِ حيّا الإلهُ حيًّا ودُورًا * عند أصل القناة من جَيْرون

عن يَسارى إذا دخلت من البا * ب وإن كنتُ خارجًا عن يمينى

فبذاك آغتربتُ فى الشام حتى * ظنّ أهلى مُرَجَّماتِ الظنون

وهى زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغوّ * اص مِيزتْ من جوهرٍ مكنون

وإذا ما نسبتَها لم تجدْها * فى سَناء من المكارم دون

تجعل المسك واليَلَنْجوجَ[2] والنّدّ صِلاءً لها على الكانون

(١) يريد : خرج بخير كثير .

(٢) اليلنجوج : عود البخور . والند كذلك : عود يتبخر به ؛ وقيل : هو العنبر .

ثم ماشيتُها الى القبّة الخضـ * ـراء تمشى فى مَرْمَرٍ مَسْنون

وقبابٍ قد أُسْرِجَتْ وبيوت * نُظِّمتْ بالرَّيْحان والزَّرَجُونِ (1)

قبّة من مراجل ضربوها * عند حدّ الشتاء فى قَيْطُون

ثم فارقتُها على خير ما كا * ن قرينٌ مُفارِقٌ لقرين

فبكتْ خَشْيَةَ التفرق للبيـ * ـن بكاءَ الحزين إثرَ الحزين

وآسألى عن تذكّرى وآطمئنى * لأُناسى إذا هُمُ عذلونى

١٦٢ / ٦

٥

فلما حلّ الأجلُ أراد الخروج اليها، فجاءه موتها فأقام .

وفد على ابن الأزرق بجفاه فذمه ثم مدحه لما أكرمه

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنى الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى مصعب قال :

١٠ وفد أبو دهبل الجُمَحىّ على آبن الأزرق عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان يقال له آبن الأزرق والهِبْرِزِىّ (2)، وكان عاملا لعبد الله بن الزبير على اليمن؛ فأنكره ورأى منه جفوةً، فمضى الى عمارة بن عمرو بن حزم ، وهو عامل لعبد الله بن الزبير على حَضْرَمَوْت ، فقال يمدحه ويعرّض بآبن الأزرق :

١٥

يا رَبَّ حىٍّ بخير ما * حيَّيْتَ إنسانًا عمارَهْ

أعطى فأسْنانا ولم * يك من عطيّته الصَّغاره (3)

ومن العطيّة ما تُرى * جَذْماءَ ليس لها نَزاره (4)

(1) الزرجون : قضبان الكرم . (2) الهبرزى : الأسوار من أساورة الفرس . وهو أيضا الدينار الجديد، والأسد ، والجميل الوسيم من كل شىء . (3) الصغارة والصغر : خلاف العظم . (4) الجذماء : المقطوعة . والنزارة : القلة أى ليس فيها قليل ولا كثير .

٢٠

جَمِرًا تقلّبـــه وهـــل * تُعطِى على المدح الجِمارْ

كالبغل يُحمــد قائمـا * وتَذُمّ مِشْيَتَه المُصَارَهْ[1]

ثم رجع من عند عمـارة بن عمرو بن حزم فقـدم ؛ فقال له حُنَيْن مولى ابن الأزرق في السرّ : أرى أنك عَجِلتَ على ابن عمك وهو أجودُ الناس وأكرمُهم ، فعُـدْ اليه فانه غيرُ تاركك، واعلم أنّا نخاف أن يكون قد عُزِل فلازِمْه ولا يفقدك ؛ فإني أخاف أن ينساك؛ ففعل وأعطاه وأرضاه . فقال في ذلك :

يا حُنَ إنّي لمّا حدّثتني أُصُلًا * مُرَنَّح من صميم الوجد معمودُ

نخاف عزلَ آمرئٍ كنّا نعيش به * معروفُه إن طلبنا الجودَ موجودُ

اِعلم بأنّي لمن عاديتَ مُضْطَغِنٌ * ضَبًّا[2] وأنّي عليك اليوم محسود

وأنّ شكرَك عندي لا آنقضاءَ له * ما دام بالهَضْب من لُبْنان جُلْمود

أنتَ الممدَّح والمُغْلِي به ثمنا * إذ لا تُمدَّح صُمُّ الجندل السُّودُ

إنْ تَغْدُ من مَنْقَلَيْ[3] نَجْرانَ مُرْتحِلا * يَرْحَلْ من اليمن المعروفُ والجودُ

ما زلتَ في دَفَعات الخير تفعلها * لمّا اعترى الناسَ لأواءٌ[4] ومجهود

حتى الذي بين عُسْفانٍ الى عَدَنٍ * لَحْبٌ لمن يطلب المعروفَ أُخْدود[5]

قال : وأنشدنيها محمد بن الضحّاك بن عثمان قال سمعتُها من أبي .

---

(١) مصر الفرس كمَى : استخرج جريه . والمصارة (بالضم) : الموضع تمصر فيه الخيل . يريد أن ابن الأزرق يحسن في اليمن ويذم اذا جرب في الكرم ، كالبغل يروق شكله وتنكره حلبات الخيل .
(٢) الضب : الحقد والغيظ .   (٣) المنقل : الطريق في الجبل .   (٤) اللأواء : الشدة والضيق .   (٥) اللحب : الواضح . والأخدود : الشق في الأرض .

حديثه عن نظم بيت من شعره

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال أخبرنى الزبير بن بكّار، وحدّثنى حمزة بن عُتْبة قال :

قال أبو دهبل الجُمَحىّ : لمـا قلت أبياتى التى قلت فيها :

اِعلَم بأنّى لمن عاديتَ مُضْطَغِنٌ * ضَـبًّا وأنّى عليك اليوم محسود

١٦٣ / ٦

قلتُ فيهـا نصف بيت * وأنّ شكرك عندى لا انقضـاءَ له * ثم أُرْتِجَ علىّ، فاقمتُ حولين لا أقَعُ على تمامه، حتى سمعتُ رجلا من الحاجّ فى الموسم يذكر لبنان، فقلت : ما لُبنان؟ فقال : جبل بالشأم، فأتممتُ نصف البيت :

* ما دام بالهَضْب من لبنان جُلْمودُ *

فضل ابراهيم بن هشام شعره على شعر نصيب

قال الزبير وحدّثنى محمد بن حَبَش المخزومىّ قال :

دخل نُصَيْبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدةً مدحه فيها، فقال ابراهيم بن هشام : ما هذا بشىء، أين هذا من قول أبى دهبل لصاحبنا ابن الأزرق حيث قال :

إن تَغْدُ من مَنْقَلَىْ نَجْرانَ مرتحِلا * يَبِنْ من اليمن المعروفُ والجودُ

فغضب نُصَيْبٌ فَحَمِى فنزع عمامتَه وطرحها وبَرَك عليها، ثم قال : إن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتكم بمديح أجود من مديح أبى دهبل .

قال الزبير وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزّهرىّ قال حدّثنى إسماعيل بن يعقوب بن مُجَمِّع التَّيمىّ قال :

كان ابراهيم بن هشام جبّارا وكان يُقيم بلا إذنٍ إذ كان على المدينـة الأشهر . فإذا أذِن للنـاس أذِن معهم لشـاعر، فيُنشد قصيدةَ مديح لهشـام بن عبد الملك وقصيدةَ مديح لإبراهيم بن هشام . فأذِن لهم يوما، وكان الشاعرُ الذى أذِن له معهم

نَصَيْباً وعليه جُبَّةُ وَشْيٍ ، فآستأذنه فى الإنشاد فأذن له ، فأنشده قصيدةً لهشام بن
عبد الملك ثم قطعها وأنشد قصيدة مديح لإبراهيم بن هشام ، وقصيدةُ هشام أشعرُ ،
فأراد الناس مُمالحةَ نُصَيب فقالوا : ما أحسنَ هذا يا أبا مِحْجَن ! أعِدْ هذا البيت .
فقال إبراهيم : أكثرتم ، إنه لشاعرٌ ، وأشعرُ منه الذى يقول فى آبن الأزرق :

٥ إن تُمْسِ من مَنْقَلَىْ نَجْران مرتَحِلًا * يَبِن من اليمن المعروفُ والجودُ
ما زلتَ فى دَفَعات الخير تفعلها * لما آعترى الناسَ لأْوَاءٌ ومجهود

وحَمِى نصيبٌ فقال : إنّا والله ما نصنع المديحَ إلا على قَدْر الرجال، كما يكون الرجلُ
يُمدح . فعمّ الناسَ الضَّحِكُ وحَلُمَ عنه ، وقال الحاجب : آرتفعوا ، فلما صاروا
فى السَّقيفة ضَحِكوا وقالوا : أرأيتم مثلَ شجاعة هذا الأسود على هذا الجبّار! وحَلْمَ من
١٠ غير حلم .

مدح ابن الأزرق بعد عزله وذم ابراهيم بن سعد

قال الزبير وحدّثنى عمّى مصعب قال :

خرج أبو دهبل يريد آبن الأزرق فلَقِيه معزولا ، فشقّ ذلك عليه وآسترجع ،
فقال له آبن الأزرق : هوِّن عليك ! لم يَفُتْك شىءٌ ، فأعطاه مائتى دينار[1] . فقال
فى ذلك أبو دهبل :

١٥ أعطى أميرًا ومنزوعًا وما نَزَعَتْ * عنه المكارمُ تَغْشاه وما نَزَعا

وحدّثنى محمد بن الضحّاك مثلَ ذلك وأنشدنى البيت .

وأخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أبو تَوْبة صالح بن محمد بن
دُرّاج قال حدّثنا أبو عمرو الشَّيْبانىّ قال :

(١) كذا فى ا ، ء وفى باقى الأصول : « مائتى ألف دينار » .

ولّى عبدُ الله بن الزبير آبنًا لسعد بن أبى وقّاص يقال له إبراهيم مكانَ الثّبَت ابن عبد الرحمن بن الوليد الذى يقال له آبن الأزرق، فخرج حتى نزل بَزَبِيد[1]، فقال لآبن الأزرق : هَلُمّ حسابَك، فقال : مالك عندى حساب ولا بينى و بينَك عملٌ، وخرج متوجّها الى مكة . فآستأذنه أبو دهبل فى صحبة الوَقّاصىّ فأذن له فرجع معه ، حتى اذا دخلوا صنعاء لَقيَهم بَحِير بن رَيْسان[2] فى نفرٍ كثير من الفُرْس وغيرِهم، ومضى آبنُ الأزرق ومعه ما آحتمله من أموال اليمن ؛ فسار يوما ثم نزل فضرب رِواقَه ودعا الناسَ فأعطاهم ذلك المالَ حتى لم يَبْق منه درهم . فقال أبو دهبل :

أعطى أميرًا ومنزوعًا وما نَزَعَتْ * عنه المكارمُ تَغشاه وما نَزَعا

وأقام أبو دهبل مع الوَقّاصِىّ، فلم يَصنع به خيرًا . فقال أبو دهبل :

ماذا رُزِئْنا غَداةَ الخَلّ[3] من رِمَعٍ[4] * عند التفرّق من خِيمٍ ومن كَرِمِ

ظلّ لنا واقفًا يُعطى فأكثرما * سمّى وقال لنا فى قوله نعمِ

— نعم حرف موقوف فإذا حُرِّك أُجْرِيَتْ حركتُه الى الخَفْض لأنه أولى بالساكن —

ثم آنتحى غيرَ مذمومٍ وأعيُنُنا * لما تولّى بدمعٍ واكفٍ سَجِم[5]

تَحمِلُه الناقةُ الأدماءُ مُعْتَجِرا * بالبُرد كالبدر جَلّى ليلةَ الظُّلَمِ

وكيف أنساك لا أيديك واحدةٌ * عندى ولا بالذى أوليتَ من قِدَمِ

(١) زبيد (بفتح أوله وكسر ثانيه) : اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب، ثم غلب عليها اسم الوادى فلا تعرف الا به . وهى مدينة مشهورة باليمن . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) كذا فى شرح القاموس (مادة بحر) وهو بحير بن ريسان الحميرى كان عاملا ليزيد بن معاوية على اليمن (انظر الطبرى ق ٢ ص ٢٧٧، ٦٠١، ٢١٤٧) ، و ياقوت فى الكلام على الجند ، وفى ب ، س ، حـ : «بجير بن ريسان» بالجيم . وفى أ ، ء ، م : «بحير بن يسار» بالحاء . وكلاهما تحريف . (٣) الخل : موضع باليمن فى وادى رمع . (٤) كذا فى نسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بخطه واللسان (مادة رمع) ومعجم البلدان ، وقد ذكر البيت فى كليهما . ورمع : موضع باليمن ، وقيل : هو جبل باليمن . وفى الأصول : «زمع» بالزاى ، وهو تصحيف . والخيم : الأصل . (٥) السجم : السائل .

حتى لقينا بَحِيراً عند مَقْدَمنا * فى موكب كضِباع الجِزْع مُرْتكِم[١]

لما رأيتُ مُقامى عند بابهمُ * وَدِدْت أنّى بذاك الباب لم أقِمِ

بحير بن ريسان وشعره فيه

وبحير بن ريسان الذى يقول فيه أبو دهبل :

صــــوت

٥ بحير بن ريسان الذى سكن الجَنَدْ[٢] * يقول له الناسُ الجوادُ ومن ولَدْ

له نفحاتٌ حين يُذكر فضلُه * كسيل ربيع فى ضَحَاضِحَة السَّنَدْ[٣]

فى هذين البيتين هزج بالبنصر ذكر عمرو بن بانة أنه ليمان ، وذكر الهشامىّ أنّه لابن جامع .

مدائحه فى ابن الأزرق

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أبو توبة عن أبى عمرو الشَّيْبانىّ

١٠ قال :

كان ابن الزبير بعث عبد الله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن ، فمدّ يده الى أموالها وأعطى أعطيةً سنيّة وبثّ فى قريش منها أشياء جزيلةً فأثْنَتْ عليه قريش ووفدوا اليه فأسْنَى لهم العطايا . وبلغ ذلك عبدَ الله بن الزبير فحسَده وعزله بابراهيم ابن سعد بن أبى وقّاص . فلما قدِم عليه أراد أن يحاسبَه ، فقال له : مالك عندى

١٥ حساب ولا بينى وبينك عمل ، وقدِم مكةَ ؛ فخافت قريشٌ ابنَ الزبير عليه أن يفتّشه أو يكشِفَه فلبست السلاح وخرجت اليه لتمنعه ؛ فلما لَقِيَهم نزلتْ اليه قريشٌ فسلّمتْ عليه وبسطَتْ له أرديتَها وتلقّته إماؤهم وولائدهم بمجامر الألُوّة[٤] والعود المَنْدَلىّ يبخّرون بين يديه حتى انتهى الى المسجد وطاف بالبيت ، ثم جاء الى ابن الزبير فسلّم عليه

(١) الجزع : منعطف الوادى ، وقيل : هو رمل لا نبات فيه . وارتكم الشىء : اجتمع .

٢٠ (٢) الجند : موضع باليمن ، هو أجود كورها . (٣) الضحضاح : الماء القليل يكون فى الغدير وغيره . والسند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح . (٤) الألوّة : العود يتبخر به .

وهم معه مُطِيفون به . فعلم ٱبن الزبير أنّه لا سبيل له اليه فما عرّض ولا صرّح له بشيء . ومَضى الى منزله . فقال أبو دهبل :

فمن يك شان العزلُ أو هدّ ركنَه * لأعدائه يوما فما شانكَ العزلُ
وما أصبحتَ من نعمة مُستفادةٍ * ولا رَحِمٍ إلا عليها لك الفضل

١٦٥ / ٦

وقال أبو دهبل أيضا فيه — أخبرنى بذلك ابن المَرْزُبان عن أبى تَوْبة عن أبى عمرو الشَّيْبانىّ؛ وأخبرنى به الحرمىّ عن الزبير عن عمّه — :

عُقِم النساءُ فلم يَلِدْنَ شبيهَه * إن النساء بمثله عُقْمُ
متهلِّلٌ بنَعَمْ بلا مُتَباعِدٌ * سيّانِ منه الوفر والعُدْم
نَزْرُ الكلام من الحياء تخاله * ضَمِنا(1) وليس بجسمه سُقْم

وفد على سليمان بن عبد الملك فلم يحسن وفادته ثم رضى عنه

أخبرنى محمد بن خلف قال حدّثنا أبو توبة عن أبى عمرو قال : قال أبو دهبل يمدح ٱبن الأزرق :

بأبى وأمّى غيرَ قول الباطلِ * الكاملُ ٱبن الكامل ٱبن الكاملِ
والحازمُ الأمرَ الكريمُ برأيه * والواصلُ الأرحام وٱبنُ الواصل
جمع الرياسةَ والسماحَ كليهما * جَمْعَ الجَفِير(2) قِداحَ نبل النابل

أخبرنى محمد بن خلف قال حدّثنى محمد بن عمر قال حدّثنى سليمان بن عبّاد قال حدّثنى أبو جعفر الشُّوَيْفِعِى (رجل من أهل مكة) قال :

قدِم سليمان بن عبد الملك مكة فى حرّ شديد ، فكان يُنَقَّلُ سريره بفناء الكعبة وأعطى النــاسَ العطاء . فلما بلغ بنى جُمَح نُودى بأبى دهبل ، فقال سليمان : أين

(١) الضمن : المريض . (٢) الجفير : جعبة السهام .

أبو دهبـل الشاعر؟ عليّ به؛ فأُتى به؛ فقال سليمان: أنت أبو دهبل الشاعر؟
قال: نعم؛ قال: فأنت القائل:

فِتنـــةٌ يُشْـــعلها وُرّادُها * حطبَ النار فدعها تَشْتَعِلْ

فإذا ماكان أمنٌ فَأْتِهـمْ * وإذا ماكان خوفٌ فاعتزل

٥ قال: نعم. قال: وأنت القائل:

يدعون مروانَ كيما يَستجيبَ لهم * وعند مروان خار القومُ أو رقدوا[1]

قد كان في قوم موسى قبلهم جَسَدٌ[2] * عِجْلٌ اذا خار فيهم خَوْرةً سجـدوا

قال: نعم. قال: أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا، لا والله ولا كرامةَ! فقال:
يا أمير المؤمنين، إن قوما فُتِنوا فكالحوكم بأسـيافهم وأجْلَبوا عليكم بخيلهم ورَجْلهم
١٠ ثم أدالكم اللهُ منهم فعفوتم عنهم، وإنمـا فُتِنْتُ فقلت بلساني، فلِمَ لا يُعْفَى عنّي!
فقال سليمان: قد عفونا عنك وأقطعه قطيعةً بجاذان[3] باليمن. فقيل لسليمان: كيف
أقطعتَه هذه القطيعةَ! قال: أردتُ أن أُميتَه واميتَ ذِكرَه بها.

أبو دهبل وعمرة محبوبته

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا المدائنيّ عن جماعة
من الرّواة:

١٥ أن أبا دهبـل كان يهوى آمرأةً من قومه يقال لهـا عَمْرة وكانت امرأةً جَزْلةً
يجتمع الرجال عندها لإنشاد الشعر والمحادثة، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسها مع كل
من يجتمع اليها، وكانت هي أيضا محبّةً له. وكان أبو دهبل من أشراف بني جُمَح،

---

(١) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «حار» بالحاء المهملة. (٢) الجسد: الذي لا يعقل
ولا يميز قال الله تعالى: (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار). (٣) كذا في جميع الأصول
٢٠ ولم نعثر عليها في كتب البلدان فلعلها محرّفة عن «جازان» بالجيم والزاي وهي موضع في طريق حاج صنعاء.

وكان يحمل الحَمَالة وكان مُسوَّدا ؛ وزعمتْ بنو جمح أنه تزوّجها بعد، وزعم غيرُهم من الرّواة أنه لم يصل اليها ولم يجْر بينهما حلال ولا حرام . قال : وكانت عمرة تتقدّم إلى(1) أبى دهبل فى حفظ ما بينهما وكتمانه، فضمن ذلك لها . فجاء نسوةٌ كنّ يتحدّثن اليها فذكرن لها شيئا من أبى دهبل وقُلْنَ : قد علِق آمرأةً ؛ قالت : وما ذاك ؟ قلن : ذكر أنه عاشق لكِ وأنّكِ عاشقة له . فرفعتْ مجلسَها ومُجالسةَ الرجال ظاهرةً وضربتْ حجاباً بينهم و بينها ، وكتبتْ إلى أبى دهبل تَعْذُله وتخبره بما بلغها من سوء صَنيعه . فعند ذلك يقول :

١٦٦ / ٦

تطاوَل هـذا الليـلُ ما يتبلّج * وأعْيَتْ غواشى عَبْرتى ما تَفَرّجُ
و بتُّ كئيبًا ما أنام كأنما * خلالَ ضلوعى جمرةٌ تتوهّجُ
فطورًا أُمنّى النفسَ من عَمْرةَ المنى * وطورًا إذا ما لجّ بى الحزن أَنْشِجُ
لقـد قطع الواشون ما كان بيننا * ونحن إلى أن يُوصل الحبلُ أحوجُ
رأَوا غِرّةً فآستقبلوها بألبهم * فراحوا على ما لا نُحبّ وأدْلجوا
وكانوا أُناسًا كنتُ آمَنُ غيبَهم * فلم ينْههم حلم ولم يتحرّجوا
همُ منعونا ما نحبّ وأوقدوا * علينا وشبّوا نار صُرْم تأجّج
ولو تركونا لا هَدَى اللهُ سعيَهم * ولم يُلْحِموا قولا من الشر يُنْسَج
لأوشك صرفُ الدهر يفرُق بيننا * وهل يَستقيم الدّهرُ والدهرُ أعوجُ
عسى كربةٌ أمسيت فيها مقيمةً * يكون لنا منها نجاة ومَخْرجُ
فيُكْبَت أعداءٌ ويَجْذَل آلفٌ * له كبد من لوعة الحب تَنْضَج
وقلتُ لعَبّادٍ وجاء كتابُها * لهذا ورَبّى كانت العين تخلُج
وخطّطتُ فى ظهر الحَصير كأنّنى * أسيرٌ يخاف القتلَ ولْهان مُلْفج

(1) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « على » وهو تحريف .

فلما ٱلتقينا لَجْلَجَتْ فى حديثها * ومن آية الصُّرم الحديثُ الْمُلَجْلَج
وإنّى لمحجوبٌ عشيّةَ زرتُها * وكنتُ إذا ما جئتُها لا أُعرَّج
وأعيا علىّ القولُ والقولُ واسعٌ * وفى القول مُسْتَنٌّ (١) كثيرٌ ومَخْرَج

أبو السائب المخزومى وأبو جندب الهذلى تغنيهما جارية بشعر أبى دهبل

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنى الزبير بن بكّار قال حدّثنى خالد بن بكر الصوّاف قال :

أتيتُ ٱبنَ أبى العراقيب فسألتُه أن يُدخِلنى على جارية مغنّية لم يرَ أحدٌ مثلَها قط ؛ فقال لى : إنّ فى البيت والله شيخين كريمين علىّ ، لا أدرى ما يوافقهما من دخول أحد عليهما ، فلو أقمتَ حتى أطّلِعَ رأيهما فى ذلك ، فدخل ثم خرج إلىّ فقال : ادخل فدخلتُ ، فاذا أبو السائب المخزومىّ وأبو جُنْدَب الهُذَلىّ ؛ وخرجتْ علينا الجاريةُ قاطبةً عابسةً ؛ فلما وُضع العودُ فى حجرها ٱندفعتْ تغنّى وتقول :

عسى كربةٌ أمسيتِ فيها مقيمةٌ * يكون لنا منها نَجاة ومَخْرَجُ
وإنّى لمحجوبٌ غداةَ أزورها * وكنتُ إذا ما زرتُها لا أُعرِّج

قال : ثم بكت ؛ فوثبا عليه جميعا فقالا له : لعلك أربْتَها (٢) بشىء ، عليك وعلينا إن لم تَقُمْ إليها حتى تقبّل رأسها وتترضّاها ، ففعل .

نسبة ما فى هذه القصيدة من الغناء

١٦٧ / ٦

صوت

تطاولَ هذا الليلُ ما يتبلّج * وأعيَتْ غواشى عَبْرتى ما تَفَرَّج
أُخطِّط فى ظهر الحصير كأنّنى * أسيرٌ يَخاف القتل ولْهانُ مُلْفَج

(١) المستن : الطريق المسلوك . (٢) أربتها : أقلقتها وأزعجتها .

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيه لحن لمالك ذكره حماد عن أبيه فى أخبار مالك ولم يجنِّسه . وحُكِى أن مالكا كان إذا سُئل عنه يذكر أنه أخذه من حائد بن جَرْهَد فقوّمه وأصلحه . وفيه لأبى عيسى بن الرشيد ثانى ثقيل بالوسطى عن حَبَش والهشامىّ .

صـــوت

لقـد قطع الواشون ما كان بيننـا * ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوجُ

فطورًا أُمَنِّى النفسَ من عَمْرةَ المنى * وطـورًا إذا ما لجَّ بى الهمّ أَنْشِـجِ

الغناء لمـالك ثقيل أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش أن فيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى .

شعره فى رثاء الحسين بن على

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب قال : قال أبو دهبل فى قتل الحسين بن علىّ صلوات الله عليه وزكواتُه :

تَبِيتُ سُـكارَى من أميّـة نُوَّمًا * وبالطَّف قتـلى ما يَنـام حَميمُها

وما أفسد الإسـلامَ إلا عصابةٌ * تأمّر نَوْكاها ودام نعيمُهـا

فصارت قناةُ الدِّين فى كفّ ظالمٍ * إذا اعوجّ منها جانب لا يُقيمها

قصيدته الدالية

قال الزبير وحدّثنى يحيى بن مِقْداد بن عِمْران بن يعقوب الزَّمْعى قال حدّثنى عمّى موسى بن يعقوب قال أنشدنى أبو دهبل قصيدته التى يقول فيها :

سـقَى اللهُ جَازانًا فمن حلَّ وَلْيَـه * فكلَّ فَسِـيلٍ من سَهام وسَرْدَدِ[1]

(١) كذا فى شرح القاموس مادة سرد . وجازان : موضع فى طريق حاج صنعاء . والولى : القرب ؛ يقال : داره ولى دارى أى قربها . وسهام : اسم موضع باليمامة كانت به وقعة أيام أبى بكر بين ثمامة بن أثال ومسيلمة الكذاب . وسردد : واد مشهور متسع بتهامة اليمن مشتمل على قرى ومدن وضياع . وقد جاء هذا البيت محرّفا فى الأصول هكذا :

سق الله جارا بانًا حل وليـه * بكل سبيل من سـنام وسردد

ومحصولة الدارَ التي خيَّمتْ بها * سقاها فأروى كلَّ ربعٍ وفدفدِ[1]
فأنتِ التي كلّفتِني البركَ[2] شاتيًا * وأوردْتِنيه فانظري أيَّ[3] موردِ

صوت

فوا ندَمى أنْ[4] لم أعُجْ إذ تقول لي * تقدَّمْ فشيِّعنا إلى ضحوة الغدِ
تكن سكنًا أو تقدُرِ العينُ أنها * ستبكي مرارًا فاسْلُ من بعدُ واحمَدِ[5]
فأصبحتُ ممّا كان بيني وبينها * سوى ذكرها كالقابض الماءَ باليدِ

— الغناء لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لبَذْلِ الكبير رملٌ عن الهشاميّ:

لعلّك أنْ تلقى محبًّا فتشتفي * برؤية ريمٍ بضّةِ المتجرِّدِ
بلادُ العِدا لم تأتها غيرَ أنها * بها همُّ نفسي من تَهامٍ ومُنجِدِ[6]
وما جعلتْ ما بين مكةَ ناقتي * الى البركِ إلّا نومةَ المتهجِّدِ
وكانت قُبيلَ الصبحِ تنبِذُ رحلَها * بدُومةَ[7] من لَغْطِ القطا المتبدِّدِ

(١) الفدفد: الفلاة، وقيل: الأرض الغليظة ذات الحصى، أو المكان المرتفع. (٢) البرك: ناحية باليمن وهو نصف الطريق بين حلي ومكة. وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت مستشهدا به على البرك الذي هو مستنقع الماء. وقد آثرنا ما فسرناه به لورود اسم هذا الموضع أكثر من مرة فيما سيأتي، وقد ذكر جليا في قوله:

وما جعلت ما بين مكة ناقتي * إلى البرك إلا نومة المتهجد

(٣) كذا في اللسان. وفي الأصول: «أين». (٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «إذ». (٥) كذا في حـ وفي ب، سـ «واجهد» وفي سائر النسخ: «وأجد» بالجيم والميم. (٦) التهام: المنسوب الى تهامة، قال الجوهري: النسبة الى تهامة تهاميّ وتهام، اذا فتحت التاء لم تشدّد كما قالوا: يمان وشآم الا أن الألف في تهام من لفظها والألف في يمان وشآم عوض عن ياء النسب. والمنجد: المنسوب الى نجد. (٧) كذا في معجم ما استعجم ودومة (بضم الدال) هي دومة الجندل وهي ما بين برك الغماد ومكة، وقد نسب صاحبه هذين البيتين الأخيرين للأحوص. وقد ورد في الأصول محرفا.

قال فقلت : يا عمّى[1] فما يمنعك أن تكترى دابّةً بدرهمين فتشيّعها وتصبحُ معك ؛ فضحك وقال : نفع الله بك يابن أخى ، أما علمتَ أن النّدم توبةٌ ، وعمّك كان أشغل مما تحسب .

١٦٨ / ٦

أنشد أبو السائب شعرا له فتهكم به

قال الزبير وحدّثنى عمّى مصعب بن عبد الله قال :

أنشد رجل أبا السائب المخزومىّ قصيدةَ أبى دهبل :

٥

سقى الله جازانًا فمن حلّ وَلْيَه * فكلَّ فسيلٍ من سَهام وسُرْدُدِ

فلما بلغ قولَه :

فوا ندمى أن لم أعُجْ[2] إذ تقول لى * تقدّم فشيّعنا الى ضحوة الغدِ

قال أبو السائب : ما صنع شيئا ! ألاَ اكترى حمارا بدرهمين فشيّعهم ولم يقل " فوا ندمى " أو اعتذر ! و إنى أظنّ أنه قد كان له عذرٌ . قال : وما هو؟ قال : أظنه كان مثلى لا يجد شيئًا .

١٠

قصيدته الميمية

فقال الزبير وحدّثنى ابنُ مِقْداد قال حدّثنى عمّى موسى بن يعقوب قال أنشدنى أبو دَهْبل قولَه :

صـــوت

ألا عَلِق القلبُ المتيَّمُ كُلْثُما * لجَاجًا ولم يَلْزَم من الحبّ مَلْزَما

٥

خرجتُ بها من بطن مكة بعدما * أصات المنادى بالصلاة فأعتما[3]

فما نام من راعٍ ولا ارتدّ سامرٌ * من الحىّ حتى جاوزتْ بى يَلَمْلَما[4]

(١) فى الأصول : « يا عمرو » . وهو ينافى سياق الكلام . (٢) أنظر الحاشية الرابعة ص ١٣٩ من هذا الجزء . (٣) أعتم : دخل فى العتمة . (٤) يلملم : موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن .

ومرّتْ ببطن اللّيث[1] تَهْوِى كأنما * تُبَـادِر بالإدلاج نَهْبًـا مقسّما

— غنّى فى هـذه الأبيات ٱبنُ سريج خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشامىّ .
قال : وفيه هزجٌ يمانٍ بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أن خفيفَ الثقيل هو اليمانىّ .
وفيه لفِيل مولى العَبَلات رَمَلٌ صحيح عن حمّاد عن أبيه عن الهشامىّ . وقال الهشامىّ : فيـه لحَكَم ثقيلٌ أوّلُ . وذكر أبو أيّوب المَدِينىّ فى أغانى ٱبن جامع أنّ فيه لحنًا ولم يجنّسه —

وجازتْ[2] على البَزْواء والليـلُ كاسرٌ * جنـاحيْن بالبَزْواء وَرْدًا وأدْهَمـا

فمـا ذَرّ قرنُ الشمس حتى تبيّنَتْ * بعُلَيَّب[3] نخــلا مشرفا أو مخيّـما

ومرّت على أشطان رَوْنَق[4] بالضّحى * فمـا خَزَرت[5] للمـاء عينًا ولا فمـا

وما شربتْ حتى ثنيتُ زمامَهـا * وخِفتُ عليهـا أن تَخِرّ وتَكْلما

فقلت لهـا قــد بنتِ غيرَ ذميمـةٍ * وأصــبح وادى البِرْك غيثًا مديّما[6]

قال : فقلتُ له : ما كنتَ إلّا على الريح ؛ فقال : يا ٱبن أخى، إن عمّك كان اذا همّ فعل، وهى الحاجةُ[7] . أمَا سمعتَ قولَ أخى بنى مُرّة[8] :

---

(١) كذا فى نسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه و ياقوت فى الكلام على «برك وٱلليث» . والليث (بالكسر) : موضع بالحجاز بين السرّين (بكسر السين والراء المشدّدة مكسورة) ومكة . وفى الأصول : «بطن البيت» وهو تحريف . (٢) كذا فى ياقوت وهو معطوف على ما قبله . وفى الأصول : «أجازت» والبزواء : موضع فى طريق مكة قرب الجحفة . (٣) عليب : واد بتهامة كذا ذكره ياقوت، وقال : قول أبى دهبل يدل على أنه واد فيـه نخل والنخل لا ينبت فى رءوس الجبال ثم ساق الأبيات . (٤) فى حـ : «أشطان زرقة» وفى ياقوت : «أشطان روقة» . ولم نقف عليها . (٥) الخزر بالتحريك : ضيق العين وصغرها أو هو النظر الذى كأنه فى أحد الشقين . يقال : خزرت عينه (من باب فرح) وخزرها هو . وفى حـ : «برزت» وفى باقى الأصول : «جزرت» . والظاهر أن كليهما تصحيف . (٦) كذا فى ياقوت . وفى الأصول : «عينا مرنما» . (٧) فى الأصول : «الجاجة»، وقد صحح الأستاذ الشنقيطى هذه الكلمة هكذا : «الصباحة» ولم نتبين المقصود منها فآثرنا ماوضعناه لملاءمته والسياق . (٨) هو بشامة بن الغدير وقد عدّه ابن سلام فى كتابه طبقات الشعراء فى الطبقة الثامنة من الشعراء الاسلاميين وذكر له شعرا (انظر نهاية الأرب ص ١١٥ السفر العاشر طبع دار الكتب المصرية) .

إذا أقبلتْ قلتَ مشــحونةٌ * أطاعتْ لها الرِّيحُ[(١)] قِلْعًا جَفُولا

وإن أدبرتْ قلت مذعورةٌ * من الرُّبْد[(٢)] تتبــع هَيْقًا ذَمُولا[(٣)]

وان أعرضتْ خال فيها البصيـ * ـر مالا تكلّفــه أن يميــلا

يدا سُرُحٍ مائــلٍ ضَبْعُها * تسوم وتُقْــدم رجلا زَحُولا[(٤)]

فمرّتْ على خُشُب غُــدْوةً * ومرّتْ فُوَيق أُرَيْكٍ[(٥)] أصيلا

تخبّــط بالليـــل حُزّانَه[(٦)] * تَخَبُّط القوىِّ العزيزِ الذليلا

استحسن ريان السوّاق شعره وقال ليس بعده شيء

وأخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى جعفر بن الحسن اللّهبىّ قال: أنشدت رَيّان[(٧)] السوّاق قولَ أبى دهبل:

أليس عجيبًا أن نكون ببلدة * كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّمُ

ولا تَصْرِمينى أن تَرَىْ أحبّكم * أبوء بذنبٍ إنّنى أنا أظْــلمُ

فقال: أحسن، أحسن اللهُ اليه، ما بعد هذا شيءٌ.

وفى هذه القصيدة يقول:

صــــوت

أمِنّا أُناسًا كنتِ قــد تأَمَنِينَهم * فزادوا علينا فى الحـديث وأوْهَموا[(٨)]

---

(١) كذا فى ياقوت فى الكلام على أريك ونهاية الأرب. وفى الأصول: «أقلت».

(٢) كذا فى نهاية الأرب. والربد: النعام، من الربدة وهى لون بين الســواد والغبرة. وفى حـ: «الريح». وفى سائر الأصول: «الريح»، وهو خطأ. (٣) الهيق: الظليم. والذمول: السريع. (٤) السرح من الابل: السريعة المشى. والضبع: وسط العضد بلحمه وقيل: العضد كلها وقيــل: الابط. وتســوم: تمرّ مسرعة. (٥) أريك: واد فى بلاد بنى مرّة.

(٦) حزان (بضم الحاء وكسرها): جمع حزيز، وهو ما غلظ وصلب من الأرض مع إشراف قليل.

(٧) كذا فى جميع الأصــول وقد ورد فى «ج ٤ ص ٤١٥» من الأغانى طبع دار الكتب المصرية اختلاف فيه فانظره. (٨) أوهموا: أسقطوا وحذفوا.

وقالوا لنا ما لم يُقل ثم كثّروا * علينا و باحوا بالذى كنتُ أكتمُ

لقد كُحلتْ عينى القذى لفراقكم * وعاودها تَهْتانها فهى تَسْجُم

وأنكرتُ طيبَ العيش منى وكُدِّرتْ * علىّ حياتى والهوى متقسّم

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن زُرْزُور

٥ الطائفى خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه خفيفا رملٍ أحدُهما بالوسطى لمتيّم

والآخر بالبنصر لعَريب .

حديث القاسم ابن المعتمر مع أبى السائب عن شعره

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنى الزبير قال حدّثنى عمّى قال حدّثنى

القاسمَ بن المعتمر الزُّهْرىّ قال :

قلتُ لأبى السائب المخزومىّ : يا أبا السائب ، أمَا أحسن أبو دهبل حيث يقول :

١٠ صوت

أأَتْرُكُ ليلى ليس بينى وبينها * سوى ليلةٍ إنّى إذاً لصبورُ

هَبُونى آمرأً منكم أضلّ بعيرَه * له ذمّة إنّ الذّمام كبيرُ

وللصّاحبُ المتروكُ أفضلُ ذمّةً * على صاحبٍ من أن يَضلّ بعيرُ

قال : فقال لى : وبأبى أنت ! كنتُ والله لا أحبّك وتَثْقُل علىّ ، فأنا الآن

١٥ أُحبّك وتخفّ علىّ .

وفى هذه الأبيات غناءٌ لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه

لعَلُّويه رملٌ بالوسطى من جامع أغانيه . وفيه للمازنىّ خفيفُ ثقيلٍ آخر من رواية

الهشامىّ وذُكاء وغيرهما . وأوّلُ هذا الصوت بيت لم يُذكر فى الخبر ، وهو :

عفا اللهُ عن ليلى الغَداةَ فإنها * إذا وَلِيَتْ حُكْمًا علىّ تجور

توعد عبد الله ابن صفوان عمه أبا ريحانة فقال هو شعرا

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنى الزبير قال حدّثنى عمّى مصعب ومحمد بن الضحّاك عن أبيـه :

أن أبا رَيْحانة عمّ أبى دهبل كان شديدَ الخلاف على عبد الله بن الزبير، فتوعّده عبد الله بن صفوان[1]، فلحِق بعبد الملك بن مروان، فآستمدّه الحجّاجُ فأمدّه عبد الملك بطارق مولى عثمان فى أربعة آلاف ؛ فأشرف أبو رَيْحانة على أبى قُبَيْس فصاح أبو ريحانة : أليس قد أخزاكم الله يأهل مكة! فقال له آبن أبى عتيق: بلى والله قد أخزانا الله . فقال له آبن الزبير : مهلا يآبن أخى ! فقال : قلنا لك ائذَنْ لنا فيهم وهم قليل فأبيتَ حتى صاروا إلى ما ترى من الكَثْرة . قال : وقال أبو دهبل فى وعيد عبد الله بن صفوان عمَّه أبا ريحانة —وآسمه علىّ بن أسيد بن أُحَيْحَة— :

ولا تُوعِــد لتقتــله عليًّا * فإن وعيــدَه كلأٌ وَبِيلُ
ونحن ببطن مكّة إذ تَدَاعى * لرهطك من بنى عمرو رَعِيلُ[2]
أُولُو الجمع المقدّم حين ثابوا * اليك ومن يودّعهم قليــلُ
فلمــا أن تفانَيْنا وأَوْدَى[3] * بثروتنا الترحّلُ والرحيــلُ
جعلتَ لحومَنا غرضًا كأنا * لتهلكَنا عروبةُ أو سَــلُولُ

رثى ابن الأزرق وأوصى أن يدفن بجانبه

أخبرنى محمد بن خَلَف قال حدّثنا أبو توبة عن أبى عمرو الشَّيْبانىّ قال :

مات آبنُ الأزرق وأبو دهبل حىّ فدُفن بعُلَيَب ، فلما آحتُضر أبو دهبل أيضا أوصى أن يُدْفن عنده . وفيه يقول أبو دهبل يَرْثيه — عن أبى عمرو الشيبانىّ — :

---

(١) كان من رجالات عبدالله بن الزبير وحضر معه مشاهده . قتله الحجاج وأرسل برأسه مع رأس ابن الزبير الى عبد الملك بن مروان . (انظر الطبرى ق ٢ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٨٣٠ ، ٨٤٩ ، ٨٥٢) .

(٢) الرعيل : كل قطعة متقدّمة من خيل ورجال . (٣) فى ب ، س : «وأورى بثروتنا» وفى ء و م «وأودوا بثروتنا» وفى سائر الأصول : «وأوروا بثروتنا» وهو تحريف .

لقد غال هذا اللحدُ من بطن طُلَيْبٍ * فتًى كان من أهل الندى والتكرّمِ

فتًى كان فيما ناب يومًا هو الفتى * ونعم الفتى للطارق المتيمِّمِ

أألحقّ أنى لا أزال على مِنًى * إذا صدر الحُجّاج عن كلّ موسمِ

سقى الله أرضًا أنت ساكنُ قبرها * بِجَالِ الغوادِى من سَحِيلٍ ومُبْرَمِ (١)

خرج الى مصر لطلب ميراث ثم عاد وقال شعرا

٥ أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنى الزبير قال حدّثنى عمّى قال حدّثنى إبراهيم بن أبى عبد الله قال :

وقع لأبى دهبل ميراثٌ بمصر فخرج يُريده، ثم رجع من الطريق فقال :

اِسلَمِى أمّ دهبلٍ بعد هَجْرٍ * وتَقَضٍّ من الزمان وعُمْرِ

واذكرى كرّىَ المطىَّ إليكم * بعد ما قد توجّهتُ نحو مصر

١٠ لا تخالى أنى نسيتُك لمّا * حال يِيشٌ (٢) ومن به خلف ظهرى

إن تكونى أنت المقدّم قبلى * وأُطِعْ يَثْوِ عند قبرك قبرى

قال إبراهيم : فوقفتُ على قبره الى جانب قبرها بطُلَيْبٍ .

صوت

من المائة المختارة من رواية علىّ بن يحيى

١٥ ألَا أيها الشادنُ الأكحَلُ * إلى كم تقول ولا تفعلُ

إلى كم تجود بما لا نريـ * ـد منك وتمنع ما نَسألُ

الشعر لحسين بن الضحّاك . والغناء لأبى زَكّارٍ الأعمى، ولحنُه المختار هَزَجٌ بالبنصر .

---

(١) السحيل : الخيط غير المفتول . والمبرم : المفتول . وهذا كناية عن التعميم، أى سقاها الله بجال الغوادى قليلها وكثيرها . (٢) ييش (بكسر أوّله) : من بلاد اليمن قرب دهلك . قال ياقوت ٢٠ فى معجم البلدان بعد أن ذكر شعر أبى دهبل هذا : « وهذا الشعر يدل على أن ييشا موضع بين مكة ومصر، أو تكون صاحبته المذكورة كانت باليمن ... » .

أخبار حسين بن الضَّحَّاك ونسبه

منشؤه وشعره

الحسين بن الضحّاك باهلىٌّ صَلِيبةٌ[1]، فيما ذكر محمد بن داود بن الجَرّاح؛ والصحيح أنه مولى لباهلة . وهو بَصرىّ المولد والمَنْشأ ، من شـعراء الدولة العباسيّة، وأحد ندماء الخلفاء من بنى هاشم . ويقال : إنه أوّلُ من جالس منهم محمدٌ الأمين . شاعرٌ أديبٌ ظريف مطبوعٌ حسنُ التصرّف فى الشعر حلو المَذْهب، لشعره قبول ورونق صافٍ . وكان أبو نُواس يأخذ معانيَه فى الخمر فيُغير عليها . واذا شـاع له شعر نادر فى هذا المعنى نسَبه الناس الى أبى نواس . وله معانٍ فى صفتها أبدع فيها وسَبق اليها، فآستعارها أبو نواس، وأخبارُهما فى هذا المعنى وغيره تُذكر فى أماكنها. وكان يلقّب الخليعَ والأشقرَ، وهاجى مُسْلِمَ بن الوليد فآنتصف منه . وله غزل كثير جيّـد . وهو من المطبوعين الذين تخـلو[2] أشعارُهم ومذاهبهـم جملةً من التكلّف . وعُمِّرَ عمرًا طويلا حتى قارب المـائة السنة، ومات فى خلافة المُستعين أو المنتصر .

١٧١ / ٦

وحدّثنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجِّم قال :

كان حسين بن الضحّاك بن ياسر مولًى لباهلة، وأصـلُه من خُراسان ؛ فكان ربمـا آعترف بهذا الولاء وربما جَحَده ، وكان يلقّب بالأشقر، وهو ومحمد بن حازم الباهلىّ ابنا خالة .

وحدّثنى الصُّولىّ عن إبراهيم بن المعلَّى الباهلىّ : أنه سأله عن نسب حسين بن الضحّاك فقال : هو حسين بن الضحّاك بن ياسر، من موالى سليمان بن ربيعة الباهلىّ . قال الصولىّ : وسألتُ الطيِّبَ بن محمد الباهلىّ عنه فقال لى : هو الحسين

(١) صلية : خالص النسب . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وهذا ...».

ابن الضحّاك بن فلان بن فلان بن ياسر ، قديم الولاء ، وداره فى بنى مُجاشِع وفيها وُلِد الحسين ، أرانيها صاحبُنا سعيد بن مسلم .

قال قصيدة الخمرية فاستحسنها أبو نواس ونسبت اليه

أخبرنى علىّ بن العبّاس بن أبى طَلْحة الكاتب ومحمد بن يحيى الصُّولىّ قالا : حدّثنا المُغيرة بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنا حسين بن الضحّاك قال: أنشدتُ أبانواس لمّا حَجَجْت قصيدتى التى قلتُها فى الخمر وهى :

بُـدِّلْتَ مِن نَفَحات الورد بالآءِ[1] ✽ ومن صَبُوحك دَرَّ الإبْـل والشاءِ

فلما آنتهيتُ منها الى قولى :

حتى إذا أُسْنِدَتْ فى البيت وآحْتُضِرتْ ✽ عنـد الصَّبوح ببسّامين أكْفاءِ
فُضَّتْ خواتمُهـا فى نَعْت واصفها ✽ عن مثـل رَقْرَاقَةٍ[2] فى جفن مَرْهاءِ[3]

قال : فصعِق صعقةً أفزعنى ، وقال : أحسنتَ والله يا أشقر ! فقلتُ : ويلك يا حسن ! إنك أفزعتنى والله ! فقال : بلى والله أفزعتَنى ورُعْتَنى ، هـذا معنى من المعـانى التى كان فكرى لا بدّ أن ينتهى اليها أو أغوص عليها وأقولَها فسبَقْتَنى اليـه واختلستَه منّى ، وستعلم لمن يُرْوَى أَلِى أم لك ؛ فكان والله كما قال ، سمعتُ من لا يعلم يَرْويها له .

أخبرنى بهذا الخبر الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنى محمد بن عبدالله مولى بنى هاشم أبو جعفر قال :

سمعت الحسينَ بن الضحّاك يقول : لمـا قلت قصيدتى

✽ بُدِّلْتَ من نفحات الورد بالآء ✽

(١) فى الأصول : « بالالاء » . والتصويب عن المرحوم الشيخ الشنقيطى فى نسخته . والآء : شجر الدفلى (نبت مر زهره كالورد الأحمر) . (٢) الرقراقة : الدمعة التى تترقرق (تتحرك) فى العين ولا تسيل . (٣) المرهاء : المرأة التى لم تكتحل .

أنشدتُها أبانواس، فقال: ستعلم لمن يَرويها الناسُ ألِى أم لك، فكان الأمرُ كما قال، رأيتُها فى دفاتر الناس فى أوّل أشعاره .

أخبرنى جعفر بن قُدامة عن أحمد بن أبى طاهر عن أحمد بن صالح عن الحسين بن الضحّاك، فذكر نحواً منه .

ذكر المأمون لحبيه لشعره فى الأمين وذهب البصرة

أخبرنى الصّولىّ قال حدّثنى عبد الله بن محمد الفارسىّ عن ثُمامة بن أشْرس، قال الصولىّ وحدّثنيه عَوْن بن محمد عن عبدالله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع قال: لمّا قدِم المأمونُ من خُراسان وصار الى بغداد ، أمر بأن يُسمّى له قومٌ من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه، فذُكر له جماعةٌ فيهم الحسين بن الضحّاك، وكان من جلساء محمد المخلوع؛ فقرأ أسماءَهم حتى بلغ الى اسم حسين، فقال : أليس هو الذى يقول فى محمد :

هلّا بَقيتَ لسدّ فاقتنا * أبدًا وكان لغيرك التَّلَفُ
فلقد خلَفتَ خلائفاً سلَفوا * ولَسوْفَ يُعْوِز بعدك الخَلَفُ

لا حاجةَ لى فيه، والله لايرانى أبدا إلا فى الطريق . ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به . قال : وآنحدر حسينٌ الى البصرة فأقام بها طولَ أيام المأمون .

١٧٢
٦

أخبرنى عمّى والكوكبىّ بهذا قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا عبد الله بن الحارث المَرْوَزىّ عن إبراهيم بن عبد الله ابن أخى السِّندىّ بن شاهك، فذكر مثلَه سواء .

أنشد المأمون مدحه فيه فلم يرض عنه

قال آبن أبى طاهر فحدّثنى محمد بن عبد الله صاحب المراكب قال أخبرنى أبى عن صالح بن الرشيد قال :

دخلتُ يومًا على المأمون ومعى بيتان للحسين بن الضحّاك ، فقلت يا أمير المؤمنين، أحبّ أن تسمع منى بيتين؛ فقال : أنشِدْهما فأنشدتُه :

حَمِدنا اللهَ شكْرًا إذ حبانا * بنصرك يا أمير المؤمنينا

فأنت خليفةُ الرحمن حقًّا * جمعتَ سماحةً وجمعتَ دِينا

فقال : لمن هذان البيتان ياصالح؟ فقلتُ : لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحّاك ؛ قال : قد أحسن . فقلتُ : وله يا أمير المؤمنين أجودُ من هذا؛ فقال : وما هو؟ فأنشدتُه قوله :

صــــوت

أَيَبخَل فَرْدُ الحسن فَرْدُ صفاتِه * علىّ وقد أفردتُه بهوًى فَرِدِ

رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده * فملّكه واللهُ أعلمُ بالعبد

قال : فأطرق ساعةً ثم قال : ما تَطيبُ نفسى له بخير بعدما قال فى أخى محمد وقال.

قال أبو الفرج : وهذه الأبيات تُروى لابن البوّاب ، وستُذكر فى أبوابه إن شاء اللهُ تعالى ، وعلى أن الذى رواها غلط فى روايته غلطًا بيّنًا ، لأنها مشهورةٌ من شعر حسين بن الضحّاك . وقد رُوى أيضا فى أخباره أنه دفعها الى ابن البوّاب فأوصلها الى ابن المأمون، وكان له صديقًا . ولعلّ الغَلَط وقع من هذه الجهة .

الغناء فى الأبيات المذكورة المنسوبة الى حسين بن الضحّاك والى ابن البوّاب الدّالّية لإبراهيم بن المهدىّ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر . وفيها لعبيد الله بن موسى الطائىّ رمل بالبنصر .

أمر المأمون عمرو ابن بانة بالغناء فى شعره فى الأمين

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا أحمد بن زيد المهلّبىّ عن أبيه عن عمرو ابن بانة أنّهم كانوا عند صالح بن الرشيد، فقال : لستَ تطرَح على جَوارىّ وغلمانى

ما أستجيده ! فقال له : ويلك ! ما أبغضك ابعث الى منزلى يجئ بالدفاتر واختر منها ما شئت حتى أُلقيه عليهم ؛ فبعث الى منزلى يجيء اليه بدفاتر الغناء فأخذ منها دفترا ليتخير مما فيه ، فمر به شعر الحسين بن الضحاك يرثى الأمين ويهجو المأمون وهو :

أطل حزنا وابك الإمام محمدا * بحزن وإن خفت الحسام المهندا

فلا تمت الأشياء بعد محمد * ولا زال شمل الملك منها مبددا ٥

ولا فرح المأمون بالملك بعده * ولا زال فى الدنيا طريدا مشردا

فقال لى صالح : أنت تعلم أن المأمون يجيء الى فى كل ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلا ! ثم دعا بسكين فجعل يحكه ؛ وصعد المأمون من الدرجة ورمى صالح الدفتر . فقال المأمون : يا غلام الدفتر ، فأتى به ، فنظر فيه ووقف على الحك فقال : إن قلت لكم : ما كنتم فيه تصدقونى[1] ؟ قلنا : نعم . قال : ينبغى أن يكون أخى قال ١٠ لك : ابعث يجئ بدفاترك ليتخير ما تطرح ، فوقف على هذا الشعر فكره أن أراه فأمر بحكه ؛ قلنا : كذا كان . فقال : غنه يا عمرو ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، الشعر لحسين ابن الضحاك والغناء لسعيد بن جابر ؛ فقال : وما يكون ! غنه فغنيته ؛ فقال : اردده فرددته ثلاث مرات ؛ فأمر لى بثلاثين ألف درهم ، وقال : حتى تعلم أنه لم يضرك عندى . ١٥

[١٧٣ / ٦]

قال : وسعيد بن جابر الذى يقول فيه حسين بن الضحاك ، وكان نديمه وصديقه :

* يا سعيد وأين منى سعيد *

مراثيه فى الأمين

ولحسين بن الضحاك فى محمد الأمين مراث كثيرة جياد[2] ، وكان كثير التحقق به والموالاة له لكثرة أفضاله عليه وميله اليه وتقديمه إياه . وبلغ من جزعه عليه أنه

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «ما كان فيه» . (٢) كذا فى جميع الأصول ولعلها «التعلق» . ٢٠

خُولِط؛ فكان يُنكر قتلَه لمّا بلغه ويدفعه ويقول : إنه مُستَتِر وإنه قـد وقف على تفـرّق دُعاته فى الأمصار يدعون الى مُراجَعة أمره والوفاء ببيْعته ضنًّا به وشـفقةً عليه . ومن جيّد مراثيه إياه قولُه :

صـــوت

سألونا أن كيف نحن فقلنـا * مَنْ هَوَى نجمُه فكيف يكونُ

نحن قوم أصابنا حَدَثُ الدهـ * ـر فظَلْنـا لِرَيْبِـــه نَسـتكين

نَتَمَنَّى من الأمينِ إيابًا * لَهْفَ نفسى وأين منّى الأمين

فى هـذه الأبيات لسعيد بن جابر ثانى ثقيل بالوسطى . وفيها لعَريبَ خفيف ثقيـــلٍ .

١٠ ومن جيّد قوله فى مراثيه إيّاه :

أَعزَّى يا محمـد عنك نفسى * مَعاذَ الله والأيدى الجِسامِ

فهـــلّا مات قـــوم لم يموتوا * ودُوفِع عنـــك لى يوم الحِمامِ

كأن الموتَ صادف منك غُنْمًا * أو آستشفى بقُربك من سَقام

أعجب المأمون بيت من شعره وأجازه عليه بثلاثين الف درهم

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا علىّ

١٥ ابن محمد النَّوفلىّ قال قال لى محمد بن عبّاد : قال لى المأمون وقد قدِمت من البصرة: كيف ظريف شعرائكم وواحد مِصْرِكم ؟ قلتُ : ما أعرفه، قال : ذاك الحسين بن الضحّاك، أشعرُ شعرائكم وأظرفُ ظرفائكم . أليس هو الذى يقول :

رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده * فملّكه والله أعـــلم بالعبـــد

قال : ثم قال لى المأمون : ما قال فىّ أحد من شعراء زماننا بيتًا أبلغَ من بيته

٢٠ هذا، فاكتب اليـه فآستقدِمْه، وكان حسين عليلا وكان يخاف بوادرَ المأمون لمـا

فرَط منه، فقلت للمأمون : إنه عليل ياأمير المؤمنين، علّتُه تمنعه من الحركة والسفر. قال: خُذْ كتابًا الى عامل خراجكم بالبصرة حتى يُعطيَه ثلاثين ألف درهم ، فأخذتُ الكتاب بذلك وأنفذتُه اليه فقبض المال .

قال محمد بن يزيد الأزدى هو أشعر المحدثين

حدّثنا علىّ بن العباس بن أبى طلحة الكاتب قال سمعتُ أبا العباس محمد بن يزيد الأزدىّ يقول : حسين بن الضحّاك أشعر المُحْدَثين حيث يقول :

أىُّ ديباجةِ حُسْنٍ * هيّجَتْ لوعةَ حزنى
إذ رمانى القمر الزا * هر عن فَترة جفن
بأبى شمسُ نهارٍ * برزَتْ فى يوم دَجْن
قرّبتنى بالمنى حـ * ـتى إذا ما أخلفَتْنى
تركتنى بين ميعا * د وخُلْف وتجنّى
ما أرانى لى من الصبـ(١) * ـوة إلّا حسنُ ظنّى
إنما دامت على الغد * ر لِمَا تعرف منّى
أستعيذ اللهَ من إعـ * ـراض من أعرض عنّى

١٧٤ / ٦

استقدمه المعتصم من البصرة ومدحه فأجازه

أخبرنى علىّ بن العباس قال حدّثنى سَوادةُ بن الفَيْض المخزومىّ قال حدّثنى أبو الفيض بن سوادة عن جدّى قال :

لمّا ولى المعتصمُ الخلافةَ سألنى عن حسين بن الضحّاك، فأخبرتُه بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه ، فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدِم . فلما دخل وسلّم استأذن فى الإنشاد فأذن له ، فأنشده قولَه :

هلّا سألت تلَدُّدَ(٢) المُشتاقِ * ومننْتَ قبل فراقه بتلاقِ

(١) فى بعض الأصول : «ما أرى لى ...» ، وهو تحريف .
(٢) كذا فى الأصول . ولعله « تلدد » بالدال المهملة وهو الحيرة والدهش .

إنّ الرقيب ليستريب تنفّسًا * صُعُدًا اليك وظاهرَ الإقلاق
ولئن أرَبْتُ[1] لقد نظرتَ بغفلةٍ * عَبْرى عليك سخينةَ الآماق
نفسى الفداءُ لخائفٍ مترقّبٍ * جعل الوَداعَ إشارةً بعناق
إذ لا جوابَ لمُفْحَمٍ متحيّرٍ * إلا الدموعُ تُصان بالإطراق

٥ حتى آنتهى إلى قوله :

خيرُ الوُفود مبشّرٌ بخلافةٍ * خَصّتْ ببهجتها أبا إسحاق
وَافتْه فى الشهر الحرام سليمةً * من كل مُشْكلة وكلّ شقاق
أعطته صفقتَها الضمائرُ طاعةً * قبل الأكُفّ بأوكد الميثاق
سكن الأنامُ الى إمام سلامةٍ * عفّ الضمير مهذّبِ الأخلاق
١٠ فحمى رعيّته ودافع دونها * وأجار مُمْلقَها من الإملاق

حتى أتمّها . فقال له المعتصم : أُدْنُ منّى فدنا منه ؛ فملأ فمه جوهرا من جوهر كان بين يديه ، ثم أمره بأن يخرجه من فيه فأخرجه ، وأمر بأن يُنْظَمَ ويُدفعَ اليه ويخرج إلى الناس وهو فى يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعلَه . فكان أحسنَ ما مُدح به يومئذ .

١٥ ومما قدّمه أهلُ العلم على سائر ما قالته الشعراء قولُ حسين بن الضحّاك حيث قال :

قل للألى صرَفوا الوجوه عن الهدى * متعسّفين تعسّفَ المُرّاقِ
إنى أُحذّركم بوادرَ ضَيْغَمٍ * دَرِبٍ بحَطْم مَوائلِ الأعناق
متأهّبٍ لا يستفزّ جَنانَه * زَجَلُ الرُّعُود ولامعُ الإبراق

---

٢٠ (١) أراب الرجل : كان ذا ريبة .

لم يبق من متعرِّمين(١) توثّبوا * بالشام غيرُ جماجمٍ أفلاقِ
من بين مُنْجَدِلٍ تمجّ عروقُه * عَلَق(٢) الأخادع أو أسيرٍ وَثَاقِ
وثنى الخيولَ الى معاقل قيصرٍ * تختال بين أحزّةٍ(٣) ورِقاق
يحملن كلَّ مُشمّرٍ مُتَغَشّمٍ(٤) * ليثٍ هِزَبْرٍ أهْرَتِ الأشداق
حتى إذا أمَّ الحصونَ مُنازلًا * والموتُ بين ترائبٍ وتَرَاقِ(٥)
هَرَّتْ(٦) بطارقُها هريرَ قَسَاوِرٍ * بُدِهَتْ بأكْرَهِ منظرٍ ومَذَاقِ
ثم أستكانت للحصار ملوكُها * ذُلًّا وناط حلوقَها بخِنَاقِ(٧)
هرَبتْ وأسلمتِ الصليبَ عشيّةً * لم يَبْقَ غيرُ حُشَاشَةِ الأرماق

قال : فأمر له المعتصم لكل بيت بألف درهم، وقال له : أنت تعلم يا حسين أن هذا أكثر ما مدحنى به مادحٌ فى دولتنا . فقبّل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه .

١٧٥ / ٦

أعجب الرياشى ليتين له فى الخمر

حدّثنى علىّ قال حدّثنى عثمان بن عمر الآجُرّى قال : سمعت الرِّيَاشىّ ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جدًّا وهما :

إذا ما الماءُ أمكننى * وصفوُ سُلافةِ العِنَبِ
صببتُ الفضّةَ البيضا * ءَ فوق قُرَاضةِ الذهب

(١) كذا فى تجريد الأغانى . والمتعرِّمون : ذوو العرامة وهى الشراسة والحدّة فى الخلق . وفى الأصول : «متعزمين» بالزاى وهو تصحيف . (٢) العلق : الدم . والأخادع : عروق فى العنق . (٣) كذا فى حـ . والأحزة : جمع حزيز وهو الغليظ من الأرض . والرقاق : المستوية اللينة منها . وفى سائر الأصول : «أجرة ودقاق» بالجيم والراء فى الأولى والدال المهملة فى الثانية . (٤) المتغشم : الغضوب . وهرت الأشداق : سعتها . والأسود توصف بذلك . (٥) الترائب : عظام الصدور وفوقها التراق، مفرده ترقوة . (٦) هرّت : صوّتت . والقساور : الشجعان والأعزة والأشداء من الرجال، واحده قسورة . وبدهت : بغتت . (٧) الخناق : ما يخنق به من حبل أو وتر ونحوه .

فقلت له : من يقولها يا أبا الفضل ؟ قال : أرقّ الناس طبعًا وأكثرهم مُلَحًا وأكملهم ظَرفًا حسين بن الضحّاك .

أخذ أبو نواس معنى له فى الخمر فأجاده

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنى أبى عن حسين بن الضحّاك قال : انشدتُ أبا نُواس قصيدتى :

وشاطِرىّ[1] اللسان مختلِق التكـ * ـريه شاب المُجُونَ بالنُّسُك

حتّى بلغتُ الى قولى[2] :

كأنما[3] نُصْبَ كاسه قمرٌ * يكرَعُ فى بعض أنجُم الفلك

قال : فانشدنى أبو نواس بعد أيام لنفسه :

إذا عَبّ فيها شاربُ القومِ خلتَه * يُقبِّل فى داجٍ من الليل كوكبا

١٠ قال : فقلت له : يا أبا علىّ هذه مُصَالَتَةٌ[4] . فقال لى : أتظن أنه يُروى لك فى الخمر معنى جيّد وأنا حىّ ! . أخبرنى به جعفر بن قُدَامة عن علىّ بن محمد بن نصر عن أحمد بن حمدون عن حسين بن الضحّاك فذكر مثله .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال :

انشدتُ إبراهيم بن المدبّر قولَ حسين بن الضحّاك :

١٥ كأنما نُصْبَ كأسه قمرٌ * حاسدُه[5] بعض أنجُم الفلك

(١) شاطرىّ : نسبة الى الشاطر وهو الذى أعيا أهله ومؤدبه خبثا . وكان هذا الاسم يطلق فى الدولة العباسية على أهل البطالة والفساد . (٢) كذا فى حـ وفى سائر الأصول : « الى قوله » وهو تحريف . (٣) كذا فى تجريد الأغانى وفى الأصول : « تخالها نصب كأسه قمرا » . (٤) كذا فى تجريد الأغانى . والمصالتة عند الشعراء هى أن يأخذ الشاعر بيتا لغيره لفظا ومعنى ،

٢٠ وهى من أقبح السرقات الشعرية ، من الصلت بمعنى اللص (عن أقرب الموارد مادّة صلت) وفى الأصول : « مصالبة » بالباء وهو تصحيف . (٥) كذا فى الأصول هنا ، وهو غير واضح . وقد تقدم هذا البيت منذ أسطر برواية أخرى واضحة .

حتى إذا رنّحتْــه سورتها * وأبدلته السكونَ بالحـركْ
كشفتُ عن وَزّة مسنَّمة * فى لين صِينيَّة من الفَـلَك (١)

فقال لى إبراهيم بن المدبِّر : إن الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرَق منه هذا المعنى حين يقول : * يقبِّل فى داج من الليـل كوكبا * فإن كان سرَقه منه فهو أحقُّ به لأنه قد برَّز عليه ، وإن كان حسين سرقه منه فقد قصَّر عنه .

مدح الواثق حين ولى الخلافة فأجازه

أخبرنى محمد بن يحيى الخُرَاسانىّ قال حدّثنى محمد بن مُخَارِق قال :

لمـا بُويع الواثقُ بالخلافة ودخل (٢) عليه الحسين بن الضحّاك فأنشـده قصيدتَه التى أوّلها :

١٧٦
٦

صـــوت

ألم يَرُع الإسـلامَ موتُ نصـيرِه * بَلَى حَقَّ أن يرتاع من مات ناصرُهْ
سيُسْلِيك عمّـا فات دولةُ مُفْضِلٍ * أوائـلُه محمـودةٌ وأواخـرُهْ
ثنى الله عِطْفَيْـه وألّف شخصَـــه * على البِرِّ مُـذْ شُدّت عليـه مآزِرُه
يَصَبُّ (٣) ببَـذْل المـال حتى كأنما * يرى بذلَه للمـال نَهْبًا يُبـادرُه
وما قـدّم الرحمنُ إلّا مقـدَّمًا * مــواردُه محمـودةٌ ومصـادرُه

فقال الواثق : إن كان الحسين لَينطِق عن حسن طويّة ويمدح بخُلوص نيّة . ثم أمر بأن يُعطَى لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألفَ درهم . فأعجبته الأبيات ، حتى أمر فصُنعت فيها عدّة ألحان ، منها لَعرِيبَ فى طريقة الثقيل الأوّل .

(١) الصينية : الإناء المعروف . والفلك : التل من الرمل . وكثيرا ما تشبه العجيزة فى الضخامة واللين بكثيب الرمل . (٢) كذا فى الأصـول ولعله « دخل » من غير الواو .
(٣) كذا فى ء ، حـ وصب بالشىء : كلف به وولع . وفى سائر الأصول : « يصيب » وهو تحريف .

سرق شعرا له في الواثق من شعر أبي العتاهية في الرشيد

وأخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني عَوْن بن محمد قال حدّثني محمد بن عمرو الرومي قال :

لمّا ولي الواثقُ الخلافةَ أنشده حسين بن الضحّاك قصيدةً منها :

سيُسْليك عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ * أوائلُه محمودةٌ وأواخرُه

وما قدّم الرحمنُ إلّا مقدَّما * مواردُه محمودةٌ ومصادرُه

قال : فأنشدتُ إسحاقَ الموصليّ هذا الشعر، فقال لي : نقل حسين كلامَ أبي العتاهية في الرشيد حتى جاء بألفاظه بعينها حيث يقول :

جَرَى لك من هارونَ بالسعد طائرُه * إمامُ اعتزام لا تُخاف بوادرُه

إمامٌ له رأيٌ حميدٌ ورحمةٌ * مواردُه محمودةٌ ومصادرُه

١٠ قال : فعجبتُ من رواية إسحاق شعرَ المُحْدَثين، وإنما كان يروى للأوائل ويتعصّب على المحدَثين وعلى أبي العتاهية خاصّةً .

في هذين الشعرين أغاني نسبتها :

صوت

جرى لك من هارون بالسعد طائرُه * إمامُ اعتزامٍ لا تُخاف بوادرُه

١٥ إمامٌ له رأيٌ حميدٌ ورحمةٌ * مواردُه محمودةٌ ومصادره

هو الملكُ المجبولُ نفسًا على التُّقَى * مُسَلَّمةٌ من كلّ سوء عساكره

لتُغْمَدْ سيوفُ الحرب فاللهُ وحده * وليُّ أميرِ المؤمنين وناصرُه

الشعر لأبي العتاهية، على ما ذكره الصُّوليّ. وقد وجدتُ هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسَلْمٍ الخاسر. والغناءُ لإبراهيم، وله فيه لحنان خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو

٢٠ وثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ .

صـــــوت

سَيُسْلِيكَ عمّا فات دولةُ مُفْضِـــلٍ * أوائـــلُه محمـــودةٌ وأواخـــرُهْ

ثنى الله عِطْفَيْــه وألّف شخصَــه * على البِرّ مذ شُدّت عليــه مآزِرُه

الشعر لحسين بن الضحّاك . والغناء لعَريبَ ثقيل أوّل مطلق . وفيــه لقَلَم[1] الصالحيّة خفيفُ رمل، وهو أغرب اللحنين ولَحن عَريبَ المشهور .

١٧٧
٦

مدح الواثق وهو فى الصيد فأجازه

أخبرنى محمــد بن يحيى قال حدّثنى محمد بن يحيى[2] قال حدّثنى علىّ بن الصبّاح قال حدّثنى علىّ بن صالح كاتب الحسن بن رَجَاء قال حدّثنى ابراهيم بن الحسن ابن سهل قال :

كنّا مع الواثق بالقَاطُول[3] وهو يتصيّد؛ فصاد صيداً حسنا وهو فى الزَّوّ[4] من الإوَزّ والدُّرّاج وطيرِ الماء وغيرِ ذلك؛ ثم رجع فتغدّى، ودعا بالجلساء والمغنّين وطرِب، وقال : من يُنْشدنا ؟ فقام الحسين بن الضحّاك فأنشده :

سقى اللهُ بالقاطُول مَسْرَحَ طرفكا * وخَصّ بسُــقْياه مناكبَ قصرِكا

حتى انتهى الى قوله :

تَحِنّ للــدُّرّاج فى جَنَبــاته * وللغَــرِ آجالٌ قُدِرْن بكفِّكا

(١) هى قلم الصالحيــة جارية صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنيات المحسنات المتقدمات وترجمتها مذكورة فى (ج ١٢ ص ١١٥ من هذا الكتاب طبع بولاق) وورد ذكرها فى تاريخ الطبرى (ص ١٣٦٦ من القسم الثالث طبع أوربا) . وورد هذا الاسم فى جميع الأصول هكذا : «لعلم» وظاهر تحريفه .
(٢) كذا فى الأصول . ويظهر أن هذا الإسم مكرر من النساخ لأن المؤلف تكررت روايته عن محمد بن يحيى الصولى . والصولى يروى عن على بن الصباح ، وقد مر مثل هذا السند فى الجزء الرابع من هذا الكتاب (ص ٥٤) . (٣) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، حفره الرشيد وبنى على فوهته قصرا سماه أبا الجند . (٤) الزوّ : نوع من السفن كان منتشرا فى العصر العباسى . ونحن نقتطف بعض عبارات من الطبرى لاثبات ذلك ، فقد جاء فى صفحة (٦٨٢ ق ٣) قال السندى بن شاهك بعد كلام طويل : حدّثنى العباس بن الفضل بن الربيع قال : جلس الرشيد فى الزوّ فى الفرات ينتظرك . ثم ساق بعد كلام كثير : فأرسل الىّ الرشيد فصرت اليه ووقفت ساعة بين يديه ؛ فقال لمن كان عنده من الخدم : قوموا فقاموا فلم يبق إلا العباس . ثم قال للعباس : اخرج ومر برفع التخاتج (الأخشاب) المطروحة على الزوّ ففعل ذلك .

حُتُوفًا إذا وجّهتهنّ قواضبًا * عِجَالًا اذا أغريتهنّ بزجركا
أبحتَ حَمَامًا مُصْعِدًا ومُصوِّبًا * وما رِمْتَ[1] فى حاليك مجلسَ لهوكا
تصرّفُ فيه بين نايٍ ومُسْمِعٍ * ومشمولةٍ[2] من كفّ ظبيٍ لسَقْيكا
قضيتَ لُبَاناتٍ وأنت مخيّمٌ * مُرِيحٌ وإن شطّتْ مسافةُ عزمكا
وما نال طِيبَ العيش إلّا مُوَدَّعٌ[3] * وما طاب عيشٌ نال مجهودَ كدّكا

فقال الواثق : ما يعدل الراحةَ ولذّةَ الدَّعَة شىء . فلما آنتهى إلى قوله :

خُلقتَ أمينَ الله للخَلْق عِصْمةً * وأمْنًا فكلٌّ فى ذَرَاك وظلّكا
وثِقتَ بمن سمّاك بالغيب واثقًا * وثَبّت بالتأييد أركانَ مُلْككا
فأعطاك مُعْطيك الخلافةَ شكرَها * وأسْعد بالتقوى سريرةَ قلبكا
وزادك من أعمارنا، غيرَ مِنّةٍ * عليك بها، أضعافَ أضعافِ عمركا
ولا زالت الأقدارُ فى كلّ حالةٍ * عُداةً لمن عاداك سِلْمًا لسلمكا
إذا كنتُ من جَدْواك فى كل نعمةٍ * فلا كنتُ إن لم أُفْنِ عمرى بشكركا

فطرب الواثق فضرب الأرض بمِخْصَرةٍ كانت فى يده، وقال : لله درّك يا حسين ! ما أقرب قلبَك من لسانك ! فقال : يا أمير المؤمنين، جودُك يُنطِق المُفْحَمَ بالشعر والجاحدَ بالشكر. فقال له : لن تنصرف إلّا مسرورا؛ ثم أمر له بخمسين ألف درهم .

رغب الواثق فى الشراب فى يوم غيم

حدّثنا علىّ بن العبّاس بن أبى طلحة قال حدّثنا أبو العبّاس الرِّيَاشىّ قال حدّثنا الحسين بن الضحّاك قال :

دخلت على الواثق ذات يوم وفى السماء لَطْخُ[4] غيم ، فقال لى : ما الرأى عندك فى هذا اليوم؟ فقلت : يا أمير المؤمنين، ما حكم به وأشار اليه قبلى أحمد بن يوسف؛ فإنه أشار بصواب لا يردّ وجعله فى شعرٍ لا يُعارَض . فقال : وما قال؟ فقلت قال:

(١) رام المكان : زال عنه وفارقه . (٢) المشمولة : الخمر الباردة . (٣) المودع : المرفه . (٤) لطخ غيم : قليل غيم .

أرى غيمًا تؤلّفه جَنُوبٌ * وأحسَبه سيأتينا بهَطْلِ

فعينُ الرأى أن تدعو بِرِطْلٍ * فتشربه وتدعو لى بِرِطلِ

فقال : أصبتما؛ ودعا بالطّعام و بالشراب والمغنّين والجلساء وٱصطبحنا .

وصف ليلة لهو قضاها الواثق

أخبرنى علىّ بن العبّاس قال حدّثنى الحسين بن عُلْوان قال حدّثنى العبّاس بن عُبيد الله الكاتب قال :

١٧٨ / ٦

كان حسين بن الضحّاك ليلةً عند الواثق وقد شربوا الى أن مضى ثُلُثٌ من الليل ، فأمر بأن يبيتَ مكانَه . فلما أصبح خرج الى الندماء وهم مقيمون ، فقال لحسين : هل وصفتَ ليلتنا الماضية وطيبَها ؟ فقال : لم يمض شىء وأنا أقول الساعة؛ وفكّر هنيهةً ثم قال :

حثّ صَبُوحى فكاهةُ اللّاهى[(1)] * وطاب يومى بقرب أشباهى

فٱستثِر اللهوَ من مكامنه[(2)] * من قبل يومٍ منغِّصٍ ناهى

بٱبنة كَرْمٍ من كفّ مُنْتَطِقٍ[(3)] * مؤزَّر بالمجون تيّاه

يَسقيك من طرفه ومن يده * سَقْىَ لطيف مجرِّب داهى

كأسًا فكأسًا كأنّ شاربها * حيرانُ بين الذّكور والساهى .

قال : فأمر الواثق بردّ مجلسه كهيئته ، وٱصطبح يومَه ذلك معهم؛ وقال : نحقّق قولك ياحسين ونقضى لك كلّ أرَب وحاجة .

شعره فى جارية للواثق غضبت عليه

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى محمد بن مُغيرة المهلّبى قال حدّثنا حُسين بن الضحّاك قال :

---

(١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « حبث » وهو تصحيف . (٢) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « لاهى » وهو تحريف . (٣) المنتطق : اللابس المنطقة وهى كل ما شددت به وسطك .

كانت لى نَوْبةٌ فى دار الواثق أحضُرها جلَس أولم يجلس . فبينا أنا نائم ذاتَ ليلةٍ فى حجرتى، إذ جاء خادم من خَدَم الحُرَم فقال : قُمْ فإن أمير المؤمنين يدعوك. فقلت له : وما الخبر؟ قال : كان نائمًا والى جَنْبه حَظِيّةٌ له فقام وهو يظنّها نائمةً ، فألمّ بجارية له أخرى ولم تكن ليلةَ نوبتها وعاد الى فراشه ؛ فغضبتْ حَظِيّتُه وتركَتْه حتى نام، ثم قامت ودخلت حجرتَها ؛ فآنتبه وهو يرى أنها عنده فلم يجدها، فقال : اخْتُلِستْ عزيزتى، ويحكم أين هى! فأُخْبِر أنها قامت غَضْبَى ومضت الى حجرتها، فدعا بك . فقلت فى طريق :

غضِبَتْ أنْ زُرْتُ أخرى خِلْسةً * فلها العُتْبَى لدينا والرِّضا
يا فَدَتْكِ النفسُ كانت هفوةً * فآغفِريها وآصفَحى عمّا مضى
وآتركى العذلَ على من قاله * وآنسُبى جَوْرِى إلى حكم القضا
فلقد نَبَّهتِنى من رَقْدتى * وعلى قلبى كنيرانِ الغَضَا

قال : فلما جئتُه خبّرنى القصّة وقال لى : قُلْ فى هذا شيئا ؛ فتفكّرتُ هنيهةً كأنى أقول شعرًا ثم أنشدتُه الأبيات . فقال : أحسنتَ وحياتى ! أعِدْها ياحسين ؛ فأعدتُها عليه حتى حفِظها ،وأمر لى بخمسمائة دينار، وقام فمضى الى الجارية وخرجتُ أنا الى حجرتى .

رأى الواثق جارية له فى النوم وأمره بأن يقول شعرا فى ذلك

أخبرنى علىّ بن العبّاس بن أبى طَلْحة قال حدّثنى الغَلَابِىّ قال حدّثنى مهدىّ ابن سابِق قال قال لى حسين بن الضحّاك :

كان الواثق يتحظّى جاريةً له فماتت فجزِع عليها وترك الشرب أيامًا ثم سَلَاها وعاد الى حاله ؛ فدعانى ليلةً فقال لى : يا حسين ، رأيتُ فلانة فى النوم ؛ فليت نومى كان طال قليلا لأتمتّع بلقائها؛ فقل فى هذا شيئا . فقلت :

ليتَ عينَ الدهرِ عنّا غَفَلتْ * ورقيبَ الليلِ عنّا رَقَدا

وأقامَ النَّومُ فى مدّته * كالذى كان وكنّا أبدا

بأبى زَورٌ[1] تلفّتُّ له * فتنفّستُ اليه الصُّعَدا

بينما أضحك مسروراً به * إذ تقطّعتُ عليه كَمَدا

١٧٩ / ٦

قال : فقال لى الواثق : أحسنتَ! ولكنّك وصفتَ رقيبَ الليل فشكوتَه ولا ذنبَ لليل وإنما رأيتُ الرؤيا نهاراً . ثم عاد الى منامه فرقد .

سرقة أبونواس معنى فى الخمر

أخبرنى جَحْظة قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجّم قال حدّثنى حسين بن الضحّاك، وأخبرنى به جعفر بن قُدامة عن علىّ بن يحيى عن حسين بن الضحّاك قال :

لقينى أبو نُواس ذات يوم عند باب أم جعفر من الجانب الغربىّ، فأنشدته :

أَخَوَىَّ حىَّ[2] على الصَّبوح صباحا * هُبَّا ولا تَعِدا الصباحَ رَواحا

هـذا الشَّميط[3] كأنه متحيّرٌ * فى الأُفْق سُدّ طريقُه فألاحا

ما تأمران بسَكْرة قَرَوِيَّة * قَرَنَتْ الى درك النجاح نجاحا

هكذا قال جَحْظة . والذى أحفظه :

* ما تأمران بقهوة قَرَوِيّة *

قال : فلما كان بعد أيام لقينى فى ذلك الموضع فأنشدنى يقول :

ذكر الصَّبُوحَ بسُحْرة فارتاحا * وأمَلّه ديكُ الصَّباح صِياحا

فقلت له : حسنُ يا ٱبن الزانية! أفعلتها ! فقال : دع هـذا عنك، فوالله لا قلتَ فى الخمر شيئا أبدًا وأنا حىٌّ إلّا نُسِب لى .

---

(١) الزور : الخيال يرى فى النوم . (٢) حىّ : مثقلة يندب بها ويدعى بها يقال : حىّ على الصلاة، أى هلموا . (٣) الشميط : الصبح . وفى جميع الأصول : « الشحيط » بالحاء المهملة، وهو تحريف .

شرب عند إبراهيم ابن المهدى فعربد عليه فقال شعرا

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى محمد بن سعيد قال حدّثنى أبو أُمامة الباهلىّ عن الحسين بن الضحّاك، قال محمد بن يحيى وحدّثنى المغيرة بن محمد المهلّبىّ:

أنّ الحسين بن الضحّاك شرب يومًا عنـد إبراهيم بن المهدىّ، فجرت بينهما مُلاحاةٌ فى أمر الدّين والمذهب؛ فدعا له إبراهيمُ بنِطْع وسـيف وقد أخذ منه الشّرابُ؛ فانصرف وهو غضبان. فكتب إليـه إبراهيم يعتذر إليـه ويسأله أن يجيئه. فكتب إليه:

نديمى غـيرُ منسـوب * الى شىء من الحَيْف
سـقانى مثـلَ ما يشر * ب فعلَ الضَّيف بالضيف
فلمـا دارت الكأسُ * دعا بالنِّطْع والسـيف
كذا من يشرب الخمـر * مع التِّنِّين فى الصـيف

قال: ولم يعد الى منادمته مدّة. ثم إن إبراهيم تحمّل[1] عليه ووصله فعاد الى منادمته.

نشأ وهو وأبو نواس بالبصرة ثم رحل الى بغداد واتصل بالأمين

حدّثنى عمّى قال حدّثنى ميمون بن هارون قال حدّثنى حسين بن الضحّاك قال: كنت أنا وأبو نواس تِرْبين، نشأنا فى مكان واحد وتأدّبنا بالبصرة، وكنّا نحضُر مجالسَ الأدباء متصاحبيْن، ثم خرج قبلى عن البصرة وأقام مدّة، واتّصل بى ما آل اليه أمرُه، وبلغنى إيثارُ السلطان وخاصّته له؛ فخرجتُ عن البصرة الى بغداد ولقِيتُ الناس ومدحتُهم وأخذتُ جوائزَهم وعُدِدْتُ فى الشعراء، وهذا كلُّه فى أيام الرشيد، إلّا أنّى لم أصِـلْ اليه واتّصلتُ بآبنـه صالح فكنتُ فى خدمته. فغُنِّى يومًا بهـذا الصـوت:

أأن زُمّ[2] أجمالٌ وفارق جـيرةٌ * وصاح غرابُ البين أنت حزينُ

(١) كذا فى تجريد الأغانى أى استشفع اليه وترضاه. وفى الأصول: «تحامل عليه» وهو تحريف.
(٢) زمّ البعير: خطمه وعلق عليه الزمام.

فقال لى صالح : قل أنت فى هذا المعنى شيئا ؛ فقلت :

أآن دَبَّ حُسَّادٌ وملّ حبيب * وأورق عودُ الهجر أنت حبيبُ [(١)]

لِيَبْلُغَ بنا هجرُ الحبيب مرامَه * هل الحبُّ إلا عَبْرةٌ ونحيب

كأنك لم تسمع بفرقة أُلفةٍ * وغَيْبةِ وصل لا تراه يؤوب

فأمر بأن يُغَنَّى فيه . واتّصلتُ بمحمد [(٢)] ابن زُبيدة فى أيام أبيه وخدمتُه، ثم اتّصلتْ خدمتى له فى أيام خلافته .

جفاه صالح بن الرشيد فترضاه بشعر فرضى عنه

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى أبو العَيْناء عن الحسين بن الضحّاك قال: كنتُ يوما عند صالح بن الرشيد، فجرى بيننا كلامٌ على النّبيذ وقد أخذ منّى الشّرابُ مأخَذًا [(٣)] قويًّا ، فرددتُ عليه ردًّا أنكره وتأوّله على غير ما أردتُ ، فهاجرنى ؛ فكتبتُ اليه :

صوت

يا بنَ الإمام تركتنى هَمَلا * أبكى الحياةَ وأندُب الأملا

ما بالُ عينك حين تلحَظُنى * ما إن تُقلُّ جُفُونَها ثِقَلا

لو كان لى ذنبٌ لبُحْتُ به * كى لا يقال هجرتَنى مَلَلا

إن كنتُ أعرف زَلّةً سلَفَتْ * فرأيتُ مِيتَةَ واحدى عَجَلا [(٤)]

— فيه خفيفُ ثقيل يُنسب الى عبد الله بن العَلاء والى عبد الله بن العبّاس الرَّبيعىّ — قال : فكتب إلىّ : قد تلافى لسانُك بشعرك ، ما جناه فى وقت

(١) كذا فى الأصول . ولعله : « أنت كئيب » . (٢) هو محمد الأمين الخليفة العباسى . وزبيدة أمه وهى بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور . (٣) فى ب ، س : « أخذا » .
(٤) المعنى أنه يدعو على ولده الواحد بالموت عاجلا اذا كان يعرف له زلة سلفت .

سكرك . وقد رَضيتُ عنك رِضًا صحيحًا، فصِرْ إلىّ على أتمّ نشاطك، وأ كمل بساطك.
فعُدْتُ الى خدمته فما سكِرْتُ عنده بعدها . قال : وكانت فى حسين عربدةٌ .

أنشد ابن البوّاب شعره للأمون وشفع له بجفاء المأمون أوّلا ثم وصله

وأخبرنى ببعضه محمد بن مزيد بن أبى الأزهر ومحمد بن خَلَف بن المَرْزُبان، وألفاظهما تزيد وتنقص . وأخبرنى ببعضه محمد بن خَلَف وَكيع عن آخره وقصّة وصولِه الى المأمون ولم يذكر ما قبل ذلك . قال : وحدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه — ولم يقل وَكيع : عن أبيه — واللفظ فى الخبر لابن أبى الأزهر وحديثُه أتمّ، قال:

كنت بين يدى المأمون واقفًا، فأدخل اليه ٱبنُ البوّاب رقعةً فيها أبيات وقال : إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذَن لى فى إنشادها، فظَنّها له فقال : هاتِ؛ فأنشـده :

أجِرْنِى فإنّى قد ظَمِئْتُ الى الوعد * متى تُنجِزُ الوعدَ المؤكَّدَ بالعهد
أُعيذُك من خُلْف الملوك وقد بدا(1) * تقطُّعُ أنفاسى عليك من الوجد
أَيَبْخَلُ فَرْدُ الحسن عنّى بنائلٍ * قليلٍ وقد أفردتُه بهوًى فردِ

الى أن بلغ الى قوله :

رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده * فملّكه واللهُ أعلمُ بالعبد
ألا إنّما المأمونُ للناس عصمةٌ * مميِّزةٌ بين الضَّلالة والرُّشد

فقال المأمون : أحسنتَ يا عبد الله ! فقال : يا أميرَ المؤمنين، أحسن قائلُها؛ قال : ومن هو؟ فقال : عبدُك(2) حسين بن الضحّاك؛ فغضِب ثم قال : لا حيّا الله من ذكرتَ ولا بيّاه ولا قرّبه ولا أنعم به عينًا ! أليس القائلَ :

أعينيَّ جُودَا وٱبكيا لى محمّدًا * ولا تَذْخَرا دمعًا عليه وأَسْعِدا

(1) فى حـ « ترى » . (2) فى ط ، ء « فقطب » .

فلا تمّتِ الاشــياءُ بعــد محمد * ولا زال شمــلُ الملك فيــه مبدّدا

١٨١ / ٦

ولا فرِح المأمونُ بالمُلك بعده * ولا زال فى الدّنيا طريدًا مشرّدا

هــذا بذاك ، ولا شىء له عنــدنا . فقال له آبن البوّاب : فأين فضــلُ إحسان أمير المؤمنين وسَعَةُ حلمه وعادتُه فى العفــو! فأمره بإحضاره . فلمــا حضر سلّم ، فردّ عليه السلام ردًّا جافيًا ، ثم أقبل عليه فقال : أخبِرْنى عنك : هل عرفتَ يومَ قُتل أخى محمد هاشميّةً قُتلت أو هُتكت؟ قال لا . قال : فمــا معنى قولك :

وسِرْب ظباءٍ من ذُؤابةِ هاشمٍ * هَتَفْنَ بدعوى خير حىٍّ وميّتِ

أَرُدّ يدًا منّى اذا ما ذكرتُه * على كبدٍ حَرَّىْ وقلبٍ مفتّتِ

فلا بات ليــلُ الشامتين بغِبْطةٍ * ولا بلَغتْ آمالُهــم ما تمنّتِ

فقال : يا أمير المؤمنيــن ، لوعةٌ غلَبَتنى ، وروعةٌ فاجأتنى ، ونعمةٌ فقــدتُها بعد أن غمرتْنى ، وإحسانٌ شكرْتُه فانطقنى ، وسيّد فقدتُه فأقلقنى . فإن عاقبتَ فبحقّك ، وإن عفوتَ فبفضلك . فدَمَعتْ عينا المأمون وقال : قد عفوتُ عنــك وأمرتُ بإدْرار أرزاقك وإعطائك ما فات منها ، وجعلتُ عقوبةَ ذنبك آمتناعى من آستخدامك .

شعره فى عمرو بن مسعدة ليشفع له لدى المأمون

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمــد بن القاسم بن مهــرويه قال حدّثنى أبى قال :

لمّــا أعيتْ حسينَ بنَ الضحّاك الحيــلةُ فى رضا المأمون عنه ، رمَى بأمره الى عمرو بن مَسْعَدة وكتب اليه :

أنتَ طَوْدى من بين هذى الهِضابِ * وشِهابى من دونِ كلِّ شِهابِ

أنتَ يا عمــرو قــوّتى وحيــاتى * ولســانى وأنت ظُفْــرى ونابى

أتُــرانى أنسَى أياديَــك البيـ * ـضَ اذ آســودّ نائلُ الأصحــاب

أين عطف الكرام فى مأقِط الحا(١) * جة يَحْمُون حَوْزَةَ الآداب

أين أخلاقُك الرضيّة حالت * فىَّ أم أين رِقّة الكُتّاب

أنا فى ذمّة السَّحاب وأظما ! * إنّ هذا لوصمةٌ فى السَّحاب

قُمْ الى سيِّد البريّة عنّى * قومةً تَسْتَجِرْ حسنَ خطاب

٥ فلعلّ الإلٰهَ يُطفئ عنّى * بك نارًا علىّ ذاتَ ٱلْتهابِ

قال : فلم يزل عمرو يَلْطُف للأمون حتى أوصله اليه وأدرّ أرزاقَه .

غضب عليه المعتصم فترضاه بشعر فرضى

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد قال حدّثنى الحسين بن الضحّاك قال : غضب المعتصم علىّ فى شىء جرى على النبيذ، فقال : والله لأؤدِّبَنّه ! وحجبنى أيامًا . فكتبت اليه :

١٠ غَضَبُ الإمام أشدُّ من أدبِهْ * وقد ٱستجرْتُ وعُذْتُ من غَضَبِهْ

أصبحتُ معتصمًا بمعتصم * أثنى الإلٰهُ عليه فى كُتُبه

لا والذى لم يُبْقِ لى سببًا * أرجو النجاةَ به سوى سببه

مالى شفيعٌ غيرُ حُرْمتِه * ولكلٍّ من أَشْفَى على عَطَبه

قال : فلمّا قُرِئَ عليه التفت الى الواثق ثم قال : بمثل هذا الكلام، يُسْتَعْطَف الكرام؛

١٥ ما هو إلّا أن سمعتُ أبياتَ حسين هذه حتى أزالتْ ما فى نفسى عليه . فقال له الواثق : هو حقيقٌ بأن يُوهَب له ذنبه ويُتجاوزَ عنه . فرضى عنّى وأمر بإحضارى .

هجا العباس ابن المأمون

١٨٢ / ٦ قال الصولىّ فحدّثنى الحسين بن يحيى أنّ هذه الأبيات إنما كتب بها الى المعتصم؛ لأنه بلَغه عنه أنه مدَح العبّاس بن المأمون وتمنّى له الخلافةَ، فطلبه فٱستتر وكتب بها الى المعتصم على يَدَيِ الواثق فأوصلها وشفَع له فرضى عنه وأمّنه فظهر

٢٠ اليه، وهجا العباسَ بن المأمون فقال :

(١) المأقط : المضيق فى الحرب . وقد وردت هنا على وجه الاستعارة .

خَلِّ اللَّعِينَ وما ٱكْتَسَبْ * لا زال منقطعَ السَّبَبْ
يا عُرَّةَ الثَّقَلَيْنِ لا * دِينًا رَعَيْتَ ولا حَسَبْ
حَسَدُ الإمامِ مكانَه * جهلًا حَذَاكَ(١) على العَطَبْ
وأبوك قدّمه لها * لمّا تخيَّرَ وٱنتخب
ما تستطيع سوى التنـ * ـفُّس والتجرُّع للكُرَب
ما زلتَ عند أبيك مُنْـ * ـتَقَصَ المروءة والأدب

أمره صالح بن الرشيد أن يقول شعرا يغنى فيه ابن بانة

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات وابن مهرويه قالا(٢):

كنّا عند صالح بن الرشيد ليلةً ومعنا حسين بن الضحّاك وذلك فى خلافة المأمون، وكان صالح يهوَى خادمًا له، فغاضبه فى تلك الليلة فتنحّى عنه، وكان جالسًا فى صَحْنٍ حوله نَرْجِس فى قمر طالع حسنٍ، فقال للحسين: قُلْ فى مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتًا يُغَنِّى فيها عمرو بن بانة. فقال الحسين:

صـــوت

وصف البدرُ حسنَ وجهك حتى * خِلْتُ أنّى وما أراكَ أراكا
وإذا ما تنفّس النرجسُ الغَضْـ * ـضُ توهّمتُه نسيمَ شذاكا
خُدَعٌ للمُنَى تعلّلنى فيـ * ـك بإشراق ذا ونفحة ذاكا
لأدومنّ يا حبيبى على العهـ * ـد لهذا وذاك إذ حَكَيَاكا

قال عمرو: فقال لى صالح: تغنّ فيها، فتغنّيتُ فيها من ساعتى.

لحنُ عمرو فى هذه الأبيات ثقيلٌ بالبنصر من روايته.

(١) حذاك على العطب: جعلك محاذيا له، يريد أنه قادك اليه وأوقعك فيه. (٢) فى الأصول: «قال».

شعره فى محبوبه يسر خادم أبى عيسى ابن الرشيد

وقد حدّثنى بهذا الخبر علىّ بن العباس بن أبى طلحة قال حدّثنى عُبيد الله بن زكريا الضَّرير قال حدّثنا الجمّاز عن أبى نُوَاس قال :

كنت أتعشّق ٱبنًا للعلاء يقال له محمد، وكان حُسين يتعشّق خادمًا لأبى عيسى ٱبن الرشيد يقال له يُسْر؛ فزارنى يوما فسألتُه عنه فقال : قد كاد قلبى أن يسلُوَ عنه ٥ وعن حبّه . قال : وجاءنى ابنُ العلاء صاحبى فدخل علىّ وفى يده نرجسٌ، فجلسنا نشرب وطلع القمر، فقلت له : يا حسين أيّمـا(١) أحسن القمر أم محمد؟ فأطرق ساعةً ثم قال : اسمع جوابَ الذى سألتَ عنه :

وَصَفَ البدرُ حسنَ وجهك حتى * خِلْتُ أنّى وما أراك أراكا
وإذا ما تنفّس النرجسُ الغضّ * توهّمتُـه نَسيمَ شَذَاكا
١٠ وأخال الذى لثمتَ أنيسى * وجليسى ما باشرتْه يداكا
فإذا ما لثمتُ لثمَك فيه * فكأنى بذاك قبّلتُ فاكا
خُدَعٌ للمُنَى تعلّلنى فيـ * ـك بإشراق ذا ونَفْحة ذاكا
لأُقيمنّ ما حَيِيتُ على الشكـ * ـر لهذا وذاك إذ حَكَيَاكا

١٨٣/٦

قال : فقلت له : أحسنتَ والله ما شئتَ ! ولكنّك يا كَشْخان(٢) هو ذا تقدِر أن ١٥ تقطع الطريق فى عملى ! فقال : يا كشخان أوَ شعرى الذى سمعتَه فى حاضرٍ أم بذكر غائبٍ ! والله لَلنَّعْلُ(٣) التى يطأ عليها يُسْرٌ أحسنُ عندى من صاحبك ومن القمر ومن كلّ ما أنتم فيه .

مدح المتوكل شعر

أخبرنى علىّ بن العبّاس قال حدّثنى أحمد بن سعيد بن عَنْبَسة القُرَشىّ الأُمَوِىّ قال حدّثنى علىّ بن الجَهْم قال :

٢٠ (١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « أو » . (٢) الكشخان (بالفتح ويكسر) : الديوث، وهو دخيل فى كلام العرب . (٣) فى الأصول : « الذى » .

دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو جالس فى صحن خُلْده[1] وفى يده غصنُ آس وهو يتمثّل بهذا الشعر :

بالشَّطّ لى سَكَنٌ أَفْدِيه من سَكَنٍ * أَهْدَى من الآس لى غصنين فى غُصُنِ
فقلتُ إذ نُظِما إلفين وٱلتبسا * سَقْيًا ورَعْيًا لفألٍ فيكما حسنِ
فٱلآسُ لا شكَّ آسٍ من تشوّقنا * شافٍ وآسٍ لنا يبقى على الزمنِ
أبشرتُمانى بأسبابٍ ستجمعنا * إن شاء ربى ومهما يَقْضِه يَكُنِ

قال : فلما فرغ من إنشادها قال لى وكدتُ أَنْشَقّ حسدًا : لمن هذا الشعر يا علىّ؟ فقلت : للحسين بن الضحّاك يا سيّدى . فقال لى : هو عندى أشعر أهل زماننا وأملحهم مذهبًا وأظرفهم نمطًا[2]. فقلت وقد زاد غيظى : فى الغزل يا مولاى . قال : وفى غيره وإن رَغِم أنفُك ومتَّ حسدا . وكنتُ قد مدحتُه بقصيدة وأردت إنشادَها يومئذ فلم أفعل، وعلمتُ أنّى لا أنتفع مع ماجرى بيننا بشىء لا به ولا بالقصيدة، فأخّرتُها الى وقت آخر .

قصته مع شفيع خادم المتوكل وشعره فيه

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى أحمد بن يزيد المهلّبىّ قال حدّثنى أبى قال :

أحبّ المتوكّل على الله أن يُنادمه حسينُ بن الضّحاك وأن يرى ما بَقِىَ من شهوته لما كان عليه ؛ فأحضره وقد كَبِر وضَعُف، فسقاه حتى سكِر، وقال لخادمه شَفيع : اِسْقِه، فسقاه وحيّاه بوردةٍ، وكانت على شفيع ثيابٌ مورَّدة ؛ فمدّ الحسينُ يدَه الى ذراع شَفيع . فقال له المتوكل : يا حسين، أَتُجَمِّشُ[3] أخصَّ خَدَمى عندى بحضرتى! فكيف لو خلوتَ! ما أحوجك الى أدب ! وقد كان المتوكّل غمز شفيعًا

(١) الخلد : قصر المنصور العباسى على شاطئ دجلة توارثه أبناؤه من بعده . (٢) فى حـ : « لفظا » . (٣) كذا فى حـ . والجمش والتجميش : ضرب من المغازلة والملاعبة . وفى سائر الأصول : « أتجس » .

على العَبَث به . فقال الحسين : يا سيّدى، أريد دواةً وقرطاسا ، فأمر له بذلك، فكتب بخطّه :

وكالوردةِ الحَمْـراء حيّاً بأحمـــرٍ * من الورد يمشى فى قَرَاطِقَ[1] كالوردِ
له عَبَثاتٌ عنـد كلِّ تحيّـة * بعينيه تَستدعى الحليمَ الى الوجد
تمنّيتُ أن أُسـقَى بكفّيه شَرْبةً * تذكّرنى ما قد نَسِيتُ من العهد
سقى الله دهرًا لم أبِتْ فيه ليـلةً * خَلِيًّا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفع الرقعةَ الى شفيع وقال له : ادفَعْها الى مولاك . فلما قرأها آستملحها وقال : أحسنتَ والله يا حُسين ! لو كان شفيع ممن تجوز هبتُه لوهبتُه لك ، ولكن بحياتى إلّا كنتَ ساقيه باقىَ يومه هذا وآخدُمْه كما تخدُمنى، وأمر له بمـال كثير حُمِل معه ١٠ لمّـا انصرف . قال أحمد بن يَزيد فحدّثنى أبى قال: صِرتُ الى الحسين بعد آنصرافه من عند المتوكّل بأيام، فقلت له : وَيْلَك! أتدرى ماصنعتَ؟! قال: نعم، أدرى، وما كنتُ لأدَعَ عادتى بشىء، وقد قلتُ بعدك :

١٨٤
٦

صـــوت

لا رأى عَطْفَـةَ الأحـبّـة من لايُصَـرِّحُ
أصـغَرُ الساقيَيْن أشـ * ـكُلُ عنـدى وأملَحُ
لو تراه كالظّـبْى يَسـ * ـنَح حينًـا ويـبرَح ١٥
خِلْتَ غصنًا على كَثيـ * ـبِ بنَـــوْرٍ يرشّـــح

غنى عمرو بن بانة فى هذه الأبيات ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر .

شعره فى شفيع وقد حياه بتفاحة عنبر

وقد أخبرنى بهذا الخبر محمد بن العباس اليَزيدى ّ وقال حدّثنى محمد بن أبى عَوْن قال:

(١) القرطق بكندب : قباء ذو طاق واحد .

حضرتُ المتوكّل وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وقد أحضر حسينَ بن الضحّاك للنادمة، فأمر خادمًا كان واقفا على رأسه، فسقاه وحيّاه بتفّاحة عنبر. وقال لحسين : قل فى هذا شيئا؛ فقال :

وكالدُّرّة البيضاء حيّا بعنبرٍ * وكالورد يَسْعَى فى قَرَاطِقَ كالوَرْد
له عَبَثاتٌ عند كلّ تحيّة * بعينيه تَستدعى الحليمَ الى الوجد ٥
تمنّيتُ أن أُسقَى بكفّيه(١) شربةً * تُذكّرنى ما قد نسيتُ من العهد
سقى الله عيشًا لم أَبِتْ فيه ليلةً * من الدّهر إلا من حبيب على وعد

فقال المتوكل : يُحمل الى حسين لكل بيت مائةُ دينار . فالتفتَ اليه محمد بن عبد الله ابن طاهر كالمتعجّب وقال : لِمَ ذاك يا أمير المؤمنين ! فوالله لقد أجاب فأسرع، وذكّر فأوجع، وأطرَب فأمتع؛ ولولا أنّ يد أمير المؤمنين لا تطاولها يدٌ لأجزلتُ له ١٠ العطاءَ ولو أحاط بالطارف والتالد . فخجل المتوكّل وقال : يُعطَى حسين بكلّ بيت ألفَ دينار . وقد أخبرنى بهذا الخبر ابن قاسم الكَوْكَبِىّ قال حدّثنا بِشْر بن محمد قال وحدّثنى على بن الجَهْم : أنه حضر المتوكّل وقد أمر شفيعًا أن يسقىَ حسينَ بن الضحّاك؛ وذكر باقىَ الخبر نحوَ ما مضى من رواية غيره .

شعره فى مقحم خادم ابن شفوف

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد المبرّد، وحدّثنى ١٥ عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال أخبرنى محمد بن مروان عن محمد بن عمرو الرُّومىّ قال :

اجتمع حسين بن الضحّاك وعمرو بن بانة يومًا عند ابن شفوف الهاشمىّ فآحتبسهما عنده . وكان لابن شفوف خادم حسنٌ يقال له مُقْحِم ، وكان عمرو بن

(١) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول فى هذا الموضع : « بعينيه » . ٢٠

بانة يتعشّقه ويُسِرّ ذلك من آبن شغوف . فلمّا أكلوا ووُضع النبيذُ قال عمرو آبن بانة للحسين : قل فى مُفْحِمٍ أبياتاً أُغَنِّ فيها الساعةَ . فقال الحسين :

صوت

وابأبى مُفْحَمٌ لعزّته * قلتُ له إذ خلوتُ مُكْتَتِما
تحبّ بالله من يخصّك بالو * دّ فما قال لا ولا نَعَما

وغنّى فيه عمرو . قال : فبيناهم كذلك إذ جاء الحاجب فقال : إسحاق الموصلىّ بالباب ؛ فقال له عمرو : أَعْفِنا من دخوله ولا تنغّص علينا ببُغْضه وصَلَفه وثِقَله ففعل؛ وخرج الحاجب فآعتلّ على إسحاق حتى آنصرف، وأقاموا يومهم وباتوا ليلتهم عند آبن شغوف . فلما أصبحوا مضى الحسينُ بن الضحّاك الى إسحاق فحدّثه الحديثَ بنصّه . فقال إسحاق :

شعر إسحاق الموصلى فى عمرو بن بانة

١٠

١٨٥ / ٦

يآبن شغوفٍ أمَا علمتَ بما * قد صار فى الناس كلِّهم عَلَما
دعوتَ عمرًا فبات ليلتَه * فى كلّ ما يشتهى كما زعما
حتى إذا ما الظلامُ ألبسه * سَرَى دَبِيبًا فضاجَع الخَدَما
ثمّتَ لم يَرْضَ أن يُضاجِعهم * سِرًّا ولكن أبدى الذى كتما
ثم تغنّى لفرط صَبْوته * صوتًا شفى من غَليله السَّقَما:
« وابأبى مُفْحَمٌ لعزّته * قلتُ له إذ خلوت مكتتما »
« تحبّ بالله من يخصّك بالودّ * فما قال لا ولا نعما »

١٥

قال : وشاعت الأبياتُ فى الناس وغنّى فيها إسحاق أيضا فيما أظن؛ فبلغت آبنَ شغوف فحلف ألّا يُدخلَ عمرًا دارَه أبدا ولا يكلّمه ، وقال : فضحنى وشهرنى وعرّضنى للسان إسحاق؛فمات مهاجرًا له . وقال آبن أبى سعد فى خبره : إن إسحاق

٢٠

غنّى فيها للمعتصم ، فسأله عن خبرها فحدّثه بالحديث ، فضحك وطرب وصفّق؛ ولم يزل يَستعيدُ الصوتَ والحديثَ وابنُ شغوف يكاد أن يموت الى أن سكر ونام .

لحن عمرو بن بانة فى البيتين اللذين قالهما حسين فى مُقْحم من الثقيل الثانى بالوسطى .

قال له أبو نواس أنت أشعر الناس فى الغزل

أخبرنى علىّ بن العباس بن أبى طَلْحة قال حدّثنى محمد بن موسى بن حمّاد قال سمعت مَهْدِىَّ بن سابِق يقول :

التقَى أبو نُوَاس وحسين بن الضحّاك، فقال أبو نواس : أنت أشعر [أهل][1] زمانك فى الغزل؛ قال : وفى أىّ ذلك؟ قال : ألا تعلم ياحسين ؟ قال لا؛ قال : فى قولك :

وابأبى مُقْحم لعِزّته * قلت له إذ خلوتُ مكتتما
تحبّ بالله من يَخُصّك بالو * دّ فما قال لا ولا نعما
ثم تولّى بمقلتَىْ خَجِلٍ * أراد رَجْعَ الجوابِ فاحتشما
فكنتُ كالمبتغِى بحيلته * بُرءًا من السُّقْم فابتدا سَقَما

فقال الحسين : وَيْحَكَ يا أبا نُوَاس[2] ! فأنت لا تفارق مذهبك فى الخمر البتّة؛ قال: لا والله، وبذلك فضَلْتُك وفضَلْتُ الناسَ جميعًا .

مدح أبو العباس ثعلب شعره

أخبرنى علىّ بن العباس قال أنشدنا أبو العباس ثَعْلَب قال أنشدنى حمّاد بن المبارَك صاحبُ حسين بن الضحّاك قال أنشدنى حسين لنفسه :

لا وحُبّيكَ لا أُصا * فح بالدّمع مَدمَعَا
من بَكَى شَجْوَه آسترا * ح وإن كان مُوجَعا

(١) زيادة عن حـ . (٢) فى حـ : « يا نواسى » وكان أبو نواس يدعى بهذا اللقب .

كَبِدِى من هواكِ أسـ * ـقَمُ من أن تقَطّعا
لم تدعْ سَوْرةُ الضَّنَى * فىَّ للسُّقم مَوْضِعا

قال : ثم قال لنا ثعلب : ما بقى من يُحسن أن يقول مثل هذا .

قال ابن الرومى عنه إنه أغزل الناس

أخبرنى علىّ قال حدّثنى محمد بن الفَضْل الأَهْوازىّ قال سمعت علىّ بن العباس الرومىّ يقول :

حسين بن الضحّاك أغزلُ الناس وأظرفُهم. فقلت: حين يقول ما ذا ؟ فقال: حين يقول :

يا مستعيرَ سَوالِف الخِشْفِ * اِسْمَعْ لحلْفة صادقِ الحَلْفِ
إنْ لم أَصِحْ ليلى : ويا حَرَبِى * من وجنتيكَ وفَتْرةِ الطَّرْفِ
فجَحَدتُ ربِّى فضلَ نعمته * وعبـدتُه أبدًا على حَرْفِ(١)

١٨٦ / ٦

شعره فى فتن محبوبته

أخبرنى علىّ بن العباس الرومىّ قال حدّثنى قتيبة عن عمرو السَّكونىّ(٢) بالكوفة قال حدّثنى أبى قال حدّثنى حسين بن الضحّاك قال :

كانت تألفنى مغنّية ، وتجيئنى دائما ، وكنت أميل اليها وأستملحها ، وكان يقال لها فِتَن . فكان يجىء معها خادم لمولاتها يحفظها يسمّى نُجحا ، وكان بغيضًا شَرِسَ الخُلُق ، فاذا جاء معها توقّيتُه ، فمرض ، فجاءتنى ومعها غيره ، فبلغتُ منها مُرادى وتفرّجتُ يومى وليلتى ، فقلت :

(١) على حرف : على طرف من الدين لا فى وسطه وقلبه . وهذا مثل لمن يكون على قلق واضطراب فى دينه لا على سكون وطمأنينة : كالذى يكون على طرف من العسكر فان أحس بظفر وغنيمة قرّ واطمأن وإلا فرّ وطار على وجهه . وفى القرآن الكريم : (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) . (راجع الكشاف للزمخشرى) . (٢) هذه النسبة الى السكون وهو بطن من كندة . وهو عمرو بن مجمع ابن سليمان أبو المنذر السكونى الكندى من أهل الكوفة . وفى الأصول : «السكونى» بالتاء ، وهو تصحيف .

لا تَلُمْنِي على فَتَنْ * إنها كاسمها فَتَنْ
فإذا لم أَهِمْ بها * فبمن ! لا بمن إذَنْ
أين لا أين مثلُها * فى جميع الورى سكنْ!
طيب نشر إذا نمـ * ـتَ وغُنْج ومُحْتَضَن
وآلِ عشرا من الصَّبُو * ح على وجهها الحسن
وعلى لفظها المُنَـ * ـوِّن للآم بالغُنَنْ
لست أنسى من الغَرِيـ * ـرة إذ بُحت بالشَّجَنْ
قولَها إذ سلبتُها * عن كثيبٍ وعن عُكَن:
ليس يُرضيك يا فتى * من هوًى دون أن تَهِنْ
فامتزجنا معًا كما * زَجة الرُّوح للبدن
وكُفينا من أن نُرا * قَبَ نُجْحًا إذا فَطَن
وأمنّاه أن يَنِـ * ـمّ وما كان مؤتَمَن
كلّ ما كان من حديـ * ـثك مستظرَفٌ حسن

ناظر مخارقا فى أبى نواس وأبى العتاهية فحكم له

حدّثنى جَحْظة قال حدّثنى أبو عبد الله الهشامىّ :

أنّ مُخَارقًا وحسين بن الضحّاك تلاحَيا فى أبى العتاهية وأبى نُوَاس أيُّهما أشعر، فاتّفقا على آختيار شعرٍ من شعريهما يتخايران فيه، فآختار الحسينُ بن الضحّاك شيئا من شعر أبى نواس جيّدًا قويّا لمعرفته بذلك، وآختار مخارقٌ شيئا من شعر أبى العتاهية ضعيفًا سخيفا غزِلًا كان يُغَنّى فيه لا لشىء عرَفه منه إلا لأنه آستملحه وغنّى فيه، فخايَر به لقلّة علمه ولما كان بينه وبين أبى العتَاهية من المودّة، وتخاطَرا[2] على مالٍ، وتحاكما إلى

(١) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : « يراقب » بالياء وهو تصحيف .
(٢) تخاطرا : تراهنا .

من يرتضيه الواثقُ بالله ويختاره لها؛ فآختار الواثقُ لذلك أبا مُحَلِّم، وبعث فأحضره وتحاكما اليه بالشعرين فحكم لحسين بن الضحّاك . فتكلّمَا مخارق وقال : لم أُحسن الاختيارَ للشعر ولحُسَينٌ أعلم منّى بذلك، ولأبى العتاهية خيرٌ مما آخترتُ، وقد آختار حسينٌ أجودَ ماقدَر عليه لأبى نُوَاس لأنه أعلم منّى بالشعر، ولكنّا تخاير بالشاعرين ففيهما وقع الجدالُ؛ فتحاكما فحَكَم لأبى نواس، وقال : هو أشعرُ وأذهبُ فى فنون الشعر وأكثرُ إحساناً فى جميع تصرّفه. فأمر الواثقُ بدفع الخَطَر الى حسين، وآنكسر مخارق فما آنتفع به بقيّة يومه .

١٨٧/٦ مدح الحسن بن سهل وطلب أن يصلح المأمون له

أخبرنى آبنُ أبى طَلْحَة قال حدّثنى سَوادةُ بن الفَيْض قال حدّثنى أبى قال : لمّا آطّرح المأمونُ حسينَ بن الضحّاك لهواه — كان — فى أخيه محمد وجفاه، لاذ الحسينُ بن الضحّاك بالحسن بن سَهْل وطمع أن يُصْلحه له؛ فقال يمدحه :

أرى الآمالَ غيرَ مُعَــرِّجاتٍ * على أحدٍ سوى الحسن بن سَهْلِ

يُبـارِى يومَه غدَه سَمَـاحًا * كِلَا اليومين بانَ بكلّ فضـلِ

أرى حَسَـنًا تقـدّم مستبِدًّا * ببُعْدٍ من رياسته وقَبْـلِ

فإن حضرتْك[1] مشكلةٌ بشَكٍّ * شفاكَ بحِكْمةٍ وخطابِ فَصْلِ

سليـلُ مَرَازِبٍ برعُوا[2] حلومًا * وراع صغيرُهم بسـداد كهلِ

ملوكٌ إن جريتَ بهم أبرّوا * وعزّوا أن تُوازنَهم[3] بعِدْلِ

ليَهْنِك أنّ ما أرجأتَ رشدٌ * وما أمضيتَ من قول وفعـلِ

(١) كذا فى م . وفى ب ، س ، ح : «خفرتك» . وفى أ ، ء : «حفرتك» وكلاهما تحريف. (٢) فى الأصول : « يرعوا » بالياء، وهو تصحيف. (٣) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : « توازيهم » بالياء المثناة من تحت . والعدل : النظير .

وأنــك مؤثِرٌ للحــقّ فينـا * أراك الله من قطع ووصل
وأنّك للجميــع حَيـا ربيعٍ * يَصُوب على قَرارة كلّ مَحْـل

قال : فآستحسنها الحسن بن سهل، ودعا بالحسين فقرّبه وآنَسه ووصَله وخلع عليه ووعَده إصلاحَ المأمون له، فلم يُمكنه ذلك لسوء رأى المأمون فيه ولِما عاجل الحسنَ من العلّة .

٥

سأله الحسن بن سهل عن شعر له فأجابه

قال علىّ بن العباس بن أبى طَلْحة وحدّثنى أبو العباس أحمد بن الفضل المَرْوَزِىّ قال : سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضحّاك : ما عَنَيتَ بقولك :

يا خَلِىَّ الذَّرْع من شَجَنِى * إنمـا أشـكو لترحَمَنى

قال : قد بيّنتُه؛ قال : بأىّ شىء؟ قال : قلت :

منعُك الميسورَ يُؤْيِسُنى * وقليـلُ اليأس يقتلنى

١٠

فقال له أبو محمد : إنك لتُضيع بالخلاعة، ما أُعطيتَه من البَرَاعة .

عشق غلام الحسن ابن سهل وتغــزل فيه فوهبه له

أخبرنى علىّ بن العباس قال حدّثنى أحمد بن القاسم المُزِّىّ قال حدّثنا أبو هفّان قال :

سألت حسينَ بن الضحّاك عن خبره المشهور مع الحسن بن سهل فى اليوم الذى شرب معه فيه وبات عنده وكيف كان آبتداؤه، فقلت له : إنى أشتهى أن أسمعَه منك . فقال لى : دخلتُ على الحسن بن سهل فى فصل الخَريف وقد جاء وَسْمِىٌّ من المطر فَرَشّ رَشًّا حسنًا، واليومُ فى أحسن منظَر وأطيبِه، وهو جالس على سرير آبِنُوس وعليه قُبَّةٌ فوقها طارِمةُ[1] ديباجٍ أصفر وهو يُشْرِف على بستان فى داره، وبين

١٥

(١) الطارمة فى الأصل : بيت من خشب كالقبة، وهو دخيل أعجمىّ معرّب . والمراد به هنا ستر رقيق من الديباج مظلل به الكرسى .

٢٠

يديه وصائفُ يتردّدن فى خدمته وعلى رأسه غلامٌ كالدّينار؛ فسلّمتُ عليه فردّ علىّ السلام، ونظر إلىّ كالمستنطِق؛ فأنشأتُ أقول :

ألستَ ترى ديمةً تَهْطِلُ * وهذا صباحُك مُستقبَلُ

فقال : بلَى . فقلت :

وتلك المُدامُ وقد شاقنا[1] * برؤيته الشادنُ الأكحل

فقال : صدقت فَمَهْ؛ فقلتُ :

فعـاد به وبنـا سَـكْرةٌ[2] * تُهـوِّن مكروهَ ما نَسأل[3]

فسكت . فقلت :

فإنى رأيت له نظـرةً * تُخـبِّرنى أنه يفعـل

ثم قال : مَهْ؛ فقلت :

١٨٨
٦

وقدأُشْكِل العيشُ فى يومنا * فيا حبّذا عيشُنا المُشْكِلُ

فقال : العيش مشكِل، فما ترى؟ فقلت : مبادَرةُ القَصْف وتقريبُ الإلف . قال : على أن تقيم معنا وتبيتَ عندنا. فقلت له : لك الوفاءُ وعليك مثلُه لى من الشرط . قال : وما هو؟ قلت : يكون هذا الواقف على رأسك يسقينى . فضحك ثم قال : ذلك لك على مافيه . ودعا بالطعام فأكلنا وبالشراب فشربنا أقداحًا . ولم أرَ الغلامَ، فسألتُ عنه فقال لى: الساعةَ يجىء، فلم نلبث أن وافانى؛ فسألتُه أين كان ؟ فقال : كنت فى الحَمّام وهو الذى حبسنى عنك . فقلتُ لوقتى :

(١) رواية هذا البيت فى تجريد الأغانى :

وهذى العقار وقد راعنا * بطلعته الشادن الأكحل

(٢) كذا فى حـ وتجريد الأغانى . وفى سائر الأصول : «سكره» بالهاء المهملة . (٣) فى تجريد الأغانى : «مكروه ما يزل» . ولعل صوابه : «ما يبذل» بالذال .

وابأبى أبيضُ فى صفرةٍ * كأنه تِبْرٌ على فضّهْ
جزّده الحمّامُ عن دُرّةٍ * تلوح فيها عُكَنٌ بضّهْ
غصنٌ تبدّى يثنّى على * مأكَمة(١) مُثقَلةِ النّهضهْ
كأنما الرّشّ على خدّه * طَلٌّ على تُفّاحةٍ غضّهْ
صفاتُه فاتنةٌ كلُّها * فبعضُه يُذْكِرُنى بعضَهْ
ياليتنى زُوّدنى قُبْلةً * أو لا فمَنْ وَجْنته عضّه

فقال لى الحسن : قد عمِل فيك النبيذُ ، فقلتُ : لا وحياتِك ! فقال : هذا شرٌّ من ذلك . فقلت :

اسقيانى وصرِّفا * بنتَ حولين قرقفا
واسقيا المُرهَفَ الغريـ * ـرَ سقى اللهُ مُرهَفا
لا تقولا نراه أكـ * ـلَف(٢) نضوًا مخفّفا
نِعمَ ريحانةُ النّديـ * ـم وإن كان مُخطَفا(٣)
إن يكن أكلفًا فإنـ * ـى أرى البدرَ أكلفا
بأبى ما جنُ السريـ * ـرة يُبدى تعفّفا
حفّ(٤) أصداغَه وعقـ * ـربها(٥) ثم صفّفا
وحشا مَدرَجَ القُصا * ص(٦) بمسك وصفّفا
فإذا رُمتَ منـه ذا * ك تأبّى وعنّفا
ليس إلا بأنْ يرنّحـه السُّكرُ مُسعفا

(١) المأكمة : العجيزة . (٢) الكلف : شىء يعلو الوجه كالسمسم . (٣) مخطفا : منطوى الحشى ، قليل لحم الجنب . (٤) فى الأصول : « عف » بالعين المهملة .
(٥) فى ب ، س : « وعقربها » وهو تصحيف . (٦) قصاص الشعر : نهاية منبته ومنقطعه على الرأس .

باكِرًا لا تسوِّفا * نِى عدِمتُ المُسوِّفا

أغْجِلاه وبالقُضَا[(١)] * ضة فى السّقِّ فاعْنُفا

واحمِلا شَغْبَه وإن * هو زَنّى[(٢)] وأقفا

فإذا هَمّ للنا * م فقُوما وخَفِّفا

٥ فتغاضَب الغلامُ وقام فذهب، ثم عاد فقال لى : أَقْبِلْ على شرابك ودَعِ الهَذَيانَ. وناوَلَنى قدحا. وقام أبو محمد ليبولَ، فشربتُ وأعطانى نُقْلا فقلتُ: اجعلْ بدلَه قبلةً؛ فضحك وقال : أَفْعلُ، هذا وقتُه فبَدَا له وقال : لا أفعل؛ فعاودتُه فآنتهرنى. فقال له خادم لحسن[(٣)] يقال له فَرَج : بحياتى يابنىّ أَسْعِفْه بما طلب؛ فضحك ثم دنا منّى كأنّه يناولنى نُقْلا وتغافل فآختلستُ منه قبلةً؛ فقال لى : هى حرام عليك فقلت :

١٨٩ / ٦

١٠ وبديع الدَّلّ قَصْرِىّ الغَنَجْ * مَرِه العين[(٤)] كَحِيل بالدَّعَجْ

سُمْتُه شيئا وأَصْغيتُ له * بعد ما صرَّف كأسا ومَزَجْ

وآستخفّتْه على نَشْوتِه * نَبَراتٌ من خفيف وهَزَجْ

فتأبَّى وتثَنَّى خَجَلا * وذَرَا الدمعَ فنونًا ونَشَجْ

لَجَّ فى "لولا" وفى "سوف ترى" * وكذا كَفْكَفَ[(٥)] عنّى وخَلَجْ

١٥ ذهب الليلُ وما نَوَّلَنى * دون أن أَسْفَرَ صبحٌ وآنْبَلَجْ

---

(١) القضاضة : آخر الشىء . (٢) كذا فى حـ . وزنى : قذف وسب . وفى سائر الأصول : « رنا » بالراء والنون وهو تحريف . (٣) كذا فى حـ وهو الصواب . وفى باقى الأصول : « لحسين » وهو تحريف . (٤) مره العين : خلت عينه من الكحل . (٥) كذا فى حـ . وكفكف : كف وأعرض . وفى سائر الأصول : « كفك عنى » . وخلج : جذب وانتزع

٢٠ يريد أنه دفعه وانتزع نفسه منه .

هوّن الأمرَ عليه فرجٌ * بتأتّيه[1] فسـنيًا لفـرج
نَحِـرُ النكهـة لامن قهوةٍ * أرِجَ الأصداغ بالمسك أرِجْ
وبنفسى نفسُ من قال، وقد * كان ما كان، حرامٌ وحَرَجْ

قال: ثم أسفر الصبح. فانصرفتُ وغُدْتُ من غدٍ الى الحسن؛ فقال لى : كيف كنت فى ليلتك وكيف كنت عند نومك؟ فقلت له : أأصِفُ ذلك نثرا أم نظمًا[2] ؟ فقال : بل نظمًا فهو أحسن عندى، فقلت :

تألّفتُ طيفَ غزالِ الحَرَم * فواصَلَنى بعـد ما قد صَرَم
وما زلتُ أقنع من نَيْله * بما تجتنيـه بنانُ الحُلُم
بنفسى خيـالٌ على رِقْبَـةٍ * ألمَّ به الشـوقُ فيما زعـم
أتانى يجـاذب أردافـه * من البُهر تحت كسوف الظُّلَمْ
تمُجّ سـوالفُه مِسْـكةً * وعنـبرةً ريقُـه والنَّسَـمْ
تضمَّخ من بعد تجميره[3] * فطاب من القَرْن حتى القَدَم
يقـول ونازعتُـه ثـوبَه * على أن يقولَ لشىء نعم
فَغضّ الجفونَ على خَجْـلَةٍ * وأعرضَ إعراضةَ المُحْتشِم
فشبّكتُ كفّى على كفّه * وأصـغيتُ ألثِمُ دُرًّا بفم
فتَنْهَنَهَنِى دفْـعَ لا مؤيِسٍ * بجِـدٍّ ولا مُطمِعٍ مُعْـتزِم
اذا ما همَمْتُ فأدنيتُـه * تَثَـنّى وقال لى الوَيْلُ لِمْ
فما زِلتُ أبسُـطه مازحًا * وأُفرِط فى اللهو حتى ابتسم

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « بتأنيه » . بالنون (٢) فى حـ : « فى » .
(٣) جمّره اذا بخّره بالطيب . وفى الأصول : « تحميره » بالحاء المهملة وهو تصحيف .

وحكّني الرِّيمُ في نفســـه * بشيء ولكـنّه مُكْتَتَمْ

فواهًا لذلك من طارقٍ * على أن ما كان أبقى سَقَمْ

قال: فقال لي الحسن: يا حسين يا فاسق! أظنّ ما آدّعيتَه على الطَّيْف في النوم كان في اليَقَظة مع الشخص نفسه، وأصلحُ الأشياء لنا بعد ما جرى أن نَرْحَض العارَ(١) عن أنفسنا بهبة الغلام لك، فخذه لابُورك لك فيه! فأخذته وآنصرفت.

١٩٠ / ٦

شعره في غلام الحسن بن سهل

حدّثني عليّ بن العباس قال حدّثني أبو العَيْناء قال: أنشدني الحسين بن الضحّاك لنفسه في غلام للحسن بن سهل كان آجتمع معه في دار الحسن، ثم لقيه بعد ذلك فسلّم عليه فلم يكلّمه الغلام؛ فقال:

فديتُك ما لوجهك صدّ عنّي * وأبديتَ التندُّم بالسلام

أحين خليتي وقَرَنْتَ(٢) قلبي * بطَرْفك والصَّبابةَ في نِظام

تنكّر ما عهدتُ لِغِبّ يوم * فياقربَ الرَّضاع من الفِطام

لأسرعَ ما نهيتَ الى همومي * سروري بالزيارة والْمَام

أخذ جبة من موسى بن عمران بحجة أبي نواس

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني حسين بن الضحّاك الخليع قال:

كنت في المسجد الجامع بالبصرة، فدخل علينا أبو نُواس وعليه جُبّةُ خَزّ جديدة. فقلت له: من أين هذه يا أبا نواس؟ فلم يخبرني، فتوهّمت أنه أخذها من موسى بن عِمْران لأنه دخل(٣) من باب بني تميم؛ فقمت فوجدتُ موسى قد لبس جُبّة خَزّ أخرى؛ فقلت له:

* كيف أصبحتَ يا أبا عمران *

---

(١) نرحض: نغسل. (٢) في الأصول: «خليتي» بياء المثناة من تحت. وظاهر أنها مصحفة عما أثبتناه. (٣) كذا في ب، سـ. وفي سائر الأصول: «دخلها».

فقال : بخير صبّحك الله به . فقلت :

* يا كريم الإخاء والإخوان *

فقال : أسمعك الله خيرًا . فقلت :

إن لى حاجةً فرأيَك فيها * إننا فى قضائها سِيّان

فقال : هاتِها على آسم الله و بركته . فقلت :

جُبّةٌ من جِبابك الخزّ حتى * لا يَرانى الشتاءُ حيث يرانى

قال : خذها على بركة الله ، ومدّ كُمّه فنزعتُها وجئتُ وأبو نواس جالس ؛ فقـال : من أين لك هذه ؟ فقلت : من حيث جاءتك تلك .

وفد هو ومحمد بن عمرو على المعتصم وأنشـده شـعرا فأجازهما

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنى محمد بن موسى بن حمّاد قال أخبرنى عبد الله بن الحارث عن إبراهيم بن عبد السلام عن الحسين بن الضحّاك قال :

دخلت أنا ومحمد بن عمرو الرومى دارَ المعتصم ، فخرج علينا كالحًا . قال : فتوهّمنا أنه أراد النّكاح فعجز عنه . قال : وجاء إيتاخ [1] فقال : مخارقٌ وعلويه وفلان وفلان من أشباههما بالباب ؛ فقال : آعزُبْ عنّى ، عليك وعليهم لعنة الله ! . قال : فتبسّمت الى محمد بن عمرو ، وفهم المعتصم تبسّمى فقال لى : ممّ تبسمتَ ؟ فقلت : من شىء حضَرنى ؛ فقال : هاتِه ؛ فأنشدتُه :

صــــوت

انفِ عن قلبك الحَزَنْ * بآقـترابٍ من السَّكَنْ

(١) هو إيتاخ التركى المعتصمى القائد كان غلاما خزريا لسـلام الأبرش طباخا فاشتراه منه المعتصم ثم رفعه ومن بعده الواثق وضما اليه من أعمال السلطان أعمالا كثيرة ، وكان من أراد المعتصم أو الواثق قتله فعنده كان يقتل و بيده يحبس فقتل عجيفا والعباس بن المأمون وابن الزيات الوزير وغيرهم . تولى الحكم بالديار المصرية من سنة ٢٣٠ هـ — ٢٣٥ هـ . ثم كتب المتوكل إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بالقبض عليه فى الباطن إن أمكنه ؛ فتحايل عليه إسحاق حتى قبض عليه وقيده بالحديد وقتله عطشا سنة ٢٣٥ هجرية (أنظر الطبرى ق ٣ ص ١٣٨٣ — ١٣٨٦ طبع أوربا والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ طبع دار الكتب المصرية) .

وتمتّع بكرِ طرف * فك فى وجهه الحسن

إن فيه شفاء صد * رك من لاعج الحزن

قال : فدعا بألفى دينار : ألف لى وألف لمحمد، فقلتُ : الشعر لى، فما معنى الألف لمحمد بن عمرو؟ قال : لأنه جاءنا معك . ثم أذن لمخارق وعلّويه فدخلا ، فأمرهما بأن يغنّيا فيه ففعلا، فما زال يعيد هذا الشعر، ولقد قام ليبول فسمعته يردّده .

الغناء فى هذا الشعر اشترك فيه مخارق وعلّويه وهو من الثقيل الأوّل بالبنصر.

أحب غلا أبى كامل المهندس وقال فيه شعرا

١٩١ / ٦

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن محمد بن مروان قال :

كان الحسين بن الضحّاك عند أبى كامل المهندس وأنا معهم حاضر، فرأى خادمًا فاستحسنه وأعجبه . فقال له بعض أصحابه : أتحبّه؟ قال : نعم والله؛ قال : فأعلمه؛ قال : هو أعلم بحبّى له منّى به . ثم قال :

عالم بحبّيه * مطرقٌ من التيه

يوسف الجمال وفر * عون فى تعدّيه

لا وحقّ ما أنا من * عطفه أرجّيه[1]

ما الحياة نافعةٌ * لى على تأبّيه

النعيم يشغله * والجمال يطغيه

فهو غير مكترث * للذى ألاقيه

تائهٌ تزهّده * فىّ رغبتى فيه

---

(١) كذا فى تجريد الأغانى . و روايته فى الأصول :

لا وحق ما أنا فيـ * ـه من عطف أرجيه

وهو غير متزن .

قال محمد بن محمد : وغنّى فى هذا الشعر عمرو بن بانة وعَرِيبُ وسُلَيْمٌ وجماعةٌ من المغنّين .

أحب صديق له جارية وعارضه فيها غلام أمرد فقال اليه فقال شعرا فى ذلك

حدّثنى عمّى قال حدّثنى ميمون بن هارون قال :

كان للحسين بن الضحّاك صديق وكان يتعشّق جاريةً مغنّيةً ، فزاحمه فيها غلامٌ كان فى مُرُودته حسنَ الوجه ، فلما خرجتْ لحيتُه جعل ينتف مايَخْرج منها ، ومالت القَيْنةُ اليه لشَبابه ؛ فشكا ذلك إلى الحسين بن الضحّاك وسأله أن يقول فيها شعرًا فقال :

خَلِّ الذى عنكَ لاتَستطيعُ تدفعُه * يامن يُصارِع من لاشكّ يَصْرَعُه

جاءت طرائقُ شَعْرٍ أنت ناتفُها * فكيف تَصْنَع لو قد جاء أَجْمعُه

الله أكبر لا أَنْفَكُّ من عَجَبٍ * أأنت تحصُد ماذو العرشِ يزرعه

تبًّا لسعيك بل تبًّا لأمّك إذ * تَرْعَى حِمًى خالقُ الأَحْماء يَمنعُه

وقال فيه أيضا :

ثَكِلَتْكَ أُمّك يابن يوسف * حتّامَ وَيْحَكَ أنت تَنْتِفْ

لو قد أتى الصيفُ الذى * فيه رءوس الناس تُكْشَفْ

فكشفتَ عن خدَّيكَ لى * لكشفتَ عن مثلِ المُفَوَّفْ (١)

أو مثلِ زَرْعٍ ناله الـ * يَرَقانُ أو نَكْباءُ حَرْجَفْ (٢)

فغدا عليه الزارعو * ن ليَحْصُدوه وقد تقصّفْ

فظَلِلْتَ تأسف كالأُلَى * أسِفوا ولم يُغْنِ التأسّفْ

(١) برد مفوّف : فيه خطوط بيض على طول .

(٢) النكباء الحرجف : الريح الباردة .

أحب غلاما فاشتراه صالح بن الرشيد

حدّثنى علىّ بن العباس قال حدّثنى عُمير بن أحمد بن نَصْر الكُوفىّ قال حدّثنى زيد بن محمد شيخنا قال :

قلت لحسين بن الضحّاك وقد قدِم إلينا الكوفةَ : يا أبا علىّ شهّرتَ نفسك وفضحتها فى خادم، فالّا آشتريتَه! . فقال : فديتُك! إن الحبَّ لَجاجٌ كلّه ، وكنتُ أحببتُ هذا الخادمَ ووافقنى على أن يَستَبيع لأشتريَه . فعارضنى فيه صالح بن الرشيد فاختلسه منّى ولم أقدر على الآنتصاف منه . وآثره الخادمُ وآختاره . وكلانا يحبّه إلا أن صالحا يَناك ولا أُناك والخادمُ فى الوسط بلا شغل . فضحكتُ من قوله ، ثم سألتُه أن يُنشِدَنى شيئا من شعره، فأنشدنى :

١٩٢ / ٦

إنّ من لا أرَى وليس يرانى * نُصْبَ عينى مُمَثَّلٌ بالأمانى

بأبى من ضميرُه وضميرى * أبدًا بالمَغيب يَنْتجيان

نحن شخصانِ إن نظرتَ وروحا * نِ إذا ما آختبرتَ يمترجانِ

فإذا ماهَممتُ بالأمر أو هَمّ بشىء بدأتُه وبَدانى

كان وَفْقًا ما كان منه ومنّى * فكأنى حكيتُه وحكانى

خطراتُ الجفون منّا سَواءٌ * وسواءٌ تحرُّكُ الأبدانِ

فسألته أن يحدّثنى بأسرّ يوم مرّ له معه، فقال: نعم آجتمعنا يومًا فغنّى مغنٍّ لنا بشعر قلتُه فيه فآستحسنه كلُّ من حضر ، ثم تغنّى بغيره؛ فقال لى : عارِضْه؛ فقلتُ : بقُبلةٍ فقال : هى لك، فقبّلتُه قبلةً وقلت :

فدَيتُ من قال لى على خَفَرِهْ * وغضَّ من جَفْنِه على حَوَرِهْ:

سَمِّعْ بى شِعرُكَ المَليحُ فما (١) * ينفكُّ شادٍ به على وَتَرِهْ

حسبُك بعضُ الذى أذعتَ ولا * حَسْبَ لصَبٍّ لم يَقْضِ من وَطَرِهْ

(١) فى ب ، س : « سمع بشعرك المليح الخ . . »

وقلتُ يامستعيرَ سالفةِ الخِشْـ * ـفِ وحسنِ الفُتُورِ من نَظَرِهْ
لا تُنكِرنّ الحَنِينَ من طَرِبٍ * عاودَ فيكَ الصِّبَا على كِبَرِه

٧ لطفه غلام أبى عيسى فقال فيه شعرا

حدّثنى الصُّولىّ وعلىّ بن العباس قالا حدّثنا المغيرة بن محمد المهلّبىّ قال : كان حسين بن الضحّاك يتعشّق خادمًا لأبى عيسى أو لصالح بن الرشيد أخيه ، فاجتمعا يومًا عند أخى مولى الخادم ، فجعل حسينٌ يشكو إليه ما به فلا يسمع به (١) ويكذّبه ؛ ثم سكَن نِفارُه وضحك اليه وتحدّثا ساعة . فأنشدنا حسين قولَه فيه :

سائلْ بطَيْفِكَ عن ليلى وعن سَهَرِى * وعن تَتَابُعِ أنفاسى وعن فِكَرِى
لم يَخْلُ قلبى من ذِكراكَ إذ نظرتْ * عينى اليكَ على صَحْوى ولا سَكَرى
سَقْيًا ليوم سرورى إذ تُنازِعنى * صفوَ المدامةِ بين الأُنْسِ والخَفَر
وفضلُ كأسك يأتينى فأشربُه * جَهْرًا وتشربُ كأسى غيرَ مستتر
وكيف أُثْمِلُه ثمّى وأَلْزِمه * نحرى وترفعه كفّى الى بصرى
فليتَ مدّةَ يومى إذ مضى سلَفًا * كانت ومدّةَ أيامى على قَدَر
حتى إذا ما آنطوتْ عنّا بشاشتُه * صِرْنا جميعا كذا جارَيْن فى الحُفَر

شعره فى حادثة لصالح بن الرشيد مع غلام أخيه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن محمد بن مروان قال حدّثنى حسين بن الضحّاك قال :

كان صالح بن الرشيد يتعشّق غلامًا يسمّى يُسْرًا خادمَ أخيه أبى عيسى ، فكان يُراوده عن نفسه فيَعِدُه ولا يَفِى له . فأرسله أبو عيسى ذاتَ يومٍ إلى صالح أخيه فى السَّحَر يقول له : يا أخى إنى قد آشتهيتُ أن أصْطَبِحَ اليوم ، فبحيا تى لمـا ساعدتَنى وصرْتَ إلىّ لنصطبحَ اليوم جميعًا . فسار يُسْرٌ إلى صالح أخيه فى السَّحَر

(١) كذا فى الأصول . ولعله : « فلا يسمع له » .

وهو مُنْتَشٍ قد شرب فى السَّحَر، فأبلغه الرسالةَ ؛ فقال : نعم وكَرَامة، اِجلس أوّلا
بجلس؛ فقال: ياغلام أحضِرنى عشرة آلاف درهم فأحضرها؛ فقال له : يايُسْر دَعْنى
من مواعيدك ومَطْلك، هذه عشرةُ آلاف درهم فخُذْها واَقْضِ حاجتى، وإلّا فليس
هاهنا إلا الغَضْب؛ فقال له : ياسيّدى؛ إنى أقضى الحاجةَ ولا آخذ المال . ثم فعل
٥ ما أراد وطاوعه ، فقضى حاجته، وأمر صالحٌ بحمل العشرة الآلاف الدرهم معه .
قال الحسين : ثم خرج إلىّ صالح من خَلْوته فقال : يا حسين، قد رأيتَ ما كنّا فيه،
فإن حضرك شيءٌ فقل؛ فقلت :

صــــوت

أيا مَنْ طَرْفُه سِحْرُ * ومَنْ ريقتُه خمرُ
١٠ تجاسرتُ فكاشـفتُـ * ـك لمّا غُلِب الصبرُ
وما أَحْسنَ فى مثلـ * ـك أن يَنْهتك السِّتْرُ
وإنْ لامَنِيَ الناس * ففى وجهك لى عذرُ
فدَعْنى من مَوَاعيـ * ـد إذ حينُـك الدهرُ
فــلا والله لا تـبر * ـحُ أو ينقضيَ الأمر
١٥ فإمّا الغضْـبُ والذمّ * وإما البـذلُ والشكر
ولو شـئتَ تيسَّرتَ * كما سُمِّيــتَ يا يُسْرُ
وكن كآسمـك لا تَمْنـ * ـعْكَ النَّخْـوةُ والكِبْرُ
فـلا فُزْتُ بحظّى منـ * ـك إن ذاع له ذِكر

قال الحسين : فضحك ثم قال: قد لَعَمْرى تيسّر يُسْرٌ كما ذكرتَ . فقلت: نعم ومَنْ
٢٠ لايتيسّر بعد أخذه الدِّيَةَ ! لو أردتَنى أيضا بهذا لتيسّرتُ . فضحك ثم قال: نُعطيك

ياحُسين الدِّيةَ لحضورك ومساعدتك، ولا نُريدك لما أردنا له يُسْرًا، فبئسَت المطيّةُ أنت؛ وأمر لى بها . ثم أمر عَريبَ بعد ذلك فغنّتْ فى بعض هذا الشعر .

شعره فى غلام عبدالله بن العباس

حدّثنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن محمد ابن مَرْوان قال حدّثنى حسين بن الضحّاك قال :

كنتُ عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع وهو مصطبِحٌ وخادمٌ له يَسْقيه؛ فقال لى: يا أبا علىّ، قد آستحسنتُ سَقْىَ هذا الغلام، فإن حضرك شىءٌ فى قصّتنا هذه فقل؛ فقلت :

أحْيَتْ صَبُوحى فُكَاهةُ اللّاهى * وطاب يومى لقرب أشباهى
فآستثِر اللهوَ من مَكَامنه * من قبل يومٍ منغِّص ناهى
بآبنةِ كَرْمٍ من كفّ مُنْتَطِق * مؤتزِرٍ بالمُجُون تيّاه
يَسْقيك من طَرْفه ومن يده * سَقْىَ لطيف مجرِّب داهى
كأسًا فكأسًا كأنّ شاربَها * حيرانُ بين الذُّكور والساهى

١٠

قال : فآستحسنه عبد الله، وغنّى فيه لحنًا مليحا، وشربنا عليه بقيّةَ يومنا .

سكر بخمش يسرا فهدده بخنجره فقال شعرا

أخبرنى علىّ بن العباس قال حدّثنى سَوَادةُ بن الفَيْض المَخْزومىّ قال حدّثنى أبى قال :

١٥

١٩٤
٦

خرج حسين بن الضحّاك إلى القُفْص[1] متنزِّها ومعه جماعةٌ من إخوانه ظرفاءُ. وبلغ يُسْرًا الخادمَ خروجُه، فشدّ فى وسَطه خَنْجرًا وخرج اليه فجاءه وهو على

(١) القفص : قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد، وكانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه ومجالس الفرح، تنسب اليها الخمور الجيدة .

غَفْلة ، فسُرّ به حسين وتلقّاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان . فلما سكرا جمّشه حسين ، فأخرج خَنْجَره عليه وعَرْبَد ، فأمسك حسينٌ وعاد إلى شرابه ، وقال فى ذلك :

جَمّشْتُ يُسْرًا على تسكُّرِه * وقد دَهَانى بحُسْن منظَرِه
فهمّ بالفَتْك بى فناشَده * فتًى (١) كريمٌ من خير مَعْشره
يامَنْ رأى مثلَ شادنٍ خَنِث * يَصُول فى خِدْره بزُوَّره
يسحب ذيلَ القميص صعترَه (٢) * ووارداتٍ (٣) من هُدْب مِئْزَره
ولا يُعاطِى نديمَه قدحًا * إلّا بإبهامه وخنصَره
أخاف من كِبْره بوادرَه * أدالَنى (٤) اللهُ من تكبُّره
قد قلتُ للشَّرْب إذ بَدَا فُضُلًا (٥) * فى رَيْطَتَيْه (٦) وفى مُمَصَّره
وَيْلِى على شادنٍ توعّدنى * بسَلّ سِكّينه وخَنْجَره
أمَا كفاه ما حَزّ فى كبدى * بسِحْر أجفانه ومَحْجِره (٧)
إذا نسيمُ الرياح قابَلَنا * بالطِّيب من مسكه وعنبره
هزّ قوامًا كأنه غُصُنٌ * وارتجّ ما انحطّ من مُخَصَّره

شعر له فى يسر أيضا

أخبرنى علىّ بن العباس قال حدّثنى سَوَادةُ بن القَيْض قال حدّثنى أبى قال :

١٥ حضرت حسين بن الضحّاك يومًا وقد جاءه يسرٌ فجلس عنده وأخذنا نتحدّث مَلِيًّا ثم غازله حسينٌ ، فقال له يسر : إيّاك والتعرّضَ لى ، وأرِحْ نفسَك ؛ فقال حسين :

---

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «فتى» . (٢) صعتر الشىء : زينه . (٣) واردات : مسترسلات . (٤) أدال الله فلانا من فلان : جعل الكرة له عليه . (٥) رجل فضل : يخالف بين طرفى ثوبه على عاتقه و يتوشحه . (٦) الريطة : الملاءة ليست ذات لفقين . وثوب ٢٠ ممصر : مصبوغ بحمرة خفيفة . (٧) محجر العين : مادار بها و بدا من البرقع من جميع العين .

صـــوت

أيها النّفّاثُ فى العُقَدِ * أنا مَطْوِىٌّ على الكَمَدِ
إنما زَخْرَفتَ لى خُدَعًا * قَدَحتْ فى الرُّوحِ والجَسَدِ
هاتِ ياخَنَّاعُ واحدةً * من كثيرٍ قلتَه وقَدِى(١)
ليت شعرى بعد حَلْفك لى * بوفاء العهدِ بعد غدِ
ما الذى باللهِ صيّره * بعد قربٍ فى مَدَى الأبدِ
ما لأُنْسٍ كان مُبْتَذَلاً * منك لى بالأمس لم يَعُدِ
إيهِ قُلْ لى غيرَ مُحْتَشِمٍ * هل دَهَانى فيك من أحدِ
حبّذا والكأسُ دائرةٌ * لَهْوُنا والصَّيْدُ بالطَّرَدِ
وحديثٌ فى القلوب له * أُخَذٌ(٢) يَصْدَعْنَ فى الكبدِ
يومَ تُعْطِينى وتأخذها * دونَ نَدْمانى يدًا بيدِ
فإذا ألويتُ(٣) هيّجنى * تَلَعٌ من ظبيةِ البلدِ
وإذا أصغيتُ ذكّرنى * نَشْرَ كافورٍ على بَرَدِ
ذاك يومٌ كان حاسدُنا * فيه معذورًا على الحَسَدِ(٤)

١٩٥/٦

قال شعرا للمعتصم بدير مران سكر عليه وغنى به المغنون

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنا عمرو بن بانة قال : خرجنا مع المعتصم إلى الشأم لمّا غزا، فنزلنا فى طريقنا بدَيْرِ مُرَّانَ(٥) — وهو دير على

(١) قدى : حسبى . (٢) الأخذة : الرقية . (٣) ألوى برأسه : أماله . والتلع : طول العنق . (٤) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « مغرورا على الحسد » وهو تحريف . (٥) دير مران : بالقرب من دمشق، على تل فى سفح قاسيون، وبناؤه بالجص الأبيض، وأكثر فرشه بالبلاط الملون . (مسالك الأبصار ج ١ ص ٣٥٣ طبع بولاق) .

تَلْعة[1] مُشْرِفة عالية تحتها مُروج[2] ومياهٌ حسنة — فنزل فيه المعتصم فأكل ونشِط للشرب ودعا بنا، فلما شربنا أقداحًا[3] قال لحسين بن الضحّاك : أين هذا المكانُ من ظهر بغداد ! فقال : لا أين يا أمير المؤمنين ! والله لبعضُ الغِياض والآجام هناك أحسنُ من هنا ؛ قال : صدقتَ والله ، وعلى ذلك فقل أبياتا يُغَنِّ فيها عمرٌو ؛ فقال : أمّا أن أقول شيئا فى وصف هذه الناحية بخير فلا أحسَب لسانى ينطق به ، ولكنى أقول متشوِّقا الى بغداد : — فضحك وقال قلْ ما شئتَ —

صــــوت

يا دَيْرَ مِدْيانَ[4] لا عُرِّيتَ من سَكَنٍ[5] ☆ هَيَّجْـتَ لى سَـقَمًا يا دَيْرَ مِدْيانا

هل عند قَسِّـك من علم فيخبرَنا ☆ أم كيف يُسْعِفُ وجهُ الصبر مَنْ بانا

حُثَّ المُـدَامَ فإن الكأسَ مُتْرَعةٌ ☆ مما يَهيجُ دَواعِى الشـوقِ أحيـانا

سَـقْيًا ورَعْيًـا لكَرْخايا[6] وساكِنها ☆ وللجُنَيْنـة بالرَّوْحاء[7] مَنْ كانا

(١) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى . والتلعة : الرابية المرتفعة من الأرض . وفى الأصول : « قلعة » بالقاف فى أوله وهو تحريف . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « بروج » بالباء الموحدة . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « شرب » .

(٤) كذا فى كتاب الديارات للشابشتى ومعجم البلدان لياقوت . وقال ياقوت لتأييد هذه الرواية : «وروى غير الشابشتى هذا الشعر فى دير مران وأنشده كذا (يا دير مران) . والصواب ما كتب لتقارب هذه الأمكنة المذكورة بعضها من بعض ...» . وسياق الخبر يعزز ما قاله ياقوت ، لأن الخليفة المعتصم طلب من ابن الضحاك أن يقول شيئا فى الجهة التى نزلوا بها وهى دير مران فأجابه بقوله : «أما أن أقول شيئا فى وصف هذه الناحية فلا أحسب لسانى ينطق به ولكنى أقول متشوقا إلى بغداد ...» ودير مديان : على نهر كرخايا قرب بغداد ، وكان ديرا حسنا حوله بساتين وعمارة و يقصد للتنزه والشرب . وفى جميع الأصول : « دير مران » . (٥) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى ومعجم ياقوت ومسالك الأبصار . وفى جميع الأصول : «سقم» . (٦) كذا فى ياقوت وكتاب الديارات للشابشتى ومسالك الأبصار . وكرخايا : نهر يشق من المحوّل الكبير ويمرّ على العباسية ، ويشق الكرخ ويصب فى دجلة ، وكان قديما عامرا وكان الماء فيه جاريا ، ثم انقطعت جريته بالبثوق التى انفتحت فى الفرات . وفى الأصول : « كرخانا » بالنون وهو تصحيف . (٧) الروحاء : قرية من قرى بغداد على نهر عيسى قرب السندية .

فآستحسنها المعتصم، وأمرنى ومخارقا فغنّينا فيها وشرب على ذلك حتى سكر، وأمر للجماعة بجوائز.

لحن عمرو بن بانة فى هذه الأبيات رمل، ولحن مخارق هزج، ويقال: إنه لغيره.

عبث بخادم أبى عيسى فضربه بقنينة فقال شعرا

أخبرنى الصولى قال حدّثنا يزيد بن محمد قال:

كان حسين بن الضحّاك يميل الى خادم لأبى عيسى بن الرشيد، فعبث به يوما على سكر، فأخذ قنّينة فضرب بها رأسه فشجّه شجّة منكرة، وشاع خبره وتوجّع له إخوانه وعولج منها مدّة، بجفا الخادمَ وآطّرحه وأبغضه ولم يعرض له بعدها. فرآه بعد ذلك فى مجلس مولاه فعبث به الخادمُ وغازله. فلما أكثر ذلك قال له الحسين:[1][2]

صـــوت

تعزّ بيــأس عن هــواى فإنّنى * إذا انصرفتْ نفسى فهيهات عن ردّى
إذا خنتمُ بالغيب ودّى فما لكم * تدلّون إدلالَ المقيم على العهد
ولى منــك بدٌّ فآجتنبنى مذمّما * وإن خلتَ أنّى ليس لى منك من بدّ

الغناء فى هذه الأبيات لعمرو بن بانة، وله فيه لحنان رملٌ وخفيف رمل.

مدح الواثق بالخلافة فأجازه

حدّثنى أحمد بن العباس العسكرىّ قال حدّثنى عبد الله بن المؤمّل العسكرىّ قال:

لمّا ولِىَ الواثقُ الخلافةَ جلس للناس ودخل اليــه المهنّئون والشعراءُ فمدحوه وهنّــوه، ثم آستأذن حسينُ بن الضحّاك بمدحه فى الإنشاد، وكان من الجلساء فترفّع عن الإنشاد مع الشعراء، فأذن له، فأنشده قوله:[3]

(١) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «بجفاه الخادم» وهو تحريف.
(٢) كذا فى حـ. وفى ب، س: «فبعث له» وفى أ، ء، م: «فبعث به»، وكلاهما تحريف.
(٣) كذا فى تجريد الأغانى. وفى الأصول: «وكأنه».

أكاتم وجدي فما ينكتم * بمن لو شكوت إليه رحم
وإني على حين ظني به * لأحذر إن بحت أن يحتشم
ولي عند لحظته روعة * تحقق ما ظنه المتهم
وقد علم الناس أني له * محب وأحسبه قد علم

١٩٦ / ٦

٥ — وفي هذا رمل لعبد الله بن العباس بن الربيع —

وإني لمغض على لوعة * من الشوق في كبدي تضطرم
عشية ودعت عن مقلة * سفوح وزفرة قلب سدم (١)
فلا كان عند النوى مسعد * سوى العين تمزج دمعا بدم
سقى الله كرخ ابن أوطانه * ويبكي المقيمين من لم يقم

وقال فيها يصف السفينة:

إلى خازن الله في خلقه * سراج النهار وبدر الظلم
رحلنا غرابيب زفافة (٢) * بدجلة في موجها الملتطم
إذا ما قصدنا لقاطولها * ودهم قراقيرها تصطدم (٣)
سمكا إلى خير مسكونة * تيممها راغب من أمم (٤)
١٠ مباركة شاد بنيانها * بخير المواطن خير الأمم
كأن بها نشر كافورة * لبرد نداها وطيب النسم
كظهر الأديم إذا ما السحا * ب صاب على متنها وانسجم
مبرأة من وحول الشتاء * إذا ما طمى وحله وارتكم

---

(١) السدم: الندم والحزن. (٢) غرابيب: سود، الواحد غربيب. والمراد بها السفن
٢٠ لأنها تطلى بالقار. والزفافة: السريعة. (٣) القراقير: السفن الطويلة. (٤) من أمم:
من قريب.

فما إنْ يزال بها واجلٌ * يعز المُوَيْحَى ولا يلتطِم
ويَمشي على رِسْله آمنًا * سليمَ الشّراك نقىّ القدم
وللنُّون(١) والضَّبّ فى بطنها * مراتعُ مسكونةٌ والنَّعَم
غدوتُ على الوَحْش مغترّةً * رواتعَ فى نَوْرها المنتظم
ورُحتُ عليها وأسرابُها * تحُوم بأكنافها تبتسِمْ

ثم قال يمدح الواثق :

يَضيق الفضاءُ به إن غدا * بطَوْدَىْ أعاريبه والعجمْ
ترى النصرَ يقدُم راياته * إذا ماخفَقْن أمام العلم
وفى الله دوّخ أعداءه * وجرّد فيهم سيوفَ النِّقَم
وفى الله يكظِم من غيظه * وفى الله يصفَح عمّن جَرَم
رأى شِيَمَ الجود محمودةً * وما شِيَمُ الجود إلا قِسَمْ
فراح على «نَعَمٍ» واغتدى * كأنْ ليس يُحسن إلا نَعَم

قال : فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم ، واتّصلت أيامُه بعد ذلك، ولم يزل من نُدَمائه .

أمره الواثق بأن يقول شعرا فأرتج عليه حينا ثم قال

حدّثنى أحمد بن العباس قال حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلَابىّ قال حدّثنى مهدىّ ابن سابق قال :

قال الواثق لحسين بن الضحّاك : قل الساعةَ أبياتًا مِلاحًا حتى أهَبَ لك شيئا مليحا ؛ فقال : فى أىّ معنى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : امْدُدْ طَرْفك وقل فيما شئت ممّا ترى بين يديك وصِفْه . فالتفتُّ فإذا ببساط زهرُه قد تفتّحتْ أنواره وأشرق فى نُور الصبح ؛ فأُرْتِج علىّ ساعةً حتى خجلتُ وضِقْتُ ذَرْعا. فقال لى الواثقُ: مالك وَيْحَك ! ألستَ ترى نُورَ صَباح، ونَوْر أقاح! فافتتح القولُ فقلت :

(١) النون : الحوت .

ألستَ ترى الصبحَ قد أسْفرا * ومُبْتكِرَ الغيث قد أمْطرا
وأسفرتِ الأرضُ عن حُلّةٍ * تُضاحِك بالأحمر الأصفرا
ووافاكَ نَيْسانُ[1] فى ورده * وحثّك فى الشُّرْب كى تَسْكَرا
وتُعْمِل كأسينِ فى فِتْيةٍ * تُطارِد بالأصغر الأكبرا
يَحُثّ كؤوسَهمُ مُخْطَفٌ * تُجاذِبُ أردافُه المِئْزَرا
ترجّلَ بالبانِ حتى إذا * أدارَ غدائرَه وفّرا
وفضّضَ فى الجُلّنارِ[2] البَهَا * رَ والآبِنُوسةَ[3] والعَبْهرا[4]
فلمّا تمازَجَ ما شَذّرتْ * مَقاريضُ أطرافِه شذّرا
فكلٌّ يُنافِس فى برِّه * ليفعلَ فى ذاته المُنْكَرا

١٠ قال : فضحك الواثقُ وقال : سنستعمل كل ما قلتَ ياحُسَين إلا الفسقَ الذى ذكرتَه فلا ولا كرامةَ . ثم أمر بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه . ثم قال : قوموا بنا إلى حانَة الشَّطّ فقاموا اليها ، فشرب وطرِب ، وماترك يومئذ أحدًا من الجلساء والمغنّين والحَشَم إلا أمر له بصلة . وكانت من الأيام التى سارت أخبارها وذُكرت فى الآفاق . قال حسين : فلما كان من الغد غدوتُ اليه ، فقال : أنشدنى ياحسين شيئا إن كنت قلته فى يومنا الماضى ، فقد كان حسنًا ، فأنشدتُه : ١٥

شعره فى حانة الشط وقد شرب فيها مع الواثق

صوت

ياحانةَ الشَّطِّ قد أكرمتِ مَثْوانا * عُودِى بيومِ سرورٍ كالذى كانا
لا تُفْقِدينا دُعاباتِ الإمامِ ولا * طِيبَ البَطالةِ إسرارًا وإعلانا
ولا تَخالُعَنا فى غير فاحشةٍ * إذا يطرّبنا الطُّنْبورُ أحيانا

(١) نيسان : الشهر السابع من شهور السنة المسيحية . (٢) الجلنار : زهر الرمان . والبهار : نبت جعد له فقاحة صفراء تنبت أيام الربيع . (٣) الآبنوسة : ضرب من الخشب إذا وضع على جمر بخر بخارا طيب الرائحة . (٤) العبهر : الياسمين والنرجس . وفى أ ، ء ، م : «والعنبرا» . ٢٠

وهاج زمرُ زُنامٍ بين ذاك لنا * شجوًا فأهدى لنا رَوحا وريحانا
وسلسل الرطل عمرو ثم عمّ به الشقيا فألحق أولانا بأخرانا
سقيًا لشكلك من شكل خُصصت به * دون الدساكر من لذات دنيانا
حفّت رياضك جنّاتٌ مجاورةٌ * فى كل مخترقٍ نهرًا وبستانا
لازلت آهلة الأوطان عامرةً * بأكرم الناس أعراقًا وأغصانا

قال : فأمر له الواثق بصلة سنية مجدّدة، واستحسن الصوتَ، وأمر فغُنّى فى عدّة أبيات منها. غنّت فريدة فى البيتين الأوّلين من هذه الأبيات، ولحنُها هزج مطلق.

خاصم أبا شهاب ولاحاه

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى قال: اجتمعتُ أنا وحسين ابن الضحّاك وأبو شهاب الشاعر وهو الذى يقول :

لقد كنتُ ريحانةً فى النّدىّ * وتُفّاحةً فى يد الكاعب

وعمرو بن بانة يُغنّيها — فتذا كرْنا الدّوابَّ، واتّصل الحديثُ إلى أن تلاحى حسين وأبو شهاب فى دابّتيهما وتراهنا على المسابقة بهما، فتسابقا فسبقه أبو شهاب. فقال حسين فى ذلك :

١٩٨ / ٦

كُلوا واشربوا هنئتم وتمتّعوا * وعيشوا وذُمّوا الكَوْدنين[2] جميعا
فأقسم ما كان الذى نال منهما * مَدَى السبق إذ جدّ الجراءُ سريعا

(١) زنام (وزان غراب): زمار حاذق، خدم كلا من الرشيد والمعتصم والواثق. وهو الذى أحدث الناى فى زمن المعتصم، فيقال ناى زنامىّ، وقول العامة: «ناى زلامى» باللام تحريف. وزنام فى الناى وبنان فى العود كلاهما منقطع النظير فى طبقته، فاذا اجتمعا على الضرب والزمر أحسنا وأعجبا رقة. قال البحترى :

هل العيش إلا ماء كرم مصفق * يرقرقه فى الكأس ماء غمام
وعود بنان حين ساعد شدوه * على نغم الألحان ناى زنام

(مختصر عن القاموس وشرحه مادة زنم).

(٢) الكودن: الفرس الهجين والبغل، وهو أيضا الثقيل والبليد. وفى ب، س: «الكودنين»

وهي قصيدة معروفة في شعره . فقال أبو شهاب يجيبه :

أيا شاعر الخُصْيان حاولتَ خُطّةً * سُبِقْتَ اليها وآنكفأتَ سريعا

تحاول سبقى بالقريض سَفاهةً * لقد رمت ــ جهلًا ــ من حَمَاىَ مَنيعا

وهي أيضا قصيدة. فكان ذلك سببَ التباعد بينهما. وكنّا إذا أردنا العبثَ بحسين

٥ نقول له : أيا شاعر الخُصْيان، فيُجَنّ ويشتُمنا .

قصته مع أحد جند الشام وإيقاعه بينه وبين عشيقته

حدّثني جعفر قال حدّثني عليّ بن يحيى قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال :

كان يألفني إنسانٌ من جُنْد الشأم عجيب الخِلْقة والزِّيّ والشكل غليظٌ جِلْفٌ جافٍ،

فكنتُ أحتمل ذلك كلّه له ويكون حظّي التعجّبَ به ، وكان يأتيني بكتب من

عشيقة له ما رأيتُ كتبًا أحلى منها ولا أظرف ولا أبلغ ولا أشكَلَ من معانيها،

١٠ ويسألني أن أُجيب عنها ؛ فأُجْهِد نفسي في الجوابات وأصرفُ عنايتي إليها على

علمي بأن الشاميَّ يجهله لايميّز بين الخطأ والصواب ، ولا يفرّق بين الآبتداء (١)

والجواب . فلما طال ذلك عليّ حسدتُه وتنبّهتُ إلى إفساد حاله عندها. فسألتُه عن

اسمها فقال : « بَصْبَص ». فكتبت اليها عنه في جواب كتاب منها جاءني به :

أرقصني حبُّك يا بَصْبَصُ * والحبُّ ياسيّدتي يُرْقِصُ

١٥ أرْمَضتِ أجفاني بطول البكا * فما لأجفانك لا تَرْمَص (٢)

وا بأبي وجهُك ذاك الذي * كأنه من حسنه عُصْعُص

فجاءني بعد ذلك فقال لي : ياأبا عليّ ، جعلني الله فداءك ، ما كان ذنبي اليك وما أردتَ

بما صنعت بي؟ فقلت له : وما ذاك عافاك الله؟ فقال : ماهو والله إلّا أن وصل ذلك

الكتاب اليها حتى بعثتْ إليّ : إنّي مشتاقة اليك، والكتابُ لا ينوب عن الرؤية،

٢٠ فتعالَ إلى الرَّوْشن (٣) الذي بالقرب من بابنا فقِفْ بحياله حتى أراك ؛ فتزيّنتُ بأحسن

(١) في الأصول : «على أنّ علمي... الخ» . (٢) الرمص بالتحريك : وسخ يجتمع في الموق .

(٣) الروشن : النافذة .

ما قدَرتُ عليه وصرتُ إلى الموضع . فبينا أنا واقفٌ أنتظر مكلِّماً أو مشيراً إلىّ إذا شئ قد صُبّ علىّ فلأنى من قَرْنى إلى قدمى وأفسد ثيابى وسَرْجى وصيّرنى وجميع ما علىّ ودابّتى فى نهاية السَّواد والنَّتْن والقَذَر ، وإذا به ماءٌ قد خُلط ببول وسرجين[1]، فانصرفتُ بخِزْيٍ . وكان ما مرّ بى من الصبيان وسائر من مررتُ به من الضحك والطَّنْز[2] والصِّياح بى أغلظَ ممّا مرّ بى ؛ ولحقنى من أهلى ومَنْ فى منزلى شرٌّ من ذلك وأوجعُ . وأعظَمُ من ذلك أن رُسُلَها انقطعتْ عنّى جملةً . قال : فجعلتُ أعتذر اليه وأقول له : إنّ الآفةَ أنها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته ، وأنا أحمد الله على ما ناله وأُسِرُّ الشَّماتةَ به .

دعاه الحسن بن رجاء ودعاه ابن بسختر فذهب له واعتذر للحسن

١٩٩
٦

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى ميمون بن هارون عن حسين بن الضحّاك قال :

كتب إلىّ الحسن بن رَجَاء فى يوم شَكّ وقد أمر الواثقُ بالإفطار، فقال :

هَزَزْتك للصَّبوح وقد نهانى * أميرُ المؤمنين عن الصِّيامِ
وعندى من قِيان المصر عَشْرٌ * تَطِيب بهنّ عاتقةُ المُدامِ
ومن أمثالهن إذا انتشينا * تَرانا نجتنى ثمرَ الغرامِ
فكن أنتَ الجوابَ فليس شىءٌ * أحبَّ إلىّ من حذف الكلامِ

قال : فوردتْ علىّ رقعتُه وقد سبقه إلىّ محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ووجّه إلىّ بغلام نظيف الوجه كان يَحْظَّاه، ومعه ثلاثة غلمة أقران[3] حسان الوجوه ومعهم رقعةٌ قد كتبها إلىّ كما تُكْتَب المناشير، وختَمها فى أسفلها وكتب فيها يقول :

سِرْ على اسم الله يا أشـ * ـكلَ من غصن لجُيَن
فى ثلاثٍ من بنى الرو * م إلى دار حسين

(١) السرجين : الزبل الذى تدمل به الأرض . (٢) الطنز : السخرية .
(٣) أقران : نظراء، واحده قرن (بالكسر) .

فأشخص الكهلَ إلى مو * لاك يا قُــرّةَ عيــنى
أرِه العُنْفَ إذا استعـ * ـصَى وطـالِبْـه بدَيْن
ودَعِ اللفـظَ وخاطِبْـ * ـه بغمـز الحاجبَـيْن
وآحذَر الرَّجعة من وجـ * ـهك فى خُـفَّىْ حُنَـيْن

قال: فمضيت معهم، وكتبتُ إلى الحسن بن رَجاء جواب رقعته:

دعوتَ إلى مماحكة الصِّيام * وإهمال المَـلاهى والمُـدام
ولو سبق الرسولُ لكان سعيي * اليك ينوب عن طول الكلام
وما شـوقى اليك بدون شوقى * إلى ثمَـر(٢) التَّصابى والغـرام
ولكن حلّ فى نفرٍ عُـفوفٍ * بمنشـورٍ محـلَّ المستهـام
حسينٍ، فآستباح له حريمًـا * بطَرْف باعثٍ سببَ الحِمام
وأظهر نخوةً وسَـطًا وأبْدَى * فَظَـاظتَـه بتركِ للسـلام
وأزعجنـى بألفاظ غِـلاظٍ * وقـد أعطيتُـه طَرَفَى زِمامى
ولو خالفتُـه لم يَخْش قـتلى * وقنعـنى سريعًـا بالحُسام

لاعب الواثق بالنرد وغازل خاقان خادمه فقال شعرا

أخبرنى الحسين بن القاسم الكَوْكَبيّ قال حدّثنى جعفر بن هارون بن زِياد قال حدّثنى أبى قال:

كان الواثق يلاعب حسين بن الضحّاك بالنّرد وخاقانُ غلامُ الواثق واقفٌ على رأسه، وكان الواثق يحظّاه، فجعل يلعب وينظر اليه. ثم قال للحسين بن الضحّاك: إن قلتَ الساعة شعراً يُشبه مافى نفسى وهبتُ لك ماتقترح به. فقال الحسين:

(١) وصلت همزة القطع هنا لضرورة الشعر. (٢) كذا فى أ، ء، م. وفى سائر الأصول: «زمن التصابى».

صــــوت

أُحبُّــك حبًّا شابه بنصيحة * أبٌ لك مأمونٌ عليـك شفيقُ
وأُقسم ما بيني و بينـــك قُرْبةٌ * ولكنّ قلبي بالحِسانِ[1] عَلُوق

فضحك الواثق وقال : أصبت ما فى نفسى وأحسنت . وصنع الواثق فيــه لحنا ، وأمر لحسين بألفى دينار . لحن الواثق فى هذين البيتين من الثقيل الأوّل بالوسطى.

فضل نفسه على أبى نواس فردّه أحمد ابن خلاد

٢٠٠ / ٦

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنى أحمد بن خلّاد قال :

أنشدنى حسين بن الضحّاك لنفسه :

بُدِّلْتَ من نفحات الورد بالآء * ومن صَبُوحك دَرَّ الإبْلِ والشاءِ

حتّى أتى على آخرها، وقال لى : ما قال أحد من المُحْدَثين مثلَها . فقلت : أنت تحوم حول أبى نُوَاس فى قوله :

دَعْ عنك لومى فإنّ اللوم إغراءُ * وداوِنى بالّتى كانت هى الداء

وهى أشعر من قصيدتك . فغضب وقال : أَلِى تقول هذا ! علىّ وعلىّ إن لم أكن نِكْتُ أبا نواس ! . فقلت له : دع ذا عنـك، فإنه كلام فى الشـعر لا قَدْحٌ فى نسب، لو نِكتَ أبا نواس وأُمّه وأباه لم تكن أشعرَ منه . وأحِبّ أن تقول لى : هل لك فى قصيدتك بيتٌ نادر غيرُ قولك :

فُضّت خَوَاتِمُها فى نعت واصفها * عن مثل رَقْرَاقة فى عين مَرْهاء

وهذه قصيدة أبى نواس يقول فيها :

دارتْ على فِتْيةٍ ذَلّ الزمانُ لهم * فما أصابهمُ إلّا بما شاءوا

(١) فى حـ : «بالجمال».

صفراءُ لاتنزِل الأحزانُ ساحتَها * لو مَسَّها حَجَرٌ مسَّته سَرّاء

فأُرسِلتْ من فم الإبريق صافيةً * كأنما أخـذُها بالعقل إغفاء

والله ما قدِرت على هذا ولا تقدِر عليه؛ فقام وهو مغضَب كالمُقِرّ بقولى .

تحاكم هو وأبو نواس الى ابن مناذر فحكم له

حدّثنى الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنى إبراهيم بن المدبّر قال

٥ حدّثنى أحمد بن المعتصم قال :

حجّ أبو نواس وحسين بن الضحّاك فجمعهما الموسم ، فتناشدا قصيدتيهما :

قولَ أبى نواس :

دَعْ عنك لومى فإنّ اللوم إغراءُ * وداوِنى بالتى كانت هى الداء

وقصيدةَ حسين :

١٠ * بُدِّلْتَ من نَفَحات الورد بالآء *

فتنازعا أيُّهما أشعر فى قصيدته ، فقال أبو نواس : هذا آبن مُناذر[1] حاضرُ الموسمَ وهو بينى و بينك . فأنشده قصيدته حتى فرغ منها ؛ فقال ابن مُناذر : ما أحسب أن أحدًا يجىء بمثل هذه وهمّ بتفضيله ؛ فقال له الحسين : لاتعجَلْ حتى تسمع ؛ فقال : هات ؛ فأنشده قوله :

١٥ بُدِّلْتَ من نَفَحات الورد بالآءِ * ومن صَبُوحك دَرَّ الإبل والشاء

حتى انتهى إلى قوله :

فُضّتْ خواتمُها فى نعت واصفها * عن مثل رَقْراقة فى عين مَرْهـاء

فقال له ابن مناذر : حَسْبُك ، قد آستغنيتَ عن أن تزيد شيئا ، والله لو لم تقل فى دهرك كلّه غيرَ هذا البيت لفضّلتُك به على سائر من وصف الخمر ؛ قم فأنت أشعر

٢٠ وقصيدتُك أفضلُ . فحكم له وقام أبو نواس منكسرًا .

(١) انظر الحاشية ، رقم ١ ص ٩٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

قال شعرا لكثير ابن إسماعيل استرضى به المعتصم

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن محمد قال حدّثنى كثير بن إسماعيل التختكار قال :

لمّا قدم المعتصم بغداد، سأل عن ندماء صالح بن الرشيد وهم أبو الواسع وقنّينة وحسين بن الضحّاك وحاتم الرّيش وأنا، فأدخلنا عليه . فلشؤمى وشقائى كتبت بين عينىّ : «سيّدى هَبْ لى شيئا» . فلما رآنى قال : ماهذا على جبينك ؟! فقال حمدون[1] ابن إسماعيل : ياسيّدى تطايَبَ بأن كتب على جبينه : «سيّدى هب لى شيئا» ! . فلم يَسْتطِبْ لى ذلك ولا آستملحه، ودعا بأصحابى من غد ولم يَدْعُ بى . ففزِعتُ إلى حسين بن الضحّاك ، فقال لى : إنّى لم أحْلُلْ من أنسه بعدُ بالمحلّ الموجِب أن أشفع إليه فيك ، ولكنى أقول لك بيتين من شعر وآدفعهما إلى حمدون بن إسماعيل يوصلهما، فإن ذلك أبلغُ . فقلتُ : أفْعَلُ . فقال حسين :

٢٠١ / ٦

قُلْ لدنيا أصبحتْ تلعب بى * سلّط الله عليك الآخرهْ

إن أكن أبردَ من قِنّينة * ومن الرّيش فأُمّى فاجرهْ

قال : فأخذتهما وعرّفتُ حمدون أنهما لى وسألته إيصالَهما ففعل؛ فضحك المعتصم وأمر لى بألفى دينار وآستحضرنى وألحقنى بأصحابى .

كان ابن بسخنر يكره الصبوح فقال فيه شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك قال قال لى أحمد[2] ابن حمدون :

كان محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر لايرى الصَّبُوحَ ولا يُؤْثِر على الغَبُوق شيئا، ويحتجّ بأن من خدم الخلفاء كان آصطباحُه آستخفافًا بالخدمة ، لأنه لايأمن أن

---

(١) هو حمدون بن إسماعيل بن داود الكاتب؛ وهو أول من نادم [الخلفاء] من أهله . (عن فهرست ابن النديم) .

(٢) هو أحمد بن حمدون بن إسماعيل راوية إخبارى روى عن العدوى، له من الكتب كتاب الندماء والجلساء . (عن فهرست ابن النديم) .

يُدعى على غفلة والغبوق يُؤْمَنه من ذلك ، وكان المعتصم يحبّ الصبوح ؛ فكان يُلقِّب ابنَ بُسْخُنَّر الغَبُوقِيَّ. فاذا حضر مجلسَ المعتصم مع المغنّين منعه الصَّبُوحَ وجمع له مثلَ مايشرب نظراؤه ،فاذا كان الغبوقُ سقاه إيّاه جملةً غيظًا عليه ؛فيضج[1] من ذلك ويَسأل أن يُترك حتى يشرب مع النّدماء إذا حضروا[2] فيمنعه ذلك . فقال فيه حسين ابن الضحّاك وفى حاتم الرِّيش الضَّرَّاط وكان من المضحكين :

٥

حُبّ أبى جعفـر للغَبُوق * كقُبْحك يا حاتمُ مُقْبِـلَا

فلا ذاك يُعْـذَر فى فعله * وحقُّك فى الناس أن تُقتلا

وأشبه شىء بمـا آختاره * ضُراطُك دونَ الخَلَا فى المَلَا

حدّثنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا محمد بن علىّ بن حمزة قال :

استعطف أبا أحمد ابن الرشيد وكان قد غضب عليه

١٠ مزَح أبو أحمد بن الرشيد مع حسين بن الضحّاك مُزاحًا أغضبه، فجاوبه حسين جوابًا غضب منه أبو أحمد أيضا . فمضى اليـه حسين من غَدٍ فاعتذر اليه وتنصّل وحلف؛ فأظهر له قبولا لعـذره . ورأى ثِقَلًا فى طَرْفه وآنقباضًا عما كان يعهده منه؛ فقال فى ذلك :

لا تَعْجَبَنّ لمـلّةٍ صرَفتْ * وجـهَ الأمير فإنه بشرُ

١٥ وإذا نبـا بك فى سَريرته * عَقْدُ الضمير نبا بك البصرُ

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى أبو محمد بن النشّار قال :

حكى ابن النشار صحبته للأمين وإكرامه له

كان أبى صديقًا للحسـين بن الضحّاك وكان يعاشره؛ فحملنى معه يومًا اليـه ، وجعل أبى يحادثه الى أن قال له : يا أبا علىّ ، قد تأخّرتْ أرزاقُك وآنقطعت موادّك ونفقتُك كثـيرة، فكيف يمشى أمرك؟ فقال له : بلى والله يا أخى، ما قِوامُ أمرى

٢٠ إلا ببقايا هِباتِ الأمين محمد بن زُبَيدة وذخائره وهِباتِ جاريةٍ له — لم يُسمّها —

(١) فى ب ، سـ ، حـ : « فيصيح » . (٢) فى الأصول : « حضر » .

أغنّنى للا بد لشىءٍ ظـريف جرى على غير تعمّد ؛ وذلك أنّ الأمين دعانى يومًا فقال لى : يا حسين، إن جليسَ الرجل عشـيرهُ وثقتُه وموضعُ سرّه وأمْنِه ، وإن جاريتى فلانةَ أحسنُ النـاس وجهًا وغناء ، وهى منّى بمحـل نفسى ، وقد كدّرتْ علىّ صـفوَها ونغّصتْ علىّ النعمةَ فيهـا بعُجْبها بنفسها وتجنّيها[1] علىّ و إدلالها بمـا تعـلم من حبّى إياها . وإنى مُحْضِرُها ومحضرٌ صاحبةً لهـا ليست منها فى شىء لتغنّى معها . فإذا غنّتْ وأومأتُ لك اليها — على أن أمرها أبينُ من أن يخفَى عليك — فـلا تَسْتحسن الغنـاءَ ولا تشرب عليـه ؛ وإذا غنّت الأخرى فآشرب وآطرَب وآستحسن وآشـقُق ثيابك ، وعلىّ مكانَ كل ثوب مائةُ ثوب . فقلت : السـمعُ والطاعة . فجلس فى حُجْرة الخَلْوة وأحضرنى وسـقانى وخلع علىّ ، وغنّت المحسـنةُ وقد أخذ الشرابُ منّى ، فـا تمالكتُ أن آستحسنتُ وطرِبتُ وشربتُ ،فأومأ إلىّ وقطّب فى وجهى . ثم غنّتِ الأخرى فجعلتُ أتكلّف ما أقوله وأفعـله . ثم غنّتِ المحسنةُ ثانيةً فأتت بما لم أسمع مثلَه قطّ حُسْنًا ،فما ملكتُ نفسى أن صِحت وشربت وطرِبت،وهو ينظر الىّ و يَعَضُّ شفتَيْه غيظا،وقد زال عقلى فما أُفكّر فيه،حتى فعلتُ ذلك مرارا، وكلما آزداد شر بى ذهب عقلى وزدتُ ممّا يكره،فغضب فأمضّنى وأمر بجرّ رجلى من بين يديه وصَرْفى فجُرِرْتُ وصُرِفتُ، فأمر بأن أُحْجَب . وجاءنى الناس يتوجّعون لى و يسألونى عن قصّتى فأقول لهم : حمل علىّ النبيذُ فأساتُ أدبى ،فقوّمنى أمير المؤمنين بصَرْفى وعاقبَنى بمنعى من الوصول اليـه . ومضى لِمـا أنا فيه شهرٌ، ثم جاءتنى البشـارةُ أنّه قد رضى عنّى، وأمر بإحضارى فحضَرتُ وأنا خائف . فلمـا وصلتُ أعطانى الأمين يدَه فقبّلتُها، وضحك الىّ وقام وقال : اتبعنى، ودخل إلى تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيرى . وغنّتِ المحسنةُ التى نالنى من أجلها ما نالنى فسكتُّ[2]

(١) فى حـ : «وتسحبها» والتسحب : التدلل. (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فسكنت» بالنون.

فقال لى: قُلْ ما شئتَ ولا تَخَفْ، فشربتُ وٱستحسنتُ . ثم قال لى: يا حسين، لقد خار اللهُ لك بخِلَافى وجرى القدرُ بما تحبّ فيه . إن هذه الجارية عادت الى الحال التى أُريد منها ورضِيتُ كلَّ أفعالها ، فاذكرْتنى بك وسألتْنى الرِّضا عنك والاختصاصَ لك، وقد فعلتُ ووصلتُك بعشرة آلاف دينار، ووصلتُك هى بدون ذلك . والله لو كنتَ فعلتَ ما قلتُ لك حتى تعودَ الى مثل هذه الحال ثم تحمد ذلك عليك فتسألنى ألّا تَصِلَ الىّ لأجبتُها . فدعوتُ له وشكرتُه وحمِدت الله على توفيقه، وزِدتُ فى الٱستحسان والسرورِ الى أن سكِرتُ وٱنصرفتُ وقد حُمِل معى المال . فما كان يمضى أسبوع إلّا وصِلاتُها وألطافُها تصل الىّ من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأمين؛ وما جالسته مجلسًا بعد ذلك إلا سألته أن يصِلَنى . فكلُّ شىء أنفقتُه بعده الى هذه الغاية فمن فضل مالها وما ذَخَرتُ من صِلاتها . قال ابن النشّار: فقال له أبى : ما سمعتُ بأحسن من هذا الحديث ولا أعجب ممّا وفّقه الله لك فيه .

هنأ الأمين بظفر جيشه بطاهر بن الحسين

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنى أبى قال :

دخل حسين بن الضحّاك على محمد الأمين بعَقِبِ وقعةٍ أوقعها أهلُ بغداد بأصحاب طاهر[1] فهزموهم وفضحوهم، فهنّأه بالظَّفَر ثم استأذنه فى الإنشاد، فأذن له فأنشده :

أمينَ الله ثِقْ بالله * ـهِ تُعْطَ العزَّ والنُّصْرهْ

كِلِ الأمرَ الى الله * كَلَاكَ[2] اللهُ ذو القُدْرهْ

لنا النصرُ بإذن الله * ـه والكَرَّةُ لا الفَرّهْ[3]

(١) هو طاهر بن الحسين أحد دعاة المأمون وأكبر قوّاده، وهو الذى حاصر محمدا الأمين وظفر به وقتله . (٢) كلاك الله : حفظك، سهلت همزته . (٣) كذا فى حـ وهو المناسب للمقام . وفى سائر الأصول : « والكرة والفره » .

وللـــرّاق أعـــدائـ * ـك يومُ السّوء والدّبره[(١)]

وكأسٌ تُورِد الموت * كريهٌ طعمُها مُرّه

سَـقَوْنا وسَـقيناهم * فكانت بهـمُ الحَرّه

كذاك الحربُ أحيانًا * علينـا ولنـا مَرّه

فأمر له بعشرة آلاف درهم، ولم يزل يتبسم وهو يُنشده .

عابثه الأمين وركب ظهره

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى أبو الحمار قال :

قال لى الحسين بن الضحّاك : شربنا يومًا مع الأمين فى بستان، فسقانا على الرّيق، وجدّ بنا فى الشرب ، وتحرّز من أن نذوق شيئا . فاشتدّ الأمرُ علىّ ، وقمتُ لأبول، فأعطيتُ خادمًا من الخدم ألف درهم على أن يجعل لى تحت شجرةٍ أومأتُ اليها رُقاقةً فيها لحمٌ ، فأخذ الألف وفعل ذلك . ووثب محمد فقال : من يكون منكم ١٠ حمارى؟ فكلٌّ واحد منهم قال له : أنا، لأنه كان يركب الواحدَ منا عَبَثًا ثم يصله ؛ ثم قال : يا حسين ، أنت أضْلَعُ[(٢)] القوم . فركبنى وجعـل يطوف وأنا أعدل به عن الشجرة وهو يمرّ بى اليها حتى صار تحتها ، فرأى الرُّقاقـةَ فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهرى ، وقال : هذه جُعِلَتْ لبعضكم ؛ ثم رجع الى مجلسه وما وصلنى بشىء . فقلت لأصحابى : أنا أشقى الناس ، رَكِب ظهرى وذهب ألفُ درهمٍ منّى وفاتنى ما يُمسك ١٥ رَمَقى ولم يَصِلْنى كعادتى ، ما أنا إلا كما قال الشاعر :

ومُطْعِم الصيدِ يومَ الصيد مَطْعَمَه * أنّى توجّـــه والمحـــروم محـــروم

أحب جارية لأم جعفر ووسط عاصما الغسانى فى استيهابها فأبت فقال شعرا

حدّثنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد النّحوىّ المبرّد قال : كان حسين بن الضحّاك الأشقر، وهـو الخليع ، يهوَى جاريةً لأُمّ جعفر ، وكانت

(١) الدبرة : الهزيمة فى القتال . (٢) كذا فى حـ . والأضلع : الشديد القوىّ الأضلاع . ٢٠ وفى سائر الأصول : «أظلع القوم» بالظاء المعجمة ، وهو تحريف .

من أجمل الجوارى، وكان لها صُدْغانِ مُعَقْرَبان ، وكانت تخرج إليه اذا جاء فتقول له : ما قلتَ فينا ؟ أنْشِدنا منه شيئا ؛ فيُخرج اليها الصحيفة، فتقول له : اقرأ معى، فيقرأ معها حتى تحفظه ثم تدخل وتأخذ الصحيفةَ . فشكا ذلك الى عاصم الغسّانىّ الذى كان يمدحه سَلْمٌ الخاسر وكان مكينا عنـد أمّ جعفر، وسأله أن يستوهبها له فآستوهبها ، فأبتْ عليه أمُّ جعفر ، فوجَّه الى الخليع بألف دينار وقال : خُذْ هـذا الألْفَ؛ فقد جَهَدتُ الجَهْدَ كلَّه فيها فلم تُمْكنِّى حيلة . فقال الحسين فى ذلك :

رمَتْك غَداةَ السبت شمْسٌ من الخُلْدِ[1] * بسهم الهوى عَمْدًا وموتُك فى العَمْدِ
مؤزَّرةُ السِّرْبال مهضـومةُ الحَشَـا * غُلاميّـةُ التقطيع شاطرةُ[2] القَـدِّ
مُحَنَّاةُ الأطـراف رُؤْدٌ شَـبابُهـا * مُعَقْـرَبةُ الصُّـدْغين كاذبةُ الوعدِ
١٠ أقول ونفسى بيْن شَـوْقٍ وزَفْرةٍ * وقد شَخَصتْ عينى ودمعى على الخدّ
أجيزى على من قـد تَركتِ فـؤادَه * بلحظتـه بين التأسُّف والجَهـد
فقـالت عذابٌ بالهـوى مع قربكم * وموتٌ اذا أقرحتُ[3] قلبـكَ بالبعـد
لقـد فَطَنت للجوْر فِطنةَ عاصمٍ * لصُنْعِ الأيادى الغُرّ فى طلب الحمد
سأشكوكِ فى الأشـعار غيرَ مُقصِّرٍ * الى عاصمٍ ذى المَكْرُمات وذى المجد
١٥ لعـلّ فتى غسّـان يَجمع بيننـا * فيأمنَ قلبى منكمُ رَوْعةَ الصَّـدِّ

٢٠٤ / ٦

أقطـع المعتصم الناس دورا دونه فقال شعرا

حدّثنى محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى هارون بن مُخارِق قال :

أقطع المعتصمُ النـاسَ الدُّورَ بسُرَّ من رَأى وأعطاهم النفقاتِ لبنائها، ولم يُقطِع الحسين بن الضحّاك شيئا . فدخل عليه فأنشده قوله :

(١) انظر الحاشية رقم ١ ص ١٧٠ من هذا الجزء . (٢) انظر الحاشية رقم ١ ص ١٥٥ من هذا الجزء . (٣) فى الأصول : «أقدحت» بالدال المهملة ، والذى فى كتب اللغة قدح القلب ، فلعلها محرفة عما أثبتناه .

يا أمينَ الله لا خِطّةَ[1] لى * ولقد أفردتَ صَحْبى بخِطَطْ
أنا فى دَهْيَاءَ من مُظْلِمةٍ * تحمِل الشيخَ على كلّ غَلَطْ
صعبةِ المَسْلَك يرتاع لها * كلُّ من أَصْعَد فيها وهَبَطْ
بَوِّنى[2] منك كما بَوّأتَهم * عَرْصةً تبسُط طَرْفى ما انبسط
أبتنى فيها لنفسى موطنًا * ولعَقْبِى فَرَطًا بعد فَرَطْ
لم يَزَل منكَ قريبًا مسكنى * فأعِدْ لى عادةَ القربِ فقطْ
كلُّ من قرّبتَه مُغْتَبِطٌ[3] * ولمن أبعدتَ خِزْىٌ وسَخَطْ

قال : فأقطعه دارًا وأعطاه ألفَ دينار لنفقته عليها .

حاز شعرا لأبى العتاهية

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال أخبرنى عمّى الفضل عن الحسين ابن الضحّاك قال :

كنتُ أمشى مع أبى العتاهية ، فمررت بمقبُرة وفيها باكيةٌ تبكى بصوتٍ شجٍ على آبنٍ لها . فقال أبو العتاهية :

أَمَا تنفَكّ باكيةٌ بعين * غَزيرٌ دمعُها كَمِدٌ حشاها

أَجِزْ يا حسين ؛ فقلت :

تُنادى حفرةً أَعْيَتْ جوابًا * فقد وَلِهَتْ[4] وصَمّ بها صَداها[5]

(١) الخطة : المكان المختط لعمارة وغيرها ؛ وهى أيضا أرض يختطها الرجل لم تكن لأحد قبله .

(٢) بوّنى : أصلها «بوّئنى» ، سهلت الهمزة فصارت ياء ثم حذفت لصيغة الأمر . (٣) يقال : فلان مغتبِط (بكسر الباء) إذا كان فى نعمة ، ومغتبَط (بفتح الباء) إذا اغتبطه الغير على نعمة وتمنى أن يكون مثله . (٤) الوله : الحزن أو ذهاب العقل لفقدان الحبيب . (٥) الصدى : الصوت الذى يرده الجبل إذا رفع فيه الانسان صوته . وصمم الصدى كناية عن الهلاك ، يقال : أصم الله صداه إذا أهلكه ، وصمّ صداه . قال امرؤ القيس :

صم صداها وعفا رسمها * واستعجمت عن منطق السائل

نصحه أبو العتاهية بألا يرثى الأمين فأطاعه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى قال حدّثنى الحسين بن الضحّاك قال :

كنتُ عازماً على أن أرثى الأمين(1) بلسانى كلّه وأشفى لوعتى . فلقينى أبو العتاهية فقال لى : ياحسين ، أنا اليك مائلٌ ولك محبٌّ ، وقد علمتُ مكانك من الأمين ، وإنه لحقيقٌ بأن ترثيه ، إلّا أنك قد أطلقتَ لسانك من التلهُّف عليه والتوجُّع له بما صار هجاءً لغيره وثَلْباً له وتحريضًا عليه ، وهــذا المأمون مُنْصَبٌّ الى العراق قد أقبل عليك ، فأبقِ على نفسك ، ياوَيْحَك ! أتجسُر على أن تقول :

تركوا حريمَ أبيهــمُ نَفَــلًا(2) * والمُحْصَناتُ صوارخٌ هُتُفُ

هيهاتَ بعدَك أن يدومَ لهم * عزٌّ وأن يبــقى لهم شَرَفُ

أُكْفُفْ غَرْبَ لسانك واَطوِ ما انتشر عنــك وتلافَ ما فرَط منــك . فعلمتُ أنه قد نصَحنى بجزيتُه الخيرَ ، وقطعتُ القول فنجوتُ برأيه وما كِدْتُ أن أنجو .

أعرض عنه فتى جميل فقال فيه شعرا

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى أبو العَيْناء قال :

وقف علينا حسين بن الضحّاك ومعنا فتًى جالسٌ من أولاد الموالى جميلُ الوجه ، فحادثنا طويلا وجعل يُقبِل على الفتى بحديثه والفتى مُعْرِضٌ عنــه حتى طال ذلك ، ثم أقبل عليه الحسين فقال :

تَتِيه علينا أن رُزِقْتَ ملاحةً * فمَهْلًا علينا بعضَ تِيهك يا بدرُ

لقد طالمــا كنّا مِلَاحًا وربما * صَــدَدْنا وتِهْنا ثم غيّرنا الدهرُ

وقام فانصرف .

(1) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « الأمير » وهو تحريف . (2) النفل : الغنيمة .

عربد فى مجلس الأمين فغضب عليه ثم استرضاه بشعر فرضى عنه

أخبرنى الحسن بن القاسم الكوفى[1] قال حدّثنى ابن عجلان قال :

غنّى بعضُ المغنّين فى مجلس محمد المخلوع بشعر حسين بن الضحّاك، وهو :

صـــوت

ألستَ ترى ديمةً تهطـــلُ * وهــذا صباحُك مُستقبَلُ
وهذى العُقَـار وقد راعنا * بطلعتــه الشّـادنُ الأكحلُ
فعـاد بـه وبنـا ســكرةٌ * تُهوّن مكروهَ ما نسأل
فإنى رأيتُ له نظـرةً[2] * تخـبّرنا أنه يفعـل

قال : فأمر بإحضار حسين فأُحضِر، وقـد كان محمد شرب أرطالا . فلمـا مثل بين يديه أمر فسُقِى ثلاثةَ أرطال، فلم يَستوفِها الحسينُ حتى غَلَبه السكر وقذَف، فأمر بحمله إلى منزله فحُمل . فلما أفاق كتب اليه :

إذا كنتُ فى عُصْبةٍ * من المَعْشر الأخْيبِ
ولم يَكُ لى مُسْعِدٌ * نديمٌ سوى جُعْـدُبِ
فأشْرَبُ من رَمْلةٍ[3] * وأسهرُ من قُطْرُبِ[4]
ولمّـا حبانى الزما * نُ من حيث لم أحسبِ
ونادمتُ بـــدرَ السما * ءِ فى فَلَك الكوكبِ

(١) ورد هذا الاسم هكذا فى جميع الأصول . وقد بحثنا عنه فيمن روى عنهم صاحب الأغانى فلم نجده . ولعل صوابه الحسين بن القاسم الكوكبي الكاتب . وكان صاحب أخبار وآداب، توفى سنة ٣٢٧ هـ . وقد تكررت رواية المؤلف عنه كثيرا . (٢) كذا فى ا ، ء ، م وفيما سبق فى جميع الأصول فى هذه الترجمة . وفى سائر الأصول هنا : «طرة» وهو تحريف . (٣) نص المثل فى الميدانى : «أشرب من رمل» . (٤) القطرب : طائر يجول الليل كله لا ينام، قالوا : «أجول من قطرب» و«أسهر من قطرب» . (انظر حياة الحيوان للدميرى وأمثال الميدانى فى الكلام عليه) .

أبتْ لى غُضُوضيّتى(١) * ولـؤمٌ من المَنْصب

فاســكرنى مسرعًا * قـوىٌ من المَشْرب

كذا النـذلُ يَنْبو به * منـادمـةُ المُنْجب

قال : فردّه الى منادمته وأحسن جائزته وصلته .

شعره فى غلام أبى أحمد بن الرشيد

٥ أخبرنى الكوكبىّ قال حدّثنى علىّ بن محمد بن نصر عن خالد بن حمدون : أن الحسين بن الضحاك أنشده — وقد عاتبه خادم(٢) من خُدّام أبى أحمد بن الرشيد كان حسين يتعشّقه ولامه فى أن قال فيه شعرًا وغنّى فيه عمرو بن بانة ؛ فقال حسين فيه — :

صـــوت

فَدَيتُ من قال لى على خَفَرِهْ * وغَضَّ جفنًا له على حَوَرِهْ

١٠ سَمَّع بى شعرُك المليح فما * ينفكّ شادٍ به على وَتَرِه

فقلتُ يا مستعيرَ سالفةِ الـ * ـخِشْفِ وحسنِ الفتورِ من نَظَرِه

لا تُنْكرنّ الحنينَ من طَرِبٍ * عاود فيك الصِّبا على كِبَرِه

وغنّى فيه عمرو بن بانة هزجا مطلقًا .

كتب شعرا على قبر أبى نواس

أخبرنى الكوكبىّ قال حدّثنى أبو سَهْل بن نُوبَخْت(٣) عن عمرو بن بانة قال :

١٥ لما مات أبو نواس كتب حسين بن الضحّاك على قبره :

كابَرَتْكَ الزمانُ يا حسنُ * فخاب سَهْمى وأفلح الزمنُ

ليتك إذ لم تكن بقيتَ لنا * لم تَبْقَ روحٌ يَحُوطُها بدنُ

(١) الغضوضية : غضاضة الشباب ونضارته ، والمراد بها الطيش والنزق وهما من حظ الشباب ولوازمه . والغضوضية من المصادر الصناعية مثل الرجولية والفروسية .

٢٠ (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وقد عاتبه بخادم» وهو تحريف .

(٣) ضبطه ابن خلكان بالعبارة هكذا : «ونو بخت بضم النون وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وبعدها تاء مثناة من فوقها» .

هجا جراحا مخنثا اسمه نصير

٢٠٦ / ٦

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنى أبى قال :

كان فى جوار الحسين بن الضحّاك طبيب يُداوى الجراحاتِ يقال له نُصَير ، وكان مخنّثاً ، فإذا كانت وليمةٌ دخل مع المخنّثين ، وإذا لم تكن عالج الجراحاتِ . فقال فيه الحسين بن الضحّاك :

نُصَيرٌ ليس المُرْدُ من شأنه * نصيرُ طَبٌّ بالنّكاريش[1]

يقول للنّكْرِيش[2] فى خَلوة * مقالَ ذى لُطْف وتَجْميش

هل لك أن نلعبَ فى فرشنا * تقلُّبَ الطير المَراعيش[3]

يعنى المبادلة . فكان نصيرٌ بعد ذلك يصيح به الصبيان : " يا نصير نلعب تقلُّبَ الطير المراعيش " فيشتُمهم ويرميهم بالحجارة .

عبث ابن مناذر بشعر له فشتمه

حدّثنى جعفر قال حدّثنى علىّ بن يحيى عن حسين بن الضحّاك قال :

أنشدتُ آبنَ مُناذر قصيدتى التى أقول فيها :

* لفَقْدِك ريحانةَ العسكر *

وكانت من أوّل ما قلتُه من الشعر ، فأخذ رداءه ورمى به الى السقف وتلقاه برجله وجعل يردّد هذا البيت . فقلنا لحسين : أتُراه فعل ذلك آستحسانا لما قلت ؟ فقال لا ، فقلنا : فإنما فعله طَنْزاً[4] بك ، فشتَمه وشتَمنا . وكنّا بعد ذلك نسأله إعادةَ هذا البيت فيرمى بالحجارة ويجدّد شتمَ آبن مناذر بأقبح ما يقدِر عليه .

---

(١) الطب : العالم بالشىء . والنكريش : الملتحى ، قال البديع :

قال قوم عشقته أمرد الخد * وقد قيل إنه نكريش

قلت فرخ الطاووس أحسن ما كا * ن إذا ما علا عليه الريش

(انظر شفاء الغليل ص ٢٢٤) . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «وتجهيش» . بالهاء .

(٣) المراعيش : نوع من الحمام وهى تطير مرتفعة حتى تغيب عن النظر فترى فى الجو كالنجم .

(٤) الطنز : السخرية .

وقف بباب هو سلولى وغنوى ينتظران محاربيا فقيل اجتمع اللؤم

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنى أحمد بن أبى كامل قال :

مررتُ بباب حسين بن الضحّاك ، وإذا أبو يزيد السَّلُولىّ وأبو حَزْرَةَ الغَنَوِىّ وهما ينتظران المُحارِبىّ وقد آستُؤذن لهم على آبن الضحّاك ، فقلت لهما : لِمَ لا تدخلان؟

٥ فقال أبو يزيد : ننتظر اللؤم أن يجتمع ، فليس فى الدنيا أعجبُ ممّا آجتمع منّا ، الغَنَوِىّ والسَّلُولىّ ينتظران المُحارِبىّ ليدخلوا على باهلىّ .

كتب أبياتا عن الواثق يدعو الفتح ابن خاقان للصبوح

أخبرنى محمد بن مزيد بن أبى الأزهر البُوشَنْجِىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى حسين بن الضحّاك قال :

كان الواثق يميل الى الفتح بن خاقان [1] ويأنس به وهو يومئذ غلام ، وكان الفتح

١٠ ذكيًّا جيّد الطبع والفِطنة . فقال له المعتصم يومًا وقد دخل على أبيه خاقان عُرْطُوج : يا فتح أيّما أحسن : دارى أو دار أبيك ؟ فقال له وهو غير متوقّف وهو صبىّ له سبع سنين أو نحوها : دار أبى إذا كنتَ فيها ؛ فعجب منه وتبنّاه . وكان الواثق له بهذه المنزلة ، وزاد المتوكل عليهما . فآعتلّ الفتح فى أيام الواثق علّةً صعبة ثم أفاق وعُوفى ، فعزَم الواثقُ على الصَّبوح ، فقال لى : يا حسين ، اكتب بأبيات عنّى الى

١٥ الفتح تدعوه الى الصَّبوح ؛ فكتبتُ اليه :

(١) هو الفتح بن خاقان بن أحمد ، كان فى نهاية الذكاء والفطنة وحسن الأدب من أولاد الملوك ، اتخذه المتوكل أخا ووزيرا له ، وكان يقدّمه على سائر ولده وأهله . وكان له خزانة جمعها على بن يحيى المنجم له لم يرأعظم منها كثرة وحسنا . وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين . ومن شغفه بالكتب أنه كان يحضر لمجالسة المتوكل ، فاذا أراد القيام لحاجة أخرج كتابا من كمه أو خفه وقرأه

٢٠ فى مجلس المتوكل الى عوده اليه ، حتى فى الخلاء . وتوفى الفتح فى الليلة التى قتل فيها المتوكل فتلاحمه بالسيف سنة ٢٧٤هـ . قتله الأتراك لما فرغوا من قتل المتوكل بأمر ابنه المنتصر ، كان طلب منهم ذلك بجعبة على سيده . (عن فهرست ابن النديم وتاريخ الطبرى ص ١٤٥ — ١٤٦ من القسم الثالث) .

لمّا اصطبحتُ ومِنّ اللهو ترمُقُنى * قد لاح لى باكرًا فى ثوب بِذْلَتِه
ناديتُ فتحًا وبَشّرتُ المُدامَ به * لمّا تخلّص من مكروه عِلّتِه
ذِبُّ الفتى عن حريم الراح مَكْرُمةٌ * إذا رآه امرؤٌ ضِدًّا لِنحلتِه
فاعجَلْ إلينا وعَجِّل بالسرور لنا * وخالِسِ الدهرَ فى أوقات غفلتِه

فلما قرأها الفتح صار إليه فاصطبح معه .

شعره فى غلام عبدالله بن العباس ابن الفضل بن الربيع

أخبرنى عمّى[1] قال حدّثنى يعقوب بن نُعَيم وعبد الله بن أبى سعد قالا حدّثنا محمد بن محمد الأنبارىّ قال حدّثنى حسين بن الضحّاك قال :

كنتُ عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع وهو مُصْطَبِحٌ وخادم له يسقيه؛ فقال لى : يا أبا علىّ، قد استحسنتُ سقىَ هذا الخادم؛ فإن حضرك شىء فى قصّتنا هذه فقُل ؛ فقلت :

أحيَتْ صَبُوحى فكاهةُ اللاهى * وطاب يومى بقرب أشباهى
فاستَثِر اللهوَ من مكامِنه * من قبل يوم منغّص ناهى
بابنة كَرْم من كفّ مُنْتَطِقٍ * مؤتزِر بالمجون تيّاه
يَسْقيك من طَرْفه ومن يده * سَقْىَ لطيف مُجَرِّب داهى
كأسًا فكأسًا كأنّ شاربَها * حيرانُ بين الذُّكور والساهى

قال : فاستحسنه عبد الله وغنّى فيه لحنا مليحًا وشربنا عليه بقيّة يومنا .

وعده بسر بالسكر معه قبل رمضان ولم يف فقال فيه شعرا

أخبرنى علىّ بن العباس قال حدّثنى سَوَادة بن الفَيْض عن أبيه قال :

اتفق حسين بن الضحّاك وبُسْرٌ مرّةً عند بعض إخوانهما وشربا وذلك فى العشر الأواخر من شعبان . فقال حسين لبُسْر : يا سيّدى ، قد هجم الصومُ علينا، فتفضّل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك ؛ فقال له : قد سكرتَ وأخشى

(١) تقدّم هذا الخبر بنصه فى هذه الترجمة ص ١٩٠

٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٠٧/٦

أن يبدو لك ، فحلف له يسرُ أنّه يفى . فلما كان من الغد كتب اليه حسين وسأله الوفاء، فجحد الوعد وأنكره . فكتب اليه يقول :

تجاسرتَ على الغدر * كعاداتك فى الهجر
فأخلفتَ وما آستخلفـ * ـتَ من إخوانك الزُّهْر
لئن خسْتَ[1] لَمَا ذا * لكَ من فعلك بالنُّكْر
وما أقنعنى فعلُ * ـك يا مختلقَ العذر
بنفسى أنت إن سُؤْتَ * فلا بدّ من الصبر
وإن جرّعنى الغيظَ * وإن خَشّن[2] بالصدر
ولولا فَرَقى منك * لسمَّيتُك فى الشعر
وعنّفتُك لا آلُو * وإن جُزْتُ مدى العُذْر[3]
أمَا تخرج من إخلا * ف ميعادك فى العَشْر
غدًا يفطمنا الصومُ * عن الرّاح الى الفطر

قال : فسألتُ الحسينَ بن الضحاك عمّا أثّر له هذا الشعرُ وما كان الجواب؛ فقال: كان أحسنَ جوابٍ وأجملَ فعل ، كان آجتماعُنا قبل الصوم فى بستان لمولاه ، وتمّمْنا سرورَنا وقضيْنا أوطارَنا إلى الليل، وقلتُ فى ذلك :

سقى اللهُ بطنَ الدَّيْرِ من مستوى السَّفْح * إلى ملتقَى النَّهرين فالأَثْلِ[4] فالطَّلْحِ[5]
مَلاعبُ قُذْنَ القلبَ قَسْرًا الى الهوى * ويَسَّرْنَ ما أمّلتُ من دَرَك النُّجْح

(١) كذا فى ا ، ى ، م . وخاس فلان بوعده : أخلف . وفى سائر الأصول : «خنت» .
(٢) خشن بالصدر : أوغر به .   (٣) كذا فى ى . وفى سائر الأصول : « الغدر » وهو تصحيف .   (٤) الأثل : شجر كالطرفاء إلا أنه أعظم منها وأجود عودا ، تتخذ منه الأقداح الصفر الجياد والقصاع والجفان ، وورقه هدب طوال دقاق ، ولا شوك له ، وثمرته حمراء .   (٥) الطلح : أعظم العضاه شوكا له عود صلب وصمغ جيد ، وشوكه أجن طويل ، منبته فى بطون الأودية .

أَتْنَسى فلا أنسى عتابك بيننا * حبيبك حتى انقاد عفوًا الى الصلح
سمحتُ لمن أهوى بصفو مودّتى * ولكنّ من أهواه صِيغ على الشُّح

شعره فى يسر وفى أيام مضت له معه بالبصرة

قال علىّ بن العبّاس: وأنشدنى سَوَادةُ بن الفَيْض عن أبيه لحسين بن الضحّاك يصف أيامًا مضت له بالبصرة و يومه بالقُفْص[1] ومجىء يُسْر اليه، وكان يسرٌ سأله أن يقول فى ذلك شعرا :

٢٠٨ / ٦

٥

تيسّرى لِلْمُـام[2] من أَمَم * ولا تُـراعِى حمامةَ الحَرَم
قدغاب — لا آب — من يُراقبنا * ونام — لا قام — ساهرُ الخَدَم
فاستصحبى مُسْعِدًا يفاوضُنا * إذا خَلَوْنا فى كلّ مُكْتَتَم
تبذّلى بِبذْلةٍ تقَرُّ بها الـ * ـعينُ ولا تحْصَرى وتحتشمى
ليت نجومَ السماء راكدةٌ * على دُجَى ليلنا فلم تَرِم
ما لسرورى بالشكّ ممترِجًا[3] * حتى كأنّى أراه فى حُلُم
فَرِحْتُ حتى استخفّنى فرحى * وشُبْتُ عين اليقين بالتُّهَم
أمسح عينى مُسْتَثْبِتًا نظرى * أخالُنى نائمًا ولم أنَم
سَقْيًا لليل أفنيتُ مدّته * ببارد الرِّيق طيّب النَّسَم
أبيضَ مُرْتَجّةٍ روادفُه * ماعيب من قَرْنِه[4] الى القدم
إذ قَصَبات العَريش تجمعنا * حتى تجلّت أواخرُ الظُّلَم

١٠

١٥

(١) القفص : قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد ، وكانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه ومجالس الفرح تنسب اليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة . وقد أكثر الشعراء من ذكرها .
(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « للاممّ » ، وهو تحريف . (٣) فى الأصول : «ممتزج» . (٤) فى ب ، سـ : «من فرقه» بالفاء والقاف .

وليلةٍ بتُّها مُحَسَّدَةٍ[1] * محفوفةٍ بالظنون والتُّهَمِ
أَبَثُّ عَبْراته على غَصَصٍ * يَرُدُّ أنفاسَه الى الكَظَمِ[2]
سَقْيًا لقَيْطُونِها[3] ومُخْدَعِها * كم من لِمامٍ به ومن لَمَمِ
لا أكفُر الشَّيْلَحِين[4] أزمنةً * مطيعةً بالنَّعيم والنِّعَم
وليلة القُفْص إن سالتَ بها * كانت شفاءً لعلَّة السَّقَم
بات أنيسى صريعَ خمرتِه * وتلك إحدى مصارع الكرم
وبتّ عن مَوْعِدٍ سبَقتُ به * ألثَمُ دُرًّا مُفَلَّجًا بفَمِ
وا بأبى من بدا بِرَوْعةِ "لا" * وعاد من بعدها إلى "نَعَمِ"
أباحنى نفسَه ووسَّدنى * يُمْنَى يديه وبات مُلْتَزِمى
حتى إذا اهتاجت النواقسُ فى * سُحْرةٍ أَحْوَى أحَمَّ كالحُمَمِ
وقلتُ هُبَّا ياصاحبيَّ ونَبَّهتُ أبانًا فهبَّ كالزُّلَمِ[5]
فاستنّها كالشِّهاب ضاحكةً * عن بارقٍ فى الإناء مُبْتَسِمِ
صفراءَ زيتيَّةً موشَّحةً * بأُرْجوانٍ مُلَمَّعٍ ضَرِمِ
أخذتُ ريحانةً أراحُ لها * دبَّ سرورى بها دبيبَ دَمى
فراجِعِ العذرَ إن بدا لك فى الـ * ـعُذر وإن عُدْتَ لائمًا فَلُمِ

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «محسرة» بالراء المهملة ، وهو تحريف . (٢) الكظم : مخرج النفس من الحلق ومنه حديث النخعى : "له التوبة مالم يؤخذ بكظمه" أى عند خروج نفسه وانقطاع نفسه . (٣) القيطون : بيت فى بيت والمخدع (كمنبر ومحكم) : مثله أى الخزانة الصغيرة داخل الحجرة . (٤) سيلحين : موضع قرب الحيرة ضارب فى البر قرب القادسية وتدكك ذكره الشعراء أيام القادسية مع الحيرة والقادسية . وقيل : هو رستاق من رساتيق العراق . وقد ورد فى جميع الأصول هكذا : «الشيحلين» وهو تحريف . (٥) الزلم : السهم .

حجب يسرا سيده فقال شعرا فى ذلك

أخبرنى علىّ بن العبّاس قال حدّثنى سَوَادةُ بن الفَيْض المخزومىّ قال حدّثنى المُعْتَمِر بن الوليد المخزومىّ قال : قال لى الحسين بن الضحّاك وهو على شراب له : ويحكم أُحدّثكم عن يُسْر بأعجوبة ؟ قلنا : هات . قال : بلغ مولاه أنه جَرى له مع أخيه سببٌ، فحجَبه كما تُحْجَب النساء، وأمر بالحَجْر عليه، وأمره ألّا يخرجَ عن داره إلا ومعه حافظٌ له موكَّل به . فقلت فى ذلك :

٢٠٩ / ٦

ظنّ من لا كان ظنًّا * بحبيبى فحمَاهُ
أرْصَد البابَ رقيبًا * ن له فآكتَنَفاهُ
فإذا ما آشتاق قربى * ولقائى منَعاه
جعل الله رقيبيـ * ـه من السوء فداه
والذى أقرح فى الشا * دن قلبى ولَواه
كلُّ مشتاق اليه * فمن السوء فِداه
سيّما من حالت الأحـ * ـراس من دون مُنَاه

سأل أبا نواس أن يصلح بينه وبين يسر ففعل

أخبرنى علىّ بن العبّاس قال حدّثنا أحمد بن العباس الكاتب قال حدّثنى عبد الله بن زكريّا الضّرير قال :

قال أبو نواس : قال لى حسين بن الضحّاك يومًا : يا أبا علىّ، أمَا ترى غضبَ يُسْر علىّ ! فقلت له : وما كان سبب ذلك ؟ قال : حالٌ أردتُها منه فمَنَعنيها فغضِبتُ ؛ فأسالك أن تُصلح بينى و بينه . فقلت : وما تحبّ أن أُبلغه عنك؟ قال: تقول له :

بحُرْمة السُّكر وما كانا * عزَمْتَ أن تقتل إنسانا!
أخاف أن تهجُرنى صاحيًا * بعد سرورى بك سكرانا

١٠ ١٥ ٢٠

إنّ بقلبي روعةً كلما * أضمر لى قلبُك هجرانا
يا ليت ظنّي أبدًا كاذبٌ * فإنه يصدُق أحيانا

قال : فقلت له : وَيْحَك ! أتجتنبه و تريد أن تترضّاه وترسل اليه بمثل هذه الرسالة ! فقال لى : أنا أعْرَف به ، وهو كثير التبذّل[1] ، فأبْلغه ما سألتُك ؛ فأبلغتُه فرضي عنه ٥ وأصلحتُ بينهما .

حدّثنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى قال :

جاءنى يومًا حسين بن الضحّاك ، فقلت له : أىّ شيء كان خبرُك أمس ؟ فقال لى : اسمعه شعرًا ولا أزيدك على ذلك وهو أحسن ؛ فقلت : هات ياسيّدى ؛ فقال :

زائرةٌ زارت على غفلةٍ * يا حبّذا الزَّوْرةُ والزائره
١٠ فلم أزلْ أخدَعُها ليلتى * خديعةَ السّاحر للسّاحره
حتى إذا ما أذعَنَتْ بالرّضا * وأنعَمَتْ دارتْ بها الدائره
بتُّ الى الصبح بها ساهرًا * وباتت الجوزاءُ بى ساهره
أفعل ما شئتُ بها ليلتى * وملءُ عينى نعمةٌ ظاهره
فلم تنم إلّا على تسعة * من غُلْمة بى وبها ثائره
١٥ سَقْيًا لها لا لأخى شِعْرةٍ * شِعْرتُه كالشّعرة الوافره
وبين رجليه له حَربةٌ[2] * مشهورةٌ فى حَقْوه شاهره
وفى غدٍ يتبعها حيةٌ * تُلحقه بالكَرّة الخاسره

قال : فقلت له : زنيتَ يعلم الله إن كنتَ صادقا . فقال : قل أنت ما شئتَ .

(١) لعله "كثير التبدّل" بالدال المهملة . أى كثير التغير لا يبقى على حال .
٢٠ (٢) فى ا ، ء ، م : «حفرة» .

أغرى الواثق بالصبوح

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أبو العَيْناء قال :

دخل حسين بن الضحاك على الواثق فى خلافة المعتصم فى يوم طيّب، فحثّه على الصَّبُوح فلم ينشَط له . فقال : اسمع ما قلتُ، قال : هات، فأنشده :

اِسْتَثِرِ اللهوَ من مكامنه * من قبلِ يومٍ منغِّصٍ ناهِى

بِأبنة كرْم من كفِّ مُنْتطِقٍ * مُؤْتَزِرٍ بالمُجون تيّاه

يَسقيك من لحظه ومن يده * سقىَ لطيف مجرِّب داهى

كأسًا فكأسًا كأنّ شاربها * حيرانُ بين الذّكور والسّاهى

قال : فنشِط الواثق وقال : إنّ فرصة العيش لحقيقةٌ أن تُنْتَهز، وٱصطبح ووَصل الحسين .

شعره فى جارية

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم[1] بن مهرويه قال حدّثنى أبو الشِّبْل عاصمُ بن وَهْب البُرْجُمِىّ قال :

حجّ الحسين بن الضحّاك، فمرّ فى مُنْصَرفَه على موضع يعرف بالقَرِيتَيْن[2]، فإذا جارية تَطّلع فى ثيابها وتنظُر فى حِرِها ثم تضرب به بيدها وتقول : ما أضيعنى وأضيعك ! فأنشأ يقول :

مررتُ بالقريتين مُنصرِفًا * من حيث يقضى ذوو النُّهَى النُّسُكا

إذا فتاةٌ كأنها قمرٌ * للستِّ لمّا توسّط الفَلَكا

واضعةٌ كفَّها على حِرِها * تقول يا ضَيْعتى وضَيْعتكا

(١) فى حـ «قال حدّثنا محمد بن إسحاق القاسم بن مهرويه» . وفى سائر الأصول : «قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن القاسم بن مهرويه» . والظاهر أنهما تحريف لأنه تكرر أكثر من مرة أن الحسن بن على الخفاف يروى عن محمد بن القاسم بن مهرويه . (انظر الصحف ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ٢١٥ من هذا الجزء) .

(٢) القريتان : قرية قريبة من النباج فى طريق مكة من البصرة .

قال : فلما سمعتْ قولَه ضحكتْ وغطّتْ وجهَها وقالت : وا فضيحتاه ! أَوَ قد سمعتَ ما قلتُ !.

شعره فى شفيع خادم المتوكل

حدّثنى محمد الصُّولى قال حدّثنى ميمون بن هارون قال :

كان الحسين بن الضحّاك صديقًا لأبى، وكنت ألقاه معه كثيرا، وكانت نفسه قد تتبعتْ شَفيعًا بعد انصرافه من مجلس المتوكل؛ فأنشدَنا لنفسه فيه :

وأبيض فى حُمر الثياب كأنه * إذا ما بدا نِسْرِينةٌ[1] فى شقائق
سقانى بكفّيه رحيقًا وسامَنى * فُسوقًا بعينيه ولستُ بِفاسق
وأُقسم لو لا خشيةُ الله وحدَه * ومن لأُسمّى كنتُ أوّل عاشق
وإنّى لمعذورٌ على وَجَناته * وإن وسَمَتْنى شيبةٌ فى المَفارق
ولا عِشقَ لى أو يُحْدِثَ الدهرُ شِرّةً * تعود بعادات الشباب المُفارِقِ
ولو كنتُ شكلًا للصِّبَا لاتّبعتُه * ولكن سِنّى بالصِّبا غيرُ لائقِ

توفى ابنه محمد فطلب من المتوكل أن يجرى أرزاقه على زوجته وأولاده

حدّثنى الصّولى قال حدّثنا ميمون بن هارون قال :

كان للحسين بن الضحّاك ابن يسمّى محمدا، له أرزاق، فمات فقُطعتْ أرزاقُه. فقال يخاطب المتوكل ويسأله أن يجعل أرزاق ابنه المتوفّى لزوجته وأولاده :

إنّى أتيتُك شافعًا * بولىّ عهد المسلمينا
وشبيهك المعتزّ أو * جه شافع فى العالَمينا
يابن الخلائف الأوّلـ * ـين ويا أبا المتأخّرينا
إنّ ابن عبدك مات وا * لأيّامُ تخترِم القَرينا
ومضى وخلّف صِبيةً * بِعَراصِه مُتلدّدينا[2]

(١) النسرين : ضرب من الرياحين . (٢) المتلدد : المتحير .

٢١١
٦

وَمُهَيرَةٌ عَبْرَى خِلَا * فُ أقاربٍ مُسْتَعْبِرِينا
أصبحنَ فى رَيب الحوا * دثِ يُحسِنون بك الظُّنونا
قطَع الوُلاةُ جِرايةً * كانوا بها مُسْتَمْسِكِينا
فأمُنُنْ بِرَدِّ جميعِ ما * قطعوه غيرَ مراقِبِينا
أعطاك أفضلَ ما تؤمِّـ * ـلُ أفضلُ المتفضِّلينا

قال : فأمر المتوكل له بما سأل . فقال يشكره :

يا خيرَ مُسْتَخْلَفٍ من آل عبّاسِ * اِسْلَمْ وليس على الأيّام من باسِ
أحييتَ من أملٍ نِضْوًا تَعاوَرَه * تَعاقُبُ اليأسِ حتى مات باليأسِ

هجا مغنية فهربت وانقطع خبرها

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال :
كنّا فى مجلس ومعنا حسين بن الضّحاك ونحن على نبيذ، فعبث بالمغنّية وجَمّشها[1]، فصاحت عليه واستخفّتْ به . فأنشأ يقول :

لها فى وجهها عُكَنُ * وثُلْثا وجهها ذَقَنُ
وأسنانٌ كرِيشِ البَـ * ـطِّ بين أصولها عَفَنُ

قال : فضحكنا، وبكت المغنّيةُ حتى قلتُ قد عَمِيَتْ، وما انتفعنا بها بقيّةَ يومنا . وشاع هذان البيتان فكَسَدَتْ من أجلهما . وكانت إذا حضرتْ فى موضع أنشدوا البيتين فتُجَنّ . ثم هربتْ من سُرَّ من رأى، فما عرفنا لها بعد ذلك خبرا .

قال جعفر وحدّثنا أبو العَيْناء أنه حضر هذا المجلس، وحكى مثلَ ما حكاه محمد .

حديثه عن سنه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى يزيد بن محمد المهلّبى قال :

(١) فى ب، س : «وخمشها» بالخاء، وهو تصحيف .

سألت حسين بن الضحّاك ونحن فى مجلس المتوكل عن سنّه ؛ فقال : لستُ أحفظ السنةَ التى وُلِدتُ فيها بعينها، ولكنّى أذكر وأنا بالبصرة موتَ شُعْبةَ بن الحجّاج سنة ستين ومائة .

وشى به جماعة الى المتوكل فاسترضاه بشعر فأجازه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى علىّ بن محمد بن نصر قال حدّثنى خالى (يعنى أحمد ابن حمدون) قال : ٥

أمر المتوكل أن يُنادمه حسين بن الضحّاك ويلازمه ؛ فلم يُطِق ذلك لكِبَر سنّه . فقال للمتوكل بعضُ من حضر عنده : هو يُطيق الذَّهابَ إلى القُرَى والمَوَاخير والسكرَ فيها ويعجِز عن خدمتك! . فبلغه ذلك، فدفع إلىّ أبياتا قالها وسألنى إيصالها؛ فأوصلتُها إلى المتوكّل، وهى :

١٠ أمَا فى ثمانين وفّيتُها * عَذيرٌ وإن أنا لم أعتَذِرْ
فكيف وقد جُزتُها صاعدًا * مع الصّاعدين بتسعٍ أُخَر
وقد رفع الله أقلامَه * عن ٱبن ثمانين دون البشر
سوى من أصرّ على فتنة * وألحد فى دينه أو كفر
وإنّى لمن أُسَراء الإلٰـ * ـه فى الأرض نُصْبَ صروف القدر
١٥ فإن يَقضِ لى عملًا صالحًا * أثابَ وإن يقضِ شرًّا غفر
فلا تلحَ فى كِبَرٍ هدّنى * فلا ذنبَ لى أنْ بلغتُ الكِبَرْ
هو الشيبُ حلّ بعَقْب الشباب * فأعقبنى خَوَرًا من أَشَرْ
وقد بسط اللهُ لى عذرَه * فمن ذا يلوم إذا ما عذر
وإنّى لَفى كَنَفٍ مُغْدِقٍ * وعزٍّ بنصر أبى المنتصِرْ
٢٠ يُبارى الرياحَ بفضل السما * ح حتى تَبلَّدَ أو تنحسِر

٢١٢
٦

له أكّد الوحىُ ميراثَه * ومن ذا يُخالف وَحْىَ السُّوَر

وما للحسود وأشياعه * ومَنْ كذّب الحقَّ إلا الحَجَرْ

قال ابن حمدون : فلما أوصلتُها شيّعتُها بكلامى أعذره ، وقلت : لو أطاق خدمةَ أمير المؤمنين لكان أسعدَ بها . فقال المتوكل : صدَقتَ ، خُذْ له عشرين ألف درهم وآحملْها اليه ؛ فأخذتُها فحملتُها اليه .

ضربه الخلفاء من الرشيد الى الواثق

حدّثنى عمّى قال حدّثنى علىّ بن محمد بن نصر قال حدّثنى خالى عن حسين ابن الضحّاك قال :

ضربنى الرشيد فى خلافته لصُحْبتى ولدَه ، ثم ضربنى الأمينُ لمُمَايلة آبنه عبدالله ، ثم ضربنى المأمون لميلى الى محمد ، ثم ضربنى المعتصم لمودّة كانت بينى وبين العبّاس ابن المأمون ، ثم ضربنى الواثق لشىء بلغه من ذهابى الى المتوكّل ، وكلّ ذلك يَجرى ١٠ مجرى الوَلَع بى والتحذيرِ لى . ثم أحضرنى المتوكّل وأمر شفيعًا بالوَلَع بى ، فتغاضب المتوكّل علىّ . فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إن كنتَ تريد أن تضربنى كما ضربنى آباؤك ، فاعلم أنّ آخر ضَرْبٍ[1] ضُربتُه بسببك . فضحك وقال : بل أُحسن اليك يا حسين وأصونك وأُكرمك .

وصف حاله فى أواخر أيامه بشعر

١٥ حدّثنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنى محمد بن محمد بن مروان الأَبْزارىّ[2] قال :

دخلت على حسين بن الضحّاك ، فقلت له : كيف أنت ؟ جعلنى الله فداءَك ! فبكى ثم أنشأ يقول :

أصبحتُ من أُسَراء الله مُحْتَبِسًا * فى الأرض نحو قضاء الله والقَدَر

٢٠ إنّ الثمانين إذ وُفّيتُ عِدّتَها * لم تُبْقِ باقيةً منّى ولم تَذَرِ

(١) فى حـ : «سوط» . (٢) نسبة إلى أبزار، وهى قرية بينها وبين نيسابور فرسخان . وقد تقدم فى صفحة ٢١٦ من هذا الجزء : « الأنبارى » .

أخبار أبى زكّار الأعمى

مغنّ بغدادىّ قديم انقطع لآل برمك

قال أبو الفرج : أبو زكّار هذا رجل من أهل بغداد من قدماء المغنّين، وكان منقطعًا الى آل برمك، وكانوا يُؤْثِرونه ويُفْضِلون عليه إفضالا .

قتل جعفر البرمكى وهو يغنيه

حدّثنى محمد بن جعفر بن قُدامة قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ قال : سمعت مسرورًا يحدّث أبى قال :

لمّا أمرنى الرشيد بقتل جعفر بن يحيى، دخلت عليه وعنده أبو زكّار الأعمى وهو يغنّيه بصوت لم أسمع بمثله :

فلا تَبْعَدْ[1] فكلّ فتًى سيأتى * عليه الموتُ يَطرُق أو يُغادى

وكلّ ذخيرةٍ لا بدّ يومًا * وإن بَقِيَتْ تصير الى نَفاد

ولو يُفْدَى من الحدثان شىءٌ * فديتكُ بالطّريف وبالتّلاد

فقلت له : فى هذا والله أتيتُك ! فأخذت بيده فأقمته وأمرت بضرب عنقه .

طلب أن يقتل مع جعفر فأمر الرشيد بالإحسان اليه

فقال لى أبو زكّار : نَشَدتُك اللهَ إلّا ألحقتَنى به . فقلتُ : وما رغبتُك فى ذلك؟ قال : إنه أغنانى عمّن سواه بإحسانه، فما أُحبُّ أن أبقى بعده . فقلت : أستأمِرُ أميرَ المؤمنين فى ذلك . فلما أتيتُ الرشيدَ برأس جعفر أخبرته بقصّة أبى زكّار، فقال لى: هذا رجل فيه مُصْطَنَعٌ، فاضْمُمْه اليك وانظر ما كان يُجريه عليه فأتْمِمْه له .

٢١٣ / ٦

قال إسحاق الموصلى عن صوت له : هو معرق فى العمى

حدّثنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال :

غنّى عَلّويه يومًا بحضرة أبى، فقال أبى : مَهْ! هذا الصوت مُعْرِقٌ[2] فى العَمَى . الشّعر لبشّار الأعمى، والغناء لأبى زكّار الأعمى ، وأوّلُ الصوت "عميت أمرى".

(١) لا تبعد : لا تهلك . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «معروف فى العمى» .

صــــوت

٢/٧ من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

ما جَرَتْ خَطْــرةٌ على القلب منّى * فيـكِ إلا آسـتَتَرْتُ عن أصحابى
من دموعٍ تجرى، فإن كنتُ وحدى * خاليـا أسـعدتْ دموعى آنتحابى
إن حبّى إيّاكِ قد سَـــلّ جسمى * ورمانى بالشيب قبـل الشـباب
لو مَنَحْتِ اللقـا شَفى بك صـبًّا * هائمَ القلب قــد ثَوى فى التراب

الشعر فى الأبيات للسيّد الحِمْيَرىّ. والغناء لمحمد نَعْجة الكوفىّ، مُغَنّ غير مشهور ولا ممّن خدم الخلفاء وليس له خبر. ولحنه المختارُ ثانى ثقيل مطلَق فى مجرى البنصر. وذكر حبش أن لمحمد نعجة فيه أيضا خفيفَ رمل بالبنصر.

أخبار السيّد الحِمْيَرىّ

نسب

السيّد لقبُه . وآسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن رَبيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيرىّ . ويكنى أبا هاشم . وأمه آمرأة من الأزْد ثم من بنى الحُدّان . وجدُّه يزيد بن رَبيعة، شاعر مشهور، وهو الذى هجا زيادا[1] وبنيه ونفاهم عن آل حرب؛ وحبسه عبيد الله[2] ابن زياد لذلك وعذّبه ، ثم أطلقه معاوية . وخبرُه فى هذا طويل يُذكر فى موضعه[3] مع سائر أخباره ؛ إذ كان الغرض هاهنا ذكرَ أخبار السيّد .

ووجدتُ فى بعض الكتب عن إسحاق بن محمد النَّخَعىّ قال : سمعتُ آبن عائشة والقَحْذَمىّ يقولان : هو يزيد بن مُفَرِّغ ، ومن قال : إنه يزيد بن معاوية فقد أخطأ ؛ ومفرِّغ لقب ربيعة؛ لأنه راهن أن يشرب عُسًّا من لبن فشربه حتى فرّغه؛ فلُقّب مفرِّغا . وكان شَعَّابا[4] بسَيَالة، ثم صار الى البصرة .

شاعر متقدم مطبوع ، وترك شعره لذمه الصحابة

وكان شاعرا متقدّما مطبوعًا . يقال : إن أكثر الناس شعرًا فى الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشّار ، وأبو العتاهية ، والسيّد؛ فإنه لا يُعلم أن أحدًا قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع .

وإنما مات ذكرُه وهجرَ الناسُ شعرَه لما كان يُفْرِط فيه من سَبّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجِه فى شعره ويستعمله من قذفِهم والطعنِ عليهم،

(١) هو زياد آبن أبيه الأموى. كان واليا على العراق فى أيام معاوية بن أبى سفيان . (٢) هو عبيد الله بن زياد آبن أبيه ، ولى العراق لمعاوية ثم لابنه يزيد . وهو الذى أمر بقتال الحسين بن على رضى الله عنه . (٣) ذكرت ترجمته فى الأغانى (ج ١٧ ص ٥١ — ٧٣ طبع بولاق) . (٤) الشعاب : مصلح الشعب وهو الصدع يكون فى الإناء . والسيالة : أول مرحلة لأهل المدينة اذا أرادوا مكة .

فتُحُومِى شعرُه من هذا الجنس وغيرِه لذلك، وهجره الناس تخوُّفا وتراقُباً (١) . وله طراز من الشــعر ومذهبٌ قلّمــا يُلْحَقُ فيه أو يُقَارَبُه . ولا يُعرف له من الشعر كثيرٌ . وليس يخلو من مدح بنى هاشم أو ذمّ غيرهم ممّن هو عنده ضدٌّ لهم . ولولا أنّ أخباره كلّها تجرى هــذا المَجْرى ولا تَخرج عنه لوجب ألّا نذكر منها شيئا ؛ ولكنّا شرَطنا أن نأتى بأخبار مَنْ نذكره من الشــعراء ؛ فلم نجد بُدًّا من ذكر أسلم ما وجدناه له وأخلاها من سيِّئ آختياره (٢) على قلّة ذلك .

كان أبواه إباضيين ولما تشيع هما بقتله

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفلىّ عن إسماعيل ابن الساحر راويةِ الســيّد، قال آبن عمّــار وحدّثنى أحمد بن سليمان بن أبى شَــيْخ عن أبيه :

أن أبَوَى السيّد كانا إبَاضِيّين (٣) ، وكان منزلهما بالبصرة فى غرفة بنى ضَبّة ، وكان السيّد يقول : طالمــا سُبّ أمير المؤمنين فى هــذه الغرفة . فإذا سُئل عن التشــيّع من أين وقع له ، قال : غاصَتْ علىّ الرحمةُ غَوْصًا .

ورُوى عن السيّد أن أبويه لمّــا علما بمذهبه هَمّــا بقتله ؛ فأتى عُقْبَةَ (٤) بن سَــلْم الهُنَائىّ فأخبره بذلك، فأجاره وبَوّأه منزلًا وهَبه له ، فكان فيه حتى ماتا فورِثهما .

---

(١) لعله : «توقيا» . (٢) لعله : «وأخلاه من سيِّئ أخباره» . (٣) الإباضية (بكسر الهمزة) : أصحاب عبد الله بن إباض الذى خرج فى أيام مروان بن محمد، وهم قوم من الحرورية؛ زعموا أن مخالفهم كافر لا مشرك تجوز مناكحه . وكفروا عليا وأكثر الصحابة . (انظر شرح القاموس مادة أبض والملل والنحل للشهرستانى) . (٤) هو عقبة بن سلم الهنائى من بنى هناءة (بطن من الأزد) ولى البصرة لأبى جعفر المنصور . (انظر الكلام عليه فى الطبرى ق ٣ ص ١٤٥، ١٤٦ ، ص ٣٤٤، ٣٥٢، ٣٥٣) .

قال راويته : إنه على مذهب الكيسانية

وقد أخبرنى الحسن بن على البُزَّى[1] عن محمد بن عامر عن القاسم بن الرَّبيع عن أبى داود سليمان بن سفيان المعروف بالخترق[2] راوية السيّد الحِمْيرى قال : ما مضى والله إلا على مذهب الكَيْسانية[3] . وهذه القصائدُ التى يقولها الناس مثل :

* تجعفـرتُ باسم الله واللهُ أكبرُ *

و * تجعفرت باسم الله فيمن تجعفرا *

وقـــوله :

أيا راكبًا نحـــو المدينة جَسْرَةً[4] * عُذَافِرةً تهوى بها كلُّ سَبْسَبِ

إذا ما هداك اللهُ لاقيتَ جعفرًا * فقل يا أمين الله وٱبنَ المهذَّبِ

لغلام للسيّد يقال له قاسم الخيّاط ، قالها ونَحَلها للسيّد، وجازت على كثير من الناس ممّن لم يعرف خبرَها، بمحل قاسم منه وخدمتِه إيّاه .

أوصافه الجسمية ومواهبه

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوفلىّ قال حدّثنى أبو جعفر الأعرج ابن بنت الفُضَيْل[5] بن بشّار قال :

كان السـيّدُ أسمرَ، تامَّ القامة، أشنبَ[6] ، ذا وَفْرة[7] ، حسنَ الألفاظ ، جميـلَ الخطاب ، إذا تحدّث فى مجلس قوم أعطى كلَّ رجل فى المجلس نصيبَه من حديثه .

حديث الفرزدق عنه وعن عمران ابن حطان

أخبرنى أحمد قال حدّثنى محمد بن عَبّاد عن أبى عمرو الشَّـيْبانىّ عن لَبَطة[8] بن الفرزدق قال :

---

(١) فى أ ، م : «الحسين» . (٢) فى أ ، ء ، م : «الخترق» . (٣) الكيسانية : فرقة من الشـيعة الامامية ، وهم أصحاب كيسان مولى على بن أبى طالب ، وقيـل : هو تلميذ لمحمـد بن الحنفية . يجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل . ومذهبهم مبسوط فى علم الكلام . (٤) الجسرة : العظيمة من الإبل . والعذافرة : الشديدة منها . (٥) فى أ ، ء ، م : «الفضل» . (٦) الشنب : البياض والبريق والتحديد فى الأسنان . (٧) الوفرة : ما جاوز شحمة الأذنين من الشعر . (٨) فى الأصول : «ليطة» بالياء المثناة من تحت . والتصويب عن القاموس مادة «لبط» .

تذاكرنا الشعراءَ عنـد أبى، فقال : إن هاهنا لرجلين لو أخذَا فى معنى الناس لمـا كنّا معهما فى شىء. فسألناه من هما؟ فقال : السيّد الحميرىّ وعِمْران بن حِطّان السَّدوسىّ[1]، ولكنّ الله عز وجل قد شغَل كلّ واحد منهما بالقول فى مذهبه.

كان نتن الإبطين ٤/٧

أخبرنى عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفلىّ قال حدّثنى أبو جعفر ابن بنت الفضيل[2] بن بشّار قال:

كان السيّد أسمَر، تامَّ الخلقة، أشْنَبَ، ذا وَفْرة، حسنَ الألفاظ، وكان مع ذلك أنْتَنَ الناس إبطين، لا يقدِر أحدٌ على الجلوس معه لنَتْن رائحتهما.

مدح الأصمعى شعره وذم مذهبه

قال حدّثنى التَّوّزىّ قال : رأى الأصمعىّ جزءًا فيه من شـعر السيّد، فقال : لمن هذا؟ فسترتُه عنه لعلمى بمـا عنده فيه؛ فأقسم علىّ أن أُخبِره فأخبرتُه؛ فقال : أنشِدْنى قصيدةً منه؛ فأنشدتُه قصيدةً ثم أخرى وهو يَسْتزيدنى، ثم قال : قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول! لولا مذهبُـه ولولا مافى شـعره ما قدّمتُ عليـه أحدا من طبقته. ١٠

مدح أبو عبيدة شعره

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال : سمعت أبا عبيدة يقول : أشعر المُحْدَثين السيّد الحميرىّ وبشّار.

قال راويه : إنه على مذهب محمد بن الحنفية

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ عن أبى شُرَاعة القَيْسىّ عن مسعود بن بِشْر : ١٥

---

(١) كذا فى حـ وج ١٦ ص ١٠٥٢ من الأغانى طبـع بولاق، وقد وردت فيـه ترجمته. وفى سـائر الأصـول هنا : «الدوسى»، وهو تحريف. (٢) انظر الحاشـية رقم ٥ فى الصفحة السابقة.

أن جماعةً تذاكروا أمرَ السيِّد، وأنه رجع عن مذهبه فى ٱبن الحَنَفيّة[1] وقال بإمامة جعفر بن محمد[2]. فقال ٱبنُ الساحر راوِيتُه: والله ما رجع عن ذلك ولا القصائدُ الجَعْفريّات إلا منحولةٌ له قيلتْ بعده. وآخرُ عهدى به قبل موته بثلاث وقد سمع رجلًا[3] يروى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلىّ عليه السلام: "إنه سيُولد لك بعدى ولدٌ وقد نَحَلْتُه ٱسمى وكُنْيتى" فقال فى ذلك وهى آخر قصيدة قالها:

أشاقَتْك المنـازلُ بعد هند * وتِرْبيهـا وذاتِ الدَّلِّ دَعْد

منازلُ أقفرتْ منهنّ مَحَّتْ[4] * معالمُهن من سَبَلٍ[5] ورَعْد

وريحٍ حَرْجَفٍ تَسْتَنُّ[6] فيها * بسافى التُّرْب تُلْحِمها تُسَدِّى

ألم يَبْلُغْك والأنباءُ تَنْمى * مقـالُ محمـد فيما يؤدِّى

إلى ذى علمه الهادى علىّ * وخَوْلةُ خادمٌ فى البيت تَرْدِى[7]

(١) هو محمد بن على بن أبى طالب، وأمه خولة بنت جعفر من بنى حنيفة، وكنيته أبو القاسم. وكانت الكيسانية التى ذكرت آنفا والتى منها السيد الحميرى تعتقد إمامته وأنه بجبل رضوى (جبل بالمدينة) فى شعب منه وأنه لم يمت، دخل الجبل ومعه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر، وهم أحياء يرزقون. ويقولون: إنه مقيم فى هذا الجبل بين أسد ونمر وعنده عينان نضاختان تجريان عسلا وماء، وأنه يرجع الى الدنيا فيملؤها عدلا. وقد زعمت الشيعة أنه المهدى. هكذا ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان (ج ١ ص ٤٦٠ طبع بولاق) وتهذيب التهذيب. وقد تضمنت القصيدة الدالية الواردة فى هذه الترجمة جميع ما ذكر.

(٢) هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب. ذكر فى الملل والنحل بعد كلام كثير: "والشيعة متفقون فى سوق الامامة الى جعفر بن محمد الصادق مختلفون فى المنصوص عليه بعده من أولاده". وجاء فى الملل والنحل أيضا: "الباقرية والجعفرية الواقفة أصحاب أبى جعفر محمد بن على الباقر وابنه جعفر الصادق قالوا بإمامتهما وإمامة والدهما زين العابدين إلا أن منهم من توقف على واحد منهما". (الملل والنحل ص ١٢٤ — ١٢٥).

(٣) فى حـ: «راويا».

(٤) محت: عفت.

(٥) السبل: المطر. وفى ب، سـ: «سيل» بالياء المثناة.

(٦) ريح حرجف: باردة. وتستن: تعدو فيها إقبالا وإدبارا.

(٧) تردى: تلعب، يقال: الجوارى يردين رديا إذا رفعن رجلا ومشين على أخرى يلعبن.

ألم تر أنّ خولةَ سوف تأتى * بوارى الزّند صافى الخِيم[1] نجد

يفوز بكنيتى واسمى لأنّى * نَحَلْتُهماهُ[2] والمهدىّ بعدى

يُغيَّبُ عنهمُ حتى يقولوا * تضمّنه بطَيْبة بطنُ لَحْد

سنينَ وأشهرًا ويُرى برَضْوى * بشِعْب بين أنْمار وأُسْد

مقيم بين آرامٍ وعِينٍ * وحَفّانٍ[3] تروح خِلالَ رُبْد

تُراعيها السّباع وليس منها * ملاقيهنّ مفترسًا بحَدّ

أمِنّ به الرّدَى فرتَعْن طورًا[4] * بلا خوف لدى مَرْعًى وورْد

حلفتُ بربّ مكة والمُصَلّى * وبيتٍ طاهر الأركان فَرْد

يطوف به الحَجيجُ وكلَّ عامٍ * يَحُلّ لديه وفدٌ بعد وفد

لقد كان ابنُ خَوْلة غيرَ شكٍّ * صَفاءَ ولايتى وخُلُوصَ وُدّى

فما أحدٌ أحبّ الىّ فيما * أسِرّ وما أبوح به وأُبْدى

سوى ذى الوحى أحمد أو علىٍّ * ولا أزكى وأطيب منه عندى

ومن ذا يا ابنَ خولة إذ رمتنى * بأسْهُمها المنيّةُ حين وعدى

يُذَبِّبُ عنكمُ ويَسُدّ مما * تَثَلَّم من حصونكمُ كسَدّى

وما لى أن أُمَرَّ به ولكن * أؤمِّل أن يؤخَّر يومُ فقدى

فأُدرك دولةً لك لستَ فيها * بجبّار فتوصَفَ بالتّعدّى

على قوم بَغَوْا فيكم علينا * لتُعْدِى[5] منكم ياخير مُعْد

لِتَعْلُ بنا عليهم حيث كانوا * بغَوْرٍ من تِهامة أو بنجد

---

(١) الخيم : الطبيعة والسجية . (٢) فى الأصول : «نحلتهما هو المهدى» . (٣) الحفان : صغار النعام . (٤) كذا بالأصل ولعله : «صورا» جمع صوراء وهى المائلة العنق على أن يكون المراد أنها لا ترفع رأسها خوف ما يزعجها . (٥) يقال : استعداه فأعداه أى استنصره فنصره . ويحتمل أن « منكم » صفة لمحذوف أى لتنصر حزبا أو فريقا منكم .

إذا ماسِرتَ من بلد حرامٍ * الى من بالمدينة من مَعَدِّ
وماذا غرّهم والخيرُ منهم * بأشْوَسَ[1] أعصَلِ الأنيابِ وَرْدِ
وأنت لمن بغى وعدا وأذكى * عليك الحربَ وآستدراك مُرْدِ

فى البيتين الأوّلين من هذه القصيدة غناء، نسبته :

صوت

أشاقتك المنازلُ بعد هندٍ * وتِربَيْها وذاتِ الدَّلّ دعد
منازلُ أقفرت منهنّ مَحْتٌ * معالمُهن من سَبَل ورعد

عروضُه من الوافر . الشعر للسيّد الحميرىّ . والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن يحيى المكىّ . وذكر الهشامىّ أنه لكَرْدَم . وذكر عمرو بن بانة أن اللّحن لمالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

ذكر اسماعيل ابن الساحر مذهبه وكان راويته

وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيّد : كنتُ عنده يوماً فى جَناح له، فأجال بصرَه فيه ثم قال : يا إسماعيل، طال والله ما شُتِم أميرُ المؤمنين علىٌّ فى هذا الجناح . قلت : ومن كان يفعل؟ قال : أبَوَاى . وكان يذهب مذهب الكَيْسانيّة ويقول بإمامة محمد بن الحنفيّة، وله فى ذلك شعر كثير . وقد روى بعضُ من لم تَصِحّ روايتُه أنه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الإماميّة[2]، وله فى ذلك :

تجعفرتُ بآسم الله واللهُ أكبر * وأيقنتُ أنّ الله يعفو ويغفر

(١) الشوس : النظر بمؤخر العين وإمالة الوجه فى شق العين التى ينظر بها ، ويكون ذلك من الكبر والتيه أو الغضب . وأعصل الأنياب : معوجها .

(٢) الامامية : هم القائلون بامامة على عليه السلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم نصا ظاهرا وتعيينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل إشارة اليه بالعين . (انظر الكلام على ذلك باسهاب فى الملل والنحل ص ١٢٢ طبع أوروبا) .

وما وجدنا ذلك فى رواية مُحَصِّل ، ولا شعرُه أيضا من هذا الجنس ولا فى هـذا المذهب ، لأن هذا شعر ضعيفٌ يتبيّن التوليدُ فيه ، وشعرُه فى قصائده الكيسانيّة مُبَايِنٌ لهذا جزالةً ومتانةً ، وله رونق ومعنى ليسا لِمَا يُذكر عنه فى غيره .

مدح الأصمعى شعره وذم مذهبه

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد الثُّمَالىّ قال حدّثنى التَّوَّزىّ قال قال لى الأصمعىّ : أُحِبّ أن تأتينى بشىء من شعر هذا الحميرىّ فَعَل الله به وفعل ؛ فأتيتُه بشىء منه ؛ فقرأه فقال : قاتَله الله ! ما أَطْبَعه وأسلكه لسبيل الشعراء ! والله لولا ما فى شعره من سبّ السَّلَف لَمَا تقدّمه من طبقته أحد .

مدح أبو عبيدة شعره وكان يرويه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

أتيتُ أبا عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى يومًا وعنده رجلٌ من بنى هاشم يقرأ عليه كتابا ؛ فلما رآنى أطبقه . فقال له أبو عبيدة : إن أبا زيد ليس ممّن يُحْتشم منه ، فاقرأ . فأخذ الكتاب وجعل يقرؤه ، فاذا هو شعر السيّد . فجعل أبو عبيدة يَعجَبُ منه ويستحسنه . قال أبو زيد : وكان أبو عبيدة يَرويه . قال : وسمعتُ محمد بن أبى بكر المُقَدَّمىّ يقول : سمعت جعفر بن سليمان الضُّبَعى[1] يُنشد شعر السيّد .

٦/٧

أخبرنى ابن دُرَيْد قال : سُئل أبو عبيدة مَنْ أشعرُ المولَّدين ؟ قال : السيّد وبشّار .

كثرة شعره وعدم الاحاطة به

وقال الموصلىّ حدّثنى عمّى قال :

جمعتُ للسيّد فى بنى هاشم ألفين وثلثمائة قصيدة ؛ فخلْتُ أنْ قد استوعبتُ شعرَه ، حتى جلس الىّ يومًا رجلٌ ذو أطمارٍ رَثّة ، فسمعنى أُنشد شيئا من شعره ،

(١) يكنى أبا سليمان النصرى ، كان ينزل فى بنى ضبيعة فنسب اليهم . وهو حسن الحديث معروف بالتشيع . (انظر تهذيب التهذيب ج ١ ص ٩٦) .

فأنشدنى له ثلاثَ قصائد لم تكن عندى . فقلت فى نفسى : لو كان هذا يعلم ما عندى كلَّه ثم أنشدنى بعده ماليس عندى لكان عجبياً ، فكيف وهو لا يعلم و إنما أنشد ما حَضَره ! وعرفتُ حينئذ أن شعره ليس ممّا يُدرك ولا يُمكن جمعُه كله .

رأى بشار فيه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرانىّ عن ابن عائشة قال :

٥ وقف السيّد على بشّار وهو يُنشد الشعر ، فأقبل عليه وقال :

أيّها المادحُ العبادَ ليُعطَى * إنّ لله ما بأيدى العبادِ

فاسأل اللهَ ما طلبتَ إليهم * وارْجُ نفعَ المُنَزِّلِ العوّادِ

لاتَقُلْ فى الجَواد ماليس فيه * وتُسَمِّى البخيلَ بآسم الجَوادِ

قال بَشّار : من هذا ؟ فعرَّفه ؛ فقال : لولا أن هذا الرجل قد شُغِل عنّا بمدح

١٠ بنى هاشم لشغلَنا، ولو شاركنا فى مذهبنا لأتعبنا . ورُوِى فى هذا الخبر أن عِمران بن حطّان الشّارِى[1] خاطب الفرزدقَ بهذه المخاطبة وأجابه بهذا الجواب .

اذا قال فى شعره « دع ذا » أتى بعده سب السلف

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش عن سعيد بن المسيّب عن أبى سعيد السكّرىّ عن الطُّوسىّ قال : إذا رأيتَ فى شعر السيّد "دَعْ ذا" فدعه ؛ فإنه لا يأتى بعده إلا سَبُّ السّلف أو بَليّةٌ من بلاياه .

قال له ابن سيرين فى رؤيا قصها عليه: تكون شاعرا

١٥ وروَى الحسن بن علىّ بن المعتزّ الكوفىّ عن أبيه عن السيّد قال : رأيتُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى النوم وكأنه فى حديقة سَبِخة[3] فيها نخل طِوالٌ[2] والى جانبها أرض كأنها

---

(١) الشارى : أحد الشراة وهم طائفة من الخوارج يزعمون أنهم شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم . قال أحدهم وهو مِرداس الإيادى :

سلام على من بايع الله شاريا * وليس على الحزب المقيم سلام

٢٠ (٢) فى أ ، ء ، م : «وكان» . (٣) السبخة : الأرض التى تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر .

الكافورُ ليس فيها شىء؛ فقال : أتدرى لمن هـذا النخل؟ قلت: لا يارسول الله؛ قال : لامرئ القيس بن حُجْر، فاْقلعها واغْرِسها فى هذه الأرض ففعلتُ. وأتيتُ ابنَ سِيرِينَ فقَصَصْتُ رؤيايَ عليه ؛ فقال : أتقول الشعر ؟ قلت: لا ؛ قال: أمَا إنك سـتقول شعراً مثلَ شـعر امرئ القيس إلا أنّك تقوله فى قوم بَرَرة أطهار(١). قال : فما انصرفتُ إلّا وأنا أقول الشعر .

أنشد غانم الوراق من شعره لجماعة فـدحوه

قال الحسن وحدّثنى غانم الورّاق قال : خرجت الى بادية البصرة فصرتُ الى عمرو بن تميم، فأثبتنى بعضُهم فقال: هذا الشيخُ والله راوية. فجلسوا الىّ وأنسوا بى، وأنشدتُهم، وبدأتُ بشعر ذى الرمّة فعرَفوه، وبشـعر جرير والفرزدق فعرفوهما ؛ ثم أنشدتُهم للسيّد :

أتعرف رسمًا بالسّويّين(٢) قد دَثَرْ * عَفَتْـه أهاضيبُ(٣) السـحائب والمطـرْ
وجرّت به الأذيالَ ريحانِ خِلْفةً * صَبًا ودَبُورٌ بالعَشِـيّاتِ والبُـكَرْ
منازلُ قـد كانت تكون بجوّها * هضيمُ الحشا ريّا الشّوَى سِحرُها النظر
قَطُـوفُ الخُطَا خَمصانةٌ بَخْـتَريّةٌ(٤) * كأنّ مُحيّاهـا سَـنا دارة القمـر
رمَتْنى ببُعْد بعـد قرب بها النّوَى * فبانت ولمّا أقْضِ من عَبْـدة الوَطَرْ
ولمـا رأتنى خشية البين مُوجَعًا * أكفكف منّى أدمعًا فَيْضُها(٥) دِرَرْ
أشارت بأطـراف إلىّ ودمعُهـا * كنَظْم جُمَانٍ خانه السِّـلْكُ فانتثر
وقـد كنتُ ممّـا أحدث البينُ حاذرًا * فلم يُغْنِ عنّى منه خوفى والحـذر

٧/٧

(١) كذا فى حـ . وفى ب ، أ ، ء ، م : «تقول» . وفى س : «تقوم له» وهو تحريف .
(٢) كذا فى أ ، ء ، م . وفى سائر الأصول : «التويين» ولم نقف عليها .
(٣) الأهاضيب : حلبات القطر . (٤) البخترية : الحسنة المشية والجسم .
(٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «بيضها» بالباء الموحدة، وهو تحريف .

قال : فجعلوا يُرَقون[1] لإنشادى و يطرَبون ، وقالوا : لمن هذا ؟ فأعلمتهم؛ فقالوا : هو والله أحدُ المطبوعين، لا والله ما بقِى فى هذا الزمان مثلُه .

له من الشعر ما يجوز أن يقرأ على المنابر

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِّمَشْقىّ قال حدّثنا الزبير آبن بَكّار قال : سمعتُ عمّى يقول :

٥ لو أنّ قصيدةَ السيِّد التى يقول فيها :

إنّ يومَ التطهيرِ يومٌ عظيم * خُصَّ بالفضل فيه أهلُ الكِساءِ[2]

قُرِئتْ على منبر ما كان فيها بأسٌ، ولو أن شعره كلَّه كان مثلَه لرويناه وما عِبْناه .

وأخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ قال حدّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال حدّثنا نافع عن التَّوَّزىّ بهذه الحكاية بعينها فإنّه قالها فى :

١٠ * إن يوم التّطهير يوم عظيم *

قال : ولم يكن التوّزىّ متشيّعا .

سمع أعرابى شعره ففضله على جرير

قال علىّ بن المغيرة حدّثنى الحسين بن ثابت قال :

قدِم علينا رجل بدوىٌّ وكان أروى النـاس لجرير، فكان يُنشِدنى الشىءَ من شعره ، فأُنْشِد فى معناه للسيِّد حتى أ كثرتُ . فقال لى: ويحك ! من هـذا ؟ هو

١٥ والله أشعر من صاحبنا .

(١) يرقون : يغنون . والترقيق : ضرب من الغناء وهو غناء السفلة والاماء . وفى الأصول : "يزقون" بالزاى المعجمة ، وهو تصحيف . (٢) روى واثلة بن الأسقع (صحابى مشهور) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه على وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهما كساءه ثم تلا هذه الآية :

٢٠ (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى » . (أنظر شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ج ٧ ص ٤ طبع بولاق) . وقد جاءت هذه القصة بروايات أخر فانظرها فى (روح المعانى ج ٧ ص ٤٤) .

مدح السفاح فأمر له بما أراد

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدىّ قال حدّثنى الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ عن ابن عائشة قال :

لمّا استقام الأمر لبنى العبّاس قام السيّد الى أبى العباس السفّاح حين نزل عن المنبر فقال :

دُونَكُوها يا بنى هاشمٍ * فجَدِّدوا من عهدها الدّارسا[1]

دُونَكُوها لاعلا كعبُ مَنْ[2] * كان عليكم مُلْكُها نافسا

دونَكُوها فالْبَسوا تاجَها * لا تَعْدَموا منكم له لابسا

لو خُيِّرَ المنبرُ فُرْسانَه * ما اختار إلّا منكمُ فارسا

قد ساسها قبلكمُ ساسةٌ * لم يتركوا رَطْباً ولا يابسا

ولستُ من أن تَمْلِكوها الى * مَهْبِط عيسى فيكمُ آيسا

١٠

فسُرّ أبو العباس بذلك، وقال له : أحسنتَ يا إسماعيل! سَلْنى حاجتَك؛ قال : تُوَلّى سليمان بن حبيب الأهواز، ففعل .

أنشد لجعفر بن محمد شعرا فبكى

وذكر التَّيْمىّ — وهو على بن إسماعيل — عن أبيه قال: كنت عند أبى عبد الله جعفر بن محمد إذ استأذن آذِنُه للسيّد، فأمره بإيصاله ، وأقعد حُرَمَه خلف سترٍ . ودخل فسلّم وجلس . فاستنشده فأنشده قولَه :

١٥

أُمْرُرْ على جَدَث الحسيـ * ـن فقُلْ لأعْظُمِه الزكيّه

آأعْظُماً لا زِلْتِ من * وَطْفاءَ[3] ساكبةٍ رَوِيّه

وإذا مررتَ بقبره * فأطِلْ به وَقْفَ المطيّه

(١) فى ا ، ء ، م : «عهدنا» . (٢) لاعلا كعبه : لا شرفه الله ولا أسعده .

(٣) وطفاء : بينة الوطف . والوطف فى السحاب : أن يكون فى وجهه كالحمل الثقيل ، أو هو استرخاء فى جوانبه لكثرة مائه .

٢٠

وأبيك المطهّر للطهـ * ـر والمطهّرة النقيّه
كبكاء معولة أتت * يوماً لواحدها المنيّه

قال : فرأيتُ دموع جعفر بن محمد تتحدّر على خديه ، وٱرتفع الصُّراخ والبكاء من داره ، حتى أمره بالإمساك فأمسك . قال : فحدّثت أبي بذلك لمّا ٱنصرفت ؛ فقال لى : ويلٌ على الكَيْسانىّ الفاعل ابن الفاعل ! يقول :

فإذا مررتَ بقبره * فأطِل به وقْفَ المطيّه

فقلت : يا أبت ، وماذا يصنع ؟ قال : أوَلا ينحر ! أوَلا يقتل نفسه ! فثكلتْه أمُّه ! .

تحاكم إليه رجلان من بنى دارم فى أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم

حدّثنى أبو جعفر الأعرج — وهو ابن بنت الفُضَيل بن بشّار[1] — عن إسماعيل بن الساحر راوية السيّد — وهو الذى يقول فيه السيّد فى بعض قصائده :

وإسماعيلُ يبرز من فلانٍ * ويزعُم أنه للنار صالِي[2]

قال : تلاحى رجلانِ من بنى عبد الله بن دارِم فى المُفاضلة بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآله ، فرضيا بحكم أوّل من يطلُع ، فطلع السيّدُ ، فقاما إليه وهما لا يعرفانه ، فقال له مُفضِّل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه منهما : إنى وهذا ٱختلفنا فى خير الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلت : علىّ بن أبى طالب . فقطع السيّدُ كلامَه ثم قال : وأىّ شىء قال هذا الآخَرُ ٱبْنُ الزانية ! فضحك مَنْ حضر ووجَم الرجلُ ولم يُحِرْ جوابا .

جعفر بن محمد وشعر السيد

وقال التّميمىّ وحدّثنى أبى قال قال لى فُضَيل الرسان[3] :

---

(١) انظر الحاشية رقم ٥ ص ٢٣١ من هذا الجزء . (٢) لعله يريد أن إسماعيل هذا ينحدر من أب حقير مجهول ويزعم أنه كريم يوقد النيران للقرى كعادة العرب المعروفة . (٣) هو فضيل الرسان ابن الزبير من أصحاب محمد بن علىّ وأبى خالد الواسطى ومنصور بن أبى الأسود ، وكان من متكلمى الزيدية (عن فهرست ابن النديم ص ١٧٨ طبع أوربا) .

أُنْشِد جعفرُ بن محمد قصيدةَ السّيد :

لأُمِّ عمرو باللِّوَى مَرْبَعُ * دارسـةٌ أعلامُه بَلْقَعُ

فسمِعتُ النَّحيبَ من داره . فسألنى لمن هى ، فأخبرتُه أنهـا للسّيد ، وسألنى عنه فعرّفتُه وفاتَه ؛ فقال : رحمه الله . قلت : إنّى رأيتُه يشرب النبيذَ فى الرُّسْتاق[1] ؛ قال : أتعنى الخمر؟ قلت نعم . قال : وما خطرُ ذنْبٍ عند الله أن يغفره لمُحِبّ علىٍّ! .

كان يقول بالرجعة

وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال : جاء رجلٌ إلى السّيد فقال : بلغنى أنك تقول بالرَّجْعة[2] ؛ فقال : صدق الذى أخبرك ، وهذا دِينى . قال : أفتعطينى دينارا بمائة[3] دينار إلى الرَّجْعة ؟ قال السّيد : نعم وأكثر من ذلك إن وثّقتَ لى بأنك تَرجع إنسانا . قال : وأىّ شئ أرجع! قال : أخشى أن تَرجع كلبًا أو خِنْزِيرا فيذهب مالى ؛ فأفحمه .

جعفر بن عفان الطائى وعمر بن حفص

أخبرنى[4] الحسن بن علىّ قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال قال جعفر بن عفّان الطائى الشاعر : أهدى إلىّ سليمان[5] بن على مُهْرًا أعجبنى وعزَمْتُ[6] تربيتَه . فلما مضت علىّ أشهرٌ عزَمتُ على الحجّ ، ففكّرت فى صـديق لى أُودِعه المهرَ ليقومَ عليه ، فأجمع رأيى على رجل من أهلى يقال له عمر بن حَفْص ، فصِرْتُ إليـه فسألته أن

---

(١) الرستاق : السواد والقرى (فارسىّ معرب) . قال ياقوت : الذى شاهدناه فى زماننا فى بلاد الفرس أنهـم يعنون بالرستاق كل موضـع فيه مزدرع وقرى . (انظـر شرح القاموس مادة رزدق) .

(٢) الرجعة : أن يؤمن بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت ، وهو مذهب قوم من العرب فى الجاهلية ، ومذهب طائفة من المسلمين من أولى البدع والأهواء . يقولون : إن الميت يرجع إلى الدنيا و يكون فيها حيا كما كان .

(٣) كذا فى تجريد الأغانى . وفى ا ، م ، ء : «مهيارا» . وفى ب ، س ، حـ : «مهنيارا» . وهو تحريف .

(٤) هـذه القصة ليست لهـا مناسبة واضحـة فى ترجمة السـيد الحميرى .

(٥) هو سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، مات وهو على البصرة سنة ١٤٢ هـ . وعمره تسع وخمسون سنة .

(٦) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وزعمت » وهو تحريف .

يأمر سائسه بالقيام عليه وخبّرته بمكانه من قلبى، ودعا بسائسه فتقدّم اليه فى ذلك، ووهبتُ للسائس دراهمَ وأوصيتُه به، ومضيتُ إلى الحجّ. ثم انصرفتُ وقلبى متعلّق، فبدأتُ بمنزل عمر بن حفص قبل منزلى لأعرف حالَ المهر، فإذا هو قد رُكِب حتى دَبِرَ ظهرُه وعَجِف من قلّة القيام عليه. فقلت له : يا أبا حفص، أهكذا أوصيتُك فى هذا

٥ المهر ! فقال : وما ذنبى ! لم يَنْجع فيه العَلَف . فانصرفتُ به وقلت :

مَنْ عاذرى من أبى حفص وثِقتُ به * وكان عندى له فى نفسه خطرُ
فلم يكن عند ظنّى فى أمانته * والظنّ يُخلف والإنسانُ يُختبَر
أضاع مهرى ولم يُحسن ولايتَه * حتى تبيّن فيه الجَهْدُ والضرر
عاتبتُه فيه فى رفق فقلتُ له * يا صاح هل لك من عذر فتعتذر
١٠ فقال داءٌ به قِدْماً أضرّبه * وداؤه الجوعُ والإتعاب والسفر
قد كان لى فى اسمه عنه وكُنيته * لو كنتُ مُعتبِراً ناهٍ ومُعتَبَر
فكيف ينصحنى أو كيف يحفظنى * يوماً إذا غبتُ عنه واسمه عمر
لو كان لى وَلَدٌ شتّى لهم عددٌ * فيهم سمِيّوه إن قلّوا و إن كثُروا
لم ينصحوا لى ولم يُشْقوا علىّ ولو * ساوى عديدَهمُ الحصباءُ والشجرُ

أرسل الى المهدى يهجو بنى عدى وبنى تيم ويطلب إليه أن يقطع عطاءهم

١٥ قال وحدّثنى أبو سليمان النّاجى قال : جلس المهدىّ يوماً يعطى قريشاً صلاتٍ لهم وهو ولىُّ عهد، فبدأ ببنى هاشم ثم بسائر قُريش . فجاء السيّد فرفع إلى الرّبيع(١) رقعةً مختومة وقال : إن فيها نصيحة للأمير فأوصِلْها إليه، فأوصلها، فإذا فيها :

---

(١) هو الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه، حاجب المنصور الخليفة العباسى وأوثق رجاله عنده. وزر له بعد أبى أيوب المورياني، توفى سنة سبعين ومائة . وقال الطبرى :
٢٠ توفى سنة تسع وستين ومائة، قيل : إن الهادى سمه، وقيل : إنه مرض ثمانية أيام ومات . (انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٦٠ طبع بولاق) .

قُل لابن عبّاسٍ سَمِىِّ محمدٍ * لا تُعْطِيَنّ بنى عَدِىٍّ[1] درهما

اِحْرِمْ بنى تَيْم بن مُرّةَ[2] إنّهم * شرُّ البريّة آخرًا ومُقدَّما

إن تُعْطِهِمْ لا يشكروا لك نعمةً * ويكافئوك بأن تُذَمّ وتُشْتَما

وإن ٱئْتَمنتهمُ أو ٱستعملتَهم * خانوك وٱتّخذوا خَراجك مَغْنَما

ولئن منعتَهمُ لقد بدءوكمُ * بالمَنْع إذ ملكوا وكانوا أظلما

منعوا تُراثَ محمدٍ أعمامَه * وٱبْنَيْه وٱبنته عَدِيلةَ مَرْيما[3]

وتأمّروا من غير أن يُسْتَخْلَفوا * وكفى بما فعلوا هنالك مأْثَما

لم يشكروا لمحمد إنعامَه[4] * أفيشكرون لغيره إن أنعما

واللهُ منّ عليهمُ بمحمد * وهداهمُ وكَسا الجُنوبَ وأطْعما

ثم ٱنبَرَوْا لوصيّه ووليّه * بالمُنْكَرات فجرّعوه العَلْقَما

وهى قصيدةٌ طويلة حُذف باقيها لقبح ما فيه . قال : فرمَى بها إلى أبى عُبيد الله[5] ثم قال : اقطع العطاءَ فقطَعه ، وٱنصرف الناس ؛ ودخل السيّد إليه ، فلما رآه ضحك وقال : قد قبلنا نصيحتَك يا إسماعيل ، ولم يُعطهم شيئا . أخبرنى به عمّى عن محمد ٱبن داود بن الجرّاح عن إسحاق النَّخَعىّ عن أبى سليمان الرِّياحى[6] مثلَه .

---

(١) هم بنو عدى بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه . (٢) هم رهط أبى بكر الصديق رضى الله عنه . (٣) الذى بقى من أعمامه هو العباس بن عبد المطلب وقد مات بعده صلى الله عليه وسلم . ويعنى بابنيه : الحسن والحسين . وبابنته فاطمة عليها السلام . وبمريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام . (٤) فى الأصول : « لا يشكروا ... » . (٥) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعرى الكاتب الوزير كان كاتب المهدى وتولى له ديوان الرسائل . (انظر الطبرى قسم ٣ ص ٣٥١ و ٤٦١ — ٤٦٤ و ٤٨٩ — ٤٩٠) . (٦) كذا فى جميع الأصول . ولعله محرف عن الناجى ، وقد تقدّم قريبا فى الصفحة السابقة وسيرد فى ص ٢٤٦ يروى عنه إسحاق بن محمد هذا .

ناظره شيطان الطاق فى الإمامة فقال شعرا

أخبرنى الحسن بن محمد بن الجمهور القُمِّىّ[1] قال حدّثنى أبى قال حدّثنى أبو داود المسترِق راويةُ السيّد :

أنه حضر يوماً وقد ناظره محمد بن علىّ بن النعمان المعروف بشيطان الطّاق[2] فى الإمامة، فغلبَه محمد فى دفع آبن الحنفيّة عن الإمامة، فقال السيّد :

ألا يا أيّها الجَدِلُ[3] المعنّى * لنا، ما نحن وَيْحك والعَناءُ!

أتُبصر ما تقول وأنت كهلٌ * تُراك عليك من ورع رِداء[4]

ألا إن الأئمةَ من قريش * وُلاةُ الحقّ أربعةٌ سَوَاء

علىٌّ والثلاثةُ[5] من بَنِيه * همُ أسْبَاطُه والأوصياء

فأنّى فى وصيّته إليهم * يكون الشك منّا والمِراء

بهم أوصاهمُ ودعا إليه * جميعَ الخلق لو سُمِع الدّعاء[6]

فسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وحِلْمٍ * وسِبطٌ غيّبته كَرْبَلاء

سقَى جَدَثاً تضمّنه مُلِثٌّ * هَتُوفُ الرّعد مُرْتَجِزٌ رَوَاء[7]

تَظَلُّ مُظِلّةً منها عَزَالٍ[8] * عليه وتَغْتَدى أُخرى مِلاء

---

(١) كذا فى كتاب الديارات الشابشتى ومعجم البلدان لياقوت أثناء كلامهما على « دير قنى » وهو منسوب إلى قم . وقم (بضم القاف وتشديد الميم) : مدينة بين أصبهان وساوة . وفى الأصول : « العمى » بالعين المهملة ، وهو تحريف . (٢) الطاق : حصن بطبرستان . وبه سكن محمد هذا ، وإليه تنسب الطائفة الشيطانية من غلاة الشيعة . (٣) الجدل : الشديد الخصومة . (٤) فى أ ، ء ، م : « رواء » بالواو . (٥) الثلاثة : يعنى بهم محمد ابن الحنفية والحسن والحسين . (٦) كذا فى الأصول . (٧) ألث المطر إلثاثا : دام أياما لا يقلع . وارتجز الرعد : تتابع صوته . والرواء : الكثير المروى . (٨) العزالى : جمع عزلاء وهى مصب الماء من الراوية والقربة فى أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء . يقال : أرسلت السماء عزاليها أى كثر مطرها ، يشبه اتساع المطر واندفاقه بما يخرج منها .

وسبط[1] لا يذوق الموتَ حتى * يقودَ الخيلَ يقدُمها اللواء

من البيت المحجَّبِ فى سَراةٍ * شُراةٍ لُفَّ بينهمُ الإخاء

عصائبُ ليس دونَ أغرَّ أجلى * بمكة قائمٍ لهمُ انتهاءُ

رآه العبدى فى النوم ينشد النبى صلى الله عليه وسلم شعرا

— وهذه الأبيات بعينها تُروى لكثيّر — ذكر ذلك ابنُ أبى سعد فقال وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا علىّ بن محمد النَّوْفَلِىُّ قال حدّثنى إبراهيم بن هاشم العَبْدىّ البصرىّ قال : ٥

رأيت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى المنام وبين يديه السيّدُ الشاعر وهو يُنشد :

أجِدّ بآل فاطمةَ البُكورُ * فدمعُ العينِ مُنْهمِرٌ غزيرُ

حتى أنشده إيّاها على آخرها وهو يسمع . قال : فحدّثتُ هذا الحديثَ رجلًا جمعتْنى وإياه طُوسُ[2] عند قبر علىّ بن موسى الرِّضا، فقال لى : والله لقد كنتُ على خلافٍ ١٠ فرأيت النبىّ صلى الله عليه وسلم فى المنام وبين يديه رجل يُنشد :

* أجِدّ بآل فاطمة البُكورُ *

إلى آخرها ؛ فاستيقظتُ من نومى وقد رسَخ فى قلبى من حبّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ما كنتُ أعتقدُه .

أخبرنى وَكيع قال حدّثنى إسحاق بن محمد قال حدّثنا أبو سليمان النّاجى ومحمد ١٥ ابن حليم[3] الأعرج قالا :

كان السيّد إذا استُنْشِد شيئا من شعره لم يَبْدأ بشىء إلا بقوله :

أجِدّ بآل فاطمةَ البُكورُ * فدمعُ العينِ مُنْهمِرٌ غزيرُ

(١) يعنى بسبط الإيمان الحسن بن على، والسبط الذى غيبته كربلاء الحسين بن على وقد قتل فى كربلاء بالعراق، والسبط الذى لا يذوق الموت هو محمد ابن الحنفية . ٢٠

(٢) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، بها قبر هارون الرشيد .

(٣) فى أ، ء، م : «حكيم» بالكاف .

مدح العتبى شعره وألفاظه فى قصيدته اللامية

قال إسحاق : وسمعتُ العُتْبيّ يقول : ليس فى عصرنا هذا أحسنُ مذهبًا فى شعره ولا أنقى ألفاظا من السيّد، ثم قال لبعض من حضر : أنشِدْنا قصيدتَه اللاميّة التى أنشَدْتَناها اليوم، فأنشده قولَه :

هل عند من أحببتَ تنويلُ * أم لا فإن اللَّومَ تضليلُ

أم فى الحشى منك جوًى باطنٌ[1] * ليس تُداويه الأباطيلُ

٥

عُلِّقتَ يا مغرورُ خَدّاعةً * بالوعد منها لك تخييلُ

رَيّا رَداحَ[2] النوم خَمْصانةً * كأنها أَدْماءُ عُطْبولُ[3]

يَشفيك منها حين تخلو بها * ضَمٌّ إلى النحر وتقبيلُ

وذَوْقُ ريقٍ طيّبٍ طعمُه * كأنه بالمسك معلولُ

١٠

فى نِسوةٍ مثلِ المَهَا خُرَّدٍ * تَضيق عنهنّ الخلاخيلُ

يقول فيها :

أُقسم بالله وآلائه * والمرءُ عمّا قال مسئولُ

إنّ علىّ بنَ أبى طالب * على التُّقَى والبِرِّ مجبولُ

فقال العتبى : أحسن والله ما شاء، هذا والله الشعر الذى يهجُم على القلب بلا حجاب .

١١/٧

١٥

فى البيتين الأوّلين من هذه القصيدة لمُخارِق رَمَلٌ بالبنصر عن الهشامىّ، وذكر حَبَش أنه للغَريض . وفيه لحنٌ لسليمان من كتب بَذْل غيرُ مجنَّس .

كان لا يأتى فى شعره بالغريب

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثنى إسحاق بن محمد النَّخَعىّ عن عبد الحميد بن عُقْبة عن إسحاق بن ثابت العطّار قال :

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «باطل» باللام وهو تحريف . (٢) الرداح : الثقيلة العجيزة . والرداح : الجمل المثقل حملا الذى لا انبعاث له . ولعل المعنى الأخير هو الأنسب وقد استعاره هنا للنوم، أى أنها نؤوم قليلة الانبعاث من النوم . وكان هذا مستحسنا عند العرب، يقال : هى نؤوم الضحى . (٣) الأدماء : الظبية . والعطبول : الطويلة العنق .

٢٠

كنّا كثيرا ما نقول للسيّد : مالك لا تستعمل فى شعرك من الغريب ما تُسأل عنه كما يفعل الشعراء ؟ قال : لأنْ أقول شعرًا قريبًا من القلوب يلَذُّه مَنْ سمعه خيرٌ من أن أقول شيئا متعقِّدا تَضِلّ فيه الأوهام .

سبب محارب بن دثار وترحمه على أبى الأسود

أخبرنى أحمد بن عمّار قال أخبرنا يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنى إبراهيم بن عبد الله الطَّلْحىّ راويةُ الشعراء بالكوفة قال حدّثنا أبو مسعود عمرو بن عيسى الرَّبّاح ومحمد بن سَلَمة، يزيد بعضُهم على بعض :

أن السيّد لمّا قَدِم الكوفةَ أتاه محمد بن سهل راويةُ الكميت، فأقبل عليه السيّد فقال : من الذى يقول :

يَعيب علىّ أقوامٌ سَفَاهًا * بأن أُرْجِى[1] أبا حسن عليّا

وإرجائى أبا حسن صوابٌ * عن العُمَرَيْنِ[2] برًّا أو شَقِيّا

فإن قدّمتُ قومًا قال قومٌ * أسأتَ وكنتَ كذّابًا رَدِيّا

إذا أيقنتُ أنّ الله ربّى * وأرسل أحمدًا حقًّا نَبِيّا

وأنّ الرُّسْلَ قد بُعِثوا بحقّ * وأنّ الله كان لهم وليّا

فليس علىّ فى الإرجاء بأسٌ * ولا لَبْسٌ ولست أخاف شيّا ؟

فقال محمد بن سهل : هذا يقوله مُحارِب بن دِثَار[3] الذُّهْلىّ . فقال السيّد : لا كان الله وليّا للعاضّ بَظْرَ أمّه ! من يُنشدنا قصيدة أبى الأسود :

(١) فى ب ، س : « أرجو » وهو تحريف . والإرجاء (وعدم الهمز فى الفعل لغة) : التأخير. وقد تكرر هذا اللفظ فى ترجمة السيد الحميرى وله معان : منها الإرجاء بمعنى تأخير الإمام على (رضى الله عنه) إلى الدرجة الرابعة . والمرجئة بهذا المعنى يقابلون الشيعة وعلى هذا المعنى جاء شعر محارب بن دثار هذا . ومن معانى الإرجاء أيضا إرجاء أمر من دخلوا الفتنة بين على ومعاوية وتفويض أمرهم إلى الله تعالى . وعلى هذا المعنى يحمل قول السيد الآتى : أرجى على إمام الهدى * وعثمان ما أعتد المرجيان

أما المرجئة التى تقول : إنه لا يضر مع الإيمان معصية ، ولا ينفع مع الكفر طاعة فجماعات أخر جاءت بعد ذلك . وهم أصناف أربعة : مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة .

(٢) العمران هما أبو بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

(٣) هو محارب بن دثار بن كردوس تابعى من بنى سدوس بن ذهل بن ثعلبة . ولى قضاء الكوفة وتوفى فى ولاية خالد بن عبد الله القسرى فى خلافة هشام بن عبد الملك . وله أحاديث ولا يحتجون به . وكان من المرجئة الأولى الذين كانوا يرجئون عليا وعثمان ولا يشهدون بإيمان ولا كفر . (عن طبقات ابن سعد) .

أحبّ محمدا حبّا شديدًا . وعبّاسا وحمزة والوصيّا

فأنشده القصيدةَ بعض من كان حاضرا، فطفِق يَسُبّ محارب بن دِثار ويترحّم على أبى الأسود . فبلغ الخبرَ منصورا النَّمَرىّ فقال : ما كان على أبى هاشم لو هجاه بقصيدة يعارض بها أبياته، ثم قال :

٥ يَوَدُّ محارِبٌ لو قد رآها * وأبصرهم حَوالَيْها جُثِيّا
وأنّ لسانَه من ناب أفعى * وما أرجا أبا حسن عليّا
وأنّ عَجُوزَه مَصَعَتْ[1] بكلبٍ * وكان دماءُ ساقيْها جَرِيّا
متى تُرْجِئْ أبا حسن عليّا * فقد أرجيْتَ يالُكَعُ نبيّا

كان جعفر بن سليمان كثيرا ما ينشد شعره

أخبرنى محمد بن جعفر النحوىّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم البَزّىّ[2] قال حدّثنى
١٠ إسحاق بن محمد النَّخَعىّ قال حدّثنى إبراهيم بن الحسن الباهلىّ قال :

دخلتُ على جعفر بن سليمان الضُّبَعىّ ومعى أحاديثُ لأسأله عنها وعنده قومٌ لم أعرفهم، وكان كثيرا ما يُنشد شعرَ السيّد، فمن أنكره عليه لم يحدّثه، فسمعتُه يُنشدهم :

١٢/٧

ما تعدِلُ الدُّنيا جميعًا كلُّها * من حوض أحمدَ شَرْبةً من ماءِ

ثم جاءه خبر فقام . فقلت للذين كانوا عنده : من يقول هذا الشعر ؟ قالوا :
١٥ السيد الحميرىّ .

مرت به امرأة من آل الزبير فقال شعرا

حدّثنى عمّى والكُرانىّ قالا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد عن عبد الله بن الحسين عن أبى عمرو الشَّيْبانىّ عن الحارث بن صَفْوان، وأخبرنى به الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه :

---

(١) مصعت المرأة بولدها : رمت به . (٢) كذا فى ب ، س وفيما يأتى فى جميع الأصول .
٢٠ وفى سائر الأصول هنا : « البرى » بالراء المهملة .

أن السيّد كان بالأهواز، فمرّت به آمرأة من آل الزبير تُزَفّ إلى إسماعيل بن عبد الله بن العباس، وسمع الجَلَبَةَ فسأل عنها فأُخبر بها؛ فقال:

أتتنا تُزَفّ على بغلة * وفوق رحالتها قُبّهْ
زُبيريّةٌ من بنات الذى[1] * أحلّ الحرام من الكعبهْ
تُزَفّ إلى ملك ماجد * فلا اجتمعا وبها الوَجْبهْ[2]

روى هذا الخبرَ إسماعيلُ بن الساحر فقال فيه: فدخلتْ فى طريقها إلى خَرِبَةٍ لِلخلاء، فنهشتْها أفعى فماتت؛ فكان السيّد يقول: لحقتْها دعوتى.

خرج الناس للاستسقاء فجعل يدعو عليهم

حدّثنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل عن أبى طالب الجَعْفرىّ — وهو محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر — قال أخبرنى أبى قال:

خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيّدُ وعليه ثيابُ خَزٍّ وجُبّةٌ ومِطْرَفٌ وعِمامة؛ فجعل يَجُرّ مِطْرفه ويقول:

اِهْبِطْ إلى الأرض فخُذْ جَلْمَدًا * ثم ارْمِهم يامُزْنُ بالجَلْمَدِ
لا تَسْقِهم من سَبَلٍ قطرةً * فإنهم حَرْبُ بنى أحمد

رأى لوحا فى يد رجل فكتب فيه شعرا يعرض برواة الحديث من أهل السنة

أخبرنى محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا محمد بن إسحاق البَغَوىّ قال حدّثنا الحِرْمازىّ قال حدّثنى رجل قال:

(١) يعنى به عبد الله بن الزبير بن العوّام وقد تحصن بالبيت الحرام وقاتل به. وقد شرح ذلك أبو الفرج فى ج ٦ ص ٢٠٦ من هذه الطبعة.

(٢) الوجبة: لعلها المرة من وجب القلب يجب أى خفق.

كنت أختلف إلى ابنى قيس، وكانا يرويان عن الحسن؛ فلقينى السيّد يوما وأنا منصرف من عندهما، فقال: أرِنى ألواحك أكتب فيها شيئا وإلا أخذتُها فحوت ما فيها. فأعطيتُه ألواحى فكتب فيها:

لَشَرْبَةٌ من سَويقٍ عند مَسْغَبَةٍ * وأَكْلَةٌ من ثَرِيدٍ لحمُه وارِى
أشَدُّ مما روى حُبًّا إلىّ بنو * قيس ومما روى صَلْتُ بن دينارِ (١)
مما رواه فلانٌ عن فلانِهِمُ * ذاك الذى كان يدعوهم إلى النار

رآه زيد بن موسى فى النوم ينشد النبى صلى الله عليه وسلم شعرا

أخبرنى أحمد بن علىّ الخفّاف قال حدّثنى أبو اسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طَبَاطَبا (٢) قال: سمعت زيد بن موسى بن جعفر يقول: رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وقُدّامَه رجلٌ جالسٌ عليه ثيابٌ بيضٌ؛ فنظرتُ إليه فلم أعرِفْه، إذ التفتَ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ياسيّد، أنشدْنى قولَك:

* لأُمِّ عمرو فى اللِّوى مَرْبَعٌ *

فأنشده إيّاها كلَّها ما غادر منها بيتا واحدا، فحفظتُها عنه كلَّها فى النوم. قال أبو إسماعيل: وكان زيد بن موسى لَحَّانَةً (٣) ردىء الإنشاد، فكان إذا أنشد هذه القصيدةَ لم يَتَتَعْتَعْ (٤) فيها ولم يلحَن.

أنشد فضيل الرسان جعفر بن على شعره فترحم عليه وترحم عليه أهله

وقال محمد بن داود بن الجرّاح فى روايته عن إسحاق النَّخَعىّ (٥) حدّثنى عبدالرحمن ابن محمد الكوفىّ عن علىّ بن إسماعيل المَيْثَمىّ عن فُضَيْل الرسان قال:

(١) هو الصلت بن دينار الأزدى البصرى، كان ضعيف الحديث متهم الرواية، وكان ينال من الإمام على كرم الله وجهه وينتقصه. (٢) فى أ، ء، م: «قال حدّثنا أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد ابن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم ... الخ».
(٣) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «لأنشده» وهو تحريف. (٤) التعتعة فى الكلام: أن يعيا بكلامه ويتردد من حصر أو عىّ. (٥) فى الأصول: «وكان» وهو تحريف.

دخلت على جعفر بن محمد أعزّيه عن عمّه زيد، ثم قلت له : ألا أنشدك شعرَ السيّد ؟ فقال : أنشد؛ فأنشدتُه قصيدةً يقول فيها :

فالناس يوم البعث راياتُهم * خمسٌ فمنها هالكٌ أربعُ
قائدُها العجل وفرعونهم * وسامِرِىّ الأمّةِ المُفظِع
ومارِقٌ من دينه مُخرَج * أسودُ عبدٌ لُكَعٌ أوكَعُ (١)
ورايةٌ قائدُها وجهُه * كأنه الشمس إذا تطلُع

فسمعتُ نحيبًا من وراء الستور فقال : من قائل هذا الشعر ؟ فقلت : السيّد ! فقال : رحمه الله . فقلت : جُعلت فداك ! إنى رأيتُه يشرب الخمر . فقال : رحمه الله! فما ذنبٌ على الله أن يغفره لآل علىّ! إن محبَّ علىّ لا تزِلّ له قدمٌ إلا ثبتتْ له أخرى .

حدّثنى الأخفش عن أبى العَيْناء عن علىّ بن الحسن بن علىّ بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن محمد أنه ذكر السيّد فترحّم عليه وقال :

إن زلّتْ له قدمٌ فقد ثبَتَتِ الأخرى .

ماراه رجل فى تفضيل على فغرّقه

نسختُ من كتاب الشّاهينى حدّثنى محمد بن سهل الحِميَرىّ عن أبيه قال :

انحدر السيّد الحميرىّ فى سفينة إلى الأهواز ، فماراه رجلٌ فى تفضيل علىّ وباهَلَه (٢) على ذلك . فلما كان (٣) الليل قام الرجل ليبولَ على حرف السفينة ، فدفَعه السيّد فغرّقه؛ فصاح الملاحون : غرِق والله الرجلُ! فقال السيّد : دعوه فإنّه باهَلَ (٤) .

(١) الأوكع : اللئيم . والظاهر أن السيد يعنى رجلا بالذات أو رجالا من أعداء أهل البيت ، يعرض بهم . (٢) المباهلة : الملاعنة . (٣) فى ب ، س : «قام» وهو تحريف .
(٤) يحتمل أن يكون «باهلى» .

هجا قوما لم ينصتوا لشعره

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثنى التّوزىّ قال :

جلس السيّد يومًا إلى قوم، فجعل يُنشدهم وهم يلغطون، فقال :

قد ضيّع اللهُ ما جمّعتُ من أدب * بين الحمير وبين الشّاءِ والبقرِ

لا يَسمعون إلى قول أجيءُ به * وكيف تستمع الأنعامُ للبشرِ

٥ أقول ما سكتوا إنْسٌ فإن نطقوا * قلتُ الضفادعُ بين الماء والشجرِ

اغتابه رجل عند قوم فهجاه

أخبرنى محمد بن جعفر النّحوىّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم البرّىّ قال حدّثنا إسحاق بن محمد النّخَعىّ عن محمد بن الرّبيع عن سُوَيْد[1] بن حَمْدان بن الحُصَيْن قال :

كان السيّد يختلف إلينا ويغشانا، فقام من عندنا ذاتَ يوم، فخلَفه[2] رجل وقال:

١٠ لكم شرفٌ وقَدْر عند السلطان، فلا تجالسوا هذا فإنّه مشهور بشرب الخمر وشتم السلف . فبلغ ذلك السيّدَ فكتب إليه :

وصَفْتُ لك الحوضَ يابنَ الحُصَيْن * على صِفَة الحارث الأعْوَرِ[3]

فإن تُسْقَ منه غدًا شَرْبةً * تَفُزْ من نصيبك بالأوفرِ

فما لىَ ذنبٌ سوى أنّنى * ذكرتُ الذى فرّ عن خيبرِ[4]

١٥ (١) فى أ ، م : «بن سويد» . (٢) فى الأصول : «فتخلفه» . (٣) هو الحارث الأعور بن عبد الله بن كعب من مقدّمى أصحاب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، مات بالكوفة سنة ٦٥ هـ . (انظر الطبرى ق ٣ ص ٢٥٢٤ طبع أوربا) . (٤) يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل بحصن أهل خيبر أعطى اللواء عمر بن الخطاب ونهض معه من نهض من الناس ، فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله يجبّنه أصحابه ويجبّنهم . فأعطى رسول الله اللواء إلى

٢٠ على بن أبى طالب كرّم الله وجهه فقاتل حتى فتح الله له . (انظر الطبرى ق ١ ص ١٥٧٩) . وخيبر : اسم ولاية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام ، كانت تشتمل على سبعة حصون ذكرها كلها ياقوت وقد افتتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم . (انظر معجم البلدان لياقوت) .

ذكرتُ آمرأً فرّ عن مَرْحَبٍ[1] * فِرارَ الحمار من القَسْوَرِ[2]
فأنكر ذاك جليسٌ لكم * زَنيمٌ أخو خُلُقٍ أعورِ
لَحَانى بحبّ إمام الهدى * وفاروقِ[3] أُمّتنا الأكبرِ
سأحلِق لحيتَه إنها * شهودٌ على الزُّور والمُنْكَرِ

١٤/٧

قال : فهجر والله مشايخُنا جميعا ذلك الرجلَ ولزِموا محبّة السيّد ومجالستَه .

٥

ردّ سوّار بن عبد الله شهادته فهجاه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغَلَابىّ قال حدّثنا مهدىّ ابن سابق

أن السيّد تقدّم إلى سَوّار[4] القاضى ليشهدَ عنده، وقد كان دافع[5] المشهودَ له بذلك وقال : أعفِنى من الشهادة عند سوّار، وبذَل له مالاً فلم يُعْفِه . فلما تقدّم إلى سوّار فشهد قال[6] : ألستَ المعروفَ بالسيّد ! قال : بلى ؛ قال : إستغفرِ اللهَ من ذنب تجرّأتَ به على الشهادة عندى، قُمْ لا أرضى بك . فقام مُغْضَباً من مجلسه وكتب إلى سوّار رقعةً فيها يقول :

١٠

إن سوّار بن عبد الله من شرّ القضاة

فلما قرأها سوّار وثب عن مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذ نازل بالجسر، فسبقه السيّد إليه فأنشده :

١٥

(١) هو مرحب (كنبر كما فى شرح القاموس) اليهودى صاحب حصن خيبر . ذكر الطبرى أنه خرج يطلب البراز وقد حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحصون ، فبرز له محمد بن مسلمة فقتله . وقال فى رواية أخرى وافقه فيها شارح القاموس (مادة رحب) : إن الذى قتله هو على بن أبى طالب رضى الله عنه . (٢) القسور : الأسد . (٣) الفاروق : الذى يفرق بين الأمور و يفصلها . (٤) هو سوار بن عبد الله التيمى العنبرى قاضى البصرة وأميرها ، جمع له ذلك أبو جعفر المنصور بعد عزله الهيثم بن معاوية عن إمرة البصرة ، وكان سوار يتولى قضاءها . مات سنة ١٠٧ هـ وكان عادلا . حدث أن اشتكاه قوم الى المنصور فكشف عن ذلك فوجده باطلا فأقره فى عمله . (انظر النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٨ و ٣٠ طبع دار الكتب المصرية) .

٢٠

(٥) كذا فى م . وفى سائر الأصول : «رافع» بالراء المهملة وهو تحريف . (٦) فى الأصول : «فقال» .

قل للإمام الذى يُنْجَى بطاعته * يوم القيامة من بُحْبُوحة النار [1]

لاتستعينَنْ جزاك الله صالحةً * ياخير من دبَّ فى حكمٍ بسوار

لاتستعِنْ بخبيث الرأى ذى صَلَف * جَمِّ العيوب عظيمِ الكِبْرِ جبّار

تُضحِى الخصومُ لديه من تجبّره * لايرفعون إليه لحظ أبصار

٥ تيهًا وكِبْرًا ولولا مارفعتَ له * من ضَبْعه [2] كان عينَ الجائع العارى

ودخل سوّارٌ، فلما رآه المنصور تبسّم وقال : أمَا بلغك خبرُ إياس بن معاوية [3] حيث قَبِل شهادةَ الفرزدق وآستزاد فى الشهود ! فما أحوجك للتعريض للسيد ولسانه ! ثم أمر السيّدَ بمصالحته .

مدح المنصور لما ولى أبنيه العهد

وقال إسحاق بن محمد النَّخَعىّ حدّثنى عبدالله بن محمد الجَعْفَرىّ قال حدّثنى محمد

١٠ ابن عبد الله الحِمْيَرىّ قال :

دخل السيّد على المهدىّ لمّا بايع لآبنَيْه موسى وهارون، فأنشأ يقول :

ما بالُ مجرَى دمعِكَ الساجمِ * أمِنْ قَذًى بات بها لازمِ

أم من هوًى أنتَ له ساهرٌ * صبابةً من قلبك الهائمِ

---

(١) بحبوحة المكان : وسطه . (٢) الضبع فى الأصل : وسط العضد بلحمه، وقيل : الإبط .

١٥ وقد جاء فى أساس البلاغة مادة «ضبع» : وأخذت بضبعيه ومددت بضبعيه إذا نعشته ونوهت باسمه .

(٣) هو إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزنى البصرى . كان مشهورا بالذكاء النادر، والفراسة الصادقة، معدودا من العقلاء الفضلاء الدهاة . ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة، وكان فقيها عفيفا فطنا . توفى سنة ١٢٢ هـ . أما سماعه شهادة الفرزدق وقبولها فقد كان خوفا من هجوه . وخبر هذه الشهادة ساقه المؤلف فى الأغانى (ج ١٩ ص ٥٠ طبع بولاق) عن بعض شيوخ الأصمعىّ قال : شهد الفرزدق

٢٠ عند إياس بن معاوية فقال : أجزنا شهادة الفرزدق أبى فراس وزيدونا شهودا، فقام الفرزدق فرحا . فقيل له : إنه والله ما أجاز شهادتك؛ قال : بلى، قد سمعته يقول : قد قبلنا شهادة أبى فراس . قالوا : أفما سمعته يستزيد شاهدا آخر ! فقال : وما يمنعه ألا يقبل شهادتى وقد قذفت ألف محصنة .

آليتُ لا أمدح ذا نائلٍ * من مَعْشر غيرَ بنى هاشم
أولَتْهمُ عندى يدُ المصطفى * ذى الفضل والمَنّ أبى القاسمِ
فإنها بيضاءُ محمودةٌ * جزاؤها الشكرُ على العالَمِ
جزاؤها حفظُ أبى جعفر * خليفةِ الرحمن والقائمِ
وطاعةُ المهدىّ ثم ابنه * موسى على ذى الإرْبةِ الحازمِ
وللرشيد الرابع المُرْتَضَى * مُفْتَرَضٌ من حقّه اللازمِ
ملكُهمُ خمسون معدودةً * برغْم أنف الحاسد الرّاغمِ
ليس علينا ما بَقُوا غيرَهم * فى هذه الأُمّة من حاكمِ
حتى يَرُدّوها إلى هابط * عليه عيسى منهمُ ناجمِ

١٥/٧

وقال علىّ بن المُغيرة حدّثنى علىّ بن عبد الله السَّدُوسىّ عن المَدائنىّ قال : ١٠

كان يأتى الأعمش فيكتب عنه فضائل علىّ بن أبى طالب

كان السيّد يأتى الأعمشَ(١) فيكتب عنه فضائلَ علىّ رضى الله عنه ويخرج من عنده ويقول فى تلك المعانى شعرا. فخرج ذاتَ يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمَله على فرس وخلَع عليه ؛ فوقف بالكُناسة(٢) ثم قال : يامعشر الكوفيّين ، من جاءنى منكم بفضيلة لعلىّ بن أبى طالب لم أقُل فيها شعرا أعطيتُه فرسى هذا وما علىّ . فجعلوا يُحدّثونه ويُنشدهم ؛ حتى أتاه رجل منهم وقال : إن أمير المؤمنين ١٥

سمع عن علىّ قصة فنظمها

(١) هو سليمان بن مهران مولى بنى كاهل الكوفى الإمام ، كان ثقة عالما فاضلا . قال أبو معاوية الضرير : بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش : اكتب لى مناقب عثمان ومساوئ علىّ . فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها فى فم شاة فلاكتها وقال لرسوله : قل له : هذا جوابك . فقال له الرسول : إنه قد آلى أن يقتلنى إن لم آته بجوابك ، وتحمّل عليه بإخوانه . فكتب : «بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، يا أمير المؤمنين فلو كانت لعثمان رضى الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفعتك . ولو كانت لعلى رضى الله عنه ٢٠ مساوئ أهل الأرض ما ضرتك . فعليك بخويصة نفسك » . توفى سنة ١٤٨ هـ (انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠١ طبع بولاق) . (٢) الكناسة : محلة بالكوفة .

علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه عزم على الركوب، فلبس ثيابَه وأراد لُبْسَ الخُفّ فلبِس أحدَ خُفّيه، ثم أَهْوَى إلى الآخَر ليأخذه فٱنقضّ عُقَابٌ من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أسْوَدُ[1] وٱنساب فدخل جُحْرًا؛ فلبِس علىٌّ رضى الله عنه الخُفّ. قال : ولم يكن قال فى ذلك شيئا، ففكّر هنيهةً ثم قال :

ألَا ياقــومِ للعَجَبِ العُجابِ * لخُفّ أبى الحســين وللحُبَابِ[2]

أتى خُــفًّا له وٱنســاب فيــه * لِيَنْهَش رِجلَه منــه بنــاب

فخَــرّ من السماء له عُقــابٌ * من العِقبــان أو شِــبْهُ العُقابِ

فطــار به فحلّق ثم أَهْــوَى * به للأرض من دون السّحاب

إلى جُحْــرٍ له فٱنســاب فيــه * بعيــدِ القَعْــرِ لم يُرْتَجْ بباب

كريهُ الوجه أسـودُ ذو بَصِيص * حديدُ النّاب أزْرقُ ذو لُعــابِ

ودُوفِـع عن أبى حســن علىٌّ * نَقيعُ سِمــامه بعــد ٱنســياب

ثم حرّك فرسَه ومضى وجعل تَشْبيبَها بعد ذلك :

صــبوتُ إلى سُــلَيْمى والرَّبَابِ * وما لأخى المَشيبِ وللتّصابى

أخبرنى أحمــد بن محمد بن محمد بن ســعيد قال حدّثنى عبــد الله بن أحمــد ٱبن مُسْتورد قال :

وقف السيّد يوما بالكوفة، فقال: من أتانى بفضيلة لعلىّ بن أبى طالب ما قلتُ فيها شــعرًا فلَهُ دينارٌ، وذكر باقى الحديث . فأما العُقاب الذى ٱنقضّ[3] على خفّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فحدّثنى بخبره أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانىّ قال

(١) الأسود : العظيم من الحيات . (٢) الحباب : الحية .

(٣) العقاب : يذكر ويؤنث .

حدّثنى جعفر بن على بن نجيح قال حدّثنا أبو عبد الرحمن المسعودىّ عن أبى داود الطّهوىّ عن أبى الزِّعْل[1] المُرادىّ قال :

قام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فتطهّر للصلاة، ثم نزع خُفّه فانساب فيه أفعى، فلما عاد ليَلْبَسه انقضّت عقابٌ فأخذته فحلّقت به ثم ألقته فخرج الأفعى منه . وقد رُوِى مثل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدّثنى به أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدّثنى محمد بن عبيد بن عُقْبة قال حدّثنا محمد بن الصَّلْت قال حدّثنا حيّان بن على عن أبى سعيد عن عِكْرِمة عن ابن عباس قال :

كان النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا أراد حاجةً تَبَاعَد حتى لا يَراه أحدٌ، فنزع خُفّه فإذا عُقابٌ قد تدلّى فرفعه فسقط منه أسودُ سالخ . فكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهمّ إنى أعوذ بك من شرّ ما يمشى على بطنه ومن شرّ ما يمشى على رجليه ومن شرّ ما يمشى على أربع ومن شرّ الجن والإنس" .

قال أبو سعيد وحدّثنا محمد بن إسماعيل الرّاشدىّ قال حدّثنا عثمان بن سعيد قال حدّثنا حيّان بن على عن سعد بن طَريف عن عِكْرِمة عن ابن عباس مثلَه .

بلغه أن الحسن والحسين ركبا ظهر النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال شعرا

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا حاتم بن قَبيصة قال :

سمع السيّد محدّثا يحدّث أن النبىّ صلّى اللهُ عليه وسلم كان ساجدًا، فركِب الحسنُ والحسينُ على ظهره، فقال عمرُ رضى الله عنه : نِعْمَ المطىُّ مطيُّكما ! فقال

(١) كذا فى شرح القاموس مادة « زعل » وفى الأصول : « عن أبى الزغل » بالغين المعجمة وهو تصحيف .

النبيّ صلى الله عليه وسلم : "ونِعمَ الراكبانِ هما" . فآنصرف السيّد من فوره فقال فى ذلك :

أتى حسنًا والحسينَ النبيُّ * وقد جلسا حَجْرةً[1] يلعبانِ
ففَدّاهما ثم حيّاهما * وكانا لديه بذاك المكانِ
فراحا وتحتهما عاتِقاه * فنعم المَطيّةُ والراكبانِ
وليدان أمُّهما بَرّةٌ * حَصَانٌ مُطَهَّرةٌ للحَصَان
وشيخُهما[2] آبنُ أبى طالب * فنِعمَ الوَليدانِ والوالدانِ
خليليَّ لا تُرْجيا وآعلما * بأنّ الهُدَى غيرُ ماتزعُمانِ
وأنّ عَمَى الشكّ بعد اليقين * وضَعْفَ البَصيرة بعد العيان
ضلالٌ فلا تَلْجَجا فيهما * فبئستْ لعَمْرُكما الخَصْلتان
أيُرْجَى علىٌّ إمامُ الهدى * وعثمانُ ما أعند المُرْجيان[3]
ويُرْجَى آبنُ حَرْبٍ[4] وأشياعُه * وهُوجُ الخَوارج[5] بالنَّهْروان
يكون إمامَهمُ فى المَعاد * خبيثُ الهوى مؤمن الشَّيْصَبانِ[6]

(١) الجرة : الناحية . (٢) كذا فى تجريد الأغانى وفى الأصول : « وشخصهما » بالصاد المهملة، وهو تحريف . (٣) كذا فى الأصول . (٤) يعنى به معاوية بن أبى سفيان ابن حرب . (٥) الخوارج : جماعة كانوا مع على رضى الله تعالى عنه فى صفين وخرجوا عليه منهم الأشعث بن قيس وغيره . أرادوه على أن يقبل التحكيم الذى دعاه اليه معاوية وعمرو بن العاص، فأراد أن يبعث عبد الله بن العباس فرفض الخوارج ذلك وقالوا : هو منك، فحملوه على بعث أبى موسى الأشعرى على أن يحكما بكتاب الله تعالى فجرى الأمر على خلاف ما رضى به . فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا : لم حكمت الرجال! لا حكم إلا لله، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان . وكبار فرق الخوارج ستة : الأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والإباضية والثعالبة والباقون فروعهم ويجمعهم القول بالتبرى عن عثمان وعلى ويقدّمون ذلك على كل طاعة ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك ويكفرون أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الامام اذا خالف السنة حقا واجبا . والنهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقىّ . (٦) الشيصبان : من أسماء الشيطان .

مدح المنصور وعنده سوار فعارضه فهجاه

وذكر إسماعيل بن السّاحر[1] قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنى محمد عن أبيه قال حدّثنى أبى وعمّى عن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب ابن سعيد بن عمرو قال حدّثنا الحارث بن عبد المطّلب قال :

كنتُ جالسا فى مجلس أبى جعفر المنصور وهو بالجسر وهو قاعدٌ مع جماعة على دِجْلة بالبصرة وسَوّار بن عبد الله العَنْبرىّ[2] قاضى البصرة جالسٌ عنده والسيّد ابن محمد بين يديه يُنْشد قولَه :

إن الاله الذى لا شىءَ يُشْبِهه * أعطاكم الملكَ للدّنيا وللدّين

أعطاكم اللهُ مُلكا لا زوالَ له * حتى يُقادَ اليكم صاحبُ الصّين

وصاحبُ الهند مأخوذًا برُمّته * وصاحبُ التُّرْك محبوسًا على هُون

والمنصورُ يضحك سرورًا بما يُنشده؛ فحانت منه التفاتةٌ فرأى وجهَ سَوّار يتربّد غيظًا ويَسْوَدّ حَنَقًا ويدلُك إحدى يديه بالأُخرى ويتحرّق ؛ فقال له المنصور : مالك ! أرابَك شىءٌ ؟ قال : نعم، هذا الرجلُ يعطيك بلسانه ماليس فى قلبه، والله يا أمير المؤمنين ما صَدَقك ما فى نفسه ، وإن الذين يواليهم لغيرِكم . فقال المنصور: مهلا ! هذا شاعرُنا ووليُّنا، وما عرفتُ منه إلا صدقَ محبّة وإخلاصَ نيّة . فقال له السيّد : يا أمير المؤمنين ، والله ما تحمّلتُ بُغضَكم لأحد، وما وجدتُ أبوَىّ عليه فافتتنتُ بهما، وما زلتُ مشهورا بموالاتكم فى أيام عدوّكم . فقال له : صدقت . قال : ولكن

١٧/٧

(١) كذا ورد فى ب ، س . وفى سائر الأصول : «وذكر اسماعيل بن الساحر أن السيد مر بزمعة بن صالح قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى ... الخ» . والسند على كلتا العبارتين مضطرب، لأن المعروف أن اسماعيل بن الساحر راوية السيد يروى عنه مباشرة . (٢) كذا فى نسخة الشيخ الشنقيطى مصححة بخطه والخلاصة فى أسماء الرجال وفيما سيأتى فى شعر السيد . وفى الأصول هنا : «العنزى» وهو تحريف .

هذا وأَهْلُوه أعداءُ الله ورسوله قديمًا والذين نادَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحُجُرات[1]، فنزلت فيهم آيةٌ من القرآن (أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُون). وجرى بينهما خطابٌ طويل. فقال السيّدُ قصيدتَه التى أوّلُها :

قِفْ[2] بنا ياصَاحِ وَارْبَعْ * بالمَغَانى المُوحِشَاتِ

أنشدها أحمد بن عُبيد الله بن عمّار [عن][3] النَّوْفَلىّ. وأخبرنا محمد بخبره مع سَوّار بالقصّة من هاهنا الى آخرها، وقال فيها :

يا أمينَ اللهِ يامنـــ * ـصورُ ياخيرَ الوُلاةِ

إنّ سوّار بن عبـد الله من شرّ القُضَاةِ *

نَعْثَلِىٌّ[4] جَمَلِىٌّ[5] * لكمُ غيرُ مُوَاتِ

جَدُّه سارقُ عَنْزٍ[6] * فَجْرَةً من فَجَرات

لرسولِ الله والقا * ذِفُه بالمُنْكَرات

وابنُ من كان ينادى * من وراء الحُجُراتِ

---

(١) يعنى وفد بنى تميم يوم قدموا المدينة لمفاخرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلوا المسجد فوقفوا عند الحجرات (بيوت نسائه عليه الصلاة والسلام) فنادوا بصوت عال جاف : اخرج الينا يامحمد فقد جئنا لنفاخرك. فأنزل الله تعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون) (أنظر الكلام على هذه القصة باسهاب فى الأغانى ج ٤ ص ١٤٦ من هذه الطبعة).

(٢) فى ب، سـ : «قم».

(٣) أثبتنا هذه الزيادة ليصح السند لأن أحمد بن عبيد الله بن عمار ليس نوفليا وانما النوفلىّ هو على بن محمد ابن سليمان. وقد تكررت رواية أحمد بن عبيد الله عنه فى الأجزاء السابقة.

(٤) نعثل فى الأصل : أسم رجل يهودى من أهل المدينة، وقيل : نعثل رجل لحيانى (طويل اللحية) من أهل مصر كان يشبه به عثمان رضى الله عنه إذا نيل منه. (انظر شرح القاموس مادة نعثل).

(٥) نسبة الى وقعة الجمل التى كانت بالبصرة بين على بن أبى طالب وطلحة والزبير وعائشة والتى خرجت فيها عائشة راكبة جملا فسميت الوقعة به.

(٦) يعنى جدّه «عنزة بن نقب» وكان يقال له «سارق العنز» كانت لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى العنبر.

يا هَناةُ[1] اخرُج الينا * إننا اهلُ هَنات

مَدْحُنا المدحُ ومَنْ نَرْ * مِ يُصَبْ بالزَفَراتِ

فاكْفِنيه لا كفاه الله شَرَّ الطارقاتِ

اعتذر الى سوار فلم يعذره

فشكاه سَوّار الى أبى جعفر، فأمرَه بأن يصير اليه معتذرا، ففعل فلم يَعْذِره، فقال:

أتيتُ دعِيَّ بنى العَنْبر * أروم آعتذاراً فلم أُعْذَرِ

فقلتُ لنفسى وعاتبتُها * على اللؤم فى فعلها أَقْصِرى

أيَعْتذر الحرُّ مما أتى * إلى رجل من بَنى العَنْبر

أبوك آبنُ سارق عَنْز النبى * وأُمُّك بنت أبى جَحْدَرِ

ونحن على رَغْمِك الرّافضو * ن لأهل الضَّلالة والمُنْكَر

بلغه أن سوارا يريد قطعه فى سرقة فشكاه الى المنصور

قال: وبلغ السيّدَ أن سَوّارًا قد أعدّ جماعةً يشهدون عليه بسرقة ليَقْطَعه؛ فشكاه الى أبى جعفر؛ فدعا بسوّارٍ وقال له: قد عزلتُك عن الحكم للسيّد أو عليه. فما تعرّض له بسوء حتى مات.

رماه أبو الخلال عند عقبة بن سلم بسب الصحابة فقال شعرا

وروى عبد الله بن أبى بكر العَتَكى أن أبا الخَلّال العَتَكىّ دخل على عُقْبة بن سَلْم[2] والسيّد عنده وقد أمر له بجائزة، وكان أبو الخَلّال شيخَ العَشيرة وكبيرَها، فقال له: أيها الأمير، أتُعْطى هذه العطايا رجلًا ما يَفْتُرُ عن سَبِّ أبى بكر وعمر! . فقال له عُقْبة: ما علمتُ ذاك ولا أعطيتُه إلّا على العشرة والمودّة القديمة وما يُوجبه حقُّه وجوارُه مع ماهو عليه من مُوالاة قومٍ يَلْزَمنا حَقُّهم ورعايتُهم. فقال له أبو الخَلّال: فمُرْه إن

(١) ياهناة: يا فلان وانظر الكلام على تصريف هذه الكلمة فى اللسان «مادة هنا».

(٢) فى الأصول: «عقبة بن سالم» وهو تحريف. وهو عقبة بن سلم بن نافع الهنائى ولى إمرة البصرة لأبى جعفر المنصور. وقد ذكر فى الأغانى ج ٣ ص ١٧٤ من هذه الطبعة فى قصة طويلة مع بشار ابن برد فانظرها. (وراجع الطبرى ق ٣ ص ٣٥٠، ٣٥٣) طبع أوربا.

كان صادقًا أن يمدح أبا بكر وعمر حتى نعرف براءته مما يُنْسَب إليه من الرَّفْض.[1] فقال : قد سمعك، فإن شاء فعل . فقال السيِّد :

إذا أنا لم أحفظ وَصَاةَ محمدٍ * ولا عهدَه يومَ الغديرِ[2] المؤكدا

فإنّى كمن يَشْرى الضَّلالةَ بالهُدى * تنصَّر من بعد التُّقى وتهوّدا

١٨/٧

وما لى وتَيْمٍ أو عَدِىٍّ وإنما * أُولو نعمتى فى الله من آل أحمدا

٥

تَتِمُّ صلاتى بالصلاة عليهمُ * وليستْ صلاتى بعد أن أتشهّدا

بكاملةٍ إن لم أُصَلِّ عليهمُ * وأدْعُ لهم ربًّا كريمًا مُمجَّدا

بذلتُ لهم وُدّى ونُصحى ونُصرتى * مدى الدهر ما سُمِّيتُ يا صاحِ سيِّدا

وإنّ امرأً يَلْحَى على صدق وُدّهم * أحقُّ وأَوْلَى فيهمُ أن يُفَنَّدا

فإن شئتَ فاخترْ عاجلَ الغَمِّ ضِلَّةً[3] * وإلَّا فأمسِكْ كى تُصانَ وتُحْمَدا

١٠

ثم نهض مُغْضَبًا. فقام أبو الخَلّال إلى عُقْبة فقال : أعِذْنى من شرِّه أعاذك الله من السوء أيها الأمير؛ قال : قد فعلتُ على ألّا تَعرِضَ له بعدها .

---

(١) الرافضة : فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن على ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين (أبى بكر وعمر) فأبى وقال : كانا وزيرى جدى . فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه . والنسبة رافضى، والمصدر الرفض . (انظر القاموس وشرحه مادة رفض) . (٢) يريد غدير خم (بالضم) وهو موضع بين مكة والمدينة بالجحفة، وقيل : هو على ثلاثة أميال منها . وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : نزلت هذه الآية — يعنى (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) — فى على كرم الله تعالى وجهه حيث أمر سبحانه وتعالى رسوله أن يخبر الناس بولايته فتخوف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا : حابى ابن عمه وأن يطعنوا فى ذلك عليه، فأوحى الله تعالى اليه هذه الآية فقال بولايته يوم غدير خم وأخذ بيده فقال عليه الصلاة والسلام : " من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" . ولأهل السنة فى أخبار الغدير واستدلال أهل الشيعة بها كلام طويل يراجع فى روح المعانى (ج ٢ ص ٣٤٩ طبع بولاق) .

١٥

٢٠

(٣) كذا فى أ، ء، م . والضلة (بالكسر) : الضلال . وفى سائر الأصول : « ظلة » بالظاء المعجمة، وهو تحريف .

قصته مع امرأة تميمية إباضية تزوجها

وممّا يحكى عنه أنه آجتمع فى طريقه بآمرأة تميميّة إباضيّة ، فأعجبها وقالت : أريد أن أتزوّج بك ونحن على ظهر الطريق . قال : يكون كنِكاح أمّ خارجةَ (١) قبل حضور ولىٍّ وشهود . فآستضحكتْ وقالت : ننظر فى هذا ، وعلى ذلك فمن أنت؟ فقال :

إن تَسأليني بقـــومى تسألى رجلا * فى ذِروة العـزّ من أحياء ذى يمنِ
حَـولِى بها ذو كَلاعٍ (٢) فى منازلهـا * وذو رُعينٍ (٣) وهَمْـدانٌ (٤) وذو يزَنَ (٥)

(١) نكاح أم خارجة يضرب به المثـل فى السرعة ، فيقال : « أسرع من نكاح أم خارجة » . وهى عمرة بنت سـعد بن عبد الله بن قدار بن ثعلبـة . كان يأتيها الخاطب فيقول : خطب ، فتقول : نكح . فيقول : انزلى ، فتقول : أنخ . قال المبرد : ولدت أم خارجة للعــرب فى نيف وعشرين حيا من آباء متفــرقة ، وكانت هى إحدى النساء اللاتى إذا تزوّجت واحدة منهن الرجل فأصبحت عنـده كان أمرها إليها إن شاءت أقامت و إن شاءت ذهبت . وعلامة ارتضائها للزوج أن تعالج له طعاما إذا أصبح . (انظر مجمع الأمثال للميدانى وما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه والقاموس وشرحه مادتى خطب ونخ).

(٢) ذو الكلاع (كسحاب) : رجلان من أذواء اليمن ، أحدهما الأكبر وهو يزيد بن النعمان الحميرى . والآخر الأصغر و ينتسب الى ذى الكلاع الأكبر . وكان ذو الكلاع الأصغر مطاعا فى قومه فأسلم فكتب إليه النبي صلى الله عليه وسـلم فى التعاون على قتل الأسود العنسى مع جرير بن عبد الله البجلى ففعل وهاجر ، فمات النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليه فقدم على أبى بكر رضى الله تعالى عنه .

(٣) ذو رعين هو أحد ملوك اليمن الأول واسمه « يريم » وهو من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سـبأ . ورعين : اسم حصن كان له . وذكره عمرو بن معد يكرب فى شعر قاله لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد خفقه عمر بالدرة لكلام دار بينهما ، فقال :

أتضربنى كأنك ذو رعين * بأنعم عيشــة أو ذو نواس
فكم ملك قديم قــد رأينا * وعز ظاهر الجبروت قاسى
فأصبح أهله بادوا وأضحى * ينقل من أناس الى أناس

فقال : صدقت يا أبا ثور ، قد هــدم ذلك كله الاسلام .

(٤) هو همـدان بن مالك بن زيد ابن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان . ومن ولده قبيلة باليمن تنسب إليه ؛ وهم الذين كانوا شيعة لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه عند وقوع الفتن بين الصحابة . وقال فيهم أسعد تبّع :

ومعى قضاعتها وكندتها العلا * والشمّ مذحج والذرى همدان

(٥) ذو يزن : ملك من ملوك حمير ، تنسب اليه الرماح اليزنية ، واسمه عامر بن أسلم بن غوث وقيل : هو النعمان بن قيس الحميرى . وقد ذكره قس بن ساعدة فى قوله :

والقيل ذا يزن شهدت مكانه * قد كان حرّم عنه شرب الراح

وابنــه سيف بن ذى يزن الذى قتل الحبشة وطردهم من اليمن وهو الذى بشر بالنبىّ صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه . (راجع ج ١٦ ص ٧٥ من هذا الكتاب طبع بولاق وما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه) .

والأزد أزد [عمان] (١) الأكرمون إذا * عدت مآثرهم فى سالف الزمن
بانت كريمتهم (٢) عنى فدارهم * دارى وفى الرحب من أوطانهم وطنى
لى منزلان بلحج (٣) منزل وسط (٤) * منها ولى منزل للعز فى عدن
ثم الولاء الذى أرجو النجاة (٥) به * من كبة النار للهادى أبى حسن

فقالت: قد عرفناك، ولا شىء أعجب من هذا: يمان وتميمية، ورافضى وإباضية، فكيف يجتمعان! . فقال: بحسن رأيك فى تسخو نفسك، ولا يذكر أحدنا سلفا ولا مذهبا . قالت: أفليس التزويج إذا علم انكشف معه المستور، وظهرت خفيات الأمور! . قال: فأنا أعرض عليك أخرى . قالت: ماهى؟ قال: المتعة (٦) التى لا يعلم بها أحد . قالت: تلك أخت الزنا . قال: أعيذك بالله أن تكفرى بالقرآن بعد الإيمان! . قالت: فكيف؟ قال: قال الله تعالى: ﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾. فقالت: أستخير الله (٧) وأقلدك إن (٨) كنت صاحب قياس . ففعلت (٩) . فانصرفت معه وبات معرسا بها . وبلغ أهلها من الخوارج أمرها، فتوعدوها بالقتل وقالوا:

(١) التكملة عن حـ وتجريد الأغانى . وسا كن عمان من الأزد هم يحمد وحدان ومالك والحارث وعتيك وجديد . (٢) كذا فى الأصول . (٣) لحج: مخلاف باليمن ينسب إلى لحج بن وائل بن الغوث بن قطن . (٤) الوسط (بالتحريك): اسم لما بين طرفى الشىء، وقد يأتى صفة على معنى أفضل الشىء وخياره وأعدله، كما فى البيت هنا، وكما فى قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) . (٥) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول: «أرجو الحياة» وهو تحريف .
(٦) المتعة: أن تزوج امرأة تمتع بها أياما ثم تخلى سبيلها . وذلك أن الرجل كان يشارط المرأة شرطا على شىء بأجل معلوم ويعطيها شيئا فيستحلها بذلك ثم يخلى سبيلها من غير تزويج ولا طلاق . وقد كانت المتعة مباحة فى أول الاسلام ثم حرمت، وهى جائزة عند الشيعة . وللجلودى وكان من أكابر الشيعة الامامية كتاب يسمى «كتاب المتعة وما جاء فى تحليلها» . وللصفوانى وهو من رجال الشيعة أيضا «كتاب المتعة وتحليلها والرد على من حرمها» . (٧) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول: «ألا تستخير الله» . (٨) فى حـ: «إذ» . (٩) فى ب، سـ: «قال قد فعلت» .

تزوّجت بكافر! فجحدتْ ذلك ولم يعلموا بالمُتعة . فكانت مدّة تختلف إليه على هذه السبيل من المُتعة وتُواصله حتى افترقا .

عارضه ابن لسليمان ابن على فى مذهبه بباب عقبة بن سلم فأجابه

وقال الحسن بن على بن المُغيرة حدّثنى أبى قال :

كنتُ مع السيّد على باب عُقْبة بن سَلْم ومعنا ٱبنٌ لسليمان[1] بن علىّ ننتظره وقد أُسرج له ليَركَب، إذ قال ٱبنُ سليمان بن علىّ يعرِّض بالسيّد : أشعرُ الناس والله الذى يقول :

محمد خيرُ من يمشى على قدمٍ * وصاحِباه وعثمانُ بن عفّانَا

فوثَب السيّد وقال : أشعرُ والله منه الذى يقول :

١٩
―
٧

سائلْ قريشًا اذا ماكنتَ ذا عَمَهٍ * مَنْ كان أثبتَها فى الدِّين أوتادَا

من كان أعلَمها علمًا وأحلَمها * حلمًا وأصدقَها قولا وميعادا

إن يَصْدُقُوكَ فلن يَعْدُوا أباحسنٍ * إن أنتَ لم تَلْقَ للأبرار حُسّادا

ثم أقبل على الهاشمىّ فقال : يا فتى، نعمَ الخَلَفُ أنت لشرف سَلَفك ! أراك تَهْدِم شرفَك، وتَثْلِب[2] سَلَفك، وتَسعى بالعداوة على أهلك، وتُفضِّل من ليس أصلُك من أصله على مَنْ فضلُك من فضله ؛ وسأُخبر أميرَ المؤمنين عنك بذا حتى يَضَعَك . فوثب الفتى خجِلًا ولم ينتظر عُقْبةَ بن سَلْم . وكتب اليه صاحبُ خبره بما جرى عند الرُّكوبة حتى خرجت الجائزةُ للسيّد .

جلس مع قوم يخوضون فى ذكر الزرع والنخل فقام وقال شعرا

أخبرنى محمد بن جعفر النَّحوىّ قال حدّثنا ابن القاسم البَزّىّ عن إسحاق بن محمد النَّخَعىّ عن عقبة بن مالك الدِّيلى عن الحسن بن علىّ بن أبى حرب بن أبى الأسود الدُّؤَلىّ قال :

(١) هو سليمان بن على بن عبد الله بن العباس عم أبى جعفر المنصور . ولى له البصرة وعمان والبحرين، وتوفى بالبصرة سنة اثنتين وأربعين ومائة . (انظر كتاب المعارف لابن قتيبة ص ١٩٠) .

(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وتثلب من سلفك » .

كنّا جلوسًا عند أبى عمرو بن العلاء ، فتذاكرنا السيّد، فجاء فجلس، وخُضْنا فى ذكر الزرع والنخل ساعةً فنهَض . فقلنا : يا أبا هاشم، مِمَّ القيامُ ؟ فقال :

إنى لأكره أن أُطيل بمجلس * لا ذكرَ فيه لفضل آل محمد

لا ذكرَ فيه لأحمد ووصيّه * وبَنِيه ذلك مجلسٌ نَطِفٌ ردِى (١)

٥ إن الذى ينساهُمُ فى مجلس * حتّى يفارقَه لغيرُ مسدَّد

سكر بالأهواز فحبسه العسس وكتب شعرا لوالى فأطلقه وأجازه

وروى أبو سليمان النّاجى : أن السيّد قدِم الأهواز وأبو بُجير بن سماك الأسدىّ يتولّاها ، وكان له صديقا . وكان لأبى بجير مولًى يقال له يزيد بن مَذعور يحفَظ شعرَ السيد يُنشده أبا بجير ، وكان أبو بجير يتشيّع . فذهب السيّد إلى قوم من إخوانه بالأهواز فنزل بهم وشرِب عندهم ؛ فلما أمسى انصرف، فأخذه العَسَس

١٠ فحُبِس . فكتب من غده بهذه الأبيات وبعث بها إلى يزيد بن مَذعور. فدخل على أبى بُجير وقال : قد جَنَى عليك صاحبُ عَسَسك مالا قِوامَ لك به . قال: وما ذلك؟ قال : اسمع هذه الأبيات، كتبها السيّدُ من الحبس؛ فأنشده يقول :

قِفْ بالدِّيار وحيِّها يا مَرْبَعُ * وآسأل وكيف يُجيب من لا يَسمعُ

إنّ الدِّيارَ خَلَتْ وليس بجوِّها * إلّا الضَّوابحُ (٢) والحَمامُ الوُقَّع

١٥ ولقد تكون بها أوانسُ كالدُّمَى * جُمْلٌ وعَزّةُ والرَّبابُ وبَوْزَع

حورٌ نواعمُ لا تُرى فى مثلها * أمثالُهن من الصيانة أربَع

فَعَرِينَ (٣) بعد تألُّف وتجمُّع * والدهرُ صاحٍ مُشَتِّتٌ ماتجمّع

(١) النطف : السيئ الفاسد، والمتهم بريبة . وفى ب،س : «قصف» وهو تحريف .

(٢) الضوابح : يعنى بها الثعالب وغيرها ، يقال : ضبح الثعلب والأرنب والأسود من الحيات

٢٠ والبوم والصدى اذا صوّت . ويقال : طائر واقع اذا كان على شجر أو موكنا ، ووقع الطائر إذا نزل عن طيرانه . (٣) كذا فى الأصول . والضمير يعود على الديار . ويحتمل أن تكون : «فعزبن» أى بعدن .

فاْسلَم فإنّك قد نزلتَ بمنزل * عند الأمير تضُرّ فيه وتَنفع

تُؤتَى هواك إذا نطقتَ بحاجةٍ * فيه وتَشفَع عنده فيُشَفَّع

قل للأمير إذا ظفِرتَ بخَلوة * منه ولم يك عنده من يَسمع

هَبْ لى الذى أحببته فى أحمد * وبَنِيه إنك حاصدٌ ما تَزرَع

يَختصّ آلَ محمد بمحبّة * فى الصدر قد طُوِيَتْ عليها الأضلُع[1]

فى هذا الغناءُ لسعيد .

٢٠ / ٧

ضمن رثاءه لعباد ابن حبيب هجوا لسوّار القاضى بعد موته

وحَكى ابن الساحر : انّ السيّد دُعى لشهادة عند سَوّار القاضى؛ فقال لصاحب الدَّعوَى : أَعْفِنِى من الشهادة عند سوّارٍ؛ فلم يُعْفِه صاحبُها منها وطالَبه بإقامتها عند سَوّار . فلما حضر عنده وشهِد قال له : أَلَمْ أَعْرِفك وتعرِفنى ! وكيف مع معرفتك بى تُقدِم على الشهادة عندى! فقال له : إنى تخوّفتُ إكراهَه، ولقد ٱفتديتُ شهادتى عندك بمال فلم يقبل منّى فأقمتُها[2]؛ فلا يَقبَل الله لك صَرْفًا ولا عَدْلا إن قبِلتَها، وقام من عنده؛ ولم يقدِر سوّارٌ له على شىء لِما تقدّم به المنصورُ إليه فى أمره، وٱغتاظ غيظًا شديدا وٱنصرف من مجلسه فلم يَقْضِ يومئذٍ بين ٱثنين . ثم إن سوّارًا ٱعتلّ علّته التى مات فيها فلم يقدِر السيّدُ على هجائه فى حياته لنَهْى المنصور إيّاه عن ذلك . ومات سوّار فأُخرج عَشِيًّا وحُفر له، فوقع الحفر فى موضع كَنِيف . وكان بين الأَزْد وبين تَمِيم عداوةٌ، فمات عَقِب[3] موته عبّادُ بن حبيب بن المهلّب؛ فهجا السيّدُ سوّارًا فى قصيدة رثى بها عبّادا ودفعها إلى نوائح الأزد لِما بينهم وبين تميم من العداوة ولقربهم من دار سوّار يَنُحْن[4] بها، وأوّلها :

(١) يلاحظ أن هذه القصيدة لم تتم، وأن الأبيات العينية الآتية فى (ص ٢٧١) تتمة لهذه القصيدة، لأن ابن مذعور المخاطب بهذه القصيدة مذكور فيها، ولأن ما بعدها من كلام متصل بالخبر الذى سيقت فيه هذه القصيدة ومتمم له . وما وقع بين أجزاء القصيدة من أخبار موضوع فى غير موضعه . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س : « فان أقمتها » . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « موت عباد » . (٤) فى حـ : «فنحن» .

يا مَنْ غدا حاملاً جُثمانَ سوّارِ * من داره ظاعناً منها إلى النارِ
لا قدّس اللهُ رُوحاً كان هيكلَها * فقد مضتْ بعظيم الخِزْى والعار
حتى هوتْ قَعْرَ بَرَهوتٍ[1] معذَّبةً * وجسمُه فى كَنيف بين أقذار
لقد رأيتُ من الرحمن مُعجِبةً * فيه وأحكامُه تجرى بمقدار
٥ فأذهَبْ عليك من الرحمن بَهْلَتُه[2] * يا شرَّ حىٍّ براه الخالقُ البارى

مازح صديقا له زنجيا بشعر

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنى علىّ بن محمد البقّال قال حدّثنا شَيْبان بن محمد الحَرّانى — وكان يُلَقَّب بعُوضةَ وصار من سادات الأزد — قال:

كان السيّد جارى، وكان أَدْلَمَ[3]، وكان يُنادم فتياناً من فتيان الحىّ فيهم فتًى مثلُه أَدْلَمُ غليظُ الأنف والشّفتين مُزَنَّجُ الخلقة . وكان السيّد من أنتن الناس إبطين .
١٠ وكانا يتمازحان ، فيقول له السيّد : أنت زَنجىّ الأنف والشّفتين ، ويقول الفتى للسيّد : أنت زَنجىّ اللون والإبطين . فقال السيّد :

أَعاركَ يومَ بِعْناه رَبَاحٌ[4] * مشافرَه وأنفَك ذا القبيحَا
وكانت حِصّتى إبطَىَّ منه * ولونًا حالكا أمسى فَضُوحا
فهل لك فى مُبَادلَتيكَ إبْطى * بأنفك تَحْمَدُ البيعَ الرّبيحا
فإنّك أقبحُ الفتيان أنفًا * وإبْطى أنتَنُ الآباط ريحا

كان له صديق ينفق عليه من ماله فلامته امرأته لذلك فهجاها

أخبرنى أحمد قال حدّثنى شَيْبان قال :

مات منّا[5] رجلٌ موسِرٌ وخلّف ٱبنا له فورث مالَه وأتلفه بالإسراف، وأقبل على الفَساد واللهو، وقد تزوّج ٱمرأةً تسمّى ليلى، وٱجتمع على السيّد وكان من أظرف

(١) برهوت : بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول الى قعرها . ويشير بقوله : «حتى هوت قعر برهوت» الى ما ورد فى هذه البئر من أنها مأوى أرواح الكفار والمنافقين . (٢) البهلة : اللعنة . (٣) الأدلم : الشديد السواد . (٤) رباح : من أسماء العبيد . (٥) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «ملك منا رجل موسر الا وخلف ... الخ» .

الناس ، وكان الفتى لا يصبر عنه ، وأنفق عليه مالا كثيرا ؛ وكانت ليلى تعذُله على إسرافه وتقول له : كأنى بك قد ٱفتقرت فلم يغْنِ عنك شيئا . فهجاها السيّد .

٢١/٧

وكان ممّا قال فيها :

أقول يا ليتَ ليلى فى يَدَىْ حَنِقٍ * من العداوة منْ أعدى أعاديها

يعلو بها فوق رَعْنٍ ثم يَحْدِرها * فى هُوّة فتَدَهْدى يومَها فيها

أو ليتها فى عِمار البحر قد عصفت * فيه الرِّياح فهاجت من أوَاذِيها(١)

أو ليتها قُرِنَتْ(٢) يومًا إلى فرسى(٣) * قد شُدَّ منها إلى هاديه هادِيها(٤)

حتى يُرَى لحمُها من حُضْره زِيَماً(٥) * وقد أتى القومَ بعد الموت ناعيها(٦)

فَمَنْ بكاها فلا جفَّتْ مدامعُه * لا أسْخَن اللهُ إلّا عينَ باكيها

أهدى له بعض ولاة الكوفة رداء فقال شعرا يمدحه ويستزيده

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنى إسحاق بن محمد النَّخَعىّ وعبد الحميد بن عُقْبة قالا حدّثنا الحسن بن علىّ بن المغيرة الكسلان عن محمد بن كُناسة قال :

أهدى بعضُ ولاة الكوفة إلى السيّد رداءً عَدَنيًّا ؛ فكتب إليه السيّد فقال :

وقد أتانا رداءٌ من هديّتكم * فلا عَدِمتُك طولَ الدهر مِنْ والِ

هو الجمالُ جزاك الله صالحةً * لو أنّه كان موصولاً بسِرْبال

فبعث إليه بخلعة تامّة وفرس جواد وقال : يُقطع عتابُ أبى هاشم وٱستزادتُه إيانا .

(١) الأواذى : الأمواج واحدها آذى بالتشديد وخفف لضرورة الشعر . وفى الأصول : «أواديها» بالدال المهملة ، وهو تصحيف .

(٢) فى ب ، س : «قد دنت» . (٣) كذا فى الأصول . ولعله «الى فرس» بالتنكير .

(٤) الهادى : العنق . (٥) زيما : قطعا متفرقة . (٦) فى حـ : «اليوم» .

سمع قاصا بباب أبي سفيان يمدح الشيخين فسبهما

حدّثني عمّي قال حدّثنا الكُرَانيّ عن بعض البَصريّين عن سليمان بن أرقم قال: كنتُ مع السيّد، فمرّ بقاصّ على باب أبي سفيان بن العَلاء وهو يقول: يُوزَن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة في كِفّة بأُمّته أجمع فيَرجَحُ بهم، ثم يُؤتى بفلان فيوزن بهم فيَرْجَح، ثم يُؤتى بفلان فيُوزن بهم فيرجح . فأقبل على أبي سفيان فقال : لعَمْري إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَرْجَح على أمته في الفضل، والحديث حقٌّ؛ وإنما رجَح الآخَران الناسَ في سيئاتهم؛ لأنّ من سَنّ سُنّةً سيئة فعُمِل بها بعده كان عليه وِزْرُها ووِزْر من عَمِل بها . قال: فما أجابه أحد . فمضى فلم يَبق أحدٌ من القوم إلّا سَبّه .

صادف بنت الفجاءة وأنشدها شعرا له متغزلا فيها

وقال أبو جعفر الأعرج حدّثني إسماعيل بن السّاحر قال :

خرجتُ من منزل نصر بن مسعود أنا وكاتب[1] عقبة بن سَلْم والسيّد ونحن سكارى . فلما كنّا بزَهْران لَقِيَتْنا بنتُ الفُجاءة بن عمرو بن قَطَرِيّ بن الفُجاءة، وكانت آمرأةً بَرْزةً[2] حسناءَ فصيحةً، فواقفها السيّد وتخاطب عليها وأنشدها من شعره بتجميش، فأعجب كلُّ واحد منهما صاحبَه . فقال السيّد[3] : ... ...

* من ناكثين وقاسطين الأروعُ[4]

* حول الأمين وقال هاتِ ليَسمعوا

قم يا بن مَذْعورٍ فأنْشِد نكّسوا * خُضُعَ الرّقاب بأعين لا تُرْفَع

لولا حِذارُ أبي بجير أظهروا * شنآنهم وتفرّقوا وتصدّعوا

لا تجزَعوا فلقد صبَرْنا فاصبروا * سبعين عامًا والأنوفُ تُجَدَّع

---

(١) كذا في أ، ء، م . وفي ح : «من منزل منصور بن مسعود كاتب عقبة بن سلم ...» . وفي ب، س : «من منزل نصر بن مسعود أنا وعقبة بن سلم ... الخ» . (٢) في ح «شعرا» .

(٣) تلاحظ الحاشية رقم ١ في ص ٢٦٨، إذ لا ارتباط بين هذا الخبر والشعر الذي بعده .

(٤) هكذا ورد هذا الشعر ناقصا في الأصول . ولم نوفق الى إكماله من مصدر آخر .

إذ لا يزال يقوم كلَّ عَرُوبَةٍ[1] * منكم بصاحبنا خطيبٌ مِصْقع

مُستحنِفرٌ[2] فى غيِّه مُتتايعٌ[3] * فى الشتم مِثْلَه[4] بخيل يسجع

ليَسُرَّ مخلوقًا ويُسخِط خالقًا * إن الشقيَّ بكلِّ شرٍّ مُولَع

٢٢
٧

فلما سمعها أبو بجير دعا صاحبَ عَسَسه فشتَمه وقال: جنيتَ علىَّ مالا يَدِى لى به؛ اذهب صاغرًا إلى الحبس وقل : أيكم أبو هاشم؛ فإذا أجابك فأخرِجه وآحمِله على دابّتك وآمشِ معه صاغرًا حتى تأتينى به ففعل. فأبَى السيّدُ ولم يُجبه إلى الخروج إلا بعد أن يُطْلِق له كلَّ من أخذ معه. فرجع إلى أبى بُجَير فأخبره، فقال : الحمدُ لله الذى لم يَقُل أخرِجْهم وأَعْطِ كلَّ واحدٍ منهم مالا، فما كنّا نقدر على خلافه؛ افعل ما أحَبَّ برغم أنفك الآن. فمضى فخلّى سبيلَه وسبيلَ كلِّ من كان معه ممّن أُخذ فى تلك الليلة، وأُتى به إلى أبى بجير. فتناوله بلسانه وقال : قدمتَ علينا فلم تأتنا وأتيتَ بعض أصحابك[5] الفُسّاق وشربتَ ما حُرّم عليك حتى جَرَى ما جرى؛ فآعتذر من ذلك إليه؛ فأمر له أبو بجير بجائزة سنيّة وحمَله وأقام عنده مدّةً.

عاتب قوم أبا بجير على التشيع فاستنشد مولاه شعر السيد وطردهم

قال النَّوْفلىّ وحدّثنى أبى : أنّ جماعة من أهل الثغور قدموا على أبى بجير بتسبيبهم[6] فأطلقهم، ثم جاءوه فعاتبوه على التشيّع وسألوه الرجوعَ؛ فغضب من ذلك ودعا بمولاه يزيد بن مذعور فقال : أنشِدْنى وَيْلَك لأبى هاشم. فأنشده قولَه :

يا صاحبيَّ لدِمنتَيْن عفاهما * مَرُّ الرِّياح عليهما فمحاهما

حتى فرغ. ثم قال : هاتِ النُّونيّة؛ فأنشده :

يا صاحبيَّ تَرَوَّحا وذَرانى * ليس الخلىُّ كمُسْعَر الأحزان

(١) عروبة : يوم الجمعة. (٢) المستحنفر : الماضى السريع. وفى ب س : «مستحفز» وهو تحريف. (٣) التتايع : التهافت. (٤) كذا فى الأصول.
(٥) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول : «أصحابنا» وهو تحريف. (٦) كذا فى ب، س. وفى سائر الأصول : «لهم». وكلاهما غير واضح.

فلما فرغ قال : أنشدنى الدمّاغةَ الرائيّةَ، فأنشده إيّاها . فلما فرغ أقبل عليه الثّغريّون فقالوا له : ما أعتبْتَنا فيما عاتبناك عليه. فقال : يا حَمِير! هل فى الجواب أكثر ممـ سمعتم! والله لولا أنّى لا أعلم كيف يقع فعلى من أمير المؤمنين لضربتُ أعناقكم ! قوموا إلى غير حفظ الله فقاموا . وبلغ السيّد الخبرُ فقال :

٥

إذا قال الأمير أبو بجير * أخو أسـد لمنشده يَزِيدَا

طَرِبتُ إلى الكرام فهاتِ فيهم * مديحًا من مديحك أو نشيدا

رأيتَ لمن بحضرته وجوهًا * من الشُّكّاك والمُرجين سُودا

كأنّ يزيد يُنشد بامتـداح * أبا حسنٍ نصارى أو يهودا

نقد العبدى شعر له قصيدته وقال إنه أشعر منه

وروى أبو داود المسترق : أنّ السيّد والعبدىّ اجتمعا، فأنشد السيّد :

١٠

إنى أدين بما دان الوَصىّ به * يوم الخُرَيبة[1] من قتل المُحِلّينا

وبالذى دان يومَ النهروان به * وشاركت كفّه كفّى بصفّينا

فقال له العَبْدىّ : أخطأت ، لو شاركتْ كفُّك كفّه كنتَ مثله؛ ولكن قل : تابعت كفّى كفّه لتكون تابعًا لا شريكا . فكان السيّد بعد ذلك يقول : أنا أشعر الناس إلّا العبدىّ .

سب الشيخين فى شعره وسكر فرفع أمره الى أبى بجير فأهانه

١٥

وقال إسحاق النَّخَعىّ عن عبد الحميد بن عُقْبة عن أبى جعفر الأعرج عن إسماعيل بن السّاحر قال :

كنتُ مع السيّد وقد اكترينا سفينة إلى الأهواز؛ فجلس فيها معنا قوم شُراةٌ، فجعلوا ينالون من عثمان . فأخرج السيّد رأسه إليهم وقال :

---

(١) كذا فى معجم البلدان وكتاب مناقب آل أبى طالب (نسخة طبع الهند محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٣ تاريخ ص ٤٢٥) . والخريبة : موضع بالبصرة كانت به وقعة الجمل . وفى الأصول : « الحديبة » . وهو تحريف .

٢٠

شَقِيتَ من نَعْثلٍ فى نَحْت أَثْلته[1] * فأَعْمِد هُدِيتَ إلى نَحْتِ الغَوِيَّيْنِ

اعْمِد[2] هُدِيتَ إلى نحت اللَّذيْنِ هما * كانَا عن الشرّ لو شاءا غنيَّيْنِ

قال إسماعيل : فلما قَدِمنا الأهوازَ قدِم السيّد وقد سكِر ، فأُتِى به أبا بجير بن سماك الأَسَدىّ ؛ وكان آبنُ النّجاشىّ عند ابن سماك بعد العشاء الآخِرة ، وكان يعرفه بآسمه[3] ولم يعرِفه . فقال له : يا شيخ السّوء ، تخرج سكرانَ فى هذا الوقت ! لأُحسِنَنّ أدبَك . فقال له : والله لا فعلتَ ، ولتُكرِمَنِّى ولتَخْلَعَنّ علىّ وتَحْمِلَنِى وتُجيزَنِّى . قال : أوَ تَهْزَأ أيضا ! قال : لا والله ! ثم آندفع يُنشده فقال :

من كان معتذِرًا من شَتْمه عمرًا * فآبنُ النّجاشىّ منه غيرُ مُعْتذِرِ

وآبنُ النجاشِى بَرَاءٌ غيرَ محتشمٍ * فى دينه من أبى بكر ومن عمرِ

ثم أنشده قوله :

إحداهما[4] نَمَّتْ عليه حديثَه * وبَغَتْ[5] عليه نفسه إحداهما

فهما اللتان سمِعتُ ربَّ محمد * فى الذكر قصَّ على العباد نَبَاهما[6]

فقال : أبو هاشم ؟ فقال نعم . قال : آرْتفِعْ . فحمَله وأجازه ، وقال : والله لأُصَدِّقنّ قولك فى جميع ما حلَفتَ عليه .

(١) يقال : فلان ينحت أثلة فلان إذا ذمه وتنقصه . (٢) فى الأصول : « اعمل » باللام وهو تحريف . (٣) كذا فى حـ . وفى ب ، س : « وكان يعرف باسمه الخ » . وفى سائر النسخ : « وكان يعرض باسمه الخ » وكلاهما تحريف . (٤) لعله يعنى بهذا الشعر حفصة وعائشة ، وذلك أن حفصة وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أم إبراهيم (جاريته مارية) فى يوم عائشة الذى خصصه لها ، فأمرها أن تكتم الأمر على أن يحرّم مارية ، فأفشت حفصة ذلك الى عائشة ، فعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرّف حفصة فقالت له : من أخبرك به؟ فقال : نبأنى به العليم الخبير . فآلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا . فأنزل الله تبارك وتعالى : (إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) . وقد وردت هذه القصة بروايات أخر فانظرها (فى أسباب النزول للواحدى ص ٣٢٧ وغيره من كتب التفسير) . (٥) كذا فى الاصل . (٦) يريد سورة التحريم وقد قص الله فيها سبحانه وتعالى هذه القصة .

أباح له أبو بجير شرب النبيذ

قال إسماعيل : رأى أبو بجير السيّدَ متغيّرَ اللّون ، فسأله عن حاله ؛ فقال : فقدْتُ الشرابَ الذى ألِفتُه لكراهة الأمير إيّاه؛ قال : فاْشربْه، فإنّا نحتمله لك . قال : ليس عندى . قال لكاتبه : اكتُب له بمائتى دَوْرق ميبختج[1] . فقال له السيّد : ليس هذا من البلاغة . قال : وما هى؟ قال : البلاغة أن تأتى من الكلام بما يُحتاج إليه وتَدَعَ ما يُستغنَى عنه . قال : وكيف ذلك ؟ قال : اكتب بمائتى دَوْرق "مى" ولا تكتب "بختج"، فإنك تَستغنى عنه . فضحك، ثم أمر فكُتِبَ له بذلك . قال : وآلمى : النبيذ .

أظهرت المرجئة الشماتة بأبى بجير لما مرض فقال هو شعرا

قال إسماعيل : وبلغ السيّدَ وهو بالأهواز أن أبا بجير قد أشرف على الموت،[2] فأظهرت المُرجئةُ الشماتةَ به . فخرج السيّد متحرّقًا حتى اكترى سفينةً وخرج إليها، وأنشأ يقول :

تَبَاشَر أهلُ تَدْمُرَ[3] إذ أتاهم * بأمر أميرنا لهمُ بَشيرُ
ولا لأميرِنا ذنبٌ إليهم * صغيرٌ فى الحياة ولا كبير
سوى حبّ النبيّ وأقرَبِيه * ومولاهم بحبّهمُ جدير
وقالوا لى لكَيما يُحزِنونى * ولكن قولهم إفْكٌ وزور
لقد أمسى أخوك أبو بجير * بمنزله يُزار ولا يَزور
وظلّت شيعةُ الهادى علىٍّ * كأنّ الأرض تحتهمُ تمور
فبِتُّ كأنّنى مما رَمَوْنى * به فى قِدّ[4] ذى حَلَقٍ أسيرُ

---

(١) ميبختج : كلمة فارسية مركبة من لفظين : « مى » ومعناها النبيذ ، كما سيذكره المؤلف ، و « بختج » أى مطبوخ .
(٢) هذه العبارة هكذا بالأصول . وظاهر أنها مضطربة . ولعلها : « وبلغ السيد أن أبا بجير وهو بالأهواز الخ » لتلتئم مع الكلام الآتى بعد .
(٣) تدمر : مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام . زعم قوم أنها مما بناه الجن لسليمان
(٤) فى الأصول : « قر » بالراء المهملة . ولعلها محرفة عما أثبتناه . والقد (بالكسر) : سير يقد من جلد . ويقال لكل محبوس فى قد : أسير .

كأنّ مدامعى وجفونَ عينى * تُوَخَّـــز[1] بالقَتاد فهنّ عُور

أقول عَــلىَّ للرحمن نَذْرٌ * صحيحٌ حيث تُحْتَبس النّذور

بمكة، إن لقِيتُ أبا بُجَيـرٍ * صحيحًا والّلـواءُ له يسـير

٢٤ / ٧

وهى قصيدة طويلة .

رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وأنشده قصيدته العينيـــة

وروى محمد بن عاصم عن أبى داود المسترق عن السيّد :

أنه رأى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى النوم، فآستنشده فأنشده قولَه :

لأمّ عمـرو باللوى مَرْبَعُ * طـامِسةٌ أعلامُـه بَلْقَعُ

حتى آنتهى إلى قوله :

قالوا له لو شئتَ أعْلَمْتنا * إلى مَنِ الغـايةُ والمَفْزَعُ

فقال : حسبُك ! ثم نَفَض يدَه وقال : قد والله أعلمتُهم .

مرضه ووفاته

وروى أبو داود و إسماعيل بن السّاحر: أنهما حَضَرا السيّدَ عند وفاته بواسط وقد أصابه شَرَى[2] وكَرْب[3]، فجلس ثم قال : اللهـمّ أهكذا جَزائى فى حبّ آل محمد ! قال : فكأنها كانت نارًا فطَفِئتْ عنه .

وأخبرنى محمد بن العباس اليَزيدىّ بإسنادٍ له لم يحضُرنى وأنا أُخَرِّجه إن شاء الله تعالى قال :

قال شعرا وهو يحتضر فى التبرؤ من عثمان والشيخين

حدّثنى من حضر السيّدَ وقد آحتُضِر فقال :

بَرِئتُ إلى الإله من آبن أرْوَى[4] * ومن دِين الخـوارج أجمعينا

(١) كذا فى حـ ، ء ، أ . وفى سائر الأصول : «توتر» بالراء المهملة وهو تصحيف . والقتاد: الشوك. (٢) الشرى: داء يأخذ فى الجلد أحمر كهيئة الدراهم . (٣) كذا فى تجريد الأغانى. وفى الأصول : «طرب» . (٤) يعنى بابن أروى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنـه . وأروى : أمه . وهى أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس .

ومن فُعَلٍ بَرِئتُ[1] ومن فُعَيْل * غداةَ دُعِى أميرَ المؤمنينا

ثم كأن نفسه كانت حَصَاةً فسقطتْ .

بلغ المنصور أن أهل واسط لم يدفنوه فقال لئن صح لأحرقنها

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن أبى الهُذَيْل العلّاف عن أبى جعفر المنصور قال :

بلغنى أن السيّد مات بواسط فلم يَدْفِنوه . والله لئن تحقّق عندى لأحرِقنّها ! .

ترحم عليه جعفر ابن محمد

ووجدتُ فى بعض الكتب : حدّثنى محمد بن يحيى اللؤلؤىّ قال حدّثنى محمد بن عباد بن صُهَيْب عن أبيه قال :

كنتُ عند جعفر بن محمد ، فأتاه نعْىُ السيّد ، فدعا له وترحّم عليه . فقال رجلٌ : يا ابنَ رسول الله ، تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمن بالرَّجْعة ! فقال :
١٠ حدّثنى أبى عن جَدّى أن مُحِبِّى آلِ محمد لا يموتون إلّا تائبين وقد تاب ، ورفَع مُصَلًّى كانت تحته ، فأخرج كتابًا من السيّد يعرّفه فيه أنه قد تاب ويسأله الدعاء له .

عاش الى خلافة الرشيد ومدحه

وذكر محمد بن إدريس العَتْبِىّ[2] أنّ مُعَاذ بن يزيد الحِمْيَرىّ[3] حدّثه أن السيّد عاش الى خلافة هارون[4] الرشيد وفى أيامه مات ، وأنّه مدَحه بقصيدتين فأمر له ببَدْرتين ففرّقهما . فبلغ ذلك الرشيدَ فقال : أحسب أبا هاشم تورّع عن قبول جوائزنا .

لما مات أحضر له سبعون كفنا

١٥ اخبرنى ابن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثنا إبراهيم بن عبد الله الطّلْحىّ قال حدّثنى إسحاق بن محمد بن بَشير بن عَمّار الصَّيْرفىّ عن جدّه بشير بن عمّار قال :

---

(١) فى ب ، س : «بريب» وهو تصحيف . ويعنى بفعل وفعيل أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما .

(٢) فى حـ : «العيسى» . (٣) فى حـ : «معاذ بن سعيد» . (٤) جاء فى فوات

٢٠ الوفيات ص ٢٤ أنه مات فى أول خلافة الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة وولد سنة خمس ومائة .

حضرت وفاة السيّد فى الرُّمَيلة[1] ببغداد، فوجّه رسولا الى صفّ الجزّارين[2] الكوفيّين يُعْلمهم بحاله ووفاته، فغلِط الرسولُ فذهب الى صفّ السموسين[3]، فشتموه ولعنوه، فعلم أنه قـد غَلِط، فعاد الى الكوفيّين يُعْلمهم بحاله ووفاته، فوافاه سبعون كفنًا . قال : وحضرناه جميعا وإنه ليتحسّر تحسّرا[4] شـديدا وإن وجهه لأسودُ كالقَار وما يتكلّم، إلى أن أفاق إفاقةً وفتح عينيه فنظر الى ناحية القِبـلة ثم قال : يا أمير المؤمنين، أتفعل هـذا بوليّك ! قالها ثلاث مرّات مرّةً بعد أخرى . قال : فتجلّى والله فى جبينه عِرْقُ بياض، فما زال يتّسع ويَلْبَس وجهَـه حتى صار كلّه كالبدر[5]، وتوفّى فأخذنا فى جهازه ودفنّاه فى الجُنَيْنة ببغداد، وذلك فى خلافة الرشيد .

---

(١) كذا فى جميع الأصول (بتقديم الميم على الياء مصغرا) . وليس فى بغداد مكان يعرف بهذا الاسم إلا « الرملة » — كما فى أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى (ص ٢٧ طبع ليدن) ومعجم البلدان لياقوت — و « الرملية » كما فى الأعلاق النفيسة لابن رستة (ص ٢٤٨ طبع ليدن) . ولعل هذا الاسم محرف عن إحداهما . (٢) فى تجريد الأغانى : « الخرازين » . (٣) كذا فى الأصول . وفى تجريد الأغانى : « السنوسين » . (٤) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « ليتحير تحيرا » . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « كالبرد » .

٢٥
―
٧

صوت
من المائة المختارة

فلا زِلْنَ حَسْرَى ظُلَّعًا لِمْ حَمَلْنها * الى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادقِ

ولا ذَنبَ لى إذقلتُ إذ نحن جيرةٌ * أَثِيبى بودٍّ قبل إحدى البوائق

عروضه من الطويل .

قوله : " فلا زلن حسرى " : دعاء على الإبل التى ظَعَنتْ بها وأبعدتْها عنه . وحسرى : قد حسَرن أى بلَغ منهن الجَهْدُ فلم يُبْقِ فيهن بقيّةً، يقال : حسَر ناقته فهو يحسُرها، وهى حَسْرى، والذَّكر حسير(١)، قال الله عز وجل: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ . وفى الحديث «فإن أتْعبتها حسَرْتها» . والظَّلْعُ فى كل شىء : أن تألم رجلُه فلا يقدر أن يمشى عليها فيغْمِز فى مَشْيه كالأعرج إذا مشى ، ويقال : ظلَع فهو ظالِعٌ . والنائى: البعيد، والنّية : الناحية التى تنوى اليها، والنّوى: البعد، والتنائى : التباعد . والبوائق : الحوادث التى تأتى بما يُحْذَر بغتةً ، وهى مثل المصائب والنوائب .

البيت الأوّل من الشعر لكُثَيِّر، ويقال : إنه لأبى جُنْدَب الهذلىّ . والبيت الثانى لرجل من كِنانة ثم من بنى جَذِيمة، وزعم ابن دَأْب أنه عبد الله بن علْقَمة أحدُ بنى عامر بن عبد مَناة بن كِنانة ، وقيل أيضا : إنه يقال له عمرو الذى قتله خالد بن الوليد فى بعض مَغازِيه التى وجّهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها .

(١) الذى فى معاجم اللغة يخالف ما ذكره المؤلف فى تصريف هذه الكلمة . ففى اللسان (مادة حسر) : « ... ودابة حاسر وحاسرة وحسير الذكر والأنثى سواء ، والجمع حسرى مثل قتيل وقتلى» . يريد أن «حسيرا» مما يستوى فيه المذكر والمؤنث .

الغناء فى اللحن المختار لُمَتَيَّم مولاةِ علىّ بن هشام وأمّ أولاده . ولحنُها رمل بالبنصر، من رواية إسحاق وعمرو؛ وهو من الأرمال النادرة المختارة . وفيه خفيفُ ثقيلٍ، يقال : إنه لحسين بن مُحْرِز، ويقال : إنه قديم من غِناء أهل مكة .

* * *

أخبار عبد الله بن علقمة وتعشقه حبيشة

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغَلَابِىّ قال حدّثنا العباس ٥ ابن بكّار قال حدّثنا ابن دَأْب قال :

كان من حديث عبد الله بن عَلْقَمة أحدِ بنى عامر بن عبد مَناة بن كِنانة أنه خرج مع أُمّه وهو مع ذلك غلام يَفَعةٌ[1] دون المُحْتَلِم لتزورَ جارةً لها، وكان لها بنت يقال لها حُبَيْشة بنت حُبَيْش أحدِ بنى عامر بن عبد مناة بن كِنانة . فلما رآها عبدالله ١٠ ابن علقمة أعجبته ووقعت فى نفسه، وانصرف وترك أُمّه عند جارتها، فلبِثتْ عندها يومين . ثم أتاها عبد الله بن علقمة ليَرْجِعها إلى منزلها، فوجد حُبَيشة قد زُيِّنت لأمرٍ كان فى الحىّ، فازداد بها عَجَبًا، وانصرف بأُمّه فى غَداةٍ تُمطر، فمشى معها شيئا ثم أنشأ يقول :

وما أدرى بَلَى إنّى لأدرى * أصَوْبُ القَطْر أحسنُ أم حُبَيْشُ
١٥ حُبَيْشةُ والذى خلق الهَدَايا * وما عن بُعْدها للصَّبّ عيشُ

فسمِعتْ ذلك أُمّه فتغافَلَتْ عنه وكرِهت قولَه . ثم مَشَيا مَلِيًّا، فإذا هو بظبى على رَبْوةٍ من الأرض، فقال :

يا أُمّتا أَخْبِرِينى غيرَ كاذبةٍ * وما يُريد مَسُولُ الحقّ بالكذب
أتلك أحسنُ أم ظبىٌ برابيةٍ * لا بل حُبَيْشةُ فى عينى وفى أَرَبى

٢٠ (١) غلام يافع ويفعة : شاب .

فزجرته أمه وقالت له : ما أنتَ وهذا ! نُزوِّجك بنتَ عمك فهي أجملُ من تلك .
وأتت آمرأةَ عمه فأخبرتْها خبره، وقالت : زيِّني آبنتَك له ، ففعلتْ وأدخلتْها عليه . ٢٦/٧
فلما رآها أطرق . فقالت له أمه : أيُّهما الآن أحسن ؟ فقال :

إذا غُيِّبتْ عنِّي حُبيشةُ مرّةً * من الدّهر لم أملِكْ عزاءً ولا صبرا
كأنّ الحشى حَرُّ السَّعير يحُشّه(١) * وَقودُ الغضَى والقلبُ مستعِرا(٢)

وجعل يُراسل الجاريةَ وتُراسله حتى علِقته كما علِقها ، وكثُر قولُه للشعر فيها . فمن ذلك قال :

حُبَيشةُ هل جَدّى وجَدُّك جامعٌ * بشَمْلِكمُ شَمْلى وأهلِكمُ أهلى
وهل أنا ملتفٌّ بثوبِك مَرّةً * بصَحْراء بين الأَلْيَتين(٣) الى النخل
وهل أَشتفِي من رِيق ثغرِك مَرّةً * كراحٍ ومسكٍ خالطا ضَرَبَ النَّحْل(٤)

فلما بلغ أهلَها خبرُهما حجبوها عنه مُدّة، وهو يزيد غراماً بها ويُكثر قولَ الشعر فيها .
فأتَوْها فقالوا لها : عِديهِ السَّرْحةَ ، فإذا أتاك فقولى له : نَشَدتُك اللهَ إن كنتَ
أحببتني فوالله ما على الأرض شيءٌ أبغض الىّ منك، ونحن قريبٌ نستمع ما تقولين .
فوعدته وجلسوا قريباً يستمعون، وجلستْ عند السَّرْحة، وأقبل عبد الله لوعدها .
فلما دنا منها دَمَعتْ عينُها والتفتت الى حيث أهلُها جلوسٌ، فعرَف أنهم قريب فرجَع . ١٥
وبلَغه ما قالوا لها أن تقولَه فأنشأ يقول :

لو قلتِ ما قالوا لَزِدتُ جَوًى بكم * على أنه لم يَبْق سِترٌ ولا صبرُ

(١) يقال : حش النار يحشها حشا اذا أوقدها . (٢) كذا في ب، س . وفي سائر الأصول : «والقلب مصفرا» . وكلاهما غير متزن . (٣) كذا في ا، ء، م . وألية : ماءة من مياه بني سليم، وفيها أقوال أخرى . (راجع معجم البلدان لياقوت) . وفي سائر الأصول : «الأثلين» بتقديم الثاء على الياء . ٢٠
والنخل : اسم لمواضع كثيرة . (٤) الضرب (بالتحريك) : العسل الأبيض الغليظ .

ولم يك حتّى عن نوالٍ بذلته * فيُسْلِيَنِى عنــه التجهُّمُ والهجرُ

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ دمعَها * ونظرتَهــا حتى يُغَيِّبَنِى القبــرُ

سرية خالد بن الوليد الى بنى عامر ابن عبد مناة

وبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم على أَثَر ذلك خالدَ بن الوليد إلى بنى عامر بن عبد مَنَاة بن كِنانة وأمره أن يدعوهم الى الإسلام، فإن أجابوه وإلّا قاتلهم[1]. فصبّحهم[2] خالد بن الوليد بالغُمَيْصاء[3] وقد سمِعوا به فخافوه فظَعَنوا، وكانوا قتلوا أخاه الفاكه بن الوليد وعمّه الفاكه بن المغيرة فى الجاهليّة، وكانوا من أشدّ حىّ فى كِنانة بأسًا يُسمَّوْن «لَعَقَة الدّم». فلما صبّحهم خالدٌ ومعه بنو سُلَيْم، وكانت بنو سليم طَلَبتْهم بمالك بن خالد بن صخر بن الشَّريد وإخوتِه كُرْزٍ وعمرو والحارث، وكانوا قتلوهم فى موطن واحد. فلما صبّحهم خالدٌ فى ذلك اليوم ورأَوْا معه بنى سُلَيْم زانهم ذلك نفورا. فقال لهم خالد: أَسْلِموا تَسْلَموا. قالوا: نحن قومٌ مسلمون. قال: فأَلْقُوا سلاحكم وآنزلوا. قالوا: لا والله. فقال جَذِيمةُ[4] بن الحارث أحدُ بنى أَقْرَم: يا قوم، لا تضعوا سلاحكم، والله ما بعد وضع السلاح إلّا القتل. قالوا: لا والله لا نُلْقِى سلاحنا ولا نَنْزِل، ما نحن منك ولا لمن معك بآمِنين. قال خالدٌ: فلا أمانَ لكم

(١) فى كتاب التنبيه والاشراف للمسعودى (ص ٢٦٨ طبع ليدن): «بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يأمره بالقتال». وفى معجم البلدان لياقوت أثناء كلامه على الغميصاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم إنى أبرأ اليك مما صنع خالد» ووداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على يدى على بن أبى طالب رضى الله عنه». وهذا يخالف ماذكره المؤلف فى هذا الخبر. وسيذكر المؤلف فيما سيأتى ما يؤيد روايتهما. (٢) صبح القوم: أغار عليهم صباحا. (٣) الغميصاء: موضع فى بادية العرب قرب مكة، كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة. (٤) الذى فى سيرة ابن هشام: «فقال رجل يقال له جحدم: ويلكم يا بنى جذيمة إنه خالد! والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق. والله لا أضع سلاحى أبدا. قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا: يا جحدم، أتريد أن تسفك دماءنا ...» ثم ذكر القصة بخلاف ما ذكره أبو الفرج. (أنظر السيرة ص ٨٣٤ طبع أوربا).

إن لم تنزلوا . فنزلتْ فرقةٌ منهم فأسرهم، وتفرّق بقيّةُ القوم فرقتين، فأصعدتْ فرقةٌ وسفلتْ فرقةٌ أخرى .

رواية عبد الله بن أبي حدرد لما وقع لعبد الله بن علقمة مع حبيشة وهو يقتل

قال آبن دأب : فأخبرني من لا أتّهم عن عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمىّ قال: كنتُ يومئذ في جند خالد، فبعثنا في أثر ظُعُنٍ(1) مُصعِدةٍ يسوق بهنّ فتيةٌ، فقال : أدْرِكوا أولئك . قال : فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم وقد مضَوْا، ووقف لنا غلام شابٌّ على الطريق . فلما آنتهينا اليه جعل يقاتلنا وهو يقول :

٢٧ / ٧

أَرْخِينَ(2) أطرافَ الذُّيول وآرْبَعْنْ * مَشْيَ حَيِيَّاتٍ كأن لم يَفْزَعْنْ

* إن يُمْنَعِ اليومَ نساءٌ تُمْنَعْنْ *

فقاتلنا طويلا فقتلناه ، ومضينا حتى لحقْنا الظُّعنَ ، فخرج الينا غلام كأنه الأوّل ، فجعل يقاتلنا ويقول :

أُقسم ما إن خادرٌ(3) ذو لِبْدَه * يزأر بين أيكةٍ ووَهْدَه

يفرِس شُبّانَ الرجال وَحْدَه * بأصدق الغداةَ منّى نَجْدَه

فقاتلنا حتى قتلناه ، وأدركنا الظُّعُن فأخذناهنّ، فإذا فيهن غلامٌ وضيءٌ به صفرةٌ في لونه كالمنهوك، فربَطْناه بحبل وقدّمناه لنقتله؛ فقال لنا: هل لكم فى خير؟ قلنا : وما هو؟ قال : تُدركون بى الظُّعنَ أسفلَ الوادى ثم تقتلوننى؛ قلنا: نفعل . فخرجنا حتى نُعارضَ الظُّعُنَ أسفلَ الوادى . فلما كان بحيث يَسْمعن الصوتَ، نادى بأعلى صوته: اِسْلَمى حُبَيْش، عند نَفاد العيش. فأقبلت اليه جاريةٌ بيضاء حسناءُ فقالت :

---

(1) الظعن (بسكون العين وضمها) : جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج . (2) فى سيرة ابن هشام (المطبوعة بهامش الروض الأنف للسهيلى ج ٢ ص ٢٨٦ طبع مطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ هـ): "رخين أطراف المروط". والموجود فى معاجم اللغة : «أرخاه» و «زاخاه» . فلعل الألف سقطت من الطابع .
(3) الأسد الخادر : المقيم فى عرينه .

وأنت فاسلم على كثرة الأعداء، وشدّة البلاء . فقال : سلامٌ عليكم دهرا، و إن بقيت[1] عصرا . قالت : وأنت سلامٌ عليك عشرا، وشَفْعاً تَتْرى، وثلاثا وِتْرا . فقال :

إن يقتلونى يا حبيشُ فلم يَدَعْ * هواكِ لهم منّى ســوى غُلّة الصدر

وأنتِ التى أخليتِ لحمىَ من دمى * وعظمى وأسبلتِ الدموعَ على نحرى

فقالت له :

ونحن بكينا من فراقك مرّةً * وأُخرى وآسيْناك فى العسر واليسر

وأنت — فلا تَبْعَدْ فنعم فتى الهوى — * جميــلُ العفاف فى المودّة والسّــتر[2]

فقال لها :

أرَيْتَكِ إن طالبتُكم فوجدتُكم * بحَلْيَــةَ[3] أو أدركــتُكم بالخَوانِق[4]

ألم يك حقًّا أن يُنَوَّل عاشــقٌ * تكلَّف إدلاجَ السُّرَى والودائِق[5]

فقالت : بَلَى والله . فقال :

فلا ذنبَ لى إذ قلتُ اذ نحن جيرةٌ * أثِيبِى بودٍّ قبــل إحدى البــوائِقِ

أثيبى بودّ قبــل أن تَشْحَط النّوى * ويَنْأى خليطٌ بالحبيب المفــارق

قال ابن أبى حَدْرَد : فضربنا عُنقَه ، فتقحّمت الجاريةُ من خِدْرها حتى أتت نحوَه فالتقمتْ فاه ، فنزعنا منها رأسَه و إنها لتَكْسَع[6] بنفسها حتى ماتت مكانَها . وأفات

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وأنت » وهو تحريف . (٢) كذا بالأصول . ولعلها : « والبر » . (٣) كذا فى نسخة المرحوم الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه وشرح الزرقانى على المواهب اللدنية (ج ٣ ص ٥ طبع بولاق) . وحليــة : واد بتهامة أعلاه لهذيل ، وأسفله لكنانة . وفى ب ، س : «بجيلة» . وفى سائر الأصول : «بحقوة» وكلاهما تحريف . (٤) الخوانق : جمع خانق ، وهو موضع بتهامة وقعت فيه حرب بين إياد بن نزار و إخوتها مضر و ربيعــة فانهزمت إياد ، وأصبح من بلاد كنانة بن خزيمة . (٥) الوداثق : جمع وديقة وهى شدّة الحر فى الهاجرة .

(٦) تكسع : تضرب .

من القوم غلامٌ من بنى أقْرَم يقال له السُّمَيْدَع حتى ٱقتحم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع خالد وشكاه .

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل خالد فأرسل عليا رضى الله عنه لأهل القتلى فوداهم

٢٨ / ٧

قال ٱبنُ دأب: فأخبرنى صالح بن كَيْسان أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله "هل أنكر عليه أحدٌ ماصنع"؟ فقال : نعم، رجل أصفرُ رَبْعةٌ ورجل أحمرُ طويلٌ . فقال عمر : أنا والله يا رسول الله أعرفهما، أمّا الأوّل فهو ٱبنى وصِفَتُه، وأما الثانى فهو سالم مولى أبى حُذَيْفة . وكان خالد قد أمر كلَّ من أسَرَ أسيرًا أن يضربَ عنقه، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبى حُذيفة أسيرين كانا معهما . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّا رضى الله عنه بعد فَراغه من حُنَيْن وبعث معه بإبِلٍ ووَرِقٍ وأمره أن يَدِيَهم فوداهم، ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله فقال علىّ : قدِمتُ عليهم فقلتُ لهم : هل لكم أن تَقبَلوا هذا الجملَ بما أُصيب منكم من القَتْلِ والجَرْحى وتُحَلِّلوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا نعم . فقلتُ لهم : فهل لكم أن تقبلوا الثانى بما دخلكم من الرَّوْع والفَزَع ؟ قالوا نعم . فقلتُ لهم : فهل لكم أن تقبَلوا الثالثَ وتُحَلِّلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا عَلِمَ وممّا لم يَعْلَم ؟ قالوا نعم . قال : فدفعتُه اليهم، وجعلتُ أَدِيهم، حتى إنى لأَدِى مِيلَغةَ(١) الكلب، وفضَلَتْ فَضْلةٌ فدفعتُها اليهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أفقَبِلوها؟ " قال نعم . قال : " فوالذى أنا عبده لهى أحبّ الىّ من حُمْر النَّعَم " .

وقالت سَلْمى(٢) بنت عُمَيْس :

وكم غادروا يومَ الغُمَيْصاء من فتًى * أُصيب فلم يَجْرَح وقد كان جارحا

(١) الميلغة : الاناء الذى يلغ فيه الكلب . (٢) هى أخت أسماء بنت عميس زوجة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وقد وردت هذه الأبيات فى سيرة ابن هشام باختلاف فى كلماتها ، وذكر أن بعضهم يقول : إنها لسلمى وآخر يقول : إنها لقائل من بنى جذيمة .

ومن سـيّد كهل عليه مَهابةٌ * أُصيب ولمّا يَعْلُه الشيبُ واضحا

أحاطت بخُطّاب الأَيامى وطلّقت[1] * غداتئذ من كان منهنّ ناكحا

ولولا مقـالُ القوم للقوم أسلِموا * للاقت سُـلَيمٌ يوم ذلك ناطحا

ما وقع بين قريش وبين بنى عامر بن عبد مناة فى الجاهلية

قال ابن دأب : وأمّا سببُ قتلهم القرشيّين ، فإنه كان نَفَرٌ من قريش بضعةَ عشرَ أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بنى عامر بن عبد مَناة بن كنانة ، وكان يقال لهم " لعَقَـةُ الدّم " وكانوا ذوى بأس شديد . فجاءت اليهم بنـو عامر فقالوا للقرشيّين : إيّاكم أن يكون معكم رجل من فَهْم ؛ لأنه كان له عندهم ذَحْل . قالوا : لا والله ما هو معنا ، وهو معهم . فلما راحوا أدركهم العامريّون ففتّشوهم فوجدوا الفَهْمِيّ معهم فى رِحالهم ، فقتلوه وقتلوهم وأخذوا أموالهم . فقال راجزهم :

إنّ قريشًا غَدَرتْ وعادَهْ * نحن قتلنـا منهـمُ بِغَادَهْ[2]

* عشرين كهلا مالهم زِيادَهْ *

وكان فيمن قُتل يومئذ عفّان بن أبى العاصى أبو عثمان بن عفّان ، وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف ، والفـاكه بن المُغيرة ، والفاكه بن الوليد بن المُغيرة . فأرادت قريشٌ قتالَهم حتى خَذَلتْهم بنو الحارث بن عبد مَنَاة فلم يفعلوا شيئا . وكان خالد بن عبيد الله أحد بنى الحارث بن عبـد مَنَاة فيمن حضر الوَقْعةَ هو وضِرار[3] . فأشار الى ذلك ضرار بن الخطاب بقوله :

(١) فى الروض الأنف للسهيلى (ج ٢ ص ٢٨٥ طبع مصر) ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على الغميصاء : «ألظت» . وألظ بالشىء ولظ به : لزمه . (٢) غادة : موضع فى ديار كنانة . قال ساعدة :

فما راعهم إلا أخوهم كأنه * بغادة فتخاء الجناح كسير

(عن معجم ما استعجم للبكرى) . (٣) هو ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشى الفهرى أحد الأشراف والشعراء المعدودين والأبطال المذكورين ، من مسلمة الفتح ، وهو رئيس بنى فهر ، وقد شهد فتوح الشأم . (انظر شرح القاموس مادة ضرر) .

دعوتُ الى خُطَّةٍ خالدًا * من المجد ضَيَّعها خالدُ
فو الله أدرى أضَاهَى بها (١) * بَنِى العَمِّ (٢) أم صدرُه باردُ
ولو خالدٌ عاد فى مثلها * لتَابَعه عُنُقٌ (٣) وارِد

وقال ضِرَارٌ أيضا :

٥ أرى ٱبْنَىْ لُؤَىٍّ (٤) أسرَعا أن تَسالما * وقد سلكت أبناؤها كلَّ مَسْلَك
فإن أنتمُ لم تثأَروا برجالكم * فَدُوكوا (٥) الذى أنتم عليه بمِدْوَك (٦)
فإن أداةَ الحرب ماقد جمعتمُ * ومن يَتَّقِ الأقوامَ بالشرِّ يُترَك

٢٩
٧

سرايا النبىّ صلى الله عليه وسلم يوم الفتح الى قبائل كنانة

فلما كان يومُ فتح مكة بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجيوش الى قبائل بنى كنانة حولَه ، فبعث الى بنى ضَمْرة نُمَيْلةَ بن عبد الله اللّيثىّ ، والى بنى الدُّئِل عمرو
١٠ ابن أُمَيّة الضَّمْرىّ ، وبعث الى بنى مُدْلِج عيّاش بن أبى رَبيعة المخزومىّ ، وبعث الى بنى بَغِيض ومحارب بن فهر عبدَ الله بن نَهِيك أحدَ بنى مالك بن حِسْل ، وبعث الى بنى عامر بن عبد مَنَاة خالدًا . فوافاهم خالدٌ بماء يقال له الغُمَيْصاء ، وقد كان خبرُه سقط اليهم ، فمضى منهم سلَفٌ قتله بقوم منهم ، يقال لهم بنو قيس بن عامر وبنو قُتَين (٧) بن عامر وهم خيرُ القوم وأشرفُهم ، فأُصيب من أُصيب . فلما أقبل خالد

١٥ (١) النفى مقدر هنا ، أى فو الله لا أدرى . وحذف حرف النفى فى مثل هذا الموضع قياسى . وشرطه أن يكون الحرف «لا» وبعده فعل مضارع جواب لقسم . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «من» وهو تحريف . (٣) عنق وارد : متدل ، يكنى بذلك عن موته .
(٤) هو لؤى بن غالب بن فهر واليه ينتهى عدد قريش وشرفها . وولده كعب بن لؤى وعامر بن لؤى وسامة بن لؤى وسعد بن لؤى وخزيمة بن لؤى والحارث بن لؤى وعوف بن لؤى . ومن هؤلاء تحدر بطون
٢٠ وأفخاذ . ولم ندر من المعنىّ فى هذا الشعر . (٥) فدوكوا : اسحقوا . (٦) كذا فى حـ ونسخة الشيخ الشنقيطى مصححة بقلمه . والمدوك : حجر يسحق به الطيب . وفى سائر الأصول : «بمدرك» بالراء وهو تحريف . (٧) فى حـ : «بنو قتين» بالنون .

ودخل المدينةَ قال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : "يا خالدُ مادعاك الى هذا"! قال: يا رسول الله آيات سَمِعتُهنّ أُنزلت عليك . قال : "وما هى" ؟ قال : قولُ الله عزّ ذكرُه : ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ وجاءنى ٱبنُ أُمّ أَصْرَمَ فقال لى : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تقاتِلَ . فحينئذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فوداهم .

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا سعد بن أبى نصر قال حدّثنا سفيان ابن عُيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحِق عن رجل من مُزَيْنة يقال له ابن عاصم (1) عن أبيه قال :

بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سَرِيّة وأمرَنا ألّا نقتل أحدًا إن رأينا مسجدًا أو سمعنا أذانًا — قال وَكيع وأخبرنى أحمد بن أبى خَيْثَمة قال حدّثنا إبراهيم ٱبن بَشّار الرَّمادىّ قال حدّثنا سفيان بن عُيينة عن عبدالملك بن نَوْفل عن ٱبن عاصم هذا عن أبيه بهذا الحديث قال — :

فبينا نحن نسير إذا بفتًى يسوق ظعائنَ ، فعرَضْنا عليه الإسلامَ فإذا هو لا يعرفه ، فقال : ما أنتم صانعون بى إن لم أُسْلِم؟ قلنا : نحن قاتِلُوك . قال : فدَعُونى أَلْحَقْ هذه الظعائنَ ، فتركناه ، فأتى هودجًا منها وأدخل رأسه فيه وقال : اسْلَمِى حُبَيْش ، قبل نَفَاد العيش . فقالت : وأنت فأسلم تِسْعا وترا ، وثمانيًا تَترى ، وعشرًا أخرى . فقال لها :

فلا ذنبَ لى قد قلتُ إذ نحن جيرةٌ * أثيبى بودٍّ قبــل إحدى البوائـقِ
أثيبى بودّ قبــل أن تَشْحَط النَّوَى * ويَنْأى أمــيرٌ بالحبيب المُفــارق

(1) فى ب ، سـ : «عصام» .

قال : ثم جاء فضربنا عنقه . فخرجتْ من ذلك الهودج جاريةٌ جميلة فجَنَأتْ[١] عليه، فما زالت تبكي حتى ماتت .

حديث خالد للنبي صلى الله عليه وسلم عن غزوته بني جذيمة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وعمرو بن عبد الله العَتَكيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

٥ يُروى أن خالد بن الوليد كان جالسًا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم، فسُئل عن غزوته بَني جَذِيمة فقال : إنْ أذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحدّثتُ . فقال : "تحدّثْ" . فقال : لقيناهم بالغُمَيْصاء عند وجه الصبح ، فقاتلناهم حتى كاد قرنُ الشمس يَغيبُ ، فمنَحنا اللهُ أكتافَهم فتبِعْناهم نطلبهم، فإذا بغلام له ذوائبُ على فرس ذَنُوبٍ[٢] في أُخْرَياتِ القوم ، فبوّأتُ[٣] له الرمح فوضعتُه بين كتفيه ؛ فقال : لا إله ،

١٠ فقبضتُ عنه الرمحَ؛ فقال : إلّا اللاتَ أحسنتْ أو أساءتْ. فهمستُه[٤] همْسةً أذْرَيْتُه وَقِيذًا[٥]؛ ثم أخذتُه أسيرا فشددتُه وَثاقًا؛ ثم كلمته فلم يكلّمني، وآستخبرتُه فلم يُخبرني. فلما كان ببعض الطريق رأى نِسوةً من بني جَذِيمة يسوق بهنّ المسلمون، فقال : أياخالد ! قلتُ : ما تشاء ؟ قال : هل أنت واقِفي على هؤلاء النِّسوة ؟ ! فأتيتُ على أصحابي فمطتُ، وفيهن جارية تُدْعَى حُبَيْشة ؛ فقال لها : ناوليني يدَك فناولته

١٥ يدَها في ثوبها؛ فقال : اسلمي حبيش، قبل نَفَاد العيش . فقالت : حُيِّيتَ عشرا، وتسعا وترا، وثمانيا تَتْرى . فقال :

أرَيْتَكِ إن طالبتُكم فوجدتكم * بِحَلْيَةَ أو أدركتُكم بالخَوانِق
ألم يَكُ حقًّا أن يُنَوَّل عاشقٌ * تكلّف إدلاجَ السُّرَى والودائق

(١) جنأت عليه : أكبت عليه . وفي الأصول : «جفات» وهو تحريف .

٢٠ (٢) الذنوب : الفرس الوافر الذنب . (٣) بوأ الرمح : سدده وهيأه . (٤) همسه : أخذه أخذا شديدا وعصره . (٥) الوقيذ : الدنف المشرف على الموت .

وقد قلتُ إذ أهلى لأهلك جيرةٌ * أثيبى بودّ قبل إحدى الصّعائق

أثيبى بودٍّ قبل أن تَشْحَطَ النّوى * وينأى أميرٌ بالحبيب المفارق

فإنّى لا ضيّعتُ سرَّ أمانةٍ[1] * ولا راقَ عينى بعد عينك رائقُ

سوى أنّ ما نال العشيرةَ شاغلٌ * عن الودّ إلا أن يكون التّوامقُ

فلما جاء على حاله تلك قدّمتُه[2] فضربتُ عنقه . فأقبلت الجارية و وضعتْ رأسه ٥
فى حِجْرها وجعلت تَرْشُفُه وتقول :

لا تَبْعَدَنْ يا عمرو حيًّا وهالكا * فحقّ بحسن المدح مثلُك من مثلى

لا تَبْعَدن يا عمرو حيًّا وهالكا * فقد عشتَ محمودَ الثّنا ماجدَ الفعل

فمَنْ لطِرَاد الخيل تُشْجَر[3] بالقَنَا * وللفخر يومًا عند قَرْقَرة البُزْل[4]

وجعلت تبكى وتُردّد هذه الأبيات حتى ماتت و إن رأسه لفى حِجْرها . فقال رسول ١٠
الله صلى الله عليه وسلم : "لقد رُفِعتَ لى يا خالد و إن سبعين مَلَكًا لمُطيفون بك
يحضّونك على قتل عمرو حتى قتلتَه" .

أبو السائب المخزومى وطربه بصوت شغله عن الفطور والسحور وكان صائما

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدّثنا
الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عبد الله بن المُنْذِر عن صفيّة بنت الزبير بن هشام قالت :

كان أبو السائب المخزومىّ رجلا صالحًا زاهدًا متقلّلا يصوم الدّهرَ، وكان أرقَّ ١٥
خلق الله وأشدَّهم غَزَلا . فوجّه ٱبنَه يومًا يأتيه بما يُفطر عليه ، فأبطأ الغلامُ الى
العَتَمة . فلما جاء قال له : يا عدوَّ نفسه، ما أخّرك الى هذا الوقت؟ قال: جُزْتُ بباب

(١) فى هذا البيت والذى يليه إقواء وهو اختلاف حركة الروى . (٢) فى الأصول : «فقدمته» .
(٣) تشجر : تطعن . (٤) كذا فى نسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه . والبزل : جمع بازل وهو البعير
فى السنة التاسعة . والقرقرة : دعاء الابل ، وهى أيضا هدير الفحل . وفى الأصول : « وللعجز يوما عند ٢٠
قرقرة البذل » وهو تحريف .

بنى فلان فسمعتُ منه غناءً فوقفتُ حتى أخذتُه . فقال : هاتِ يا بُنىّ ، فوالله لئن كنتَ أحسنتَ لأَحْبُوَنّك ، ولئن كنتَ أسأتَ لأضربنّك . فآندفع يغنّى بشعر كثيِّر :

ولما عَلَوْا شَغْبًا[1] تبيّنتُ أنه * تقطّع من أهل الحجاز علائِقِى[2]

فلا زِلْن حَسْرى ظُلَّعًا لِمْ حَمَلْنها * الى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادقِ

٥ فلم يَزَل يغنّيه الى نصف الليل . فقالت له زوجتُه : يا هـذا ، قد آنتصف الليلُ وما أفطَرنا . قال لها : أنتِ طالقٌ إن كان فَطُورُنا غيرَه . فلم يزل يغنّيه الى السَّحَر . فلما كان السَّحَرُ قالت له زوجتُه : هذا السَّحرُ وما أفطَرْنا ! فقال : أنتِ طالقٌ إنْ كان سَحُورُنا غيرَه . فلما أصبح قال لآبنه : خُذْ جُبّتى هـذه وأعطِنى خَلَقَك ليكون الحِبَاءُ فَضْلَ ما بينهما . فقال له : يا أبَتِ ، أنت شيخٌ وأنا شابٌّ وأنا أقوى على البرد منك . قال : يا بنىّ ، ما ترك صوتك هذا للبرد علىّ سبيلاً ما حَيِيتُ[3] .

٣١/٧

١٠

شعر لسليمان بن أبى دباكل

أخبرنى وَكيع قال أنشدنا أحمد بن يزيد الشَّيْبانىّ عن مصعب الزُّبَيْرىّ لسليمان آبن أبى دُباكل[4] قال :

فهلّا نظرتَ الصبحَ يا بَعْلَ زينبٍ * فتقْضِىَ لُبَاناتُ الحبيبِ المفارقِ

يَروح إذا يُمسى حنينًا ويَغتدى * وتهجيرُه عنـد آحتدام الودائقِ

---

(١) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى ونسخة المرحوم الأستاذ الشنقيطى مصححة بوضع نقطة على العين بقلمه . وشغب : منهل بين طريق مصر والشأم . (عن معجم ما استعجم للبكرى) . وفى سائر الأصول : « شعبا » بالعين المهملة ، وهو تصحيف . (٢) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى ونسخة الشيخ الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى الأصول : « علائق » بدون ياء . (٣) كذا وردت هذه العبارة فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٤ ص ٢١٧ طبعة أولى . وفى الأصول : « ... ما الى ترك صوتك هـذا للبرد عندى سبيل ما حييت » . (٤) سليمان بن أبى دباكل : شاعر خزاعىّ من شعراء الحماسة .

١٥ ٢٠

فَطِرْ جاهدًا أو كن حليفًا لصخرةٍ * مُمَنَّعةٍ فى رأس أَرْعَنَ شاهِق

فما زال هذا الدهرُ من شؤم صَرْفِه * يُفَرِّق بين العاشقين الأوامق

فَيُبْعِدنا ممن نُريد اقترابَه * ويُدْنى إلينا من نُحِبّ نُفَارق[1]

ولما علَوْا شَغْبًا تبيّنتُ أنه * تقطّع من أهل الحجاز علائِقِى

فلا زِلْن حَسْرى ظُلَّعًا لِمْ حَمَلْنها * الى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادق

(١) فى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ .

ذكر مُتَيَّم الهشاميّة وبعض أخبارها (١)

كانت مُتيَّم صفراءَ مولَّدةً من مُولَّدات البصرة، وبها نشأتْ وتأدّبتْ وغنّتْ . وأخذت عن إسحاق وعن أبيه من قبله وعن طبقتهما من المغنّين . وكانت من تخريج بَذْل (٢) وتعليمها . وعلى ما أخذتْ عنها كانت تعتمد . فاشتراها عليّ بن هشام بعد ذلك، فازدادتْ أخْذًا (٣) ممّن كان يغشاه من أكابر المغنّين . وكانت من أحسن الناس وجهًا وغناءً وأدبًا . وكانت تقول الشعر ليس ممّا يُستجاد، ولكنّه يُستحسن من مثلها . وحَظِيَتْ عند عليّ بن هشام حُظوةً شديدة ، وتقدّمتْ على جواريه جُمَع (٤) عنده، وهي أمّ وَلَدِه كلّهم .

مغنية شاعرة اشتراها علي بن هشام وهي أم ولده

وقال عبد الله بن المعتز فيما أخبرني عنه محمد بن إبراهيم قُرَيْش قال أخبرني الحسن ابن أحمد المعروف بأبي عبد الله الهشاميّ قال :

كانت مولاة للبانة واشتراها منها علي ابن هشام وأولدها

كانت مُتيَّم لِلُبانَةَ بنت عبد الله بن إسماعيل المَراكِبي (٥) مولى (٦) عَريب، فاشتراها عليّ بن هشام منها بعشرين ألف درهم وهي إذ ذاك جُوَيْرِية ، فولدتْ له صفيّة

(١) كذا في حـ وهو الصواب ، نسبة إلى علي بن هشام وكان قد اشتراها وحظيت عنده ، كما سيأتي بعد قليل . وفي سائر الأصول : « الهاشمية » وهو تحريف . (٢) كان من أمراء المأمون وقواده تولى له حرب بابك الخرمي . ثم غضب عليه لأنه كان استعمله على أذربيجان وغيرها ، فبلغه ظلمه وأخذه الأموال وقتله الرجال فأمر بقتله . (راجع الطبري وابن الأثير في حوادث سنة ٢١٧ هـ) .

(٣) كذا في نهاية الأرب للنويري (ج ٥ ص ٦٢ طبع دار الكتب المصرية) نقلا عن أبي الفرج . وفي ب ، س : « فما آزددت أحدا » وفي سائر النسخ : « فان زاوت أحدا » وكلاهما تحريف .

(٤) في الأصول : « على جواريه أجمع » . وتأكيد جمع الإناث إنما هو « جمع » .

(٥) سترد له أخبار في الأغاني (ج ١٠ ص ١٢٦ وج ١٨ ص ١٨٥ — ١٨٦ طبع بولاق) .

(٦) في ب ، س : « مولاة » وهو تحريف .

وتُكنى أمَّ العباس، ثم ولَدت محمدا ويُعرف بأبى عبد الله، ثم ولَدت بعده ٱبنًا يقال له هارون ويعرف بأبى جعفر، سمّاه المأمونُ وكنّاه لمّا وُلِد بهذا الاسم والكُنْية. قال: ولمّا تُوفّى علىّ بن هشام عَتَقَتْ. وكان المأمونُ يبعث اليها فتَجيئه فتُغنِّيه. فلمّا خرج المعتصمُ الى سُرَّ مَنْ رأى أرسل اليها فأشخصها وأنزلها داخلَ الجَوْسَق فى دار كانت تُسمّى الدِّمشقِىّ وأقطعها غيرَها. وكانت تستأذن المعتصمَ فى الدخول الى بغداد الى ولدها فتزورهم وترجع، ثم ضمّها لمّا خرجتْ قَلَمُ. وقَلَمُ جاريةٌ كانت لعلىّ بن هشام. وكانت متيَّم صفراءَ حلوةَ الوجه.

كانت تغنى المأمون والمعتصم

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أنّ الحسين بن يحيى بن أكثم حدّثه عن الحسن ابن إبراهيم بن رِياح(١) قال:

فضلها عبد الله بن العباس على نفسه

سألتُ عبدَ الله بن العباس الرَّبيعىّ: مَنْ أحسنُ من أدركتَ صَنْعةً؟ قال: إسحاق. قلت: ثم من؟ قال: عَلّويه. قلت: ثم من؟ قال: متيَّم. قلت: ثم من؟ قال: ثم أنا. فعجبتُ من تقديمه متيَّم على نفسه؛ فقال: الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع.

أخبرنى محمد بن الحسن قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

سُئِل عبد الله بن العباس الرَّبيعىّ عن أحسن الناس غناءً. فذكر مثل هذه الحكاية، وزاد فيها أن قال له: ما أُحسِن أن أصنع كما صنعتْ متيَّم فى قوله:

* فلا زِلْن حَسْرى ظُلَّعا لِمْ حَمَلْنها *

ولا كما صنع عَلّويه فى قول الصِّمَّة:

فواحَسْرتى لم أَقْضِ منك لُبانةً(٢) * ولم أتمتّع بالجِوار وبالقُرْب

---

(١) كذا فى حـ، م وسيأتى كذلك فى ج ١٢ ص ١٧ من الأغانى طبع بولاق. وفى سائر الأصول هنا: «درباح» بالباء الموحدة. (٢) فى حـ: «منكم».

قال : فأين عمرو بن بانة ؟ قال : عمرو لا يَضَع نفسه فى الصنعة هذا الموضع، ولكنّه صنع لحنًا فى هذا الغناء .

نسبة صوت عَلّويه

صوت

فواحسرتى لم أقْضِ منك لُبانةً * ولم أتمتّع بالجوار وبالقرب

يقولون هذا آخرُ العهد منهم[1] * فقلت وهذا آخر العهد من قلبى

ألا ياحمامَ الشِّعْب شِعْبِ مراهق * سقتك الغوادى من حمامٍ ومن شِعْب

الشعر للصِّمَّة بن عبد الله القُشَيْرىّ . والغناء فيه لعلّويه ، ثقيل أوّل مطلَق فى مجرى الوسطى. وفيه لمخارق خفيفُ رمل بالوسطى، أوّله : «ألا ياحمام الشعب» ثم الثانى ثم الأوّل . وذكر حبشٌ أن فيه لإسحاق ثانى ثقيل بالبنصر .

تطاول ابراهيم بن المهدى الى منظرة كانت تغنى بها وأخذ منها صوتا

وقال ابن المعتزّ أخبرنى الهشامىّ قال :

كانت متيّمُ ذاتَ يوم جالسةً بين يدى المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدىّ حاضرٌ، فغنّت متيّمُ فى الثقيل الأوّل :

لزينب طيفٌ تعتَرينى طوارقُهْ * هُدُوًّا إذا ما النّجمُ لاحتْ لواحقُهْ

فأشار اليها إبراهيم أن تعيده ، فقالت متيّم للمعتصم : ياسيّدى، إبراهيم يَستعيدنى الصوتَ وكأنه يُريد أن يأخذه، فقال لها: لا تُعيديه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضرًا مجلسَ المعتصم ومتيّمُ غائبةً ، فانصرف إبراهيم بعد حين الى منزله ومتيّم فى منزلها بالمَيْدان[2] وطريقه عليها وهى فى مَنْظَرة لها مشرفة على الطريق وهى تغنّى هذا الصوت

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « منكم » .

(٢) شارع الميدان : محلة ببغداد وهى بشرق بغداد بباب الأزل .

وتَطْرَحُه على جوارى علىّ بن هشام؛ فتقدّم الى المَنْظَرة وهو على دابّته فتطاول حتى أخذ الصوت، ثم ضرب بابَ المنظَرة بمِقْرعته وقال : قد أخذناه بلا حَمْدِك .

طلبها المأمون من على بن هشام فلم يرض

وقال آبن المعتز: وحُدِّثْتُ أنّ المأمون سأل علىّ بن هشام أن يَهبها له وكان بغنائها مُعجَباً[1]، فدفعه بذلك ولم يكن له منها ولد . فلمـا ألحّ المأمونُ فى طلبها حَرَص علىٌّ على أن تَعلَق منه حتى حبِلتْ ويئس المأمونُ منها . فيقال إن ذلك كان سببا لغضبه ٥ عليه حتى قتله .

كان المعتصم يمازحها

وحدّثنى سليمانُ الطَّبَّال[2] انه رأى متيّمَ فى بعض مجالس المعتصم يُمازحهـا ويَجْبِذ ردائهـا .

غنت على بن هشام صوتا أراد اسحاق انتحاله فعوضه عنه ببرذون

وحكَى علىٌّ بن محمد الهشامىّ قال :

١٠ أُهْدِىَ إلى علىّ بن هشام بِرْذَوْنٌ أَشْهبُ قِرْطاسىٌّ[3] وكان فى النّهـاية من الحسن والفَراهة، وكان علىٌّ به مُعْجَبًا، وكان إسحاقُ يَشتهيه شهوةً شـديدة، وعَرّض لعلىّ بطلبه مرارًا فـلم يَرْضَ أن يُعطيَه له . فسار إسحاقُ إلى علىّ يومًا بعَقِبِ صنعة مُتيّم " فلا زِلْن حَسْرَى " فآحتبسه علىٌّ وبعث إلى متيّم أن تجعـل صوتَها هذا فى صدر غنائها ففعلتْ، فأطربَ إسحاقَ إطرابًا شديدا، وجعل يَستردّه، فتَردُّه وتَستوفيه لتزيدَ ١٥ فى إطرابه إسحاقَ وهو يُصغِى اليهـا ويتفهّمه حتى صحّ له . ثم قال لعلىّ : ما فعـل البِرْذَوْنُ الأشهب؟ قال: على ما عهِدتَ من حسنه وفراهته. قال: فآختر الآن منّى خَلّةً من آثنتين: إما أنْ طِبْتَ لى نفساً به وحملتَنى عليه، و إما أن أبيْتَ فأدّعى وابله هذا الصوتَ لى وقد أخذتُه ، أفتُراك تقول : إنه لمتيّم وأقول : إنه لى ويُؤخذ قولُك

٣٣/٧

(١) فى الأصول : « محسنا » . (٢) فى أ ، م : « سلمان » .

٢٠ (٣) القرطاسى : الأبيض الذى لا يخالط بياضه شية .

ويُترك قولي؟! قال : لا والله ما أظنّ هذا ولا أراه؛ يا غلام قُدِ(١) البرذونَ الى منزل أبي محمد بِسَرجه ولجامه، لا بارك اللهُ له فيه ! .

كان إسحاق يرى أنها سرقته

قال عليّ بن محمد وحدّثني أحمد بن حمدون :

أن إسحاق قال لمتيّم لمّا سمع هذا الصوتَ منها : أنتِ أنا فأنا مَنْ! يريد أنها قد حلّت محلّه وساوته .

قال عليّ بن محمد وقال جدّي أبو جعفر :

كانت متيّمُ تقول :

صـــــوت

* فلا زِلْن حسرى ظُلّعا لم حملنها *

الرّمل كلّه .

على بن هشام وعتابه بذل جاريته

وحدّثني الهشاميّ قال مدّ عليّ بن هشام يده الى بَذْل(٢) جاريتِه في عتاب يعاتبها، ثم ندِم على فعله ذلك، ثم أنشأ يقول :

فليتَ يدي بانت غَداةَ مددْتُها * اليك ولم تَرْجِع بكفٍّ وساعد

وغنّت متيّمُ جاريتُه فيه في الثقيل الأوّل؛ فكان يقال لبذل جاريةِ عليّ بذل الصغيرة .

ضرب موسوس بذل بالعود فكان سبب موتها

وحدّثني الهشاميّ قال :

كان(٣) سببُ موت بذل هذه أنها كانت ذاتَ يوم جالسةً عنـد المأمون فغنّته، وكان حاضرًا في ذلك المجلس مُوَسْوِسٌ يُكْنَى بأبي الكَرْكَدَن من أهل طَبَرِسْتان

(١) كذا في نهاية الأرب (ج ٥ ص ٦٣ طبعة أولى) وفي الأصول : «تقدم البرذون» .

(٢) في الأصول : «يد جاريته» وهو تحريف . (٣) وردت هذه الجملة في حـ هكذا : «كان سبب موت بذل هذه وذلك أنها كانت ذات يوم جالسة الخ» . وفي سائر الأصول : «كنت سبب موت بذل هـذه وذلك أنها كانت ذات يوم دالة ... الخ» فاعتمدنا نسخة حـ مع حذف كلمة «وذلك» لنبوها في ذلك الموضع وعدم ملاءمتها السياق .

يضحك منه المأمونُ، فعبثوا به فوثَب عليهم وهرَب الناسُ من بين يديه فلم يبق أحدٌ حتى هرب المأمونُ، و بقيت بذلُ جالسةً والعودُ فى حِجْرها، فأخذ العودَ من يدها وضرب به رأسَها فشجّها فى شابورتها اليمنى[1]؛ فانصرفتْ وحُمّت، وكان سببَ موتها.

تزوّج المعتصم بذل الصغيرة وبقيت فى قصره بعد موته

وحدّثنى الهشامىّ قال :

لما مات علىّ بن هشام ومات المأمونُ، أخذ المعتصمُ جوارىَ علىّ بن هشام كلَّهن فأدخلهنّ القصر، فتزوّج ببَذْل المغنّية و بقيتْ عنده إلى أن مات؛ فخرجت بذلُ الكبيرة والباقون إلا بذلَ الصغيرة لأنها كانت حُرْمَته فلم يُخرجوها[2] .

و يقال : إنه لم يكن فى المغنّين أحسن صنعةً من عَلّويه وعبدالله بن العباس ومتيّم .

شعر ابن الجهم فى متيم الهشامية وأولادها

وفى أولادها يقول علىّ بن الجهم :

بَنِى مُتَيَّمَ هـل تَدْرون ما الخبرُ * وكيف يُسْتَرُ أمرٌ ليس يَسْتَتِرُ
حاجيتُكم مَنْ أبوكم يابَنِى عُصَبٍ * شـتَّى ولكنّما للعاهرِ الحَجَـــرُ[3]

غضبت من على بن هشام وصالحها بشعر

قال : وحدّثنى جدّى قال : كلّم علىُّ بن هشام متيّمَ فأجابته جواباً لم يَرْضَه[4]، فدفع يدَه فى صدرها، فغضِبتْ ونهضتْ، فتثاقلتْ عن الخروج اليه . فكتب اليها :

صـــوت

فليتَ يدى بانتْ غداةَ مَدَدْتُها * اليكِ ولم تَرْجع بكفٍّ وساعد
فإن يَرْجِعِ الرحمنُ ماكان بيننا * فلستُ الى يوم التّنادى بعـائد

غنّته متيّمٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر .

٣٤ / ٧

(١) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصول . وظاهر أنها من أعضاء الرأس ولم نقف عليها فى معاجم اللغة العربية والفارسية . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فلم يخرجها» وهو تحريف .
(٣) العاهر : الزانى؛ أى أن الولد لصاحب الفراش أى لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاها .
(٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «ولم» وهو تحريف .

عتبت على علىّ بن هشام وترضاها ثم كتب اليها فرضيت

قال: وعَتَبت عليه مرّةً فتمادَى عَتْبُها، وترضّاها فلم تَرْضَ[1]، فكتب اليها: الإدلال يدعو الى الإملال، وربّ هجرٍ دعا الى صبر، وإنما سُمّى القلبُ قلبًا لتقلّبه. ولقد صدق العباسُ بن الأحنف حيث يقول:

ما أُرانِى إلّا سأهجُــر من ليـ * ـس يَرانى أَقْوَى على الهِجْرانِ

قد حَدَانِى الى الجفاء وفائى[2] * ما أضرَّ الوفاءَ بالإنســانِ

قال: فخرجتْ اليه من وقتها [ورضيتْ][3].

كانت تهدى للهشامى نبقا لأنه يحبه

وحدّثنى الهشامىّ قال:

كانت متيَّمُ تُحبّنى حبًّا شديدا يتجاوز محبّةَ الأخت لأخيها، وكانت تعلم أنى أُحِبّ النَّبِق، فكانت لا تزال تبعث إلىّ منه. فإنّى لأذكُرُ فى ليلة من الليالى فى وقت السَّحَر إذا أنا ببابى يُدَقّ. فقيل: من هذا؟ فقالوا: خادمُ متيَّم يريد أن يدخل الى أبى عبد الله. فقلتُ: يَدْخل. فدخل ومعه الىّ صِينيّة فيها نَبِقٌ، فقال لى: تُقْرِئك السلام وتقول لك: كنتُ عند أمير المؤمنين المعتصم بالله فجاءوه بنَبِقٍ من أحسن ما يكون، فقلتُ له: يا سيّدى، أَطلُب من أمير المؤمنين شيئا؟ فقال لى: تَطْلُبين ما شئتِ. قالت: يُطْعمنى أميرُ المؤمنين من هذا النَّبِق. فقال لسمانة[4]: اجعل من هذا النَّبِق فى صينية واجعلوها قدّام مُتيَّم؛ فأخذتُه وذلّلتُه [لك][5] وقد بعثتُ به اليك معى،

(١) كذا فى حـ. وفى سائر الأصول: «وقال». (٢) رواية هذا الشطر فى ديوان العباس بن الأحنف طبع مطبعة الجوائب بالآستانة ونهاية الأرب:

* على واثقا بحسن وفائى *

(٣) التكملة عن نهاية الأرب. (٤) هو سمّانة الخادم ويدعى مسرور سمانة (أنظر الكلام عليه فى تاريخ الطبرى (ق٣ ص ١٣٦٧، ١٣٧٤، ١٣٧٧، ١٣٧٨) وفى أكثر الأصول: «لسيانة اجعل» خطأ بالمؤنثة. وفى س: «لشانة اجعل». والظاهر أنهما تحريف من النساخ.

(٥) هذه الكلمة ساقطة فى ب، س.

ثم دفعتْ الىّ دراهم وقالت : هَبْ للحُرّاس هذه الدراهمَ لكى يَفْتَحوا الدُّروبَ لك حتى تصيرَ به اليه .

أراد إسحاق انتحال غناء متيم فعوضه على بن هشام عن ذلك بيرذون

ثم حدثنا الهشامىّ قال :

بعث علىّ بن هشام الى إسحاق فجاء، فأخرج مُتَيَّم جاريتَه اليه؛ فغنّتْ بين يديه :

فلا زِلْن حَسْرَى ظُلَّعًا لِمْ حَمَلْنها * الى بـــلد ناءٍ قليــل الأصادق

فآستعاده إسحاق واستحسنه ، ثم قال له : بكم تَشْتَرى منّى هذا الصوتَ ؟ فقال له علىّ بن هشام : جاريتى تَصنع هذا الصوتَ وأشتريه منك ! قال: قدأخذتُه الساعةَ وأدَّعيه ، فنقول من يُصَدَّق، قولى أو قولُك! فآفتداه منه بِبِرذَوْن اختاره له .

سمع على بن هشام من قلم جارية زبيدة صوتا فأخرجه لجواريه بمائة ألف دينار

وحدّثنى الهشامىّ قال :

سمِع علىّ بن هشام قُدّامَ المأمون من قَلَم جاريةِ زُبَيْدة صوتاً عجيبا، فرشا لمن[1] أخرجه من دار زبيدة بمائة ألف دينار حتى صار الى داره وطُرِح الصوتُ على جَواريه . ولو علمت بذلك زُبَيْدة لأشتدّ عليها، ولو سألها أن توجِّهَ به مافعلتْ .

ذكر إسحاق متيم فى كتابه وكان يتعالى من ذكر غيرها

وحدّثنى يحيى بن علىّ بن يحيى المنجِّم عن أبيه قال :

لمّـا صنعت متيَّمُ اللحنَ فى قوله :

* فلا زِلْن حَسْرَى ظُلَّعًا لِمْ حَمَلْنها *

أُعجِب به علىّ بن هشام، وأسمعه إسحاق فآستحسنه وقال : من أين لك هذا ؟ فقال : من بعض الجوارى . فقال : إنه لعريبٍ؛[2] ولم يزَل يَستعيده حتى قال : إنه لمتيَّمَ؛ فأطرق . وكان متحاملا على المغنّين شديدَ النَّفاسة عليهم كثيرَ الظلم لهم مُسْرِفاً

(١) الذى فى معاجم اللغة أن « رشا » يتعدى الى مفعوله بنفسه .

(٢) كذا بالأصول . والأحرى بهذه الجملة أن تكون هكذا : « فقال : من بعض الجوارى، فاستعاده فقال : إنه لعريب ... الخ » .

فى حظّ درجاتهم ، وما رأيته فى غنائه ذكر لعلّويه ولا مخارق ولا عمرو بن بانة ولا عبد الله بن عبّاس ولا محمد بن الحارث صوتًا واحدا ترفّعًا عن ذكرهم متنصِّبا[1] لهم ، وذكر فى آخر الكتاب قوله :

فلا زلن حسرى ظُلّعًا لِمْ حملْنها * إلى بلد ناءٍ قليلِ الأصادق

٥ ووقّع تحته «لمتيّم» . وذكر آخر كل صوت فى الكتاب ونسب إلى كلّ مغنّ صوته غير مُخارِق وعلّويه وعمرو بن بانة وعبد الله بن عباس فما ذكرهم بشىء .

٣٥/٧

سمعت شاهك جدة على بن هشام صوتها فأعجبت بها وأمرت لها بجائزة

أخبرنا أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثنى ابن المكىّ عن أبيه قال قال لى علىّ ابن هشام :

لمّا قدمتْ علىّ شاهك جدّتى من خراسان، قالت : اعرِض جواريك علىّ، ١٠ فعرضْتُهنّ عليها . ثم جلسنا على الشّراب، وغنّتْنا متيّمٌ . وأطالت جدّتى الجلوس فلم أنبسط الى جوارىّ كما كنتُ أفعل؛ فقلت هذين البيتين :

صـــوت

أتبقَى على هذا وأنتِ قريبةٌ * وقد منع الزُّوّارُ بعضَ التكلُّمِ

سلامٌ عليكم لا سلامَ مودِّعٍ * ولكن سلامٌ من حبيب متيَّمِ

١٥ وكتبتُهما فى رُقعة ورميتُ بها الى متيّم، فأخذتْها ونهضتْ الى الصلاة[2]، ثم عادت وقد صنعتْ فيه اللحنَ الذى يُغَنّى فيه اليوم، فغنّتْ . فقالت شاهك : ما أُرانا إلّا قد

(١) الانتصاب : إظهار العداوة .

(٢) فى نهاية الأرب : « ونهضت لصلاة الظهر » .

ثقّلنا عليكم اليوم، وأمرت الجوارىَ فحملْنَ محفّتها(1)، وأمرتْ بجوائز الجوارى وساوت بينهنّ، وأمرت لمتيّم بمائة ألف درهم .

هى أول من عقد على الإزار زنارا

وأخبرنى قال : أوّلُ من عقد من النساء فى طَرَف الإزار زُنّارًا(2) وخَيْطَ إبْرَيْسم(3) ثم تجعله فى رأسها فيثبُت الإزارُ ولا يتحرّك ولا يزول متيّمُ .

مرت بقصر مولاها بعد قتله فرثته

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى ميمون بن هارون قال :

مرّت متيّمٌ فى نِسوةٍ وهى مُسْتَخْفِيةٌ بقصر علىّ بن هشام بعد أن قُتِل، فلما رأت بابَه مُغْلَقًا لا أنيس عليه وقد علاه التراب والغَبَرةُ وطُرِحتْ فى أفْنِيته المَزابلُ، وقفتْ عليه وتمثّلتْ :

صوت(4)

يا منزلًا لم تَبْلَ أطلالُهُ * حاشا لأطلالك أن تَبْلَى
لم أَبْكِ أطلالَك لكنّنى * بكيتُ عيشى فيك إذ ولّى

---

(1) قد ورد بين هذه الكلمة و بين « أخبرنى قال : أول من عقد من النساء ... الخ » خبر مبتور فى حـ ، أ ، ء ، م وهو :

هـذا الصوت لعلىّ بن هشام والغناء لمتيم خفيف رمل .... وأنا صغير الى علىّ بن هشام منصرفا .... هى تمسا بابنة لها وعليه سيفه .... لمتيم بين يديه تحبو بين السبع و بذل .... يمين بذل .... دنانير ترمى بالسرير على الغناء وهو يشرب فبعث الى متيم : بالله و بحياتى تعالى الينا ولم تزل الرسل ترسل اليها الى أن جاءت وعليها جبة خز سفرجلية مزوقة وأمرك مرة رأيت جبيها مزروا تلك الجبة فحين دخلت قعدت وحدها عن يمين الباب فى الناحية التى كان علىّ فيها جالسا الا أن بينهما فرجة فغنت :

* فلا زلن حسرى ظلعا لم حلتها *

فلم تزل كذلك حتى جاءته خداع جاريته فقالت له : يا سيدى قد والله طلع الفجر فقال أباتكم الله بعافية وانصرف الى بيته» .

(2) الزنار فى الأصل : ما يلبسه ويشدّه الذمى على وسطه .

(3) الابريسم : الحرير .

(4) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، س .

قد كان لى فيك هوًى مرّةً * غيّبه التربُ وما مُلّا[1]

فصرتُ أبكى جاهدًا فقدَه * عند آدّكارى حيثما حلّا

فالعيشُ أولَى ما بكاه الفتى * لا بدّ للمحزون أن يَسْلَى

— فيه رمل بالوسطى لابن جامع — قال : ثم بكتْ حتى سقطتْ من قامتها، وجعل النّسوةُ يُناشِدْنها ويَقُلْنَ : اللهَ اللهَ فى نفسك! فإنك تؤْخذين الآن، فبعد لأْىٍ[2] ما حُمِلت تَتَهادى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضعَ

أمرها المعتصم بالغناء فعرضت بمولاها

نسختُ من كتاب أبى سعيد السُّكَّرىّ حدّثنى الحارث بن أبى أُسامة قال حدّثنى محمد بن الحسن عن [عبد الله بن][3] العباس الرَّبيعى قال : قالتْ لى متيَّم :

بعث إلىّ المعتصمُ بعد قدومه بغدادَ، فذهبتُ اليه، فأمرنى بالغناء فغنّيتُ :

هل مُسعدٌ لبكاء * بعَبْرة أو دماء

فقال : اعْدِلى عن هذا البيت الى غيره، فغنّيته غيرَه من معناه، فدَمعتْ عيناه وقال: غَنّى غيرَ هذا . فغنّيتُ فى لحنى :

أولئك قومى بعد عزٍّ ومَنْعةٍ * تفانَوْا وإلّا تَذْرِف العينُ أَكْمَدِ

فبكى وقال : وَيْحك! لا تُغَنِّينى فى هذا المعنى شيئا ألبتّةَ[4] . فغنّيتُ فى لحنى :

لا تأمَنِ الموتَ فى حِلٍّ وفى حَرَمٍ * إنّ المنايا تَغَشّى كلَّ إنسانِ

---

(١) فى ب ، سـ : «وما هلا» وهو تحريف .

(٢) اللأى : الجهد والمشقة . (٣) زيادة ضرورية فان محمد بن الحسن يروى عن عبد الله لا عن أبيه . ويحتمل أن يكون : «عن أبى العباس الربيعى» وهى كنية عبد الله بن العباس ، كما سيذكر فى ترجمته فى هذا الكتاب (ج ١٧ ص ١١٧ طبع بولاق) . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «ألفه» .

واسلُك طريقَك هونًا غيرَ مكترِثٍ * فسوف يأتيك ما يَمْنِى[1] لك المانى

فقال : والله لولا أنى أعلم أنك إنما غنّيت بما فى قلبك لصاحبك وأنك لم تُرِيدينى لَمَثَلْتُ بك؛ ولكن خذوا بيدها فأَخْرِجوها، فأخذوا بيدى فأُخْرِجتُ .

٣٦/٧

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صوت

هل مُسعِدٌ لبكاءٍ * بعَبْرة أو دماء

وذا لفقد خليلٍ * لسادةٍ نُجَباء

الشعر لُمرادَ شاعرةِ علىّ بن هشام تَرْثِيه لَمّا قتله المأمونُ. والغناء لمتيَّم . ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى .

منها :

ذهبتَ[2] من الدّنيا وقد ذهبتْ منّى * ... ...

وقد أُخرج فى أخبار ابراهيم بن المهدىّ لأنه من غنائه وشعره ، وشُرِحَتْ أخبارُه فيه . ولحنه رملٌ بالوسطى .

ومنها :

صوت

أولئك قومى بعد عزٍّ ومَنْعة * تفانَوْا وإلّا تذرِف العينُ أَكْمَدِ

---

(١) مناه الله : قدّره . فما يمنى لك المانى ، أى ما يقدر لك المقدر وهو الله تعالى . وقد جاء هذان البيتان فى اللسان هكذا وهما لسويد بن عامر المصطلق :

لا تأمن الموت فى حل ولا حرم * إن المنايا توافى كل انسان

واسلك طريقك فيها غير محتشم * حتى تلاقى ما يمنى لك المانى

(٢) لم يتقدّم لهذا الصوت ذكر فى أوّل الخبر .

وقد أُخرج فى أخبار أبى سعيد مولى فائد والعَبلىّ وغنّيا فيه من مراثيهما فى بنى أُميّة. ولحنُ متيَّم هذا الذى غَنّت فيه المعتصمَ ثانى ثقيل بالوسطى .

ومنهــا :

صـــــوت

٥ لا تأمَنِ الموتَ فى حلّ وفى حرم * ... ...

ذكر الهشامىُّ أنه ممّــا وجدَه من غناء متيَّم، غير أن لها لحنًا فيه يُذكر فى موضع غير هذا على شرحٍ(١) إن شاء الله تعالى،(٢) و إنما أَلِفَتْ صوتًا تولّعتْ به وغنّته فنسبه اليها.

كانت تغنى لنفسها خفيف رمل

وأخبرنى قال : كنّا فى مجلسنا نياماً . فلما كان مع الفجر إذا متيّمُ قد دخلت علينا وقالت : أطْعمونى شيئًا ، فأخرجوا اليها شيئا تأكله، فأكلتْ ، ودعتْ بنبيذ ١٠ وآبتدأتِ الشربَ، ودعت بعود فآندفعت تغنّى لنفسها وتشرب . وكان ممّا غنتْ :

كيف الثَّواءُ بأرض لا أَراكِ بها * يا أكثرَ الناس عندى مِنّةً ويدا

— خفيف رمل — وقال : ما رأيت أحدًا من المُغنِّين والمغنّيات إذا غنَّوْا لأنفسهم يكادون يغنّون إلّا خفيفَ رمل .

(١) لعله : « مع شرح » . (٢) فى ا ، ء ، حـ ، م زيادة غير واضحة بين قوله :
١٥ « وغنته فنسبه اليها » وبين « وأخبرنى قال كنا فى مجلسنا نياما ... الخ» نثبتها كما وردت وهى :
« أحمد بن هشام يقال لهــا عواذل اشتراها من انسان مدنى . فيــه صوتين فأشتهيهما منهما فأخذتهما بحضرتى ثم سمعت بيتين هما لها أحدهما :

يا منزلا لم تبــــل أطلاله * حاشا لأطــلالك ان تبلى
لم أبك أطــلالك لكننى * بكيت عيشى فيــك إذ ولى

٢٠ والآخر :

أسمح الربع بخــدّى * إذ مشى فيــه الخليل
وعـــلى مثلك يبكى * أيهــا الربع المحيــل
عرفت عينى الطــلول * فلهــا دمعى يســيل
وبكت لى إذ رأتنى * خاليــا فيهــا أجــول» .

نوحها على سيدها

وأخبرنى قال حدّثنى بعض أهلها قال : لما أصبنا بعلىّ بن هشام، جاء النوائح، فطرح بعض من حضر من مُغَنِّياته عليهنّ نوحًا من نوح متيّم، وكان حسنًا جيّدا، فأبطأ نوحُ النوائح اللاتى جئن لحسنه وجودته . وكانت زين حاضرةً فآستحسنته جدًّا، وقالت : رضى اللهُ عنكِ يامتيّم ! كنتِ علمًا فى السرور، وأنت علم فى المصائب .

وأخبرنى قال : إنى لأذكر من بعض نَوْحها :

لعلىٍّ وأحمد وحسينٍ * ثم نصر وقبلَه للخليل

هَــزَج .

أرسلت لها مؤنسة هدية يوم حجامتها

قال آبن المعتزّ : وأخبرنى الهشامىُّ قال : وجّهتْ مؤنسةُ جاريةُ المأمون الى متيّم جاريةِ علىّ بن هشام فى يومٍ آحتجمتْ فيه مِخْنَقةً(1) فى وسطها حبّةٌ لها قيمة جليلة كبيرة(2) وعن يمين الحبّة ويسارها أربعُ يواقيتَ وأربع زُمُرّدات وما بينها من شُذُور الذهب، وباقى المِخْنَقة قد طُيّب بغالية .

كانت تحب البنفسج وتؤثره على غيره

وأخبرنى قال : كانت متيّم يُعجِبها البَنفسَج جدّا، وكان عندها آثَرَ من كلّ ريحان وطيب، حتى إنها من شدّة إعجابها [به](3) لا يكاد يخلو من كُمّها الرّيحان ولا تراه إلا كما قُطف من البستان(4) .

٣٧ / ٧

لما ماتت هى وابرهيم بن المهدى وبذل قالت جارية للمعتصم أظن أن فى الجنة عرسا

وقد أخبرنى رحمه الله قال حدّثنا أبو جعفر بن الدِّهْقَانة :

أنّ جاريةً للمعتصم قالت له لمّا ماتت متيّم وإبراهيمُ بن المهدىّ وبَذْلُ :

---

(1) المخنقة : القلادة . (2) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «كثيرة» .

(3) تكملة عن حـ . (4) قد ورد بين هذه الكلمة و بين «وقد أخبرنى رحمه الله قال حدّثنا الخ» خبر مبتور فى حـ ، ء ، م وهو : «قال ابن المعتز وحدّثنى ابن المهدى ومتيم و بذل فى أيام يسيرة قليلة العدد... الجنة عرس قد ذهبوا بهؤلاء المغنين المحسنين اليه ... قال أبو العيس توفوا فى ستة أشهر فقال الناس» .

يا سيّدى، أظن أنّ فى الجنّة عُرْسًا، فطلبوا هؤلاء اليه . فنهاها المعتصمُ عن هـذا القول وأنكره . فلما كان بعد أيام، وقع حريقٌ فى حجرة هـذه القائلة فاحترق كلُّ ما تملكه . وسمع المعتصمُ الجلَبة فقال : ما هـذا ؟ فأُخْبِر عنه ؛ فدعا بهـا فقال : ما قصّتُك؟ فبكت وقالت : يا سيّدى، احترق كلُّ ما أملكه . فقال : لا تجزَعى، فإن هذا لم يحترق و إنمـا استعاره أصحاب ذلك العرس .

أمرها المأمون بأن تجيز شعرا

وقد ذكرتُ فى متقدّم أخبار متيّم أنّها كانت تقول الشعرَ ولم أذكر شيئا . فمن ذلك ما أخبرنا به الحَرَمِىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الحسن بن أحمد بن أبى طالب الدِّينارىّ قال حدّثنى الفضل بن العبّاس بن يعقوب قال حدّثنى أبى قال :

قال المأمون لمتيّم جارية علىّ بن هشام : أَجيزى لى هذين البيتين :

تعالَىْ تكون الكُتْبُ بينى و بينكم * ملاحَظَـةً نُومِى بهـا ونُشـيرُ
ورُسْـلى بحاجاتى وهنّ كثيرةٌ * إليـك إشاراتٌ بهـا وزَفـير (١)

صـــوت

من المـائة المختـارة

إنّ العيون التى فى طَرْفها مرضٌ * قَتَلْنَنـا ثم لم يُحْيِيـن قَتْـلانا
يَصْرَعْن ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ له * وهنّ أضعفُ خلق الله أركانا

عروضه من البسيط . والشعر لجرير . والغناء لابن مُحْرِز . ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل . وفى هذه القصيدة أبياتٌ أُخَر تُغَنّى فيهـا ألحانٌ سوى هذا اللحن، منها قوله :

(١) يلاحظ أن الكلام هنا لم يتم .

صـــوت

من المـائة المختـارة

أتبعتُهم مقـلةً إنسانُها غَرِقٌ * هل ما تَرى تاركٌ للعين إنسانا
إن العيون التى فى طرفها مَرَضٌ * قتلننـا ثم لم يُحْيِين قتـلانا

[الغناء فى هذين البيتين ثقيلٌ(١)] أوّلُ مطلَق بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر .

ومنها أيضا :

صـــوت

بان الأخلّا وما ودّعتُ مَنْ بانا * وقطّعوا من حبال الوصـل أركانا
أصبحتُ لا أبتغِى من بعدهم بَدَلًا(٢) * بالدار دارًا ولا الجـيران جـيرانا
وصرتُ مذ ودّع الأظعانُ ذا طَرَبٍ(٣) * مروّعًا من حِذار البين محْـزانا

فى الأوّل والثانى والثالث من الأبيات خفيفُ رمل بالبنصر . وفيها للغَريض ثانى ثقيل بالبنصر، من رواية عمرو بن بانة والهشامىّ . وذكر حبشٌ أن فيه لمـالك خفيفَ رملٍ بالوسطى، ولابن سرجس فى الأوّل والثانى و بعدهما :

* أتبعتُهم مقلةً إنسانُها غَرِقٌ *

رملٌ بالوسـطى . وذكر الهشامىّ أن لابن محرز فى الأوّل والثانى بعدهما " أتبعتُهم مقلةً " لحنًا من الثقيل الأوّل بالبنصر، وذكر المكىّ أنه لمعبد .

(١) التكلة عن ى وقد سقطت فى سائر النسخ . (٢) كذا فى ديوانه وأكثر الأصول . وفى ب، س : « بالدار دارا و بالجيران جيرانا » . (٣) الطرب هنا : الحزن .

انتهى الجـزء السابع من كتاب الأغانى
ويليه الجـزء الثامن
وأوّله نسب جرير وأخبـاره

تراثنا



تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء الثامن

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثامن

من كتاب الأغاني

نسب جرير وأخباره

نسبه من قبل أبويه

جَرير بن عطيّة بن الخَطَفَى . والخَطَفَى لقبٌ ، واسمه حُذَيفة بن بَدْر بن سَلَمَة ابن عَوْف بن كُلَيب بن يَرْبُوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَميم بن مُرّ بن أُدّ ابن طابِخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . ويُكنى أبا حَزْرة . ولُقِّب الخَطَفَى لقوله :

يَرْفَعْنَ لِلَّيْـلِ إذا ما أَسْـدَفَا (١) * أعنـاقَ جِنّانٍ (٢) وهامًا رُجَّفا

* وعَنَقًا (٣) بعد الكَلال خَيْطَفَا *

١٠ ويُروى : خَطَفَى .

---

(١) في اللسان وشرح القاموس (مادتي خطف وسدف) والاشتقاق لابن دريد والمؤتلف والمختلف للآمدي : «بالليل» . (٢) أسدف الليل : أظلم . والجنان : جنس من الحيات اذا مشت رفعت رءوسها ، واحدها جان . والهام : الرءوس . (٣) العنق : السير المنبسط . والخيطف والخيطفى : سرعة انجذاب السير ، كأنه يختطف في مشيه عنقه ، أي يجتذبه . ورواية هـذا الشطر في الشعر والشعراء ١٥ (ص ٢٨٣ طبع أوربا) : * وعنقا باقي الرسيم خيطفا *

وقد ذكر صاحب اللسان (مادة خطف) رواية الأصل كما أورد رواية أخرى هي :

* وعنقا بعد الرسيم خيطفا *

والرسيم : ضرب من السير سريع مؤثر في الأرض .

وهو والفَرَزْدَق والأَخْطل المقدَّمون على شعراء الإسلام الذين لم يُدْركوا الجاهلية جميعا . ومختلَفٌ فى أيِّهم المتقدِّم؛ ولم يَبْقَ أحد من شعراء عصرهم إلا تعرّض لهم فافتضح وسقَط وبَقُوا يتصاولون ؛ على أن الأخطل إنما دخل بين جرير والفرزدق فى آخر أمرهما وقد أسَنّ ونفد أكثرُ عمره . وهو وإن كان له فضلُه وتقدُّمه فليس نَجْره[1] من نِجَار هذين فى شىء ؛ وله أخبار مفردة عنهما ستُذْكر بعد هذا مع ما يُغَنَّى[2] من شعره .

أخبرنى أبو خَليفة الفَضْل بن الحُبَاب الجُمَحِىّ قال حدّثنا محمد بن سَلّام الجُمَحِىّ، وأخبرنى محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ وعلىّ بن سليمان الأخفش قالا حدّثنا أبو سَعيد السُّكَّرِىّ عن محمد بن حَبِيبَ وأبى غَسّان دَمَاذ وإبراهيم بن سَعْدان عن أبيه جميعا عن أبى عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنَّى ، بنسب جرير على ما ذكرتُه وسائرِ ما أذكره فى الكتاب من أخباره فأحكيه عن أبى عبيدة أو عن محمد بن سلّام . قالوا جميعا :

وأمّ جرير أمّ قَيْس بنتُ مُعَيد[3] بن عُمَير[4] بن مسعود بن حارِثة بن عَوْفُ بن كُلَيب ابن يَرْبوع . وأمّ عطيّة النَّوّار بنت يَزِيد بن عبد العُزَّى بن مسعود بن حارثة بن عَوْف بن كُلَيب .

قال أبو عُبَيدة ومحمد بن سَلّام ووافقهما الأصمعىّ فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبّة عنه[5] :

(١) كذا فى جميع الأصول . وليس لهذه الفاء موقع فى الكلام . (٢) النجر والنجار : الأصل والحسب . يريد أنه ليس من معدنهما . (٣) كذا فى النقائض (ص ٧ طبع أوربا) عند الكلام على شرح بيت غسان بن ذهيل فى هجاء جرير وهو :

ستعلم ما يغنى معيد ومعرض * إذا ما سليط عرّقتك بحورها

وفى الأصول : «سعد» . (٤) فى النقائض : «بن عثيم بن حارثة ... الخ» . (٥) فى ب ، س : «... عن عمر بن شبة أنه اتفقت الخ» .

اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة : جريرٌ والفرزدق والأخطل، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض . قال محمد بن سلّام : والراعي معهم في طبقتهم ولكنّه آخرهم، والمخالف في ذلك قليل . وقد سمعتُ يونسَ يقول : ما شهدت مَشْهَدًا قط قد ذُكر فيه جرير والفرزدق فأجتمع أهلُ المجلس على أحدهما . وكان يونس فَرَزْدقيًّا .

٥

قال ٱبن سلّام : وقال ابنُ دأب : الفرزدق أشعرُ عامّةً وجرير أشعرُ خاصّةً . وقال أبو عُبيدة : كان أبو عمرو يشبِّه جريرا بالأعشى، والفرزدقَ بزُهَير، والأخطلَ بالنابغة . قال أبو عبيدة : يحتجّ مَنْ قدّم جريرا بأنه كان أكثرَهم فنونَ شعر، وأسهلَهم ألفاظا ، وأقلَّهم تكلّفا ، وأرقَّهم نَسيبا، وكان ديِّنا عفيفًا . وقال عامر ابن عبد الملك : جرير كان أشْبَهَهما(١) وأنسبَهما .

١٠

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ : قال خالد بن كُلْثوم : ما رأيت أشعر من جرير والفرزدق؛ قال الفرزدق بيتا مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين، قال :

عجِبتُ لعِجْلٍ إذ تُهَاجِي عبيدَها * كما آلُ يَرْبُوعٍ هَجَوْا آلَ دارِمِ(٢)

يَعْني بعبيدها بني حَنيفة . وقال جرير بيتا هجا فيه أربعة :

٣٩
٧

إن الفرزدقَ والبَعيثَ وأمَّه * وأبا البَعيث لشَرُّ ما إِسْتارِ(٣)

١٥

قال : وقال جرير : لقد هجوتُ التَّيْمَ في ثلاث كلمات ما هجا فيهنّ شاعرٌ شاعرا قبلي، قلتُ :

من الأصلاب يَنْزِل لؤمُ تَيْمٍ * وفي الأرحام يُخلَق والمَشِيمِ

(١) كذا في م، أ، ء . وفي ب، س : «كان أسنهما ...» . ولعل الصواب فيه : «كان أسبهما» كما سيأتي في ص ٩ من هذا الجزء . (٢) آل دارم : قوم الفرزدق . وآل يربوع : قوم جرير .
(٣) الإستار (بكسر الهمزة) من العدد : الأربعة . وما زائدة . يريد أن هؤلاء المذكورين في البيت شرّ أربعة .

٢٠

وقال محمد بن سلّام: قال العلاء بن جرير العنبرى - وكان شيخا قد جالس الناس:
إذا لم يجئ الأخطل سابقًا فهو سُكَّيت[1]، والفرزدق لا يجىء سابقا ولا سكّيتا، وجرير
يجىء سابقا ومُصلّيًا[2] وسكّيتا. قال محمد بن سلّام: ورأيت أعرابيًا من بنى أسد
أعجبنى ظَرْفه وروايته، فقلت له: أيّهما عندكم أشعر؟ قال: بيوت الشعر أربعة:
فخر ومديح وهجاء ونسيب، وفى كلّها غلب جرير. قال فى الفخر:

إذا غضبتْ عليكَ بنو تميمٍ * حسبتَ الناسَ كلّهمُ غِضابا

والمديح:

ألستم خيرَ من ركب المطايا * وأندى العالمين بطونَ راحِ

والهجاء:

فغُضّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ * فلا كعبًا بلغتَ ولا كِلابا

والنسيب:

إنّ العيون التى فى طَرْفها حَوَرٌ * قتلننا ثم لم يُحيِين قتلانا

قال أبو عبدالله محمد بن سلّام: وبيتُ النسيب عندى:

فلما ٱلتقى الحيّانِ أُلقيتِ العصا * وماتَ الهوى لمّا أُصيبتْ مَقَاتلُهْ

قال كَيْسان[3]: أمَا والله لقد أوجعكم (يعنى فى الهجاء)، فقال: يا أحمق! أوَ ذاك يمنعه
أن يكون شاعرا!.

جرير وطبقته الشعراء

فضله عبيدة بن هلال على الفرزدق

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عمر بن شبّة قال قال أبو عُبَيدة،
وأخبرنا أبو خليفة قال حدّثنى محمد بن سلّام الجُمَحى قال حدّثنى أبان بن عثمان
البَجَلى قال:

(١) السكيت (بتشديد الكاف وتخفيفها): الذى يجىء آخر الخيل فى السباق.
(٢) المصلى: الذى يجىء بعد الأول فى السباق.
(٣) لم يتقدّم لهذا الاسم ذكر فى هذا الخبر.

تنـازع في جرير والفرزدق رجلان في عسـكر المهلَّب[1]، فآرتفعا اليه وسألاه ؛ فقال: لا أقول بينهما شيئا ولكنّي أدلُّكما على من يَهُون عليه سُخْطُهما: عُبَيدة بن هلال[2] اليَشْكُرِيّ — وكان بازائه مع قَطَرِيّ[3] و بينهما نهر . وقال عمر بن شـبّة : فى هؤلاء الخوارج من يَهُون عليه سِبَالُ[4] كلّ واحد منهما — فأمّا أنا فـا كنتُ لأُعرِّض نفسى لهما . فخرج أحد الرجلين وقـد تراضَيا بحكم الخوارج ؛ فبـدَر من الصفّ ثم دعا بعُبيدة بن هلال للبارزة فخرج اليه . فقال : إنى أسألك عن شيء تحا كمنا اليك فيه ؛ فقال : وما هو ؟ عليكما لعنة الله . قال : فأىّ الرجلين عندك أشعرُ : أجريرٌ أم الفـرزدق ؟ فقال : لعنكما الله ولعن جريرا والفرزدق ! أمثلى يُسأل عن هـذين الكلبين! قالا: لا بدّ من حكمك. قال : فإنّى سائلُكم قبل ذلك عن ثلاث. قالوا:
١٠ سَلْ. قال : ما تقولون فى إمامكم اذا فجَرَ؟ قالوا : نُطيعه و إن عصى الله عزّ وجلّ. قال : قبّحكم الله ! فما تقولون فى كتاب الله وأحكامه ؟ قالوا : نَنْبِذه وراء ظهورنا ونُعطّل أحكامه ..قال : لعنكم الله إذًا ! فما تقولون فى اليتيم ؟ قالوا : نأ كل ماله وننيك أمّه . قال : أخزا كم الله إذًا ! والله لقد زِدْتُمونى فيكم بَصـيرةً[5] . ثم ذهب لينصرف؛ فقالوا له : إن الوفاء يَلْزَمك ، وقـد سألتَنا فأخبرناك ولم تُخبرنا ؛ فرجع
١٥ فقال : من الذى يقول :

---

(١) فى ب ، س : « من » . (٢) هو عبيـدة بن هلال اليشكرى أحد زعماء الخوارج وقوادهم وفصحائهم . (انظر فقرا عليه فى الطبرى ق ٢ ص ٣٩١ ، ٥١٠ ، ٥٨٠ ، ٥٨٦ ، ٧٦٢ طبع أوربا) . (٣) هو قطرى بن الفجاءة أحد أبطال الخوارج ومتقدميها ، وكان شاعرا .

(٤) كذا فى أ ، حـ . والسبال : جمع سبلة وهى طرف الشارب ومقدّم اللحية . يريد أن فى هؤلاء
٢٠ الخوارج من لا يباليهما . وفى ب ، سـ : « يهون عليـه أن يسأل كل واحد الخ» . وفى م ، ء : « يهون عليه يسأل الخ» . (٥) لعل الصواب : «... بكم بصيرة» .

إنّا لنذعر يا قُفَيرُ[1] عدوّنا * بالخيل لاحقةَ الأياطلِ[2] قُودَا

وتحوطُ حوزتنا وتحمى سرحنا * جُرْدٌ ترى لمُغارها[3] أُخدُودا

أجْرَى قلائدَها وقدّد لحمَها * ألّا يذُقْنَ مع الشّكائم عُودَا

وطَوى القيادُ مع الطّرادِ متونَها * طَىَّ التِّجار بحضرموتَ بُرُودَا

قالا : جريرٌ، قال : فهو ذاك، فانصرفا . ٥

حديث الأصمعى وغيره عنه

أخبرنى عمّ أبى عبدُ العزيز بن أحمد قال حدّثنا الرِّياشىّ قال قال الأصمعىّ وذكر جريرا فقال[4] :

كان ينهشُه ثلاثة وأربعون شاعرا فينبِذُهم وراء ظهره ويرمى بهم واحدا واحدا ، ومنهم من كان ينفحه[5] فيرمى به، وثبت له الفرزدقُ والأخطل . وقال جرير : والله ما يهجونى الأخطل وحدَه وإنه ليهجونى معه خمسون شاعرا كلُّهم عزيزٌ[6] ليس بدون الأخطل، وذلك أنه كان اذا أراد هجائى جمعهم على شراب، فيقول هذا بيتا وهذا بيتا، وينتحل هو القصيدةَ بعد أن يُتمّموها . ١٠

قال ابن سلّام : وحدّثنى أبو البيداء الرِّياحىّ قال قال الفرزدق : إنّى وإيّاه لنغترفُ من بحر واحد وتضطرب دِلاؤه عند طول النهر .

(١) كذا فى ديوانه المخطوط بقلم المرحوم الأستاذ الشنقيطى (المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) وشرح القاموس (مادة قفر) . وهى أم الفرزدق الشاعر . وفى الأصول : « قفير » بتقديم الفاء على القاف، وهو تصحيف . (٢) الأياطل : جمع أيطل وهى الخاصرة . ولاحقة : ضامرة . والقود : جمع أقود وقوداء . والأقود من الخيل : الطويل العنق العظيمه . ١٥

(٣) المغار : الإغارة . والأخدود : الشق، يريد أثر حوافرها فى الأرض .

(٤) كذا فى الأصول، والكلام مستغن عنها . (٥) كذا فى حـ، يقال : نفحه (بالحاء المهملة) بالسيف أى ضربه به ضربة خفيفة . وفى سائر الأصول : « ينفخه » بالخاء المعجمة . ٢٠

(٦) فى ب، س : « عربىّ » .

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثنى زيرك بن هُبَيرة المنانىّ قال :

كان جريرٌ مَيدانَ الشعر، من لم يَجْرِ فيه لم يَرْوِ شيئا ، وكان مَنْ هاجَى جريرا فغلَبه جرير أرجحَ عندهم ممّن هاجَى شاعرا آخر غير جرير فغلَب .

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال : تذاكروا جريرا والفرزدق فى حَلْقة يونس بن معاوية بن أبى عمرو بن العَلاء وخَلَف الأحمر ومِسْمَع وعامر ابنا عبد الملك المِسْمَعِيّان[1]، فسمعت عامرا وهو شيخ بكر بن وائل يقول : كان جرير والله أنسبَهما وأسبَّهما وأشبَهَهما .

سمع الراعى فأقر بأنه بالسبق

قال ابن سَلّام : وحدّثنى أبو البَيْداء قال : مرّ راكبٌ بالراعى وهو يتغنّى ببيتين

١٠ لجرير، وهما :

وعاوٍ عَوى من غير شىء رميتُه * بقارعةٍ أنفاذُها تَقْطُــرُ الدَّمَا

خَرُوجٍ بأفواه الرُّواةِ كأنّهــا * قَرَا هِنْــدُوانىٍّ[2] اذا هُزَّ صَمّمَا

فأتْبَعه الراعى رسولاً يسأله لمن البيتان ؟ قال : لجرير . قال : لو اجتمع على هــذا جميــع الجنّ والإنس ما أغنَوْا فيه شيئا . ثم قال لمن حضر : وَيْحكم أأُلَام على أن

١٥ يغلبنى مثلُ هذا ! .

---

(١) وردت هــذه العبارة هكذا فى جميع الأصول . ولعل الصواب فيها : فى حلقة يونس بن حبيب وفيها أبو عمرو بن العلاء... الخ » لأن الذى كانت له حلقة بالبصرة هو يونس بن حبيب وكان يقصده طلبة العربيــة وفصحاء الأعراب والبادية . وكان من معاصرى أبى عمرو بن العلاء وخلف الأحمر والمسمعين المذكورين هنا ، وهم الذين تكررت رواية محمــد بن سلام عنهم فى طبقاته ، وكانوا يتزاورون و يتذاكرون

٢٠ فى المسائل العربية وغيرها ولهم مجالس معروفة فى ذلك . (راجع الأمالى لأبى على القالى ج ١ ص ٤٨ طبعة دار الكتب المصرية وطبقات ابن ســلام طبعة أوربا ونزهة الألبا فى طبقات الأدبا لابن الأنبارى) .

(٢) الهندوانى (بكسر الهاء وتضم) : المنسوب للهند ، وهى نسبة شاذة .

رأى بشار فيه وفى صاحبيه ورثاؤه ابنه

قال ابن سَلّام : وسألت بَشّارا المرعَّث : أىُّ الثلاثةِ أشعر ؟ فقال : لم يكن الأخطل مثلهما ولكنّ رَبيعةَ تعصَّبتْ له وأفْرطتْ فيه . قلت : فهذان ؟ قال : كانت لجرير ضُروبٌ من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت النَّوار فقاموا يَنُوحون عليها بشعر جرير. فقلتُ لبَشّار: وأىُّ شىء لجريرٍ من المَرَاثِى إلّا التى رَثَى بها امرأتَه! فأنشدنى لجرير يَرْثِى ابنَه سَوَادةَ ومات بالشأم :

قالوا نَصيبَك من أجرٍ فقلتُ لهم * كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أشبالى

فارقتَنى حين كَفَّ الدهرُ من بصرى * وحين صِرْتُ كعظم الرِّمّة البالى

أَمْسَى سَوادةُ يجلو مُقْلَتَىْ لَحِمٍ[1] * بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبأ العالى

قد كنتُ أعرفه منّى اذا غَلِقتْ * رُهْنُ الجِياد ومَدّ الغايةَ الغالى[2]

إنّ الثَّوِىّ[3] بذى الزَّيتون فاحتسبى * قد أَسرعَ اليوم[4] فى عقلى وفى حالى

إلّا تكنْ لك بالدَّيْرين مُعْوِلةٌ * فرُبَّ باكيةٍ بالرَّمل مِعْوالِ

كأمِّ بَوٍّ عَجُولٍ عند مَعْهَدِه * حَنَّتْ الى جَلَدٍ[5] منه وأوصالِ

حتى اذا عَرَفتْ أن لا حياةَ به * رَدّتْ هَمَاهِمَ[6] حَرَّى الجوف مِثْكالِ

زادت على وَجْدِها وَجْدًا وإن رجعتْ[7] * فى الصدر منها خُطوبٌ ذاتُ بَلْبَالِ

أخبرنى عبد الواحد بن عُبيد عن قَعْنَب بن المُحْرِز الباهلىّ عن المُغيرة بن حَجْناء وعمارة بن عقيل قالا :

(١) اللحم : البازى الذى يأكل اللحم أو يشتهيه . وصرصر: صوّت وصاح أشد الصياح . والمربأ : المرقب . (٢) الغالى : الرامى بالسهام . (٣) الثوىّ : المقيم . (٤) كذا فى أكثر الأصول وتجريد الأغانى وديوانه . وفى ب ، سـ : « الموت » . (٥) الجلد : جركاة لغة فى الجلد . (٦) الهمام : جمع همهمة وهى ترديد الزئير فى الصدر من الهمّ . (٧) كذا فى ديوانه . وفى الأصول :

... ... فلو رجعت * فى الصدر منها خطوبا ذات بلبال

خرج جرير الى دِمَشْق يَوْمَ الوَليدِ، فرض ابن له يقال له سَوادة، وكان به مُعْجَبا، فمات بالشأم، بجزع عليه ورثاه جرير فقال :

أَوْدى سَوادةُ يجْلُو مُقْلتَىْ لَحِـمٍ بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبأِ العالى

حديث الفرزدق عنه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أحمد بن معاوية قال حدّثنى رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدّثنى ٥ أبو نصر اليَشْكُرى عن مولًى لبنى هاشم قال :

امْتَرى[1] أهلُ المجلس فى جرير والفرزدق أيُّهما أشعرُ، فدخلتُ على الفرزدق فما سألنى عن شىء حتى قال: يانَوار، أدركتْ بَرْنيّتُك؟ قالت : قد فعلتْ أو كادتْ. قال : فآبعثى بدرهم فاشترِى لحما، ففعلتْ وجعلت تشرِّحه وتُلْقيه على النار ١٠ ويأكل. ثم قال : هاتِى بَرْنيّتَك، فشرب قَدَحًا ثم ناولنى، وشرب آخرَ ثم ناولنى. ثم قال : هاتِ حاجتَك يآبنَ أخى، فأخبرتُه، قال : أعَنِ آبنِ الخَطَفَى تَسألنى! ثم تنفَّس حتى قلتُ : آنشقَّتْ حَيَازِيمُه[2]، ثم قال : قاتله الله! فما أخْشَنَ ناحيتَه وأشْرَدَ قافيتَه! والله لو تركوه لأبْكَى العجوزَ على شبابها، والشابَّةَ على أحبابها، ولكنهم هَرُّوه[3] فوجدوه عند الهِرَاش نابحا وعند الجِرَاء[4] قارِحا، وقد قال بيتا لأَنْ ١٥ أكونَ قلتُه أحبُّ إلىّ مما طلعتْ عليه الشمس :

إذا غضِبتْ عليكَ بنو تميم * حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضَابَا

أثنى عليه الفرزدق أمام الأحوص

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أبى عُبَيدة، قالا :

(١) أى تجادلوا. (٢) الحيازيم : جمع حيزوم وهو الصدر أو وسطه أو ما استدار بالظهر ٢٠ والبطن. (٣) كذا فى شرح شواهد التلخيص ص ٣٠٤ طبع بلاق. وفى الأصول «هزوه» بالزاى المعجمة. (٤) جاراه مجاراة وجراء : جرى معه وسابقه.

نزل الفَرَزْدَق على الأحوص حين قدم المدينةَ . فقال الأحوص : ما تَشتهى؟ قال : شِواء وطِلاء[1] وغِناء . قال : ذلك لك؛ ومضى به الى قَيْنة بالمدينة، فغنّته :

صـــوت

ألَا حَىِّ الديارَ بسُعْدَ[2] إنّى * أُحِبُّ لحبِّ فاطمةَ الدّيارَا

إذا ما حَلّ أهلُكِ يا سُلَيْمَى * بدارةِ صُلْصُلٍ[3] شحَطوا مَزارَا

أراد الظاعنون ليَحْزُنُونى * فهاجُوا صَدْعَ قلبى فاستطارَا

٤٢/٧ — غنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبنصر — فقال الفرزدق : ما أَرَقَّ أشعارَكم يأهلَ الحجاز وأمْلَحَها! قال : أو ما تَدْرِى لمن هذا الشعر؟ قال : لا والله . قال : فهو والله لجرير يَهْجُوك به . فقال : وَيْلُ آبنِ المَرَاغة ! ما كان أَحْوجَه مع عفافه الى صلابة شعرى، وأَحْوجَنِى مع شَهَواتى الى رِقّة شعره ! . ١٠

قدم المدينة وتحدث مع الأحوص حتى أخزاه وأقبل على أشعب وأجازه

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق المَوْصلىّ، وأخبرنى محمد بن مَزْيد عن حمّاد عن أبيه قال [قال][4] إسحاق بن يحيى بن طلحة :

قَدِم علينا جريرٌ المدينةَ فحَشَدْنا له . فبَيْنا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته، وجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام آنفًا، ما تريد منه ؟ قال : أُخْزِيه، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف . فأقبل جريرٌ علينا وقال : مَنِ الرجلُ؟ قلنا : ١٥ الأحوصُ بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَح . قال : هـذا الخَبيث ابنُ الطيِّب . ثم أقبل عليه فقال : قد قلتَ :

يَقَـــرُّ بعيْنِى ما يَقَـــرُّ بعينها * وأحسنُ شىءٍ ما به العينُ قَرّتِ

(١) الطلاء : من أسماء الخمر . (٢) سـعد : ذكر البكرى فى معجم ما استعجم أنه موضـع بنجد، واستشهد بهذا البيت . (٣) دارة صلصل : لعمرو بن كلاب وهى بأعلى دارها بنجد، كذا ذكر ياقوت فى معجمه . (٤) الزيادة عن حـ . ٢٠

فإنه يَقَرُّ بعينها أن يدخُل فيها مثلُ ذراع البَكْر ، أفيَقَرُّ ذلك بعينك ؟ — قال : وكان الأحوصُ يُرْمَى بالأُبْنة — فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة . وأقبلنا نسأل جريرا وهو فى مؤخّر البيت وأشعبُ عند الباب ، فأقبل أشعبُ يسأله ، فقال له جرير: والله إنك لأقبَحُهم وجهًا ولكنّى أراك أطولَهم حَسَبا ، وقد أبرمتَنِى . فقال : أنا والله أنفعُهم لك . فانتبه جريرٌ فقال : كيف ؟ قال : إنى لأُملّح شعرَك ؛ واندفع يغنّيه قولَه :

صــــوت

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ * قبلَ الفراق وقبلَ لَوْم العُذّلِ
لو كنتُ أعلم أن آخرَ عهدكم * يوم الفراق فعلتُ ما لم أفعلِ

قال: فأدناه جريرٌ منه حتى ألصق ركبتَه بركبته وجعله قريبًا منه، ثم قال : أَجَلْ ! والله إنك لأنفعُهم لى وأحسنُهم تزيينا لشعرى[1] ، أَعِدْ ؛ فأعاده عليه وجرير يبكى حتى آخضلّت لحيتُه ، ثم وهب لأشعبَ دراهمَ كانت معه وكساه حُلّةً من حُلَل الملوك . وكان يُرسل إليه طولَ مُقامه بالمدينة فيغنّيه أشعبُ ويُعطيه جريرٌ شعره فيغنّى فيه . قال : وكان أشعبُ من أحسنِ الناس صوتا. قال حماد : والغناء الذى غنّاه فيه أشعبُ لآبن سُرَيج .

وفد على الحكم ابن أيوب فبعث به إلى الحجاج خلّته عن معارضيه من الشعراء

أخبرنى علىّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّرى عن الرِّياشىّ عن الأصمعىّ قال وذكر المغيرةُ بن حَجْناء[2] قال حدّثنى أبى عن أبيه عن جدّه يحيى بن أَعْيَن، وذكر ذلك هشامُ بن الكلبىّ قال حدّثنى النَّهْشَلىّ من بنى مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعِىّ ابن سَلْمَى بن جَنْدَل قال حدّثنى مِسْحَل بن كُسَيب بن عِمْران بن عَطاء بن الخَطَفَى،

(١) فى الأصول : «تزنيا لشعرى» وهو تصحيف . (٢) هكذا بالأصول .

وأمّه الرَّبْداءُ بنتُ جرير — وهذا الخبر و إن كان فيه طولٌ مُحتوٍ على سائر أخبار مَنْ ناقض جريرًا أو أعنَّ[1] بينه و بين الفرزدق وغيره ، فذكرتُه هنا لاشتماله على ذلك فى بلاغ واختصار — :

أنّ جريرا قدِم على الحَكَم بن أيوب بن يحيى بن الحَكَم بن أبى عُقَيل، وهو خليفة للحجّاج يومئذ، فمدحه جرير فقال :

أَقْبلتُ[2] من ثَهْلانَ أو جَنْبَىْ خِيَمْ * على قِلَاصٍ مثلِ خِيطَانِ[3] السَّلَمْ

— ثَهْلانُ : جبلٌ كان لباهلةَ ثم غلبتْ عليه نُمَيْرٌ . وخِيَم : جبلٌ يُنَاوِحُه من طَرَفه الأَقْصَى فيما بين رُكْنِه الأقصى و بين مَطْلِع الشمس، به ماء ونخل —

قـد طُوِيتْ بطونُها طَىَّ الأدَمْ * يَبْحثْنَ بحثًا كمُضِلَّاتِ الخَـدَمْ[4]

إذا قَطعْنَ عَلَمًـا بَدَا عَـلَمْ * حتى تناهينَ[5] الى باب الحَكَمْ

خليفـةِ الحجّـاج غيرِ المُتَّهَـمْ * فى مَعْقِدِ[6] العـزّ و بُؤْبوءِ الكَرَمْ

* بعد انْفِضَاجِ[7] البُدْنِ واللحمُ زِيَمْ *

فلمـا قدم عليـه استنطقه فأعجبـه ظَرْفُه وشعره ، فكتَب الى الحجّاج : إنه قـدِم علىّ أعرابىٌّ شيطانٌ من الشياطين . فكتب إليه أن ابعثْ به إلىّ ، ففعل . فقدِم

(١) اعنّ بينه وبينه : اعترض . (٢) فى ديوانه : «أقبلن» وقد وردت هذه الأرجوزة فى ديوانه باختلاف عما هنا فانظرها فى ص ١٨٨ من نسخة الشنقيطى . (٣) الخيطان : جمع خوط وهو الغصن . (٤) الخدم : جمع خدمة وهى الخلخال . يريد أنهن يبحثن بمناسمهن الأرض كما تبحث النساء المضلات خلاخلهن عنها فى التراب . (٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « تناهينا » . (٦) كذا فى س . والمعقد : موضع العقد . وفى حديث الدعاء : « أسألك بمعاقد العز من عرشك » . وفى سائر الأصول : «فى مقعد العز» . وفى ديوانه : «فى منصِبِ المجد» . (٧) كذا فى ديوانه . والانفضاج : السمن والضخم . وفى الأصول : « انفضاخ » بالخاء المعجمة وهو تصحيف . والبدن : النوق . والزيم : المتفرق على رءوس الأعضاء .

عليه فأكرمه الحجّاج وكساه جُبّة صَبِرِيّة(١) وأنزله فمكث أياما . ثم أرسل إليه بعد نومه فقالوا : أَجِبِ الأمير ، فقال : أَلْبَس ثيابي ، فقالوا : لا ! والله لقد أمرَنا أن نأتيه بك على الحال التي نجدُك عليها ، ففزع جرير وعليه قميصٌ غليظ ومُلاءة صَفْراء . فلما رأى ما به رجلٌ من الرُّسُل دنا منه وقال: لا بأسَ عليك، إنما دعاك للحديث.

٥ قال جرير : فلما دخلتُ عليه قال: إيه يا عدوَّ الله ! علامَ تشتُمُ الناسَ وتظلِمُهم ؟ فقلتُ : جعلني الله فداءَ الأمير ، والله إني ما أظلِمهم ولكنّهم يظلِمُونني فأنتصر . مالي ولابنِ أمّ غسّان! ومالي وللبَعِيث! ومالي وللفرزدق! ومالي وللأخْطَل! ومالي وللتَّيْمِيّ ! حتى عدّدهم واحدا واحدا . فقال الحجاج : ما أَدْرِي مالك ولهم! قال : أُخبِرُ الأميرَ أعزّه الله : أمّا غسّانُ بن ذُهَيْل فانه رجلٌ من قومي هجاني وهجا عشيرتي

١٠ وكان شاعرا . قال : فقال لك ماذا ؟ قال قال لي :

لعَمْرِي لئن كانت بَجِيلةُ زانَها * جريرٌ(٢) لقد أخْزَى كُلَيْبًا جريرُها

رميتَ نِضالًا عن كُلَيبٍ فقصّرتْ * مَرَامِيكَ حتى عاد صِفْرًا جَفِيرُها(٣)

ولا يَذْبَحون الشاةَ إلا بمَيْسِرٍ(٤) * طويلٌ تناجِيها صِغارٌ قُدُورُها

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

١٥ ألا ليتَ شِعْرِي عن سَلِيطٍ(٥) ألم تَجِدْ * سَلِيطٌ سِوَى غسّانَ جارًا يُجِيرُها

فقد ضمّنوا الأحسابَ صاحبَ سَوْءةٍ * يُناجِي بها نفسًا خبيثًا ضميرُها

---

(١) صبرية : نسبة إلى صبر (بفتح فكسر) وهو الجبل الشامخ العظيم المطل على قلعة تعز (بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد الزاى المعجمة)، فيه عدّة حصون وقرى باليمن . (٢) يريد جرير بن عبد الله البجلي، كان من أفاضل أهل الكوفة، قيل : إنه أسلم في السنة التي قبض فيها النبي صلى الله عليه وسلم ومات

٢٠ في سنة ٥١ هجرية، وهو الذي هدم الصنم المسمى بذى الخلصة . (٣) الجفير : جعبة السهام . (٤) الميسر : اللعب بالقداح . (٥) سليط : قبيلة غسان بن ذهيل .

كأنّ سَليطًا فى جَواشِنها الحُصَى * اذا حَلّ بين الأَملَحين وَقيرُها[(١)]

أَضِجّوا الرَّوايَا بالمَزَاد فانّكم * ستُكفَوْن رَكْضَ الخيل تدمَى نحورها[(٢)]

كأنّ السَّليطيّات مَجْناةُ كَمْأَةٍ * لأوّل جانٍ بالعَصا يَستثيرها[(٣)]

عَضَاريطُ يَشْوُون الفَرَاسِن بالضُّحَى * اذا ما السَّرَايا حَثّ رَكْضًا مُغيرُها[(٤)]

فما فى سَليطٍ فارسٌ ذو حَفيظةٍ * ومَعْقِلُها يومَ الهِياج جُعُورها[(٥)]

عجِبتُ من الداعى جُحَيشًا وصائدًا * وعَيْساءُ يسعَى بالعِلاب نَفيرُها[(٦)]

قال : ثم مَنْ ؟ قال : البَعيث . قال : مالك وله ؟ قال : اعترض دونَ ابنِ أمّ غسّان يفضّله علىّ ويُعينه . قال : فما قال لك ؟ قال قال لى :

كُلَيبٌ لئامُ الناس قد تعلمونه * وأنتَ اذا عُدّتْ كُلَيبٌ لئيمُها

أترجو كُلَيبٌ أن يجىء حديثُها * بخيرٍ وقد أعيا كُلَيبا قديمُها

(١) الجواشن : الصدور . وفى جواشنها الحصى أى هى عظام الصدور . يريد أن أبدانهم معضلة كخلق العبيد قد أكثرت من العمل فتعضلت ليست عبلة كمبسوطة الأحرار . والأملحان : ماءان ، ويقال : هما جبلان لبنى سليط . والوقير : الغنم فيها حماران أو أحمرة ، ولا تسمى الغنم وقيرا إلا بحمرها . (النقائض بين جرير والفرزدق ص ١١ طبع أوربا) . (٢) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « أضحوا » بالحاء المهملة وهو تصحيف . وأضجوا الروايا أى ألحوا عليها بالاستقاء حتى تضج وترغو . والروايا : الإبل يستق عليها ، والمزاد : جمع مزادة وهى القربة . يقول : اخدموا أنتم واستقوا فان الحرب يكفيكموها غيركم . (٣) رواية النقائض : « كأن السليطيين أنقاض كمأة » . والأنقاض : جمع نقض وهو هنا ما خرج من رأس الكمأة اذا انشقت عنها الأرض . يصفهم بالذل وأنهم لا يمتنعون كما لا تمتنع هذه الكمأة اذا استثيرت بالعصا . (٤) العضاريط : الأتباع ، والواحد عضروط . والفراسن : أخفاف الابل واحدها فرسن . يقول : ذلك حظهم من الجزور ، وهو شر ما فيه . ويريد بقوله : « اذا ما السرايا حث ركضا مغيرها » أنه اذا ركب الناس لغارة أو فزع لم يركبوا معهم لأنهم ليسوا بأصحاب حرب ولا خيل . (٥) الجعر : ما يبس من العذرة فى الدبر . يقول : اذا تهايج الناس أحدثوا هم من الفزع والجبن . (٦) هذه رواية النقائض . وفى الأصول : « وعيساء يدعى بالفلاة نصيرها » . وجحيش هو جحيش ابن زياد أحد بنى زيد بن سليط . وصائد : سليطى . وعيساء : جدة غسان بن ذهيل . والعلاب : جمع علبة وهى التى يحلب فيها ، وهى تعمل من جلود الابل . ونفيرها : قومها .

قال : فما قلت له ؟ قال قلت :

ألم ترأنّى قد رميتُ ابنَ قَرْتَنَى * بصَمّاءَ لا يرجو الحياةَ اميمُها[1]

له أمّ سَوْءٍ بئس ما قَدّمتْ له * اذا فَرَطُ[2] الأحسابِ عُدّ قديمُها

قال : ثم مَنْ؟ قلتُ : الفَرَزْدَقُ. قال : ومالك وله؟ قلتُ : أعان البعيثَ علىّ .

٥ قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

تمنّى رجالٌ من تَميمٍ لِىَ الرَّدى * وما ذادَ عن أحسابِهم ذائدٌ مثلى

كأنّهم لا يعلمون مَواطنى * وقد جرّبوا أنى أنا السابقُ المُبْلِى[3]

فلو شاء قومى كان حِلْمِىَ فيهمُ * وكان على جُهّالِ أعدائهم جَهلى

وقد زعموا أنّ الفرزدقَ حيّةٌ * وما قتل الحيّاتِ من أحدٍ قَبلى

١٠ قال : ثم مَنْ؟ قلتُ : الأخْطَل . قال : مالك وله؟ قلتُ : رَشاه محمد بن عُمَير ابن عُطَارِدٍ زِقًّا من خمر وكَساه حُلّةً على أن يفضّل علىّ الفَرَزْدَقَ ويهجونى . قال : فما قال لك ؟ قال قال :

اخسأْ إليكَ كُلَيبُ إنّ مُجاشعًا * وأبا الفوارسِ نَهْشَلًا أخوانِ

واذا وَرَدْتَ الماءَ كان لدارمٍ * جُمّاتُه[4] وسُهولةُ الأعطانِ

١٥ وإذا قذفتَ أباكَ فى ميزانهم * رجحوا وشالَ أبوكَ فى الميزانِ

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

ياذا العَباءةِ[5] إنّ بِشْرًا قد قضَى * ألّا تجوزَ حكومةُ النَّشوانِ[6]

---

(١) القرتنى : الزانية . والأميم : المشجوج الرأس . (٢) فرط الأحساب : ما مضى وسبق منها ؛ يعنى أوائلها . (٣) فى ب ، س : « المجلى » بالجيم .

٢٠ (٤) الجمة : مجتمع الماء ومعظمه . والأعطان : جمع عطن وهو مناخ الابل حول وردها . وفى ديوانه : «صفواته» بدل «جماته» . (٥) كذا فى جـ والنقائض . والعباءة : الكساء . يعيره لبسها . وفى سائر الأصول : « ياذا الغباوة » . (٦) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « النسوان » . بالسين المهملة وهو تصحيف . وبشر هو بشر بن مروان بن الحكم .

فدَعُوا الحكومةَ لستُمُ من أهلها * إنّ الحكومةَ فى بنى شَيْبان
قتلوا كُلَيكُمُ بلقحةِ جارهم * يا خُزْرَ تغلبَ لستُمُ بهجانِ (١)

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : عمر بن لجأ التَّيْمىّ . قال : مالك وله ؟ قال : قلت بيتًا من شعر فقبّحه وقاله على غيرِ ما قلتُه ؛ قلت :

لَقَومِى أَحْمَى للحقيقةِ منكُمُ * وأَضْرَبُ للجبّار والنَّقْعُ ساطعُ
وأوثقُ عند المُرْهَفاتِ عشيّةً * لَحاقًا اذا ما جرّد السيفَ لامعُ (٢)

فزعَم أنّى قلتُ :

وأوثقُ عند المُرْدَفاتِ عشيّةً * لَحاقا اذا ما جرّد السيفَ لامعُ

فقال : لحقتَهنّ عند العشىّ وقد أُخِذْنَ غُدْوةً ، والله ما يُمْسين حتى يُفْضَحْنَ .
قال : فما قلتَ له ؟ قال قلت : ١٠

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِىّ لا أبا لكمُ * لا يُوقِعَنَّكُمُ فى سَوْءة عُمَرُ
خَلِّ الطريقَ لمن يَبنِى المنارَ به * وابرُزْ ببَرْزَةَ حيثُ اضطرّك القَدَرُ (٣)

حتى أتى على الشعر . قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : سُرَاقةُ بن مِرْداس البارقىّ . قال : مالك وله ؟ قال قلت : لا شىء ، حَمَله بِشْر بن مَرْوان وأكرهه على هجائى ، ثم بعث إلىّ رسولا وأمرنى أن أُجيبَه . قال : فما قال لك ؟ قال قال : ١٥

إنّ الفرزدقَ برّزتْ أعراقُه * عَفْوًا وغُودِر فى الغُبار جريرُ
ما كنتَ أوّلَ مُحْمِرٍ قعدتْ به * مسعاتُه إنّ اللئيمَ عَثُورُ (٤) (٥)
هذا قضاءُ البارقىّ وإنه * بالمَيْلِ فى ميزانكم لبَصيرُ

(١) اللقحة : الناقة الحلوب . والخزر : جمع أخزر ، والخزر : حول إحدى العينين . والهجان : البيض الكرام . يشير الى حادثة كليب بن ربيعة ومقتله . (٢) اللامع : المشير بالسيف منذرا . ٢٠
(٣) برزة : اسم أم عمر بن لجأ . (٤) المحمر : اللئيم . (٥) كذا فى حـ ونسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى سائر الأصول : « اللئام » وهو تحريف .

٤٥/٧

قال : فما قلت له ؟ قال قلت :

يا بِشْرُ حَقٌّ لوجهك التبشيرُ * هلّا غضبتَ لنا وأنت أميرُ
بِشْرٌ أبو مَرْوانَ إن عاسَرْتَه * عَسِرٌ وعند يَساره مَيْسورُ
إنّ الكريمةَ ينصُر الكرمَ ابنُها * وابنُ اللئيمةِ لِلّئام نَصُور
قد كان حقُّك أن تقول لبارقٍ * يا آلَ بارقَ فيمَ سُبَّ جَرِير
وكَسَحْتَ بأستِك للفَخار وبارقٌ * شَيْخانِ أَعْمَى مُقْعَدٌ وكَسِير

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : البَلْتَع وهو المُسْتنير[1] بن سَبْرةَ العَنْبَرِيّ. قال : مالكَ وله ؟ قلتُ : أعان عليّ ابنَ لَجَأ . قال : فما قال لك؟ قلت قال :

إنّ التي رَبَّتْكَ[2] لما طُلِّقتْ * قعدتْ على جَحْشِ المَرَاغة[3] تَمْرُغ
أتَعِيبُ مَنْ رضِيتْ قريشٌ صِهْرَه * وأبوك عبدٌ بالخَوَرْنَقِ أَذْلَغُ[4]

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

فما مستنيرُ الخُبْث إلا فَرَاشةٌ * هوتْ بين مُؤْتَجّ[5] الحَرِيقَيْن ساطِع
نَهيتُ بناتِ المستنيرِ عن الرُّقَى[6] * وعن مشيِهنّ الليلَ بين المَزَارع

ويروى * ... بين مؤتَجٍّ من النار ساطِع *

---

(١) قد ورد فى هذا الاسم اختلاف (انظر النقائض وديوانه المخطوط ص ١٨٤). (٢) فى ب، س : «زينت» وهو تحريف. (٣) المراغة فى الأصل : الأتان التى لا تمتنع عن الفحول، وبه لقب الأخطل أم جرير. (٤) فى الأصول : «أولغ» بالواو وهو تحريف. والأذلغ : الغليظ الشفتين، وهو أيضا الأقلف. (٥) كذا فى ب وديوانه. وائتجاج النار : التهابها. يريد أنه فى تعرضه لى دون عمر بن لجأ كالفراشة نظرت الى نار فألقت نفسها فيها. وفى سائر الأصول : «مرتج» وهو تحريف. (٦) قال فى شرح ديوانه : «كانت تميمة بنت المستنير بن سبرة وهو البلتع العنبرى جارية شابة جميلة وكانت تزعم أنها ترقى، فطبن لها فتى فأتاها يسترقيها، فلما خلا معها قال : ليس بى حاجة الى الرقية ولكن قد قتلنى حبك؛ فأمكنته من نفسها؛ فلم يرعهم إلا وهى فى رابيها فهجاه جرير بذلك».

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: راعِى الإبلِ. قال: مالكَ وله؟ قلتُ: قدِمْتُ البصرةَ وكان بلغنِي أنه قال لى:

يا صاحبيَّ دنا الرَّواحُ فسِيرَا * غَلَبَ الفرَزْدقُ فى الهجاء جَرِيرَا

وقال أيضا:

رأيتُ الجَحْشَ جحشَ بنى كُلَيبٍ * تيَمَّم حوضَ دِجْلَةَ ثم هابا

فقلت: يا أبا جَنْدل، إنك شيخُ مُضَرَ وشاعرُها، وقد بلغنى أنك تُفضِّل علىّ الفرزدقَ، وأنت يُسمع قولُك، وهو آبنُ عمِّى دونك؛ فان كان لا بدّ من تفضيلٍ فأنا أحقُّ به لمدحى قومَك وذكرِى إيّاهم. قال: وآبنه جَنْدَلٌ على فرسٍ له، فأقبل يسيرُ بفرسه حتى ضرب عَجُزَ دابّتِى وأنا قائم فكاد يقطع أصبعَ رِجْلِى وقال: لا أَرَاك واقفًا على هذا الكلب من بنى كُلَيب؛ فمضَى، وناديته: أنا آبن يرْبُوع(1)! إنّ أهلَك بعثوك مائرًا من هَبُود(2) وبئس المائرُ، وإنما بعثنى أهلى لأقعدَ على قارعة هذا المِرْبَد فلا يَسُبُّهم أحدٌ إلّا سبَبْتُه، وإنّ علىّ نذرًا إن جعلتُ فى عينى غُمْضا حتى أُخْزِيَك. قال: فما أصبحتُ حتى هجوتُه فقلت:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ * فلا كعبًا بلغتَ ولا كِلَابَا

قال فغَدوْتُ عليه من الغَد فأخذتُ بعنَانه، فما فارقتُه حتى أنشدتُه إيّاها. فلما مررتُ على قولى:

أجَنْدَلُ ما تقولُ بنو نُمَيرٍ * إذا ما الأَيْرُ فى آسْتِ أبيك غَابَا

قال: فأرسل يَدِى وقال: يقولون واللهِ شرًّا.

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: العباسُ بن يَزِيدَ الكِنْدىّ قال: مالك وله؟ قال لمّا قلتُ:

(1) كذا فى نسخة الشيخ الشنقيطى مصححة بقلمه، ويربوع من أجداده كما تقدّم. وفى الأصول: «أيابن يربوع» بالياء المثناة من تحت وهو تصحيف.
(2) هبود: اسم موضع ببلاد بنى نمير.

إذا غَضِبتْ عليكَ بنو تَميم * حسِبتَ النَّاسَ كلَّهمُ غِضابَا

قال :

أَلا رَغِمَتْ أُنوفُ بنى تَميمٍ * فُسَاةِ التَمْرِ إن كانوا غِضابَا

لقد غضِبتْ عليك بنو تَميمٍ * فما نَكَأَتْ بغَضْبتِها ذُبابَا

لو اطَّلع الغُرابُ على تَميمٍ * وما فيها من السَّوْءاتِ شابَا

قال : فتركتُه خمسَ سِنينَ لا أهجوه، ثم قدِمتُ الكوفةَ فأتيتُ مجلسَ كِنْدَةَ، فطلبتُ إليهم أن يكفُّوه عنّى؛ فقالوا : ما نَكُفُّه وإنه لشاعرٌ وأَوْعدونى، فقلت :

أَلا أَبْلِغْ بنى حُجْرِ بن وَهْبٍ * بأنّ التمرَ حُلْوٌ فى الشِّتاءِ

فَعُودُوا للنَّخِيلِ فأَبِّرُوها(١) * وعِيشُوا بالمُشَقَّرِ فالصَّفَاءِ

١٠ قال : فمكثتُ قليلا، ثم بعثوا إلىّ راكبا فأخبرونى بمَثالِبِه وجِوارِه فى طَيِّئٍ حيث جاور عَتّابًا، وحَبَل أختَه هُضَيبةَ حيث حَبِلتْ . قال : فقلتَ ماذا ؟ قال قلتُ :

إذا جَهِلَ الشَّقِىُّ ولم يُقَدِّرْ * لبعضِ الأمرِ أَوْشَكَ أن يُصابَا

أَعَبْدًا حَلَّ فى شُعَبَى(٢) غريبًا * أَلُؤْمًا لا أبالكَ واغترابَا

فما خَفِيتْ هُضَيبةُ حين جُرَّتْ(٣) * ولا إطعامُ سَخْلَتِها الكِلابَا

١٥ تُخَرِّقُ بالمَشاقِصِ(٤) حالِبَيْها * وقد بَلَّتْ مَشِيمَتُها التُّرابَا

فقد حَمَلتْ ثمانيةً وأَوْفتْ * بتاسِعِها وتَحْسَبُها كَعابَا

(١) أبر النخل : أصلحه . والمشقر : حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس يلى حصنا لهم آخر يقال له الصفاء قبل مدينة هجر . (٢) شعبى : موضع فى جبل طيئ . (عن شرح القاموس) . (٣) كذا فى ديوانه . وقد جاء فيه فى شرح هذا البيت أن العباس قتل ولدها فرمى به وقتلها بالرماه بها جرير وغيره

٢٠ ذلك . وفى الأصول : * فما تخفى هضيبة حيث تمسى *

(٤) المشقص من النصال : ما طال وعرض وقد جاء هذا البيت فى الديوان هكذا :

يقطع بالمعابل حالبيها * وقد بلت مشيمتها الثيابا

والمعابل : المشاقص .

قال : ثم من؟ قلت : جَفْنة الهِزّانِىّ بن جعفر بن عَبَايَةَ بن شَكْس من عَنَزة . قال : ومالكَ وله ؟ قال : أَقْبَـلَ سائلًا حتى أتانى وأنا أَمْدُر(١) حوضًا لى ، فقال : ياجَرير، قُمْ إلىّ هاهنا؛ قلت نعم . ثم أتيتُه فقلتُ : ما حاجتُك ؟ قال: مدحتُك فاَسْتَمِعْ منّى . قلتُ : أَنشِـدْنى فأَنْشَد ؛ فقلتُ : قـد والله أحسنتَ وأجملتَ ؛ فما حاجتُك؟ قال : تَكْسُونى الحُلّةَ التى كَسَاكَها الوليدُ بن عبدالملك العامَ . فقلت : إنّى لم أقِفْ فيهـا بالموسم ، ولا بدّ من أن أقفَ فيها العامَ ، ولكنّى أَكْسُوكَ حلّةً خيرًا منهـا كان كَسَانيهَا الوليدُ عامًا أوّلَ . فقال : ما أَقْبَـلُ غيرَها بعينها . فقلت : بَلَى ، فاَقْبَلْ وأَزِيدُكَ معها دنانيرَ نفقةً . فقال: ما أفعل؛ ومضَى فأَتى المَرّارَ بنَ مُنْقذ أحَدَ بنى العَدَوِيّة، فحمَلَه على ناقة له يقال لها القَصْواءُ . فقال جَفْنة :

لَعَمْــرُكَ لَلْمَــرّارُ يومَ لَقِيتُــهُ * على الشَّحْطِ خيرٌ من جريرٍ وأَكرَمُ

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

لقـد بعثتْ هِزّانُ جَفْنةَ مائرًا * فآبَ وأَحْذَى(٢) قومَـه شرَّ مَغْنَمِ

فياراكبَ القَصْواءِ ما أنت قائلٌ * لِهزّانَ إذ أَسْـلَمْتَها شرَّ مُسْـلَمِ

أظنُّ عِجَانَ(٣) التَّيْسِ هِزّانَ طالبًا * عُلَالَةَ(٤) سَبّاقِ الأَضَاميمِ مِرْجَمِ

كأنّ بنى هِزّانَ حينَ رَدَيْتُهــم * وِبَارٌ(٥) تَضَاغَتْ تحتَ غَارٍ مهدَّمِ

بَنِى عَبْدِ عمرٍو قد فَرَغْتُ اليكمُ * وقد طال زَجْرِى لو نَهَاكُمْ تقدُّمِى

(١) المدر : تطيينك وجه الحوض بالطين المتماسك لئلا يخرج منه الماء . (٢) كذا فى أ ، ء ، م وديوانه . وأحذاه : أعطاه مما أصاب . وفى سائر الأصول : «أجدى» بالجيم . (٣) كذا فى ديوانه . والعجان : الدبر . وفى الأصول : «نحاف التيس» ولا معنى لهـا . (٤) العلالة : الجرى بعد الجرى . والأضاميم : الجماعات، واحده إضمامة . والمرجم : الشديد . (٥) الوبار : مفرده وبر، وهى دويبة على قدر السنور طحلاء اللون لا ذنب لهـا تقيم فى البيوت . وتضاغت : صوّتت .

وَرَصْعَاءَ هِزَّانِيَّةٍ قد تَحَفَّشَتْ(١) * على مِثْلِ حِرْباءِ الفَلَاةِ المعمَّمِ

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : المَرَّارُ بن مُنْقِذ . قال : مالكَ وله ؟ قلتُ : أعان عليَّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

بَنِي مُنْقِذٍ لا صُلْحَ حتى تَضُمَّكُمْ * من الحربِ صَمَّاءُ القَنَاةِ زَبُونُ(٢)

وحتى تَذُوقوا كأسَ مَنْ كان قبلَكم * ويَسْلَحَ(٣) منكم في الحِبَالِ قَرِينُ

فإن كنتُم كَلْبَى(٤) فعندي شفاؤكم * وللجِنِّ إن كان اعتراكَ جنونُ

قال : ثم مَنْ؟ قلتُ : حَكِيم بن مُعَيَّة من بني رَبِيعةَ بنِ مالك بن زيد مَنَاةَ بن تَمِيم . قال : ومالك وله ؟ قلتُ : بلغني أنه أعان عليَّ غَسَّانَ السَّلِيطيَّ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

١٠ إذا طلَع الرُّكْبَانُ نَجْدًا وغَوَّرُوا * بها فَارْجُزَا(٥) يا بْنَيْ مُعَيَّةَ أو دَعَا

أَتَسْمَنُ أَسْتَاهُ الحَجْرِ(٦) وقد رأوْا * مَجَرًّا بوَعْسَاوَيْ(٧) رُمَاحَ مصرَّعَا

ألا إنما كانت غَضُوبُ(٨) مُحَامِياً * غداةَ اللِّوَى لم تَدْفَعِ الضَّيمَ مَدْفَعَا

---

(١) هذا البيت ساقط في الأصول عدا ب ، س . ورواية الديوان :

وَرَصْعاء هِزّانيـــة يخلق ابنها * لَنِيًّا إذا ما ماص في اللحم والدم

١٥ غليظة جلد الكاذتين تحفشت * على مثل حرباء الفلاة المعمـــم

الرصعاء : الزلاء التي لا عجيزة لها . وماص : اغتسل . والكاذتان : ما نتأ من اللحم في أعالي الفخذين . وتحفشت المرأة على زوجها : أقامت عليه ولزمته وأكبت عليه . (٢) حرب زبون : يدفع بعضها بعضا من الكثرة . (٣) في جـ : «ويصبح» . (٤) الكلبى : الذين أصابهم مرض الكلب، جمع كلب (بفتح فكسر). (٥) كذا في الديوان، وهو الصواب؛ لأن حكيم بن معية والمرار بن

٢٠ حكيم بن معية كانا راجزين وهما اللذان يعنيهما جرير . وفي الأصـــول : « فأزجرا » وهو تصحيف . (٦) بنو الحجر : من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة . (٧) الوعساء : الأرض اللينة ذات الرمل . وفي ديوانه : «بعبلاوى رماح» . والعبلاء : الأرض ذات الحجارة البيض ليست بسود ولا حمر. ورماح : موضع بالدهناء . وقد ورد في الأصـــول : « رماح ومصرعا » بزيادة الواو وهو تحريف . (٨) غضوب : امرأة من بني الحجر كانت شاعرة بذية ، قتلها بنو طهية في هجاء لها هجتهم به .

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ [ثَوْرُ بن] (١) الأَشْهَب بن رُمَيلة النَّهْشَلِيّ . قال : ومالكَ وله ؟ قلتُ : أعان علىّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

سيَخْزَى إذا ضَنَّتْ حَلائبُ مالكٍ (٢) * ثُوَيرٌ (٣) ويَخْـزَى عاصمٌ وجَمِيـعُ (٤)

وقَبْـلَكَ ما أَعْيَـا الرُّمَاةَ اذا رَمَوْا * صَـفًا ليس فى قاراتِهِنّ (٥) صُـدُوعُ

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الدَّلَهْمَسُ أحدُ بنى رَبِيـعةَ بنِ مالك بن زيد مَنَـاة . قال : مالكَ وله ؟ قلتُ : أعان علىّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

لقـد نَفَخَتْ منكَ الوَرِيدَيْنِ عِلْجَةٌ (٦) * خَبِيثَـةُ رِيحِ المَنْكِبَيْنِ (٧) قَبُـوعُ

ولو أَنْجَبَتْ أُمُّ الدَّلَهْمَسِ لم يَعِبْ (٨) * فَوَارِسَـنا (٩) لا عاشَ وهو جميـعُ

أليس ٱبنَ حَمْـراءِ العِجَانِ كأنّما * ثلاثةُ غِرْبانٍ عليـه وُقوعُ

فلا تُدْنِيَـا رَحْـلَ (١٠) الدَّلَهْمَسِ إنه * بصيرٌ بما يأتى اللئامُ سَمِيـعُ (١١)

هو النَّخْبَـةُ (١٢) الخَوَّارُ ما دونَ قلبِه * حِجَابٌ ولا حولَ الحِجابِ ضُـلوعُ

قال : ثم مررتُ على مجلس لهم فاعتذرتُ اليهم فلم يقبلوا عذرى، وأنشدونى شعرا لم يُخْبِرونى من قاله :

(١) التكملة عن ديوانه . (٢) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « اذا ضمت جلابيب مالك » وهو تحريف . ومالك هو مالك بن ربعى بن سلمى بن جندل بن نهشل . (٣) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « نوير » بالنون وهو تصحيف . (٤) عاصم وجميع : رجلان من بنى عامر . (٥) القارة : الصخرة العظيمة . وفى ديوانه : «عاديهنّ» . (٦) كذا فى ديوانه وأكثر الأصول . وفى ب ، س : « لقد نفخت منك الوريد ابن عجلة » . وهو تحريف . (٧) فى ديوانه : « المنخرين » . يريد أن يصفها بأنها راعية . والقبوع : التى تقبع السقاء، وهو أن تثنى رأس السقاء الى داخله ثم تشده فيكون أحفظ لما فيه . (٨) كذا فى أ ، ء ، م وديوانه . وفى سائر الأصول : «لم تعب» وهو تصحيف . (٩) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «لامات» . (١٠) كذا فى أ ، ء وديوانه . وفى سائر الأصول : «رجل» بالجيم وهو تصحيف . (١١) يريد أنه محكم فى اللؤم . (١٢) النخبة : الجبان .

غضبتَ علينا أن عَلاكَ ٱبنُ غالبٍ (١) * فهلّا على جَدَّيْكَ فى ذاكَ تغضَبُ

هُمَا إذْ عَلَا بالمرءِ مَسْعاةُ قومه * أَنَاخَا فشَدّاكَ العِقَالُ المؤرَّبُ (٢)

قال : فعلمتُ أنه شِعرُ قَبْضَةِ (٣) الكلب . قال : فجمعتُهم فى شعرى فقلت :

[و] (٤) أكثرُ ما كانت رَبيعةُ أنها * خِبَاءانِ (٥) شتّى لا أنيسٌ ولا قَفْرُ

٥ مُحَالِفُهم فقرٌ شديدٌ وذِلّةٌ * وبئس الحَلِيفانِ المذلّةُ والفقرُ

فصبرًا على ذُلِّ رَبيعَ بنَ مالكٍ * وكلُّ ذليلٍ خيرُ عادتِه الصبرُ

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : هُبيرةُ بن الصَّلْتِ الرَّبَعِىّ من ربيعةَ بنِ مالكٍ أيضا ، كان ٤٨/٧٠ يَرْوِى شعرَ الفرزدق . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ :

يَمْشِى هُبيرةُ بعد مَقْتَل شَيْخه * مَشْىَ المُرَاسِلِ (٦) أوذِنَتْ بطلاقِ

١٠ ماذا أردتَ إلىَّ حينَ تحرّقتْ * نارِى وشُمِّر مِئْزَرِى عن ساقِ

إنّ القُرافَ (٧) بمَنْخَرَيْكَ لَبَيِّنٌ * وسوادُ وجهك يابنَ أمِّ عِفَاقِ (٨)

---

(١) ابن غالب : الفرزدق . (٢) المؤرب : المحكم . (٣) فى أ ، ء ، م : « قضبة الكلب » بالياء المثناة من تحت . (٤) التكلة عن ديوانه (ص ٢٦٢) . وهذه الأبيات من قصيدة مطلعها :

١٥ طربت وهاج الشوق منزلة قفر * تراوحها عصر خلا دونه عصر

(٥) كذا فى حـ وديوانه . وفى سائر الأصول : « حيان » وهو تحريف .

(٦) المراسل : التى أحست من زوجها أنه يريد تطليقها فهى تزين لآخر ، وهى أيضا التى مات عنها زوجها . يقول : هو لا يطلب بثأره وإنما همه التصنع كالمطلقة التى تخطب فهى تتهيأ وتتزين . فلو كان حرا لأنصبه طلب ثأره . أو المراسل : التى طلقت مرات فقد اعتادت الطلاق لا تباليه . يقول : فهبيرة قد اعتاد ٢٠ أن يقتل له قتيل ولا يطلب بثأره فأصبح لا يبالى ذلك ، مثل المراسل التى اعتادت الطلاق فلا تباليه .

(٧) يريد قرفة أنفه أى قشرته وهى المخاط اليابس الذى يلزق بالأنف ، ومنه الحديث : « ما على أحدكم إذا أتى المسجد أن يخرج قرفة أنفه » أى ينقى أنفه . (٨) عفاق : اسم رجل ، ولعله أخو هبيرة بن الصلت هذا .

سِيرُوا فرُبَّ مُسَبِّحِينَ وقائلٍ * هــذا شَقًا(١) لبَنِي رَبِيعةَ باقِ

أَبَنِي رَبِيعةَ قد أَخَسَّ بحَظِّكُمْ * لؤمُ الجُدودِ ودِقَّةُ(٢) الأخلاقِ

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: عِلْقَةُ(٣) والسَّرَنْدَى من بني الرِّبَابِ كانا يُعِينان ٱبنَ لجَأ. قال: فما قلتَ لهما؟ قال قلتُ:

عَضَّ السَّرَنْدَى على تَثْلِيم ناجذِه * من أمّ عِلْقَةَ بَظْرًا غَمَّهُ(٤) الشَّعَرُ

وعَضَّ عِلْقَةُ لا يأْلُو بعُرْعُرةٍ(٥) * من بَظْرِ أُمّ السَّرَنْدَى وهو منتصِرُ

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: الطُّهَوِيُّ، كان يَرْوِى شعر الفرزدق. قال: ما قلتَ له؟ قال قلتُ:

أَتَنْسَوْنَ وَهْبًا يا بَنِي زَبَدِ ٱسْتِها * وقد كنتمُ جِيرانَ وَهْبِ بنِ أَبْجَرا(٦)

فما تَتَّقون الشَّرَّ حتّى يُصيبَكم * ولا تَعرِفون الأمرَ إلا تدبُّرا

ألا رُبَّ أَعْشَى ظالِمٍ متخمِّطٍ(٧) * جعلتُ لعينيه جِلاءً(٨) فأَبْصَرا

قال: ثم مَنْ؟ قلتُ: عُقْبةُ بن السُّنَيْعِ(٩) الطُّهَوِيُّ وكان نَذَرَ دَمِي. قال: فما قلتَ له؟ قال قلتُ:

يا عُقْبَ يا ٱبنَ سُنَيْعٍ ليس عندكمُ * مأوَى الرِّفاقِ ولا ذو الرايةِ الغادِى(١٠)

(١) كذا فى ديوانه . والشقا يمد ويقصر . وفى الأصول : « شفا » بالفاء وهو تصحيف .

(٢) الدقة : الخسة . ورواية الديوان : « ... إنما أزرى بكم * نكد الجدود ... » .

(٣) كذا فى ديوانه ونسخة الأستاذ الشنقيطى . وفى الأصول : « علفة » . بالفاء وهو تصحيف .

(٤) غمه : غطاه . وفى ب، س : «عمه» بالعين المهملة . (٥) العرعرة : رأس كل شىء وأعلاه .

(٦) هو وهب بن أبجر بن جابر العجلى ، وكان خرج مع يزيد بن المهلب ، فلما هزم آل المهلب لحق بأخواله بنى طهية ؛ فبعث مسلمة بن عبد الملك قيرا المازنى فأخذ وهبا فقتله . وفى ديوانه : «أتنعون وهبا ...» .

(٧) المتخمط : المتكبر الشديد الغضب والجلبة . (٨) الجلاء : الكحل . (٩) كذا فى ديوانه وشرح القاموس مادة «سنع» . وفى الأصول : «السميع» وهو تحريف . (١٠) كذا فى أكثر الأصول وديوانه . وفى ب، س : «العادى» بالعين المهملة .

يا عُقْبَ يابنَ سُنَيْعٍ بعضَ قولِكُمُ * إن الوِثابَ لكم عندى بمِرْصادِ
ما ظنُّكم ببَنِي مَيْثاءَ إن فَزِعُوا * ليلًا وشدّ عليهم حَيّةُ الوادى
يَغْدُو علىّ أبو لَيْلَى ليقتلَنى * جَهْلًا علىّ ولم يثأر بشدّادِ ![1]
اِرْوُوا[2] علىّ وأرْضُوا بى صديقَكُمُ * وآستسمِعُوا يابنِى مَيْثاءَ إنشادى

٥ مَيْثاءُ هى بنت زُهَير بن شدّاد الطُّهَوِىّ وهى أم عَوْف بن أبى سُود بن مالك ابن حَنْظلة .

وقال أيضا لبنى مَيْثاء :

نُبِّئْتُ عُقْبةَ خَصّافًا[3] توعّدنى * يارُبَّ آدَرَ من مَيْثاءَ مأفُونِ
لَوْ فى طُهَيّةَ أحلامٌ لما آعترضُوا * دونَ الذى كنتُ أرْميه ويَرْمِينى

قال : ثم مَنْ؟ قلت : سُحْمةُ الأعْورُ النَّبْهانِىّ[4]، كانت له آمرأة من طيّئ وُلِدت فى بَنِى سَلِيط فأعطَوْه وحَمَلُوه علىّ . فسألنى فآشتطّ، ولم يكن عندى لحُرْمته، فقال :

أقولُ لأصحابى النَّجاءَ فإنه * كَفَى الذّمَّ أن يأتى الضيوفَ جرير[5]
جريرًا آبنَ ذاتِ البَظْرِ هل أنت زائلٌ * لِقدْرِك[6] دون النازلين سُتُور

---

(١) هو شدّاد الميثاوى، كان يتحدّث الى امرأة من بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة، فألقاه أهلها فى بئر .

١٥ (٢) كذا فى ديوانه . وفى ب، س : « ردوا » . وفى أ، ء : « أردوا » . وفى جـ : « أرزوا » وهو تحريف . ولعله يريد : اروروا شعر الفرزدق فى هجائى وأرضوه بذلك .

(٣) الخصاف : الكذاب . والآدر : الذى أصابه فتق فى إحدى خصيتيه . (٤) كذا فى اللسان وشرح القاموس (مادة « قـرن ») وهو أحد الأقوال فى اسم الأعور النبهانى . قال ابن الكلبى : اسمه سحمة بن نعيم بن الأخنس بن هوذة، وقال أبو عبيدة فى النقائض : يقال له العناب واسمه سحيم بن شريك .

٢٠ (٥) قد وردت هذه القصيدة هكذا فى الأصول . والروىّ فيها مرفوع؛ على أنه يلاحظ أن البيت الأوّل والثانى منها يجب فيهما نصب الروى ؛ فأما البيت الأوّل فذلك فيه ظاهر . وأما الثانى فمن زال يتعدّى، يقال : زال الشيء يزوله ويزيله أى نحاه . يريد هل أنت كاشف ستور قدرك لمن ينزل بك ويفد عليك ؟

(٦) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س : « لقد زل » وهو تحريف .

وهل يُكْرِمُ الأضيافَ كلبٌ لكلبة (١) * لها عند أَطْنابِ البيوت هَرِيرُ
فلو عندَ غَسّانَ السَّلِيطِيِّ عَرَّسَتْ (٢) * رَغَا قَرَنٌ (٣) منها وكَاسٌ عَقِيرُ
فَتًى هو خيرٌ منكَ نفسًا ووالدًا * عليكَ اذا كان الجِوارُ يُجِيرُ

فقال (٤) جرير :

وجَدْنا بَنِي نَبْهانَ أذنابَ طَيِّئٍ * وللناس أذنابٌ تُرَى وصُدورُ
تغنّى (٥) ابنُ نَبْهانيّةٍ طال بَظْرُها * وباعَ ابنَها عند الهِياجِ قَصيرُ
وأعْوَرَ من نَبْهانَ أمّا نَهارُه * فأَعْمَى وأمّا ليلُه فبَصيرُ (٦)
ستأتى بَنِي نَبْهانَ منّى قصائدٌ * تَطَلَّعُ (٧) من سَلْمَى (٨) وهنّ وُعُورُ
تَرَى قَزَمَ المِعْزَى مُهُورَ نسائهم * وفى قَزَمِ المِعْزَى لهنّ مُهُورُ (٩)

قال : وطلع الصبحُ فنهَض ونهَضتُ . قال : فأخبرنى من كان قاعدا معه أنه قال : قاتله الله أعرابيًّا ! إنه لَجِرْوُ هِرَاش . ١٠

(١) روايته فى النقائض : « وأنت كلبى لكلب وكلبة » . شبهه فى قلة خيره بالكلب .

(٢) الضمير فى عرست يفهم من البيت السابق لهذا البيت ، وهو كما فى اللسان والنقائض :

أقول لها أمى سليطا بأرضها * فبئس مناخ النازلين جرير

(٣) كذا فى اللسان وشرح القاموس (مادة «قرن») والنقائض . والقرن : البعير المقرون بآخر . وكاس عقير ، يريد أنه عقر له بعير فقام على ثلاث . يقول : لو نزلت بغسان لأعطاني جملا يرغو وعقر لى آخر . وقد ورد هذا الشطر فى ب ، س « لهاقرن منها وهى كأس عقير » . وفى سائر الأصول : « لها قرن منها وكاس عقير » وهما تحريف . (٤) المناسب لسياق القصة «فقلت» . (٥) كذا فى النقائض . وفى الأصول : «تعنى» بالعين المهملة . (٦) هذا البيت ورد فى جـ وسقط من سائر النسخ . يريد أنه أعمى النهار عن الخيرات بصير الليل بالسوءات يسرق ويزنى . (٧) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « تطلع » . (٨) سلمى : اسم جبل لطيئ ، وهو لبنى نبهان خاصة . ووعور : خشنة غلاظ ، يعنى القصائد . (٩) القزم : الصغار الطلية واحدتها قزمة . وروى « ترى شرط المعزى » ، وشرط المال : أخسه وشراره : يقول : ليس تبلغ أقدارهم أن تمهر نساؤهم الابل إنما يمهرن خسيس المعزى . ١٥ ٢٠

قصته مع الراعى وابنه جندل

أخبرنى علىّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سَعيد السُّكّرى عن الرِّيَاشىّ عن الأصمعىّ قال وذكر المُغيرة بن حَجْناء قال حدّثنى أبى عن أبيه قال :

كان راعى الإبل[1] يَقْضِى للفرزدق على جرير ويفضّله ، وكان راعى الإبل قد ضَخُم أمرُه وكان من شعراء الناس . فلما أكثر من ذلك خرج جرير الى رجال من قومه فقال : هَلّا تَعْجَبون لهذا الرجل الذى يقضى للفرزدق علىّ وهو يهجو قومَه وأنا أمدحهم ! قال جرير : فضربتُ[2] رأيِى فيه . ثم خرج جرير ذاتَ يومٍ يمشى ولم يركب دابّتَه ، وقال : والله ما يسرُّنى[3] أن يعلم أحد . وكان لراعى الإبل والفرزدق وجلسائهما حَلْقةٌ بأعلى المِرْبَد بالبصرة يجلسون فيها . قال : فخرجتُ أتعرّض له لألقاه من حِيَالٍ حيثُ كنت أراه يمرّ اذا آنصرف من مجلسه ، وما يسرُّنى أن يعلم أحد ، حتى اذا هو قد مَرّ على بغلة له وآبنُه جَنْدَلٌ يَسير وراءه على مُهْرٍ له أَحْوَى[4] محذوفِ الذَّنَب وإنسانٌ يمشى معه يسأله عن بعض السَّبَب ، فلما آستقبلتُه قلتُ : مَرْحبًا بك يا أبا جَنْدل ! وضربتُ بشِمَالِى على مَعْرَفة بغلته ، ثم قلت : يا أبا جَنْدل ! إن قولَك يُستمع و إنك تُفضّل الفرزدقَ علىّ تفضيلا قبيحا وأنا أمدح قومَك وهو يهجوهم وهو آبن عمى ، ويَكْفِيكَ من ذاك هيِّنٌ[5] : إذا ذُكِرنا أن تقول كلاهما شاعرٌ كريم ، ولا تحتملُ منى ولا منه لائمةً . قال : فبيْنا أنا وهو كذاكَ واقفًا علىّ وما رَدّ علىّ بذلك شيئا حتى

---

(١) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل ، ويكنى أبا جندل ، والراعى لقب غلب عليه لكثرة وصفه الابل وجودة نعته إياها ، وهو شاعر فحل من شعراء الاسلام ، وكان مقدّما مفضلا حتى اعترض بين جرير والفرزدق . (انظر ترجمته فى الأغانى ج ٢٠ ص ١٦٨ طبع بلاق) . (٢) فى ج : «فصوّبت» . (٣) كذا فى ج . وفى سائر الأصول : «أن أعلم أحدا» . (٤) الأحوى : الذى يضرب إلى السواد من شدّة خضرته . والحذف : قطف الشىء من الطرف ، يقال : حذف شعره وذنب فرسه إذا قطع طرفه . (٥) هذه الكلمة «هين» ساقطة من ب ، س .

لَحِق ٱبنُه جَنْدَلٌ، فرفع كَرْمانيَّةً[1] معــه فضرَب بها عَجُزَ بغلته ثم قال : لا أَرَاك واقفًا على كلبٍ من بنى كُلَيب كانك تَخْشَى منــه شرًّا أو ترجو منــه خيرا ! وضرَب البغلةَ ضربةً، فرَمَحَتْنِى[2] رَمْحةً وقعتْ منها قَلَنْسُوتِى، فوالله لو يعرِّج علىّ الراعى لقلتُ سَـفيهٌ غَوَى — يعْنى جَنْدلًا ٱبنَه — ولكن لا والله ما عاج علىّ، فأخذتُ قَلَنْسُوَتِى فمسحْتُها ثم أَعَدْتُها على رأسِى ثم قلتُ :

أَجَنْــدلُ ما تقول بنو نُمَــيْرٍ * إذا ما الأَيْرُ فى ٱستِ أبيك غابَا

فسمعتُ الرّاعىَ قال لٱبنه : أَمَا والله لقــد طرحتَ قَلَنْسُوَتَه طَرْحةً مشئومة . قال جريرٌ : ولا والله ما القلنسـوةُ بأَغْيظ أ مره الىّ لو كان عاجَ علىّ . فانصرف جرير غضبانَ حتى اذا صلَّى العِشاءَ بمنزله فى عِلِّيَّة[3] له قال : ارفَعوا إلىّ باطِيَةً من نبيذ وأَسْرِجُوا لى ، فأَسْرَجُوا له وأتَوْه بباطِيةٍ من نبيذ . قال : فجعَل يُهَمْهِمُ[4]؛ فسمعتْ صوتَه عجوزٌ فى الدار فٱطَّلَعَتْ فى الدَّرَجةِ حتى نظرتْ اليه، فاذا هو يَحْبُو على الفراش عُرْيانًا لمــا هو فيه، فٱنحدرتْ فقالت : ضيفكُم مجنون! رأيت منه كذا وكذا ! فقالوا لها : اذهبى لِطِيَّتِك، نحن أعلم به وبما يُمَارِس . فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ، ثم إذا هو يكبِّر قد قالها ثمانين بيتا فى بنى نُمَير . فلما ختمها بقوله :

فغُضَّ الطَّـرْفَ إنّكَ من نُمَـيرٍ * فـــلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلابَا

كَبَّر ثم قال : أَخزيتُــه وربِّ الكَعْبة . ثم أَصْبح ، حتى اذا عرَف أن الناس قد جلسوا فى مجالسهم بالمِرْبَد، وكان يعرِف مجلسَــه ومجلسَ الفَرَزْدَق، دعا بدُهْنٍ

(١) كذا فى الأصول والأغانى (جـ ٢٠ ص ١٦٩ طبع بلاق) فى ترجمة الراعى . وظاهر أنها ضرب من السياط . وقد جاءت هذه القصة فى النقائض (ص ٤٣١) وفيها : «فأقبل يشتد به فرسه حتى يهوى بالسوط لمؤخر بغلة أبيه .. الخ» . (٢) فى النقائض : «فزحتنى والله زحة وقعت منها على كفى فى الأرض» . (٣) العلية : الغرفة . (٤) فى جـ : «يهينم» . والهمهمة والهينمة : الصوت الخفى .

فَادَّهَنَ وكَفَّ رأسه[1]، وكان حسنَ الشَّعر ، ثم قال: ياغلام، أَسْرِجْ لى، فَأَسْرَجَ له حِصانا، ثم قصد مجلسهم؛ حتى إذا كان بمَوضع[2] السلام قال : يا غلامُ — ولم يسلِّمْ — قل لعَبِيد : أبعثك نِسْوَتُك تَكْسِبُهنّ المالَ بالعراق ! أما والذى نفسُ جريرٍ بيده لتَرْجِعَنّ اليهنّ بمَيْرٍ يَسُوءهن ولا يَسُرّهنّ ! ثم آندفع فيها فأنشدها . قال:

٥ فنكَس الفرزدقُ وراعى الإبلِ وأَرَمّ[3] القومُ، حتى اذا فرَغ منها سار[4]، وثبَت راعى الإبلِ ساعةً ثم ركب بغلتــه بشَرٍّ وعُرٍّ وخَلَّى المجلسَ حتى ترقَّى إلى منزله[5] الذى ينزله ، ثم قال لأصحــابه : رِكابَكم رِكابَكم ، فليس لكم هاهنا مُقام ، فضَحكم واللهِ جرير ! فقال له بعض القوم : ذاك شؤمُك وشؤمُ ابنِك . قال : فما كان إلا ترحُّلُهم . قال فسِرْنا الى أهلنا سيرًا ما ساره أحد، وهُمْ بالشُّرَيْف وهو أعلى دارِ بنى نُمَير . فيحلفُ

١٠ بالله راعى الإبل إنّا وجَدْنا فى أهلنا :

* فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ *

وأقسم بالله ما بلَغه إنسيٌّ قطّ ، و إنّ لجريرٍ لأشياعًا من الجنّ . فتشاءمتْ به بنو نُمَير وسَبُّوه وآبنَه ، فهمْ يتشاءمون به الى الآن .

قال قصيدته فى هجو الراعى عند رجل من أنصاره

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ عن أبيه

١٥ قال حدّثنى مَوْلًى لبنى كُلَيب بن يَرْبوع كان يبيع الرُّطَب بالبصرة أُنْسِيتُ آسمَه قال :

(١) كف شعره : جمعه وضم أطرافه . (٢) كذا فيما سيأتى فى الأغانى (ج ٢٠ ص ١٧٠ طبع بلاق . وفى الأصول هنا : «موقع السلام» . (٣) كذا فى حـ . وأرمّ القوم : سكتوا . وفى سائر الأصول : «أزم» بالزاى وهو تصحيف . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «... سار وثبت راعى الابل ساعة فركب بغلته ... الخ» . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول :

٢٠ «حتى أتى إلى المنزل الذى ينزله» .

كنت أجمع شعر جرير وأشتهى أن أحفظه وأرويه . فجاءنى ليلةً فقال: إن راعى الإبل النُّميرىّ قد هجانى، و إنّى آتيك الليلةَ فأعِدّ لى شِواءً رَشْرَاشًا[1] ونبيذًا مُخْفِسًا[2]؛ فأعددتُ له ذلك . فلما أعْتَمَ جاءنى فقال : هَلُمَّ عَشاءَك، فأتيتُه به، فأكل ثم قال : هَلُمَّ نبيذَك، فأتيتُه به ، فشرب أقداحا ثم قال : هات دواةً وكَتِفًا[3] ؛ فأتيتُه بهما ، فجعل يُملِى علىّ قولَه :

أَقِلِّي اللَّومَ عَاذِلَ والعتابَا * وقُولِى إن أَصَبْتُ لقد أصابَا

حتى بلغ الى قوله :

* فغُضِّ الطَّرْفَ إنكَ من نُمَيرٍ *

فجعل يردِّده ولا يَزيد عليه حتى حَمَلَتْنِي عينِي، فضربتُ بذَقَنِي صَدْرِى نائمًا، فاذا به قد وثَب حتى أصاب السَّقْفَ رأسُه وكبَّر ثم صاح : أخزيتُه والله ! اُكْتُبْ :

* فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلَابَا *

غَضَضْتُه[4] وقدّمتُ إخوتَه عليه ! والله لا يُفْلِح بعدها [أبدا] . فكان والله كما قال ما أفلح هو ولا نُمَيْرِىّ بعدها .

أنشد الفرزدق أشطار شعره فأخبر بتواليها

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو غَسّانَ دَمَاذ عن أبى عُبَيدة قال: أقبل راكبٌ من اليمامة ؛ فمرّ بالفرزدق وهو جالس فى المِرْبَد؛ فقال له : من أين أقبلتَ ؟ قال : من اليمامة . فقال : هل رأيت آبن المَرَاغة ؟ قال نعمْ . قال : فأىَّ شيء أحدث بعدى ؟ فأنشده :

* هاجَ الهوى لفؤادك المُهْتاجِ *

---

(١) شواء رشراش : خضل ند يقطر دسما . (٢) كذا فى جـ . والمخفس : السريع الإسكار . وفى سائر الأصول : « مخفشا » وهو تصحيف . (٣) كانوا يكتبون فى عظم الكتف لقلة القراطيس عندهم . (٤) فى ب ، س : « غصصته » بالصاد .

٥١ / ٧

فقال الفرزدق :

* فانظُر بتُوضِحَ[1] باكِرَ الأَحْداجِ *

فأنشده الرجل :

* هذا هوًى شغَفَ الفؤادَ مبرِّحُ *

فقال الفرزدق :

* ونَوًى تَقَاذَفُ غيرُ ذاتِ خِلاجِ[2] *

فأنشده الرجل :

* إن الغراب بمـا كرِهتَ لمُولَعُ *

فقال الفرزدق :

* بنَوَى الأحبـةِ دائمُ التَّشْحَاجِ[3] *

فقال الرجل : هكذا والله ، قال أفسمعتَها من غيرى ؟ قال : لا ! ولكن هكذا ينبغى أن يقال ؛ أو ما علمت أن شيطاننا واحد ! ثم قال : أمَدَح بهـا الحَجّاجَ ؟ قال نعمْ . قال : إياه أراد .

أجاب الفرزدق فى الحج جوابا حسنا

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنا محمد بن إسحاق بن عبد الرحمن قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلىّ قال حدّثنى أبو عُبيدة قال :

التقَى جريرٌ والفرزدقُ بمِنًى وهما حاجّانِ، فقال الفرزدقُ لجرير :

فإنك لاقٍ بالمنازل من مِنًى * فَخَارًا فخبِّرْنِى بمن أنت فاخرُ

---

(١) توضح : كثيب أبيض من كثبان حمر بالدهناء قرب اليمامة . والأحداج : مراكب النساء .

(٢) غير ذات خلاج أى نوى مقطوع بها لا يخالج فيها الشك والريب . يقال : خلجه وخالجه فى الأمر شىء اذا شك فيه . وفى لسان العرب : « ونوى خلوج بينة الخلاج : مشكوك فيها » ثم استشهد بهذا البيت .

(٣) تشحاج الغراب : صوته .

فقال له جرير : بَلَبَّيْكَ(١) اللهم لبيك . قال إسحاق : فكان أصحابُنا يستحسنون هذا الجوابَ من جرير ويعجبون(٢) منه .

هجا التيم فلم يؤثر فيهم من لؤم أصلهم

أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سلّام ، وأخبرنى وكيع عن محمد بن إسماعيل [عن ابن سلّام](٣) قال حدّثنا أبو الخطّاب عن أبيه عن حجناء بن جرير قال :

قلت لأبى : يا أبت ، ما هجوتَ قوما قطُّ إلّا أفسدتَهم سِوى التَّيم . فقال : إنّى لم أجد حَسَبًا أَضَعه ، ولا بِناء أهدِمُه . ٥

حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء

قال ابن سلّام أخبرنى أبو قيس(٤) عن عِكْرِمةَ بن جرير قال: قلت لأبى: يا أبتِ، من أشعرُ الناس ؟ فقال : أَلجاهليةَ تريد أم الإسلامَ؟ قلتُ : أخبِرْنى عن الجاهلية . قال : شاعرُ الجاهلية زُهَير . قلت : فالإسلام ؟ قال : نَبْعة الشعر الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد صفة الملوك ويُصيب نعتَ الخمر . قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : دَعْنى فإنى نَحرتُ(٥) الشعرَ نَحرا . ١٠

سمعه الفرزدق ينشد بائيته فتوقع فيها نصف بيت فيه هجوله فكان كاظن

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى الحسن بن عُلَيل قال حدّثنى محمد بن عبدالله العَبْدِىّ عن عُمَارة بن عَقيل عن جدّه قال :

وقف الفرزدقُ على أبى بمِرْبَد البصرة وهو يُنشد قصيدته التى هجا بها الراعى ؛ فلما بلغ الى قوله : ١٥

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ * فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلابَا

أقبل الفرزدقُ على راويته فقال : غَضَّه(٦) واللهِ فلا يُجيبه أبدًا ولا يُفلِح بعدها . فلما بلغ الى قوله :

(١) فى جـ : «لبيك اللهم لبيك» . (٢) فى جـ : «ويعجبون به» . (٣) زيادة عن جـ .
(٤) كذا فى ابن سلام وهو أبو قيس العنبرى ، قال عنه ابن سلام : ولم أر بدويا يزيد عليه . وفى أكثر الأصول : «أبو الدقيش» . وفى جـ : «أبو الدلمس» وكلاهما تحريف . (٥) فى ب ، س : «بحرت الشعر بحرا» . (٦) فى ب ، س : «غصه» بالصاد المهملة . ٢٠

* بها بَرَصٌ بجانب إسكتيها (١) *

وضع الفرزدقُ يده على فيه وغطّى عَنفقته (٢) ، فقال أبى :

* كعَنفقة الفرزدق حين شابَا *

فانصرف الفـرزدقُ وهو يقول : اللهـم أخزه ! والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غيرَ هذا ، ولكن طمعتُ ألّا يأبه فغطّيتُ وجهى ، فما أغنانى ذلك شيئا . قال العَنَزِىّ حدّثنى مسعود بن بِشْر عن أبى عُبَيدة قال قال يونُس : ما أُرَى جريرًا قال هـذا المِصْراعَ إلا حينَ غطّى الفرزدقُ عَنْفقته ، فإنه نبّهه عليـه بتغطيته إيّاها .

سئل الفرزدق عمن يجاريه فى الشعر فلم يعترف إلا به

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا المَدائنىّ عن أبى بكر الهُذَلىّ قال :

قال رجل من بنى دارِم للفرزدق وهو بالبصرة : يا أبا فِراس ، هل تعلم اليوم أحدًا يَرْمِى معك؟ فقال : لا ! والله ما أعرف نابحا إلا وقد آستكان ولا ناهشا إلا وقد آنجحر إلا القائلَ :

فإنْ لم أجِدْ فى القُرْبِ والبعدِ حاجتى * تَشأّمتُ أو حَوّلتُ وجهى يمانيَا

فـردّى جِمالَ الحىّ ثم تحمّلى * فمالكِ فيهم من مُقامٍ ولا ليَا

فإنّى لمغرورٌ أُعلَّل بالمُنَى * ليالىَ أرجو أنّ مالَكِ ماليَا

وقائلةٍ والدمعُ يَحْدُر كُحْلَها * أبعدَ جرير تُكرِمون المَواليا

بأىّ نِجادٍ تحمل السيفَ بعد ما * قطعتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيا

بأىّ سنانٍ تطعُنُ القِرْمَ (٣) بعدما * نَزَعْتَ سِنانًا من قَنَاتك ماضيا

(١) الإسكتان : جانبا الفرج . (٢) العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن .

(٣) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «القوم» بالواو .

لسانى وسيفى صارمان كلاهما * وللسيفُ أشوى[1] وقعةً من لسانيا

قال : وهذا الشعر لجرير .

وفد على يزيد بن معاوية وأخذ جائزته

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد عن عُمارةَ بنِ عُقَيل عن أبيه قال :

قال جرير : وفدتُ الى يزيدَ بنِ معاوية وأنا شابٌّ [يومئذ][2]، فاستُؤذن لى عليه فى جملة الشعراء، فخرج الحاجب إلىّ وقال: يقول لك أمير المؤمنين : إنه لا يَصِلُ إلينا شاعر لانعرفه ولانسمع بشىء من شعره، وما سمعنا لك بشىء فنأذنَ لك على بَصيرة . فقلت له : تقولُ لأمير المؤمنين : أنا القائل :

وإنّى لَعَفُّ الفقر مُشْتَرَكُ الغِنَى * سريعٌ إذا لم أرضَ دارى انتقاليا

جرىءُ الجَنَانِ لا أُهاب مِن الردَى * إذا ما جعلتُ السيفَ قَبْضَ بَنَانيا

وليس لسيفى فى العظامِ بَقِيّةٌ * ولَلسّيفُ أشْوَى وقعةً من لسانيا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبياتَ ، ثم خرج إلىّ وأَذِن لى ، فدخلت وأنشدته وأخذت الجائزةَ مع الشعراء، فكانت أوّلَ جائزة أخذتُها من خليفة ، وقال لى : لقد فارق أبى الدنيا وما يظنّ أبياتَك التى توسّلْتَ بها إلىّ إلّا لى .

موازنة حماد الراوية بينه وبين الفرزدق

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرِىّ عن الهَيْثَم بنِ عَدِىّ عن حَمّادٍ الراوية قال :

أتيتُ الفرزدق فأنشدنى ، ثم قال لى : هل أتيتَ الكلبَ جريرًا ؟ قلت نعم . قال : فأنا أشعر أو هو ؟ فقلت : أنت فى بعض الأمر وهو فى بعض .

(١) يقال : رماه فأشواه اذا أصاب شواه ولم يصب مقتله . والشوى : الأطراف .

(٢) زيادة عن ج .

فقال : لم تُنَاصِحْنِى . فقلت : هو أشعرُ إذا أرْخِى من خناقه ، وأنت أشعر منه إذا خِفْتَ أو رجوتَ . فقال : وهل الشعر إلا فى الخوف والرجاء وعند الخير والشرّ ! .

حكم له بشر بن مروان وقد تفاخر هو والفرزدق بحضرته

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن الحارث قال حدّثنا المَدَائنىّ عن يحيى بن عَنْبَسة القُرَشىّ وعَوَانةَ بنِ الحَكَم :

٥ أنّ جريرا والفرزدق اجتمعا عند بِشْر بن مَرْوان ، فقال لهما بشر : إنكما قد تقارضتُما الأشعارَ وتطالبتُما الآثار وتقاولتُما الفخرَ وتهاجيتُما . فأمّا الهجاء فليست بى إليه حاجة ، فجدّدا بين يدَىّ فخرا ودَعَانِى مما مضى . فقال الفرزدق :

نحن السَّنَامُ والمَنَاسِمُ غيرُنا (١) * فمَنْ ذا يُساوِى بالسَّنامِ المَنَاسِمَا !

فقال جرير :

١٠ على موضعِ الأَسْتاهِ أنتم زعمتُمُ * وكُلُّ سَنَامٍ تابعٌ للغَلَاصِمِ (٢)

فقال الفرزدق :

على مَحْرِثٍ (٣) للفَرْث أنتم زعمتُمُ * ألَا إنّ فوق الغَلْصَماتِ الجَمَاجِمَا

٥٣/٧

فقال جرير :

وأنبأتُمونا أنكم هامُ قومِكم * ولا هامَ إلا تابعٌ لِلْخَرَاطِمِ

١٥ فقال الفرزدق :

فنحن الزِّمامُ القائدُ المقتدَى به * من الناس ، ما زِلنا ولسنا لَهَازِمَا (٤)

فقال جرير :

فنحن بَنِى زيد قطعنا زِمامَها (٥) * فتاهت كسارٍ طائشِ الرأسِ عارِمِ

---

(١) المنسم : طرف خف البعير . (٢) الغلصمة : رأس الحلقوم . (٣) فى ب ، س : «محرض» وهو تحريف . (٤) اللهازم : جمع لهزمة . واللهزمتان هما ماتحت الأذنين من أعلى اللحيين

٢٠ والخدين . يريد أنه من الذين يقودون الناس لا ممن يقادون . (٥) العرام : الشدة والقوة والشراسة .

فقال بشر : غلبتَــه يا جريرُ بقطعِك الزِّمام وذهابِك بالناقة . وأحسن الجائزةَ لهما وفضّل جريرًا .

جرير وسكينة بنت الحسين

قال المدائنىّ وحدّثنى عَوَانة بن الحَكَم قال :

جاء جرير الى باب سُكَينة بنت الحسين عليه السلام يستأذن عليها فلم تأذن له؛ وخرجت إليه جاريةٌ لها فقالت : تقول لك سيِّدتى : أنت القائل :

طَرَقَتْكَ صائدةُ القلوب وليس ذا * حينَ الزيارةِ فارْجِعِى بسلامِ

قال نعم . قالت : فألّا أخذتَ بيدها فرحّبْتَ بها وأدنيتَ مجلسَها وقلتَ لها ما يقال لمثلها! أنت عفيفٌ وفيك ضعف، فخذ هذين الألفى الدرهم فالحَقْ بأهلك .

تفضيل سكينة بنت الحسين له على الفرزدق

قال المدائنىّ فى خبره هذا وحدّثنى أبو يعقوب الثَّقَفىّ عن الشَّعْبِىّ : أنّ الفرزدق خرج حاجًّا، فلما قضى حجّه عدَل الى المدينة فدخل الى سُكينة بنتِ الحسين عليهما السلام فسلّم . فقالت له : يافرزدق، مَنْ أشعر الناس؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ! أشعرُ منك الذى يقول :

بنفسِى مَنْ تجنّبُه عزيزٌ * علىّ ومَنْ زيارتُه لِمَامُ

ومَنْ أمسِى وأُصبِح لا أراه * ويَطْرُقُنى إذا هجَعَ النِّيامُ

فقال : والله لو أذنتِ لى لأسمعتُكِ أحسنَ منه . قالت : أقيموه فأُخرِج، ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها ، فقالت : يا فرزدق، مَنْ أشعرُ الناس؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ! صاحبُك جرير أشعرُ منك حيث يقول :

لولا الحياءُ لعادنى استعبارُ * ولَزُرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ

كانت إذا هجَر الضَّجيعُ فراشَها (١) * كُتِمَ الحديثُ وعفّت الأسرارُ

(١) الضجيع : الحليل ، وهجره هاهنا أن يغيب عنها فيهجر فراشها ، فأما اذا أقربت فهى أكرم عليه من أن يهجر فراشها . وكتم الحديث أى لاتحدث أحدا بريبة . والسر هو النكاح ، ومنه قوله تعالى : (ولكن لاتواعدوهن سرًّا) . يصفها بأن ليس عندها إلا العفاف . (عن النقائض) .

لا يَلْبَثُ القُـرَنَاءُ أنْ يتفرّقوا * ليــلٌ يَكُرّ عليهمُ ونهـارُ

فقال : والله لئن أذنتِ لِي لأُسمعنّك أحسنَ منـه ، فأمرتْ به فأُخرج . ثم عاد إليها في اليوم الثـالث وحَوْلَها مولَّداتٌ لهـا كأنهنّ التمـاثيل ؛ فنظر الفرزدق الى واحدة منهنّ فأُعْجِب بهـا وبُهِت ينظُر إليها . فقالت له سُكَينة : يا فرزدق ، مَنْ ٥ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ! صاحبُك أشعر منك حيث يقول :

إنّ العيونَ التي فى طَرْفِها مَرَضٌ * قتلْنَنـا ثم لم يُحْيِينَ قتْـلانا

يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لاحَرَاكَ به * وهنّ أضعفُ خَلْقِ الله أركانا

أَتْبعتُهـم مُقْـلةً إنسانُها غَرِقٌ * هل ما تَرَى تاركٌ للعين إنسـانا

٥٤/٧ فقال : والله لئن تركتِني لأُسمعنّك أحسنَ منـه ؛ فأمرت بإخراجه . فالتفت ١٠ إليها وقال : يا بنت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إنّ لى عليك حقًّا عظيما . [قالت : وما هو؟ قال :] ضربتُ إليكِ [آباطَ الإبل] (١) من مكّةَ إرادةَ التسليم عليكِ، فكان جزائى من ذلك تكذيبى وطَرْدِى وتفضيلَ جرير علىّ ومنعَكِ إيّاى أن أُنْشِدَكِ شيئا من شعرى ، وبى ما قد عِيلَ منه صبرى ، وهـذه المَنايا تَغْدُو وتَرُوح، ولعلّى لا أفارق المدينـةَ حتى أموت ؛ فإذا أنا مِتُّ فَمُرِى بى أن أُدْرَج فى كَفَنِي وأُدْفَنَ ١٥ فى حِرِ هـذه (يَعْنِي الجاريةَ التى أعجبتْه) . فضحكتْ سكينة وأمرتْ له بالجارية ؛ فخرج بهـا آخذًا بِرَيْطَتِها (٢) ، وأمرتْ الجوارِيَ فدفَعْن فى أَقْفِيتِهما ، ونادته . يا فرزدقُ احتفظ بها وأَحسِن صحبتَها فإنى آثرتُك بها على نفسى .

حضـر أعرابى مائدة عبد الملك بن مروان ووصف له طعاما أشهى من طعامه ثم سأله عن أحسن الشعر فأجاب من شعر جرير

قال المَدائنىّ فى خبره هذا وحدّثنى أبو عِمْرانَ بنُ عبد الملك بن عُمَيرعن أبيه، وحدّثنيه عَوانةُ أيضا قالا :

---

٢٠ (١) زيادة عن جـ . (٢) الريطة : الملاءة .

صنع عبدُ الملك بن مروان طعاما فأكثر وأطاب ودعا إليه الناسَ فأكلوا . فقال بعضهم : ما أطيبَ هذا الطعامَ ! ما نرى أن أحدا رأى أكثرَ منه ولا أكل أطيبَ منه . فقال أعرابيّ من ناحية القوم : أمّا أكثرُ فلا ، وأمّا أطيبُ فقد والله أكلتُ أطيبَ منه ، فطفِقوا[1] يضحكون من قوله . فأشار اليه عبد الملك فأُدْنِيَ منه ، فقال : ما أنت بمُحِقٍّ فيما تقول إلّا أن تُخبِرني بما يَبِينُ به صدقُك . فقال : نعمْ يا أميرَ المؤمنين ، بَيْنَا أنا بهَجَر[2] فى بَرْثٍ[3] أحمر فى أقصى حَجْر[4] ، إذ تُوُفِّيَ أبى وترك كَلًّا[5] وعِيَالًا ، وكان له نخل ، فكانت فيه نخلةٌ لم ينظُر الناظرون الى مثلها ، كأن تمرها أخفافُ الرِّبَاع[6] لم يُرَ تمرٌ قطّ أغلظُ ولا أصلبُ ولا أصغرُ نَوًى ولا أحلَى حلاوةً منه[7] . وكانت تَطْرُقها أتَانٌ وَحْشيّةٌ قد ألِفتْها تأوِى الليلَ تحتها ، فكانت تُثْبِت رجليها فى أصلها وترفع يديها وتَعْطُو[8] بفِيها فلا تترك فيها إلا النَّبِيذَ[9] والمتفرِّقَ ، فأعظَمَنِي ذلك ووقَع منّى كلَّ موقع ، فانطلقتُ بقوسى وأسهُمِى وأنا أظنّ أنّى أرجع من ساعتى ، فمكثتُ يومًا وليلةً لا أراها ، حتى اذا كان السَّحَرُ أقبلتْ ، فتهيأتُ لها فرشَقْتُها فأصبتُها وأجهزتُ عليها ، ثم عمَدتُ الى سُرَّتها فاقْتَدَدْتُها[10] ، ثم عمَدتُ الى حطب جَزْل فجمعتُه الى رَضْف[11] وعمَدت الى زَنْدى فقدَحْتُ وأضرمتُ النارَ فى ذلك الحطب ، وألقيتُ

(١) فى الأصول : «وطفقوا» . (٢) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بكثرة التمر .
(٣) كذا فى البخلاء طبع أوربا ص ٢٤٣ ، والبرث : الأرض الليّنة السهلة ، ومنه فى الحديث : «بين الزيتون الى كذا برث أحمر» . وفى الأصول : «ترب أحمر» وهو تصحيف . (٤) فى أقصى حجر أى فى أبعد ناحية . وفى البخلاء : «فى طلوع القمر» . (٥) الكل : الثقل والعيال ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء ، وربما جمع على الكلول فى الرجال والنساء . (٦) الرباع : جمع ربع (كعضر) وهو الفصيل ينتج فى الربيع وهو أوّل النتاج ، والذى ينتج فى آخر النتاج يسمى هبع (بضم ففتح) .
(٧) فى الأصول : «منها» . (٨) تعطو : تتناول . (٩) كذا فى أ ، ء ، م . والنبيذ : المنبوذ . وفى سائر الأصول : «النبذ» والنبذ : الشىء القليل اليسير . (١٠) كذا فى جـ . واقتدّ الشىء : قطعه . وفى سائر الأصول : «فافتريتها» وهو تحريف . (١١) الرضف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار .

سُرَّتِها فيه، وأدركني نومُ الشَّبابِ[1] فلم يُوقِظْني إلا حَرُّ الشمس في ظهري، فانطلقتُ اليها فكشفتُها وألقيتُ ما عليها من قَذًى وسواد ورَماد، ثم قلبتُ [منها][2] مثلَ المُلاءة البَيْضاء، فألقيتُ عليها من رُطَبِ تلك النخلةِ المُجَزِّعةِ[3] والمُنَصِّفةِ، فسمعتُ لها أَطِيطًا[4] كتَدَاعِي عامرٍ وغَطَفَانَ، ثم أقبلتُ أتناول الشَّحْمةَ واللحمة فأضعُها بين التمرتين وأَهْوِى الى فِيّ، فما أحلف إنّى[5] ما أكلتُ طعامًا مثلَه قَطُّ. فقال له عبد الملك: لقد أكلتَ طعاما طيِّبا، فمن أنت؟ قال: أنا رجل جانَبْتُنِي عَنْعَنةُ[6] تميمٍ وأَسَدٍ وكَشْكَشةُ[7] رَبيعةَ وحُوشِيُّ[8] أهلِ اليمن وإن كنتُ منهم. فقال: من أيِّهم أنت؟ قال: من أخوالك من عُذْرَةَ. قال: أولئك فصحاءُ الناس، فهل لك علمٌ بالشعر؟ قال: سلْني عمّا بدالكَ يا أمير المؤمنين. قال: أيُّ بيتٍ قالته العربُ أمدح؟ قال: قول جرير:

ألستم خيرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا * وأَنْدَى العالمين بطونَ راحِ

قال: وكان جرير في القوم، فرفع رأسَه وتَطاول لها. ثم قال: فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أفخر؟ قال: قولُ جرير:

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ * حسبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضَابَا

---

(١) كذا في جـ والبخلاء. وفي سائر الأصول: «السبات». (٢) زيادة عن جـ.

(٣) جزع البسر: بلغ الإرطاب نصفه، وقيل: بلغ الإرطاب من أسفله الى نصفه وقيل: الى ثلثيه وقيل: بلغ بعضه من غير أن يحدّ. واختلف في المجزعة أهي بفتح الزاي أم بكسرها. ونصف البسر: أرطب نصفه.

(٤) أطيط كل شيء: صوته. وعامر وغطفان: قبيلتان. (٥) في ب، سـ: «فما أحلف ... الخ». وفي جـ: «فما أحلف أكلت ... الخ» أي فأحلف ما أكلت. فوقع فعل القسم معترضا بين «ما» النافية ومنفيها. (٦) عنعنة تميم: إبدالهم العين من الهمزة فيقولون «عنّ» يريدون «أنّ». (٧) كذا في جـ. والكشكشة لغة ربيعة، يجعلون الشين مكان الكاف وذلك في المؤنث خاصة فيقولون: عليش مكان عليك. وفي سائر الأصول: «كسكسة ربيعة» وهو تصحيف لأن الكسكسة لغة هوازن. (انظر اللسان مادة كسس وكشش). (٨) الحوشيّ من الكلام: الغامض.

قال : فتحرّك [لها جريرٌ](١) . ثم قال له : فأىُّ بيتٍ أهْجى ؟ قال : قولُ جرير :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ * فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلَابَا

قال : فٱستَشْرَف لها جريرٌ . قال : فأىُّ بيتٍ أغْزَل ؟ قال : قول جرير :

إن العيون التى فى طَرْفها مَرَضٌ * قَتَلْنَنا ثم لم يُحْيِين قتــلانا

قال : فٱهتزّ جريرٌ وطرِب . ثم قال له : فأىُّ بيتٍ قالته العربُ أحسنُ تشبيهاً ؟ قال : قولُ جرير :

سَرَى نحوَهم ليــلٌ كأن نجومَه * قَنَاديلُ فيهنّ الذُّبَالُ(٢) المفتَّــلُ

فقال جرير : جائزتى للعُذْرىّ يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : وله مثلُها من بيت المـال ، ولك جائزتك يا جرير لا تُنْقَصُ منها شيئا . وكانت جائزةُ جرير أربعةَ آلاف درهم وتوابعَها من الحُمْلان والكُسْوة . فخرج العُذْرىّ وفى يده اليمنى ثمـانيةُ آلاف درهم وفى اليسرى رِزْمةُ ثياب .

تفضيل عبيدة ابن هلال لجرير على الفرزدق

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا المَدائنىّ عن أبى عبد الرحمن(٣) عن عبداللّه بن عَيّاش الهَمْدانىّ قال :

بينَا المهلَّبُ ذاتَ يوم [أو ليلةٍ(٤)] بفارسَ وهو يقاتل الأزارقةَ إذ سمع فى عسكره جَلَبةً وصياحاً ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : جماعةٌ من العرب تحاكموا إليكَ فى شىء . فأذِن لهم فقالوا : إنّا ٱختلفنا فى جرير والفرزدق ، فكلّ فريقٍ منّا يزعُم أنّ أحدهما أشعرُ من الآخر ، وقد رَضِينا بحكم الأمير . فقال : كأنكم أردتم [أن(٤)] تُعَرِّضُونى

(١) زيادة يقتضيها سياق الكلام . (٢) الذبالة : الفتيلة التى توضع فى القنديل ويوضع فيه الزيت ليستضاء به . (٣) أبو عبد الرحمن كنية الهيثم بن عدى ، وقد تقدّم مرارا أنه يروى عن عبد اللّه ابن عياش الهمدانى ، وقد صححنا هذا السند بناء على ذلك . وفى أكثر الأصول : «عن أبى عبد الرحمن ابن عبد اللّه بن عياش المنتوف» . وفى ب ، س مثل ذلك ، غير أن فيهما «الهمدانى» بدل «المنتوف» وكلاهما تحريف . (٤) زيادة عن ح .

لهذين الكلبين فيمزّقا جِلْدتى ! لا أحكمُ بينهما ، ولكنّى أدلُّكم على من يَهُون عليه سِبالُ جرير وسِبالُ الفرزدق [1] ، عليكم بالأزارقة ، فانهم قومٌ عربٌ يبصُرون بالشعر [2] ويقولون فيه بالحق . فلما كان الغدُ خرج عُبيدةُ بن هلال اليَشْكُرِىّ ودعا الى المبارزة ، فخرج اليه رجل من عسكر المهلّب كان لقَطَرِىٍّ صديقًا ؛ فقال له : يا عُبيدة ، سألتُك الله إلّا أخبرتَنى عن شىء أسألُك عنه . قال : سَلْ . قال : أوَ تُخْبِرُنى ؟ قال : نعم إن كنتُ أعلمه . قال : أجريرٌ أشعرُ أم الفرزدقُ ؟ قال : قبحَك الله ! أتركتَ القرآنَ والفقه وسألتَنى عن الشعر ! قال : إنا تشاجَرْنا فى ذلك ورَضِينا بك . فقال من الذى يقول :

وطَوَى الطِّرَادُ [3] مع القِيَادِ بطونَها * طَىَّ التِّجَارِ بحضرَمَوْتَ بُرُودَا

فقال : جرير . قال : هذا أشعرُ الرجلين .

لم ينزع فى شعره إلى الغزل ولا الى الرجز

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشىّ عن العُتْبِىّ قال :

قال جرير : ما عشِقتُ قطُّ ، ولو عشقت لنَسَبْتُ نَسِيبًا تَسْمَعه العجوز فتبكى على ما فاتها من شبابها ، وإنى لأرى من الرَّجَزِ أمثالَ آثارِ الخيلِ فى الثَّرَى ، ولولا أنّى أخاف أن يَسْتفرِغَنِى [4] لأكثرتُ منه .

جرير فى ضيافة عبد العزيز بن الوليد

أخبرنى حَبيب بن نصر المهلّبىّ وعمّى قالا حدّثنا ابن الأعرابىّ قال حدّثنا عبد الرحمن بن سعيد بن بَيْهَس بن صُهَيْب الجَرْمِىّ [عن عامر بن شِبْل الجَرْمِىّ] [5] قال :

(١) السبال : الشوارب . وفى ب ، س : «سؤال» وهو تحريف . (٢) فى الأصول : «يبصرون الشعر» والأفصح تعديته بالباء . (٣) كذا فى حـ هنا وجميع الأصول فيما تقدّم . وفى سائر الأصول هنا : «وطوى الطراد بطونهن كأنها» . (٤) كذا فى حـ . وهو محرّف فى سائر النسخ . (٥) ما بين هاتين القوسين ساقط من ب ، س .

قدم جرير على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازلٌ بدَيْر مُرّان[(١)]؛ فكنا نغدو اليه بَكَرًا[(٢)]، فيخرج الينا ويجلس فى بُرْنُس خَزٍّ له لا يكلّمنا كلمةً حتى يجىء طَبّاخ عبد العزيز إليه بقَدَح من طِلاءٍ مسخّن يفور، وبكُتْلةٍ من سمن كأنها هامةُ رجل فيَخُوضها فيه، ثم يدفعه اليه فيأتى عليه، ويُقبِل علينا ويحدّثنا فى كل فنّ، ويُنشدنا لنفسه ولغيره، حتى يحضر غَداء عبد العزيز فنقومَ اليه جميعا. وكان يختم مجلسه بالتسبيح فيُطيل. فقال له رجل: ما يُغْنى عنك هذا التسبيحُ مع قَذْفك للمُحْصَنات! فتبسّم وقال: يابنَ أخى (خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) إنهم والله يابنَ أخى يَبْدَءُونى ثم لا أَحْلُم.

وفد رجل من قبيلة الفرزدق على امرأة من بنى حنيفة فأسمعته هجو جرير لهم وقصة عشقها لابن عم لها

أخبرنى عمّى قال حدّثنا ابن أبى سَعْد قال حدّثنى إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعيد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن موسى قال حدّثنى الأَخْفش[(٣)] عن أبى مَحْذُورةَ الورّاق عن أبى مالك الراوية قال سمعت الفرزدق يقول، وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى إبراهيم بن محمد الطائفى قال حدّثنى محمد بن مَسْعدةَ[(٤)] الأَخْفش عن أبى مَحْذُورةَ الورّاق عن أبى مالك الراوية قال:

سمعتُ الفرزدقَ يقول: أَبَقَ غلامان لرجلٍ منا يقال له الخَضِرُ، فحدّثنى قال: خرجتُ فى طلبهما وأنا على ناقةٍ لى عَيْساءَ[(٥)] كَوْماءَ أريد اليمامةَ؛ فلما صِرْتُ فى ماءٍ لبنى حَنِيفةَ يقال له الصَّرْصَرانُ ارتفعتْ سحابةٌ فرَعَدتْ وبَرَقتْ وأَرْخَتْ عَزَالِيَها[(٦)]؛

(١) دير مرّان: قرب دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة، وبناؤه بالجص وأكثر فرشه بالبلاط الملون. (انظر معجم البلدان لياقوت فى الكلام عليه). (٢) البكر (بالتحريك): البكرة. (٣) ورد هذا الاسم هكذا فى جميع الأصول. (٤) الأخافش كثيرون وليس منهم من له هذا الاسم، غير أن أحدهم يسمى سعيد بن مسعدة. (٥) العيساء من النوق: التى يضرب لونها إلى الأدمة، وقيل: هى التى يخالط بياضها شىء من الشقرة. وكوماء: عظيمة السنام طويلته. (٦) العزالى: جمع عزلاء، والعزلاء فى الأصل: مصب الماء من الراوية والقربة. شبه اتساع المطر واندفاقه بالذى يخرج من فم المزادة.

فعَدَلْتُ الى بعض ديارهم وسألتُ القِرَى فأجابوا ؛ فدخلتُ دارًا لهم وأنَخْتُ النـاقةَ وجلستُ تحت ظُلَّةٍ لهم من جَريد النخل، وفى الدار جُوَيريةٌ لهم سَوْداءُ، إذ دخلتْ جاريةٌ كأنها سَبِيكةُ فضة وكأن عينيها كوكبان دُرِّيّان، فسألتِ الجاريةَ : لمن هذه العَيْساءُ؟ (تعْنِي ناقتى) فقالت : لضيفكم هذا . فعدَلتْ إلىّ فقالت : السلام عليكم، فرددتُ عليها السلام . فقالت لى : ممّن الرجل؟ فقلت : من بنى حَنْظَلةَ . فقالت : من أيّهم ؟ فقلت : من بنى نَهْشَل . فتبسَّمَتْ وقالت : أنت إذًا ممّن عناه الفرزدقُ بقوله :

إن الذى سَمَك السماءَ بَنَى لنا * بيتًا دعائمُه أعزُّ وأطولُ

بيتًا بناه لنا المليكُ وما بَنَى * مَلِكُ السماءِ فإنه لا يُنْقَلُ

بيتًا زُرارةُ مُحْتَبٍ بفِنائه * ومُجَاشعٌ وأبو الفَوَارس نَهْشَلُ

قال : فقلت نعم جُعِلتُ فِداكِ ! وأعْجبني ما سمعتُ منها . فضحكتْ وقالت : فإن ابنَ الخَطَفَى قد هدَم عليكم بيتكم هذا الذى فخرتم به حيث يقول :

أَخْزَى الذى رفَع السماءَ مُجَاشعًا * وبَنَى بِناءَك(1) بالحَضيض الأسفلِ

بيتًا يُحَمِّمُ(2) قَيْنُكم بفِنائه * دَنِسًا مَقَاعِدُه خبيثَ المَدْخَلِ

قال : فوجَمْتُ . فلما رأتْ ذلك فى وجهى قالت : لا عليكَ ؛ فان الناس يُقال فيهم ويقولون . ثم قالت : أين تَؤُمُّ؟ قلت : اليمامةَ . فتنفَّستِ الصُّعَداءَ ثم قالت : هاهى تلك أمامَك؛ ثم أنشأت تقول :

تُذكِّرُنى بلادًا خيرُ أهلِي * بها أهلُ المروءة والكرامهْ

---

(1) فى أكثر الأصول : «وبنى بناء» والتصويب عن حـ والنقائض ص ٤١٣ . (2) يحمم : يسخن . والقين : الحداد؛ يشير الى أن مجاشعا قبيلة الفرزدق كانت قيونا لعبد كان لصعصعة بن ناجية بن عقال يسمى جبيرا فنسب جرير غالبا أبا الفرزدق الى القين ولذلك يقول جرير :

وجدنا جبيرا أبا غالب * بعيد القرابة من معبد

أتجعل ذا الكير من دارم * وأين سهيل من الفرقد

أَلَا فَسَقَى الإلٰهُ أَجَشَّ صَوْبًا * يَسُحُّ بِدَرِّه بَلَدَ اليَمَامَهْ

وحَيَّا بالسلام أبا نُجَيْدٍ * فأهلٌ للتحيّة والسلامهْ

٥٧ / ٧

قال : فأَنِسْتُ بها وقلت لها : أذاتُ خِدْنٍ أم ذاتُ بَعْلٍ ؟ فأنشأتْ تقول :

إذا رقد النِّيَامُ فإنّ عمرًا * تؤرِّقه الهمومُ إلى الصباحِ

تُقطِّع قلبَه الذِّكْرَى وقلبي * فلا هو بالخَلِيِّ ولا بِصَاحِ

سَقَى اللهُ اليمامةَ دار قومٍ * بها عمرٌو يَحِنُّ إلى الرَّواحِ

فقلتُ لها : من عمرو هذا ؟ فأنشأتْ تقول :

سألتَ ولو علمتَ كففتَ عنه * ومن لكَ بالجواب سوى الخبيرِ

فإن تكُ ذا قَبولٍ إنّ عَمْرًا * هو القَمَرُ المُضِىءُ المستنيرُ [1]

ومالى بالتبعُّلِ مُستَراحٌ * ولو رَدّ التبعُّلُ لى أسيرى

١٠

قال : ثم سكتتْ سكتةً كأنها تَسَمَّعُ [2] إلى كلامٍ، ثم تهافتتْ [3] وأنشأتْ تقول :

يُخيَّل لى هَيَا عمرُو بنَ كَعْبٍ * كأنك قد حُمِلتَ على سريرِ

يَسيرُ بك المُوَيْتَى القومُ لما * رَمَاكَ الحبُّ بالعَلَقِ [4] العَسِيرِ

فإن تكُ هكذا يا عَمْرُو إنّى * مُبَكِّرةٌ عليك إلى القبورِ

ثم شهقتْ شهقةً خرّتْ ميّتةً . فقلتُ لهم : من هذه ؟ فقالوا : هذه عَقِيلةُ بنتُ الضحّاك بن عمرو بن مُحرِّق بن النُّعْمان بن المُنْذِر بن ماء السماء . فقلت لهم : فمن عمرٌو هذا ؟ قالوا : ابنُ عمِّها عمرو بن كعب بن محرِّق بن النعمان بن المنذر ؛ فارتحلتُ من عندهم . فلما دخلتُ اليمامةَ سألتُ عن عمرو هذا فإذا هو قد دُفِن فى ذلك الوقت الذى قالت فيه ما قالت .

١٥

(١) فى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروى . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «تستمع الى كلام» . (٣) يريد أنها تساقطت من ضعفها وخورها . (٤) العلق : الهوى يكون للرجل فى المرأة .

٢٠

قصته مع عمر ابن عبد العزيز حين وفد عليه

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا محمد بن الحَكَم، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو الهَيْثم بدر بن سعيد العَطّار قال حدّثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال:

لمّا استُخْلِف عمرُ بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يَصِلُون اليه، فجاء عَوْن بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود وعليه عِمامةٌ قد أرْخَى طرفيها فدخل؛ فصاح به جرير:

يأيّها القارئُ المُرْخِى عِمامتَه * هذا زمانُك إنّى قد مضَى زَمَنِى[1]

أبلِغ خليفتَنا إن كنتَ لاقيَه * أنّى لَدَى الباب كالمَصْفود فى قَرَنِ

قال: فدخل على عمر فاستأذن له، فأدخله عليه. وقد كان هيأ له شعراً، فلما دخل عليه غيّره وقال:

إنا لنرجو إذا ما الغيثُ أَخْلَفَنا * من الخليفة ما نرجو من المطرِ

نال الخلافةَ إذ كانت له قَدَرًا * كما أتَى ربَّه موسى على قَدَرِ

أأذكر الجَهْدَ والبَلْوَى التى نزلتْ * أم تكتفِى بالذى بُلِّغْتَ من خَبَرِى

ما زِلْتُ بعدكَ فى دارٍ تَعرَّقُنِى[2] * قد طال بعدك إصعادِى ومُنحدَرِى

لا ينفع الحاضرُ المجهودُ بادِيَنا * ولا يجود لنا بادٍ على حَضَرِ

كم بالمواسِم من شَعْثاءَ أرملةٍ * ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والبصرِ

يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنّ به * خَبْلًا من الجنّ أو مسًّا من النَّشَرِ[3]

ممّن يَعُدُّك تَكْفِى فَقْدَ والدِه * كالفرخِ فى العُشّ لم يَنْهَضْ ولم يَطِرِ

(١) فى ديوان جرير المخطوط: «يأيها الرجل». (٢) أصل معنى التعرّق أخذ ما على العظم من اللحم نهشا بالأسنان. يريد أنها تفقره ولا تدع له شيئا. (٣) كذا فى ديوانه. وفى الأصول: «من البشر» بالباء وهو تصحيف. والنشر: جمع نشرة وهى رقية يعالج بها المجنون والمريض.

قال : فبكى عمر ثم قال : يا بنَ الخطَفَى ، أمِنْ أبناءِ المهاجرين أنت فنعرفَ لك حقَّهم، أم من أبناءِ الأنصار فيَجِبَ لكَ مايجبُ لهم، أم من فقراء المسلمين فنأمرَ صاحبَ صدقاتِ قومِك فيَصِلَكَ بمثل مايَصِلُ به قومَك؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء ، وإنى لمن أكثرِ قومى مالاً ، وأحسنِهم حالا، ولكنّى أسألك ما عوَّدَتْنِيه الخلفاءُ: أربعةَ آلافِ درهم وما يَتْبعها من كُسْوةٍ وحُملانٍ . فقال له عمر : كلُّ آمرئٍ يَلْقَى فعلَه، وأمّا أنا فما أَرَى لك فى مال الله حقّا، ولكن انتظرْ، يَخْرُجُ عَطَائى، فأَنْظُرُ مايكْفِى عيالى سنةً منه فأدّخرُه لهم، ثم إن فضَل فَضْلٌ صرفناه إليك. فقال جرير : لا، بل يوفَّر أميرُ المؤمنين ويُحمَد وأخرُج راضيًا ؛ قال : فذلك أحبُّ إلىّ ؛ فخرج. فلما ولّى قال عمر: إنّ شرّ هذا ليُتَّقَى ؛ رُدّوه إلىّ ، فردّوه. فقال: إن عندى أربعين دينارًا وخِلْعتين إذا غُسِلتْ إحداهما لبِستُ الأخرى، وأنا مقاسِمُك ذلك ، على أن الله جلّ وعزّ يعلم أن عمر أحوجُ الى ذلك منك . فقال له : قد وَفَرك الله يا أمير المؤمنين وأنا والله راض . قال : أمّا وقد حلَفْتَ فإن ما وَفَّرْتَه علىّ ولم تضيِّق به معيشتَنا آثَرُ فى نفسى من المدح، فامْضِ مُصَاحَبا ؛ فخرج. فقال له أصحابه وفيهم الفرزدقُ : ما صَنع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزْرةَ ؟ قال : خرجت من عند رجل يقرِّب الفقراءَ ويُباعِد الشعراء وأنا مع ذلك عنه راضٍ؛ ثم وضع رِجْلَه فى غَرْزِ راحلته وأتى قومَه . فقالوا له : ما صنع بك أميرُ المؤمنين أبا حَزْرة ؟ فقال :

تركتُ لكم بالشأم حَبْلَ جماعةٍ * أمينَ القُوَى مُسْتَحْصِدَ العَقْدِ[1] باقيا

وجدتُ رُقَى الشيطانِ لا تستفزُّه * وقد كان شيطانى من الجنّ راقيا

هذه رواية عمر بن شَبّة . وأما اليَزيدىّ فإنه قال فى خبره : فقال له جرير يا أميرَ المؤمنين، فإنّى ابنُ سَبيل . قال : لك ما لأبناء السبيل، زادُكَ ونفقةٌ تبلِّغك

(١) المستحصد : المستحكم .

وتُبدَّل راحلتُك إن لم تحملك . فألحّ عليه ، فقالت له بنو أميّة : يا أبا حَزْرَة ، مَهْلًا عن أمير المؤمنين ، ونحن نُرْضيكَ من أموالنا عنه ، فخرج . وجمعتْ له بنو أميّة مالا عظيما ، فما خرج من عند خليفة بأكثر ممّا خرج من عند عمر .

رؤيا أمه وهي حامل به

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبى عُبيدة قال :

٥

رأتْ أمُّ جَرير وهى حاملٌ به كأنها ولدتْ حَبْلا من شَعَر أسود ، فلما سقط منها جعل يَنْزُو فيقع فى عُنُق هـذا فيخنُقه حتى فعل ذلك برجال كثير ، فانتبهتْ فَزِعةً فأوّلت الرُّؤيا فقيل لها : تَلِدينَ غلاما شاعرا ذا شَرّ وشدّة شَكيمة وبلاء على الناس . فلما ولدتْه سمّته جَريرًا باسم الحبل الذى رأت أنه خرج منها . قال : والجرير : الحبل .

قال إنه أشعر الناس لأنه فاخر بأبيه وهو دنى.

١٠

قال إسحاق وقال الأصمعىّ حدّثنى بِلال بن جرير — أو حُدِّثْتُ عنه — :

أنّ رجلا قال لجرير : من أشعرُ الناس ؟ قال له : قُمْ حتى أعرّفكَ الجواب ؛ فأخذ بيده وجاء به الى أبيه عطيّةَ وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يَمُصّ ضَرْعها ، فصاح به : اخرجْ يا أَبَتِ ، فخرج شيخٌ دَميمٌ رَثُّ الهيئة وقد سال لبنُ العنز على لحيته ؛ فقال : ألاترَى هذا[1] ؟ قال نعم . قال : أوَ تعرفُه ؟ قال لا . قال : هذا أبى ، أفتدرى لِمَ كان يشرب من ضَرْع العنز ؟ قلت لا . قال : مَخَافةَ أن يُسمع صوتُ الحَلْب فيُطلبَ منـه لبن . ثم قال : أشعرُ الناس مَنْ فاخر بمثل هـذا الأب ثمانين شاعرًا وقارعهم به فغلبهم جميعا .

١٥

٥٩ / ٧

إخوته

حدّثنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى عبد الله بن محمد ابن موسى مولى بنى هاشم قال حدّثنى عُمَارة بن عَقِيل عن المُغيرة بن حَجْناء عن أبيه قال :

٢٠

(١) فى حـ : «أترى هذا ؟» .

وُلد جريرٌ لسبعة أشهر، فكان الفرزدق يعيّره ذلك[1]، وفيه يقول :

* وأنت ٱبنُ صُغْرى لم تتمّ شهورُها *

قال وولَد عطيّةُ جريرًا — وأمّه أُمّ قيس بنتُ مُعَيد من بنى كُلَيب — وعَمْرًا وأبا الوَرْد . فأمّا أبو الورد فكان يحسُد جريرا ؛ فذهبتْ لجريرٍ إبلٌ فشمِتَ به أبو الورد فقال له جريرٌ :

أبا الوردِ أبْقَى اللهُ منها بَقِيَّةً * كَفَتْ كلَّ لَوّامٍ خَذُولٍ وحاسدِ

وأما عَمْرو فكان أكبرَ من جرير، وكان يُقارِضُه الشعر . فقال له جريرٌ :

وعمْرو[2] قد كرِهتُ عتابَ عمرٍو * وقد كثُرَ المَعَاتِبُ والذُّنوبُ
وقد صَدَعتُ صخرةَ مَنْ رماكم * وقد يُرْمَى بىَ الحجرُ الصَّلِيبُ
وقد قطَع الحديدَ فلا تُمَارُوا * فِرِنْدٌ لا يُفَلّ ولا يذُوبُ

شعر قاله ليزيد ابن معاوية يعاتب به أباه

قال : وأوّل شعر قاله جرير فى زمن معاوية، قاله لابنه :

فردِّى جِمالَ البَيْنِ ثم تَحَمَّلى * فما لكِ فيهم من مُقامٍ ولا لِيَا
لقد قادَنى الجيرانُ يومًا وقُدْتُهم * وفارقتُ حتّى ما تَصُبُّ[3] جِمَالِيَا
وإنّى لمغرورٌ أُعلَّلُ بالمُنَى * لياليَ أرجو أنّ مالكَ ماليا
بأىّ سِنانٍ تَطْعُنُ القَوْمَ بعدما * نَزَعْتَ سِنانًا من قَنَاتِكَ ماضيَا
بأىّ نِجادٍ تَحمِل السيفَ بعدما * قطعتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيَا

قال : وكان يزيد بن معاوية عاتَب أباه بهذه الأبيات ونَسبها الى نفسه ؛ لأن جريرًا لم يكن شعرُه شُهِر حينئذ . فقدِم جرير على يزيد فى خلافته فٱستُؤذِن له

(١) فى الأصول : «يعيره بذلك» والفصيح الكثير تعديه بنفسه حتى أنكر بعضهم تعديه بالباء .
(٢) فى ب، س : «أعمرو» . وفى حـ : «وعمرا» . وقبل هذا البيت كما فى ديوانه :

رأيتك يا حكيم علاك شيب * ولكن ما لحلمك لا يثوب

(٣) يقال : صب فى الوادى إذا انحدر .

مع الشعراء ، فأمر يزيدُ ألّا يدخلَ عليه شاعر إلّا من عَرَف شعرَه؛ فقال جرير :
قولوا له : أنا القائل :

فرُدِّى جِمالَ الحيِّ ثم تحمّلِي * فما لكِ فيهم من مُقامٍ ولا ليَا

فأمر بإدخاله . فلمّا أنشده قال يَزيد : لقد فارق أبى الدنيا وما يحسب إلّا أنّى
٥ قائلها، وأمر له بجائزة وكُسْوة .

استعار من أبيه خلا ولما استرده منه عرّض به

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدىّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال قال
أبو عُبيدة قال أبو عمرو :

استعار جرير من أبيه خلًا يُطْرِقه فى إبله ، فلما استغنى عنه جاءه أبوه فى بَتٍّ(1)
خَلَقٍ يستردّه؛ فدفعه اليه وقال : يا أبتِ، هذا «تُرَدّ الى عطيّةَ تُعْتَلُ» . يعرّض بقول
١٠ الفرزدق فيه :

ليس الكرامُ بناحِلِيكَ أباهمُ * حتى تُرَدَّ الى عطِيّةَ تُعْتَلُ(2)

أتاه نعى جنازة مرّت عليه

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا الرِّيَاشىّ وعمر بن شَبّة قالا حدّثنا
الأصمعىّ قال أخبرنا أبو عَمْرو بن العَلاء قال :

جلس جرير يُملِى على رجل قوله :

١٥ ودِّعْ أُمامةَ حانَ منكَ رحيلُ * إنّ الوَداعَ لمن تحبّ قليلُ

فمرّوا عليه بجنازة ، فقطع الإنشادَ وجعل يَبْكى ، ثم قال : شيّبتْنى هذه الجنازة .
قال أبو عمرو : فقلت له : فعلَامَ تَقْذِف المُحْصَنات منذ كذا وكذا ! فقال : إنهم
يَبْدءونَنِى ثم لا أعفو .

٦٠/٧

(1) البت : كساء غليظ مهلهل مربع أخضر، قيل : هو من وبر وصوف . (2) نحل : أعطى .
٢٠ وتعتل : تساق قسرا . ويقال : تعتل : تقاد بين اثنين . (عن النقائض) .

قيل إنه فضل لمقاومته الفرزدق

أخبرنى عمّى قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلبىّ قال حدّثنا عبد الله بن المُعَذَّل قال: كان أبى وجماعةٌ من علمائنا يقولون : إنما فُضِّل جريرٌ لمقاومته الفرزدقَ، وأفضل شعرٍ(1) قاله جرير:

* حَىِّ الهِدَمْلَةَ(2) من ذات المَوَاعِيسِ *

هجا بنى الهجيم لأنهم منعوه الإنشاد فى مسجدهم

أخبرنى أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنا أبو الغَرّاف قال: أتى الفرزدقُ مجلس بنى الهُجَيم(3) فى مسجدهم فأنشدهم؛ وبلغ ذلك جريرًا فأتاهم من الغد لِيُنْشِدَهم كما أَنْشدهم الفرزدق. فقال له شيخ منهم: يا هذا اتّقِ الله! فإنّ هذا المسجد إنما بُنى لذكر الله والصلاة. فقال جرير: أقررتُم للفرزدق ومنعتمونى! وخرج مُغْضَبا وهو يقول:

إنّ الهُجَيْمَ قبيلةٌ ملعونةٌ * حُصُّ(4) اللِّحَى متشابهو الألوانِ

هم يتركون بَنِيهمُ وبناتهم * صُعْرَ الأنوفِ لريح كلِّ دُخَانِ

لو يَسمعون بأَكلةٍ أو شَرْبةٍ * بعُمَانَ أصبح جَمْعُهم بعُمَانِ

قال: وخفّة اللِّحَى فى بنى هُجَيم ظاهرة. وقيل لرجل منهم: ما بالكم يا بنى الهُجَيم حُصَّ اللحى؟ قال: إن الفحل واحد.

حديثه مع عبد الملك أو الوليد ابنه عن الشعراء وعن نفسه

أخبرنى محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن آدم قال سمعت عُمارةَ بن عُقَيل يحدِّث عن أبيه عن جدّه قال:

(1) فى ب، سـ: «وأقوم شعر». (2) الهدملة: موضع بعينه، هكذا ذكره ياقوت واستشهد بقول جرير هذا. والمواعيس: موضع، كما جاء فى شرح القاموس. (3) بنو الهجيم: بطنان من العرب: أحدهما الهجيم بن عمرو بن تميم، والثانى الهجيم بن على بن سود من الأزد.
(4) حص: جمع أحص وأحص اللحية: قليل شعرها.

قال عبدالملك أو الوليد ابنه لجرير : مَنْ أشعر الناس؟ قال فقال : ابنُ العِشرين.[١] قال : فما رأيك في ٱبنَيْ أبي سُلْمَى[٢] ؟ قال : كان شعرهما نَيِّرا يا أمير المؤمنين . قال : فما تقول في ٱمرئ القيس؟ قال : اتَّخذ الخبيثُ الشعر نَعْلين، وأُقسم بالله لو أدركته لرفعتُ ذَلَاذِلَه[٣] . قال : فما تقول في ذي الرُّمّة؟ قال : قَدَر من ظريف الشعر وغريبه وحَسَنِه [على][٤] ما لم يقدِر عليه أحد . قال : فما تقول في الأَخْطل؟ قال : ما أخرج لسانُ ٱبنِ النَّصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات . قال : فما تقول في الفرزدق؟ قال : في يده والله يا أمير المؤمنين نَبْعةٌ من الشعر قد قَبَض عليها . قال : فما أَراك أبقيتَ لنفسك شيئا! قال : بلى والله يا أمير المؤمنين! إنّي لَمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعـود ، نسبتُ فأطربتُ ، وهجوتُ فأرديتُ ، ومدحتُ فسنَّيتُ[٥] ، وأَرْملتُ فأَغْزرت ، ورجَزتُ[٦] فأَبْحرت ؛ فأنا قلت ضروبَ الشعر كلَّها ، وكلُّ واحد منهم قال نوعًا منها . قال : صدقتَ .

طلبت جارية له أن يبيعها فعيره الفرزدق ذلك

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ ابن الصبّاح عن ابن الكلبيّ قال :

كانت لجرير أَمَةٌ وكان بها معجَبا ، فاستخفَّتِ المَطْعَم والمَلْبس والغِشْـيانَ وٱستقلَّتْ ما عنده ، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد ، أهلُ خِصْب ونَعْمة ، فسامتْه أنْ يبيعها وأَلَحَّتْ في ذلك ؛ فقال فيها :

---

(١) يعني به طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك أحد شعراء المعلقات ، قتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين . قتله عمرو بن هند بيد أبي الربيع بن حوثرة عامله على البحرين . (انظر الشعر والشعراء ص ٩١) . (٢) يعني زهير بن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير . (٣) ذلاذل القميص : ما يلي الأرض من أسافله . ولعله يريد أنه كان يلزمه ويخدمه . (٤) الزيادة عن حـ . (٥) كذا في الأصول . وسنى الشيء : سهله وفتحه ، والأحرى بهذه الكلمة أن تكون « فأسنيت » . وأسنى : رفع وأعلى . (٦) كذا في أ ، ء ، م . وفي ب ، سـ ، حـ : « وزجرت » وهو تصحيف .

تكلّفنى معيشــةَ آلِ زيدٍ * ومَنْ لى بالمُرَقَّقِ والصِّنَابِ[1]

تقول ألَا تَضُمّ كضَمّ زيدٍ * وما ضَمِّى وليس معى شَبابِى

فقال الفرزدق يعيّره ذلك[2] :

فإن تُفْقِرْك عِلْجةُ آلِ زيدٍ * ويُعْجِزْك المرقّقُ والصِّنابُ[3]

فقِدْمًا كان عيشُ أبيك مُرًّا * يَعِيشُ بما تعيش به الكلابُ[4]

٦١/٧

قصته مع ذى الرمة عند المهاجر بن عبد الله

أخبرنى هاشم بن محمــد الخُزَاعىّ قال حدّثنــا العباس بن مَيْمون قال حدّثنــا التَّوَّزِىّ عن أبى عُبيدة عن أيُّوب بن كُسَيب قال :

دخل جرير على المهاجِر بن عبدالله وهو والى اليَمــامة وعنده ذو الرُّمَّة يُنْشِــده . فقال المهاجِر بن عبد الله لجرير : كيف تَرَى ؟ قال : لقــد قال وما أَنْعم . فغضب ذو الرُّمّة ونَهَض وهو يقول :

* أنا أبو الحارِثِ وٱسْمِى غَيْلانْ *

فنَهَض جرير وقال :

إنّى آمرؤٌ خُلقتُ شَكْسًا أَشْـوَسا[5] * إن تَضْرِسَانى تَضْرِسا مُضَرَّسا[6]

قــد لبِس الدهرَ وأَبْقَى مَلْبَســا * من شاء من نارِ الجَحــيم ٱقتبَســا

قال : فجَلَس ذو الرُّمّة وحاد عنه فلم يُجِبْه .

---

(١) المرقق : الأرغفة الواسعة الرقيقة . والصناب : أدم يتخذ من الخردل والزبيب .

(٢) فى الأصــول : «بذلك» راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٠ من هذا الجزء . (٣) قد ورد هذا البيت فى حـ هكذا :

فان تعــدم معيشــة آل زيد * ويعــوزك المرقق والصــناب

وفى النقائض :

« إن تفركك علجة آل زيد * ويعوزك ... ... الخ »

وفركت المرأة زوجها تفــركه فركا اذا أبغضتــه . (٤) فى ب ، س : «كريهــا لا يعيش به الكلاب» . (٥) وردت هذه الأبيات فى ديوانه المخطوط (صفحة ٢٠٨) باختلاف عما هنا .

(٦) الشكس : الصعب الخلق . والأشوس : الذى ينظر بمؤخر عينه تكبرا أو تغيظا والجرىء على القتال الشديد . وضرسه : عضه وعجمه ليختبره .

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا ابن النّطّاح عن أبي عُبيدة قال :

كان ذو الرُّمّة ممن أعان على جرير ولم يُصْحِرْ له [1] ؛ فقال جرير فيه :

أقول نَصَاحةً لبني عديٍّ * ثيابَكُمُ ونَضْحَ دمِ القتيلِ

وهي قصيدة . قال : وكانوا يتعاونون عليه ولا يُصْحِرُون له .

حديثه مع ذي الرمة وهشام المرئيّ

٥ أخبرنا أبو خَليفة الفَضْل بن الحُبَاب قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثني أبو الغَرّاف قال :

قال الفرزدق لذي الرُّمّة : أَلْهَاكَ البكاءُ في الديار وهذا العبد يَرْجُزُ بك (يعني هشامًا المَرَئيّ) بمَقْبُرة بني حِصْن . قال : وكان السبب في الهجاء بين ذي الرمة وهشام أن ذا الرمة نزل بقرية لبني امرئ القيس يقال لها : مَرْأَةُ [2] ، فلم يَقْرُوه ولم يَعْلِفُوا له ،

١٠ فارتحل وهو يقول :

نزلنا وقد طال النهارُ [3] وأَوْقدتْ * علينا حَصَى المِعْزاءِ [4] شمسٌ تَنالُها

أَنَخْنا فظلَّلْنا بأَبْرادِ يُمْنَةٍ [5] * رِقَاقٍ وأسيافٍ قديمٍ صِقَالُها

فلمّا رآنا أهلُ مَرْأَةَ أَغْلَقُوا * مَخَادِعَ [6] لم تُرْفَعْ لخيرٍ ظِلالُها

وقد سُمِّيتْ باسم امرئ القيس قريةٌ * كِرَامٌ صَوَادِيها [7] لئامٌ رجالُها

---

١٥ (١) لم يصحر له : لم يبرز له ؛ من قولهم : أصحر الرجل اذا برز الى الصحراء . (٢) مرأة : قرية بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ، كما ذكر أبو الفرج ، وهي باليمامة . سميت بشطر اسم امرئ القيس ، بينها و بين ذات غسل مرحلة على طريق النباج . (٣) رواية الديوان : « غار » . وغار النهار : انتصف . وراجع هذا الشعر في الديوان ففيه اختلاف في الرواية عما هنا . (٤) المعزاء : الأرض الصلبة ذات الحصى . (٥) الأبراد : جمع برد وهو الثوب . واليمنة :

٢٠ ضرب من برود اليمن . (٦) المخادع : البيوت . (٧) الصوادي : النخل التي لا تسقى وانما تشرب بعروقها ، الواحدة صادية .

يَظَلُّ الكِرامُ المُرْمِلُونَ يَحُوطُها * سَواءٌ عليهم حَمْلُها وحِيالُها (١)

ولو وُضِعتْ أكوارُها عند بَيْهَسٍ * على ذاتِ غِسْلٍ لم تُشَمَّسْ رِحالُها (٢)

فقال جرير لهشام ، وكان يتّهم ذا الرُّمّة بهجائه التَّيْمَ وهم إخوة عَدِيّ : عليك العبدَ (يعنى ذا الرمة) . قال : فما أصنع يا أبا حَزْرة وهو يقول القَصِيدَ وأنا أقول الرَّجَز، والرجز لا يقوم للقصيد ؟ فلو رَفَدْتَنِي ! قال : قل له :

عَجِبتَ لِرَحْلٍ من عَدِيٍّ مُشَمَّسٍ * وفى أىّ يومٍ لم تُشَمَّسْ رحالُها

وفِيمَ عَدِيٌّ عند تَيْمٍ من العُلَا * وأيّامنا اللاتى يُعَدّ فَعالُها

مَدَدْتَ بكفٍّ من عديٍّ قصيرةٍ * لِتُدْرِكَ من زيد يدًا لا تنالُها

وضَبَّةُ عَمِّى يابْنَ جِلٍّ فلا تَرُمْ * مساعىَ قومٍ ليس منك سِجالُها (٣)

يُماشِى عَدِيًّا لؤمُها ما تُجِنُّه * من الناس ماماشتْ عَدِيًّا ظِلالُها

فقل لعَدِيٍّ تَستعِنْ بنسائها * علىَّ فقد أعيا عَدِيًّا رجالُها

أذا الرُّمِّ قد قَلَّدتُ قومَك رُمَّةً (٤) * بطيئًا بأيدى المُطلِقين انحلالُها

تَرَى اللُّؤمَ ماعاشتْ عديٌّ مُخَلَّدًا * سَرابيلُها منه ومنه نِعالُها

قال : فلَجَّ الهجاءُ بين ذى الرمة وهشام . فلما أنشد المَرَئِيُّ هذه الأبيات وسمعها ذو الرمة قال : كَذَبَ العَبدُ السُّوءُ ! ليس هذا الكلام له ، هذا كلامٌ نَجْدِيٌّ حَنْظَلِيّ ،

(١) أرمل القوم : فنى زادهم . يقول : سواء عليهم أحالت نخيلهم أم حملت ، فهم لا ينالهم منها شىء .

(٢) بيهس وذات غسل : سيذكرهما المؤلف بعد قليل . ولم تشمس رحالها : لم تعرض للشمس . يريد أنها لا تهمل بل تكرم بادخالها البيوت . (٣) كذا فى نسخة الشنقيطى مصححة بقلمه ، وهو جل ابن عدى ، رجل من مضر رهط ذى الرمة العدوى . وفى الأصول : « خل » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف . (٤) كذا فى جـ ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه وترجمة ذى الرمة (ص ١١٧ ج ١٦ من الأغانى طبع بلاق) . وفى سائر الأصول : « قد قلدن » بالنون وهو تصحيف . والرمة : الحبل يقلد به البعير .

هـذا كلام ابنِ الأَتَان[1] . قال : ولم يزل ذو الرمّة مستعليًا على هشام حتى لقيه جرير فرفَده هذه الأبياتَ .

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبى عدْنانَ قال حدّثنى أبو صخْر[2] من ولد جَخْناءَ بنِ نُوح بن جَرير قال : سمعت أبى يحدّث عن أبيه قال :

أتى هشامُ بن قيس المَرَئىّ أبى (يعنى جريرا) فاسترفَده على ذى الرمّة، وقد كانا تهاجيَا دهرًا ، وكان سبب ذلك أنّ ذا الرُّمّة نزل على أهل قرية ابنى امرئ القيس فلم يُدْخِلوا رحله ، فذمَّهم فى القِرَى ، ومدح بَيْهَسًا صاحبَ ذات غِسْل — وهو مَرَئىّ . وذات غِسْل : قرية له — فقال ذو الرُّمّة :

ولمّا وردْنا مَرْأَةَ اللُّؤمِ أُغلقتْ * دَسَاكِرُ لم تُفْتَحْ لخيرٍ ظِلالُها

ولو عُرِّيتْ أصلابُها[3] عند بَيْهَسٍ * على ذات غِسْلٍ لم تُشَمَّس رِحالُها

إذا امرؤ القيس ابنُ لؤمٍ تَطَعَّمتْ * بكأس النَّدامَى خَبَّثتْها[4] سِبالُها

فقال جرير للمَرَئىّ : قل له :

غَضِبتَ لرَحْلٍ من عدىٍّ مُشَمَّسٍ * وفى أىِّ يومٍ لم تُشمَّس رحالُها

وذكر الأبيات الماضية المذكورة فى رواية أبى خَليفة . قال : فلقِى ذو الرُّمّة جريرا فقال له : تعصّبتَ للمَرَئىّ وأنا خالُكَ ! . قال : حين قلتُ ماذا ؟ قال : حين قلتَ له أن يقول لى :

* عجِبتَ لرَحْلٍ من عَدِىٍّ مشمَّسِ *

---

(١) ابن الأتان : لقب كان ينبز به جرير . (٢) فى ب ، س : « أبو صخرة » .

(٣) الأصلاب : جمع صلب وهو عظم من لدن الكاهل الى العجب . يريد : لو وضعت رحالها عن ظهورها عند بيهس لأكرمها ولم يتركها . وفى ب ، س : « غرست » وهو تحريف . (٤) كذا فى أ ، ء ، م (وديوان ذى الرمة طبع أوربا ص ٥٤٤) . وفى سائر الأصول : « ما خبثها » وهو تحريف .

فقال له جرير: لا ! بل ألهاك البكاءُ فى دار ميّة حتى أُبيحت محارمُك . قال :
وكان قد بلغ جريرًا ميلُ ذى الرُّمّة عليه، فجعل يعتذر اليه ويحلف له . فقال له جرير:
اذهب الآن فقل للمَرَئِىّ :

يعُدّ الناسبون الى تميم * بيوتَ المجد أربعةً كبارا
يعُدّون الرِّباب وآل سَعْدٍ * وعَمْرًا ثم حَنْظلةَ الخيارا
ويَهْلِكُ بينها المَرَئِىُّ لغْوًا * كما ألغيتَ فى الدِّيَة الحُوارا[1]

فقال ذو الرمة قصيدتَه التى أوّلها :

نَبَتْ عيناكَ عن طَلَلٍ بحُزْوَى[2] * عَفَتْه الريحُ وآمتُنِح القِطارَا

وألحقَ فيها هذه الأبياتَ . فلما أنشدها وسمعها المَرَئِىّ جعل يلطِم رأسَه ووجهه
ويدعو بوَيْله وحَرَبه ويقول : مالِى ولجرير ! فقيل له : وأين جريرٌ منك ! هذا
رجل يُهاجيك وتُهاجيه ! فقال : هيهات ! لا والله ما يُحْسِن ذو الرُّمّة أن يقول :

ويذهب بينها المَرَئِىُّ لغْوًا * كما ألغيتَ فى الدِّيَة الحُوارَا

هـذا والله كلام جرير ما تعـدّاه قطّ . قال : ومرّ الفرزدق بذى الرُّمّة وهو يُنشد
هذه القصيدة ؛ فلما أنشد الأبياتَ الثلاثة فيها قال له الفرزدق : أعِدْ ياغَيْلان؛
فأعاد ؛ فقال له : أأنت تقول هذا ؟ قال : نعم يا أبا فِراس. قال: كذَب فُوكَ !
والله لقد نَحَلَكَها أشدُّ لَحْيَيْنِ منك ، هـذا شعر ابن الأتان . قال : وجاء المَرَئيّون
الى جرير فقالوا : يا أباحَزْرة ، قد آستعلى علينا ذو الرمة ، فأعِنّا على عادتك الجميلة.
فقال: هيهات ! قد والله ظلمتُ خالى لكم مرّةً وجاءنى فاعتذر وحلف، وما كنتُ
لأُعينكم عليه بعدها . قال : ومات ذو الرُّمّة فى تلك الأيام .

(١) الحوار : ولد الناقة ، وقيل : هو الفصيل أوّل ما ينتج . يريد أن المرئى لايؤبه له كما لايؤبه لولد الناقة إذا تبع أمه وقد سيقت فى دية القتيل . (٢) حزوى : موضع فى ديار تميم .

أقر له نصيب بالسبق عليه وعلى جميل

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانيّ قال حدّثني العُمَرِيّ عن لَقِيط قال حدّثني أبو بكر بن نَوْفَل قال حدّثني من سأل النُّصَيْبَ قال: قلت له: يا أبا مِحْجَن، بيتٌ قلتَه نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ، فأُحِبّ أن تخبرني أيّكم فيه أشعر؟ قال: وما هو؟ قلتُ قولُك:

أَضَرَّ بها التهجيرُ حتى كأنها * أَكَبَّ عليها جازرٌ مُتعرِّقُ(١)

وقال جميل:

أضَرَّ بها التهجيرُ حتى كأنها * بقايا سُلَالٍ(٢) لم يَدَعْها سُلَالُها

وقال جرير:

إذا بلغوا المنازلَ لم تُقَيَّدْ * وفى طُول الكَلَالِ لها قيودُ

فقال نُصَيْب: قاتل الله ٱبنَ الخَطَفَى! ما أشعرَه!. قال: فقال له الرجل: أمّا أنتَ فقد فضلتَه؛ فقال: هو ما أقول لك.

قال عنه ابن مناذر هو أشعر الناس

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الرحمن بن القاسم العِجْليّ قال حدّثني الحسن بن علي المِنْقَرِيّ قال قال مسعود ٱبن بِشْر:

قلت لٱبن مُنَاذِر بمكة: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: من اذا شئتَ لَعِب(٣)، واذا شئتَ جَدّ؛ فاذا لعب أطمعك لَعِبُه فيه، واذا رُمْتَه بَعُد عليك؛ واذا جدّ فيما قصد له آيأسك من نفسه. قلتُ: مثلُ مَنْ؟ قال: مثل جرير حين يقول إذا لَعِب:

إنّ الّذين غَدَوْا بلُبِّك غادروا * وَشَلًا بعينك ما يزال مَعِينَا

(١) التعرّق: إزالة ما على العظم من اللحم. (٢) السلال: مثل السل، وهو داء معروف. يهزل ويضنى ويقتل. (٣) في ب، س: «قال من إذا لعب شبب فاذا لعب أطمعك ... الخ».

ثم قال حين جدّ :

إنّ الذى حَرَم المكارِم تَغْلِبًا * جعل الخلافةَ والنبوّةَ فينا

مُضَرٌ أبى وأبو الملوكِ فهل لكم * يا آلَ تَغْلِبَ من أبٍ كأبينا

هذا آبنُ عمّى فى دِمَشْقَ خليفةً * لو شئتُ ساقكمُ الىّ قطينا (١)

اعتراض عليه عبد الملك بن مروان فى هذا الشعر

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى الرِّياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ عن أبى عمرو قال :

لمّا بلغ عبدَ الملك قولُ جرير :

هذا آبن عمّى فى دمشق خليفةً * لو شئتُ ساقكمُ الىّ قطينا

قال : ما زاد آبنُ المَرَاغة على أن جعلنى شُرْطيًّا ! أمَا إنّه لو قال :

* لو شاء ساقكم الىّ قطينا *

لسقتُهم اليه كما قال .

فضله بشار على الأخطل وعلى الفرزدق

أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال :

سألت بَشّارًا العُقَيْلىّ عن الثلاثة فقال: لم يكن الأخطلُ مثلَهما، ولكنّ رَبيعةَ تعصّبتْ له وأفرطتْ فيه . قلت : فجريرٌ والفرزدقُ ؟ قال : كان جريرٌ يُحْسِن ضروبًا من الشعر لا يُحسنها الفرزدق ، وفضّل جريرًا عليه .

مقارنة بينه وبين الأخطل والفرزدق

وقال آبن سَلّام: قال العَلاء بن جَرير — وكان قد أدرك الناس وسمع — : كان يقال: الأخطلُ اذا لم يَجِئْ سابقًا فهو سُكَّيْتٌ، والفرزدق لا يجىء (٢) سابقا ولا سُكَّيتا فهو بمنزلة المصلِّى أبدا ، وجرير يجىء سابقا ومصلّيا وسُكَّيتا . قال آبن سَلّام : وتأويل قوله : إن للأخطل خمسًا أو ستًّا أو سبعًا طِوالًا روائعَ غُرَرًا جِيادًا هو بهنّ سابق، وسائرُ شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقى بمنزلة السُّكَّيت — والسكّيت : آخر الخيل

٦٤ / ٧

(١) القطين : الخدم والحشم . (٢) فى ب ، س : « اذا لم يجئ » وهو تحريف .

فى الرِّهَان — والفرزدق دونَه فى هذه الروائع وفوقَه فى بقيّة شعره، فهو كالمصلِّى أبدا — وهو الذى يجىء بعد السابق وقبل السكّيت — وجرير له روائعُ هو بهنّ سابق، وأوساطٌ هو بهنّ مصلٍّ، وسَفْسَافاتٌ (١) هو بهنّ سُكّيت.

مناقضة بينه وبين الفرزدق

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنى محمد بن سَلّام قال حدّثنى حاجب بن زيد بن شَيْبان بن عَلْقَمة بن زُرَارة قال:

قال جرير بالكوفة:

لقد قادَنِى من حُبِّ ماوِيّةَ الهَوَى * وما كنتُ تَلْقَانِى الجَنِيبةُ أَقْوَدَا (٢)

أُحِبُّ ثَرَى نَجْدٍ وبالغَوْرِ حاجةٌ * فغارَ الهَوَى ياعبدَ قيسٍ وأَنْجَدَا

أقول له يا عبدَ قيسٍ صَبابةً * بأىِّ تَرَى مستوقدَ النارِ أَوْقَدَا

فقال أَرَى نارًا يُشَبُّ وُقُودُها * بحيثُ آستفاضَ الجِزْعُ شِيحًا وغَرْقَدَا (٣)

فأعجبتِ الناسَ وتناشدوها. قال: فحدّثنى جابر بن جَنْدل قال: فقال لنا جرير: أعجبتْكم هذه الأبياتُ؟ قالوا: نعم. قال: كأنكم بآبن القَيْن (٤) وقد قال:

أَعِدْ نظرًا يا عبدَ قيسٍ لعلّما * أضاءت لك النارُ الحمارَ (٥) المقيَّدا

قال: فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق هذا البيتَ وبعده:

حمارٌ بمَرُّوتِ السَّحَامَةِ قاربتْ * وَظِيفَيْه حَوْلَ البيتِ حتى تَرَدَّدا (٦)

---

(١) سفساف الشعر: رديئه. (٢) كذا فى النقائض رواية أشار إليها الشارح. وفى الصلب: «وما كان يلقانى الجنيبة ...». وفى الأصول: «وما كنت ألقى لجنبية» بالقاف ولعلها «ألفى» بالفاء. والجنيبة: التى تجنب معه. والأقود: المنقاد المطيع. (٣) الغرقد: كبار العوسج.
(٤) ابن القين: لقب كان ينبزبه الفرزدق، وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٥؛ (٥) يريد حمارا من حمير بنى كليب وذلك أنهم أصحاب حمير، يهجوهم بذلك ويؤنبه ويضع من قدره، نسبه الى رعية الحمير. (راجع النقائض ص ٤٩١). (٦) المروت: لبنى حمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد. والسحامة: ماءة لبنى كليب باليمامة. وورد الشطر الأخير من هذا البيت فى النقائض هكذا: «كليبية قينيه حتى ترددا». والقينان: الوظيفان أو موضع القيد منهما.

كُلَيْبِيَّةٌ لم يجعلِ اللهُ وجهَها * كريمًا ولم يَسْنَحْ بها الطيرُ أسْعُدَا

قال : فتناشدها الناسُ . فقال الفرزدق : كأنكم بٱبنِ المَرَاغة قد قال :

وما عِبْتَ من نارٍ أضاء وُقُودُها * فِرَاسًا وبِسْطَامَ بنَ قيسٍ[1] مقيَّدا

قال فإذا بالبيت قد جاء لجريرٍ ومعه :

وأوقدتَ بالسِّيدانِ[2] نارًا ذليلةً * وأشهدتَ من سَوْءاتِ جِعْثِنَ مَشْهَدا ٥

جرير والأخطل في حضرة عبد الملك ابن مروان

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفِىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم عن عمارة بن عُقَيل عن أبيه قال :

وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطلُ داخلٌ عنده ، وقد كانا تَهَاجيا ولم يَرَ أحدٌ منهما صاحبَه ، فلما ٱستأذنوا عليه لجرير أذن له فدخل فسلَّم ثم جلس وقد عرفه الأخطل ، فطَمَح طَرْفُ جريرٍ الى الأخطل وقد رآه ينظر اليه ١٠ نظرا شديدا فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا الذى منعتُ نومَك وتهضَّمْتُ قومَك . فقال له جرير : ذلك أشْقَى لك كائنًا من كنتَ . ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ جعلنى الله فداءَك ! فضحك ثم قال : هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرة . فردّ عليه بصرَه ثم قال : فلا حيّاك الله يآبنَ النصرانية ! أمّا منعُك نومى فلو نمتُ عنك لكان خيرًا لك . وأما تهضُّمُك قومِى فكيف تَهَضَّمُهم ١٥ وأنت ممن ضُرِبتْ عليه الذِّلّةُ وباء بغضبٍ من الله وأدّى الجزيةَ عن يدٍ وهو صاغرٌ . وكيف تهضَّم لا أُمّ لكَ قومًا فيهم النبوّة والخلافةُ وأنت لهم عبدٌ مأمور ومحكومٌ عليه ٦٥/٧

(١) يريد فراس بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير وكان أسيرا مع بسطام بن قيس بن مسعود (عن النقائض) . (٢) قال أبو عبيدة : السيدان : موضع . وجعثن : أخت الفرزدق يريد بهذا البيت تعريضا بالفرزدق وبأخته (النقائض ص ٤٨٢) . ٢٠

لا حاكم. ثم أقبل على عبد الملك فقال : آئذنْ لى يا أميرَ المؤمنين فى ٱبنِ النَّصرانية؛ فقال : لا يجوز أن يكون ذلك بحضرتى .

تحاكم هو وبنو حمان الى ابراهيم بن عدى فى بئر فحكم له

أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنى أبو يحيى الضّبّىّ قال : نازَع جريرٌ بَنِى حِمّانَ[1] فى رَكِيَّةٍ لهم؛ فصاروا الى إبراهيم بن عَدِىّ[2] باليمامة يتحاكمون اليه ؛ فقال جرير :

أَعوذُ[3] بالأمــيرِ غيرِ الجَبّارْ * من ظُلْمِ حِمّانَ وتحويلِ الدارْ
ما كان قبلَ حَفْرِنا من مِحْفَارْ * وضَرْبِىَ المِنْقارَ[4] بعد المِنْقارْ
فى جَبَــلٍ أَصمَّ غيرِ خَوّارْ * يَصيحُ بالجُبِّ[5] صِياحَ الصَّرّارْ[6]
له صَهِيلٌ كصَهِيلِ الأمْهارْ[7] * فآسألْ بنى صُحْبٍ[8] ورَهْطَ الجَزّارْ
والسَّلَمِيِّينَ[9] العِظَامَ الأخْطَارْ * والجارُ قد يُخْبِرُ عن دارِ الجارْ

فقال الحِمّانِىّ[10] :

ما لِكُلَيْبٍ من حِمًى ولا دارْ * غيرُ مُقامِ أُتُنٍ وأَعْيارْ[11]
* قُمْسِ الظهورِ دامياتِ الأثفارْ[12] *

(١) بنو حمان : حى من تميم أحد حى بنى سعد بن زيد مناة . (٢) فى ديوان جرير المخطوط : " المهاجر بن عبد الله الكلابى " . (٣) راجع الديوان فبينه وبين ما هنا اختلاف كثير . (٤) المنقار : حديدة يحفر بها . (٥) كذا فى ديوانه . والجب : البئر . وفى الأصول : «الحب» بالحاء المهملة وهو تصحيف . (٦) الصرّار : ضرب من الخنافس يصوّت فى الصحارى من أوّل الليل الى الصبح . (٧) فى الأصول : « له صليل كصليل الأمهار » . وفى الديوان : « يصهلن فى الجب صهيل الأمهار » . (٨) كذا فى ديوانه . وبنو صحب : قبيلة من باهلة . وفى الأصول : « أبا عصم » . (٩) السلميون : أولاد سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . (١٠) فى ديوانه : «فقال عبد لبنى حمان» . (١١) الأتن : جمع أتان، وهى الحمارة . والأعيار : جمع عير، وهو الحمار . (١٢) القمس : جمع أقمس وقمساء . والقمس : خروج الصدر ودخول الظهر خلقة . والثفر (بالضم والفتح) لجميع ضروب السباع ولكل ذات مخلب : كالحياء للناقة ، وقد يستعار لغير ذلك .

قال فقال جرير : فمن مُقامِهنّ ، جُعِلتُ فِداك ، أُجادِل . فقال آبن عَدِىّ للحِمّانىّ : قد أقررتَ لخَصْمك ، وحكم بها لجرير .

نزل ببنى مازن وبنى هلال فدحهم بعد أن هجاهم

قال آبن سَلّام وأخبرنى أبو يحيى الضَّبّىّ قال :

بينا جرير يسير على راحلته إذ هجم على أبياتٍ من مازن وهلال — وهما بطنان من ضَبّة — نخافهم ، لسوء أثَرِه فى ضَبّة ، فقال :

فلا خوفٌ عليك ولن تُراعى * بعَقْوة[1] مازنٍ وبنى هلالِ
هما الحيّانِ إن فزِعا يَطيرا * الى جُرْدٍ كأمثال السَّعالِى[2]
أمازنُ يابنَ كعبٍ إنّ قلبى * لكم طولَ الحياة لَغيرُ قالِى
غَطارِيفٌ يَبيتُ الجارُ فيهم * قريرَ العين فى أهلٍ ومالِ

قال[3] : أجَلْ يا أبا حَزْرة فلا خوف عليك .

وفد على عبد الملك فى دمشق فالتف الناس حوله فى المسجد دون الفرزدق

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال شُعَيب بن صخر حدّثنى هارون بن إبراهيم قال :

رأيت جريرا والفرزدق فى مسجد دمشق وقد قَدِماها على الوليد بن عبد الملك والناسُ عُنُقٌ[4] واحد على جرير : [قيس وموالى بنى أمية][5] يسلّمون عليه ويسألونه كيف كنت يا أبا حَزْرة فى مَسيرك ، وكيف أهلُك وأسبابُك . وما يُطيف بالفرزدق

(١) العقوة : ساحة الدار . (٢) السعالى : جمع سعلاة ، وهى الغول ، وقيل : هى ساحرة الجن . (٣) كذا فى الأصول . ولعل الصواب : « قالوا أجل ... الخ » .
(٤) العنق : الجماعة الكثيرة . (٥) الذى بين القوسين هو عبارة ابن سلام فى الطبقات وهو الذى يناسب ما يأتى من قوله : « لمدحه قيسا وقوله فى العجم الخ » . وفى ب ، سـ : « ... على جرير وكلهم من قريش وموالى قريش يسلمون عليه ... الخ » . وفى سائر الأصول : « والناس عنق واحدة يسألونه كيف كنت يا أبا حزرة الخ » .

إلّا نَفَرٌ من خِنْدِف جلوسٌ معه . قال شُعيبٌ : فقلت لهارون : ولِمَ ذلك ؟ قال: لمدحه قَيْسا وقولِه فى العجم :

فيجمعُنا والغُرَّ أولادَ سَارةٍ[1] * أبٌ لا نُبالِى بعدَه من تعذّرا

قال شُعيب: بلغنى أنه أُهْدِيتْ له يومئذ مائةُ حُلّة، أهداها اليه الموالى سوى غيرهم.

٥ وأخبرنى بهذا الخبر أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام عن شُعيب بن صَخْر، فذكر نحواً من حكاية أبى زيد، إلا أنها أتمّ من حكاية آبن سَلّام . وقال أبو خَليفة فى خبره : سمعت عُمارة بن عُقَيل بن بِلال يقول: وافته فى يومه ذلك مائةُ حُلّة من بنى الأحرار[2] .

رأى الأحوص فى قباء فعرّض به لئلا يعين عليه

٦٦ / ٧

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى أحمد بن الهَيْثم الفِرَاسى قال :

١٠ بينا جريرٌ بقُبَاءَ إذ طلع الأحوصُ وجريرٌ يُنْشِد قولَه :

لولا الحياءُ لعادنِى آستعبارُ * ولزُرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ

فلما نظر الى الأحوص قطع الشعرَ ورفع صوتَه يقول :

عَوَى[3] الشعراءُ بعضُهمُ لبعضٍ * علىّ فقد أصابهمُ آنتقامُ

إذا أرسلتُ قافيــةً شَرُودًا[4] * رأَوْا أخرى تحرّق فآستداموا

١٥ (١) كذا فى ديوانه، وهو الصحيح . وهى سارة زوجة ابراهيم الخليل صلوات الله عليه . وقد جاء عقب هذا البيت قوله :

أبونا خليــل الله والله ربنا * رضينا بما أعطى الإله وقدرا

وفى الأصول: «سادة» بالدال المهملة، وهو تحريف . (٢) بنو الأحرار : أبناء الموالى من الفرس .

(٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «غوى» بالغين المعجمة وهو تصحيف . وعواؤهم : المراد به

٢٠ تناصرهم وتعاونهم، كما يعوى الذئب لأصحابه لتجتمع حوله . (٤) رواية الديوان ولسان العرب (مادة دوم) : «اذا أوقعت صاعقة عليهم» . ومعنى استداموا : انتظروا ، كقول الشاعر :

ترى الشعراء من صعق مصاب * بصكتــه وآخر مستــديم

فَمُصْطَلَمُ(١) المَسامعِ أو خَصِيٌّ * وآخرُ عظمُ هامتِه حُطَامُ

ثم عاد من حيث قطع . فلما فرَغ قيل له : ولِمَ قلتَ هذا ؟ قال : قد نهيتُ الأحوصَ أن يُعين عليّ الفرزدقَ ، فأنا والله يابنى عمرو بن عَوْف ما تعوّذتُ من شاعرٍ قطُّ ، ولولا حقُّكم ما تعوّذت منه .

أوفده الحجاج على عبد الملك مع ابنه محمد وأوصاه به

أخبرنا على بن سليمان الأخفش قال حدّثنا الحسن بن الحسين السُّكَّرِى قال قال عُمارة بن عُقَيل حدّثنى أبى عن أبيه : ٥

أن الحجّاج أوفد آبنَه محمدَ بن الحجاج الى عبد الملك وأوفد اليه جريراً معه ووصّاه به وأمره بمسئلة عبد الملك فى الاستماع منه ومعاونته عليه . فلما وردوا آستأذن له محمد على عبد الملك ، فلم يأذَنْ له ، وكان لا يسمع من شعراء مُضَر ولا يأذن لهم ، لأنهم كانوا زُبَيْرِيّةً . فلما آستأذن له محمد على عبد الملك ولم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله فى أمره ويقول : إنه لم يكن ممّن والَى آبنَ الزبير ولا نصره بيده ولا لسانه ، وقال له محمد : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ العرب تحدّث أنّ عبدَك وسيفَك الحجّاجَ شفَع فى شاعرٍ قد لاذ به وجعله وسيلتَه ثم رددْته ؛ فأذِن له فدخل فاستأذن فى الإنشاد ؛ فقال له : وما عساكَ أن تقول فينا بعد قولك فى الحجّاج ! ألستَ القائلَ : ١٠ ١٥

من سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ عليكُمُ * أم من يَصُول كصَوْلة الحجاج

إن الله لم ينصرنى بالحجّاج وانما نصر دينه وخليفته . أولست القائل :

أم مَنْ يَغَارُ على النساء حَفِيظةً * إذ لا يَثِقْنَ بغَيْرةِ الأزواجِ

يا عاضَّ كذا وكذا من أمّه ! والله لهَمَمْتُ أن أطير بك طَيْرةً بطيئاً سُقوطُها ، اُخْرُجْ عنّى ، فأُخْرِج بشَرٍّ . فلما كان بعدَ ثلاثٍ شفَع اليه محمدٌ لجرير وقال له : ٢٠

(١) الاصطلام : القطع .

يا أميرَ المؤمنين ، إنى أَدّيت رسالةَ عبدِك الحجّاج وشفاعتَه فى جرير، فلما أذنْتَ له خاطبتَه بما أطار لُبَّه منه وأَشْمتَ به عدوَّه ، ولو لم تأذن له لكان خيراً له مما سمع . فإن رأيتَ أن تَهَب كلَّ ذنب له لعبدك الحجّاج وَلِى فافعلْ، فأذن له . فاستأذنه فى الإنشاد ، فقال : لا تُنْشِدنى إلّا فى الحجّاج ، فإنما أنت للحجّاج خاصّةً . فسأله أن يُنْشِده مديحَه فيه ، فأبى وأَقْسم ألّا يُنْشِده إلّا من قوله فى الحجّاج ؛ فأنشده وخرج بغير جائزة . فلما أزِف الرَّحيلُ قال جرير لمحمد: إن رحَلتُ عن أمير المؤمنين ولم يَسْمع منِّى ولم آخذ له جائزة سقطتُ آخرَ الدهر ، ولست بارحاً بابَه أو يأذنَ لى فى الإنشاد . وأمسك عبد الملك عن الإذن له . فقال جرير: ارحَلْ أنت وأقيم أنا . فدخل محمد على عبد الملك فأخبره بقول جرير وآستأذنه له وسأله أن يسمع منه وقبَّل يدَه ورجلَه ، فأذن له . فدخل فاستأذن فى الإنشاد ، فأمسك عبد الملك . فقال له محمد : أنشِدْ وَيْحَك ! فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

ألستُمْ خيرَ من ركب المطايا * وأَنْدَى العالَمين بطونَ راحِ

فتبسّم عبد الملك وقال : كذلك نحن وما زِلْنا كذلك . ثم آعتمد على آبن الزُّبَير فقال :

دعوتَ المُلْحِدِينَ أبا خُبَيْبٍ[1] * جِماحًا هل شُفِيتَ من الجِماحِ
وقد وجدوا الخليفةَ هِبْرِزِيًّا[2] * أَلَفَّ[3] العِيصِ ليس من النَّواحى
وما شجراتُ عِيصِك فى قريش * بعَشّاتِ[4] الفُروع ولا ضَواحى

(١) أبو خبيب : هو عبدالله بن الزبير ، وخبيب ابنه ، و به كان يدعى . (٢) الهبرزى : الخالص . (٣) الألف : الملتف . والعيص : الأصل ، وهو أيضا الشجر . يريد أنه من وسط العز لا من نواحيه . (٤) العشة : الشجرة الدقيقة القضبان اللئيمة المنبت . والضواحى : البادية العيدان لا ورق عليها . وفى اللسان (مادة ضحى) بعد أن أورد هذا البيت « قال أبو منصور : أراد جرير بالضواحى فى بيته قريش الظواهر ، وهم الذين لا ينزلون شعب مكة و بطحاءها . أراد جرير أن عبد الملك من قريش الأباطح لا من قريش الظواهر ، وقريش الأباطح أشرف وأكرم من قريش الظواهر ؛ لأن البطحاويين من قريش حاضرة وهم قطان الحرم ، والظواهر أعراب بادية » .

قال : ثم أنشده إياها حتى أتى على ذكر زوجته فيها فقال :

تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثم قالت * رأيتُ المُورِدِين ذوى لِقَاحِ
تُعَلِّلُ وهى ساغبةٌ بَنِيها * بأنفاسٍ(١) من الشَّبِمِ القَرَاحِ

فقال عبد الملك : هل تُرْوِيها مائةُ لِقْحة ؟ فقال : إن لم يُرْوِها ذلك فلا أَرْواها الله ! فهل إليها — جعلنى الله فِدَاكَ يا أمير المؤمنين — من سبيل؟ فأمر له بمائة لِقْحة وثمانية من الرِّعاء . وكانت بين يديه جامات من ذهب ؛ فقال له جرير : يا أميرَ المؤمنين، تأمرُ لى بواحدة منهنّ تكون مِحْلَبا ؟ فضحك ونَدَس(٢) إليه واحدةً منهنّ بالقضيب وقال : خذها لا نفعتْك ! فأخذها وقال : بلَى والله يا أمير المؤمنين لينفعنِّى كلُّ ما منحتَنِيه ، وخرج من عنده . قال : وقد ذكر ذلك جريرٌ فى شعره فقال يمدح يزيدَ بنَ عبد الملك :

أعطَوْا هُنَيْدَةَ(٣) يَحْدُوها ثمانيةٌ * ما فى عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

هجا سراقة البارقى بأمر بشر بن مروان لأنه فضل الفرزدق عليه

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا دَمَاذُ أبو غَسّانَ عن أبى عُبيدة قال : بذل محمد بن عُمَير بن عُطارِد بن حاجب بن زُرَارةَ أربعةَ آلاف درهم وفرسًا لمن فضّل من الشعراء الفرزدقَ على جرير ، فلم يُقْدِم عليه أحد منهم إلا سُرَاقة البارقىّ فانه قال يفضل الفرزدق :

أَبْلِغْ تَمِيمًا غثَّها وسَمِينَها * والحكم يَقْصِد مرّةً ويجُورُ
أنّ الفرزدقَ بَرَّزَتْ أعراقُه * سَبْقًا وخُلِّفَ فى الغُبار جَرِيرُ

---

(١) الأنفاس : جمع نفس (كسبب) وهو جرعة الماء . والشبم : البارد . والقراح : الخالص . يريد أنها تعللهم بالماء عند افتقاد اللبن . (٢) كذا فى ديوانه المخطوط ص ٢٠ والندس فى الأصل : الطعن الخفيف . يريد أنه دفع اليه جاما منها بعصا كانت فى يده . وفى بعض الأصول : «ودحس» . وفى بعضها : «ودس» وكلاهما تحريف . (٣) هنيدة : اسم المائة من الإبل وغيرها .

ذهب الفرزدقُ بالفضائلِ والعُلا[1] * وابنُ المَراغةِ مُخَلَّفٌ محسورُ
هـذا قضاءُ البارقيِّ وإنني * بالمَيْلِ في ميزانهم لبَصيرُ

قال أبو عُبَيدة فحدّثني أيّوب بن كُسَيب قال حدّثني أبي قال : كنتُ مع جرير، فأتاه رسول بِشْر بن مَرْوان فدفع اليه كتابه، وقال له : إنه قد أمرني أن أُوصله اليك ولا أبرحَ حتى تُجيب عن الشعر في يومك إن لقيتُك نهاراً أو ليلتك إن لقيتُك ليلا، وأخرج اليه كتابَ بِشْر وقد نسَخ له القصيدة وأمره بأن يُجيب عنها . فأخذها ومكث ليلتَه يجتهد أن يقول شيئا فلا يمكنه ؛ فهتَف به صاحبُه من الجنّ من زاوية البيت فقال له : أزعمتَ أنك تقول الشعر ! ما هو إلّا أن غبتُ عنك ليلةً حتى لم تُحسِن أن تقول شيئا ! فهلّا قلتَ[2] :

يا بِشْرُ حَقّ لوجهك التبشيرُ * هلّا قضيتَ لنا وأنت أميرُ

فقال له جرير : حَسْبُك كُفِيتَك . قال : وسمع قائلا يقول لآخر : قد أنار الصبح؛ فقال جرير :

ياصاحبيَّ هل الصباحُ منيرُ * أم هل للومِ عواذلي تفتيرُ[3]

الى أن فرَغ منها . وفيها يقول :

قد كان حقُّكَ أن تقول لبارقٍ * يا آلَ بارقَ فيمَ سُبَّ جريرُ
يُعطَى النساءُ مهورَهنّ كَرامةً * ونساءُ بارقَ مالهنّ مُهورُ

فأخذها الرسول ومضى بها الى بِشْر، فقُرئتْ بالعراق وأُفحِم سُرَاقةُ فلم ينطق بعدها بشيء من مُناقضته .

(١) كذا في ب، س . وفي سائر الأصول : « بالقصائد » .
(٢) في ج : « حتى لم تحسن أن تجيب عنها » .
(٣) الفتور والتفتير : السكون بعد الحدة واللين بعد الشدة . وفتّر (بالتضعيف) يتعدى و يلزم .

مناقضة عمر بن لجأ وسبب ذلك

أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنى محمد بن سَلّام قال حدّثنى أبو يحيى الضَّبِّىّ قال:

كان الذى هاج الهجاءَ بين جرير وعمَر بنِ لَجَأ أن عمر كان يُنشِد أُرْجوزةً له يصف فيها إبلَه وجريرٌ حاضرٌ، فقال فيها:

قد وردتْ قبل إِنَا ضَحائها[1] * تُفَرِّسُ الحيّاتِ فى خَرْشائها

[جَرَّ العَجُوزِ الثِّنْىَ من ردائها][2]

فقال له جرير: أَخفقتَ. فقال: كيف أقول؟ قال تقول:

* جَرَّ العَرُوسِ الثِّنْىَ من ردائها *

فقال له التَّيمِىّ: أنت أسوأُ قولًا منّى حيث تقول:

وأَوْثَقُ عند المُرْدَفاتِ عَشيّةً * لَحَاقًا اذا ما جَرّد السيفَ لامعُ

بجعلتَهنّ مُرْدَفاتٍ غُدْوةً ثم تداركتَهنّ عَشيّةً. فقال: كيف أقول؟ قال تقول:

* وأَوْثَقُ عند المُرْهَفاتِ عَشيّةً *

فقال جرير: واللهِ لهذا البيتُ أحبُّ إلىّ من بِكْرِى حَزْرَةَ[3]، ولكنك مُجْلِبٌ[4] للفرزدق.

وقال فيه جرير:

هَلّا سِوَانا أَدْرَأْتم يا بنى لَجَإٍ * شيئًا يُقارِبُ أو وَحْشًا لها غُرَرُ[5]

أحينَ كنتُ سِمَامًا يا بنى لَجَإٍ * وخاطرتْ بى عن أحسابها مُضَرُ!

---

(١) الأنا (بفتح الهمزة وكسرها): الوقت. والضحاء: الضحى. وتفرس: تقتل. والخرشاء: جلد الحية. (٢) التكملة عن ابن سلام ص ١٠١ طبع أوربا.

(٣) كذا فى حـ. والمجلب: المعين. وفى سائر الأصول: «محلب» بالحاء المهملة وهو تصحيف.

(٤) يلاحظ أن فى هذا تنافيا مع ما تقدم فى حديثه مع الحجاج، إذ صرح فيا تقدم بأن عمر بن لجأ هو الذى عمد الى هذا التغيير تقبيحا للشعر. (راجع ص ١٨ من هذا الجزء). (٥) ادرأتم: خطتم. وغرر: غفلات، واحدها غرة.

خَلِّ الطريقَ لمن يَبْنِي المَنارَ به * وٱبرُزْ ببرْزَةَ[1] حيث ٱضطرَّك القَدَرُ
أنت ٱبنُ بَرْزَةَ منسوباً الى لجأٍ * عند العُصارةِ والعيدانُ تُعْتَصَرُ

ويروى :

ألستَ نَزْوةَ خَــوّارٍ على أَمَةٍ * عند العُصارةِ والعيدانُ تُعْتَصَرُ

٥ فقال ٱبن لجأ يردّ عليه :

لقد كَذَبْتَ وشَرُّ القولِ أَكْذَبُه * ماخاطرتْ بكَ عن أحسابها مُضَرُ
بل أنت نَزْوةُ[2] خَــوّارٍ على أَمَةٍ * لا يَسبِقُ الحَلَباتِ اللؤمُ والخَوَرُ
ما قلتَ من هذه إلا سأنقُضُها * يأبنَ الأتانِ بمثلي تُنْقَضُ المِرَرُ

وقال عمر بن لجأ[3] :

١٠ عجِبتُ لما لاقتْ رِياحٌ[4] من الأذى * وما ٱقتبَسُوا مــنّي وللشرِّ قابِسُ
غِضاباً لكلبٍ من كُلَيْبٍ فَرَسْتُه * هَوَى ولشدّاتِ الأُسودِ فَرائسُ
إذا ما ٱبنُ يَرْبوعٍ أتاكَ لمأكلٍ * على مجلسٍ إن الأكيلَ مُجالِسُ
فقل لٱبنِ يَرْبوعٍ ألستَ براحِضٍ * سِــبالَكَ عنّا إنهنّ نَجائسُ
تُمَسِّحُ[5] يَرْبوعٌ سِــبالاً لئيمةً * بها من مَنِيِّ العبدِ رَطْبٌ ويابِسُ

١٥ قال : ثم اجتمع جرير وابن لجأ بالمدينة وقد ورَدها الوليدُ بن عبد الملك، وكان يتألّه[6] في نفسه، فقال : أتَقْذِفان المُحْصَناتِ وتُغْضِبانِهنّ ! ثم أمر أبا بكر محمد بن حَزْم

---

(١) برزة : أم عمر بن لجأ . (٢) فى الأصول : « ألست نزوة الخ » والتصحيح عن النقائض ص ٤٨٨ (٣) فى جميع الأصول : « وقال جرير » وهو خطأ إذ أن هــذا الشعر قاله ابن لجأ يهجو به جريرا . (انظر فى ترجمة الأخطل صفحة ١٨١ — ١٨٢ طبع بلاق) .
٢٠ (٤) رياح هو ابن يربوع وهو أحد أجداد جرير . (٥) لهذا قصة بسطها أبو الفرج فى ترجمة الأخطل فى الصفحتين السابقتين . (٦) التأله : التنسك والتعبد .

الأنصارىّ — وكان واليًا له بالمدينة — بضربهما، فضربهما وأقامهما على البُلُس[1] مقرونين ، والتَّيْمىُّ يومئذ أَشَبُّ من جرير، فجعل يَشُولُ[2] بجرير وجريرٌ يقول وهو المَشُولُ به :

فلستُ مُفارِقًا قَــرَنَىَّ حـتى * يَطُولَ تصعُّدى بك وآنحدارِى

فقال آبن لَجَأ :

ولـمّا أنْ قُرِنتُ الى جريرٍ * أَبَى ذو بَطْنِــه[3] إلّا آنحـــدارَا

فقال له قُدَامةُ بنُ إبراهيمَ الجُمَحىّ : وبِئْسَما قلتَ ! جعلت نفسَك المقرونَ اليه ! قال : فكيف أقول؟ قال تقول :

* ولـمّا لُزَّ فى قَرَنِى جريرٌ *

فقال : جُزِيتَ خيرا، لا أقوله والله أبدا إلا هكذا .

هو والأخطل فى حضرة عبد الملك آبن مروان

حدّثنى محمــد بن عِمْــرانَ الصَّيْرَفِىّ قال حدّثنا العَنَزِىّ قال حدّثنى محمــد بن عبد الله العَبْدِىّ قال حدّثنى عُمارة بن عُقَيل عن أبيه قال :

وقف جريرٌ على باب عبــد الملك بن مروان والأَخْطل داخل عنده، وقد كانا تَهاجَيَا ولم يَلْقَ أحدُهمــا صاحبَه . فلمــا آستأذنوا لجرير أذِن له فسلَّم وجلس، وقد عرَفه الأخطل، فطمَح بصرُ جرير اليه فقــال له : من أنت ؟ فقــال : أنا الذى منعتُ نومَك وهضَمتُ قومك . فقال له جريرٌ : ذاك أَشْقَى لك كائنًا مَنْ كنتَ . ثم أقبــل على عبــد الملك فقال : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فضحك وقال : هــذا الأخطلُ يا أبا حَزْرةَ . فرَدّ بصرَه اليه وقال : فلا حَيّاك الله يابنَ النصرانية ! أمّا

(١) البلس : غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن و يشهر عليها من ينكل به و ينادى عليه .

(٢) يشول به : يرتفع به . (٣) ذو البطن : الرجيع .

منعُك نومى فلو نمتُ عنك لكان خيرًا لك . وأما تهضُّمك قومى فكيف تهضَّمهم وأنت ممن ضُربتْ عليهم الذِّلَّة والمَسْكنة وباءوا بغضبٍ من الله ! . إيذَنْ لى يا أميرَ المؤمنين فى آبن النصرانيّة . فقال : لا يكون ذلك بين يدىّ . فوثَب جريرٌ مُغْضَبًا . فقال عبد الملك : قم يا أخْطَل وآتبَعْ صاحبَك، فإنما قام غضبًا علينا فيك؛
٥ فنهض الأخطلُ. فقال عبد الملك لخادم له : انظر ما يصْنَعان إذا برز له الأخطل. فخرج جرير فدعا بغلام له فقدّم اليه حِصَانًا له أدْهَم فركبه وهدَر والفرسُ يهتزّ من تحته، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارى خَلْفَه، ولم يزل واقفًا حتى مضى جرير. فدخل الخادم الى عبد الملك فأخبره، فضحك وقال : قاتل الله جريرا ! ما أخْفَله ! أمَا والله لو كان النصرانىّ برز اليه لأكله .

سئل عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل فأجاب

١٠ أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ عن أبى عمرو قال :

سُئل جرير أىُّ الثلاثةِ أشعرُ؟ فقال : أمّا الفرزدق فيتكلّف منّى ما لا يُطيقه؛ وأمّا الأخطلُ فأشدُّنا اجتراءً وأرْمانا للغرض ؛ وأما أنا فمدينةُ الشعر . وقد حدّثنى بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شَبّة عن الأصمعىّ فذكر نحو ما ذكره الرِّياشىّ؛
١٥ وقال فى خبره : وأما الأخطل فأنعتُنا للخمر وأمْدحُنا للملوك .

فضله أبو مهدى على جميع الشعراء

اخبرنا عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن عَطاء بن مُصْعَب قال : قلت لأبى مَهْدىّ الباهلىّ وكان من علماء العرب: أيّما أشعرُ أجريرٌ أم الفرزدقُ؟ فغضب ثم قال : جريرٌ أشعرُ العربِ كلِّها ؛ ثم قال : لا يزال الشعراءُ موقوفين يوم القيامة حتى يجىء جريرٌ فيحكمَ بينهم .

٧٠ / ٧

لم يحفل بنو طهية بهجائه حتى هجاهم فى قصيدة الراعى فجزعوا

٢٠ أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى العباس بن ميمون قال سمعت أبا عثمان المازنىّ يقول :

قال جرير : هجوتُ بنى طُهيَّة أنواعَ الهجاءِ ، فلم يَحفِلُوا بقولى حتى قلتُ فى قصيدة الراعى :

كأنّ بنى طُهَيَّةَ رهطَ سَلْمَى * حجارةُ خارئٍ يَرمِى كِلابَا

فجَزِعوا حينئذٍ ولاذُوا بى .

كان عاقا لأبيه وابنه عاق له

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز قال حدّثنا المَدائنىّ قال : ٥

كان جرير من أعَقِّ الناس بأبيه[1] ، وكان بلالٌ ابنُه أعقَّ الناس به . فراجع جريرٌ بلالًا الكلامَ يومًا ، فقال له بلال : الكاذب منِّى ومنكَ ناكَ أُمَّه . فأقبلتْ أمّه عليه وقالت له : يا عدوّ الله ! أتقول هذا لأبيك ! فقال جرير : دَعِيه ، فوالله لكأنه سمِعها منِّى[2] وأنا أقولها لأبى . ١٠

هجا عمر بن يزيد لتعصبه للفرزدق عليه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثم قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقِيط قال :

كان عمر بن يزيد بن عُمَير الأَسَدىّ يتعصّب للفرزدق على جرير . فتزوج امرأةً من بنى عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارِم ؛ فقال جرير :

نكحتَ إلى بنى عُدُس بن زيد * فقد هُجِّنتَ خيلَهمُ العِرَابَا ١٥

أتنسَى يومَ مَسْكِنَ[3] إذ تُنادِى * وقد أخطأتَ بالقَدَمِ الرِّكابا

وهى قصيدة ، فاجتمعوا على عمر بن يزيد . ولم يزالوا به حتى خلَعوا المرأةَ منه .

(١) كذا فى الأصول ولعله : «أعق الناس لأبيه ... أعق الناس له» . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «لكأنى أسمعها منى ...» . (٣) مسكن : موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير فى سنة ٧١ هـ ، وفيها قتل مصعب . ٢٠

استشفع عنبسة ابن سعيد الى الحجاج ثم أنشده فأجازه

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثني محمد بن الهَيْثم قال حدّثني عمّي أبو فِراس قال حدّثني وَدْقَةُ بنُ معروف قال :

نزل جريرٌ على عَنْبَسةَ[1] بن سَعيد بواسط، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلا بإذن الحجّاج. فلما دخل على عَنْبَسةَ، قال له : وَيْحَك ! لقد غَرَّرتَ بنفسك ! فما حَمَلك على ما فعلتَ ؟ قال : شعرٌ قلتُه اعتَلَجَ في صدري وجاشتْ به نفسي وأحببتُ أن يسمعه الأمير . قال : فعنّفه وأدخله بيتًا في جانب داره وقال : لا تُطْلِعنّ رأسَك حتى ننظرَ كيف تكونُ الحيلة لك . قال : فأتاه رسول الحجّاج من ساعته يدعوه في يوم قائظ ، وهو قاعدٌ في الخَضْراء[2] وقد صُبّ فيها ماء استَنْقَع[3] في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسيٌّ موضوعٌ ناحيةً. قال عَنْبَسة: فقعدتُ على الكرسيّ، وأقبل عليّ الحجّاج يحدّثني . فلما رأيتُ تَطَلُّقَه وطِيبَ نفسه قلتُ : أصلح الله الأميرَ! رجل من شعراء العرب قال فيك شعرًا أجاد فيه، فاستخفّه عُجْبُه به حتى دعاه الى أن رحَل اليك ودخل مدينتَك من غير أن يُسْتأذَنَ له . قال : ومن هو؟ قلتُ : ابن الخَطَفَى. قال: وأين هو؟ قلت : في المنزل . قال : يا غلام ! فأقبل الغِلْمانُ يتسارَعون . قال : صِفْ لهم موضعَه من دارك، فوصفتُ لهم البيتَ الذي هو فيه، فانطلقوا حتى جاءوا به ، فأُدخل عليه وهو مأخوذٌ بضَبْعَيْه حتى رُمِي به في الخضراء ، فوقع على وجهه في الماء ثم قام ينتفّش كما ينتفّش الفَرْخ . فقال له : هِيه! ما أقدمَك علينا بغير إذننا

(١) هو عنبسة بن سعيد بن العاص أحد أشراف بني أمية ، حبسه عبد الملك بن مروان يوم قتل أخيه عمرو بن سعيد الأشدق . (انظر الطبري ق ٢ ص ٧٩٢ ، ٨٦٩ ، ٨٧١ طبع أوروبا) .

(٢) المراد بها خضراء واسط ، وتعرف بالقبة الخضراء ، بناها الحجاج مع قصره والمسجد الجامع بهذه المدينة . (راجع المجلد السابع من المكتبة الجغرافية ص ٣٢٢ طبع أوروبا) .

(٣) استنقع الماء : اجتمع .

لا أمّ لك؟ قال : اصلح الله الأمير! قلت فى الأمير شعرًا لم يقل مثلَه أحدٌ، فجاش به صدرى وأحببتُ أن يسمعه منّى الأمير، فأقبلت به اليه . قال : فتطلّق الحجّاجُ وسكن، واستنشده فأنشده . ثم قال : يا غلام ! جِئوا بِسعَوْن . فقال : علىّ بالجارية التى بعث بها الينا عاملُ اليَمامة؛ فأُتِى بجارية بيضاءَ مَديدةِ القامة . فقال : إنْ أصبتَ صفتَها فهى لك . فقال : ما آسمُها؟ قال : أُمَامة، فأنشأ يقول :

وَدِّعْ أُمَامةَ حانَ منك رحيلُ * إنّ الوَدَاعَ لمن تُحِبّ قليلُ
مثلُ الكَثِيبِ تهيَّلتْ أعطافُه * فالريحُ تَجْبُرُ مَتْنَه وتَهِيلُ
تلك القلوبُ صواديًا تيَّمْتَها * وأَرَى الشفاءَ وما إليه سبيلُ

فقال : خذ بيدها . فبكت الجارية وآنْتَحَبَتْ . فقال : ادفعوها اليه بمتاعها و بغلها ورِحالها .

أمره الحجاج وأمر الفرزدق بأن يدخلا عليه بلباس آبائهما فى الجاهلية

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سَلام قال حدّثنى أبو الغَرّاف قال :

قال الحجّاج لجرير والفرزدق وهو فى قصره بِحَزِيز البصرة[1] : آئتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهليّة . فلبس الفرزدقُ الدِّيباجَ والخزَّ وقعد فى قُبّة . وشاور جريرٌ دهاة بنى يَرْبوع فقالوا له : ما لباسُ آبائنا إلّا الحديد ؛ فلبس جرير دِرْعًا وتقلّد سيفًا وأخذ رُمْحا وركب فرسا لعَبّاد بن الحُصَين يقال له المِنْحازُ[2] وأَقْبَل فى أربعين فارسا من بنى يَرْبوع ، وجاء الفرزدقُ فى هيئته ؛ فقال جرير :

لبِستُ سلاحى والفرزدقُ لُعْبةٌ * عليه وِشَاحَا كُرَّجٍ[3] وجَلَاجِلُهْ[4]

(١) كذا فى جـ ومعجم ما استعجم للبكرى ومعجم ياقوت . وحزيز : موضع بالبصرة بين العقيق وأعلى المربد . وقد ورد محرّفا فى جميع الأصول . (٢) كذا فى شرح القاموس (مادة نحز) . وفى ب ، س : « المنجاز » . وفى سائر الأصول : « المنحار » ، وهما تصحيف . (٣) الكرج : شىء يتخذ بهيئة المهر يلعب عليه . (٤) كذا فى اللسان (مادة كرج) والنقائض (ص ٦٥٠) وفى الأصول : « وخلاخله » .

أَعِدُّوا مع الحَلْيِ المَلَابَ[1] فإنما[2] * جريرٌ لكم بَعْـلٌ وأنتم حَلائلُهْ

ثم رجعا ، فوقف جرير فى مَقْـبُرة بنى حِصْن و وقف الفرزدق فى المِرْبَد . قال : فأخبرنى أبى عن محمـد بن زِيَاد قال : كنتُ أختلف الى جرير والفرزدق، وكان جريرٌ يومئذ كأنه أصغرُهما فى عينى .

هجا الفرزدق حين نـوى أن ينـال جائـزة المهاجر فثناه عن ذلك

أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنا أبو اليَقْظان عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء قال :

قدِم الفرزدقُ اليمامةَ وعليها المهاجِرُ بنُ عبد الله الكِلَابىّ فقال : لو دخلتُ على هذا فأصبتُ منه شيئا ولم يعلمْ بى جرير ! فلم تستقرّ به الدارُ حتى قال جرير :

رأيتُـك إذ لم يُغْنِكَ اللهُ بالغِـنَى * رجعتَ الى قيس وخَدُّك ضارِعُ

وما ذاك إن أَعْطَى الفرزدقُ بآسْتِه * بأوّل ثَغْـرٍ ضيّعَتْه مُجَاشِـعُ

فلمـا بلَغ ذلك الفرزدقَ قال : لا جَرَمَ واللهِ لا أدخل عليه ولا أَرْزَؤُه شيئا ولا أُقيم باليمـامة ، ثم رحَل .

انتصار الفـرزدق له على التيـمى ثم صلحه مع التيمى

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال قال أبو البَيْداء :

لقِىَ الفرزدقُ عمر بن عطيّة أخا جرير، وهو حينئذ يُهَاجِى آبنَ لَجَأ ، فقال له : وَيْلَك ! قل لأخيك : ثَكِلَتْك أُمُّك! إيتِ التَّيمِىَّ مِنْ عَلُ كما أصنع أنا بك . وكان الفرزدقُ قد أَنِفَ لجرير وحَمِىَ من أن يتعلّق به التيمىُّ. قال آبن سَلّام: فأنشدنى له خَلَفٌ الأحمرُ يقوله للتّيمىّ :

وما أنت إن قَرْمَا تميمٍ تَسَامَيَا * أخا التَّيْمِ إلا كالوَشِيظَةِ[3] فى العَظْم

(١) كذا فى أكثر الأصول والنقائض . وفى ب ، س : « الخز » . (٢) كذا فى ج والنقائض . والملاب : ضرب من الطيب . وفى ب ، س : «الملاء» . وفى سائر الأصول: «الملاة» وهما تحريف . (٣) الوشيظة : قطعة عظم تكون زيادة فى العظم الصميم .

فلو كنتَ مَوْلَى العزّ أو فى ظلاله * ظُلِمْتَ ولكن لا يَدَىْ لك بالظلم

فقال له التَّيمىّ :

كَذَبْتَ أنا القَرْمُ الذى دَقّ مالكًا * وأَفْناءَ يَرْبُوعٍ وما أنت بالقَرْمِ

قال ٱبن سَلّام فحدّثنى أبو الغَرّاف : أن رجال تَيم مشتْ بين جرير والتَّيمىّ وقالوا : والله ما شعراؤنا إلا بَلاءٌ علينا ينشُرون مساوِيَنا ويَهْجُون أحياءَنا ومَوْتانا ؛ فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلَّظة ألّا يَعُودا فى هجاء . فكَفّ التَّيمىّ ، وكان جريرٌ لا يزال يَسُلّ (١) الواحدةَ بعد الواحدة فيه؛ فيقول التَّيمىّ : والله ما نَقَضْتُ هذه ولا سمعتُها ؛ فيقول جرير : هذه كانت قبل الصلح .

قال ٱبن سَلّام فحدّثنى عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حَرْمَلةَ قال : لمّا ورَد علينا هجاءُ جرير والتَّيمىّ، قال [لى] (٢) سعيد بن المُسَيّب تَرَوَّ (٣) شيئا ممّا قالا ؛ فأتيتُه وقد ٱستقبل القبلةَ يريد أن يكبّر ، فقال لى : أرَوَيْتَ ؟ قلتُ نعم . فأقبل علىّ بوجهه فأنشدتُه للتَّيمىّ وهو يقول : هِيهِ هِيهِ ! ثم أنشدتُه لجرير، فقال : أَكَلَه أَكَلَه ! .

لم يؤثر هجاؤه فى التيم للؤمهم

قال ٱبن سَلّام وحدّثنى الرازىّ عن حَجْناء بن جرير قال : قلتُ لأبى : يا أبتِ، ما هجوتَ قومًا قطُّ إلا فضحتَهم إلّا التَّيْمَ . فقال : يا بُنَىّ ، لم أجد بناءً أَهْدِمُه ولا شرفًا أَضَعُه . وكانت تَيمٌ رِعاءَ غنم يَغْدُون فى غنمِهم ثم يَرُوحون ، وقد جاء كلُّ رجل منهم بأبيات فينتحلُها ٱبنُ لَجَأ . فقيل لجرير : ما صنعتَ فى التَّيْم شيئا ؛ فقال : إنهم شعراءُ لئامٌ .

---

(١) فى الأصول « يسأل » . والتصويب عن طبقات ابن سلام (ص ٦٢ نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٧ أدب ش) . ويريد بذلك أنه يرسل القصيدة تلو القصيدة خفية .

(٢) التكلة عن ابن سلام . (٣) فى الأصول : « تروى » والتصحيح عن ابن سلام؛ يقال : تروى الحديث إذا نقله .

هو أشعر عند العامة والفرزدق عند الخاصة

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى ٱبن النطّاح قال حدّثنى أبو اليَقْظان قال :

قال جرير لرجل من بنى طُهَيّة : أَيُّمَا أشعرُ أنا أم الفرزدقُ؟ فقال له : أنت عند العامة والفرزدقُ عند العلماء . فصاح جرير : أنا أبو حَزْرَةَ ! غَلَبتُه وربِّ الكعبة ! والله ما فى كل مائة رجل عالمٌ واحد .

هو وعدى بن الرقاع فى حضرة الوليد بن عبد الملك

حدّثنا أحمد بن عمّار قال حدّثنى عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى ٱبن النطّاح قال ، وحدّثنى أبو الأَخْضَر لمُخَارِق بن الأَخْضَر القَيْسىّ قال[1] : إنّى كنتُ والله الذى لا إله إلا هو أخصَّ الناس بجرير ، وكان ينزل اذا قدم على الوليد بن عبد الملك عند سَعيد بن عبدالله بن خالد بن أَسِيد ، وكان عَدِىّ بن الرقاع خاصًّا بالوليد مَدّاحا له ، فكان جرير يجىء الى باب الوليد فلا يُجالس أحدًا من النّزارية ولا يجلس إلا الى رجل من اليَمَن بحيث يقرُب من مجلس بنِ الرِّقاع الى أن يأذَن الوليدُ للناس فيدخلَ . فقلت له : يا أبا حَزْرة ، اختصصْتَ عدوّك بمجلسك ! فقال : إنى والله ما أجلس اليه إلا لأُنْشِدَه أشعارًا تُخْزِيه وتُخْزِى قومَه . قال : ولم يكن يُنْشِده شيئا من شعره ، و إنما كان يُنْشِدُه شعرَ غيره ليُذِلَّه و يخوّفَه نفسَه . فأذِن الوليدُ للناس ذاتَ عشيّة فدخلوا ودخلْنا ، فأخذ الناسُ مجالسَهم ، وتخلّف جريرٌ فلم يدخل حتى دخل الناسُ وأخذوا مجالسَهم وٱطمأنّوا فيها . فبينماهم كذلك اذا بجرير قد مَثَل بين السِّماطَيْن يقول : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله ، إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذَن لى فى ٱبن الرِّقاع المتفرِّقة أُؤَلِّف بعضَها الى بعض ! — قال : وأنا جالسٌ أسمع — فقال الوليد : والله لهَمَمْتُ أن أُخرِجَه على ظهرك الى الناس . فقال جرير وهو قائم كما هو :

(١) فى ب ، سـ : «قال قال» .

فإن تَنْهَنِى عنه فسمعًا وطاعةً * وإلا فإنِّى عُرْضَـةٌ لِلْمَرَاجِمِ[1]

قال فقال له الوليد : لا كثَّر اللهُ فى الناس أمثالَك . فقال له جرير : يا أمير المؤمنين، إنما أنا واحدٌ قد سعرتُ[2] الأمّةَ، فلو كثُر أمثالى لأكلوا الناسَ أكلا . قال : فنظرتُ والله الى الوليد تبسّم حتى بدتْ ثنَايَاه تعجُّبا من جرير وجَلَدِه . قال : ثم أمره فجلس .

أخبرنى ابن عمّار قال حدّثنى عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا ابن النطّاح عن أبى عُبَيدة قال :

٧٣ / ٧

كان جرير عند الوَليد وعَدِىُّ بن الرِّقَاع يُنْشِده . فقال الوليد لجرير : كيف تَسمع ؟ قال : ومن هو يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : عَدِىُّ بْنُ الرِّقَاع . قال : فإن شَرّ الثيابِ الرِّقَاعُ ، ثم قال جرير : (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً[3]) ؛ فغضب الوليدُ وقال : يابْنَ اللَّخْنَاء ! ما بقى لك إلا أن تتنـاول كتابَ الله ![4] والله لَيَرْكَبنّك ! ياغلام أَوْكِفْه[5] حتى يركبَه . فغمز عمرُ بن الوليد الغلامَ الذى أمره الوليدُ فأبطأ بالإكاف . فلمـا سكَن غضبُ الوليد قام اليه عمرُ فكلّمه وطلَب اليه وقال : هـذا شاعرُ مُضَر ولسانُها ، فإن رأى أميرُ المؤمنين ألّا يَخْفِضَ منه ! ولم يزل به حتى أعْفاه ، وقال له : والله لئن هجوتَه أو عرّضتَ به لأفعلنّ بك ولأفعلنّ ! . فقال فيه تلك القصيدة التى يقول فيهـا :

أَقْصِرْ فإن نِزَارًا لن يفاخرها * فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروس

وذكر وقائعَ نِزَارٍ فى اليمن ؛ فعلِمنا أنه عَنَاه . ولم يُجِبْه الآخر بشىء .

وصف شبة ابن عقال وخالد ابن صفوان له وللفرزدق والأخطل

حدّثنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانِىّ قال حدّثنا العُمَرِىّ عن العُتْبِىّ قال :

(١) يقال : فلان عرضة الكلام اذا كان كثيرا ما يعترضه كلام النـاس و يقذف به . والمراجم : الكلم القبيحة . (٢) سعرت الأمة ، يريد أوقدت فيها الشر . (٣) يريد التعريض بعاملة قبيلة عدى بن الرقاع . (٤) و يحتمل أن تكون العبارة : « ... إلا أن تتأول كتاب الله » . (٥) أوكف الدابة : وضع عليها الإكاف ، وهو البرذعة .

قال هشام بن عبد الملك لشَبَّة بن عِقَال وعنده جرير والفرزدق والأخطل ، وهو يومئذ أميرٌ : ألَا تخبرنى عن هؤلاء الذين قد مزّقوا أعراضَهم وهتكوا أستارَهم وأغرَوْا بين عشائرهم فى غير خير ولا بِرّ ولا نفع أيُّهم أشعرُ ؟ فقال شَبّة : أما جرير فيَغرِف من بحر ، وأما الفرزدق فيَنْحَت من صخر ، وأما الأخطل فيُجيد المدح والفخر . فقال هشام : ما فسَّرْتَ لنا شيئا نحصِّله . فقال ما عندى غيرُ ما قلت . فقال لخالد بن صَفْوان : صِفْهم لنا يآبنَ الأهْتَم ؛ فقال : أما أعظمُهم فخرا، وأبعدُهم ذكرا، وأحسنُهم عذرا، وأسْيَرُهم[1] مَثَلا، وأقلُّهم غَزَلا، وأحْلاهم عِلَلا؛ الطامى إذا زَخر، والحامى إذا زَأَر، والسامى إذا خطَر؛ الذى إن هدَر قال، وإن خطَر صال؛ الفصيحُ اللسان، الطويلُ العِنان ؛ فالفرزدق . وأما أحسنُهم نَعْتا، وأمدحُهم بيْتا، وأقلُّهم فَوْتا؛ الذى إن هجا وضَع، وإن مدح رفَع، فالأَخْطَل . وأما أغزرُهم بحْرا، وأرقُّهم شِعْرا ، وأهْتَكُهم لعدوّه سِتْرا؛ الأغَرُّ الأبْلَق، الذى إن طَلَب لم يُسْبَق، وإن طُلِب لم يُلْحَق؛ فجَرير . وكلُّهم ذَكِىّ الفؤاد، رَفيع العِماد، وارِى الزِّنَاد. فقال له مَسْلَمَةُ بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالدُ فى الأوّلين ولا رأينا فى الآخِرين ؛ وأشهد أنك أحسنُهم وصفا ، وأليَنُهم عِطْفا ، وأعفُّهم مَقالا ، وأكرمُهم فَعالا . فقال خالد : أتمَّ اللهُ عليكم نِعَمَه، وأجْزَل لديْكم قِسَمَه؛ وآنَس بكم الغُرْبة، وفرّج بكم الكُرْبة . وأنت، واللهِ ما علمتُ أيُّها الأميرُ، كريمُ الغِرَاس، عالمٌ بالناس؛ جَوادٌ فى المَحْل، بَسّامٌ عند البَذْل؛ حَليمٌ عند الطَّيْش، فى ذِرْوة قُرَيش؛ ولُبَابِ عبد شَمْس، ويومُك خيرٌ من أمْس . فضحك هشامٌ وقال : ما رأيت كتخلُّصك يآبنَ صَفْوان فى مدح هؤلاء ووصفِهم حتى أرضيتَهم[2] جميعًا وسلِمْتَ منهم .

---

(١) فى الأصول : « وأشدّهم مثلا » .

(٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « عليهم » .

جرير وابن لجأ وقد قرنهما عمر بن عبد العزيز حين تقاذفا

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينىّ قال حدّثنى مُصْعَب الزُّبَيْرِىّ قال حدّثنى إبراهيم بن عبد الله مَوْلَى بنى زُهْرةَ قال :

حضرتُ عمرَ بن لَجَأ وجرير بن الخَطَفَى موقوفَيْن للناس بسوق المدينة لمّا تَهاجَيَا وتَقاذَفَا وقد أمر بهما عمرُ بن عبد العزيز فقُرِنا وأُقيما . قال : وعمرُ بن لَجَأ شابٌّ كأنه حِصان، وجريرٌ شيخٌ قد أَسَنّ وضعُف . قال فيقول ابنُ لَجَأ :

٧٤ / ٧

رأوْا قَمَـرًا بساحتهم مُنِـيراً * وكيف يُقارِنُ القمـرُ الحِمَارَا

قال : ثم يَنْزُو به وهما مقرونانِ فى حبْلٍ فيسقُطان الى الأرض، فأمّا ابن لَجَأ فيقع قائما، وأمّا جرير فيَخِرّ لركبتيه ووجهِـه، فاذا قام نفض الغُبَارَ عنه . ثم قال بغُنّته قولا يُخْرِج الكلامَ به من أنفه — وكان كلامُه كأنّ فيه نُوناً — :

فلستُ مفـارِقًا قَرَنِىَ حتّى * يَطُولَ تصعُّدى بكَ وانحدارِى ١٠

قال فقـال رجل من جُلَسَاء عمرَ له حين حضَر غَدَاؤه : لو دعا الأميرُ بأسيريْه فغدّاهما معه! ففعل ذلك عمر . وإنما فعله بهما لأنهما تَقَاذَفَا، وكان جريرٌ قال له :

تقول والعبدُ مِسْكِينٌ يُجرِّرُها * أُرْفُقْ فَدَيْتُك أنت النا كِحُ الذَّكَرُ

قال : وهذه قصيدتُه التى يقول فيها :

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِىٍّ لا أبَا لكمُ * لا يُوقِعنّكمُ فى سَوْءةٍ عمرُ ١٥

قال ابنه : أجود شعره قصيدته الدالية

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى على بن محمد النَّوْفَلِىّ قال حدّثنى أبى قال :

كنت باليَمامة وأنا وَالِيها فكان ابنٌ لجرير يُكْثِر عندى [الدخول][1] وكنت أُوثِره فلم أقل له قطُّ أنشدْنى أجودَ شعرٍ لأبيك إلا أنشدنى الداليّةَ :

(١) التكملة من حـ .

أَهَوًى أَرَاكَ بِرَامَتَيْنِ وُقُودَا[1] * أم بالجُنَيْنَةِ من مَدَافِعِ أُودَا[2]

فأقولُ له : وَيْحَكَ ! لا تَزِيدُنى على هذه ! ؟ فيقولُ : سألتَنى عن أجود شعر أبى وهذه أجودُ شعره ، وقد كان يقدمها على جميعه .

ذهب الى الشأم ونزل على نميرى فأكرمه

حدّثنى ابن عَمّار قال حدّثنى النَّوْفَلِىّ قال حدّثنى على بن عبد الملك الكَعْبِىّ من ولد كَعْب مَوْلَى الحجّاج قال حدّثنى فلانٌ العَلّامةُ التَّيْمِىّ يَرْوِيه عن جَرِير قال :

ما ندِمْتُ على هجائى بنى نُمَيرٍ قَطُّ إلا مرّة واحدة، فإنّى خرجت الى الشأم فنزلت بقوم نُزُولٍ فى قَصْرٍ لهم فى ضَيْعة من ضِياعهم، وقد نظرتُ اليه من بين القصور مشيَّدا حَسَنًا، وسألتُ عن صاحبه فقيل لى: هو رجل من بنى نُمَير . فقلت: هذا شَآمٍ وأنا بَدَوِىٌّ لا يعرفُنى، فجئت فاستضفتُ . فلما أَذِن لى ودخلتُ عليه عرفنى فقرانى أحسنَ القِرَى ليلتين ، فلما أصبحتُ جلستُ ، ودعا بُنَيّةً له فضمّها اليه وتَرَشَّفَها ، فاذا هى أحسنُ الناسِ وجهًا ولها نَشْرٌ لم أَشَمّ أطيبَ منه . فنظرتُ الى عينيها فقلتُ: تالله ما رأيتُ أحسنَ من عينىْ هذه الصبيّة ولا من حَوَرِها قطّ، وعَوَّذْتُها : فقال لى : يا أبا حَزْرَة ، أَسَوْداءُ المَحَاجِرِ هى[3] ؟ فذهبتُ أَصِفُ طِيبَ رائحتها . فقال : أَصَنٌّ وَبْرٍ هى[3] ؟ فقلت : يَرْحَمُكَ الله ! إنّ الشاعرَ ليقولُ ،

(١) فى ب، سـ : « وفودا » بالفاء وهو تصحيف . (٢) الجنينة : روضة نجدية بين ضرية وحزن بنى يربوع . والمدافع : مجارى السيول . وأود : موضع فى ديار تميم ثم لبنى يربوع منهم بنجد فى أرض الحزن . (٣) يشير إلى قول جرير فى القصيدة البائية التى هجا بها الراعى وذكر فيها نساء بنى نمير :

وخضراء المغابن من نمير * يشين سواد محجرها النقابا

ويشير بقوله « أصن وبر هى » الى قول جرير فى هذه القصيدة أيضا :

تطلى وهى سيئة المعرّى * بصنّ الوبر تحسبه ملابا

والوبر : دويبة على قدر السنور . وصنه بوله ، وهو منتن جدّا . والملاب : الطيب .

وواللهِ لقد ساءنى ما قلتُه ، ولكن صاحبكم بَدَأَنِى فانتصرتُ ، وذهبتُ أعتــذر .
فقال : دَعْ ذا عنك أبا حَزْرة ، فوالله ما لك عندى إلا ما تحبّ . قال : وأحسنَ
واللهِ إلىّ وزوّدَنِى وكَسَانِى، فانصرفتُ وأنا أندمُ الناسِ على ما سلَف منّى الى قومه .

كان المفضل من أنصار الفرزدق فاجــه مجاج بقصيدته السينية

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن
يعقوب بن داود قال حدّثنى ابنُ أبى عَلْقَمَةَ الثَّقَفِىّ قال :

كان المفضّل يقدّم الفرزدقَ، فأنشدتُه قولَ جرير :

حَىِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَوَاعِيسِ * فالحِنْوُ أَصْبَحَ قَفْرًا غيرَ مأنوسِ (١)

٧٥ / ٧

وقلتُ أَنْشِدْنِى لغيرِه مثلَها فسكَت. قال: وكان الفرزدق اذا أُنْشِدَها يقول : مِثْلَها
فليقُلِ ابنُ الخَنَّاء .

رثاء الفرزدق ابن أخيه وجرير ابنه

أخبرنا أبو خَلِيفة الفَضْــل بن الحُبَاب قال حدّثنا محمد بن سَلَام قال حدّثنى ١٠
عبد الجَبّار بن سَعيد بن سُلَيمان المُسَاحِقِىّ عن المُحَرَّر (٢) بن أبى هُرَيرة قال :

إنّى لفى عسكرِ سليمانَ بن عبــد الملك وفيه جريرٌ والفرزدقُ فى غَزَاةٍ ، إذ أتانا
الفرزدقُ فى غَدَاةٍ، ثم قال، اشهدوا أنّ محمد ابن أخى، ثم أنشأ يقول : (٣)

فبِتْ (٤) بدَيْرَىْ أَرْيَحَاءَ (٥) بلَيْــلَةٍ * خُدَارِيَّةٍ يزدادُ طُــولًا تمامُهــا

(١) الهـِـدملة والمواعيس والحنو مواضع . (٢) كذا فى حـ وشرح القاموس والخلاصة ١٥
فى أسماء الرجال، وهو المحرر بن أبى هريرة الدوسى، تابعى . وفى الأصول : « المحرز » بالزاى
وهو تصحيف . (٣) هكذا فى الأصول . وهنا يشعر القارئ بنقص فى الكلام لم نوفق لتكملته .
(٤) كذا فى ديوان الفرزدق « طبع أوربا » . وفى الأصول : « بتنا » . وهذه الأبيات من قصيدة
يرثى بها الفرزدق محمدا ابن أخيه الذى مات بالشام . ومطلع القصيدة فى الديوان :
* سقى أريحاء الغيث وهى بغيضة * ٢٠
البيت الآتى . (٥) أريحا (بفتح أوله وكسر ثانيه وسكون الياء مقصورا، وقد تحرك ياؤه ويمدّ
فى الشعر) : مدينة فى الغور من أرض الأردن بالشام (راجع معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى) .
وخدارية : شديدة الظلمة .

أكابِدُ فيها نفسَ أقْربِ مَنْ مَشَى * أبوه بأمٍّ غاب عنها نِيامُها (١)

وكنّا نَرى من غالبٍ فى محمد * شمائلَ تَعْلُو الفاعلين كِرامُها

وكان اذا ما حلَّ أرضًا تزيَّنَتْ * بزينتها صحراؤها وإكامُها

سَقَى أرْيحاءَ الغيثُ وهى بَغيضةٌ * الينا ولكن بى لتُسْقَاه هامُها (٢)

٥ قال : ثم آنصرف . وجاء جرير فقال : قد رأيتُ هذا وسمعت ما قال فى آبن أخيه؛ وما آبنُ أخيه فعَل اللهُ به وفعَل ! قال : ومضى جرير، فوالله ما لبثنا إلا جُمَعًا حتى جاءنا جريرٌ فقام مقامَه ونعَى آبنَه سَوَادةَ فقال :

أَوْدَى سَوادةُ يَجْلُو مُقلتَىْ لَحِم * بازٍ يُصَرْصِرُ فوقَ المَرْبَأ العالِى

فارقتَنِى حين كَفَّ الدهرُ من بَصَرِى * وحينَ صِرْتُ كعَظْم الرِّمَّة البالِى

١٠ إلّا تَكُنْ لكَ بالدَّيْرَيْن باكيةٌ * فرُبَّ باكيةٍ بالرَّمْل مِعْوالِ

قالوا نَصِيبَكَ من أجرٍ فقلتُ لهم * كيفَ العَزاءُ وقد فارقتُ أشْبالِى

هجا الفرزدق لزواجه حدراء بنت زيق وجواب الفرزدق له

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنى حاجب بن زيد وأبو الغَرّاف قالا :

تزوّج الفرزدقُ حَدْراءَ بنتَ زِيق بن بِسْطام بن قَيْس على حُكْم أبيها، فاحتكم مائةً

١٥ من الإبل . فدخل على الحَجّاج يسأله ذلك ؛ فعذله وقال له : أتتزوّج آمرأةً على حكمها ! . فقال عَنْبَسةُ بن سَعيد وأراد نفعَه : إنما هى من حَوَاشِى إبل الصَّدَقة، فأمر له الحَجّاج بها . فوثَب جريرٌ فقال :

يا زِيقُ قد كنتَ من شَيْبانَ فى حَسَبٍ * يا زِيقُ وَيْحَكَ مَنْ أَنْكَحتَ يا زِيقُ

---

(١) يريد أكابد فيها نفس عزيز علىّ أبوه أقرب الناس إلىّ . وورد هذا الشطر فى الديوان :

٢٠ * أبوه لنفسى مات عنى نيامها *

(٢) كذا فى حـ والديوان . وفى سائر الأصول : « ىَ لتسقاه هامها » وهو تحريف .

أَنكحتَ وَيْحَكَ قَيْناً باسْتِه حَمَمٌ * يازِيقُ وَيْحَكَ هل بارتْ بكَ السُّوقُ
غاب المُثَنَّى[1] فلم يَشْهَدْ نَجِيَّكُما[2] * والحَوْفَزانُ[3] ولم يَشْهَدْكَ مَفْروقُ[4]
يا رُبَّ قائلةٍ بعد البِناء بها * لاالصِّهْرُ راضٍ ولا ٱبْنُ القَيْنِ معشوقُ
أين الأُلَى ٱستنزَلُوا النُّعمانَ ضاحيةً * أم أين أبناءُ شَيْبانَ الغَرانيقُ[5]

قال : فلم يُجِبْه الفرزدقُ عنها . فقال جريرٌ أيضا :

فلا أنا مُعطِى الحكمِ عن شِفِّ[6] مَنْصِبٍ * ولا عن بَناتِ الحَنْظَلِيِّينَ راغبُ
وهُنَّ كماءِ المُزْنِ[7] يُشْفَى به الصَّدَى * وكانت مِلاحًا[8] غيرَهنَّ المَشاربُ
فلو كنتَ حُرًّا كان عَشْرًا سِياقُكم[9] * الى آل زِيقٍ والوَصِيفُ المُقارِبُ[10]

٧٦/٧ فقال الفرزدق :

فنَلْ مثلَها من مثلِهم ثم لُمْهُمُ[11] * على دارِمِىٍّ بين لَيْلَى وغالِبِ ١٠

(١) يريد المثنى بن حارثة الشيبانى أحد قواد الإسلام وهو الذى فتح سواد العراق وقتل يوم الجسر فى وقعة بين المسلمين والعجم فى أيام عمر رضى الله عنه . (٢) كذا فى حـ والنقائض . وفى ب ، سـ : « بحبكا » وفى م ، أ ، ء : « محبكا » وكلاهما تحريف . (٣) الحوفزان : اسم الحارث بن شريك الشيبانى، لقب بذلك لأن بسطام بن قيس طعنه فأعجله . وقال ابن سيدة : سمى بذلك لأن قيسا التيمىّ حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته فعرج من تلك الحفزة فسمّى الحوفزان . ١٥
(٤) مفروق : هو النعمان بن عمرو الشيبانى . (٥) الغرانيق : جمع غرنوق — وفيه لغات أخرى — وهو الشاب الناعم الجميل . (٦) الشف هاهنا : النقصان، وقد يكون الشف الفضل والزيادة . (٧) فى النقائض : « أراهنّ ماء المزن » . (٨) ملاح : جمع ملح وهو ضد العذب . وفى ب ، سـ : « يبنهن المشارب» وهو تحريف . (٩) السياق : المهر . سمى المهر بذلك لأن العرب كانوا اذا تزوّجوا ساقوا الابل والغنم مهرا لأنها كانت الغالبة على أموالهم . ٢٠
(١٠) المقارب : الدون، وقيل : هو الوسط بين الجيد والردىء . (١١) الشطر الأوّل من بيت والشطر الثانى عجز بيت آخر . والبيتان كما فى النقائض هما :

فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم * على دارمىّ بين ليلى وغالب
فنل مثلها من مثلهم ثم لمهم * بمالك من مال مراح وعازب

هـــمُ زوّجوا قبلى لَقيطًا وأنْكحُوا * ضِرَارًا وهم أكفاؤنا فى المَنَاسِبِ
ولو قبِلوا مـــنّى عَطِيّةَ سُـــقْتُه * الى آل زِيقٍ من وَصِيفٍ مُقَارِبِ
ولو تُنْكِحُ الشمسُ النجومَ بَنَاتِها * إذًا لنكحناهنّ قبـــل الكواكبِ

قال آبن سَـلّام فحدّثنى الرّازِىّ عن أبيه قال : ماكانت آمرأة من بنى حَنْظلةَ إلّا تَرفَعُ لجريرٍ اللَّوِيّةَ فى عظيمها لتُطْرِفَه بها لقوله :

٥

وهُنّ كماءِ المُزْنِ يُشْـفَى به الصَّـــدَى * وكانت مِـــلَاحًا غيرَهنّ المَشَـارِبُ

فقلتُ للرّازِىّ : ما اللَّوِيّة ؟ قال : الشَّرِيحة من اللحم ، أو الفِدْرة[1] من التمر ، أو الكُبّة من الشـــحم ، أو الحَفْنة من الأَقِط ؛ فإذا ذهب الألبـانُ وضاقت المعيشةُ كانت طُرْفةً عندهم .

١٠ قال : وقال جرير أيضا فى شأن حَدْراءَ :

أثائرةٌ حَدْراءُ مَنْ جُرّ بالنَّقَـا * وهل لأبى حَدْراءَ فى الوِتْرِ طالبُ
أَثَـأْرُ بِسْطامًا اذا آبتلّت آستُها * وقد بَوّلتْ فى مِسْمَعَيْه الثعالبُ[2]

قال آبن سَلّام : والنّقَا الذى عَناه جريرٌ هو الموضع الذى قَتَلتْ فيه بنو ضَبّةَ بِسْطَامًا ، وهو بِسْطام بن قَيْس . قال : فكرهتْ بنو شَيْبانَ أن يَهْتِكَ جريرٌ أعراضَهم . فلما

١٥ أراد الفرزدقُ نقلَ حَدْراء اعتلُّوا عليه وقالوا له إنها ماتت . فقال جرير :

فأُقسِمُ ما ماتتْ ولكنّما آلتَـوَى * بحَدْراءَ قومٌ لم يروْك لهـا أهْلا
رأَوْا أنّ صِهر القَيْنِ عارٌ عليهـم * وأنّ لِبِسْطامٍ على غالبٍ فضْلَا

---

(١) الفدرة : القطعة .

(٢) كناية عن أنه قتل ورمى به فالثعالب تبول عليه

مدح قوما عادوه فى مرضه

أخبرنى حَبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا ابن أبى سَعْد قال حدّثنا محمد ابن إدريس اليَمَامى قال حدّثنا علىّ بن عبد الله بن محمد بن مهاجر عن أبيه عن جدّه قال :

دخلنا على جرير فى نَفَرٍ من قريش نَعُوده فى عِلّته التى مات فيها، فالتفت الينا فقال :

أهلًا وسهلًا بقوم زيّنوا حَسَبى * وإن مَرِضْتُ فهم أهلى وعُوّادى

إن تَجرِ طَيْرٌ بأمر فيه عافيةٌ * أو بالفراق فقد أحسنتمُ زادى

لو أن ليثا أبا شِبْلَيْنِ أَوْعَدَنى * لم يُسْلِمُونى لليث الغابة العادى

نعى الفرزدق اليه فشمت به ثم رثاه

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدى قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال حدّثنى أبو جَنَاح أحد بنى كَعْب بن عمرو بن تَميم قال : ١٠

نُعِى الفرزدقُ الى المهاجر بن عبدالله وجريرٌ عنده فقال :

مات الفرزدقُ بعد ما جدّعتُه * ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا

فقال له المهاجر : بئس لَعَمْرُ الله ما قلتَ فى ابن عمك ! أتهجو ميّتا ! أمَا والله لو رثيتَه لكنتَ أكرمَ العرب وأشعرها . فقال : إن رأى الأمير أن يكتُمها علىّ فإنها سَوْءة ؛ ثم قال من وقته : ١٥

فلا وضَعتْ بعد الفرزدقِ حامل * ولا ذات بَعْلٍ من نِفَاسٍ تَعلّتِ (١)

هو الوافدُ الميمونُ والراتِقُ الثأى (٢) * اذا النعل يوما بالعشيرة زَلّتِ

٧٧/٧

(١) تعلت المرأة من نفاسها : برئت منه وخرجت .

(٢) الثأى : الفتق والفساد .

وفاته

قال : ثم بكى ثم قال : أمَا واللهِ إنّى لأعلم أنّى قليلُ البقاء بعــده ، ولقد كان نجمُنا واحدا ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلّمــا مات ضــدّ أو صديق إلّا تبعه صاحبه . فكان كذلك ، مات بعد سنة . وقد زاد الناس فى بيتَىْ جريرٍ هذين أبياتا أُخَر ، ولم يقل غيرَهما وإنمــا أُضيف الى ماقاله .

٥

صـــــوت

من المــائة المختارة من رواية على بن يحيى

رحَل الخَلِيطُ بِمالَهم بسَــوَادِ * وحَدَا على إثْرِ البَخِيــلة حَادِى

ما إن شَعَرْتُ ولا علِمتُ بِبَيْنهم * حتى سمعتُ به الغرابَ يُنَادِى

الشــعر لجميل . والغناء لإبراهيمَ ، ولحنُه المختارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوُسْطَى .

١٠

نسب جميل وأخباره

هو جَميل بن عبد الله بن مَعْمَر بن الحارث(١) بن ظَبْيَانَ(٢) وقيل ابن مَعْمَر بن حُنّ(٣) آبن ظَبْيان بن قَيْس بن جَزْء بن رَبيعة بن حَرَام بن ضِنَّة(٤) بن عَبْد بن كَثِير بن عُذْرة بن سَعْد — وهو هُذَيم، وسُمِّى بذلك إضافة لاسمه الى عبدٍ لأبيه يقال له هُذَيم كان يحضُنه فغلَب عليه — ابن زيد بن سُود بن أَسْلَمَ بن الحاف بن قُضَاعة . والنسّابون مختلفون فى قُضَاعة، فمنهم من يزعُم أن قضاعة ابن مَعَدّ وهو أخو نِزَار بن مَعَدّ لأبيه وأمّه، وهى مُعَانة بنت جَوْشَم(٥) بن جُلْهُمة بن عامر بن عَوْف بن عَدِىّ بن دُبّ بن جُرْهُم؛ ومنهم من يزعُم أنهم من حِمْيَر . وقد ذكر جميل ذلك فى شعره فانتسب مَعَدّيًّا فقال :

أنا جميلٌ فى السَّنَام من مَعَدّ * فى الأُسْرَة الحَصْداء(٦) والعِيص الأَشَدّ

وقال راجز من قُضَاعة ينسُبهم الى حِمْيَر :

قُضَاعةُ الأَثْرَوْنَ خيرُ مَعْشَرِ * قضاعةُ بنُ مالكِ بنِ حِمْيَرِ

ولهم فى هذا أراجيزُ كثيرةٌ . إلّا أنّ قُضَاعة اليومَ تُنسب كلُّها فى حِمْيَر، فتزعُم أن قضاعةَ ابنُ مالك بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب

---

(١) فى الشعر والشعراء : «وقد يقال فيه جميل بن معمر بن عبد الله» . (٢) فى تهذيب تاريخ ابن عساكر وابن خلكان وشرح القاموس (مادة صبح) : «صباح» بدل الحارث . (٣) كذا فى ابن خلكان : وفيه «...ابن ظبيان بن حن بضم الحاء المهملة وتشديد النون ابن ربيعة بن حرام...الخ» . وفى حـ : «خيبرى» ويؤيده ما فى شرح القاموس (مادة خبر) حيث قال : «وجميل بن معمر بن خيبرى العذرى الشاعر المشهور» . وهو محرف فى سائر الأصول . (٤) كذا فى شرح القاموس (مادة ضن) . وفى الأصول «ضبة» بالباء الموحدة، وهو تصحيف . (٥) فى الطبرى ق ١ ص ٦٧٥ طبع أوروبا : «جوشم» وفى نسخة أشير اليها بهامشه : «جوشم» . (٦) الحصداء : القوية .

ابن قحطان . وقال القحذمى : اسم سبأ عامر، وإنما قيل له سبأ لأنه أوّل من سبى النساء . وكان يقال له عبُ الشمس[1] ، أى عديل الشمس، سمّى بذلك لحسنه .
ومَنْ زعم مِنْ هؤلاء أن قضاعة ليس ابنَ معدّ ذكر أن أمّه عُكْبُرة[2] (امرأة من سبأ) كانت تحت مالك بن عمرو فمات عنها وهى حامل ، فخلفه عليها معدُّ بن عدنان ، فولدت قضاعةَ على فراشه . وقال : مؤرِّج بن عمرو : هذا قول أحدثوه بعد وصنعوا شعراً ألصقوه به ليصحّحوا هذا القول ، وهو :

يأيها الداعى ادعُنا وأبشِرِ * وكُنْ قُضاعيًّا ولا تنزّرِ

قضاعةُ الأثْرَوْنَ خيرُ معشرِ * قضاعةُ بنُ مالك بنِ حميرِ

* النسبُ المعروفُ غيرُ المُنْكَرِ *

٧٨ / ٧

قال مؤرِّج : وهذا شىء قيل فى آخر أيام بنى أُميّة . وشعراءُ قُضاعة فى الجاهليّة والإسلام كلها تنتمى الى معدّ . قال جميل :

وأىّ معدٍّ كان فَىْءَ[3] رماحهمْ * كما قد أفأنا والمفاخرُ مُنْصِفُ

وقال زيادة بن زيد يهجو بنى عمّه بنى عامر رهطَ هُدْبةَ بن خشرم :

واذا معدٌّ أوقدتْ نيرانَها * للمجدِ أغضتْ عامرٌ وتضعضعوا

كان راوية هدبة بن خشرم وكان كثير راويته

و جميل شاعر فصيح مقدّم جامع للشعر والرواية، كان راويةَ هُدْبةَ بنِ خَشْرَم، وكان هُدْبةُ شاعرًا راويةً للحُطَيْئة، وكان الحطيئةُ شاعرًا راويةً لزُهَيْر وابنه . وقال أبو مُحَلِّم : آخِرُ مَن اجتمع له الشعر والرواية كُثَيِّر، وكان راويةَ جَميل، وجميلٌ راويةَ هُدْبةَ، وهُدْبةُ راويةَ الحطيئة، والحطيئة راويةَ زهير .

(١) عب الشمس (بالتخفيف والتشديد) : ضوءها . (٢) ورد فى صبح الأعشى للقلقشندى (ح ١ ص ٣١٥) بعد ما ذكر خلاف بعض النسابة فى قضاعة ما نصه : « قال السهيلى : إن أم قضاعة (وهى جكرة) مات عنها مالك بن حمير وهى حامل فتزوجها بعده معد بن عدنان فولدت قضاعة على فراشه فتبناه فنسب اليه » . (٣) الفىء : الغنيمة .

نسب بثينة عشيقته

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَمِىّ قال :
كان جميلٌ يهوَى بُثَيْنة بنت حَبَأ بن ثَعْلبة بن الهَوْذ بن عمرو بن الأحَبّ بن حُنّ بن رَبيعة [تلتقى هى وجميل فى حنّ من ربيعة](1) فى النسب .

كان كثير راويته يقدمه على نفسه

حدّثنى أبو الحَسَن أحمد بن محمد الأَسَدِىّ وهاشم بن محمد أبو دُلَف الخُزَاعىّ قالا حدّثنا الرِّيَاشِىّ قال حدّثنا الأصمعىّ عن ابن أبى الزِّناد قال :

كان كُثَيِّر راويةَ جميل، وكان يقدّمه على نفسه ويتّخذه إماما ، وإذا سئل عنه قال : وهل عَلَّم اللهُ عزّ وجلّ ما تَسمعون إلّا منه ! .

أخبرنى محمد بن مَزْيَد عن حَمّاد عن أبيه عن صَبَاح بن خاقان عن عبد الله ابن معاوية الزُّبيرىّ قال :

كان كُثَيِّر اذا ذُكِر له جميلٌ قال : وهل علّم الله ما تسمعون إلا منه ! .

مر على جماعة بشعب سلع فاستنشدوه من شعره فأنشدهم فدحوه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن المِسْوَر بن عبد الملك عن نُصَيْب مَوْلَى عبد العزيز بن مَرْوان قال :

قَدِمتُ المدينةَ فسألتُ عن أعلم أهلها بالشعر ، فقيل لى : الوليد بن سعيد بن أبى سِنَان الأسلَمىّ ، فوجدتُه بشِعْب سَلْع(2) مع عبد الرحمن بن حَسّان وعبد الرحمن ابن أزهر . فإنّا لجلوسٌ إذ طلَع علينا رجلٌ طويلُ بين المَنْكِبَيْن طُوَالٌ(3) يقود راحلةً عليها بِزّةٌ حسنة . فقال عبد الرحمن بن حسّان لعبد الرحمن بن أزهر : يا أبا جُبير(4)، هذا جميلٌ، فادعُه لعلّه أن يُنشِدَنا . فصاح به عبد الرحمن : هَيَا جميلُ هَيَا جميل!

(١) التكلة عن تجريد الأغانى . (٢) سلع : موضع بقرب المدينة . (٣) هذه الكلمة «طوال» ساقطة فى ب ، س . (٤) كذا فى حـ والخلاصة فى أسماء الرجال . وفى سائر الأصول : «يا أبا حبتر» وهو تصحيف .

فالتفت فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا عبد الرحمن بن أزهر . فقال : قد علمتُ أنه لا يجترئ علىّ إلّا مثلُك . فأتاه فقال له أنشِدْنا ، فأنشدهم :

نحنُ منعْنا يومَ أَوْلٍ(١) نساءَنا * ويومَ أُفَيٍّ(٢) والأسنّةُ ترْعُفُ

ويومَ رَكَايا ذِى الجَذاةِ(٣) ووقعةٍ * ببَيْنَانَ(٤) كانت بعضَ ما قد تَسلّفُوا

يُحِبُّ الغَوانِى البِيضُ ظِلَّ لِوائنا * اذا ما أتانا الصارخُ المُتَلهِّفُ

٥ نَسيرُ أمامَ الناس والناسُ خَلْفَنا * فإن نحن أَوْمأْنا الى الناس وَقّفُوا

فأىُّ مَعَدٍّ كان فَىْءَ رِماحِه * كما قد أفأْنا والمُفاخِرُ يُنْصِفُ

وكنّا إذا ما مَعْشَرٌ نَصَبُوا لنا(٥) * ومرّتْ جَوَارِى طَيْرِهم وتَعيّفُوا

وضَعْنا لهم صاعَ القِصاصِ رهينةً * بما سوف نُوفِيها اذا الناسُ طَفّفُوا

١٠ اذا آستبق الأقوامُ مجدًا وجدتَنا(٦) * لنا مِغْرَفًا مجدٍ وللناس مِغْرَفُ

قال : ثم قال له : أنشِدْنا هَزَجا . قال : وما الهَزَج؟ لعله هذا القصير؟ قال نعم، فأنشده — قال الزُّبير : لم يُذكر فى هذا الخبر من هذه القصيدة الهَزَج سوى بيتين، وأنشدَنا باقِيَها بُهْلُول بن سليمان بن قِرْضاب البَلَوِىّ — :

---

(١) أول : واد بين النيل وأكة على طريق اليمامة الى مكة (كما فى معجم البلدان لياقوت) .
١٥ وفى ب، س : «يوم أرل» بالراء وهو تحريف . (٢) قال ياقوت : أُفَىّ : موضع فى شعر نصيب، واستشهد بهذا البيت . (٣) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . وذو الجذاة : موضع . وفى ب ، س : «ذى الحداة» بالحاء والدال المهملتين . وفى سائر الأصول : «ذى الجداة» بالجيم ، وكلاهما تصحيف . وركايا : جمع ركية ، وهى البئر ذات الماء .
(٤) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى فى الكلام على بيان ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . وبنيان :
٢٠ موضع . وقد ورد محرفا فى الأصول . (٥) فى منتهى الطلب فى أشعار العرب لمحمد بن المبارك (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٥٣ أدب ش) : «بجفوا بنا» . (٦) فى الكتاب السابق : «اذا انتهب الأقوام ... الخ» .

صــــوت

رَسْــمِ دَارٍ[1] وقفتُ فى طَــلَلِهْ * كِدتُ أقضِى الغَداةَ[2] من جَلَلِهْ
مُوحِشًــا ما تَرَى به أحدًا تَنْـ * ـتَسِجُ الريحُ تُرْبَ مُعْتَــدِلِهْ
وصَرِيعًا من الثُّمَامِ تَرَى * عارِمَاتِ المَــدَبِّ فى أَسَــلِهْ[3]
بين عَلْيَاءِ وابِشٍ فبُــلِىٍّ * فالغَمِــيمِ الذى الى جَبَــلِهْ[4]
واقفًــا فى ديار أُمِّ جُسَــيْرٍ[5] * من ضُحَى يومِــه الى أُصُــلِهْ
ياخليــلَىَّ إن أُمَّ جُسَــيْرٍ[5] * حين يدنو الضَــجِيعُ من غَلَلِهْ[6]
روضــةٌ ذاتُ حَنْوَةٍ وخُزَامَى * جاد فيهــا الربيعُ من سَــبَلِهْ[7]
بينما هنّ بالأَرَاكِ معًــا * اذ بدا راكبٌ على جَمَــلِهْ
فتأطَّــرْنَ ثم قلن لهــا * أكْرِمِيــهِ حُيِّيتِ فى نُزُلِهْ[8]
فظَلِلْنَــا بنَعْمَــةٍ واتَّكأْنا[9] * وشَرِبنــا الحــلالَ من قُلَلِهْ

(١) رسم دار أى رب رسم دار الخ . (٢) فى ب ، س : « أقضى الحياة » . وهى رواية فى البيت . ومن جلله : من أجله ، أو من عظمه فى عينى .

(٣) ورد هذا البيت فى جميع الأصــول بصور مختلفة وكلها محرفة ، وقد صححناه عن شرح شــواهد مغنى اللبيب للســيوطى طبع فارس . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شــبيه بالخوص . والعارمات : القوية الشديدة . والمدب : مجرى السيل . والأسل : نبات له أغصان كثيرة ، واحده أسلة .

(٤) كذا فى حـ ومعجم ما استعجم وشرح شــواهد المغنى . ووابش : واد أو جبــل بين وادى القرى والشام . وفى سائر الأصــول : « رائس » . وبلى : تل قصــير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق . والغميم : موضع بالحجاز . (٥) كذا فى حـ . وأم جسير : أخت بثينة صاحبة جميل . وفى سائر الأصول : « أم حسين » وهو تحريف . (٦) قال فى خزانة الأدب : والغلل داء . وقال العينى : هو الماء بين الأشجار . وفى اللسان أن من معانى الغلل العطش وحرارته . (٧) الحنوة : نبات سهلى طيب الريح . والسبل : المطر . (٨) التأطر : التثنى . والنزل (بضمتين) : ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه . (٩) اتكأنا : قال ابن قتيبة : معناه طعمنا وأكلنا ، من قوله تعالى : « وأعتدت لهن متكأ » أى طعاما أو مجلس طعام ؛ فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ، ولذلك نهى عنه .

قد أَصُون الحديثَ دونَ خليلٍ (١) * لا أخاف الأَذَاة من قِبَـلِه
غيرَ ما بِغْضَـةٍ ولا لاجتنابٍ * غير أَنّي أَلَحْتُ من وَجَلِه (٢)
وخليـلٍ صاقَبتُ (٣) مُرتضِياً (٤) * وخليلٍ فارقتُ من مَلَلِه

قال : فأنشده إياها حتى فرَغ منها ثم اقتاد راحلتَه مولّياً . فقال ابن الأزهر : هذا
٥ أشعر أهل الاسلام . فقال آبن حَسّان : نعمْ والله وأشعرُ أهلِ الجاهليّة ، والله ما لأحد
منهم مثلُ هجائه ولا نَسيبه . فقال عبد الرحمن بن الأزهر : صدقتَ . قال نُصَيب :
وأنشدتُ الوليد فقال لى : أنت أشعرُ أهل جِلْدتك ، والله ما زاد عليها . فقلت :
يا أبا محْجَن ، أفرَضيتَ منـه بأن تكون أشعرَ السُّودان ؟ قال : وَدِدْتُ والله يا بْنَ
أخى أنه أعطانى أكثرَ من هذا ، ولكنه لم يفعل ، ولستُ بكاذبك .

١٠ أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال :

كان صادق الصبابة وكان كثير يتقول

كان لكثيرٍ فى النَّسيب حظٌّ وافر ، وجميلٌ مقدَّم عليه وعلى أصحاب النسيب
فى النسيب ؛ وكان كثيِّر راويةَ جميل ، وكان جميل صادقَ الصَّبابة والعشق ، ولم يكن
كثيِّر بعاشق ولكنه كان يتقوّل . وكان الناس يستحسنون بيت كثيِّر فى النسيب :

أُريد لأَنْسَى ذِكْرَها فكأنَّما * تَمثَّلُ لى لَيْـلَى بكلِّ سبيل

١٥ قال : ورأيت من يفضِّل عليه بيتَ جميل :

خليلىّ فيما عِشْتُما هـل رأيتُما * قتيلاً بَكَى من حبّ قاتلِه قَبْلِى

---

(١) فى خزانة الأدب للبغدادى وشرح شواهد المغنى : « دون أخ » . (٢) فى شرح شواهد المغنى وخزانة الأدب :

غـير بغض له ولا ملق * غير أنى أشحت من وجله

٢٠ (٣) كذا فى حـ . وصاقبه : قاربه . وفى سائر الأصول : «صافيت» . (٤) كذا فى شرح شواهد المغنى . وفى الأصول : «مرتقبا» .

قال ابن سَلّام : وهذا البيت الذى لكثيِّر أخذه من جميل حيث يقول :

أريد لأنسى ذكرَها فكأنما * تَمَثَّـلُ لى لَيْلَى على كلّ مَرْقَبِ

٨٠ / ٧

عرض الفرزدق لكثير بأنه سرق منه فردّ عليه بمثله

أخبرنى الحَرَمى بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار عن محمد بن إسماعيل عن عبـد العزيز بن عِمْران عن محمـد بن عبد العزيز عن أبى شِهَاب عن طَلْحة بن عبد الله بن عَوْف قال :

لقِىَ الفرزدقُ كثيِّرا بقارعة البَلَاط[1] وأنا وهو نمشى نريد المسجد، فقال له الفرزدق: يا أبا صَخْر، أنت أنْسَبُ العرب حين تقول :

أُريد لأَنْسى ذكرَها فكأنما * تَمَثَّلُ لى لَيْلَى بكلّ سـبيل

يعـرِّض له بسرقته من جميـل . فقال له كثيِّر : وأنت يا أبا فِرَاس أفخـرُ الناس حين تقول :

تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسيرون خَلْفَنا * وإن نحن أوْمأْنا الى الناس وَقَّفُوا

— قال عبد العزيز: وهـذا البيت أيضا لجميل سرَقه الفرزدقُ — فقـال الفرزدق لكثيِّر: هل كانت أمُّك مَرّتْ بالبصرة؟ قال: لا! ولكن أبى، فكان نَزِيلًا لأمّك.[2] قال طَلْحةُ بن عبد الله : فو الذى نفسِى بيده لَعَجِبْتُ من كثيِّر وجوابه، وما رأيتُ أحدا قَطُّ أحمقَ منه، رأيتُنى دخلتُ عليه يوما فى نَفَرٍ من قريش وكنّا كثيرا ما نتهزّأ به، فقلنا : كيف تَجِدُك يا أبا صَخْر؟ قال : بخير، أمَا سمعتم الناسَ يقولون شيئا؟ قلنا : نعمْ، يحدّثون أنك الدجّال . فقـال : والله لئن قلتم ذاك إنى لأجد فى عينى هذه ضَعْفا منذ أيام .

(١) البلاط : موضع معروف بالمدينة . (٢) فى حـ : «هل كانت أمك ترد البصرة ؟ قال لا، ولكن أبى كان كثيرا ما يردها» .

كان كثير يفضله على نفسه ويبدأ بانشاد شعره

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال كتب الىّ أبو محمد إسحاقُ بن إبراهيم يقول حدّثنى أبو عُبيدة عن جُوَيرِيَةَ بنِ أسْماء قال :

كان أبو صخر كثيّر صديقًا لى، وكان يأتينى كثيرًا، فقلّما استنشدتُه إلّا بدأ بجَميل وأنْشد له ثم أنْشد لنفسه، وكان يفضّله ويتّخذه إماما .

٥ قال الزبير وكتب إلىّ إسحاقُ يقول حدّثنى صَباح بن خَاقانَ عن عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المُنْذر بن الزُّبَير قال :

ذُكِر جميلٌ لكثيّر، فقالوا : ما تقول فيه؟ فقال : منه علّم اللهُ عزّ وجلّ .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالا حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنى أبو يحيى الزُّهْرِىّ عن إسحاق بن قَبيصَةَ الكُوفىّ عن رجل ١٠ سمّاه قال :

سألت نُصَيبا : أجَميلٌ أنْسَبُ أم كثيّر؟ فقال : أنا سألت كثيّرا عن ذاك فقال: وهل وَطّأ لنا النَّسيبَ الّا جَميل! .

قال عمر بن شبّة وقال إسحاق حدّثنى السّعيدى عن أبى مالك النَّهْدىّ قال :

جلَس إلينا نُصَيب فذكرنا جميلا ، فقال : ذاك إمامُ المحبّين، وهل هَدَى اللهُ ١٥ عزّ وجلّ لمـا تَرَى إلّا بجَميل .

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا دَماذ عن أبى عُبَيدة عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء قال : ما آستنشدتُ كثيّرا قَطّ إلا بدأ بجَميل وأنشدنى له ثم أنشدنى بعده لنفسه، وكان يفضّله ويتخذه إماما .

أول عشقه بثينة

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى بُهْلُول ٢٠ ابن سليمانَ بن قِرْضاب البَلَوِىّ قال :

كان جميل يَنْسُب بأمّ الجُسَير، وكان أوّلَ ما علِق بُثَينةَ أنه أقبل يومًا بإبله حتى أَوْردها واديًا يقال له بَغِيض[١]، فاضطجع وأرسل إبلَه مُصْعِدةً، وأهلُ بثينة بذَنَب الوادى؛ فأقبلتْ بثينةُ وجارةٌ لها واردتَين الماءَ، فمرّتا على فِصَالٍ له بُرُوكٍ فعَرَمتْهن[٢] بثينةُ ــ يقول: نفّرتْهن ــ وهى إذ ذاك جُوَيرِيةٌ صغيرة؛ فسبّها جميلٌ، فافترتْ عليه، فمَلُح اليه سبابُها فقال:

وأوّلُ ما قاد المــودّةَ بيننا * بوادى بَغِيضٍ يابُثَيْنَ سِبَابُ[٣]

وقلنا لها قَوْلًا فجاءت بمثله * لكلّ كلامٍ يابُثَيْنَ جوابُ

قال الزُّبَير وحدّثنى محمد بن إسماعيل بن جعفر عن ســعيد بن نُبَيه بن الأسود العُذْرىّ ــ وكانت بثينةُ عند أبيه نُبَيه بن الأَسْود، وإياه يَعْنِى جميلٌ بقوله:

لقــد أَنْكَحُوا جَهْلًا نُبَيهًا ظَعِينةً * لَطِيفةَ طَىِّ الكَشْحِ ذاتَ شَوًى خَدْلِ[٤]

ــ قال الزُّبَير وحدّثنى أيضا الأَسْباطُ بن عيسى بن عبد الجَبّار العُذْرىّ أن جميلَ بنَ مَعْمَر خرج فى يوم عيدٍ والنساء إذ ذاك يتزيّنّ ويَبْدُو بعضُهن لبعض ويَبْدُون للرجال، وأن جميلًا وقف على بُثَينة وأختها أمِّ الجُسَير فى نساء من بنى الأَحَبّ وهنّ بناتُ عمٍ عُبيد الله بن قُطْبة أخى أبيه لَحًّا[٥]، فرأى منهنّ منظرا وأَعْجبنه وعشِق بُثَينةَ وقعد

(١) فى حـ: «بعيض» بالعين المهملة. (٢) كذا فى حـ. وعرمتهن: أصابتهن بشر وأذى. وفى أ، ء، م: «فرقتهن». وفى ب، سـ: «فنزقتهن» وكلاهما تحريف.

(٣) فى حـ: «لأوّل» وفى ب هكذا: «الأول» وهو تحريف. (٤) كذا فى أ، ء، م والخدل: الممتلئ. وفى سائر الأصول: «جثل» وهو تصحيف. (٥) لحا: لازقا. يقال: هو ابن عم لحٍ بالكسر فى النكرة على الاتباع، وهو ابن عمى لحًا، بالنصب فى المعرفة على الحال. والواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث فى ذلك سواء. وشرطه الاتحاد فى الذكورة أو الأنوثة. فلا يقال: هما ابنا خال لح، ولا ابنا عمة لح لأنهما مفترقان اذ هما رجل وامرأة. واذا لم يكن ابن العم لحا وكان رجلا من العشيرة قلت: هو ابن عم الكلالة وابن عم كلالة. (راجع لسان العرب مادة لحح).

معهنّ، ثم راح وقد كان معه فِتْيانٌ من بنى الأَحَبّ، فعلم أنّ القوم قد عرفوا فى نظره حبَّ بُثَينة ووجدوا عليه، فراح وهو يقول :

عَجِــل الفِـراقُ وليْتَه لم يَعْجَلِ * وجرتْ بوادرُ دَمْعِــك المُتَهلّلِ
طَرَبًا وشاقكَ ما لَقِيتَ ولم تَخَفْ * بَيْنَ الحبيبِ غـداةَ بُرْقـةِ مُجْوِلِ (١)
وعرفتَ أنك حين رُحْتَ ولم يكن * بعـدُ اليقينُ وليس ذاك بمُشْكِلِ
لن تَستطيع الى بثينـة رَجْعـةً * بعـد التفـرّق دون عامٍ مُقْبِلِ

قال : وإنّ بُثَينة لمّا أُخبرتْ أن جميلًا قد نَسَب بها حلفتْ بالله لا يأتيها على خَلَاءٍ إلّا خَرجتْ اليه ولا تَتوارى منـه ، فكان يأتيها عند غَفَلاتِ الرجال فيتحدّث اليها ومع أخواتها ، حتى نُمِيَ إلى رجالها أنه يتحدّث اليها إذا خلا منهم، وكانوا أَصْلافًا غُيُرًا (٢) — أو قال غَيارَى — فرصَدوه بجماعة نحوٍ من بِضْعةَ عَشَرَ رجلًا وجاء على الصَّهْباء ناقتِه حتى وقف على بُثَينةَ وأمّ الجُسَير وهما يحدّثانه وهو يُنْشدُهما يومئذٍ :

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ الى مِنًى * هُوِيَّ القَطا يجتَزْنَ بطنَ دَفِينِ (٣)
لقد ظَنّ هذا القلبُ أن ليس لاقيًا * سُـلَيْمَى ولا أمَّ الجُسَيْرِ لِحِينِ
فليت رجالًا فيكِ قد نَذَروا دَمِى * وهَمُّوا بقَتْــلِى يابُثَينَ لَقُونِى

فبَيْنا هو على تلك الحال إذ وثَب عليه القومُ فرماهم بها فسبَقَتْ به وهو يقول :

إذا جمع الإثنانِ (٤) جمعا رميتُهم * بأركانهـا حتى تُخَـلِّى سبيلَها

فكان هذا أوّلَ سببِ المُهاجاةِ بينه وبين عُبيد الله بن قُطْبة .

(١) كذا فى معجم البلدان لياقوت وشرح القاموس، وذكر شارح القاموس أنه موضع . وفى الأصول : « برقة محول » بالحاء المهملة . (٢) فى جـ : « الشباه » . (٣) دفين : اسم موضع كما فى شرح القاموس (مادة دفن) . (٤) وردت هـذه الكلمة فى الأصول، ولعلها محرفة عن الشنآن وهو البغض والعداوة .

واعدته بثينة فمنعها أهلها فقرّعه نساء الحى ، وشعره فى ذلك

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا بُهْلول بن سليمان عن مَشْيخة من عُذْرة :

أنّ بُثَينة[1] واعدت جميلًا أن يلتقيا فى بعض المواضع فأتى لوعدها . وجاء أعرابىٌّ يستضيف القومَ فأنزلوه وقَرَوْه ؛ فقال لهم : قد رأيتُ فى بطن هذا الوادى ثلاثةَ نَفَرٍ متفرّقين مُتَوارِين فى الشجر ، وأنا خائف عليكم أن يسلُبوا بعضَ إبلكم ؛ فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه ، فحرَسوا بُثينة ومنعوها من الوفاء بوعده . فلما أَسْفر له الصبحُ انصرف كئيبًا سيِّئَ الظنّ بها ورجع الى أهله ؛ فجعل نساء الحىّ يُقَرِّعْنه بذلك ويقلن له : إنما حصلتَ منها على الباطل والكذب والغَدْر ، وغيرُها أولى بوَصْلك منها ، كما أنّ غيرَك يحظَى بها . فقال فى ذلك :

٨٢ / ٧

صــــوت

أبُثَيْنَ إنّكِ قد مَلَكْتِ فأَسْجِحِى * وخُذِى بحظّك من كريمٍ واصِلِ

فأجبتُها فى القول بعد تَسَتُّرٍ[2] * حُبِّى بثينةَ عن وِصَالِكِ شاغِلِى

فلربَّ عارضــةٍ علينا وَصْلَها * بالجِدّ تَخْلِطه بقول الهازل

لو كان فى صدرى كقَدْرِ قُلَامةٍ * فَضْلًا وصلتُكِ أو أتتكِ رسائلى

— الغناء ليحيى المكّى ثقيل أوّل بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه — :

١٠ ١٥

---

(١) ورد هذا الخبر فى أ ، ء ، م ، حـ هكذا : « ... عن مشيخة من عذرة ويلى أن رهط بثينة نذروا دم جميل وسمعوا أنه قد أمسى بوادى القرى وهو يريد طريق مكة فخرج منهم ركبان فتقدموا فوجدوه على مضيق من الطريق بسند الوادى فأخذوا جانبى القرى بأخذه السيل وهو جهد ما يخرج منه الراحلة والشق بعض الحكم ... الخ» وهو غير واضح .

(٢) كذا ورد ترتيب هذه الأبيات فى أكثر الأصول . وورد فى ب ، سـ تقديم البيت الثانى على الأول . على أن سياق الشعر يقتضى أن يكون البيت الثالث فى الوضع مكان الثانى والبيت الثانى مكان الثالث .

٢٠

صـــــوت

ويَقُلْنَ إنكَ قد رَضِيتَ بباطلٍ * منها فهل لكَ في آجتنابِ الباطلِ

ولَبَاطلٌ ممّا أُحِبُّ حديثَه * أشهى إليّ من البَغيض الباذلِ

لِيُزِلْنَ عنك هوايَ ثم يَصِلْنَنِي * وإذا هَوِيتُ فما هوايَ بزائلِ

٥ — الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو، وذكر في نسخته الثانية أنه ليزيد حَوْراء. وروى حمّاد عن أبيه في أخبار ابن سُرَيج أنّ لآبن سُرَيج فيه لحنا ولم يجنّسه — :

صادتْ فؤادي يابُثَيْنَ حِبالُكُم * يومَ الحَجُونِ وأخطأتْكِ حبائلي

مَنَّيْتِنِي فلَوَيْتِ ما مَنَّيْتِنِي * وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجلِ

وتثاقلتْ لمّا رأت كَلَفِي بها * أَحْبِبْ إليّ بذاكَ من متثاقلِ

١٠ وأطعتِ فيَّ عواذِلًا فهجرتِني * وعَصَيْتُ فيكِ وقد جَهَدْنَ عواذلي

حاولنَني لأَبُتَّ حبلَ وِصالكم * منّي، ولستُ وإن جَهَدْنَ بفاعلِ

فرددتُهن وقد سَعَيْنَ بهجرِكم * لمّا سَعَيْنَ له بأفْوَقَ ناصِلِ (١)

يَعْضَضْنَ من غيظٍ عليّ أناملًا * ووَدِدْتُ لو يَعْضَضْنَ صُمَّ جَنادِلِ

ويقلن إنكِ يابُثَيْنَ بخيلةٌ * نفسي فداؤكِ من ضَنِينٍ باخلِ

١٥ قالوا: وقال جميل في وَعْد بثينة بالتّلاقي وتأخُّرِها قصيدةً أوّلها:

ياصاحِ عن بعض المَلامةِ أَقْصِرِ * إنّ المُنَى لَلِقاءُ أُمِّ المِسْوَرِ

فمما يغنّى فيه منها قوله:

صـــــوت

وكأنّ طارقَها على عَلَلِ الكَرَى * والنجمُ وَهْنًا قد دنا لتَغَوُّرِ

٢٠ يَسْتافُ (٢) ريحَ مُدامةٍ معجونةٍ * بذَكِيِّ مِسْكٍ أو سَحِيقِ العَنْبَرِ

(١) السهم الأفوق: الذي به ميل في فوقه أو انكسار في إحدى زنمتيه. والفوق (بالضم): مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. وحرفاه زنمتاه. وناصل: لا نصل له. وفي الأصول: «ناضل» بالضاد المعجمة. والتصويب عن تجريد الأغاني. (٢) يستاف: يشم.

الغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّل بالبنصر من رواية الهشامىّ . وذكر عمرو بن بانة أنه لابن المكىّ .

وممـا يغنى فيه منها قوله :

صـــوت

٨٣/٧

إنّى لأحفظُ غَيْبَكم ويسرُّنى * إذ تَذْكُرِينَ بصالحٍ أن تَذْكُرِى

ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرْسَلًا * أو نَلْتَــقِى فيه علىّ كأَشْهُرِ

يا ليتنى أَلْقَى المنيَّــةَ بغتــةً * إن كان يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ

أو أستطيعُ تَجَلُّدًا عن ذكركم * فيُفِيقَ(١) بعضُ صبابتى وتفكّرى

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن الهشامىّ . وفيه يقول :

لو قد تُجِنّ كما أُجِنّ من الهوى * لَعَذَرْتَ أو لظلمتَ إن لم تَعْـذِرِ ١٠

والله ما للقلبِ من علمٍ بهـا * غيرُ الظنون وغير قول المُخْبِرِ

لا تحسَبِى أنّى هجرتُكِ طائعًـا * حَدَثٌ لعمرُكِ رائعٌ أن تُهْجَرِى

فلْتَبْكِيَنّ الباكياتُ وإن أَبُحْ * يومًا بسرِّكِ مُعْلَنًا لم أُعْـذَرِ

يهواكِ ما عشتُ الفؤادُ فإن أَمُتْ * يَتْبَعْ صَدَاى صداكِ بين الأقْبُرِ

صـــوت ١٥

إنّى إليك بمـا وعدتِ لناظرٌ * نظرَ الفقــيرِ الى الغَنِىِّ المُكْثِرِ

يَعِدُ الديونَ وليس يُنْجِزُ موعدًا * هــذا الغريمُ لنـا وليس بمُعْسِرِ

ما أنتِ والوَعْدَ الذى تَعِـدِينَنى * إلّا كبرق سحابةٍ لم تُمْطِـرِ

قلبى نصحتُ له فرَدّ نصيحتى * فمَتَى هجرتِيــهِ فمنــه تَكَثُّرِى(٢)

---

(١) فى تزيين الأسواق (ص ٤٦) : « فأفيق بعد صبابتى » . (٢) أى تكثرى من الهجر واستزيدى . ٢٠

الغناء فى هذه الأبيات لسُلَيم رَمَلٌ عن الهشامىّ . وفيه قدحٌ طُنْبورِىّ أظنّه لجَحْظة أو لعلىّ بن مودّة[1] . قالوا : وقال فى إخلافها إياه هذا الموعدَ :

صـــوت

ألَا ليتَ رَيْعانَ الشبابِ جديدُ * ودهرًا تولّى يابُثَينَ يعودُ
فنَغْنَى[2] كما كنّا نكون وأنتمُ * قريبٌ وإذ ما تَبْذُلِين زَهِيدُ ٥

ويروى :

* وممّا لا يَزيد[3] بعيدُ *

وهكذا يغنّى فيه :

الغناء لسُلَيم خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . ومما يغنّى فيه من هذه القصيدة :

صـــوت ١٠

ألَا ليت شعرى هل أَبِيتنّ ليلةً * بوادِى القُرَى إنّى اذًا لسَعِيدُ
وهل أَلْقَيَنْ فَرْدًا بثينةَ مرّةً * تَجُود لنا من ودّها ونَجُود
عَلِقْتُ الهوَى منها وليدًا فلم يَزَلْ * الى اليوم يَنْمِى حُبُّها ويَزيد
وأفنيتُ عُمْرِى بٱنتظارِىَ وَعْدَها * وأَبْليتُ فيها الدهرَ وهو جديدُ
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالبًا * ولا حبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ ١٥

الغناء لمَعْبدٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى . ومما يغنّى فيه منها :

صـــوت

وما أَنْسَ مِ ٱلأشياءِ لا أَنْسَ قولَها * وقد قَرُبَتْ[4] نُصْرِى أمصرَ تُرِيدُ

(١) فى أ ، د ، م : « سودة » . (٢) فى تزيين الأسواق : « فنبق » .
(٣) كذا فى الأصول . ولعله « ومما لا نريد » ليستقيم المعنى . (٤) كذا فى الأمالى لأبى على القالى (جـ ١ ص ٢٧٢ طبع مطبعة دار الكتب المصرية) . وفى الأصول : « وقد قربت نضوى » . وقد وردت هذه القصيدة فى الأمالى باختلاف فى تقديم الأبيات وتأخيرها وفى بعض الكلمات . ٢٠

٨٤ / ٧

ولا قولَها لولا العيونُ التى تَرَى * لزُرْتُكَ فاعذِرْنى فَدَتْك جُــدُودُ

خليلىّ ما أَلْقَى من الوجـد قاتِلى * ودَمْعِى بمـا قلتُ الغَــداةَ شَهِيدُ

يقولون جاهِــدْ يا جميـلُ بَغزوةٍ * وأىَّ جهـادٍ غيرَهنّ أُرِيدُ

لكلّ حــديثٍ بينهنّ بَشَاشــةٌ * وكلُّ قَتيــلٍ عنـدهنّ شَهِيــدُ

الغناء للغَريض خفيفُ ثقيلٍ من رواية حَمّاد عن أبيه . وفى هذه القصيدة يقول :

إذا قلتُ ما بى يابثينــةُ قاتِلى * من الحبّ قالت ثابتٌ ويَزِيــدُ

وإن قلتُ رُدِّى بعضَ عقلى أَعِشْ به * مع النـاسِ قالت ذاكَ منكَ بعيدُ

ألا قــد أَرَى والله أن رُبَّ عَبْرةٍ * إذا الدّارُ شَطَّتْ بيننا ستَرُودُ (١)

إذا فكَّرتْ قالت قــد أدركتُ ودَّه * وما ضَرَّنى بُخْلِى فكيف أَجُــود

فلو تُكْشَفُ الأَحْشاءُ صُودِفَ تحتَها * لبَثْنَــةَ حبٌّ طــارِفٌ وتَلِيــدُ

تُذَكِّرُنيهـا كلُّ ريحٍ مَرِيضَــةٍ * لها بالتِّــلاَعِ القاوياتِ وَئِيــدُ (٢)

وقــد تَلْتَقِى الأَشْتاتُ بعــد تفرُّقٍ * وقد تُدْرَكُ الحاجاتُ وهى بعيــدُ

عاتبته بثينة لشعر قاله فيها

أخبرنى علىّ بن صالح قال حدّثنى عمر بن شَبّة عن إسحاق قال :

لقِىَ جميلٌ بثينةَ بعد تهاجُرٍ كان بينهما طالت مدّتُه، فتعاتبا طويلاً فقالت له :
وَيْحَكَ يا جميل ! أتزعم أنك تَهْوانى وأنت الذى تقول :

رَمَى اللهُ فى عينَىْ بُثَينةَ بالقَــذَى * وفى الغُرّ من أَنْيابها بالقَوادحِ !

فأطرق طويلاً يبكى ثم قال : بل أنا القائلُ :

ألا ليتَنِى أَعْمَى أصمُّ تَقُــودُنِى * بثينــةُ لا يَخْفَى علىّ كلامُهــا

(١) ترود أى تذهب وتجىء، يريد تحيرماء العين فيها .
(٢) القاويات : الخاليات .
والوئيد : الصوت العالى الشديد .

فقالت له : وَيْحَك ! ما حملك على هــذه المُنَى ! أوَ ليس فى سعةِ العافية ما كفانا جميــعا ! .

تجسس أبــوها وأخوها كلامه مع بثينة فلم يريا ريبة

قال إسحاق وحدّثنى أيُّوب بن عَبَايَةَ قال :

سَعَتْ أَمَةٌ لِبُثَينَةَ بهــا الى أبيها وأخيها وقالت لهما : إن جميلًا عندها الليــلةَ ؛ فأتياها مشتملَيْن على سيفين ، فرأياه جالسا حَجْرةً منها يحدّثها ويشكو اليها بَثّه ، ثم قال لها : يابُثَينة، أرأيتِ وُدّى إياكِ وشَغَفى بكِ أَلّا تَجْزِينيه؟ قالت : بماذا؟ قال : بما يكون بين المتحابّين . فقالت له : يا جميل ، أهذا تَبْغى ! والله لقد كنتَ عندى بعيدًا منه ، ولئن عاودْتَ تعريضًا بِرِيبةٍ لا رأيتَ وجهى أبدًا . فضحك وقال : والله ما قلتُ لكِ هذا إلا لأعلمَ ما عندكِ فيه ، ولو علمتُ أنك تُجِيبِينِى اليه لعلمتُ أنك تُجِيبِين غيرى[1]، ولو رأيتُ منكِ مساعدةً عليه لضربتُك بسيفى هذا ما آستَمْسَكَ فى يدى ، ولو أطاعتْنى نفسى لهجرتُكِ هِجْرَةَ الأبَدِ ، أو ما سمعتِ قولى :

وإنّى لأَرْضَى من بُثَينــةَ بالذى * لوَ آبْصَرَه الواشِى لقــرّتْ بَلَابِلُهْ

بلَا وبأن لا أســتطيعَ وبالمُــنَى * وبالأملِ المرجوِّ قــد خاب آمِلُهْ

وبالنَّظْرةِ العَجْلَى وبالحَوْل تَنْقضِى * أواخرُه لا نَلْتَــقِى وأوائــلُهْ

قال فقال أبوها لأخيها : قُمْ بنا ، فما ينبغى لنا بعد اليوم أن نمنع هــذا الرجل من لقائها ، فآنصرفا وتركاها .

٨٥ / ٧

قالها مرة بسمع صديق له

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيــه عن أيُّوبَ بن عَبَايةَ عن رجل من عُذْرة قال :

كنتُ تِرْبًا لجميــل وكان يأْلَفُنِى، فقال لى ذاتَ يوم : هل تساعدنى على لقاء بُثينة ؟ فمضيتُ معه، فكَمَن لى فى الوادى وبعث بى الى راعى بُثَينة بخاتَمه، فدفعتُه

[1] كانت هذه الكلمة فى الأصول : « تحبين غيرى » .

اليه ، فمضى به اليها ثم عاد بموعد منها اليه . فلما كان الليل جاءته فتحدّثا طويلا حتى أصبحا ثم ودّعها وركب ناقته . فلما استوى فى غرزها[1] وهى باركة قالت له : ادنُ منّى يا جميل .[2]

صوت

إنّ المنازل هيّجتْ أطرابى * وآستعجمتْ آياتُها بجوابى

قفرًا تلوح بذى اللُّجين كأنها * أنضاءُ رسمٍ أو سطورُ كتابِ

لما وقفتُ بها القلوصَ تبادرتْ * منّى الدموعُ لفُرقة الأحبابِ

وذكرتُ عصرًا يابثينةُ شاقنى * وذكرتُ أيامى وشرخَ شبابى

الغناء فى هذه الأبيات للهُذَلىّ ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

أرسل كثيرا الى بثينة ليستجدّ منها موعدا

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق الموصلىّ عن السّعيدىّ ، وأخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال حدّثنا أبو مالك النَّهْدىّ قال : ١٠

جلس إلينا كثيّر ذاتَ يوم فتذاكرنا جميلًا ، فقال : لقينى مرّةً فقال لى : من أين أقبلت؟ قلتُ: من عند أبى الحبيبة (أعنى بثينة) . فقال: والى أين تمضى ؟ قلت: الى الحبيبة (أعنى عَزّة). فقال: لا بدّ من أن ترجع عَوْدك على بَدْئك فتستجدّ لى موعدًا من بُثينة . فقلت : عهدى بها الساعةَ وأنا أستحيى أن أرجع . فقال : لا بدّ من ذلك . فقلت له : فمتى عهدُك ببُثينة ؟ فقال : فى أوّل الصيف وقد وقعتْ سحابةٌ بأسفل وادى الدَّوْم[3] فخرجتْ ومعها جاريةٌ لها تغسل ثيابَها[4] ، فلما أبصرتنى ١٥

(١) الغرز: ركاب الرحل من جلد ، فاذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب . (٢) الكلام هنا ناقص . (٣) وادى الدوم : واد معترض من شمالى خيبر الى قبليها ، وهو يفصل بين خيبر والعوارض . (٤) فى جـ : « ثيابا » . ٢٠

أنكرتْنى ، فضربتْ بيديهـا الى ثوب فى المـاء فالتحفتْ به ، وعرفتْنى الجارية ، فأعادت الثوب فى المـاء ، وتحدّثنا حتى غابت الشمس . وسألتُها الموعد فقالت : أهلى سائرون ؛ وما وجدتُ أحدًا آمَنُه فأُرسلَه اليها . فقال له كُثَيِّر: فهل لك فى أن آتىَ الحىّ فأتنزّعَ[1] بأبياتٍ من شعرٍ أذكُرُ فيها هذه العَلامة إن لم أقدر على الخلْوة بها؟ . قال : ذلك الصوابُ ، فأرسله اليها ؛ فقال له : انتظرْنى . ثم خرج كثيِّر حتى أناخ بهم . فقال له أبوها : ما ردّكَ ؟ قال : ثلاثةُ أبياتٍ عرَضتْ لى فأحببتُ أن أعْرِضها عليكَ . قال : هاتِها . قال كثيِّر : فأنشدته وبُثَينةُ تسمع :

فقلتُ لها ياعزّ أَرسِـلُ صاحبِى * إليكِ رسـولًا والمُوكَّلُ مُرسَـلُ[2]
بأن تجعَـلى بَيْنِى و بَيْنَك موعِدًا * وأنْ تأمُرِينى ما ٱلذى فيه أفعلُ
وآخِرُ عهـدِى منـكِ يومَ لقيتِنِى * بأسفلِ وادى الدَّوْمِ والثوبُ يغسَلُ

قال : فضربتْ بُثَينة جانبَ خِدْرها وقالت : اِخسَأْ اِخسَأْ ! فقال أبوها : مَهْيَمْ[3] يا بُثَينة؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نوّم الناسُ من وراء الرّابية . ثم قالت للجارية : ابغِينا من الدَّوْماتِ حطبًا لنذبحَ لكثيِّر شاةً ونشوِيَها له . فقال كثيِّر : أنا أعجَلُ من ذلك . وراح الى جميلٍ فأخبره . فقال له جميل : الموعدُ الدَّوْماتُ . وقالت لأم الحسين وليلَى ونُجَيّـا بناتِ خالتِها وكانت قد أَنِسَتْ اليهنّ وٱطمأنّتْ بهنّ : إنى قد رأيتُ فى نحو نشيدِ كثيِّرٍ أن جميلًا معه . وخرج كثيِّر و جميلٌ حتى أتيَا الدَّوْماتِ ، وجاءت بُثَينة ومن معها ، فمـا برِحوا حتى بَرَق الصبحُ . فكان كثيِّر يقول : ما رأيت مجلسًا قطُّ أحسنَ من ذلك ولا مثل علمِ أحدهما بضمير الآخر! ما أدْرِى أيُّهما كان أفهمَ !

---

(١) تنزّع الشعر : تمثل به .

(٢) رواية الأمالى لأبى على القالى (ج ٣ ص ٢٣١ طبع دار الكتب المصرية) :
* على نأى دار والرسول موكـل *

(٣) مهيم : كلمة يمانية ومعناها : ما أمرك ، وما شأنك ، وما الذى أرى بك؟ ونحو هذا من الكلام .

وصف صالح بن حسان بيتا من شعره

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَد قال حدّثنا العُمَرىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ، وأخبرنى عمّى عن الكُرّانىّ عن العُمَرىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال قال لى صالح بن حَسّان :

هل تعرف بيتا نصفُه أعرابىٌّ فى شَمْلة[1] وآخرُه مخنَّثٌ من أهل العَقيق يتقصّف تقصُّفا ؟ قلتُ : لا . قال : قد أجّلْتُك حَوْلًا . قلتُ : لا أدْرِى ما هو ! فقال قولُ جميل :

* ألا أيّها النُّوّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا *

كأنه أعرابىّ فى شَمْلة . ثم أدركه ما يدرك العاشقَ فقال :

* أُسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحبُّ *

كأنه من كلام مُخنَّثِى العَقيق . ١٠

أهدر السلطان لأهل بثينة دمه إن لقيها وما كان منه بعد ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَيْر بن حَرْب قال أخبرنا عبد الله ابن أبى كَرِيم عن أبى عمرو و إسحاقَ بن مَرْوان[2] قال :

عشق جميلٌ بثينة وهو غلام ، فلما بلغ خطَبها فمُنع منها، فكان يقول فيها الأشعارَ، حتى اشتَهر وطُرد، فكان يأتيها سِرًّا ثم تزوّجت فكان يزورها فى بيت زوجها [فى الحين] خُفْية الى أن استُعمل دَجَاجةُ بن رِبْعِىّ على وادى القُرَى فشكَوْه اليه ١٥ فتقدّم اليه ألّا يُلِمَّ بأبياتها وأَهْدَر دمَه لهم إن عاود زيارتَها، فاحتَبس حينئذ .

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثنا أحمد بن أبى العَلاء قال حدّثنى إبراهيم الرَّمّاح قال حدّثنا جابر أبو العَلاء التَّنُوخىّ قال :

(١) كذا وردت هذه العبارة فى الأغانى فيا يأتى فى هذه الترجمة (ص ١١٨) . ووردت فى ب ، س هنا : « هل تعرف نصف بيت أعرابى فى شملة ونصف مخنث ... الخ » وفى سائر الأصول : « ... بيت أعرابى فى شملة ونصفه مخنث ... الخ » . (٢) لعله « قالا » . ٢٠

لما نذر أهلُ بُثَينة دمَ جميل وأهدَره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل ، فكان يَصْعَد بالليل على قُورِ رملٍ[1] يتنسّم الريحَ من نحو حَيّ بُثينة ويقول :

أيا ريحَ الشَّمالِ أما تَرَيْنِي * أَهِيمُ وأنّنى بادِى النُّحُولِ

هَبِى لى نَسْمةً من ريحِ بَثْنٍ * ومُنِّى بالمُبُوب الى جميـلِ

٥ وقولى يا بُثَينةُ حَسْبُ نَفْسِى * قليلُكِ أو أقـلُّ من القليل

فاذا بدا وَضَحُ الصبح انصرف . وكانت بثينة تقول لجَوَارٍ من الحَىّ عندها : وَيْحَكُنّ ! إنى لأسمع أَنِينَ جميل من بعض القِيرَانِ ! فيقلن لها : اتّقِى الله ! فهذا شىء يخيّله لك الشيطانُ لا حقيقةَ له .

تذاكر هو وكثير شعريهما فى العشق وبكيا

حدّثنى أحمد بن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنى أحمد بن يَعْلَى

١٠ قال حدّثنى سُوَيد بن عِصام قال حدّثنى رَوْح أبو نعيم[2] قال :

التقى جميلٌ وكثيرٌ فتذاكرا النَّسيب ، فقال كثيرٌ : يا جميل ، أترى بُثَينة لم تسمع بقولك :

يقيك جميـل كلَّ سُوءٍ ، أما له * لديكِ حديثٌ أو إليـكِ رسولُ

وقد قلتُ فى حبِّى لكم وصَبابتى * محاسن شـعرٍ ذِكْرُهنّ يطول

١٥ فان لم يكن قولى رضاكِ فعلِّمى * هُبوبَ الصَّبَا يا بَثْن كيف أقولُ

فما غاب عن عينى خيالُكِ لحظةً * ولا زال عنها ، والخيـالُ يَزُول

فقال جميل : أترى عَزّة يا كثيّر لم تسمع بقولك :

يقول العِدَا يا عَزّ قد حال دونكم * شُجاعٌ على ظهـر الطريق مُصَمِّمُ

فقلتُ لها والله لو كان دونكم * جهنّمُ ما راعتْ فؤادِى جهنّمُ

87 / 7

٢ (١) القور : الآكام الصغيرة ، واحدها قارة . (٢) فى حـ : « روح بن نعيم » .

وكيف يَرُوع القلبَ يا عزّ رائعٌ * ووجهك فى الظّلْماء للسَّفْر مَعْلَمُ
وماظلمتْك النفسُ ياعَزّ فى الهوى * فلا تَنقِمِى حبِّى فما فيــه مَنْقَمُ

قال : فبكيا قطعةً من الليل ثم آنصرفا .

واعد بثينة وعرف ذلك أهلها فلم تذهب

وقال الهيثم بن عدىّ ومن ذكر روايتَه معه من أصحابه :

زار جميلٌ بُثَينَةَ ذاتَ يومٍ، فنزل قريباً من المــاء يترصّد أَمَةً لها أو راعية، فلم يكن نزولُه بعيدًا من ورود أَمَة حبشيّة معها قِرْبةٌ[1]، وكانت به عارفةً وبمـا بينها و بينه . فسلّمتْ عليه وجلست معه، وجعل يحدّثها و يسألها عن أخبار بُثَيْنة ويحدّثها بخبره بعدها و يُحَمِّلُها رسائلَه . ثم أعطاها خاتَمه وسألها دَفْعَــه إلى بُثَينة وأَخْذَ موعدٍ عليها، ففعلتْ وآنصرفتْ الى أهلها وقد أبطأتْ عليهم . فلقيها أبو بُثَينة وزوجُها وأخوها فسألوها عما أَبْطأ بهــا ، فألتوتْ عليهم ولم تُخبرهم وتعلّلتْ، فضربوها ضربًا مبرِّحا، فأعلمتْهم حالَها مع جميل ودفعتْ اليهم خاتَمه . ومرّ بها فى تلك الحال فَتَيانِ من بنى عُذْرة فسمعا القصّة كلَّها وعرَفا الموضعَ الذى فيه جميل ، فأحبّا أن يُثَبِّطا عنه فقالا للقوم : إنكم إن لقيتُم جميلًا وليست بُثَينة معه ثم قتلتُموه لزمكم فى ذلك كلُّ مكروه، وأهلُ بُثَينة[2] أعزُّ عُذْرةَ، فدَعُوا الأَمَةَ تُوَصِّل خاتَمه إلى بُثَينة، فاذا زارها بيّتُّموهما جميعا ؛ قالوا : صدَقْتما لعَمْرى إنّ هذا الرأىُ . فدفعوا الخاتم إلى الأَمَة وأمروها بإيصاله وحذّروها أن[3] تُخبر بثينةَ بأنهم علِموا القِصّة، ففعلتْ. ولم تعلم بثينةُ بما جَرَى . ومضى الفَتَيانِ فأنذرا جميلًا ؛ فقال : واللهِ ما أَرْهَبهم، وإن فى كِنانتى ثلاثين سهمًا والله لا أخطأ كلٌّ واحد منهــا رجلًا منهم ، وهــذا سيفى والله ما أنا به رَعِشُ اليد ولا جَبَانُ الجَنَان . فناشداه اللهَ وقالا : البقيّة[4] أصلح، فتُقيم عنــدنا فى بيوتنا حتى

(١) فى الأصول : « لما » باللام . (٢) كذا فى جميع الأصول . والأحرى بهذه الجملة أن تكون : « وأهل جميل الخ » . (٣) فى الأصول : «وبأن» . (٤) البقية كالبقيا وهى أن تبقى على عدوّك ولا تستأصله .

يَهْدأ الطلب، ثم نبعثُ اليها فتزورُك وتَقْضِى من لقائها وَطَرًا وتنصرفُ سلمًا غير مُؤَبَّن[1]. فقال أمّا الآنَ فابعثا اليها من يُنْذِرها؛ فأتياه براعية لهما وقالا له: قُلْ بحاجتك؛ فقال: ادخلى اليها وقُولِى لها: إنى أردتُ اقتناصَ ظبى فحذّره ذلك جماعةٌ اعْتَوَرُوه من القُنّاص ففاتَنِى الليلةَ. فمضتْ فأعلمتْها ما قال لها؛ فعرفَتْ قصّته وبحثتْ عنها فعرفتْها؛ فلم تخرج لزيارته تلك الليلةَ ورصَدوها فلم تَبْرَحْ مكانَها ومَضَوْا يَقْتَصُّون أثَرَه فرأوْا بعرَ ناقته فعرفوا أنه قد فاتهم، فقال جميل فى ذلك:

خليلَىّ عُوجَا اليومَ حتى تسلِّمَا * على عَذْبَةِ الأنيابِ طيِّبةِ النَّشْرِ

أَلِمَّا بها ثم آشفَعا لى وسلِّمَا * عليها سقاها اللهُ من سَبَلِ[2] القَطْرِ[3]

* * *

إذا ما دَنَتْ زِدْتُ اشتياقًا وإن نأت * جَزِعْتُ لنَأْيِ الدار منها وللبُعْدِ

أَبَى القلبُ إلا حبَّ بَثْنةَ لم يُرِدْ * سِوَاها وحبُّ القلبِ بَثْنَةَ لا يُجْدِى

قال: وقال أيضا: ومن الناس من يُضيف هذه الأبياتَ الى هذه القصيدة؛ وفيها أبياتٌ معادةُ القَوافِى تدلّ على أنها مفردةٌ عنها، وهى:

أَلم تَسْأل الدارَ القديمةَ هل لها * بأُمّ جُسَيْرٍ بعد عهدكَ من عهد

وفيها يقول:

---

(١) غير مؤبن: غير معيب. يريد لم تصب بمكروه. وفى مختصر الأغانى: «غير موتور».

(٢) فى ب، س: «من سائغ القطر». (٣) كذا فى الأصول التى بين أيدينا. ويلاحظ أن الكلام ها هنا مقتضب، اذ لا اتصال بين الشعر الذى قافيته راء والشعر الذى قافيته دال. وورد فى مختصر الأغانى بعد هذين البيتين اللذين قافيتهما راء ثلاثة الأبيات الآتية، وهى من أبيات سيوردها المؤلف قريبا فى ص ١٥٠

ويوما بذكرى عند بثنة وانظرا * أترتاح يوما أم تهش الى ذكرى

هى البدر حسنا والنساء كواكب * وشتان ما بين الكواكب والبدر

لقد فضلت ليلى على الناس مثل ما * على ألف شهر فضلت ليلة القدر

صـــوت

سَلِي الرَّكْبَ هل عُجْنَا لِمَغْناكِ مَرّةً * صدورَ المطايا وهى مُوقَرةٌ تَخْدِى
وهل فاضتِ العينُ الشَّرُوقُ بمائها * مِنَ اجْلِكِ حتى اخْضَلَّ من دمعها بُرْدِى

— الغناء لأحمد بن المكيّ ثانى ثقيل بالوسطى :—

وإنّى لأَسْتَجْرِى لكِ الطيرَ جاهدًا * لتجرِى بيُمْنٍ من لقائكِ من سعد[1]
وإنّى لأَسْتَبْكِى إذا الركبُ غَرَّدُوا * بذكراكِ أن يحيا بكِ الركبُ إذ يَخْدِى[2]
فهل تَجْــزِيَنِّى أُمُّ عمــرٍو بودِّها * فإنّ الذى أُخْفِى بها فوقَ ما أُبْدِى
وكلُّ محبٍّ لم يَزِدْ فوقَ جَهْــدِه * وقد زدتُها فى الحبّ منّى على الجَهْدِ

قصته مع أم منظور وقد أبت عليه أن تريه إياها

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمر بن إبراهيم وغيره وبُهْلول بن سليمان البَلَوِىّ :

أنّ رهط بُثَينة ائتمنوا عليها عجوزًا منهم يَثِقُون بها يقال لها أُمّ منظور . فجاءها جميل فقال لهــا : يا أُمّ منظور ، أَرِينى بثينةَ . فقالت : لا ! واللهِ لا أفعل، قد ائتمنونى عليها . فقال : أمَا واللهِ لأَضُرَّنَّكِ، فقالت : المَضَرّةُ واللهِ فى أن أُرِيَكَها . فخرج من عندها وهو يقول :

ما أَنْسَ لا أَنْسَ منها نظرةً سَلَفَتْ * بالحِجْرِ[3] يومَ جَلَتْهــا أُمُّ منظــورِ
ولا انسِلَابَتَهــا[4] خُرْسًا جبائرُها * إلىَّ من ساقِطِ الأَرْواقِ[5] مستورِ

---

(١) لعله «أو سعد» . (٢) فى حـ : «اذ تخدى» . وفى م ، ء : «أو تحدى» . وفى ب ، سـ : «اذ تحدى» . (٣) الحجر : اسم موضع . (٤) كذا فى حـ ومختصر الأغانى : وانسلب فى الأصل : أسرع ، كأنه لسرعته يخرج من جلده ، وهو فى الأصل أكثر ما يستعمل فى الناقة . والجبائر : الأساور ، يريد تسللها اليه خفية فى سرعة . وفى سائر الأصول : «استلابتها» .
(٥) كذا فى حـ . والأرواق : الفساطيط . يقال : ضرب فلان روقه بموضع كذا اذا نزل به كما يقال : ضرب خيمته . وفى سائر الأصول : «الأوراق» وهو تحريف .

قال : فما كان إلّا قليلٌ حتى انتهى اليهم هذان البيتان . قال : فتعلّقوا بأُمّ منظور فحلَفتْ لهم بكلّ يمينٍ فلم يقبلوا منها . هكذا ذكَر الزُّبير بن بكّار فى خبر أمّ منظور، وقد ذُكر فيه غير ذلك .

استدعى مصعب أم منظور وسألها عن قصتها مع جميل و بثينة

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدّثنى العُمَرىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ، وأخبرنى به ابنُ أبى الأزهر عن حمّاد عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِىّ :

أن رجلا أنْشد مُصْعَبَ بنَ الزُّبير قولَ جميل :

ما أنْسَ لا أنسَ منها نظرةً سلفَتْ ... بالحِجْـر يومَ جَلَتْها أُمّ منظورِ

فقال : لوددْتُ أنّى عرفتُ كيف جلَتْها . فقيل له : إنّ أم منظور هذه حيّة . فكتب فى حَمْلها إليه مكرَّمة فحُملتْ اليه . فقال لها : أخبرينى عن قول جميل :

ما أنْسَ لا أنْسَ منها نظرةً سلفَتْ ... بالحِجْـر يومَ جلَتْها أُمّ منظورِ

كيف كانت هذه الجَلْوة ؟ قالت [1] : ألبستُها قِلادةَ بَلَح ومِخْنَقةَ بَلَح واسطتُها تفّاحةٌ، وضفرتُ شعرَها وجعلت فى فَرْقها شيئا من الخَلُوق . ومرّ بنا جميلٌ راكبًا ناقتَه فجعل ينظر اليها بمؤْخِر عينه و يلتفت اليها حتى غاب عنا . فقال لها مُصْعَب : فإنّى أُقسم عليك إلّا جَلَوْتِ عائشةَ بنت طَلْحة مثلَ ما جَلَوْتِ بثينةَ ، ففعلتْ . وركب مُصْعَبٌ ناقتَه وأقبل عليهما وجعل ينظُر الى عائشةَ بمؤْخِر عينِه و يسير حتى غاب عنهما ثم رجع .

زارها مرة متنكرا فى زى سائل

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى بُهْلول عن بعض مشايخه :

أنّ جميلًا جاء الى بُثينة ليلةً وقد أخذ ثيابَ راعٍ لبعض الحَىّ ، فوجد عندها ضِيفانًا لها، فانْتبَذ ناحيةً، فسألتْه : من أنت ؟ فقال : مسكينٌ مُكاتَبٌ [2] ، فجلس

(١) فى الأصول : «قال» وهو تحريف .
(٢) المكاتبة : أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه اليه منجما، فاذا أداه صار حرا .

وحده ، فعشّتْ ضِيفانَها وعشّته وحده . ثم جلستْ هى وجاريةٌ لها على صِلائهما واضطجع القومُ مُنْتَحِين . فقال جميلٌ :

واعدته مرة وأحس أهلها فنعوها فقال فى ذلك شعرا

هل البائسُ المَقرورُ دانٍ فَمُصْطَلٍ * من النار أو مُعْطًى لحافًا فلابسُ

فقالت لجاريتها : صوتُ جميلٍ والله! اذهبى فانظرى ! . فرجعتْ اليها فقالت : هو والله جميل ! فشهقت شَهْقةً سمعها القومُ فأقبلوا يجْرُون وقالوا مالكِ؟ فطرحتْ بُرْدًا لها من حِبَرَةٍ فى النار وقالت : آحترق بُرْدى، فرجع القومُ . وأرسلتْ جاريتَها الى جميل، فجاءتها به، فحبستْه عندها ثلاثَ ليالٍ، ثم سلّم عليها وخرج .

وقال الهيثم وأصحابه فى أخبارهم :

كانت بُثَينة قد واعدتْ جميلًا للالتقاء فى بعض المواضع، فأتى لوعْدها . وجاء أعرابىٌّ يَسْتضيف القومَ فأنزلوه وقَرَوْه ، فقال : لهم : إنى قد رأيت فى بطن هذا الوادى ثلاثةَ نَفَرٍ متفرّقين مُتَوارِينَ فى الشجر وأنا خائفٌ عليكم أن يَسُلُّوا[1] بعضَ إبلكم . فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحرَسوا بثينةَ ومنعوها من الوفاء بوعده . فلما أسْفَر له الصبحُ آنصرف كئيبًا سَيِّء الظنّ بها و رجَع الى أهله ، فجعل نساءُ الحىّ يُقَرِّعْنَه بذلك ويقلن له : إنما حصَلتَ منها على الباطل والكذب والغدر، وغيرُها أولى بوَصْلِك منها، كما أن غيرك يَحْظَى بها . فقال فى ذلك :

أبُثَين إنكِ قد مَلكْتِ فأسْجِحى * وخُذِى بحظِّكِ من كريمٍ واصلِ

صوت

فلرُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها * بالجِدّ تَخْلِطُه بقول الهازِلِ

فأجبتُها بالقول بعد تستُّرٍ * حُبِّى بثينةَ عن وصالكِ شاغلى

(١) السل : انتزاع الشىء واغتصابه .

لو كان فى قلبى كقَـدْر قُلامةٍ * فضلًا وصلتُك أو أتتْك رسائلى

— الغناء ليحيى المكّىّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من رواية أحمد —

ويَقُلْنَ أنكَ قد رضيتَ بباطلٍ * منها فهل لك فى آجتناب الباطلِ

ولباطـلٌ ممّن أحبُّ حديثَـه * أشهى إلىّ من البَغيض الباذلِ

٥ الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو. وذكر عمر أنه ليَزِيدَ حَوراء.

قصته مع بثينة وقد علم زوجها بمقامه معها وما قيل فى ذلك من الشعر

وذكر الهَيْثَم بن عَدِىّ وأصحابُه أن جماعةً من بنى عُذْرةَ حدّثوا أن جميلا رصـد بثينةَ ذاتَ ليلةٍ فى نُجْعةٍ لهم، حتى إذا صادف منها خَلْوةً سكر ودنا منها وذلك فى ليلةٍ ظلمـاءَ ذاتِ غَيم وريح ورعد، فحذَفها بحَصاةٍ فأصابتْ بعضَ أترابهـا، ففزِعتْ وقالت: والله ما حذَفَنى فى هذا الوقت بحصاةٍ إلا الجنُّ! فقالت لهـا بثينةُ وقد

١٠ فطِنتْ: إنّ جميلا فعل ذلك فانصرفى ناحيةً إلى منزلكِ حتى ننام، فانصرفتْ وبقيتْ مع بُثَينـةَ أمُّ الحُسَيْن وأمُّ منظور، فقامت إلى جميـل فأدخلته الخِباءَ معها وتحدّثا طويلا، ثم اضطجع واضطجعتْ إلى جَنْبه فذهَب النومُ بهما حتى أصبحا وجاءها غلامُ زوجِها بصَبُوح من اللبن بعث به إليها، فرآها نائمةً مع جَميل، فمضَى لوجهِه حتى خبّر سيِّدَه. ورأتْه ليْلَى والصَّبُوحُ معه وقد عَرفتْ خبرَ جميلٍ وبُثَينة

١٥ فاستوقفتْه كأنها تسأله عن حاله وبعثتْ بجارية لها وقالت حذِّرى بثينةَ وجميلًا، فجاءت الجاريةُ فنبّهتْهما. فلمـا تبيّنتْ بثينةُ الصبحَ قد أضاء والنـاسَ منتشرين آرتاعتْ وقالت: يا جميلُ! نفسَك نفسَك! فقد جاءنى غلامُ نُبَيه بصَبُوحى من اللبن فرآنا نائمين! فقال لها جميل وهو غير مكترثٍ لمـا خوّفتْه منه:

لعَمْرُكِ ما خوّفتِنى من مَخافـةٍ * بُثَينَ ولا حذّرْتِنى موضعَ الحَذَرْ

٢٠ فأُقسِمُ لا يُلْفَى لىَ اليومَ غِرّةٌ * وفى الكَفّ منّى صارمٌ قاطعٌ ذَكَرْ

٩٠/٧

فأقسمتْ عليه أن يُلْقِيَ نفسَه تحت النَّضَدِ[(١)] وقالت : إنمـا أسألك ذلك خوفاً على نفسى من الفضـيحة لا خوفا عليـك ، ففعل ذلك ونامت كما كانت ، وٱضطَجعتْ أمّ الحُسَير إلى جانبها وذهبتْ خادمُ لُبْنَى إليها فأخبرتْها الخبرَ فتركتِ العبدَ يمضى إلى سيِّده فمضَى والصَّبُوحُ معه وقال له : إنى رأيتُ بُثَينة مُضْطَجِعةً وجميلٌ إلى جَنبها. فجاء نُبَيـه الى أخيها وأبيها فأخذ بأيديهما وعرَّفهما الخبرَ وجاءوا بأجمعهم الى بُثينة وهى نائمة فكشَفوا عنها الثوبَ فاذا أمُّ الحُسَير الى جانبها نائمة . فخجِل زوجُها وسَبَّ عبدَه وقالت لُبْنَى لأخيها وأبيها : قبحكما اللهُ! أفى كلِّ يوم تَفْضَحان فَتاتَكما و يَلْقا كما هذا الأعور فيها بكلِّ قبيح ! قبحه اللهُ و إياكما ! وجعَلا يَسُبَّان زوجَها و يقولان له كلَّ قول قبيح . وأقام جميـلٌ عند بثينةَ حتى أَجَنَّه الليـلُ ثم وَدَّعها وٱنصرف . وحَذِرَتْهم بُثَينةُ لِمـا جَرَى من لقائه إيّاها فتَحامتْه مدّةً، فقال فى ذلك :

صـــــوت

أأن هتفتْ وَرْقاءُ ظَلْتَ سَـفَاهةً ❊ تُبَـكِّى على جُمْـلٍ لوَرْقاءَ تَهْتِفُ

فلو كان لى بالصرم يا صاح طاقةٌ ❊ صَرَمتُ ولكنِّى عن الصرم أضعُفُ

للهُذَلىّ فى هذين البيتين لحنانِ أحدهما ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبابة فى مجرى البِنْصَر عن إسحاق ، والآخر خفيفُ ثقيـلٍ بالوسطى عن عمرو ، وذكر غيرُه أنه لابن جامع . وفيه لِبَذْل الكُبْرَى خفيف ثقيـلٍ بالخنصر فى مجرى البنصر عن أحمد بن المكّى . ومما يغنَّى فيه من هذه القصيدة قولُه :

---

(١) النضد : متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض .

صــــوت

لهـا فى سَواد القلب بالحُبِّ مَيعةٌ(١) * هى الموتُ أو كادتْ على الموت تُشرِفُ

وما ذكرتْك النفسُ يا بَثْنَ مرّةً * من الدهر إلا كادتِ النفسُ تَتلَف

وإلّا اعـــترتْنى زَفْـــرةٌ واستكانةٌ * وجاد لهـا سَجْـلٌ من الدمع يَذْرِفُ

٥ وما استَطْرفتْ نفسى حديثاً لخُـلّةٍ * أُسَرُّ به إلا حديثُـــك أَطْــرَفُ

الغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى عن الهِشَامىّ . وأوّل هذه القصيدة :

٩١/٧

أمِنْ منزلٍ قَفْرٍ تَعفَّتْ رُسومَه * شَمَالٌ تُغَادِيه ونَكْباءُ(٢) حَرْجَفُ

فأصبح قَفْراً بعــد ما كان آهِــلًا * وجُمْـلُ المُـنَى تَشْتُو به وتَصِيفُ

ظَلِلتُ ومُسْتَنٌّ(٣) من الدمع هامِلٌ * من العـينِ لمـا عُجْتُ بالدّارِ يَنْزِفُ

١٠ أمُنْصِفَتِى جُمْـــلٌ فتَعْــدِلَ بيننَـا * إذا حكمتْ والحاكمُ العَـدْلُ يُنصِفُ

تعلّقتُهـا والجسمُ مِـنّى مصحَّحٌ * فما زال يَنْمِى حُبُّ جُمْـلٍ وأضعُفُ

إلى اليومِ حتى سَلَّ جسمِى وشَفَّنى * وأنكرتُ من نفسى الذى كنتُ أعرِفُ

قَنَاةٌ من المُرّان(٤) ما فوقَ حَقْوِها * وما تحتَــه منها نَقًـا يتقصَّفُ

لهـا مُقْلَتا رِيمٍ وجِيــدُ جِــدَايةٍ(٥) * وكَشْحٌ كطَىِّ السَّـابِرِيّة(٦) أهيَفُ

١٥ ولستُ بنـاسٍ أهلَهـا حينَ أقبَلُوا * وجَالُوا علينـا بالســيوفِ وطَوّفُوا

(١) كذا فى منتهى الطلب فى أشعار العــرب نسخة مخطوطة محفوظة بالدار (تحت رقم ٥٣ أدب ش) وفى الأصول : «منعة» بالنون . (٢) النكباء : الريح التى انحرفت عن مهب الرياح القوّم ووقعت بين مهب ريحين أو بين الصبا والشمال . والحرجف : الباردة الشديدة الهبوب .

(٣) مستن : منصب . (٤) رواية منتهى الطلب : «صيود كغصن البان ما فوق حقوها»

٢٠ والمران . الرماح . (٥) الجداية : الذكر والأنثى من أولاد الظباء اذا بلغت ستة أشهر .

(٦) السابرى : الرقيق من الثياب ، وهو أيضا الدرع الدقيقة النسج .

وقالوا جَمِيلٌ بات فى الحَىّ عندها * وقــد جَرّدوا أسيافَهم ثم وَقَّفُوا
وفى البيت لَيْثُ الغـابِ لولا مَخَافةٌ * على نفس جُمْــلٍ والالٰهِ لأُرْعِفُوا[1]
هَمَمْتُ وقد كادتْ مِرَارًا تطلَّعتْ * الى حَرْبِهم نفسى وفى الكفّ مُرْهَفُ
وما سَرَّنى غيرُ الذى كان منهـمُ * ومنّى وقــد جاءوا الىّ وأَوْجَفُوا
فكم مُرْتَجٍ أمرًا أُتيح له الرَّدَى * ومن خائفٍ لم يَنْتَقِصْــه التخوُّفُ

له بيت كان نصفه أعرابى ونصفه مخنث

حدّثنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرِىّ، وأخبرنا محمد بن العباس اليَزِيدىّ قال حدّثنا الخَلِيل بن أَسَــد قال حدّثنا العُمَرِىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال، قال لى صالح بن حَسان :

هل تعرف بيتا نصفُه أعرابىٌّ فى شَمْلة وآخِرُه مخنَّث يتفكَّكُ من مخنّثِى العَقِيق؟ فقلتُ : لا أَدْرى . قال : قد أجَّلْتُك فيه حَوْلًا . فقلت : لو أجَّلتَنِى حولين ما علمتُ . قال : قولُ جميل :

* ألا أيُّها النُّــوّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّــوا *

هذا أعرابىٌّ فى شَمْلة . ثم قال :

* نسائلُكم هل يقتُــل الرجلَ الحُبُّ *

كأنه واللهِ من مخنّثِى العَقِيق . فى هذا الشعر غناء، نسبتُه وشَرْحُه :

صـــوت

ألا أيُّها النُّــوّام وَيْحَكُمُ هُبُّوا * نسائلُكم هــل يقتُل الرجلَ الحُبُّ
ألا رُبَّ رَكْبٍ قد دفَعتُ وَجِيفَهم[2] * اليكِ ولولا أنتِ لم يُوجِفِ الرَّكْبُ

(١) أرعفه : أعجله .
(٢) الوجيف : سرعة السير .

الغناء لابن مُحرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسَّبابة والوُسْطَى عن يحيى المكى ، وذكره إسحاق فى هـذه الطريقة ولم يَنْسُبه إلى أحد . وفيه لسُلَيم ما خُورِىٌّ عن الهشامىّ . وفيه لمالك ثانى ثقيلٍ بالسَّبابة فى مَجْرَى الوسطى عن إسحاق، وقيل : إنه لمَعْبَد . وفيه لعَرِيبَ هَزَجٌ من رواية ابن المعتزّ . وذكر عبد الله بن موسى أن لحن مالك من

٥ الثقيل الأوّل وأن خفيف الرَّمَل لابن سُرَيج وأن الهزج لحَمْدونةَ بنتِ الرَّشيد .

جفا بثينة لما علقت جنة الهلالى

أخبرنا الحُسَين بن يحيى المِرْدامِىّ قال أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب ابن عَبَايةَ المُحْرِزىّ عن شيخ من رَهْطِ جميلٍ من عُذْرةَ :

أن بُثينة لما عَلِقتْ حُجْنــةَ الهلالىّ جَفَاها جميلٌ . قال : وأنشدنى لجميلٍ فى ذلك :

١٠ صـــوت

٩٢/٧

بَيْنا حِبالٌ ذاتُ عَقْــدٍ لبُثْنةٍ * أُتيحَ لها بعضُ الغُواة فحَلَّها

فعُدْنا كأنّا لم يكن بيننا هَوًى * وصار الذى حَلّ الحِبالَ هَوًى لها

وقالوا نَراها يا جميــلُ تبدَّلتْ * وغَيَّرها الواشى فقلتُ لعلَّها

الغناء للهُذَلىّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى الوسطى . وذكره إسحاق فى هذه

١٥ الطريقة والإصبَع ولم ينسُبْه الى أحد .

تمثل الفريق بشعر له يعرض فيه بفتى من آل عثمان

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا أبو عَوْف عن عبد الرحمن بن مُقَرِّن قال :

بَعَثنى المنصور لأبتاع له جاريةً من المدينة وقال لى : اعمَلْ برأى ابن نُفَيس؛ فكنتُ أفعل ذلك، وأغشى ابنَه ، وكانت له جارية مغنِّية قد كَلِف بها فتًى من

آل عثمانَ بن عَفّان، فكان يبيع عُقْدةً(١) عقدة من ماله وينفق ثمنها عليها . وآبتُلِي برجل من أهل إفْرِيقِيَّةَ ومعــه آبن له ، فغَشِيَ آبنُ الإفْرِيقِيّ بيتَ آبن تُقَيْس بجعــل يَكسو الجاريةَ وأهلَها ويَبَرُّهم حتى حَظِيَ عندهم وغَلَب عليهم وتثاقلوا العثمانيَّ . فقُضِيَ أن آجتمعْنا عشيّةً عندها وحضر آبنُ الإفريقيّ والعثمانيُّ ، فنزع آبنُ الإفريقيّ خُفَّه فتناثر المِسْكُ منــه ، وأراد العثمانيُّ أن يَكيدَه بفعله . فجلســنا ساعةً ، فقال لهــا آبن الإفريقيّ : غنِّي :

بِنْتا حِبالٍ ذاتُ عَقْدٍ لبَثْنةٍ * أُتيح لها بعضُ الغُواة فحَلَّها

يعرِّض بالعثمانيّ . فقال لها العثمانيّ : لا حاجة لنا فى هذا ، ولكن غنِّي :

ومن يَرْعَ نَجْدًا يُلْفِنِي قد رَعَيْته * بجَنْبيته(٢) الأولى ويُورِدْ على وِرْدِي

قال : فنكس آبنُ الإفريقيّ رأسه وخرج العثمانيُّ فذهب ، وحَمِــدَ أهلُ البيت فمــا آنتفعوا بقيّةَ يومهم . ١٠

شعره حين زوّجت بثينة نبيها

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمَّلي وبُهْلُول ابن سليمانَ البَلَوِيّ :

أن جميلا قال لمــا زُوِّجتْ بُثَيْنةُ نُبَيهًا :

صــــوت ١٥

أَلَا نادِ عِيــرًا(٣) من بُثَيْنــةَ تَرْتَمِي * نودِّعْ على شَحْط النَّــوَى ونُوَدَّعِ
وحُثُّوا على جَمْع الرِّكابِ وقَرِّبوا * جِمــالًا ونُوقًا جِــلَّةً لم تَضَعْضَعِ

فى هذين البيتين رَمَلٌ لآبن سُرَيْج عن الهِشَامِيّ . ومما يغنَّى فيه من هذه القصيدة :

(١) العقدة : الضيعة . (٢) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « بجنبه » .
(٣) العير : القافلة . ٢٠

صـــوت

أعيذُكِ بالرحمن من عَيْشِ شِقْوةٍ * وأن تَطْمَعِي يومًا إلى غير مَطْمَعِ

اذا ما آبْنُ ملعونٍ تَحَــدَّرَ رَشْحُهُ * عليكِ فمُوتِي بعــد ذلك أودَعِي

مَلِلْنَ ولم أَمْلَلْ وما كنتُ سائمًا * لأجمال سُعْدَى ما أَنَخْنَ بجَعْجَعِ[1]

٥ وحَثُّوا على جَمْعِ الرِّكابِ وقرّبوا * جِمالًا ونُوقًا جِــلَّةً لم تَضَعْضَعِ

أَلَا قــد أرَى إلّا بُثَيْنــةَ هاهنا * لنــا بعد ذا المُصْطافِ والمتربَّعِ

لمَعْبد فى الثالث والرابع من هذه الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالخِنْصَر فى مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن سُرَيج فى الأوّل والثانى والخامس خفيفُ رمَلٍ بالبنصر عن عمرو . وللأَبْجَر فى الأوّل والخامس والثــالث والرابع رَمَلٌ بالبِنْصَر . وفى الأوّل والثــانى

١٠ خفيفُ ثقيلٍ يُنْسَب الى معبد وغيره، ولم تُعْرَف صحّتُه من جهةٍ يُوثَق بها .

٩٣ / ٧

شعره لما أبعده السلطان عن بثينة

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال أنشدنا بُهْلُول بن سليمان لجَميل لمـا بعُد عن بُثَينةَ وخاف السلطانَ، وكان بُهلولٌ يُعْجَب به، :

أَلَا قد أَرَى إلا بُثَينــةَ للقلبِ * بِوادِى بَدًّا[2] لا بِحِسْمَى ولا الشَّغْبِ

ولا بِبُصَاقٍ[3] قد تَيَمَّمْتَ فاعترِفْ * لمـا أنت لاقٍ أو تَنَكَّبْ عن الرَّكْبِ

١٥ أفى كلِّ يومٍ أنت مُحْدِثُ صَبْوةٍ * تموت لها بُدِّلْتُ غيرَكَ من قلبِ

---

(١) جعجع : موضع بعينه ، وهو فى الأصل المطامن من الأرض ، وهو أيضا المكان الخشن الغليظ .

(٢) بدا : موضع بوادى عذرة قرب الشام . وحسمى (بكسر أوله) : موضع وراء وادى القرى مما يلى بلاد فلسطين من أرض الشام . وشغب : ضيعة خلف وادى القرى . (٣) كذا فى نسخة الشنقيطى مصححة بقلمه وتقويم البلدان . وبصاق : موضع قريب من مكة ، كما قال ابن دريد . وقال

٢٠ ابن حبيب : هو جبل بين أيلة والتيه . وفى جميع النسخ : « براق » .

حديث عبد الملك معها عن عشق جميل لها

أخبرنا الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا أبى عن يعقوب بن محمد الزُّهْرِىّ عن سليمانَ بن صَخْر الحَرَشِىّ قال حدّثنا سليمان بن زِياد الثَّقَفِى :

أن بُثَينة دخلتْ على عبد الملك بن مَرْوان . فرأى امرأةً خَلْفاءَ(١) مولِّيَة ؛ فقال لها : ما الذى رَأَى فيك جميلٌ؟ قالت : الذى رَأَى فيكَ الناسُ حين ٱستخلفوك . فضحك عبد الملك حتى بَدَتْ له سِنٌّ سَوْداءُ كان يسترُها .

شعره فى جمله "جديل"

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمر بن إبراهيم العَوْبِثِىّ :

أن جَمَل جميلٍ الذى كان يزور عليه بثينةَ يقال له "جَديل" وفيه يقول :

أَنَخْتُ جَدِيلًا عنـــد بَثْنَةَ ليـلةً * ويومًا أطال اللهُ رَغْمَ جـــدِيل

أليس مُنَاخُ النِّضْـوِ يومًا وليـــلةً * لبَثْنـــةَ فيما بيننـا بقليـلِ؟

مهاجاته قومها بنى الأحب وإهدار السلطان لهم دمه

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعِىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أبو غسّان محمد بن يحيى المَكّى : ١٠

أنّ جميلا لمـا ٱشتهرتْ بثينةُ بحبّـه إياها اعترضـه عُبَيد الله بن قُطْبــةَ أحد بنى الأَحَبِّ وهو من رَهْطِها الأَدْنَيْنَ فهجاه؛ و بلغ ذلك جَميلًا فأجابه، وتطاولا فغلبه جميل وكَفّ عنه ٱبن قُطْبة، وٱعترضه عُمَير بن رَمْل (رجلٌ من بَنِى الأَحَبّ) فهجاه . وإياه عَنَى جميلٌ بقوله : ١٥

إذا الناسُ هابُوا خِزْيَةً ذهبتْ بها(٢) * أَحَبُّ المَخَازِى كَهْلُها ووَلِيدُها

لَعَمْرُ عَجُـــوزٍ طَرَقَتْ بِكَ(٣) إننى * عُمَـيرَ بنَ رَمْلٍ لَٱبنُ حَرْبٍ أَقُودُها

بَنَفْسِى فلا تَقْطَعْ فؤادَكَ ضَـــلَّةً * كذلك حَزْنِى وَعْثُها وصَعُودُها

---

(١) الخلفاء : الحمقاء . (٢) يريد : أخذتها واستمسكت بها . (٣) يريد : حلت بك . يقال : طرقت الناقة والمرأة وكل حامل بولدها اذا نشب فى بطنها ولم يسهل خروجه . ٢٠

قال : فآستعدوا عليه عامر بن ربعي بن دجاجة، وكانت اليه بلاد عذرة، وقالوا : يهجونا ويغشى بيوتنا وينسب بنسائنا! فأباحهم دمه، وطلب فهرب منه. وغضبت بثينة لهجائه أهلها جميعا . فقال جميل :

وما صائب من نابل[1] قذفت به * يد وممر[2] العقدتين وثيق
له من خوافي النسر حم نظائر[3] * ونصل كنصل الزاعبي[4] فتيق
على نبعة[5] زوراء أما خطامها * فمتن وأما عودها فعتيق
بأوشك قتلا منك يوم رميتني * نوافذ لم تظهر لهن خروق
تفرق أهلانا بثين فمنهم * فريق أقاموا وآستمر فريق
فلو كنت خوارا لقد باح مضمري[6] * ولكنني صلب القناة عريق
كأن لم نحارب يا بثين لو انه * تكشف غماها وأنت صديق

قال ويدل على طلب عامر بن ربعي إياه قوله :

أضر بأخفاف البغيلة أنها * حذار آبن ربعي بهن رجوم[7]

لما أهدر دمه هرب الى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر الى الشأم

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن عبدالله الحزنبل الأصبهاني قال حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال حدثني بعض رواة عذرة :

(١) كذا في الكامل للمبرد ص ٤٢ طبع أوربا . وفي الأصول : «نائل» . (٢) ممر العقدتين يعني وترا . والمر : الشديد الفتل . (٣) لعله يريد ريشات سودا متشابهة . وفي حـ : «جم نظائر» . وفي سائر الأصول : «جم نظاير» . (٤) الزاعبي من الرماح : الذي اذا هز تدافع كله كأن آخره يجري في مقدمه . أو الى زاعب رجل أو بلد . والفتيق : الحاد الرقيق . (٥) النبع : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي؛ وأكرم القسي ما كان من النبع . وزوراء : معوجة ، وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى . وخطام القوس : وترها . ومتن : قوي . وعتيق : قديم . (٦) كذا في ب، س . وفي سائر الأصول : «ميسي» بالياء المثناة . ولعله «ميسي» بالباء الموحدة . (٧) الرجوم : اضطرام العدو أي شدة السير .

أن السلطان أَهدر دمَ جَميلٍ لرَهْط بُثَينة إن وجدوه قد غَشِى دُورَهم . فحذرهم مدّة، ثم وجدوه عندها، فأَعْذَروا اليه وتوعَّدوه وكرِهوا أن يَنْشَب بينهم وبين قومه حربٌ فى دمه، وكان قومُه أعز من قومها، فأعادوا شكواه إلى السلطان، فطلبه طلبا شديدا، فهرب الى اليمن فأقام بها مدّة . وأنشدنى له فى ذلك :

أَلَمَّ خَيالٌ من بُثَينةَ طارقُ * على النَّأْيِ مُشْتاقٌ الىّ وشائقُ
سَرَتْ من تِلاعِ الحِجْرِ حتى تخلَّصتْ * إلىّ ودُونى الأَشْعَرُون(١) وغافِقُ
كأنّ فَتِيتَ المسك خالط نَشْرَها * تُغَلُّ(٢) به أَرْدانُها والمَرافِقُ
تقوم اذا قامت به عن فِراشها * ويَغْدُو به من حِضْنها من تُعانِقُ

قال أبو عمرو وحدّثنى هذا العُذْرىّ :

أنّ جميلا لم يزلْ باليمن حتى عُزِل ذلك الوالى عنهم، وانتجعوا ناحيةَ الشأم فرحَل اليهم . قال : فلقيتُه فسألتُه عما أَحْدث بعدى، فأنشدنى :

سَقَى منزِلَينا يا بُثَينَ بحاجِرٍ * على الهَجْرِ منّا صَيِّفٌ ورَبِيعُ
ودُورَكِ يا لَيْلَى وإن كُنّ بَعْدنا * بَلِينَ بِلًى لم تَبْلَهُنّ رُبوعُ
وخَيْماتِك اللاتى بمُنعرَجِ اللِّوَى * لقُمْرِيِّها بالمَشْرِقَين سَجِيعُ(٣)
تُزَعْزِعُ(٤) منها الريحُ كلَّ عشيّة * هَزِيمٌ بسُلّافِ الرياح رَجِيعُ

(١) الأشعرون : جمع أشعرى، نسبة الى الأشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، تخفف ياء النسب فتحذف فى الجمع . (راجع القاموس وشرحه مادة شعر) . وشائق : قبيلة . (٢) غل الدهن فى رأسه وفى ثوبه : أدخله فيه . (٣) لم يرد هذا المصدر فى معجمات اللغة التى بين أيدينا، مع أن "فعيلا" كثير وروده فى الأصوات . والموجود فى كتب اللغة "سجوع" جمع "سجع" بالفتح، كما قال ابن جنى . (راجع اللسان مادة سجع) . (٤) زعزعت الريح الشجر ونحوه : حركته . والهزيم : صوت الرعد، والمراد الصوت الشديد . وسلاف الرياح (كما وردت فى ب، س) : متقدماتها، والواحد سالف وسالفة . وقد وردت هذه الكلمة فى بعض الأصول الخطية : «بسدوف الرياح» وفى بعضها : «بسدف الرياح» . ورجيع : مردّد، وهو نعت لهزيم .

وإنّى أن يَعْلَى بك اللّومُ أو تُرَى * بدارِ أذّى من شامتٍ لجَزُوعُ
وإنّى على الشىء الذى يُلتوَى به * وإن زَجَرتْنى زَجرةً لَوَرِيعُ[1]
فَقَدْتُك من نَفْسٍ شَعَاعٍ فإنّنى * نَهيتُك عن هذا وأنتِ جميعُ
فقرّبتِ لى غيرَ القريبِ وأشرفتْ * هناكَ ثَنَايَا ما لهنّ طُلُوعُ
٥ يقولون صَبٌّ بالغَوانِى مُوَكَّلٌ * وهل ذاك من فعل الرجال بَديعُ!
وقالوا رعيتَ اللَّهْوَ والمالُ ضائعٌ * فكالناسِ فيهم صالحٌ ومُضيعُ

الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشامىّ وابن خُرْدَاذْبَهْ وإبراهيم . وذكر حَبَشٌ أنّ فى هذه الأبيات لإسحاقَ لحنًا من الثقيل بالوسطى ؛ ولم يذكر هذا أحد غيره ولا سمعناه ولا قرأناه إلا فى كتابه . ومن الناس من يُدخل هذه الأبيات
١٠ فى قصيدة المجنون التى على رَوِىّ وقافيةِ هذه القصيدة، وليست له .

أنشد كثير من شعره وقال هو أشعر الناس

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمِلىّ[2] عن أبى عُبيدة عن أبيه قال :

٩٥/٧

دخل علينا كُثَيّر يوماً وقد أخذ بطَرَف رَيْطَته وألقى طرَفَها الآخر وهو يقول: هو والله أشعرُ الناس حيث يقول :

١٥ وخَبَّرْ تُمانِى أنّ تَيْماء منزلٌ * لليلَى اذا ما الصَّيْفُ ألقَى المَرَاسِيَا
فهذى شهورُ الصيفِ عنّى قد انقضتْ * فما للنّوَى ترمى بليلَى المَرَامِيَا

ويجُرّ رَيْطتَه حتى يبلغَ الينا ، ثم يولّى عنّا ويجُرّها ويقول : هو والله أشعر الناس حيث يقول :

(١) ورِيع : كافّ . (٢) كذا فيما تقدم فى جميع الأصول فى الجزء الرابع ص ١٢٣
٢٠ (راجع الحاشية رقم ١ فى هذه الصفحة) . وفى جميع الأصول هنا : « الموصلى » .

وأنتِ التى إن شئتِ كدَّرتِ عيشتى * وإن شئتِ بعد الله أنعمتِ باليَا
وأنتِ التى ما مِنْ صديقٍ ولا عِدًا * يَرَى نِضْوَ ما أبقيتِ إلّا رَثَى لِيَا

ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أشعر الناس . فقلنا : مَنْ تَعْنِى يا أبا صخر؟ فقال: ومَنْ أعنى سِوَى جميل! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا ! . وتَيْماءُ خاصّةً: منزلٌ لبنى عُذْرة، وليس من منازل عامر؛ وإنما يَرْويه عن المجنون مَنْ لا يعلمه .

وفى هذه القصيدة يقول جميل :

وما زِلْتُمُ يابُثْنَ حتّى لَوَ انّنى * من الشوق أستبكى الحمامَ بَكَى ليا
إذا خَدِرتْ رجلى وقيل شفاؤها * دعاءُ حبيبٍ كنتِ أنتِ دُعَائِيا
وما زادنى النّأْىُ المُفَرِّق بعدَكم * سُلُوًّا ولا طولُ التلاقى تَقَالِيا[1]
ولا زادنى الواشــون إلّا صَبابةً * ولا كثرةُ الناهين إلا تمَادِيا
ألم تعلمى يا عَذْبةَ الرِّيقِ أنّنى * أَظَلُّ إذا لم أَلْقَ وجهَك صادِيا
لقد خِفْتُ أنْ أَلقَى المنيّةَ بَغْتةً * وفى النفس حاجاتٌ إليك كما هيا

أخبرنا الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى بعض أصحابنا عن محمد بن مَعْن الغِفَارىّ عن الأَصْبَغ بن عبد العزيز قال :

كنت عند طَلْحة بن عبد الله بن عَوْف؛ فدخل عليه كُثَيِّر؛ فلما دخل من الباب أخذ بِرجْله فثنَاها ثم حجَل حتى بلَغ الفِراشَ وهو يقول : جميلٌ والله أشعر العرب حيث يقول :

* وخَبَّرتُمانى أنّ تَيْماءَ منزلٌ *

ثم ذكر باقىَ الخبر الذى رواه محمد بن مَزْيَد .

(١) فى منتهى الطلب : «ولا طول اجتماع تقاليا» .

يوم ذي ضال

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني عمر بن إبراهيم السَّعْديّ .
أنّ رهط بُثَينة قالوا إنما يَتْبَعُ جميلٌ أَمَةً لنا . فواعد جميلٌ بُثينةَ حين لقيها بِبَرْقاء
ذي ضَال ، فتحادثا ليلاً طويلاً حتى أَسْحَرا[1] . ثم قال لها : هل لكِ أن ترقُدى ؟
قالت : ما شئتَ ، وأنا خائفةٌ أن نكون قد أصبحْنا . فوسّدها جانبَه ثم اضطجعا
٥ ونامت ، فانسلّ واستوى على راحلته فذهب ، وأصبحتْ في مَضْجَعها ، فلم يَرُع الحيَّ
إلّا بها راقدةً عند مُناخ راحلة جميل . فقال جميل في ذلك :

فَمَنْ يَكُ في حُبِّ بُثَيْنَةَ يَمْتَرِي * فَبَرْقاءُ ذي ضالٍ عليَّ شهيدُ

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن شَبِيب عن الحِزَامى عن فُلَيح بن إسماعيل
بمثل هذه القصة ، وزاد فيها : فلما انتبهتْ بثينةُ علمت ما أراده جميل بها ، فهجرتْه
١٠ وآلتْ ألّا تَظْهَرَ له ، فقال :

٩٦/٧

ألا هل إلى إلمامةٍ أن أُلِمَّها * بُثَيْنَةُ يوماً في الحياةِ سبيلُ؟
فإن هي قالتْ لا سبيلَ فقُلْ لها * عَنَاءٌ على العُذْرِيّ منكِ طويلُ
على حين يسلوالناسُ عن طَلَبِ الصِّبَا * ويَنسَى اتّبَاعَ الوصلِ منه خليلُ

شكاه أهلها الى قومه فلاموه، وشعره في ذلك

وقال الهيثم وأصحابُه في أخبارهم :
١٥ تَشَكَّى زوج بُثَيْنَةَ الى أبيها وأخيها إلمامَ جميل بها . فوجّهوا الى جميل وأعذروا
اليه وشَكَوْه إلى عَشِيرته وأعذروا إليهم فيه وتوعّدوه ، وأتاهم فلامه أهلُه وعنّفوه
وقالوا : إنّا نَسْتحلِفُ إليهم ونتبرّأ منك ومن جَرِيرتك . فأقام مدّة لا يُلِمّ بها ، ثم لقى
ابنَيْ عمّه رَوْقاً ومسعوداً ، فشكا اليهما ما به وأنشدهما قولَه :

وإنّي على الشيء الذي يُلْتَوَى به * وإنْ زَجَرَتْنِي زَجْرَةً لَوَرِيعُ

٢٠ [1] في الأصول : «أسحر» بدون ألف التثنية . والإسحار : الدخول في وقت السحر .

فقَـدْتُك من نَفْسٍ شَعَاعٍ فإننى * نهيتُك عن هـذا وأنتِ جميـعُ
فقرّبْتِ لى غيرَ القريب وأشرفتْ * هنـاك ثَنَايَا ما لهنّ طُلُوعُ
يقولون صَبٌّ بالغَوانى مُوَكَّلٌ * وهل ذاك من فعل الرجال بديعُ
وقالوا رَعَيْتَ اللّهْوَ والمـالُ ضائعٌ * فكالنّاس فيهـم صالحٌ ومُضِيعُ

تمثـل محمد بن عبد الله بن حسن بشعره لزوجته

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنى مُصْعَب بن عبد الله قال :

كانت تحت محمد بن عبد الله بن حسن امرأة من ولد الزُّبير يقال لها فُلَيْحة، وكانت لها صبيّةٌ يقال لها رخية، قد ربّتْها لغير رِشْدة، وكانت من أجمل النساء وجهًا . فرأتْ محمدًا وقد نظر اليها ذاتَ يوم نظرًا شديدا، ثم تمثّل قولَ جميل :

١٠ بُثَيْنـةُ من صِنْفٍ يُقلّبْنَ أيدىَ الرُّماة وما يَحْمِلْنَ قوسًا ولا نَبْـلَا
ولكنّما يَظْفَرْنَ بالصـيد كلّما * جَلَوْنَ الثّنايا الغُرَّ والأعيُنَ النُّجْلَا
يُخالِسْنَ ميعادًا يُرَعْنَ لقولها(١) * إذا نطقتْ كانت مقالتُها فَصْلَا
يَرَيْنَ قريبًا بيتَها وهى لا تَرَى * سوى بيتها بيتًا قريبًا ولا سَهْلَا

فقالت له فُلَيْحة : كأنك تريد رخيّة ! قال : إى والله ! قالت : إنّى أخشى أن تجىء منك بولد وهى لغير رِشْدة . فقال لها : إنّ الدَّنَس لا يَلْحَق الأعقاب ولا يضرُّ الأحساب . فقالت له : فما يضرُّ إذًا! والله ما يضرّ إلا الأعقاب والأحساب، وقد وهبتُها لك . فسُرّ بذلك وقال : أمَا والله لقد أعطيتُك خيرًا منها . قالت : وما هو ؟ قال : أبيات جميلٍ التى أنشدتُك إيّاها ؛ لقد مكثتُ أسعَى فى طلبها حَوْلَيْن . فضَحِكتْ وقالت : مالى ولأبياتِ جميلٍ! والله ما ابتغيتُ إلا مَسَرّتك .

(١) هذا الشطر هكذا فى الأصول .

قال : فولدتْ منه غلامًا . وكانت فُلَيحةُ تدعو الله ألّا يُبقيَه . فبينا محمدٌ فى بعض هَرَبِهِ من المنصور والجاريةُ وآبنُها معه إذ رَهِقهما الطلبُ، فسقط الصبيّ من الجبل فتقطّع . فكان محمد بعد ذلك يقول : أُجيب فى هذا الصبى دعاءُ فُلَيحة .

نصح أبوه له فردّ عليه ردا أبكاه وأبكى الحاضرين، وشعره فى ذلك

٩٧/٧

وقال الهَيْثَم بن عَدِىّ وأصحابُه فى أخبارهم :

لمّا نذَر أهلُ بُثَيْنة دمَ جميل وأباحهم السلطانُ قتلَه، أَعْذَرُوا الى أهله . وكانت منازلهم متجاورة ، إنما هم بُيُوتاتٌ يفترقون كما يفترق البطونُ والأفخاذ والقبائل غيرَ متباعدين؛ ألم تَرَ الى قول جميل :

أَبِيتُ مع الهُلّاكِ[1] ضَيفًا لأهلها * وأَهْلى قريبٌ مُوسِعونَ أُولُو فَضْلِ

فمشتْ مَشْيَخةُ الحىّ الى أبيه — وكان يُلَقَّب صُبَاحا وكان ذا مالٍ وفضل وقَدْر فى أهله — فشكَوْه اليه وناشدوه اللهَ والرَّحِمَ وسألوه كَفَّ آبنه عمّا يتعرّض له ويفضَحهم به فى فَتَاتهم ؛ فوعدهم كَفَّه ومَنْعَه ما آستطاع، ثم آنصرفوا . فدعا به فقال له : يا بُنَىّ! حتى متى أنت عَمِهٌ فى ضلالك، لا تأنَف من أن تتعلّق بذات بَعْل يخلو بها وينكحها وأنت عنها بمَعْزِل ثم تقوم من تحته إليك فتغُرُّك بخداعها وتُرِيك الصفاءَ والمودّة وهى مُضْمِرةٌ لبعلها ما تُضمره الحُرّة لمن مَلَكها ، فيكون قولُها لك تعليلًا وغرورا ، فاذا آنصرفتَ عنها عادتْ الى بَعْلها على حالتها المبذولة؛ إن هذا لَذُلٌّ وضَيْمٌ! ما أعرف أخيبَ سَهْمًا ولا أضيعَ عُمْرًا منك . فأَنْشُدُك اللهَ إلا كففتَ وتأملتَ أمرَك؛ فإنك تعلم أنّ ما قلتُه حقٌّ، ولو كان اليها سبيلٌ لبذلتُ ما أملكه فيها، ولكنّ هذا أمر قد فات وآستبدّ به مَنْ قُدِّر له، وفى النساء عِوَضٌ . فقال له جميل : الرأىُ ما رأيتَ ، والقولُ كما قلتَ؛ فهل رأيتَ قبلى أحدًا قدَر أن يدفع عن

(١) الهلاك : الصعاليك .

قلبه هَواه ، أو ملَك أن يُسَلِّيَ نفسه ، أو آستطاع أن يَدْفَع ما قُضِى عليه ! والله لو قَدَرتُ أن أمْحُوَ ذكرَها من قلبي أو أُزِيلَ شخصها عن عيني لفعلتُ ، ولكن لا سبيلَ الى ذلك ، وإنما هو بلاءٌ بُلِيتُ به لحَيْنٍ قد أُتِيح لى ، وأنا أمتنع من طُروق هذا الحيّ والإلمام بهم ولو متّ كَمَدًا ، وهذا جَهْدى ومبلغُ ما أقدر عليه . وقام وهو يبكى ؛ فبكى أبوه ومَنْ حضر جَزَعًا لما رأوْا منه . فذلك حين يقول جميل :

صـــوت

أَلَا مَنْ لقَلْبٍ لا يَمَلُّ فَيَذْهَلُ * أفِقْ فالتَّعزِّى عن بُثَيْنَةَ أجملُ
سَلَا كلُّ ذى ودٍّ علمتُ مكانَه * وأنتَ بها حتى المماتِ مُوَكَّلُ
فما هكذا أحببتَ مَنْ كان قبلها * ولا هكذا فيما مضَى كنتَ تفعلُ

— الغناء لمالك ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق —

فيا قلبُ دَعْ ذِكْرَى بُثَيْنَةَ إنّها * وإن كنتَ تَهْواها تَضَنّ وتبخلُ
وقد أيأستْ من نَيْلها وتجهّمتْ * ولَلْيأسُ إن لم يُقْدَرِ النَّيْلُ أمثَلُ
وإلّا فسَلْها نائلًا قبلَ بَيْنِها * وأبْخِلْ بها مسئولةً حين تُسألُ
وكيف تُرَجِّى وصلَها بعد بُعْدها * وقد جُذَّ حبلُ الوصلِ ممن تؤمّلُ
وإنّ التى أحببتَ قد حِيل دونها * فكُنْ حازمًا ، والحازمُ المتحوّلُ
ففى اليأس ما يُسْلِى وفى الناس خُلَّةٌ * وفى الأرض عمّن لا يُواتيك مَعْزِلُ
بدا كَلَفٌ منّى بها فتثاقلتْ * وما لا يُرَى من غائب الوجد أفضلُ
هَبِينِى بريئًا نِلْتِهِ بظُلامة * عَفَاها لكم أو مُذْنِبًا يتنصّلُ
قَنَاةٌ[1] من المُرّانِ ما فوق حَقْوِها * وما تحتَه منها نَقًا يتهيّلُ

(١) فى أكثر الأصول : «قناة» . وفى حـ «قذاة» وهما تحريف .

٩٨
―
٧

قال وقال أيضا فى هذه الحال :

صــــوت

أَعَنْ ظُعُنِ الحىّ الأُلَى كنتَ تَسألُ * بليــلٍ فردُّوا عِيرَهم وتحمّــلوا
فأمسَوْا وهم أهلُ الديار وأصبحوا * ومن أهلها الغِربانُ بالدارِ تَحْجِلُ

٥ — فى هذين البيتين لِسيَاطٍ خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو —

على حينَ ولّى الأمرُ عنّا وأَسْمحتْ[1] * عَصا البَيْنِ وآنبتّ الرجاءُ المؤمَّلُ
فما هو إلّا أن أَهِيمَ بذكرِها * ويحظَى بجَدْوَاها سواىَ ويَجْذَلُ
وقد أبقتِ الأيّامُ منّى على العِدَا * حُسَامًا اذا مسّ الضريبةَ يَفصِلُ
١٠ ولستُ كمن إن سِيمَ ضَيْمًا أطاعه * ولا كامرئٍ إن عضّه الدهرُ يَنْكُلُ
لعمرى لقد أَبْدَى لِىَ البينُ صَفْحَه[2] * وبيّن لى ماشئتُ لو كنت أعقِلُ
وآخرُ عهدى من بُثَينة نظرةٌ * على موقفٍ كادت من البين تَقتُلُ
فلِلّه عَيْنَا مَنْ رأى مثــلَ حاجةٍ * كتمتُكَهَا والنفسُ منها تَمَلْمَلُ
وإنى لأَسْتَبكِى إذا ذُكِرَ الهَــوَى * إليكِ وإنّى من هــواكِ لأَوجَلُ
١٥ نظرتِ ببِشْرٍ نظرةً ظَلْتُ أمْتَرِى * بهــا عَبْرةً والعينُ بالدمع تُكْحَلُ
إذا ما كَرَرْتُ الطَّرْفَ نحوكِ ردّه * من البعد فيّاضٌ من الدمع يَهمِلُ[3]

ودع بثينة حين خروجه الى الشأم

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبَاية قال :

---

(١) أسمحت : سهلت وذلت . (٢) الصفح : الجانب . (٣) فى الأصول
٢٠ «مهمل» . والذى فى كتب اللغة : همل الدمع اذا سال .

لمّا أراد جميلٌ الخروج الى الشأم ، هجم ليلًا على بُثَيْنة وقد وجد غفلةً . فقالت له : أهلكتَنى والله وأهلكتَ نفسك! وَيْحَكَ! أمَا تخاف! . فقال لها : هذا وجهى الى الشأم ، إنما جئتك مودّعا . فحادثها طويلًا ثم ودّعها، وقال : يا بُثينة،ما أُرانا نلتقى بعد هذا، وبكيا طويلًا . ثم قال لها وهو يبكى :

أَلَا لا أُبالِى جفوةَ الناسِ ما بَدَا * لنا منك رأىٌ يابُثَيْنَ جميلُ
ومالم تُطيعى كاشحًا أو تَبَدَّلِى * بنا بَدَلًا أو كان منك ذُهولُ
وإنّى وتَكْرارِى الزيارةَ نحوَكم * بُثَيْنَ بذى هجرٍ بُثَيْنَ يطولُ[1]
وإن صَبَاباتِى بكم لكثيرةٌ * بُثَيْنَ ونِسْيانِيكُمُ لقليلُ

أمره مروان وأمر جواس بن قطبة بالحداء لمدحه فقالا شعرا فى الفخر

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثنى شيوخٌ من عُذْرة :

أنّ مَرْوان بن الحَكَم خرج مسافرًا فى نفرٍ من قريش ومعه جميلُ بن مَعْمَر وجَوّاسُ بن قُطْبة أخو عُبيد الله بن قُطْبة . فقال مروان لجَوّاس : انزل فارْجُزْ بنا، وهو يريد أن يمدحه . فنزل جوّاس وقال :

يقولُ أميرى هل تَسُوق رِكَابَنَا * فقلت له حادٍ لهنّ سوائيا
تكرّمتُ عن سَوْقِ المَطِىّ ولم يكن * سِيَاقُ[2] المطىّ همّتى ورجائيا
جعلتَ أبى رَهْنًا وعِرْضِىَ سادرًا * الى أهل بيت لم يكونوا كفائيا
إلى شرِّ بيتٍ من قُضَاعةَ مَنْصِبا * وفى شرّ قومٍ منهمُ قد بَدَا لِيا[3]

(١) كذا ورد هذا البيت فى الأصول . (٢) فى حـ : «سياق» .
(٣) كذا فى ترجمة جواس (فى الجزء التاسع عشر من الأغانى طبع بلاق ص ١١٣) . وفى الأصول هنا : « إلى خير بيت فيهم قد بداليا » .

فقال مروان : اركَبْ لا رِكِبْتَ ! . ثم قال لجميـل : انزل فأرجُزْ بنا ، وهو يريد أن يمدحه . فنزل جميل فقال :

أنا جميـلٌ فى السَّنامِ الأعظمِ * الفارعِ النـاسَ الأعزِّ الأكرمِ

أَحْمِى ذِمَارِى ووجدتُ أَقْوُمِى * كانوا على غاربِ طَـوْدٍ خِضْرِمِ

* أعيا على النّـاس فلم يُهَـدَّمِ *

٥

فقال : عَدِّ عن هذا . فقال جميل :

لَهْفًا على البيت المُعَدَّى لهفا * من بعدِ ما كان قد آستكَفَّا

ولو دعا الله ومَـدّ الكفَّا * لَرَجَفَتْ منه الجبـالُ رَجْفَا

فقال له اركَبْ لاركبتَ ! .

أمر الوليد بالحداء ليمدحه فقال شعرا فى الفخر، ولم يمدح أحدا قط

١٠ قال الزُّبير وحدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمَّلى قال :

كان جميـلٌ مع الوليد بن عبـد الملك فى سـفر والوليدُ على نجيب؛ فرجَز به مَكين العُذْرِى فقال :

يا بَكْرُ هل تعلم مَنْ عَلاَكا * خليفـةُ الله على ذُراكا

فقال الوليد لجميل : انزل فأرْجُز، وظنّ الوليد أنه يمدحه . فنزل فقال :

١٥ أنا جميـلٌ فى السَّنام من مَعَدّْ * فى الذِّروةِ العَلْياء والرُّكْنِ الأَشَـدّْ

والبيتِ من سَعْد بن زيد والعَدَدْ * ما يَبْتَـغى الأعداءُ منّى ولقـدْ

أُضْرِى(١) بالشَّـتْمِ لِسـانى ومَرَدْ * أقودُ مَنْ شِئتُ وصَعْبٌ لم أُقَدْ

فقال له الوليد : اركب لاحَمَلَك الله ! . قال : وما مدَح جميل أحدًا قطّ .

هـدّده الحزين الديلى فهجاه

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا يونس بن عبد الله(٢) بن سالم قال :

٢٠ (١) فى كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب : «أغرم» . وفى الأصول : «أضر» . وضرى بالشىء (من باب فرح) لهج به ، وأضراه بالشىء ألهجه به . (٢) فى جـ : « عبيد الله » .

وقف جميلٌ على الحَزِين الدِّيلىّ والحزينُ يُنشد الناسَ . فقال له الحزين وهو لا يعرفه : كيف تَسْمع شعرى ؟ قال : صالحٌ وَسَط . فغضب الحزين وقال له : ممّن أنت ؟ فوالله لأهجونَّك وعشيرتَك! . فقال جميل : إذًا تَنْدَم . فأقبل الحزين يهمّهم يريد هجاءه . فقال جميل :

الدِّيلُ أذنابُ بَكْرٍ حين تنسُبهم * وكلُّ قومٍ لهم من قومِهم ذَنَبُ

فقامت له بنو الدِّيل وناشدوه الله إلّا كَفَّ عنهم ، ولم يزالوا به حتى أَمْسك وآنصرف .

راجز جوّاس بن قطبة حين ذكر أخته فغلبه

أخبرنى الحرمىّ ومحمد بن مَزْيَد — واللفظ له — قالا حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى محمد بن الضحّاك عن أبيه قال :

لمّا هاجى عُبَيْدُ الله بنُ قُطْبة جميلًا وآستعلَى عليه جميلٌ ، أعرض عنه ، وآعترضه ١٠ أخوه جَوّاس بن قُطْبة فهجاه وذكر أختًا لجميل . وكان جميل قبل ذلك يحتقره ولا ينْصِب له[1] ، حتى هجا أُخْتَه فقال فيما ذكرها به من شعره :

إلى خَذَيْها العَبْلَتَيْنِ وكانتا * بعَهْدِى لَقَاوَيْنِ[2] أُرْدِفتا ثِقْلَا

فغضب جميلٌ حينئذ فواعده للراجزة . قال الزُّبير فحدّثنى بعضُ آلِ العبّاس بن سَهْل ابن سعد عن عبّاس قال : ١٥

قَدِمتُ من عند عبد الملك بن مَرْوان وقد أجازنى وكسانى بُرْدًا ، كان ذلك البردُ أفضلَ جائزتى ، فنزلتُ وادىَ القُرَى فوافقتُ الجمعةَ بها فاستخرجتُ بردى الذى من عند عبد الملك وقلت أُصلِّى مع الناس ، فلقينى جميلٌ ، وكان صديقا لى ، فسلَّم بعضُنا على بعض وتساءلْنا ثم افترقنا . فلما أمسيتُ اذا هو قد أتانى فى رَحْلِى

١٠٠ / ٧

(١) كذا فى ء ، ا ، م . ونصب له : عاداه وتجرّد له . وفى سائر الأصول «ولا ينصت له» . ٢٠

(٢) لقاوان : ضخمتان مكتنزتا اللحم .

فقال: البُرْد الذى رأيتَه عليك تُعيرُنيه حتى أتجمّل به؛ فإنّ بينى و بين جَوّاس مُرَاجَزَةً، وتحضُر فتسمعُ. قال قلت: لا! بل هو لكَ كُسْوة، فكسوتُه إيّاه، وقلت لأصحابى: ما من شىء أحَبُّ الىّ من أن أسمع مُرَاجزتهما . فلمّا أصبحْنا جعل الأعاريبُ يأتون أرْسالًا حتى اجتمع منهم بَشَرٌ كثيرٌ، وحضرتُ وأصحابى، فإذا بجميل قد جاء وعليه حُلّتان ما رأيت مثلَهما على أحد قطُّ، و إذا بُرْدِى الذى كسوتُه إيّاه قد جعله جُلًّا لجمله؛ فتَرَاجَزا فرجَز جميل، وكانت بُثَينة تُكْنَى أُمّ عبد الملك، فقال :

يا أُمّ عبد الملك اصْرِمِينى * فبيِّنى صرمىَ أو صِلِينى
أبكى وما يُدرِيكِ ما يُبكينى * أبكى حِذَارَ أنْ تُفَارِقينى
وتجعلى أبعَدَ منّى دُونى * إنّ بنى عمّك أوْعدونى
أن يقطعوا رأسى إذا لَقُونى * ويقتلونى ثم لا يَدُونى (١)
كلّا وربِّ البيتِ لو لَقُونى * شَفعًا ووتْرًا لتَواكَلُونى (٢)
قد عَلِم الأعداءُ أنّ دُونى * ضَرْبًا كإيزاغ المَخَاض الجُونِ (٣)
ألَا أَسُبُّ القومَ إذ سَبُّونى * بَلَى وما مَرّ على دَفِينِ (٤)
وسابحاتٍ بِلِوَى الحَجُونِ (٥) * قد جَرَّبُونى ثم جرّبونى
حتى إذا شابوا وشيّبونى * أخزاهمُ الله ولا يُخْزِينى
أشباهُ أعْيَارٍ على مَعِينِ (٦) * أحْسَسْنَ حِسَّ أسَدٍ حَرُونِ
فهنّ يَضْرِطْنَ من اليقينِ * أنا جميلٌ فتَعرِفونى

(١) وداه يديه : دفع ديته . (٢) أى وكلنى بعضهم الى بعض خوفا منى وجبنا .
(٣) الإيزاغ : إخراج البول دفعة واحدة . والحوامل توزغ بأبوالها، والطعنة توزغ بالدم .
(٤) دفين : موضع . (٥) الحجون : جبل بأعلى مكة . (٦) الأعيار : الحمر . والمعين : الماء العذب الغزير .

وما تَقَنَّعتُ فتُنْكِرونى * وما أُعَنِّيكم لتَسْألونى
أَنْمِى الى عاديّةٍ طَحُونِ * يَنْشقّ عنها السَّيلُ ذو الشؤونِ
غَمْرٍ يدُقّ رُجُحَ السَّفينِ (١) * ذو حَدَبٍ (٢) إذا يُرَى جَحُونِ
* تَخِلّ أحقادُ الرجالِ دُونِى *

قال : ورجز جميل أيضا :

* أنا جميلٌ فى السَّنام من مَعَدّ *

وقد تقدّمت هذه الأُرْجوزة . ثم رجز بعده جَوّاسٌ فلم يصنع شيئا . قال : فما رأيتُ غَلَبةً مثلَها قطُّ .

هجا خوّاتا العذرىّ وبنى الأحب

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا بُهْلول بن سليمان عن العَلاء بن سعيد البَلَوىّ وجماعة غيره من قومه :

١٠

أنّ رجلًا من بنى عُذْرة كان يقال له خَوّاتٌ ، أُمّه بَلَوِيّة ، وكان شاعرا ، وكان جميل ٱبنَ جُذَامِيّة . فخرج جميل الى أخواله بجُذَام وهو يقول :

جُذَامُ سيوفُ الله فى كلّ موطنٍ * اذا أَزَمَتْ يومَ اللّقاء أَزَامِ (٣)
هُمُ منعوا ما بين مِصْرَ فذى القُرَى * الى الشأم مِنْ حِلٍّ به وحَرَامِ
بضربٍ يُزِيل الهامَ عن سَكِنَاته (٤) * وطَعْنٍ كإيزاغ المَخَاض تُؤَامِ
إذا قَصُرتْ يومًا أَكُفُّ قبيلةٍ * عن المجد نالته أكُفُّ جُذَامِ

١٥

١٠١ / ٧

فأعطَوْه مائة بَكْرة . قال : وخرج خَوّاتٌ الى أخواله من بَلِىّ وهو يقول :

إنّ بَلِيًّا غُرّةٌ يُهْتَدَى بها * كما يَهْتدِى السارِى بمَطْلَعِ النجمِ
هُمُ ولدوا أُمّى وكنتُ ٱبنَ أُخْتهم * ولم أَتَخَوَّلْ (٥) جِذْمَ قومٍ بلا علمِ

٢٠

(١) الرجح من السفن : الثقيلة الموقرة . (٢) حدب السيل : ارتفاعه . وجحون : بعيد .
(٣) أزام : شدّة ، وهو مبنى على الكسر . (٤) السكنة (بفتح فكسر) : مقر الرأس من العنق .
(٥) تخوّل : اتخذ خالا . وفى الأصول : «أتحوّل» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . والجذم : الأصل .

قال : فأعطَوْه مائة غُرَّة ما بين فرس الى وَلِيدة؛ ففخَر على صاحبه، وذكر أن الغُرّة الواحدةَ ممّا أتَى به ممّا معه تَعدِل كلَّ شيء أتى به جميل . فقال عُبَيْد الله ابن قُطْبة :

ستَقضِى بيننا حكّامُ سَعْدٍ * أقُطْبةُ كان خيرًا أم صُباحُ

قال : وكان عبد الله بن مَعْمَر أبو جميل يلقَّب صُبَاحا . وكان عُبَيد الله بن قُطْبة يلقَّب حماظا[1] . فقال النَّخّار العُذْرِىّ أحد بنى الحارث بن سعد : قُطْبةُ[2] كان خيرًا من صُبَاح . فقال جميل يهجو بنى الأَحَبّ رهطَ قُطْبة ويهجو النَّخّار :

إنّ أحبَّ سُفَّلٌ[3] أشرارُ * حُثَالةٌ عُودُهُمُ خَوّارُ

أذَلُّ قومٍ حين يُدْعَى الجارُ * كما أذَلَّ الحارثَ النَّخّارُ

وقال الأُبَيْرِق العُتْبِى[4] : قُطْبة كان خيرا من صُبَاح . فقال جميل :

يا بنَ الأُبَيْرِق وَطْبٌ بِتَّ[5] مُسْنِدَه * الى وِسَادِك من حُمِّ الذُّرى جُونِ

وأكلتان اذا ما شئت مرتفقًا * بالسير من نغل الدفين مدهون[6]

أذكُرْ[7] وأُمِّك منِّى حين تَنْكُبِنى[8] * جِنِّى فيَغْلِب جِنِّى كلَّ مجنون

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول « حماطا » . وليس لدينا ما يرجح إحدى الروايتين .

(٢) فى الأصول « ... الحارث بن سعد بن قطبة ... الخ » وهو تحريف . (٣) كذا فى أكثر الأصول ، والسفل : جمع سافل وهو الدنىء ، ويقال لأسافل الناس وغوغائهم : سفلة (بفتح فكسر) وسفلة (بكسر فسكون) والعامة تقول رجل سفلة (بفتح فكسر) من قوم سفل (بفتح فكسر) قال ابن الأثير وليس بعربىّ . وفى حـ : « قزم أشرار » والقزم (بفتحتين أو بضمتين) : اللئام . (٤) فى ب ، س : « القينى » . (٥) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « أنت مسنده » .

(٦) لم نهتد الى وجه الصواب فى هذا البيت وقد أثبتنا صورته كما وردت فى الأصول ، فهو هكذا فى ب ، س . وفى حـ هكذا : « من نعل الدى فين » . وفى م ، أ ، ء هكذا : « من بغل الذى نين » .

(٧) فى ب ، س ، حـ : « أزكى وأمك ... » . وهو تحريف . (٨) فى م ، أ ، ء : « تنكثنى » .

وقال جماعةٌ من شعراء سَعْد فى تفضيل قُطْبة على صُبَاح أقوالًا أجابهم عنها جميل فألجمهم؛ حتى قال له جعفر بن سُرَاقة أحدُ بنى قُرّة :

نحن مَنَعْنا ذَا القُرى من عَدُوّنا * وعُذْرةَ اذ نلقَ يَهُـوداً و بعشرا (١)
مَنَعْناه من عُلْيَا مَعَـدٍّ وأنتمُ * سَفَاسِيفُ رَوْحٍ بين قُرْحٍ وخَيْبَرا (٢)
فريقانِ رُهْبانٌ بأسفَلِ ذى القُرَى * و بالشأم عَرّافون فيمن تَنَصَّرا

فلمّا بلغتْ جميلًا أتّاه وعلِم أنه سيعلو عليه؛ فقال جميل :

بَنِى عامرٍ أنّى ٱنتجعتمْ وكنتمُ * إذا حُصِّلَ الأقوامُ كالخُصْيةِ الفَرْدِ
فأنتم ولَأْىٌ موضعَ الذُّلّ حَجْرةً * وقُرّةُ أَوْلَى بالعَـلاء و بالمجـد

فأعرض عنه جعفر — قال الزبير : بنو عامر بن ثَعْلَبَةَ بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سعد رهطُ هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم بن كُرْز بن أبى حَيّة بن الكاهن وهو سَلَمَة ابن أَشْحَم بن عامر بن ثَعْلبة بن عبد الله بن ذُبْيان بن سعد هُذَيم بن زيد . وزِيادَةُ ابن زيد بن مالك بن عامر بن قُرّة بن خُنَيس بن عمرو بن ثَعْلبة بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سَعْد هُذَيم . ولَأْى ابن عبد مَنَاة بن الحارث بن سعد (٣) هُذَيم — قال : فدخل جميل على هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم السجنَ وهو محبوسٌ بدم زِيَادَة ابن زيد، وأهدى له بُرْدين من ثياب كساه إيّاهما سعيد بن العاصى، وجاءه بنفقة؛ فلما دخل عليه عرَض ذلك عليه ؛ فقال هُدْبة : أنت يا بْنَ قَمِيئة (٤) الذى تقول :

بنى عامرٍ أنّى ٱنتجعتم وكنتمُ * إذا عُدّد الأقوامُ كالخصْية الفَرْد

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : « و بعشرا » . ولم نهتد الى وجه الصواب فيه .
(٢) السفساف : التراب الدقيق . والروح : الريح . وقرح : سوق وادى القرى وقصبتها .
(٣) فى الأصول : « ابن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان الخ » . (٤) القميئة : الذليلة .

١٠٢ / ٧

أمَا والله لئن خلّص الله لى ساقىَّ لأمُدّنّ لك مضمارَك ؛ خذ بُرْدَيْك ونفقتَك . فخرج جميل؛ فلما بلغ بابَ السجن خارجا قال : اللهمَّ أغنِ عنِّى أجْدَعَ بنى عامر ! . وكانت بنو عامر قد قلّوا فحالفوا لأْياً .

لقى عمر بن أبى ربيعة وتناشدا الشعر وفضله على نفسه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء ومحمد بن مَزْيَد بن أبى الأزْهر قالا حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المخزومىّ قال حدّثنى شيخ من ٥ أهلى عن أبيه عن الحارث مولى هشام بن المُغيرة الذى يقول له عمر بن أبى ربيعة :

* يا أبا الحارثِ قلبى طائرٌ *

قال : شهدتُ عمرَ بن أبى رَبيعة وجميلَ بن عبد الله بن مَعْمَر وقد اجتمعا بالأبطح، فأنشد جميلٌ قصيدته :

١٠ لقد فَرِح الواشون أن صَرمتْ حَبْلِى * بُثَيْنةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البُخْلِ

يقولون مَهْلًا يا جميلُ وإننى * لأُقسم ما بى عن بُثَيْنةَ من مَهْلِ

أحِلْمًا فقبل اليوم كان أوانُه * أم اَخْشَى فقبل اليومِ أُوعِدتُ بالقتلِ

لقد أنكحُوا جَرْبى نُبَيْهًا ظَعينةً * لطيفةَ طَىِّ البطْنِ ذاتَ شَوًى خَدْلِ

وكم قد رأينا ساعيًا بنَميمةٍ * لآخرَ لم يَعمِدْ بكفٍّ ولا رجلِ

١٥ إذا ما تراجعْنا الذى كان بيننا * جَرى الدمعُ من عينَىْ بُثَيْنةَ بالكُحلِ

صوت

كلانا بكَى أو كاد يَبْكى صَبابةً * إلى إلفِه واستعجلتْ عَبْرةٌ قبلى

فلو تركتْ عَقْلِى معى ما طلبتُها * ولكنْ طِلَابِيها لِمَا فات من عقلى

فياوَيْحَ نفسى حَسْبُ نفسى الذى بها * ويا وَيْحَ أهلى ما أُصيب به أهلى

وقالت لأتـراب لها لا زَعَانِفٍ * قصارٍ ولا كُسّ الثَّنَـايا ولا ثُعْـلِ (١)

إذا حَمِيَتْ شمسُ النّهـارِ اتّقَيْنَهـا * بأكسية الدِّيباج والخزِّ ذى الخَمْلِ

تَدَاعَيْنَ فاستَعْجَمْن مَشْياً بذى الغَضَا * دَبِيبَ القَطَا الكُدْرِىّ فى الدَّمِثِ السَّهْلِ

إذا ارْتَعْن أو فُزِّعْن قُمْنَ حَوَالَها * قِيامَ بناتِ الماءِ فى جانب الضَّحْلِ (٢)

أجَـدِّىَ لا أَلْـقَى بُثَيْنَـةَ مَرّةً * من الدهر إلا خائفًا أو على رِجْلِ (٣)

خليـلىّ فيما عِشْتُما هـل رأيـتُما * قتيلًا بكى من حبّ قاتِله قبلى

قال : وأنشده عمرُ قوله :

جرى ناصحٌ بالودّ بينى وبينَها * فقـرّبَنِى يوم الحصاب الى قتلى

فما أنْسَ مِ الأشياءِ لا أنْسَ مَوْقِفِى * وموقفَها وَهْنًا (٤) بقارعة النخـلِ

فلمّا تواقَفْنَا عرفتُ الذى بها * كمثل الذى بى حَذْوَكَ النعلَ بالنعل

فقُلْنَ لها هـذا عِشاءٌ وأهلُنا * قَرِيبٌ ألَمّا تَسْأَمِى مَرْكَبَ البغـلِ

فقالت فما شِئْتُنّ قُلْنَ لها انزلى * فللأَرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْلِ

فأقبلْنَ أمثالَ الدُّمَى فاكتَنَفْنَها * وكُلٌّ يُفَـدّى بالمودّة والأهـلِ

نجومٌ دَرَارِىٌّ تكَنَّفْنَ صـورةً * من البدر وافتْ غيرَ هُوجٍ ولا نُجْلِ (٥)

فسلّمْتُ واستأنستُ خِيفةَ أن يَرَى * عـدوٌّ مكانِى أو يرى كاشحٌ فعـلى

فقالت وألْقتْ جانبَ السِّتْر إنما * معى فتحدّثْ غيرَ ذى رِقْبَـةٍ أهلى

(١) الزعانف : جمع زعنفة وهى القصيرة . والكس : جمع كساء . والكسس : قصر الأسنان وصغرها . والثعل : جمع ثعلاء . والثعل : زيادة سن أو دخول سن تحت أخرى . (٢) بنات الماء : الطيور التى تلازم الماء . والضحل : الماء القليل . (٣) الرجل : الخوف أو الفزع من فوت الشىء ، يقال أنا من أمرى على رجل أى على خوف من فوته . وفى ب ، س : « على رحل » بالحاء المهملة .

(٤) كذا فى أكثر الأصول وديوان عمر بن أبى ربيعة (طبع أوربا) ، وفى ب ، س : « يوما بقارعة النخل »

(٥) نجل : جمع نجلاء ، وصف من النجل وهو عظم البطن واسترخاؤه ، ويروى : « ولا عجل » .

فقلتُ لهـا ما بى لهم من ترقُّبٍ * ولكنّ سِرّى ليس يحمـلُه مِثـلى
فلمـا آقتصرْنا دونهن حديثَنـا * وهُنّ طَبيباتٌ بحاجة ذى التَّبـل (١)
عرَفْنَ الذى نَهْوَى (٢) فقُلْنَ آئذَنى لنـا * نَطُفْ ساعةً فى بَرْدِ ليلٍ وفى سهْـلِ
فقالت فـلا تَلْبَثْنَ قُلْنَ تحدَّثى * أتيناكِ وآنسَبْنَ آنسيابَ مَهَا الرملِ
٥ وقُمْنَ وقـد أَفْهَمْنَ ذا اللُّبِّ أنمـا * أَتَيْنَ الذى يأْتِينَ من ذاك من أجْلى

فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أبا الخطّـاب : لا أقولُ والله مثلَ هذا سَجِيسَ (٣) الليالى ! وما خاطب النساءَ مخاطبتَك أحد؛ وقام مشمِّرا .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

صـــوت

١٠ خليـلىَّ فيما عشتُما هـل رأيتُمـا * قتيلًا بكَى من حبّ قاتله قبـلى
أَبِيتُ مع الهُـلّاك ضيفًا لأهلها * وأهلى قريبٌ مُوسِعُون ذوو فَضْل
فلو تركتْ عقـلِى معى ما طلبتُها * ولكن طِلَابِيها لِمَـا فات من عقلى

الغناء للغَرِيض ثانى ثقيـلٍ بالوسطى عن عمـرو . وذكر حمّاد والهشامىّ أن فيـه لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر لحنا من الثقيل الأوّل .

١٥ ومنهـا :

صـــوت

ألَا أيّها البيتُ الذى حِيـلَ دونَه * بنا أنت من بيتٍ (٤) وأَهْلُكَ من أهلِ

---

(١) كذا فى ديوانه . والتبل : أن يسقم الهوى الأنسان . وفى الأصول : «ذى الشكل» .
(٢) فى ديوانه : «تهوى» بالتاء . (٣) سجيس الليالى : طول الليالى .
٢٠ (٤) فى ب ، س : * بنا أنت من بيتى وأهلك من أهل *

ثــلاثةُ أبيــاتٍ فبَيْتٌ أُحِبُّــه * وبيتانِ ليسا من هوایَ ولا شكلى

كِلَانا بَكَى أو كاد يَبْكِى صَــبابةً * إلى إلْفه وٱستَعْجَلتْ عَبْرةٌ قبــلى

الغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلِ الثانى بالبنصر .

ومنهـا :

صـــــوت

لقد فرِح الواشُونَ أن صَرَمتْ حبلِى * بثينةُ أو أَبْدَتْ لنـا جانبَ البخل

يقولون مَهْـلًا يا جميـــلُ وإننى * لأُقْسِمُ ما بى عن بُثَينـةَ من مَهْلِ

الغناء لأبن مُحْـرِز من كتاب يونُس ولم يجنِّسْه، وذكر إسحاقُ أنه مما ينسب الى آبن مُحْرِز وآبن مِسْجَح، ولم يصحّ عنده لأيِّهما هو ولا ذكر طريقتَه .

غنى نافع الخير يزيد بن معاوية من شعره .

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيــه قال حدّثنى غير واحد من الرواة ١٠ عن صالح بن حسّان قال أخبرنى نافعٌ مولى عبد الله بن جعفر — وما رأيت أحدا قطُّ كان أشكلَ ظَرْفا ولا أزينَ فى مجلس ولا أحسنَ غناءً منه — قال :

قدِمْنا مع عبد الله بن جعفر مرّة على معاوية ؛ فأرسل الىّ يزيدُ يَدْعونى ليلا ؛ فقلت : أكره أن يعــلم أمير المؤمنين مكانى عندك فيشكُوَنى الى آبن جعفر . قال فَأَمْهَلْ حتى اذا سَمَر أميرُ المؤمنين فإن آبن جعفر يكون معه فلا يَفْتَقِدُكَ ونَخْلُو نحن ١٥ بما نريد قبل قيامهما . فأتيتُه فغنَّيْتُه؛ فوالله ما رأيتُ فتًى أشرفَ أَرْيحيّةً منه؛ والله لألْقَى علىّ من الكُسَا الخزّ والوَشْي وغيرِه ما لم أستطعْ حملَه ،ثم أمر لى بخمسمائة دينار . قال : وذهب بنا الحديث وما كنّا فيه ، حتى قام معاويةُ ونَهَض آبنُ جعفر معه ، وكان باب يزيدَ فى سَــقيفة معاوية ؛ فسمع صوتى ، فقال لأبن جعفر : ما هــذا يآبنَ جعفر؟ قال : هذا والله صوتُ نافع . فدخل علينا؛ فلما أحسّ به يزيدُ تَناوم. ٢٠

١٠٤
٧

فقال له معاوية : مالك يابُنَىّ؟ قال: صُدِعْتُ فرجوتُ أن يَسْكُنَ عنّى بصوتِ هذا. قال: فتبسّم معاويةُ وقال: يا نافع، ما كان أغْنانا عن قُدومك! . فقال له آبن جعفر: يا أميرَ المؤمنين، إن هذا فى بعض الأحايين يُذْكِى[1] القلبَ . قال : فضحك معاويةُ وآنصرف . فقال لى آبن جعفر: وَيْلَك ! هل شرِب شيئًا؟ قلت: لا والله . قال : والله إنّى لأرجو أن يكون من فِتْيانِ بنى عبد مَنَاف الذين يُنتفع بهم . قال نافع : ثم قدِمْنا على يزيدَ مع عبد الله بن جعفر بعد ما آستُخْلِف ، فأجلسه معه على سريره ودخلتْ حاشيتُه تسلِّم عليه ودخلتُ معهم. فلما نظَر إلىّ تبسّم. ثم نَهض آبنُ جعفر وتبِعْنَاه . فقيل له : نظَر الى نافع وتبسم . فقال آبنُ جعفر : هذا تأويلُ تلك الليلة. فقضى حوائجَ آبن جعفر وأَضْعف ما كان يَصِلُه به معاويةُ . فلما أراد الانصراف أتاه يودعه ونحن معه؛ فأرسل إلىّ يزيدُ فدخلتُ عليه . قال : وَيْحَك يا نافع ! ما أخّرتُك إلا لأتفرّغَ لك . هاتِ لَحْنَك :

خليلىّ فيما عشتُما هل رأيتُما * قتيلًا بكَى من حبِّ قاتله قبلى

فأسمعتُه ، فقال : أعِدْ وَيْلَك ! فأعدتُه ، ثم قال : أعدْ فأعدتُه ثلاثا . فقال : أحسنتَ ؛ فسَلْ حاجتَك . فما سألتُه فى ذلك اليوم شيئًا إلا أَعْطانيه . ثم قال : إن يَصْلُحْ لنا هذا الأمرُ من قِبَل آبن الزُّبير فلعلّنا أن نَحُجّ فتَلْقانا بالمدينة ! فإن هذا الأمرَ لا يصلُح إلّا هناك . قال نافع : فمَنَعنا والله من ذلك شُؤْمُ ابنِ الزُّبير.

سأله عمر بن أبى ربيعة عن بثينة فذهب اليها وحدثها

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجَعْفرىّ قال حدّثنا القاسم بن أبى الزّناد قال :

---

(١) فى ب ، س : « يذكر » .

خرج عمرُ بن أبى ربيعة يريد الشأمَ، فلما كان بالجَنَاب[1] لقيه جميلٌ، فقال له عمرُ : أنشدْنى، فأنشده :

خليـلىّ فيما عشتُما هـل رأيتُما * قتيلاً بَكَى من حبِّ قاتله قبلى

ثم قال جميل : أنشِدْنى يا أبا الخطّاب، فأنشده :

ألم تَسْألِ الأطلالَ والمُتَرَبَّعـا * ببطن حُلَيّاتٍ دَوَارِسَ بَلْقَعـا

فلما بلغ إلى قوله :

فلما تواقفْنا وسلّمتُ أَشْرقتْ * وجوهٌ زَهَاها الحسنُ أن تتقنّعا

تَبَالَهْنَ بالعِـرْفان لمّـا عرفْنَنِى[2] * وقُلْنَ آمرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعَا

وقرّبْنَ أسبابَ الهـوى لمتيَّمٍ * يَقِيسُ ذِراعاً كلّما قِسْنَ إصْبَعا

قال : فصاح جميلٌ وآستَخْذَى وقال : ألَا إن النَّسيب أُخِذ من هـذا، وما أنشده ١٠ حرفًا . فقال له عمر : اذهبْ بنـا إلى بُثَينـة حتى نسلّمَ عليهـا . فقال له جميل : قد أَهْدر لهم السلطانُ دَمِى إن وجدونى عنـدها، وهاتيكَ أبياتُها . فأتاها عمرُ حتى وقف على أبياتهـا وتأنّس حتى كُلِّمَ، فقال : يا جارية، أنا عمرُ بن أبى ربيعـة، ١٠٥/٧ فأَعْلِمِى بثينة مكانى . فخرجتْ اليه بثينةُ فى مَبَاذِلها وقالت : والله يا عمرُ لا أكونُ من نسائك اللّاتى يزعُمْنَ أن قـد قتلهنّ الوجدُ بك؛ فآنكسر عمر؛ قال واذا آمرأةٌ ١٥ أَدْماءُ طُوَالةٌ .

وأخبرنى بهذا الخبر علىّ بن صالح عن أبى هِفّان عن إسحاق عن المسيِّبىّ والزُّبير فذكر مثلَ ما ذكره الزبير وزاد فيه قال : فقال لهـا قولَ جميل :

(١) الجناب : موضع فى أرض كلب فى السماوة بين العراق والشام .

(٢) فى ب، سـ : « رأينى » . ٢٠

وهُمَا قالتا لَوَ ٱنَّ جميلًا * عرَض اليومَ نَظْرةً فرآنا

بَيْنَما ذاك منهما وإذا بِى * أُعْمِلُ[1] النصَّ[2] سَيْرةً زَفَيانَا

نظرتْ نحوَ تِرْبِها ثم قالت * قد أتانا — وما علمنا — مُنَانَا

فقالت : إنه ٱستمْلَى منك فما أَفْلح ؛ وقد قيل: اربِطُ الحمار مع الفرس ، فان لم يتعلّم من جَرْيه تعلّم من خُلُقه .

لقى بثينة ورصده أهلها فهددهم ثم هجرته بثينة وشعره فى ذلك

وذكر الهَيْثَم بن عَدِىّ وأصحابه فى أخبارهم : أن جميلًا طال مُقامُه بالشأم ثم قدِم، وبلغ بثينةَ خبرُه فراسلتْه مع بعض نساء الحىّ تذكُر شوقَها اليه ووَجْدَها به وطلبَها للحيلة فى لقائه ، وواعدتْه لموضع يلتقيان فيه ؛ فسار اليها وحدّثها طويلا وأخبرها خبره بعدها . وقد كان أهلُها رصَدوها، فلما فَقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما، فوثب جميلٌ فٱنْتَضَى سيفَه وشَدّ عليهما فٱتّقياه بالهرب؛ وناشدتْه بثينةُ اللهَ إلّا ٱنصرف، وقالت له : إن أقمتَ فضَحْتَنى، ولعل الحىّ أن يَلْحقوك. فأبَى وقال: أنا مقيمٌ وٱمْضِى أنتِ ولْيَصْنَعوا ما أحبُّوا. فلم تزل تُناشده حتى ٱنصرف. وقال فى ذلك وقد هجرتْه وٱنقطع التلاقِى بينهما مدّة :

ألم تَسْألِ الربعَ الخَلاءَ فينطقُ * وهل تُخبرنْكَ اليومَ بَيْداءُ سَمْلَقُ[3]

وقفتُ بها حتى تجلّتْ عَمَايتى * وملّ الوقوفَ الأَرْحَبِىُّ[4] المنوَّقُ

تعزَّ وإن كانت عليك كريمةً * لعلّك من رِقٍّ لبَثْنةَ تَعْتِقُ

لعَمْرُكُمُ إنّ البِعادَ لشائقى * وبعضُ بِعادِ البَيْنِ والنأيِ أَشْوَقُ

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وأتانى» وهو تحريف . (٢) النص : السير الشديد . وزفيانا : سريعا . (٣) سملق : مقفرة لا نبات بها . وقد وردت هذه القصيدة فى « منتهى الطلب من أشعار العرب » مختلفة الألفاظ عما هنا . (٤) الأرحبىّ : النجيب من الإبل، ينسب الى قبيلة بنى أرحب . والمنوّق : الذلول .

لعلَّكَ محــزونٌ ومُبدٍ صَبَـابةً * ومُظْهِرُ شكوى من أُناسٍ تفرّقوا

وبيضٍ غَريراتٍ تَثَنّى خُصورَها * إذا قُمْنَ أعجــازٌ ثقَال وأَسْـؤُقُ

غَرَائرَ لم يلْقَيْنَ بؤسَ معيشــةٍ * يُجَنُّ بهنّ الناظرُ المتنـــوِّقُ [1]

وغَلْغَلْتُ من وَجْدِ اليهنّ بعــدما * سَرَيْتُ وأحْشائى من الخوف تَخفِقُ [2]

معى صارِمٌ قد أَخْلص القَيْنُ صقْله * له حين أُغْشيه الضَّريبــةَ رَوْنَقُ

فلولا ٱحتيالى ضِــقْن ذرْعًا بزائرٍ * به من صَباباتِ اليهنّ أَوْلَقُ [3]

تَسُــوكُ بقُضْبانِ الأَرَاكِ مفلَّجًا * يُشَعْشِعُ فيــه الفارِسيُّ المروَّق [4]

أبثنــةُ للوَصْــلُ الذى كان بيننا * نَضَا مثلَ ما يَنْضُو الخضابُ فيَخْلَقُ

أبثنــةُ ما تَنْأَيْنَ إلّا كأنّنى * بنجم الثُّرَيَّا ما نأيتِ مُعَــلَّقُ

أنشد إسحاق الرشيد أحسن شعره فى العتاب ١٠٦/٧

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: ١٠

دخلت على الرشيد يومًا فقال لى : يا إسحاق ، أَنْشِدْنى أحسنَ ما تعرف فى عِتاب محبٍّ وهو ظالم مُتعتِّب [5] . فقلت : يا أمير المؤمنين قول جميل :

رِدِ المــاءَ ما جاءتْ بصَفْوٍ ذَنَائبُهْ [6] * ودَعْهُ اذا خِيضَتْ بطَرْقٍ مَشَارِبُهْ [7]

أُعاتبُ منْ يحــلو لدىَّ عتــابُه * وأترك مَنْ لا أشتهى وأُجانِبُــهْ

ومن لذّة الدنيا وإن كنتَ ظالمًا * عِناقُك مظلوما وأنت تُعاتِبُــهْ ١٥

(١) تنوّق فى أموره : جوّد وبالغ . (٢) غلغل الرجل : دخل فى تعب وشدّة . وفى ديوان منتهى الطلب من أشعار العرب : « تضيت » ومعناها : هزلت . (٣) الأولق : الجنون . (٤) الفارسىّ : من أسماء الخمر . (٥) متعتب : متجنّ . (٦) الذنائب : جمع ذنوب وهى الدلو العظيمة . (٧) الطرق : أن تبول الإبل فى الماء وتبعر فتكدره . و يقال للماء الذى خوّضته الإبل فبالت فيه و بعرت : مطروق وطرق . ٢٠

فقال : أحسنَ والله ! أعِدْها علىّ ؛ فأعدتُها حتى حفظها ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم وتركنى وقام فدخل الى دار الحُرَم .

ذهب معه صديق له الى بثينة فطارده أهلها فرجع

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن السَّعيدىّ[1] قال : حدّثنى رجلٌ كان يصحَب جميلاً من أهل تَيْماء قال :

٥ كنتُ يومًا جالسًا مع جميل وهو يحدّثنى وأُحدّثه ، إذ ثار وتربّد وجهُه ، فأنكرتُه ورأيتُ منه غيرَ ما كنتُ أرى ، ووثب نافرًا مُقْشَعِرَّ الشعر متغيِّرَ اللون ، حتى أتى بناقة له قريبةٍ من الأرض مُجْتَمِعةٍ مُوثَّقةِ الخَلْق فشَدّ عليهـا رَحْلَه ، ثم أُتِى بمِحْلَب فيه لبنٌ فشربه ، ثم ثنّى فشربت حتى رَوِيت ؛ ثم قال لى : اشْدُدْ أداة رَحْلك وآشربْ وآسْقِ جَمَلك فإنى ذاهبٌ بك الى بعض مَذَاهِبى ، ففعلتُ . فجال فى ظهر ناقته وركبتُ ناقتى ،

١٠ فسِرْنا بياضَ يومنا وسـوادَ ليلتنا ، ثم أصبحنا فسِرْنا يومَنا كلَّه ، لا والله ما نزلنا إلا للصّلاة ، فلما كان اليومُ الثالثُ دَفَعْنا الى نسوةٍ فمال اليهنّ ، ووجدنا الرجال خُلُوفًا[2] ، وإذا قِدْرُ لبنٍ ثَمَّ وقد جُهِدتُ جوعًا وعَطَشًا . فلما رأيتُ القِدْرَ آقتحمتُ عن بعيرى وتركتُه جانبًا ، ثم أدخلتُ رأسى فى القِدْر ما يَثْنِينى حَرُّها حتى رَوِيت ؛ فذهبتُ أُخرِجُ رأسى من القِـدْر فضاقت علىّ وإذا هى على رأسى قَلَنْسِية ، فضَحِكْن منّى وغَسَلْن

١٥ ما أصابنى . وأُتِى جميـلٌ بقِرًى فوالله ما آلتفتَ اليه . فبينا هو يحدّثهنّ إذا رَوَاعِى[3] الإبل ، وقد كان السلطان أحلّ لهم دمَه إن وجدوه فى بلادهم ؛ وجاء الناسُ فقالوا له : وَيْحَكَ ! آنْجُ وتقدّمْ ! فوالله ما أكْبَرَهم كلَّ الإكبار . وغَشِـيه الرجالُ فجعلوا يرمُونه ويطرُدونه ، فإذا قَرُبوا منـه قاتلهم ورمَى فيهم . وهامَ بى جَمَلى ، فقال لى يَسِّرْ :

(١) فى ب ، س : «السعدى» . (٢) خلوفا : غيبا . (٣) المراد هنا الإبل

٢٠ الراعية لا الرعاة الذين يرعونها فان جمع الراعى رعاة ورعاء ورعيان .

لنفسك مَرْكَبًا خلفى، فأَرْدَفَنِى خَلْفَه . ولا والله ما انكسر ولا انحلّ عن فِرْصَته (١) حتى رجع الى أهله ، وقد سار ستّ ليالٍ وستة أيّام وما التفت إلى طعام .

لامه فيها روق ابن عمه ولما رأى مابه احتال فى زيارته لها وشعره فى ذلك

وشكا زوجُ بُثَينة الى أبيها وأخيها المُقامَ جميلٍ بها ، فوجّهوا الى جميلٍ فأَعْذَروا اليه وشكَوْه الى عَشيرته وأعْذَروا اليهم وتوعّدوه وإيّاهم . فلامه أهلُه وعنّفوه وقالوا: استَخْلِصْ اليهم ونبرأ منك ومن جَريرتك . فأقام مدّةً لا يُلِمّ بها . ثم لقى ٱبنى عمّه رَوْقًا ومسعدة، فشكا اليهما ما به وأنشدهما قوله :

صـــوت

زُورَا بُثَيْنـــةَ فالحبيبُ مَزُورُ * إنّ الزيارةَ للمحبِّ يسـيرُ

إنّ الترحُّلَ ، إن تلبّس أمرُنا * وٱعتاقَنا قَـدَرٌ أُحِمَّ ، بكور

— الغناءُ لعَرِيبَ رَمَلٌ بالوُسطى —

صـــوت

إنّى عشيّةَ رُحتُ وهى حزينةٌ * تشكو إلىّ صـبابةً لَصَبورُ

وتقول بِتْ عندى فَدَيْتُكَ ليلةً * أشكو إليكَ فإنّ ذاك يسـيرُ

١٠٧/٧

— الغناء لسُلَيْم خفيفُ رملٍ بالوسـطى عن عمرو . وفيه ثقيـلٌ أوّل بالبنصر ذكر الهِشامىّ أنه لمُخَارِق، وذكر حبش أنه لإبراهيم . وذكر حبش أن لحن مخارق خفيفُ رمـلٍ —

غَرّاءُ مِبْسامٌ كأنّ حديثَها * دُرٌّ تحـدّرَ نَظْمُـه منثـورُ

محطوطةُ المَتْنَيْنِ (٢) مُضْمَرةُ الحَشَى * رَيّا الروادفِ خَلْقُها ممكور

(١) الفرصة : القطعة من الصوف والقطن . ولعله يريد ما وضعه على رحل بعيره وجعله تحته .

(٢) محطوطة المتنين : ممدودتهما . وفى الأصول : «مخطوطة المتنين» بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

لا حُسْنُها حُسْنٌ ولا كَدَلالها * دَلٌّ ولا كَوقارِها توقيرُ
إنّ اللسانَ بذكرها لَمُوَكَّلٌ * والقلب صادٍ والخواطر صُورُ[1]
ولئن جَزَيْتِ الودَّ منّى مثلَه * إنى بذلك يا بُثَينَ جديرُ

فقال له رَوْق : إنك لعاجزٌ ضعيف فى آستكانتك لهذه المرأة وتَرْكِكَ الاستبدالَ بها
٥ مع كثرة النساء ووجود مَنْ هو أجملُ منها، وإنّك منها بين فجورٍ أرفعُك عنه، أو ذُلٍّ
لا أُحِبّه لك، أو كَمَدٍ يُؤَدِّيك الى التَّلَف، أو مخاطرةٍ بنفسك لقومها إن تعرّضتَ[2] لها
بعد إعذارهم إليك . وإن صرفتَ نفسَك عنها وغلبتَ هواك فيها وتجرّعتَ مرارةَ
الحَزْم حتى تألَفَها وتَصْبِر نفسك عليها طائعةً أو كارهة أَلِفتَ ذلك وسَلَوْتَ . فبكى
جميل وقال : يا أخى، لو ملكتُ آختيارى لكان ما قلت صوابًا، ولكنى لا أملك
١٠ الاختيار ولا أنا إلّا كالأسير لا يملك لنفسه نفعا، وقد جئتُك لأمرٍ أسألك
ألّا تكدر ما رجوتُه عندك فيه بلَوْم، وأن تَحْمِل على نفسك فى مساعدتى . فقال له :
فإن كنتَ لا بدّ مُهْلِكًا نفسَك فآعمَلْ على زيارتها ليلًا ؛ فإنها تخرج مع بنات عمٍّ لها
الى مَلْعَب لهنّ، فأجيءُ معك حينئذ سرًّا، ولى أخٌ من رَهْط بُثَينة من بنى الأَحَبّ،
نَأوِى عنده نهارًا، وأسأله مساعدتَك على هذا، فتقيم عنده أيّاما نهارَك وتجتمع معها
١٥ بالليل إلى أن تَقْضِىَ أرَبَك؛ فشكره . ومضى رَوْق الى الرجل الذى من رهط بُثَينة،
فأخبره الخبرَ وآستعهده كتمانَه وسأله مساعدتَه فيه . فقال له : لقد جئتَنى بإحدى
العظائم ؛ وَيْحَك ! إن فى هذا مُعاداتى الحىَّ جميعًا إن فُطِن به . فقال : أنا أتحرّز
فى أمره من أن يَظْهر، فواعَدَه فى ذلك؛ ومضى إلى جميل فأخبره بالقصة ، فأتَيا
الرجلَ ليلًا فأقاما عنده . وأرسل الى بُثَينة بوليدة له بخاتم جميل فدفعتْه إليها؛ فلما
٢٠ رأته عرفتْ، فتبِعتْها وجاءته فتحدّثا ليلتَهما . وأقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودّعها ،

(١) صور : مائلات . (٢) فى الأصول : «تعذرت» وليس لها معنى مناسب .

وقال لها : عن غيرِ قِلًى والله ولا مَلَلٍ يا بُثَينة كان وَدَاعِي لكِ، ولكنّي قد تذمّمت من هذا الرجل الكريم وتعريضِه نفسَه لقومه ، وأقمتُ عنده ثلاثاً ولا مزيدَ على ذلك، ثم آنصرف . وقال فى عَذْل رَوْقٍ آبنِ عمه إيّاه :

لقد لامنى فيها أخٌ ذو قــرابةٍ * حبيبٌ اليه فى مَلامته رُشْــدِى
وقال أَفِقْ حتى متى أنت هائمٌ * ببَثْنَةَ فيها قد تُعيدُ وقد تُبْدِى
فقلت له فيها قضَى اللهُ ما ترى * علىّ وهل فيما قضَى الله من رَدِّ
فإن يك رُشْـدًا حُبُّها أو غَوَايةً * فقد جئتُه ما كان منّى على عَمْدِ

صــــوت

١٠٨ / ٧

لقد لَجّ ميثاقٌ من الله بيننا * وليس لمن لم يُوفِ لله من عَهْدِ
فلا وأبيها الخيرِ ما خُنْتُ عهدَها * ولا لِيَ علمٌ بالذى فعلتْ بعدى
وما زادها الواشــون إلا كرامةً * علىّ وما زالت مودّتُها عندى

— الغناء لمتيّم ثقيلٌ أوّل عن الهشامىّ ، وذكر آبن المعتزّ أنه لشارية ، وذكر آبن خُرْدَاذبه أنه لقَلَم الصالحيّة —

أفى النـاسِ أمثالى أَحَبَّ فحـالُهم * كحالِيَ أمْ أحببتُ من بينهم وحدى
وهل هكذا يلقَى المحبّون مثـلَ ما * لَقِيتُ بها أم لم يَجِدْ أحدٌ وَجْدِى

وقال جميل فيها :

خليــلىّ عُوجَا اليومَ حتى تُسَلِّمـا * على عَذْبةِ الأنياب طَيِّبــةِ النَّشْرِ
أَلِمَّـا بهـا ثم آشـفَعا لِى وسَلِّمَـا * عليها سَـقَاها الله من سائغ القطر
وبُوحَا بذكرى عند بَثْنَـةَ وآنظُرَا * أترتاح يومًا أم تَهَشّ الى ذكرى
فإن لم تكُنْ تَقطَعْ قُوَى الودِّ بيننا * ولم تَنْسَ ما أسلفتُ فى سالف الدهر

فسوف يُرَى[1] منها ٱشـتياقٌ ولَوْعةٌ * ببَيْنٍ وغَربٌ من مدامعِها يجرى

و إن تكُ قد حالتْ عن العهد بَعْدَنا * وأصغتْ الى قول المُؤنِّب والمُزْرى

فسوف يُرَى منها صدودٌ ولم تكن * بنَفْسِيَ من أهل الخِيانة والغَـدْرِ

أعوذُ بك اللّهمَّ أن تَشْحَطَ النَّوَى * ببثنةَ فى أدنى حياتى ولا حَشْرِى

٥ وجَاوِرْ اذا ما مِتُّ بينى و بينها * فيا حَبَّذا موتى اذا جاورتْ قبرى

عَدِمتُكَ من حبٍّ أمَا منك راحةٌ * وما بك عنّى من تَوَانٍ ولا فَتْرِ

ألا أيّها الحبُّ المبرِّح هل ترى * أخَا كَلَفٍ يُغْرَى بحبٍّ كما أُغْرِى

أجِدَّكَ لا تَبْـلَى وقد بَـلِيَ الهوى * ولا ينتهى حبِّى بُثَيْنَةَ للزَّجْرِ

صـــوت

١٠ هى البدرُ حسنًا والنساءُ كواكبٌ * وشتّانَ ما بين الكواكبِ والبـدرِ

لقد فُضِّلتْ حسنًا على الناس مثلَما * على ألفِ شهر فُضِّلتْ ليلةُ القَدْرِ

غَنَّتْ شاريةُ فى هذين البيتين خفيفَ رملٍ من رواية ٱبن المعتزّ .

تهاجرا مدة ثم اصطلحا

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرنا إسحاق بن محمد بن أَبَان قال حدّثنى الرّحّال بن سعد المازنىّ قال :

١٥ وقع بين جميل و بُثَينة هجرٌ فى غَيْرةٍ كان غارها عليها من فتًى كان يتحدّث اليها من بنى عمها ، فكان جميل يتحدّث الى غيرها ، فيشُقّ ذلك على بُثَينة وعلى جميل ، وجعل كلُّ واحدٍ منهما يَكْرَه أن يُبْدِىَ لصاحبه شأنَه . فدخل جميلٌ يومًا وقد غلبه الأمرُ الى البيت الذى كان يجتمع فيـه مع بُثينة . فلمـا رأته بُثينـة جاءت الى البيت ولم تبرُز له ؛ بخزِع لذلك جميل ؛ وجعل كلُّ واحد منهما يُطالع صاحبَه ؛ وقد بلَغ الأمرُ

٢٠ من جميل كلَّ مبلغ ، فأنشأ يقول :

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «فكيف» .

لقد خفتُ أن يغتالنى الموتُ عَنوةً * وفى النفس حاجاتٌ اليكِ كما هيا
وإنى لتَثْنِينى الحَفِيظَــةُ كلّما * لَقِيتُكِ يومًا أن أَبُثَّك مابيا
ألم تعلمى يا عـــذبةَ الرِّيقِ أننى * أَظَلّ اذا لم أُسْـقَ رِيقَكِ صاديا

قال : فرَقَّتْ له بُثينة، وقالت لمولاة لها كانت معها : ما أحسنَ الصدقَ بأهله ! ثم ٱصطلحا . فقالت له بُثينة : أَنشِدْنى قولَك :

تَظَلُّ وراء السِّــتْرِ تَرْنُو بلَحْظِها * إذا مرّ من أترابِهـا مَنْ يَرُوقُها

فأنشدها إيّاها، فبكت وقالت : كلّا يا جميل! ومَنْ ترى أنه يَرُوقُنى غيرُك! .

نعى جميل وحزن بثينة عليه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نَصْر المهلّبى قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال ذكَر أيوب بن عَبَايَة قال :

خرجتُ من تَيْمَاء فى أَغْبَاش[1] السَّحَر، فرأيت عجوزًا على أَتَان، فتكلّمتْ فإذا أعرابيةٌ فصيحة . فقلت: ممن أنتِ؟ فقالت: عُذْريّة . فأجريتُ ذكر جميل وبُثينة، فقالت : والله إنّا لعلى ماءٍ لنا بالجَنَاب وقد تنكّبنا الجادّةَ[2] لجيوش كانت تأتينا من قِبَل الشأم تُريد الحجاز، وقد خرج رجالُنا لسَفَرٍ وخلّفوا معنا أحداثنا، فٱنحدروا ذاتَ عشيّة الى صِرْمٍ[3] قريبٍ منا يتحدّثون إلى جَوَارٍ منهم، فلم يبقَ غيرى وغيرُ بثينة، إذ ٱنحدر علينا منحدرٌ من هَضْبة تلقاءنا، فسلّم ونحن مُستوحشون وَجِلون . فتأمّلتُه ورددتُ السلامَ فإذا جميلٌ . فقلت : أجميل؟ قال : إى والله، واذا به لا يتماسك جوعا، فقمت الى قَعْبٍ لنا فيه أَقِطٌ[4] مطحون والى عُكّةٍ[5] فيها سَمْن ورُبٌّ[6]، فعصرتُها على الأَقِط

(١) الغبش : ظلمة آخر الليل . (٢) الجادة : الطريق . (٣) الصرم : الجماعة من الناس ليسوا بالكثير . (٤) الأقط (بفتح فكسر) ، وفيه لغات أخرى هــذه أفصحها : لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به . (٥) العكة : زقيق صغير للسمن . (٦) الرب : ما يطبخ من التمر .

ثم أدنيتُها منه وقلت : أَصِبْ من هذا ، فأصاب منه ؛ وقمتُ الى سِقاءٍ فيه لبنٌ فصَبَبْتُ عليه ماءً باردًا فشرب منــه وتراجعتْ نفسُه . فقلت له : لقد بلغتَ ولقيتَ شرًّا ، فما أمرُك ؟ قال : أنا والله فى هــذه الهَضْبة التى تَرَيْن منذ ثلاث ما أَرِيمُها أنتظر أن أرى فُرْجةً ، فلمــا رأيتُ مُنْحَدَرَ فِتْيانكم أتيتُكم لأُودِّعكم وأنا عامدٌ الى مِصْر .
٥ فتحدّثنا ساعةً ثم ودّعَنا وشَخَص ؛ فلم تَطُلْ غيبتُه أن جاءنا نَعْيُه . فزعموا أنه قال حين حضرتْه الوفاة :

صَــدَعَ(1) النَّعِيُّ وما كَنى بجميــلِ * وثَوَى بمِصْرَ ثَوَاءَ غــيرِ قُفولِ

ولقد أَجُرّ الذَّيْلَ فى وادى القُرَى * نَشْــوانَ بين مزارعٍ ونخيــلِ

قُومِى بُثَينــةُ فآندُبِى بعَــوِيلِ * وآبكِى خليلَكِ دون كلِّ خليــلِ

١٠ أخبرنى أبو الحسن الأَسَدىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم عن الأصمعىّ قال : حدّثنى رجــلٌ شهِد جميلًا لمّـا حضرتْه الوفاة بمِصْر أنه دعاه فقال : هــل لك فى أن أُعطيَك كلَّ ما أُخَلِّفه على أن تفعل شيئا أعهَــده اليك ؟ فقال قلت : اللهم نعم . قال : إذا أنا متُّ فخُذْ حُلَّتى هــذه التى فى عَيْبَتى فآعزِلْها جانبًا ثم كلُّ شىء سِــواها لك ، وآرحَلْ الى رَهْط بنى الأَحَبّ من عُذْرة — وهم رَهْط بُثَينة —
١٥ فاذا صرتَ اليهم فآرتحِلْ ناقتى هــذه وآركَبْها ، ثم آلبَسْ حُلَّتى هذه وآشقُقْها ثم آعْلُ على شَرَفٍ وصِحْ بهذه الأبيات وخَلَاك ذَمٌّ . ثم أنشدنى هذه الأبيات :

صَـدَعَ النَّعِيُّ وما كَنَى بجميـــلِ * وثوى بمِصْرَ ثَوَاءَ غـــيرِ قُفولِ

— وذكر الأبيات المتقدّمة — فلما قَضَى وواريتُه أتيتُ رَهْطَ بُثينة ففعلتُ ما أمرنى به جميل ، فما آستتممْتُ الأبيات حتى بَرَزتْ إلىَّ آمرأةٌ يتبعها نسوةٌ قد فَرَعَتْهن

---

٢٠ (1) صدع : جاهر وصرح .

طُولًا و بَرَزَتْ أمامهن كأنها بدرٌ قد بَرَز فى دُجُنّةٍ وهى تتعثّر فى مِرْطِها(١) حتى أتتنى، فقالت : يا هذا، والله لئن كنتَ صادقًا لقد قتلتَنى، ولئن كنتَ كاذبًا لقد فضحتَنى. قلت : والله ما أنا إلّا صادق، وأخرجتُ حُلّتَه . فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصَكّتْ وجهها، واجتمع نساءُ الحىّ يبكين معها ويَنْدُبْنَه حتى صَعِقتْ فمكثتْ مَغشيًّا عليها ساعةً، ثم قامت وهى تقول :

وإنّ سُلُوّى عن جميـلٍ لَساعةٌ * من الدّهر ماحانتْ ولا حان حِينُها
سـواءٌ علينا يا جميـلُ بن مَعْمَرٍ * اذا مُتَّ بأسـاءُ الحياةِ ولِينُها

قالَ : فلم أرَ يومًا كان أكثر باكيًا وباكيةً منه يومئذ .

صـــوت

من المـائة المختارة من رواية جَحْظة عن أصحابه

أمسى الشـبابُ مُودَّعًا محمودا * والشيبُ مُؤْتنِف(٢) المحلِّ جديدَا
وتغـيّر البِيضُ الأوانسُ بعد ما * حَمّلتهُنّ مَوَاثقًا وعهـودا

عروضه من الكامل . الشعر ليزيد بن الطَّثْرِيّة، والغناء لإسحاق، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر . وفيه لبابويه خفيف ثقيل بالوسطى، كلاهما من رواية عمرو بن بانة .

(١) المرط : كساء من صوف .
(٢) ائتنف الشيء واستأنفه : استقبله، أو أخذ أوّله وابتدأه .

ذكر يزيد بن الطَّثَرِيّة وأخباره ونسبه[1]

نسبه ونسب أمه

ذكر ابن الكلبيّ أن اسمه يزيد بن الصِّمَّة أحد بني سَلَمَة الخَيْر بن قُشَيْر. وذكر البصريّون أنه من ولد الأَعْوَر بن قُشَيْر. وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: اسمه يزيد بن سَلَمة بن سَمُرَة بن سَلَمة الخير بن قُشَيْر بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة. وإنما قيل له سَلَمةُ الخَيْر لأنه كان لقُشَير ابنٌ آخر يقال له سَلَمةُ الشَّرّ. قال: وقد قيل: إنه يزيد بن المنتشر بن سَلَمة.

والطَّثَرية أمّه، فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكّريّ عن محمد ابن حَبيب، امرأةٌ من طَثْر، وهم حيٌّ من اليمن عِدادُهم في جَرْم. وقال غيره: إن طَثْراً من عَنْز[2] بن وائل إخوة بَكْر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزَار. وكان أبو جَرَاد أحدُ بني المنتفق بن عامر بن عُقَيل أَسَر طَثْراً فمكث عنده زماناً ثم خَلّاه وأخذ عليه إِصْراً[3] لَيَبعَثَنّ إليه بفدائه أو لَيَأْتِيَنّه بنفسه وأهله فلم يجد فِداءً، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جَرَاد فوسّمه

---

(١) كذا ضبطه ابن خلكان بالعبارة فقال: «والطثرية بفتح الطاء وإسكان الثاء وبعدها راء ثم ياء النسب وهاء وهي أمه ينسب يزيد المذكور اليها، وهي من بني طثر بن عنز بن وائل. والطثر: الخصب وكثرة اللبن، يقال: إن أمه كانت مولعة باخراج زبد اللبن». وفي القاموس وشرحه (مادة طثر): «وطثرية محركة أم يزيد بن الطثرية الشاعر القشيري». وقد ضبط بالقلم في الحماسة التبريزي والأمالي لأبي علي القالي والشعر والشعراء باسكان الثاء. (٢) كذا في تجريد الأغاني وابن خلكان والمعارف لابن قتيبة والاشتقاق لابن دريد والقاموس (مادة عنز). وعنز هذا وبكر وتغلب جميعا أبناء وائل بن قاسط وأمهم هند بنت تميم بن مر. وفي الأصول: «عبد» وهو تحريف.

(٣) الإصر: العهد.

سِمَةَ إبله ، فهم حُلَفاء لبنى المُنْتَفِق الى اليوم نَحْوٌ من خمسمائة رجلٍ متفرّقين فى بنى عُقَيْل يُوَالُون[1] بنى المنتفق ، وهم يُعَيَّرُون ذلك الوَسْم[2] . وقال بعضُ مَنْ يهجوهم :

* عليه الوَسْمُ وسمُ أبى جَرَادِ *

وفيهم يقول يزيد بن الطَّثْرِيّة :

أَلَا بئسما أن تَجْرِمُونِى[3] وتغضبوا * علىّ اذا عاتبتُكم يا بنى طَثْرِ

١١١ / ٧

وزعم بعض البصريين : أن الطَّثْرِيّة أُمَّ يزيدَ كانت مُولَعَةً بإخراج زُبْد اللَّبن ، فسُمِّيت الطَّثْرِيّة . وطَثْرَةُ اللبن : زبدته .

كان يلقب مودّقا لجماله ، وكان كثير التحدث الى النساء

ويُكْنى يزيدُ أبا المَكْشُوح[4] . وكان يلقَّب مُوَدِّقًا ، سُمِّى بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه ، فكانوا يقولون : إنه اذا جلس بين النساء ودّقهنّ[5] .

١٠

أخبرنى محمد بن خَلَف عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان يزيد بن الطَّثْرِيّة يقول : من أُلْهِم عند النساء فليُنْشِدْ من شعرى . قال : وكان كثيرًا ما يتحدّث الى النساء ، وكان يقال : إنه عِنّين .

ما جرى بين جرم وقشير وما كان من مياد الجرمى ويزيد بن الطثرية

وروى عنه[6] عبد الله بن عمر عن يحيى بن جابر أحدِ بنى عمرو بن كِلَاب عن سَعَاد بنت يزيد بن زُرَيْق[7] امرأةٍ منهم :

١٥

(١) فى أكثر الأصول «يولون بنى المتفق» . ووالاه وتولاه : دخل فى ولائه . وفى ب ، س : «يولون الى بنى المنتفق» . (٢) فى الأصول : «يعيرون بذلك» . والفصيح الكثير أن يقال : يعيرون ذلك ، حتى قيل : إن تعدية «عير» الى مفعوله الثانى بالباء ممنوعة . (٣) كذا فى ب ، س . والجرم : القطع والصرم . وفى سائر الأصول : «تحرمونى» بالحاء المهملة وهو تصحيف . (٤) كنى بذلك لأنه كان على كشحه (خاصرته) كى نار . (٥) كذا فى أكثر الأصول . يريد أنه فتنهن بجماله وحلاوة حديثه . يقال : ودقت المرأة واستودقت وأودقت اذا مالت الى الفحل . والأصل فيه لذوات الحافر ثم نقل الى الانسان . وفى ب ، س : «أودق» . (٦) مرجع الضمير فى «عنه» غير واضح ، على أنه يحتمل أن تكون كلمة «عنه» زيدت سهوا . (٧) فى م : «رزيق» بتقديم الزاى على الراء .

٢٠

أنّ يزيد بن الطَّثْرِيّة كان من أحسن مَنْ مضَى وجهًا وأطْيَبِه حديثًا ، وأنّ النساء كانت مفتونةً به ، وذكر الناسُ أنه كان عِنّينا ، وذلك أنه لا عَقِبَ له ، وأنّ الناس أمْحَلُوا[1] حتى ذهبت الدقيقةُ من المال ونُهِكت الجليلةُ[2] ؛ فأقبل صِرمٌ[3] من جَرْم ساقته السَّنَةُ والجَدْبُ من بلاده الى بلاد بنى قُشَيْر ، وكان بينهم وبين بنى قُشَيْر حربٌ عظيمة ؛ فلم يجدوا بُدًّا من رَمْيِ قشير بأنفسهم لِمَا قد ساقهم من الجَدْب والمَجاعة ودِقّة الأموال وما أشْرفوا عليه من الهَلَكة . ووقع الربيعُ فى بلاد بنى قُشَير فاتّبعها الناسُ وطلبوها ؛ فلم يَعْدُ أنْ لقيتْ جَرْمٌ قُشيرًا ، فنَصَبَتْ قشيرٌ لهم الحربَ . فقالت جَرْم : إنما جئنا مُستجيرين غيرَ محاربين . قالوا : ممّا ذا ؟ قالوا : من السَّنَة والجَدْب والهَلَكة التى لا باقيةَ لها . فأجارتهم قشيرٌ وسالمتهم وأرْعَتْهم طَرَفًا من بلادها . وكان فى جَرْم فَتًى يقال له مَيّاد ، وكان غَزِلًا حسنَ الوجه تامَّ القامة آخذًا بقلوب النساء . والغزلُ فى جَرْم جائزٌ حسن ، وهو فى قُشَيْر نائرة[4] . فلمّا نازلتْ جَرْمٌ قشيرًا وجاورتْها أصبح مَيّادٌ الجَرْمىّ فغدا الى القُشَيْرِيّات يطلبُ منهنّ الغزَلَ والصِّبَا والحديثَ واستبرازَ الفَتَيات[5] عند غَيْبة الرّجال واشتغالِهم بالسَّقْى والرِّعْية وما أشبه ذلك ؛ فدفَعْنَه عنهنّ وأسمعنَه ما يكره . وراحت رجالُهنّ عليهنّ وهنّ مُغْضَبات ؛ فقال عجائزُ منهنّ : والله ما ندرى أرْعيتُم جَرْمًا المَرْعَى أم أرْعيتموهم نساءَكم ! فاشتدّ ذلك عليهم فقالوا : وما أدراكُنّه[6] ؟ قُلْنَ : رجلٌ منذُ اليوم ظلّ مجحرًا[7] لنا

(١) فى ب ، س : «محلوا» ، وهو تحريف ، إذ يقال : محلت الأرض (من باب كرم ومنع) وأمحلت ، ويقال : أمحل القوم ليس غير . (٢) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «ونهكت الحليلة» . (٣) الصرم (بالكسر) : الجماعة من الناس . (٤) كذا فى الأصول . والنائرة : العداوة والشحناء ، أى أن الغزل فى قشير سبب العداوة والتباغض . وفى تجريد الأغانى : «مكروه» . (٥) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «الفتيان» بالنون ، وهو تصحيف . (٦) فى تجريد الأغانى : «... ماذا كنه» . (٧) كذا فى الأصول : «محجرا» (بحاء مهملة فجيم) والأرجح أن تكون (بجيم معجمة بعدها حاء) وهو مأخوذ من أجحره اذا ألجأه الى أن يدخل جحره . ومجاحر القوم : أماكنهم .

ما يطلُع منا[1] رأسُ واحدٍ، يَدُور بين بيوتنا . فقال بعضهم: بيّتوا جَرْماً فاصْطَلِموها[2] .
وقال بعضهم : قبيح! قومٌ قد سَقَيتُموهم مِياهَكم وأرعيتُموهم مَراعِيَكم وخلَطتموهم
بأنفسكم وأجرْتُموهم من القَحْط والسَّنَة تفتاتون عليهم هـذا الافتيات! لا تفعلوا،
ولكن تُصْبِحُوا[3] وتَقَدَّموا الى هؤلاء القوم فى هـذا الرجل ، فانه سفيهٌ من سُفَهائهم
فليأخذوا على يَدَيه . فإن يفعلوا فأَتِمُّوا لهم إحسانَكم، وإن يمتنعوا ويُقِرّوا ما كان منه
يَحِلّ لكم البَسْطُ عليهم وتَخْرُجوا من ذِمَّتهم ؛ فأَجْمعوا على ذلك . فلما أصبحوا غدا
نفرٌ منهم الى جَرْم فقالوا : ما هـذه البِدْعة التى قد جاورتُمونا بها! إن كانت هـذه
البدعة سجيّةً لكم فليس لكم عندنا إرعاءٌ ولا إسقاء، فبرّزوا عنّا أنفسكم وأْذَنوا بحرب .
وإن كان افتياتاً فغيّروا[4] على مَنْ فعله . وإنهـم لم يَعْدُوا أن قالوا لجَرْم ذلك . فقام
رجالٌ من جَرْم وقالوا : ما هـذا الذى نالكم؟ قالوا : رجلٌ منكم أمس ظـلّ يجُرّ
أذياله بين أبياتنا ما ندرى عَلامَ كان أمرُه! فقَهْقهتْ جرمٌ من جَفَاء القُشَيريّين
وعَجْرَفيَّتها وقالوا: إنكم لتَحِسُّون من نسائكم ببلاء؛ ألّا فابعثوا الى بيوتنا رجلاً ورجلاً .
فقالوا : والله ما نُحِسُّ من نسائنا ببلاء، وما نعرف منهنّ إلا العفّـة والكرم، ولكن
فيكم الذى قلتم . قالوا : فإنّا نبعث رجلاً الى بيوتكم يا بنى قُشَـيْر اذا غدتِ الرجالُ
وأُخْلِف النساء، وتبعثون رجلاً الى البيوت ، وتحالف أنّه لا يتقـدّم رجلٌ منّا
الى زوجةٍ ولا أختٍ ولا بنتٍ ولا يُعْلِمها بشىء ممـا دار بين القوم ؛ فيَظَلّ كلاهما
فى بيوت أصحابه حتى يَرِدَا علينا عَشِيّاً المـاءَ وتُخْلِى لهما البيوتُ[5]،ولا تبرُز عليهما آمرأةٌ
ولا تُصادِق منهما واحدًا فيُقْبَلُ منهما صَرْفٌ ولا عَدْلٌ[6] إلا بمَوْثِقٍ يأخذه عليها وعلامة

(١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « ما يطلع بنا » . (٢) اصطلمه : استأصله .
(٣) أى لتصبحوا ، فالفعل مجزوم بلام محذوفة . (٤) أى ازجروه وأنكروا عليه ما فعله واصرفوه عنه .
(٥) هذه العبارة : «وتخلى لهما البيوت» ساقطة من جميع الأصول ماعدا ب، س . (٦) فى الأصول:
«فيقبل منهما صرفا ولا عدلا» وقد جعلناها (صرف ولا عدل) بالرفع على أنه نائب الفاعل وهو الفصيح الكثير .

تكون معــه منها . قالوا : اللّهمّ نعمْ . فظَلّوا يومَهم ذلك وباتوا ليلتَهم، حتى إذا
كان من الغد غَدَوْا(١) الى المـاء وتحالفوا أنّه لا يعود الى البيوت منهم أحد دون الليل .
وغدا مَيّاد الجَرْمىّ الى القُشَيْرِيّات، وغدا يزيد بن الطَّثْرِيّة القُشَيرىّ الى الجَرْمِيّات،
فظل عندهنّ بأكرم مَظَلّ لا يصير الى واحدةٍ منهنّ إلا آفْتَتَنَتْ به وتابعتْه الى المودّة
٥ والإخاء وقَبَض منها رَهْنًا وسألته ألّا يدخل من بيوت جَرْم إلّا بيتَها، فيقول لها :
وأىّ شىء تخافين وقــد أخذْتِ منّى المواثيقَ والعهود وليس لأحدٍ فى قلبى نصيبٌ
غيرَكِ ؛ حتى صُلِّيت العصرُ . فانصرف يزيد بفَتَخٍ(٢) كثيرٍ [وذَبْلٍ(٣)] وبَرَاقِعَ وآنصرف
مَكحولًا مدهونًا شـبعانَ رَيّانَ مُرَجَّلَ اللِّـمَّة(٤) . وظلّ مَيّادٌ الجَرْمىّ يدور بين بيوت
القُشَيْرِيّات مرجومًا مُقْصًى لا يتقرّب الى بيت إلا استقبلته الولائدُ بالعَمَد(٥) والجَنْدَل،
١٠ فتهالك لهنّ وظنّ أنه آرتيادٌ(٦) منهنّ له، حتى أخذه ضربٌ كثير بالجندل ورأى البأسَ(٧)
منهنّ وجَهَده العطشُ، فانصرف حتى جاء الى سَمُرةٍ(٨) قريبًا الى نصف النهار، فتوسّد
يدَه ونام تحتها نُوَيْمةً حتى أَفْرجتْ عنه الظَّهيرةُ وفاءت الأظلالُ وسكن بعضُ ما به
من ألم الضرب وبَرَد عطشُه قليلًا، ثم قَرُب الى المـاء حتى ورد على القوم قبلَ يزيد،
فوجد أَمَةً تَذُود غنمًا فى بعض الظُّعْن(٩) ، فأخذ بُرْقُعَها فقال : هــذا بُرقعُ واحدةٍ من

١٥ (١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول وتجريد الأغانى : «تواعدوا المـاء» . (٢) الفتخ
(كسبب) : واحده فتخة ، وهى حلقة من فضة لافص لها ، فاذا كان فيها فص فهى الخاتم . (٣) هذه
الكلمة ساقطة من ب ، س . والذبل : جلد السلحفاة البرّية ، وقيل : البحريّة ، وقيل : عظام ظهر دابة من
دواب البحر تتخذ النساء منه الأسورة والأمشاط . (٤) فى تجريد الأغانى : «الجمة» . واللمة (بالكسر) :
الشعر المجاوز شحمة الأذن ، فاذا بلغ المنكبين فهو الجمة . (٥) العمد (بفتحتين وبضمتين أيضا) :
٢٠ قضبان الحديد . والجندل : الحجارة . (٦) الارتياد : الطلب . (٧) فى حـ ، ء ، م : «اليأس»
بالياء المثناة التحتية . (٨) السمرة : شجرة من العضاه . (٩) كذا فى أكثر الأصول . والظعن :
سير البادية لنجعة أو حضور ماء أو طلب مربع أو تحوّل من ماء الى ماء أو من بلد الى بلد . وفى حـ ، أ
وتجريد الأغانى : «تذود غنما فى العطن» . والعطن : المناخ حول الورد ، فأما فى مكان آخر فمراح ومأوى .

نسائكم ، فطرحه بين يدى القوم ؛ وجاءت الأَمَةُ تَعْدو فتعلّقت بِبُرقُعها فرُدّ عليها وخجل مَيّادٌ خجلًا شديدا . وجاء يزيد مُمْسيًا وقد كاد القوم أن يتفرّقوا ، فترَكه بين أيديهم ملآنَ براقع [وقُبُلًا] وفَتَخًا ، وقد حلَف القومُ ألّا يعرف رجلٌ شيئا إلّا رفعه . فلما تَرَما معه آسودّت وجوهُ جَرْمٍ وأمسكوا بأيديهم إمساكةً[1] . فقالت قُشَير[2] : أنتم تعرِفون ما كان بيننا أمسِ من العهود والمواثيق وتحرُّج الأموال والأهل ، فمن شاء أن ينصرف الى حرام فليمسك يده ؛ فبسط كلُّ رجل يده الى ما عرف فأخذه . وتفرّقوا عن حرب ، وقالوا : هذه مَكيدةٌ يا قُشَير . فقال فى ذلك يزيد بن الطَّثْرِيّة :

فإنْ شئتَ يا ميّادُ زُرْنا وزُرْتمُ * ولم نَنفَسِ[3] الدنيا على من يُصيبُها

أيذهب ميّادٌ بألبابِ نِسْوتى * ونِسوةُ ميّادٍ صحيحٌ قُلوبُها

وقال ميّاد الجَرْمىّ :

لَعَمْرُكَ إنّ جمعَ بنى قُشَيرٍ * لِجَـرْمٍ فى يزيدَ لظالمونا

أليس الظلمُ أنّ أباكَ منّا * وأنك فى كَتيبةِ آخرينا

أحالفةٌ عليك بنو قُشَيرٍ * يمينَ الصبرِ[4] أم متحرّجونا

قال : وبُلِى يزيدُ بعشق جاريةٍ من جَرْم فى ذلك اليوم يقال لها وَحْشيّة ، وكانت من أحسن النساء ، ونافرتْهم جَرْمٌ فلم يجد اليها سبيلا ، فصار من العشق الى أن أشرف على الموت وآشتدّ به الجَهْد ، فجاء إلى آبن عمّ له يقال له خَليفة بن بوزل[5] ، بعد آختلاف الأطبّاء اليه ويأسِهم منه ، فقال [له][6] : يا آبن عمّ ، قد تعلم أنه ليس إلى هذه المرأة سبيل ،

أحب وحشية ومرض لبعدها فأعانه ابن عمه على رؤيتها فبرئ

١١٣ / ٧

(١) يريد أنهم قبضوا أيديهم ، ولم يمدّوها الى شىء مما قرّ أمامهم . (٢) كذا فى حـ وتجريد الأغانى . وفى سائر الأصول : « فقال » . (٣) كذا فى تجريد الأغانى . ونفس عليه الشىء (من باب علم) : لم يره أهلا له . وفى جميع الأصول : «تنفس» بالتاء المثناة . (٤) يمين الصبر : هى التى يحبس المرء حتى يحلفها . (٥) فى ا ، وتجريد الأغانى : « خليفة بن بورك » . (٦) زيادة عن تجريد الأغانى .

وأنّ التعزّىَ أجمل، فما أرَبُك فى أن تقتل نفسَك وتأثم بربِّك! . قال : وما همّى يا آبنَ عمّ بنفسى وما لى فيها أمر ولا نهىٌ، ولا همّى إلا نفسُ الجَرْمِيّة، فإن كنتَ تريد حياتى فأرِنيها . قال : كيف الحيلة ؟ قال : تحملنى اليها . فحمله اليها وهو لا يطمع فى الجرميّة، إلا أنهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك الى وَحْشيّة أبَلّ قليلًا وراجعَ وطَمِع، وإذا أيِس منها آشتدّ به الوجع . فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلّل به اليمنَ، حتى إذا دخل فى قبيلة آنتسب الى أُخرى ويخبر أنه طالبُ حاجة . وأبَلّ حتى صلَح بعضَ الصَّلاح، وطَمِع فيه آبنُ عمّه، وصارا بعد زمانٍ إلى حىّ[1] وَحْشيّة فلقيا الرُّعيان وكَمَنا فى جبل من الجبال . فجعل خليفةُ ينزل فيتعرّض لرُعيان الشّاء فيسألهم عن راعى وحشيّة، حتى لقى غلامَها وغنمَها[2]؛ فواعدهم موعدًا وسألهم ما حالُ وحشيّة ؟ فقال غلامها : هى والله بشرٍّ! لا حفظ الله بنى قُشَيْر ولا يومًا رأيناهم فيه! فما زالت عَليلةً منذ رأيناهم — وكان بها طَرَفٌ مما بآبن الطَّثْرِيّة — فقال : وَيْحك ! فإنّ هاهنا إنسانًا يُداويها ، فلا تقل لأحدٍ غيرها . قال : نعم إن شاء الله تعالى . فأعلمها الراعى ما قال له الرجل حين صار إليها . فقالت له : وَيْحَك ! جِئْ به . ثم إنه خرج فلقيه بالغد فأعلمه ، وظلّ عنده يرعَى غنمَه ، وتأخّر عن الشاء حتى تقدمتْه الشاء وجنَح الليلُ، وآنحدر بين يدىْ غَنَمه حتى أراحها[3] . ومشى فيها يزيد حتى قَرُبَتْ[4] من البيت على أربع وتجلّل شَمْلةً سوداءَ بلون شاةٍ من الغنم؛ فصار الى وَحْشية، فسُرّتْ به سرورًا شديدًا، وأدخلته سِترًا لها وجمعتْ عليه من الغد مَنْ تَثِق به من صَوَاحِباتها وأترابها . وقد كان عَهِد الى آبن عمّه أن يُقيم

---

(١) فى الأصول : « وصار بعد زمان الى حىّ وحشية فلقى ... » بدون ألف التثنية فى الفعلين .

(٢) فى ب ، س ، حـ : « عن راعى وحشية وحالها حتى لقى الخ » . (٣) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « حتى أراحوا » . (٤) كذا فى الأصول ولعله : «حين» .

فى الجبل ثلاثَ ليال، فإن لم يَرَه فلينصرِفْ . فأقام يزيدُ عندها ثلاثَ ليال ورجع الى أصحِّ ما كان عليه، ثم آنصرف فصار الى صاحبه . فقال : ما وراءك يا يزيد؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سرّه . فقال :

لَوَ آنّكَ شاهدتَ الصِّبَا يَابْنَ بَوْزَلٍ * بفَرْعِ الغَضَى إذ راجعتْنى غَيَاطِلُهْ[1]

لشاهدتَ لهوًا بعد شَحْطٍ من النَّوَى * على سَخَطِ الأعداء حُلْوًا شمائـلُهْ

صـوت

ويومًا كإبهامِ القَطَاةِ مُزَيَّنًا[2] * لِعينى ضُحَاهُ غالبًا لِىَ باطـلُهْ

غنّى فى البيت الثالث وبعده البيت الثانى، وروايته :

* تُشاهد لهوًا بعد شحطٍ من النوى *

مُخَارِقٌ ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثنى علىّ بن الصبّاح قال :

قال أبو محضة[3] الأعرابىّ وأُنْشِد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثْرِيّة، فلمّا بلغ الى قوله :

بِنَفْسِىَ مَنْ لو مَرّ بَرْدُ بنـانِهِ * على كَبِدِى كانت شِفاءً أنامِلُهْ

ومَنْ هابنى فى كل أمرٍ وهِبْتُــه * فلا هـــو يُعطينى ولا أنا سائلُهْ

طَرِب[4] لذلك وقال : هذا والله من مفنج الكلام .

---

(١) الغياطل : جمع غيطلة وهى الظلمة المتراكمة، استعارها هنا لجهالات الصبا . (٢) يضرب المثل فى القصر بإبهام القطا وكذلك بإبهام الحبارى والضب . (٣) فى تجريد الأغانى : « أبو محيصة » . (٤) فى الأصول : « فطرب » بالفاء .

كتب الى وحشية شعرا فأجابته

ونسختُ من كتاب الحسن بن عليّ: حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثني هشام ابن محمد بن موسى قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الطائيّ قال حدّثني عبد الله بن رَوْح الغَنَويّ قال حدّثتني ظَبْية بنت وزير الباهليّة قالت[1] :

كتب يزيد بن الطَّثْرِيّة الى وحشيّة :

أُحبُّكِ أطرافَ النهارِ بشاشةً * وبالليلِ يدعوني الهوى فأُجيبُ

لئن أصبحتْ ريحُ المودّةِ بيننا * شَمَالًا لقِدْمًا كنتِ وهي جَنُوبُ

فأجابته بقولها :

أُحبّكَ حبَّ اليأس إن نفع الحيا[2] * وإن لم يكن لي من هواك طبيبُ

يزيد بن الطثرية وابن بوزل برملة حائل

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني هانئُ ابن سعد :

أنّ ابن الطَّثْرِيّة وابنَ بَوْزَل، وهو قَطَرِيّ[3] بن بوزل، خرجا يسيران حتى نزلا برَمْلة حائل[4] بين قِفَار المِلْح؛ فقال يزيد لابن بوزل : اذهبْ فاسقِ راحلتَك واسْقِنا . فلمّا جاوز أوْفَى يزيدُ على أجْرَع[5]، فرأى أشباحًا فأتاها . فقيل له : هذه والله فلانة وأهلها عجيبةٌ بها (أي مُعْجَبون بها) . فأتاها فظَلّ عشيَّته وبات ليلتَه وأقام الغدَ حتى راح عَشِيًّا وقد لَقِيَ ابنُ بوزل كلَّ شرّ ومات غيظًا . فلما دنا منه قال :

لَوَ انّكَ شاهدتَ الصِّبا يا بنَ بوزلٍ * بجزْعِ الغَضَى إذ راجعتْني غَيَاطِلُهْ

(١) في الأصول : «قال» وهو تحريف . (٢) كذا في الأصول . ولعله : «أحبك حب الناس أن يقع الحيا ... الخ» . (٣) الذي تقدم ذكره هو خليفة بن بوزل . ولعل قطريا هذا أخ لخليفة . (٤) حائل : موضع في أرض اليمامة لبني قشير . (٥) الأجرع : الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

بأسفلِ خَلِّ الملحِ[1] إذ دَيْنُ ذِى الهوَى * مُؤَدًّى وإذ خيرُ الوصالِ[2] أوائـلُهْ
لشاهدْتَ يومًا بعد تَخْبِطِ من النَّوَى * وبعـد تنائى الدارِ حُلْوًا شمائلُه

— وقد رُوِى :

* وغَمِّ الصِّبا[3] إذ راجعتْنى غَيَاطِلُهْ *

فاخترط[4] سيفَه ابنُ بوزَلٍ، وحاوَطه[5] يزيدُ بعَصاه[6]، ثم اعتذر اليه وأخبره خبرَه فقبِل منه. وقد روَى هـذه الأبياتَ أبو عمرو الشَّيْبانى وغيرُه فزاد فيها على إسحاقَ هـذه الأبياتَ :

ألَا حبَّـذا عينَاكِ يا أُمَّ شَـنْبَلٍ * إذا الكُحْلُ فى جَفْنَيْهما جال جائلُهْ
فَدَاكِ من الخُلَّانِ كلُّ مُمَـزِّجٍ[7] * تكون لأدنى مَنْ يُلَاقِى وسائـلُهْ[8]
فَـرُحْنا[9] تَلَقَّانا به أُمُّ شَـنْبَلٍ * ضُحَيًّا وأبكتْنا عَشِـيًّا أصائلُهْ
وكنتُ كأنِّى حينَ كان كلامُها * وَدَاعًا وخَلَّى مَوْثِقَ العهـدِ حامِلُهْ
رَهِينٌ[10] بنفسٍ لم تُفَـكَّ كُبُولُه * عن الساقِ حتى جَرّد السيفَ قاتلُهْ
فقال دَعُونِى سَجْـدَتَيْنِ وأُرْعِدَتْ * حِذَارَ الرَّدَى أحشاؤه ومَفَاصِـلُهْ[11]

---

(١) كذا فى معجم البلدان لياقوت عنـد الكلام على «خل» وهو موضع. وفى الأصـول : «حل الملح» بالحاء المهملة وهو تصحيف. (٢) فى معجم البلدان : «وإذ خير القضاء». (٣) فى ب، س : «وغنم الصبا». (٤) اخترط السيف : استله من غمده. (٥) حاوطه : داوره. (٦) كذا فى ى، م. وفى سائر الأصول : «بقضاة» والقضاة : خشبة من أصلب الخشب. (٧) الممزج : المخلط الكذاب، والذى لا يثبت على خلق. (٨) فى حـ : «وسائله» بالراء. (٩) فى ب، س : «فرحبا». (١٠) فى ب، س : «رهينا» وهو تحريف. (١١) فى جـ : «وخصائله». والخصيلة : كل لحمة استطالت وخالطت عصبا، أو كل عصبة فيها لحم غليظ.

بنو سدرة ويزيد ابن الطثرية

١١٥ / ٧

قال إسحاق وقال أبو عثمان سَعيد بن طارق :

نزلتْ ساريةٌ[1] من بني سِــدْرةَ على بني قُشير بمالهم ؛ فجعلتْ فِتيانُ قُشــير تترجّل وتتزيّن وتزور بيوتَ سِــدْرة . فأستَنْهوهم[2] ؛ فقال يزيد بن الطَّثْرِيّة : وما في هــذا عليكم ! زُورُوا بيوتنا كما نزور بيوتكم ، وقال :

دعوهنّ يتْبَعْنَ الصِّــبَا وتبادلوا * بِنــا ليس بأسٌ بيننــا بالتَّبــادُلِ

ثم إنّ بني سِــدْرة قالوا لنسائهم : وَيْحَكُنّ فضَحْتُنَّنا ! تأتى نساءَ هؤلاء فلا تقــدِر عليهنّ و يأتونكنّ فلا تَحْتجِبْنَ عنهم . فقالت كَهْلةٌ منهنّ : مُرُوا نســاءَكم يجتمعْنَ إلى بيتي ، فاذا جاءوا لم يجــدوا آمرأة إلا عندي ، فإنْ يزيدُ أتاني لم يَعُدْ في بيوتكم ففعلوا . فجاء يزيدُ فقال :

سَــلامٌ عليكنّ الغَــداةَ فمالنــا * إليكنّ إلا أنْ تَشَأْنَ سَــبيلُ

فقالت الكهلةُ : ومن أنت؟ فقال :

أنا الهائم الصَّبُّ الذي قاده الهوى * إليــكِ فأمسَى في حبالكِ مُسْلَمَــا

بَرَتْه دَوَاعِي الحبّ حــتى تركْنَه * سقيما ولم يَتْرُكْنَ لحمًــا ولا دَمَا

فقالت : اخترْ إحدى ثلاثِ خِصال : إمّا أن تمضي ثم ترجعَ علينا فإنّا نرقُب عيونَ الرجال فإنهم قد سَبُّونا فيك ؛ و إمّا أن تختار أحَبَّنا اليك ، وأن تطلب آمرأةً واحدةً خيرٌ من أن يَشْهرَك الناسُ ، ونسى الثالثة . فقال : سآخذ إحداهن ، فاختاري أنت إحدى ثلاثِ خصال . قالت : وما هنّ؟ قال : إما أن أحملَكِ على مَرْضُوفٍ[3] من أمري فتركبيه ، و إما أن تحمليني على مَشْرُوجٍ[4] من أمركِ فأركبَه ، و إما أن تلزَى بكَرِي

(١) السارية : الجماعة تسرى . (٢) استنهاه : قال له انته . وقد وردت هــذه الكلمة في الأصول محرفة . (٣) المرضوف : المحمى ، من رضف الحجارة إذا أحماها ؛ والكناية فيه ظاهرة . (٤) المشروج : المشقوق .

بين قَلُوصَيْك . قالت : لو وقع بَكْرُك بين قَلُوصَىَّ لَطَمَرَتَا[1] به طَمْرةً يتطامن[2] عنقُه منها . قال : كلّا ! إنه شديد الوَجِيف[3] ، عارِمُ الوَظِيف[4] ، فغلَبها . فلما أتاها القوم قالت لهم : إنه أتانى رجلٌ لا تمتنع عليه امرأةٌ . فإمّا أن تُغْمِضوا له ، و إمّا أن تَرْحَلوا عن مكانكم هذا ؛ فرحَلوا وذهبوا . فقال حَكيم بن أبى الخِلَاف السَّدْرىّ فى قصيدة له يذكر أنه إنما آرتحلوا عنهم لأنهم آذَوْهم بكثرة ما يصنعون بهم :

فكان الذى تُهْدُون للجار منكم * بخاتج حبّاتٍ[5] كثيرًا سُعَالُها

زيد بن الطثرية وأسماء الجعفرية

قال إسحاق فأخبرنى القَزَارِىّ : أنّ قومًا من بنى نُمَيْر وقومًا من بنى جَعْفَر تزاوروا ؛ فزار شُبّانٌ من بنى جعفر بيوتَ بنى نُمَير ، فقُبِلوا وحُدِّثوا ، وزار بنو نُمَير بنى جعفر فلم يُقْبَلوا ؛ فاستنجَدوا آبن الطَّثْرِيّة فزارمعهم بيوتَ بنى جعفر ، فأنشدهنّ وحدّثهنّ فأُعْجِبْنَ به وآجتمعْنَ إليه من البيوت . فتوعَّد[6] بنو جعفر آبنَ الطَّثْرِيّة ، فتتاركوا وأمسك بعضُهم عن بعض . فأرسلتْ أسماءُ الجَعْفَرِيّة الى آبن الطَّثْرِيّة أن لا تَقْطَعْنى ، و إن مُنِعتُ فإنّى سأتخلّص الى لقائك . فأنشأ يقول :

خَليلَىَّ بين المُنْحَنَى من مُخَمِّرٍ[7] * وبين اللِّوَى من عَرْيَفاءَ[8] المُقَابِلِ
قِفَا بين أعناقِ اللِّوَى لِمُرِيّةٍ[9] * جَنُوبٍ تُداوِى غُلَّ شَوْقٍ مُماطِلِ

(١) طمر الشىء : دفنه وخبأه . (٢) فى الأصول : «تتطامن» بالتاء والعنق يذكر ويؤنث والتذكير فيه أكثر . (٣) الوجيف : سرعة السير . (٤) العارم : القوىّ الشديد . والوظيف لكل ذى أربع : ما فوق الرسغ الى مفصل الساق . (٥) كذا فى أكثر الأصول . والبخاتج : جمع بختج (بالضم) وهو العصير المطبوخ . وفى ب ، س : «نحانح حان» وفى م . «مخاتج حبات» . (٦) فى الأصول : «فتواعد» . (٧) مخمر (بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الميم مشدّدة ، كما فى معجم ما استعجم . وقد ضبطه ياقوت فى معجمه بفتح الميم مشدّدة) : واد لبنى قشير . (٨) قال أبو زياد : عريفاء : ماء لبنى قشير وقال فى موضع آخر : لبنى جعفر بن كلاب مطوية فى غربىّ الحمى . (٩) كذا فى ياقوت فى الكلام على مخمر . وفى الأصول : «أعناق الهوى» .

لكيما أرى أسماءَ أو لتمسّني * رياحٌ بريّاها لذاذُ الشمائلِ
لقد حادلتْ[١] أسماءُ دونك باللوى * عيونَ العدا سقيًا لها من مُحادلِ
ودسّتْ رسولًا أنْ حَولِي عصابةٌ * هُمُ الحَرْبُ[٢] فاستبطنْ سلاحَ المُقاتلِ
عشيّةَ مالى من نصيرٍ بأرضها * سوى السيفِ ضمّتْهُ إلىّ حمائلى
فيا أيّها الواشون بالغشِّ بيننا * فُرادَى ومثنَى من عدوٍّ وعاذلِ
دَعُوهنّ يتبعْنَ الهوى وتبادَلوا * بنا، ليس بأسٌ بيننا بالتبادُلِ
تَرَوا حينَ نأتيهنّ نحنُ وأنتمُ * لمنْ وعلى منْ وطأةُ المتثاقِلِ
ومنْ عُرّيتْ للهوِ قِدْمًا رِكابُه * وشاعت قوافى شعرِه فى القبائلِ
تُبرِّزْ وجوهُ السابقين ويختلِطْ * على المُقْرِفِ[٣] الكافى غبارُ القنابلِ
فإنْ تمنعوا أسماءَ أو يكُ نفعُها * لكم أو تدِبّوا بيننا بالغوائلِ
فلن تمنعونى[٤] أنْ أُعلِّلَ مُحْبَتِى * على كلِّ شىءٍ[٥] من مدى العينِ قابلِ[٦]

حبسه لديون لزمته وما وقع فى ذلك بينه وبين عقبة ابن شريك

قال إسحاق وحدّثنى أبو زِيَاد الكلابىّ :

أن يزيد بن الطَّثْرية كان شريفًا متلافًا يغشاه الدَّيْن، فإذا أُخذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثَوْر، ثم إنه كَثُر عليه دَيْنٌ لمولًى لعُقْبةَ بن شَرِيك الحَرَشىّ يقال له البربرىّ فحبسه له عُقْبة بالعَقِيق من بلاد بنى عُقَيْل، وعُقْبةُ عليها يومئذ أميرٌ. وقال المُفَضَّل ابن سَلَمة قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : كان يزيد قد هَرَب منه ، فرجع اليه من حبّ

(١) كذا فى معجم البلدان لياقوت فى الكلام على « محر » . وحادل : راوغ . وفى الأصول : « ... جادلت ... من مجادل » بالجيم . (٢) كذا فى مهذب الأغانى . وفى الأصول : « الحوت » .
(٣) المقرف : النذل . والكافى : الخادم . والقنابل : جمع قنبلة وهى الطائفة من الناس أو الخيل .
(٤) فى الأصول : « فان تمنعوا » . والمراد فى هذا البيت غامض . (٥) فى ب ، س : « على كل شر » . (٦) فى أ ، ء ، م : « قاتل » .

أسماء، وكانت جارةَ البربرىّ، فأخذه البربرىّ. ويقال : إنه أعطاه بعيرًا من إبل ثَوْر أخيه . فقال يزيد فى السجن :

قضى غُرَمائى حبُّ أسماءَ بعد ما * تَخَوَّنَنى ظُلْمٌ[1] لهم وفُجُورُ

فلو قَلَّ دَيْنُ البربرىّ قضيتُه * ولكنّ دَيْنَ البربرىّ كثيرُ

وكنتُ إذا حَلَّتْ علىّ ديونُهم * أضُمّ جَنَاحِى منهمُ فأطيرُ

علىّ لهم فى كل شهرٍ أَدِيَّةٌ[2] * ثمانون وافٍ نَقْدُها وجَزُورُ

نَجِىءُ[3] إلى ثَوْرٍ فقيمَ رحيلُنا * وثَوْرٌ علينا فى الحياة صَبُورُ

أشُدّ على ثَوْرٍ وثورٌ إذا رأى * بنا خَلَّةً جَزْلُ العطاء غفورُ

فذلك دأبى ما بَقِيتُ وما مَشَى * لِثَوْرٍ على ظهر البلاد بعيرُ

ويُروى : «فهذا له ما دمتُ حيًّا» ثم إن عُقْبة حَجّ على جمل له يقال له ٱبن الكُمَيْت أنجب ما ركب الناسُ، وثبت ٱبنُ الطَّثْرِيّة فى السجن حتى ٱنصرف عُقْبة بن شَرِيك من مكة، فأرسل ٱبنَ الكميت فى مخاضه[4] مستقبِلةَ الرَّبيع وهى حاضرة العَقِيق، تأكل الغَضَى وتشرب بأَحْسائه[5]، وانحدر عُقْبة نحو اليَمَامة وعليها المُهَاجِر بن عبد الله الكِلَابىّ. فلمّا ضاقت بٱبن الطَّثْرِيّة المَخَارِج قال له صاحبٌ له : لا أعلم لك أنجَى إن قَدَرتَ على الخروج من السجن إلا أن تَركَب ٱبن الكُمَيْت فيُنجيَك نحو بلد من البلاد . فلم يزل حتى جعل لِحَدّاد[6]، على أن يُرسله ليلةً الى ٱبن عمّه، جُعْلا؛ فشكا اليه وَجْدَه

(١) كذا فى الكامل للمبرد (ص ٣٣٤ طبع أوربا) وبه يستقيم روىّ القافية . قال فى أساس البلاغة : وتخوّن فلان حق اذا تنقصه كأنه خانه شيئا فشيئا . وكل ما غيرك عن حالك فقد تخوّنك . قال لبيد : * تخوّنها نزولى وارتحالى * وفى الأصول : * تجردت من مطل لهم وغرور * .
(٢) الأدية فى اللغة : المال القليل . (٣) فى ب، س : «نحنّ» . (٤) المخاض : الحوامل من النوق . (٥) الأحساء جمع واحده الحسى وهو سهل من الأرض يستنقع فيه الماء .
(٦) الحدّاد : السجان .

بها فأرسله. فمضى يزيدُ نحوَ الإبل عشاءً فاحتكم ٱبنَ الكُمَيْت حتى جلس عليه فوجهه قَصْدَ اليمامة يريد عُقْبة بن شَريك، وقال فى طريقه:

لَعَمْرِىَ إن ٱبنَ الكُمَيْتِ على الوَجَا[1] * وسَيْرِىَ خَمْسًا بعد خَمْسٍ مُكَمَّلُ

لَطَلْقُ الهَوَادِى بالوَجِيفِ إذا وَنَى * ذواتُ البَقَايا[2] والعَتِيقُ الهَمَرْجَلُ

١١٧ / ٧

٥ فورد اليمامةَ فأناخ بٱبنِ الكُمَيت على باب المهاجر[3]، فكان أوّلَ مَنْ خرج عليه عُقْبة ابن شريك. فلما نظر اليه عرفه وعرف الجمل فقال: وَيْحَك! أيزيدُ أنت؟ قال نعم. وهذا ابن الكُمَيت؟ قال نعم. قال: ويحك! فما شأنك؟ قال: يا عقبة، فارٌّ منك اليك، وأنشده قصيدتَه التى يقول فيها:

يا عُقْبَ قد شُذِبَ اللِّحاءُ عن العصا * عنّى وكنتُ مُؤَزَّرًا محمودا

١٠ صِلْ لِى جَناحِى وٱتَّخِذْنِى[4] عُدَّةً * ترمِى بِىَ المُتَعَاشِىَ الصِّنْدِيدا

فقال له عقبة — وكانت من خير فَعْلةٍ علمناه فعلها —: أُشهِدكم أنّى قد أبرأته من دَيْن البربرىّ وأن له ابنَ الكُمَيْت، وأمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله. وهذان البيتان من القصيدة التى أوّلها:

* أمسى الشبابُ مُوَدَّعًا محمودا *

١٥ وهى من جيِّد شعره، يقول فيها:

ومُدِلَّةٍ[5] عند التبذُّل[6] يَفْترِى[7] * منها الوِشَاحُ[8] مُخَصَّرًا أُمْلودا

(١) الوجا: أن يشتكى البعير باطن خفه. (٢) ذوات البقايا من الخيل: التى يبقى جريها بعد انقطاع جرى الخيل. والعتيق: الرائع. والهمرجل: السريع. (٣) فى الأصول: «على باب ابن المهاجر». (٤) فى الأصول: «واتخذ لى». (٥) فى ب، س: «ومدله». وفى سائر الأصول: «ومذلة». ٢٠ وكلاهما تصحيف. (٦) كذا فى أ، ء، م. والتبذل: ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة. وفى سائر الأصول: «التبدل». بالدال المهملة، وهو تصحيف. (٧) يفترى: يريد به يكسو، والأصل فى معنى الافتراء: لبس الفروة. (٨) الوشاح: شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها مخالفا بينهما. والمخصر: الدقيق الضامر. والأملود: الناعم الغض.

نازعتُها غُنْمَ الصِّبَا إنّ الصِّبا * قد كان منّى للكواعب عِيدا
يا للرِّجالِ و إنما يشكو الفتى * مَرَّ الحوادث أو يكونَ جليدا
بَكَرَتْ نَوَارُ تجُدُّ(١) باقيةَ القُوَى * يومَ الفِراق وتُخْلِف الموعودا
ولَرُبَّ أمرِ هوًى يكون نَدامةً * وسبيلِ مَكْرَهةٍ يكون رشيدا

ثم قال يفخر :

لا أتّقِى حَسَكَ(٢) الضَّغائنِ بالرُّقى * فِعْلَ الذّليلِ و إن بَقِيتُ وحيدا
لكنْ أُجَرِّد للضغائن مثلَها * حتى تموتَ والحُقُود حُقودا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبى سعد قال حدّثنا علىّ بن الصَّبّاح قال :

١٠ قال أبو محضة الأعرابىّ وأُنْشِد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثْرِيّة : هى والله من مفنج الكلام :

بِنَفْسِى مَنْ لو مَرّ بَرْدُ بنَانِه * على كبدى كانت شفاءً أنامِلُهْ
ومَنْ هابَنِى فى كلّ شىءٍ وهِبْتُه * فلا هو يُعطِينى ولا أنا سائلُهْ

وهذه الأبيات من قصيدته التى قالها فى وَحْشِيّةَ الجَرْمِيّة التى مضى ذكرها .

تبعه أعداء له فترك راحلته وفر، وشعره فى ذلك

١٥ أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثتنى ظَبْيَة قالت :

مرّ يزيد بن الطَّثْرِيّة بأعداء له، فأرادوه وهو على راحلته فركَضها وركَضوا الإبلَ على أثره ، فخشى أن يُدركوه وكانت نفسُه عنده أوثقَ(٣) من الراحلة ، فنزل فسَبقهم عَدْوًا ، وأدركوا الراحلةَ فعقَروها . فقال فى ذلك :

(١) تجدّ : تقطع . (٢) المراد بحسك الضغائن : الحقد والعداوة . (٣) المراد من هذه الجملة واضح وهو أن ثقته بنفسه فى الجرى أكثر من ثقته براحلته ، وكان ينبغى لتأدية هذا المعنى أن
٢٠ يقول : « وكان بنفسه أوثق منه بالراحلة » .

أَلَا هل أَتَى ليلَى على نَأْيِ دارِها * بأن لم أُقاتِل يومَ صَخْرٍ[1] مُذَوَّدا
وأَنِّى أسلمتُ الرِّكابَ فعُقِّرتْ * وقد كنتُ مِقْداماً بسيفى مُفْرَدا
أثرتُ فلم أَسْطِعْ قتالًا ولا ترى * أخا شيعةٍ يوماً كآخرَ أوحَدا[2]
فهل تَصْرِمَنِّ الغانياتُ مودّتى * إذا قيل قد هاب المنونَ فعرَّدا[3]

١١٨ / ٧

هاجى فديكا الجرمىّ لأنه عذب وحشية بالنار ليصدّها عنه

٥ أخبرنى يحيى إجازةً عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبى زياد قال :

كان يزيد بن الطَّثْرِيَّة يتحدّث الى نساء فُدَيْك بن حَنْظَلة الجَرْمىّ، ومنزلها بالفَلَج[4].
فبلغ ذلك فُدَيكا فشقّ عليه فزجَر نساءه عن ذلك، فأَبَيْنَ إلّا أن يدخل عليهنّ يزيد.
فدخل عليهنّ فُدَيْك ذاتَ يوم وقد جمعهنّ جميعاً أَخَواته وبناتِ عمّه وغيرَهن من
حُرَمه، ثم قال لهنّ : قد بلغنى أنّ يزيد دخل عليكنّ وقد نهيتُكنّ عنه، وإن لله علىّ
١٠ نَذْرًا واجبًا — واخترط سيفَه — إن لم أضرب أعناقكنّ به . فلما ملأهنّ رُعْبًا
ضرب عنقَ غلامٍ له مُوَلَّدٍ يقال له عِصام فقتله، ثم أنشأ يقول :

جعلتُ عصاماً عِبْرةً حين رابَنى * أَناسِىُّ من أهلِ مِرَاضٌ قلوبُها

ثم إنّ فُدَيكا رأى يزيدَ قائماً عند باب أهله، فظنّ أنه يُواعد بعض نسائه، فارتَصده
على طريقه[5] وأمر بزُبْيَةٍ[6] فحُفِرتْ على الطريق ثم أَوْقد فيها نارًا لَيِّنةً ثم اختبأ فى مكان
١٥ ومعه عبدان له وقال لهما : تَبَصَّرا هل تَرَيانِ أحدا؛ فلم يَلْبَثا إلّا قليلًا حتى خرجتْ
بنت أخى فُدَيْك، وكان يقال لها وَحْشِيّة، تهادى فى بُرودها لميعاد يزيد؛ فأيقظه

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « يوم صحرا مذودا » . وفى ب ، س : « يوم صحراء مذودا » . ومذوّدا : ذائدا . (٢) هـذا البيت ساقط فى جميع الأصـول عدا ب ، س .
(٣) عرّد : هرب . (٤) الفلج (بالتحريك) : مدينـة بأرض اليمامة لبنى جعـدة وقشير .
٢٠ (٥) فى الأصول : « على طريقه » . (٦) الزبية : الحفرة يصاد بها الأسد والذئب .

العبدان ، ومضت حتى وقعتْ على الزُّبْيــة فاحترق بعضُها ، وأمَر بهــا فأُخرجتْ ، وآحتملها العبدان فانطلقا بها الى داره . فقال فُدَيْك :

شفى النفسَ من وَحْشيّةَ اليومَ أنّها * تَهادَى وقد كانت سريعًا عَنيقُها[1]

فإلّا تَدَعْ خَبْطَ المَوارِدِ فى الدُّجَى * تَكُنْ قَمَنًا[2] من غَشْيةٍ لا تُفيقُها

دواءُ طبيبٍ كان يعلم أنّه * يُداوى المجانينَ المُخَــلّى طريقُها

فبلغ ذلك يزيدَ فقال :

سَتَبْرأُ من بعد الضَّمانة[3] رجلُها * وتأتى الذى تَهْوَى مُخَلًّى طريقُها

على هَدَايا البُدْنِ إن لم أُلاقِها * وإن لم يكن إلا فُدَيْكٌ يسوقها

يُحَصِّنُها منّى فديكٌ سَــفَاهةً * وقد ذهبتْ فيها الكُبَّاسُ[4] وحُوقُها

تُذيقونها شيئًا من النّار كلّمــا * رأتْ من بنى كعبٍ غلامًا يَرُوقها

قال : و إنمــا كانت وضعت رجلَها فأحرقتْها النار .

وقال يزيد أيضا :

يا سُخْنةَ العين[5] للجَرْمىّ إذ جمعَتْ * بينى و بين نَوَارٍ وحشــةُ الدارِ

خُبِّرتُهم عذّبوا بالنــار جارتَهم * ومَنْ يُعَــذِّبُ غيرَ الله بالنــار

فبلغ ذلك فُدَيْكًا فقال :

أحالفــةٌ عليك بنو قُشَــيْرٍ * يمينَ الصَّــبْرِ[6] أم متحرِّجــونا

---

(١) العنيق : السير المنبسط . (٢) هو قمن بكذا وقمن منه (بفتح الميم) وقمن (بكسر الميم) وقمين أى حرىّ وخليق وجدير . فمن فتح الميم لم يثن ولا جمع ولا أنث لأنه مصدر ، ومن كسرها أو زاد الياء فقال قمين ثنى وجمع وأنث لأنه وصف . (٣) الضمانة : الزمانة والعاهة . أراد احتراق رجلها . (٤) الكباس : الكمرة الضخمة . والحوق : ما استدار من حروفها . (٥) سخنت عينه سخنا وسخونة وسخنة : نقيض قرّت . (٦) يمين الصبر : هى التى يلزم بها المرء و يحبس عليها حتى يحلف بها ؛ فلو حلف من غير إحلاف لم يكن قد حلف صبرا .

— ويروى : يمين الله —

فإنْ تَنْكُلْ قُشَيْرٌ تَقْضِ جَرْمٌ * وتقض لها[1] مع الشبه اليقينا

أليس الجَوْرُ أنّ أباك منّا * وأنك فى قبيلة آخرينا

١١٩ / ٧

لَعَمْرُ الله إنّ بنى قُشَيْرٍ * لِجَرْم فى يزيد لظالمونا

٥ فإلّا يحلفوا فعليك شَكْلٌ[2] * ونَجْرٌ[3] ليس مما يعرفونا

وأعرِفُ فيك سِيمَا آلِ صَقْرٍ * ومِشْيَتَهم إذا يتخيَّلونا

قال : وكانت جَرْمٌ تدّعيه، وقُشَيرٌ تدّعيه؛ فأراد أن يُخبر أنه دَعِيّ .

وقال فُدَيْك بن حَنْظلة يهجوه :

وإنّا لسيّارون بالسُّنّة التى * أُحِلّتْ[4] وفينا جَفْوةٌ حين نُظْلَمُ

١٠ ومنّا الذى لاقته أُمُّك خاليًا * فلم تدرِ ما أىّ الشهورِ المحرَّمُ

فقال يزيد يهجو فُدَيكا :

أنَعَتُ عَيْرًا من عُيورِ القَهْرِ * أقْمَرَ من شرّ حَميرٍ قُمْرِ[5]

صبّح أبياتَ فُدَيْكٍ يجرى * منزلةَ اللُّؤم ودارَ الغَدْرِ

فلقيتْهُ عند بابِ العَقْرِ[6] * يَنْشِطُها والدِّرعُ عند الصَّدرِ

١٥ * نَشْطَكَ بالدَّلو قَراحَ الجَفْرِ[7] *

حاور حسناء عرفته من حديثه

أخبرنا يحيى بن علىّ إجازةً عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا أبو الحارث هانئ بن سَعْد الخَفاجىّ قال :

---

(١) فى أ ، ء : « بها » . (٢) فى ب ، س : « نكل » وهو تحريف .

(٣) كذا فى حـ . والنجر : اللون . وفى سائر الأصول : « نحر » وهو تصحيف .

٢٠ (٤) فى حـ : « أجلت » بالجيم . (٥) القهر : موضع . والقمرة : لون الى الخضرة ، وقيل : بياض فيه كدرة . (٦) العقر : موضع . وينشطها : يرفعها . (٧) الجفر : البئر .

ذُكرتْ ليزيد بن الطَّثْرِيّة آمرأةٌ حَدَثةٌ جميلةٌ ، فخرج حتى يَدفَعَ اليها ، فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدّثان ، فسلّم عليهم ، فأَوْجستْ أنه يزيد ولم تَتَثَبَّتْ[1] ، ورأتْ عليه مَسْحة . فقالت : أىُّ ريح جاءت بك يا رجل؟ قال : الجَنُوبُ . قالت : فأىّ طيرٍ جرتْ لكَ الغداة؟ قال : عنزٌ زَنِمةٌ[2] رأيتُها يُدَاوِرُها ثَعلَبانِ ، فأنقضّ عليها سِرْحَانٌ[3] فراغ الثعلبانِ . قال : فطَفَرتْ وراء سِتْرِها ، وعرفتْ أنه يزيد .

ذهب معه قطرىّ لرؤية نساء يحتجبن عنه ، وشعره فى ذلك

قال إسحاق وحدّثنى عَطَرّد قال :

قال قَطَرِىّ بن بَوْزَل ليزيد بن الطَّثْرِيّة : انطَلِقْ معى الى فلانةَ وفلانة فانهنّ يَبرُزْنَ لك ويستَتِرْنَ عنّى ، عسى أن أراهنّ اليوم على وجهك . فذهب به معه ، فخرج عليهما النّسوةُ وظَلّا يتحدّثان عندهن حتّى تَرَوّحا . وقال يزيد فى ذلك :

على قَطَرِىٍّ نعمةٌ إن جزى بها * يزيدَ وإلّا يَجْزِهِ اللهُ لى أجْرا ١٠

دنوتُ به حتّى رَمَى الوحشَ بعدما * رأى قَطَرِىٌّ من أوائلها نَفْرا

قصته مع رجل من صداء أحب خثعمية فأعانه عليها

أخبرنا يحيى إجازةً عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عَطَرّد قال :

نزل نَفَرٌ من صُداءَ[4] بناحية العَقِيق ، وهو منزلُ آبن الطَّثْرِيّة ، نصفَ النهار فلم يأتهم أحد ، فأبصرهم آبن الطَّثْرِيّة فمرّ عليهم وهو منصرفٌ وليسوا قريباً من أهله . فلما رآهم مُرْمِلين[5] أنْفَذ اليهم هديّةً ومضى على حِيَاله ولم يراجعْهم . فسألوا عنه بعدُ حتى ١٥ عرفوه ، فخَلا عندهم وأَعْجَبهم . ثم إنّ فتًى منهم وادّه فآخاه فأهدى له بُرْدًا وجُبّة

---

(١) فى الأصول : « يثبت » بالياء . (٢) عنز زنمة : لها لحمتان متدليتان من حلقها .
(٣) السرحان : الذئب . (٤) كذا فى ح ، ب ، س . وصداء : مخلاف باليمن ، بينه وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخا . وفى سائر الأصول : « كداء » وهو موضع بأعلى مكة .
(٥) المرمل : الذى نفد زاده . ٢٠

ونَعْلَين . ثم اغار المقدَّمُ بن عمرو بن هَمَّام بن مُطَرِّف بن الأعلم بن رَبيعة بن عُقَيْل على ناس من خَثْعَم . وفى ذلك يقول الشاعر :

* مُغَار ٱبن هَمَّامٍ على حَيِّ خَثْعَمَا *

فأخذ منهم إبلًا ورَقيقا، وكانت فيهنّ جاريةٌ من حِسان الوجوه، وكان يهواها الذى
٥ آخَى يزيدَ ، فأصابه عليها بلاءٌ عظيم حتى نَحِل جسمُه وتغيّرتْ حالُه ؛ فأقبل الفتى حتّى نزل العَقِيقَ متنكِّرًا؛ فشكا الى يزيد ما أصابه فى تلك الجارية . فقال: أفيك خير؟ قال نعم . قال : فإنى أدفعها اليك . فخَبَأه فى عَرِيشٍ له أيّامًا حتى خَطِف الجاريةَ فدفعها اليه . فبعث إليها قَطَرِيَّ بن بَوْزَل، فاعترض لها بين أهلها و بين السوق فذهب بها حتى دفعها اليه وقد وَطَّن له ناقةً مُفَاجَّةً[1] فقال: النَّجاءَ فإنك لن تُصْبِح حتى تخرجَ
١٠ من بلاد قُشَيْر وتصيرَ الى دار نَهْد فقد نجوتَ؛ وأنا أُخْفِى أثرَك فعفَّى أثرَه ، وقال لابنة خَمّارة كان يشرب عندها : اسْحَبِى ذيلَكِ على أثره ففعلتْ . ثم بُحِث على ذلك حتى قيل : قد كان قَطَرِيٌّ أحْدَثَ الناس بها عهدًا؛ فٱستُعْدِىَ عليه فظُفر بيزيد فأُخِذ مكانه فحُبِس بحُجْر[2]، حبسه المُهَاجِر . ففى ذلك يقول يزيد :

ألَا لا أُبَالِى إن نجا لى ٱبنُ بَوْزَلٍ * ثَوَائِى وتَقْيِيدِى بِحُجْرٍ لَيَالِيَا
١٥ إذا حُمَّ أمرٌ فهو لا بدَّ واقعٌ * له لا أُبَالِى ما علىَّ ولا لِيَا
هو العَسَلُ المَاذِىُّ طورًا وتارةً * هو السُّمُّ والذِّيفان[3] واللَّيْث عاديا

نحر ناقة من إبل أخيه لنسوة فسبه فقال شعرا

أخبرنى أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب عن محمد بن سَلّام الجُمَحِىّ قال حدّثنى أبو الغَرّاف قال :

---

(١) المفاجة : التى تفرّج فى المشى بين رجليها . (٢) حجر (بالضم) : قرية باليمن .
٢٠ (٣) الماذىّ : العسل الأبيض . والذيفان (بالفتح ويكسر) : السم الناقع .

كان يزيد بن الطَّثْرِيَّة صاحب غَزَلٍ ومُحادثةٍ للنساء، وكان ظريفًا جميلًا من أحسن الناس كلِّهم شعرًا، وكان أخوه ثَوْرٌ سيِّدًا كثيرَ المـال والنَّخل والرَّقيق، وكان متنسِّكًا كثيرَ الحجّ والصَّدَقة كثيرَ المُلازمة لإبله ونخله، فلا يكاد يُلِمُّ بالحىّ إلا الفَلْتَة(١) والوَقْعة، وكانت إبلُه تَرِدُ مع الرِّعاء على أخيه يزيد بن الطَّثْرِيَّة فتُسْقَى على عَيْنـه . فبينا يزيدُ مارٌّ(٢) فى الابل وقد صدَر عن المـاء إذ مرّ بخِبَاءٍ فيه نسـوةٌ من الحاضر؛ فلما رأَيْنَه قلن : يا يزيد، أطْعِمْنا لحمًا . فقال : أعطِينَنِي سِكِّينًا فأعطينه، ونحَر لهنّ ناقةً من إبل أخيه . وبلغ الخبرُ أخاه، فلما جاءه أخذ بشَعْره وقسّقه وشتَمه . فأنشأ يزيد يقول :

يا ثَوْرُ لا تشتِمَنْ عِرْضِى فداك أبى * فإنمـا الشتمُ للقـوم العَـوَاوِيرِ(٣)

ما عَقْـرُ نابٍ لأمثـال الدُّمَى خُرُدٍ * عِيـنٍ كِرامٍ وأبكارٍ مَعَاصِـيرِ(٤)

عَطفْنَ حَوْلِىَ يسألْنَ القِرَى أُصُلًا * وليس يَرْضَـيْنَ منّى بالمَعـاذيرِ

هَبْهُنّ ضيفًا عَرَاكم بعـد هَجْعَتِكم * فى قِطْقِطٍ(٥) من سَقِيطِ(٦) الليل مشورِ(٧)

وليس قُـرْبَكُمُ شاءٌ ولا لبنٌ * أيرحَلُ الضيـفُ عنكم غيرَ مجبورِ

ما خـيرُ واردةِ المـاء صـادرةٍ * لا تجلى عن عَقِـيرِ(٨) الرَّجْل(٩) منحورِ

(١) يريد الوقت بعد الوقت . (٢) فى الأصول . «مارًا» وهو ظاهر الخطأ . (٣) العواوير : الجبناء . (٤) الخرد : جمع خريدة وهى المرأة الحيية ، والبكر التى لم تمس . والعين : جمع عيناء وهى الواسعة العين . والمعاصير : جمع معصر وهى الجارية التى بلغت شبابها أو أدركت .

(٥) القطقط (كزبرج) : المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر، وقيل : هو دون الرذاذ .

(٦) كذا فى طبقات الشعراء لابن سلام . والسقيط : الندى والثلج . وفى الأصول : «سواد الليل» .

(٧) كذا فى حـ وطبقات الشعراء ومهذب الأغانى . وفى سائر الأصول : «منشور» . (٨) كذا فى حـ ونسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى سائر الأصول : «عقيل» باللام وهو تحريف .

(٩) كذا فى نسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى الأصول : «الرحل» وهو تصحيف .

أحب امرأة وعلم أن سبعة يحبونها فقال شعرا

أخبرني أبو خَليفة قال قال ابن سَلّام :

كان يزيد بن الطَّثْرِيّة يتحدّث الى امرأة ويُعْجَب بها . فبينا هو عندها إذ حدَث لها شابٌ سِواه قد طلع عليه ، ثم جاء آخرُ ثم آخر، فلم يزالوا كذلك حتى تَمُّوا سبعةً وهو الثامن ؛ فقال :

٥
أرى سبعةً يَسْعَوْنَ للوصلِ كلُّهم * له عند ليلَى دِينةٌ يستدينُها
فألقيتُ سهمي وسْطَهم حين أَوْخَشُوا[1] * فما صار لى من ذاك إلا ثَمينُها
وكنتُ عَزُوفَ النَّفْسِ أَشْنأُ أن أرَى * على الشِّرْك من وَرْهاء طَوْعٌ قرِينُها[2]
فيومًا تراها بالعهود وَفِيّةً * ويومًا على دِين ابن خاقانَ دِينُها
يَدًا بِيَدٍ مَنْ جاء بالعَين منهمُ * ومَنْ لم يجئ بالعين حِيزَتْ رُهونُها

١٢١/٧

١٠ وقال فيها وقد صارمها :

ألَا بِأبِي مَنْ قد بَرَى الجسمَ حُبُّهُ * ومَنْ هو موموقٌ الىّ حبيبُ
ومن هو لا يزداد إلا تَشَوُّقًا * وليس يُرَى إلّا عليه رقيبُ
وإنّى وإن أَحْمَوْا[3] علىَّ كلامَها * وحالت أعادٍ دونها وحُروبُ
لَمُثْنٍ على ليلَى ثناءً يزيدها * قَوافٍ بأفواه الرُّواةِ تَطِيبُ
١٥ أليلَى احْذَرِى نَقْضَ القُوَى لا يَزَلْ لنا * على النأْيِ والهِجْرانِ منك نصيبُ
وكُونى على الواشين لَدّاءَ شَغْبَةً * كما أنا للواشى أَلَدُّ شَغُوبُ
فإنْ خِفْتِ ألّا تُحْكِمِى مِرَّةَ القُوَى * فرُدِّى فؤادى والمَزارُ قريبُ

(١) أوخشوا : خلطوا وصاروا الى الوخاشة أى الرذالة ؛ يقال : وخش الشيء (بالضم) وخاشة ووخوشة ووخوشا أى رذل وصار رديئا . وفى الأصول : « أوحشوا » بالحاء المهملة ؛ والتصويب عن
٢٠ اللسان (مادة وخش) . (٢) الورهاء : الحمقاء . وطوع قرينها أى أن قرينها يطيعها ، ولا تخضع هى لقرين ، لأنها تستبدل بكل قرين من شاءت متى شاءت ، فقرينها يطيعها وهى لا تطيع قرينا .
(٣) أحمى : حرّم ومنع .

كتب والى اليمامة الى أخيه ليؤدبه فحلق لمته فقال شعرا

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمه عن رجل من بنى عامر ثم من بنى خَفَاجةَ قال :

استعدت جَرْمٌ على ابن الطَّثْرِيّة فى وَحْشِيّة (امرأةٍ منهم كان يشبِّب بها) فكتب بها صاحبُ اليمامة الى ثَوْر أخى يزيد بن الطَّثْرِيّة وأمره بأدبه، فجعل عقو بتَه حَلْق لِمّته فحلقها، فقال يزيد :

أقــول لثَــوْرٍ وهو يَحْلِقُ لِمّتى * بجَجْنَاءَ[1] مردودٍ عليهـا نِصَابُهـا

— قال عبد الرحمن : كان عمّى يحتجّ فى تأنيث المُوسَى بهذا البيت —

تَرَفَّــقْ بهـا ياثورُ ليس ثوابُهـا * بهذا ولكن غيرُ هــذا ثوابُها

أَلَا ربّمـا ياثَوْرُ قــد غَلَّ[2] وَسْطَها * أَنَامِلُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضَابُهـا

وتَسْلُكُ[3] مِدْرَى العـاج فى مُدْلَهِمَّةٍ * إذا لم تُفَــرَّجْ مات غَمًّا صُؤَابُهـا

فراح بهـا ثَــوْرٌ تَرِفُّ[4] كأنها * سلاسـلُ دِرْعٍ خِيرُها[5] وآنسكابُهـا

مُنَعَّمَةٌ كالشَّرْيَةِ[6] الفَــرْدِ جادَها * نِجَـاءُ الــثُّرَيّا هَطْلُها وذِهَابُهـا

(١) فى الكامل للبرد : «بعقفاء» . والعقفاء والجناء بمعنى، وهى كل حديدة لوى طرفها .

(٢) غل شعره بالطيب : أدخله فى أصوله . وفى ب ، س : «عل» بالعين المهملة وهو تصحيف . وفى الكامل (ص ٣٢٤ طبع أوربا): «... يا ثور فرق بينها» . (٣) فى الكامل : «فيهلك» . ويهلك : يضل . والمدرى : شىء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر الملبد، ويستعمله من لم يكن له مشط . ومدلهمة : سوداء . (٤) كذا فى الكامل . وفى الأصول : «تزف» . وهو تصحيف : ورف لونه : برق وتلألأ . وفيه أيضا : «بجاء بها» بدل «فراح بها» . (٥) الخير: الهيئة . وفى ب، س : «خبؤها» . ورواية هذا الشطر فى الكامل : «سلاسل برق لينها وانسكابها» . وسلاسل البرق هى ما استطال فى عرض السحاب، ترى فيه هيئة انثناء والتواء . (٦) الشرية : شجرة الحنظل، تشبه اللمة بها لحسنها لأنها جعدة . والنجاء : جمع نجو كبحر وبحار، وهو السحاب الذى هراق ماءه . والذهاب : جمع ذهبة (بالكسر) وهى المطرة الضعيفة، وقيل : الجود . ورواية هذا البيت فى الكامل :

خدارية كالشرية الفرد جادها * من الصيف أنواء مطير سحابها

والخدارية : وصف للة، أى شديدة السواد .

فأصبح رأسى كالصُّخَيْرة أشرفتْ * عليها عُقَابٌ ثم طارتْ عُقابُها

ونظير هــذا الخبر أخبار مَنْ حُلِقتْ جُمَّتُــه فرثاها ، وليس من هذا الباب، ولكن يُذكر الشيء بمثله :

أخبار من حلقت رءوسهم

أخبرنى محمــد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرنى عبد الرحمن عن عمه قال :

٥ شَرِب طُخَيْمٌ الأَسَــدِىّ بالحِيرة ، فأخذه العبّاس بن مَعْبَــد المُرِّىّ ، وكان على شُرَط يوسف بن عمر، فحلَق رأسَه؛ فقال :

وبالحِيرةِ البيضاء شيخٌ مُسَلَّطٌ * إذا حلَف الأَيمانَ بالله بَرّتِ

لقــد حلَقُوا منّا غُدافًا كأنهــا * عَناقيدُ كَرْمٍ أَينعتْ فاَسْبَطَرّتِ (١)

يَظَلّ العَذَارَى حين تُحْلَق لِمّتِى * على عَجَــلٍ يَلْقُطْنَها حين جُزّتِ

١٠ أخبرنى محمــد (٢) عن عبد الرحمن عن عمه عن بعض بنى كِلَاب قال :

أُخِذَ فتًى منّا مع بعض فَتَيَاتِ الحىّ ، فحُلِق رأسُه فقال :

يا لِمّتِى ولقــد حُلِقْتِ (٣) جَميــلةً * وكرُمْتِ حــين أصابكِ الحَلَمــانِ

أمستْ تَرُوق الناظرين وأصبحتْ * قَصَصًا (٤) تكونُ (٥) فواصــلَ المَرْجانِ

١٢٢ / ٧

شعره فى أخيه ثور

أخبرنى وَكِيع قال حدّثنى علىّ بن الحسين بن عبــد الأعلى قال حدّثنــا

١٥ أبو مُحَلِّم قال :

كان ليزيد بن الطَّثْرِيّة أخٌ يقال له ثَوْر أكبرُ منه ، فكان يزيد يُغــير على ماله ويُتْلفه، فيتحمّله ثَوْر لمحبته إيّاه . فقال يزيد فى ذلك :

(١) اسبطرت : طالت وامتدت . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصــول : « محمد بن عبد الرحمن » وهو تحريف . إذ أن محمدا هذا هو محمد بن الحسن بن دريد، وقد تقدّمت روايته فى السند

٢٠ السابق وفى غيره عن عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « حلقت » بالحاء المهملة . (٤) القصص (بالتحريك) : ما قص من الشعر .

(٥) فى ب ، س : « تفوق » .

نُغِـــيرُ على ثَوْرٍ وثورٌ يَسُـــرُّنا * وثورٌ علينا فى الحيـاة صَبُورُ
وذلك دأْبِى ما حَيِيتُ وما مَشَى * لثورٍ على عَفْـرِ التُّراب بعـيرُ

وقُتِل يزيد بن الطَّثْرِيّة فى خلافة بنى العبّاس[1]، قتلتْه بنو حَنيفة .

ب بين عقيل وحنيفة ومقتل يزيد وما رثاه به الشعراء

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سـعيد السُّكّرىّ عن محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابىّ عن المُفَضَّـل بن سَـلَمة عن أبى عُبيـدة وابن الكَلْبىّ، وأخبرنا يحيى بن علىّ عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبى الجَرّاح العُقَيْلىّ قال :

أغارتْ بنو حَنيفة على طائفة من بنى عُقَيْل ومعهم رجلٌ من بنى قُشَيْرٍ جارٌ لهم، فقَتل القُشَيْرىّ ورجلٌ من بنى عُقَيْل وأَطَّرَدتْ[2] إبلًا من العُقَيْلِيِّين؛ فأتى الصَّرِيخُ[3] عُقَيْلًا فلحقوا القومَ فقاتلوهم فقتَلوا من بنى حَنِيفة رجلًا وعقَروا أفراسًا ثلاثةً من خيـل حنيفة وانصرفوا، فلبِثوا سـنة . ثم إن عُقَيْلًا انحدرتْ منتجعةً من بلادها الى بلاد بنى تَميم، فذُكِر لحَنيفةَ وهم بالكَوْكَبِة[4] والقيضاف، فغزَتْهم حَنيفةُ، وحَذِر العُقَيْلِيّون وأتتهم النُّذُرُ من نُمَير فانكشفوا فلم يقدِروا عليهم؛ فبلَغ ذلك من بنى عُقَيْل وتلهّفوا على بنى حنيفة، فجمعوا جمعًا ليَغْزُوا حنيفة، ثم تشاوروا . فقال بعضهم : لا تغزوا قومًا

(١) قال ابن خلكان فى ترجمة يزيد بن الطـثرية : « وقال أبو بكر بن يحـيى بن جابر البـلاذرى فى كتاب أنساب الأشراف، بعـد ذكر مقتل الوليد بن يزيد بن عبـد الملك بن مروان الأموى الحكمىّ ووقائع جرت فى سنة ست وعشرين ومائة ، فكانـ فى أثناء ذلك وقعة قتـل فيها المنداف بن إدريس الحنفى وقتل معه يزيد بن الطثرية المذكور على قرية يقال لها الفلج » ثم قال : « وذكر أبو الحسن الطوسىّ المذكور فى هـذه الواقعة أن الراية كانت مع يزيد بن الطـثرية ، فلما قتل المنداف وهرب أصحابه ثبت يزيد بن الطثرية، وكان عليـه جبة خز فتشبثت فى عشرة (بضم العين وفتح الشين والراء) فعثر فضربه بنو حنيفة حتى قتلوه» . ثم استنبط ابن خلكان أن قتل يزيد بن الطثرية كان فى هذه السنة عقب مقتل الوليد ابن يزيد . ثم نقل عن أبى الفرج قوله فى أوّل ديوان يزيد الذى جمعه من شعره أنه قتـل فى خلافة بنى العباس، وقال : والأوّل أصح .
(٢) طرد الإبل : ساقها ، والمطاوع له اطردت الإبل .
(٣) الصريخ : الاستغاثة .
(٤) لم نجد هذين الموضعين فى معجمات البلدان .

فى مَنَازلهم ودُورهم فيتحصَّنُوا دونكم ويمتنعوا منكم، ولا نأمنُ أن يفضحوكم، فأقاموا بالعَقيق . وجاءت حنيفةُ غازيةً كَعْبًا لا تتعدّاها حتى وقعت بالفَلَج، فتطاير النّاسُ، ورأْسُ حَنِيفةَ يومئذ المُنْدَلِفُ، وجاء صَرِيخُ كَعْب الى أبى لَطيفــةَ بنِ مُسْلم العُقَيْلِىّ وهو بالعَقيق أميرٌ عليها؛ فضاق بالرسول ذَرْعًا وأتاه هولٌ شــديد، فأرسل فى عُقَيْل يستمدّها؛ فأتته ربيعةُ بن عُقَيْل وقُشَيْرُ بن كعب والحَرِيشُ بن كعب وأَفْناءُ خَفَاجةَ، وجاش اليه النـاس[1]؛ فقال : إنى قــد أرسلتُ طَليعةً فانتظروها حتى تجىء ونعـلَمَ ما تُشِيرُ به[2] . قال أبو الجَرّاح : فأصبح صُبْحَ ثالثةٍ على فرس له يَهْتِف : أعزّ الله نصرَكم وأمتعَنا بكم ! انصرِفوا راشــدين فلم يكن بأسٌ ؛ فانصرف النـاسُ؛ وصار فى بنى عمّه ورَهْطِه دِنْيةً . وإنما فعل ذلك لتكون له السُّمْعةُ والذِّكر . فكان فيمن سار معه القُحَيْف بن خُمَيْر[3] ويزيد بن الطَّثْرِيّة الشاعران؛ فساروا حتى واجهوا القومَ، فواقعوهم فقتلوا المُنْدَلِفَ، رَمَوْه فى عينه، وسَبَوْا وأَسَروا ومَثَّلوا بهم وقطعوا أيدىَ اثنين منهم وأرسلوهما الى اليَمَامة وصنعوا ما أرادوا[4] . ولم يُقتل ممن كان مع أبى لَطِيفةَ غيرُ يزيدَ بنِ الطَّثْرِيّة، نَشِب ثوبُه فى جِذْلٍ[5] من عُشَرَةٍ فانقلب، وخبَطه القومُ فقُتل .

فقال القُحَيْف يرثيه :

أَلَا تَبْكِى سَرَاةُ بنى قُشَــيْرٍ * على صِــنْدِيدِها وعلى فَتَاها
فإنْ يُقْتَــلْ يزيدُ فقــد قَتَلْنا * سَرَاتَهُــمُ الكهولَ على لِحَـاها
أبَا المَكْشوحِ بعدَكَ مَنْ يُحَامِى * ومَنْ يُزْجِى المَطِىَّ على وَجَاها

(١) جاش اليــه الناس : ساروا اليه ليلا . (٢) كانت العبارة فى الأصل « ما تشير » . (٣) كذا فى شرح القاموس (مادة قحف) . وفى ب، س : « القحيف بن حمير » . بالحاء المهملة ؛ وهو تصحيف . وفى سائر الأصول « المحنف بن حمير » وهو تحريف . (٤) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : « وتصنعوا ما أرادوا » وهو تحريف . (٥) الجذل : أصل الشجرة . والعشرة : شجرة من العضاه وهى من كبار الشجر ذات صمغ حلو وورق عريض .

وقال القُحَيْف أيضا يرثيه :

إن تقتُلوا منّا شهيدًا صابرًا * فقد تركنا منكُمُ مجازرًا

عشرين لمّا يدخُلوا المقابرا * قتلى أصيبتْ قَعَصًا[1] نحائرا

* نعجا[2] ترى أرجُلَها شواغرا *

وهذه من رواية ابن حَبيبَ وحدَه. وقال القُحَيْف أيضا ولم يروها إلا ابن حبيبَ : ٥

يا عينُ بكّى هَمَلًا على هَمَلْ * على يَزيد و يزيدَ بنِ حَمَلْ

* قتّال أبطالٍ وجرّار حُلَلْ *

قال : و يزيد بن حَمَل قُشَيْرِىّ قُتِل يومئذ أيضا . وقالت زينب بنت الطَّثْريّة ترثى أخاها يزيد ـ وعن أبى عمرو الشَّيْبانىّ أنّ الأبيات لأُمّ يزيد، قال : وهى من الأَزْد . ويقال : إنها لوَحْشيّة الجَرْميّة ـ : ١٠

أرى الأَثْل من بطن العَقيق مُجاوِرى * مُقيماً وقد غالت يزيدَ غوائلُهْ

فتًى قُدَّ قَدَّ السَّيْف لا مُتَضائلٌ * ولا رَهِلٌ لَبّاتُه و بآدِلُه[3]

فتًى لا ترى قَدَّ القميص بخَصْره * ولكنّما تُوهِى القميصَ كواهلُهْ

إذا نزل الضِّيفانُ كان عَذَوَّرًا[4] * على الحىّ حتى تَسْتَقِلَّ مَراجِلُه

يَسُرُّك[5] مظلوماً و يُرضيك ظالما * وكلُّ الذى حَمّلتَه فهو حامِلُه ١٥

---

(١) القعص (بالفتح و بالتحريك) : القتل المعجل والموت الوحىّ ، يقال : مات فلان قعصا إذا أصابته ضربة أو رمية فات مكانه . (٢) كذا فى أكثر الأصول ولعله : «نعجى» جمع نعج كزمن وزمنى . ونعج الرجل ربا وانتفخ ، وذلك ملحوظ فى الميت بجلاء . وفى ب ، س : « نعيا » بالفاء . وشواغر : مرفوعات . (٣) البآدل : جمع بأدلة وهى اللحمة بين العنق والترقوة .

(٤) العذوّر : السيئ الخلق القليل الصبر عما يريده ويهم به . والمراجل : جمع مرجل وهو القدر. ٢٠ واستقلالها : انتصابها على الأثافى . وصفه بسوء الخلق والتشدد فى الأمر والنهى حتى تنصب المراجل وتهيأ المطاعم للضيفان ثم يعود الى خلقه الأول . (٥) فى اللسان : «يبيتك مظلوما ويجيك ظالما» ... ظالما أنك ان ظلمت فطولبت بظلمك حماك ومنع منك .

إذا جَدّ عند الجِدّ[1] أرضاك جِدُّه * وذو باطلٍ إن شئتَ ألْهاكَ باطلُهْ

إذا القومُ أمُّوا بيتَه فهو عامدٌ * لأفضلِ ما أمُّوا له فهو فاعلُه[2]

مضَى وورِثْناه دَرِيسَ مُفَاضَةٍ[3] * وأبيضَ هِنْدِيًّا طويلًا حمائلُه

وقد كان يَحمي المَحْجِرين[4] بسيفه * ويبلغُ أقْصَى حَجْرةِ[5] الحيِّ نائلُه

٥ فتًى ليس لابن العم كالذئب إن رأى * بصاحبه يومًا دمًا فهو آكِلُه

سيَبْكيه مولاه إذا ما ترفَّعت * عن الساق عند الرَّوْع يوما ذَلَاذِلُه

الذُّلْذُل[6] : هُدْب الثياب .

وقد أخبرنا الحَرَميّ عن الزُّبَير عن عمر بن إبراهيم السَّعْديّ عن عباس بن عبد الصمد قال :

١٠ قال هشام بن عبد الملك للعُجَيْر السَّلُولِيّ : أصدقتَ فيما قلتَ في ابن عمك[7] ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين، ألا إنّي قلتُ :

فتًى قُدّ قَدّ السيف لا متضائلٌ * ولا رَهِلٌ لَبَّاتُه وأباجِلُه[8]

(١) كذا في أ ، ء ، م . وفي سائر الأصول : « عند الظلم » . (٢) رواية ديوان الحماسة : « لأحسن ما ظنوا به ... الخ » . (٣) الدريس : الخلق من الدروع وغيرها . والمفاضة : الدرع الواسعة . وأبيض يعني سيفا . وجعله طويل الحمائل لطول قوامه . يريد : أنه أنفق ماله فيما نشر له حمدا فلم يكن إرثه إلا ما ذكر من السلاح .

(٤) المحجر : الحرم وما يمنعه القوم . ورواية هذا الشطر في الحماسة :

* وقد كان يروى المشرفيّ بكفه *

يريد أنه كان شديد النكاية في الأعداء . (٥) الحجرة (بالفتح) : الناحية .

٢٠ (٦) في الأصول : « الذلاذل » بزيادة ألف ولم نقف عليها في كتب اللغة ، وإنما واحد الذلاذل ذلذل وذلذلة . (٧) كذا في ترجمة العجير السلولي (ج ١١ ص ١٥٣ طبع بلاق) . وفي الأصول : «في ابن عمر» وهو تحريف . (٨) الأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق غليظ في الرجل ، وقيل : هو في باطن الذراع .

فذكر هذا البيتَ وحدَه ونسبه الى العُجَيْر السَّلُولى من الأبيات المنسوبة الى أخت يزيد بن الطَّثْرِيّة أو إلى أمه وأتى بأبياتٍ أخر ليست منها، وسيُذكر ذلك فى أخبار العُجَيْر مشروحًا إن شاء الله تعالى .

ومما يُغَنَّى فيه من شعر يزيد بن الطَّثْرِيّة قولُه :

صــــوت

بنفسىَ مَنْ لا بدّ أنّىَ هاجِرُهْ * ومن أنا فى الميسور والعُسْر ذاكِرُهْ
ومن قد رماه الناسُ بى فاتّقاهمُ * ببغضىَ إلّا ما تُجِنُّ ضمائرُهْ

١٢٤/٧

عروضُه من الطويل . غنّى فى هذين البيتين عبد الله بن العباس الرَّبيعىّ لحنا من خفيف الثقيل بالبنصر . وغنّتْ فيه عَرِيبُ وفى أبيات أضافتْها اليها لحنًا من خفيف الثقيل الأوّل آخَرَ . وغنّت عُلَيّةُ بنت المهدىّ فيها خفيفَ رَمَلٍ . وذكر الهِشَامىّ أن لإبراهيم فيها لحنًا ماخُورِيًّا . والأبياتُ المُضَافةُ : ١٠

بنفسىَ من لا أُخْبِرُ الناسَ باسمه * وإن حَمَلتْ حِقْدًا علىّ عشائرُهْ
بأهلى ومالى من جلَبتُ له الأذَى * ومَنْ ذكرُه منّى قريبٌ أُسامرُه
ومَنْ لو جرت شَحْناءُ بينى وبينه * وحاوَرَنى لم أدرِ كيف أُحاوِرُهْ

صــــوت ١٥

من المائة المختارة

شَأتْكَ المنازلُ بالأَبْرَقِ * دوارسَ كالعين فى المُهْرَقِ
لآلِ جَميلةَ قد أَخْلقتْ * ومهما يَطُلْ عهدُه يُخْلِقِ
فإن يَقُلِ الناسُ لى عاشقٌ * فأين الذى هو لم يَعْشَقِ
ولم يَبْكِ نُؤْيًا على عَبْرةٍ * بداء الصَّبابة والمَعْلَقِ ٢٠

شأْتك : بعُدتْ عنك . والشأو : البعد . يقال: جرى الفرسُ شأْوًا، يريد طَلَقًا .
والمُهْـرَق : الصحيفة ، والجمـع المَهَارق . يريد أنّ الدار قد بَقِيتْ منها طـرائقُ كالصّحف وما فيها .

الشعر للأحوص . والغناءُ لجَمِيلة ، ولحنُها المختار خفيفُ رملٍ بالوسـطى عن[1] إسحاق . وفيه لعَطَرّد ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر فى مجرى الوسطى . وفيه لمعبـد خفيفُ ثقيلٍ عن حَبَش ؛ وفيه رمل يقال : إنه لفَريدة، ويقال : إنه لمـالك . وقيل: إن الثقيلَ الأوّل لابن عائشة . وذكر عمرو بن بانة أن خفيف الرمل لعَطَرّد أيضا .

(١) فى ب، س : «بالوسطى فى مجراها عن إسحاق» .

ذكر جميلة وأخبارها

ولاء جميلة وشعر عبد الرحمن بن أرطاة فيها

هى جميلة مولاةُ بنى سُلَيْم ثم مولاةُ بطن منهم يقال لهم بنو بَهْز، وكان لها زوج من موالى بنى الحارث بن الخزرج، وكانت تنزل فيهم، فغلب عليها ولاءُ زوجها، فقيل: إنها مولاة للأنصار، تنزل بالسُّنُح[1] وهو الموضع الذى كان ينزله أبو بكر الصِّدِّيق؛ ذكر ذلك إبراهيم بن زِيَاد الأنصارى الأَمَوِىّ السَّعيدى. وذكر عبد العزيز بن عِمْران أنها مولاةٌ للحَجَّاج بن عِلَاط السُّلَمىّ. وهى أصل من أصول الغناء، وعنها أخذ معبدٌ وابن عائشة وحَبَابَةُ وسَلَّامة وعقيلة العَقيقية والشَّمَاسِيَّتان خُلَيْدة ورُبَيْحة. وفيها يقول عبد الرحمن بن أَرْطاة:

صــــوت

إنّ الدَّلَال وحسنَ الغنا * ءِ وَسْطَ بيوت بنى الخزرج

وتلكم جميلةُ زينُ النساء * اذا هى تَزْدان للمَخْرَج

إذا جئتَها بذلتْ وُدَّها * بوجه منيرٍ لها أبلج

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطاة. والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق فى مجرى الوسطى، ويقال: فيه للدَّلال وجَميلة لحنان.

كانت أعلم خلق الله بالغناء

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبى جعفر القُرَشىّ عن المحرزىّ[2] قال:

كانت جميلة أعلمَ خلق الله بالغناء؛ وكان معبد يقول: أصلُ الغناء جَميلة وفرعُه نحن، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنّين.

(١) السنح (بالضم وبضمتين): موضع قرب المدينة. (٢) فى حـ: «المخرزى» بالخاء المعجمة.

كيف تعلمت الغناء

قال إسحاق وحدّثني أيُّوب بن عَبَايَة قال حدّثني رجل من الأنصار قال :

سُئِلت جميلة : أنّى لكِ هذا الغناء؟ قالت : والله ما هو إلهامٌ ولا تعليم ولكنّ أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جارًا وكنتُ أسمعه يغنّي و يضرب بالعود فلا أفهمه ، فأخذتُ تلك النّغَمات فبنيتُ عليها غنائي ، فجاءت أجودَ من تأليف ذلك الغناء ، فعلِمتُ وألقيتُ ، فسمعني مَوالِياتِي[1] يومًا وأنا أغنّي سرًّا ففهِمْنَني ودخلْنَ عليّ وقُلْنَ : قد علِمنا فما تكتُمينا . فأقسمْنَ عليّ ، فرفعتُ صوتي وغنّيتهنّ بشعر زُهَير بن أبي سُلْمَى :

وما ذكرتُكِ إلّا هِجْتِ لي طَرَبًا * إنّ المحبَّ ببعض الأمرِ معذورُ

ليس المحبّ بمن إن شَطَّ غيّره[2] * هجرُ الحبيب وفي الهِجران تغييرُ

صوت

نام الخليّ فنومُ العين تَعْذِيرُ[3] * ممّا ادّكرتُ وهمُّ النفس مذكورُ

ذكرتُ سَلْمَى وما ذِكْرِي براجعها * ودونها سَبْسَبٌ يَهْوِي به المُورُ[4]

— الشعر لزُهَير . والغناء في هذين البيتين لجَميلة ثقيل رملٌ بالوسطى عن حَبَش —

فحينئذ ظهَر أمري وشاع ذكري ، فقَصَدني الناسُ وجلستُ للتعليم ؛ فكان الجواري يتكاوسْنَنِي[5] ، فربما انصرف أكثرهنّ ولم يأخُذْنَ شيئا سوى ما سمِعْنَنِي أُطارِحُ لغيرهنّ ، ولقد كسبتُ لمَوَالِيَّ ما لم يخطُر لهنّ ببال ، وأهلُ ذلك كانوا وكنتُ .

---

(١) مواليـاتي : هو جمـع الجمع ، كصواحبات . (٢) في ب ، س : « كن » .
(٣) تعذير : قليل . وفي ب ، س : « تقرير » وهو تحريف . (٤) المور : الغبار المتردد ، وقيـل : التراب تثيره الريح . (٥) يتكاوسنني ، تريد : يتكنفنني و يتزاحمن حولي . ضمن « تكاوس » معنى « تكنف » فتعدى تعديته ؛ إذ الموجود في كتب اللغة أن التكاوس التزاحم والتراكم ، فهو فعـل لازم ؛ يقال : تكاوس النخل والشـجر والعشب اذا كثر والتف ، وتكاوس النبت اذا التف وسقط بعضه على بعض .

إجماع الناس على تقدمها فى الغناء

وحدّثنى أبو خليفة قال حدّثنى ٱبن سلّام قال حدّثنى مَسْلَمة بن محمد بن مَسْلَمة الثَّقَفِىّ قال :

كانت جميلةُ ممّن لا يُشَكّ فى فضيلتها فى الغناء، ولم يدّعِ أحدٌ مقارَبَتَها[1] فى ذلك، وكلُّ مدنىّ ومكىّ يشهد لها بالفضل .

وصف مجلس من مجالسها غنت فيه وغنى فيه مغنو مكة والمدينة

٥ قال إسحاق وحدّثنى هشام بن المُرِّيَّة المدنىّ قال حدّثنى جرير المدنىّ — قال إسحاق : وكانا جميعا مغنِّيَيْن حاذقين شيخين جليلين عالمين ظريفين، وكانا قد أسنّا، فأمّا هشام فبلغ الثمانين، وأمّا جرير فلا أدرى — قال جرير :

وفَد ٱبنُ سُرَيج والغريض وسَعيد بن مِسْجَح ومُسْلِم بن مُحرِز المدينةَ لبعض من وفَدوا عليه، فأجمع رأيهم على النزول على جَميلة مولاة بَهْز، فنزلوا عليها. فخرجوا يوما

١٠ الى العَقِيق متنزِّهين، فوردوا على مَعْبَد وٱبن عائشة فجلسوا اليهما فتحدّثوا ساعةً ؛ ثم سأل معبدٌ ٱبنَ سُرَيج وأصحابَه أن يَعرِضوا عليهم بعضَ ما ألّفوا . فقال ابن عائشة : إنّ للقوم أعمالًا كثيرةً حسنةً ولك أيضا يا أبا عَبّاد، ولكن قد ٱجتمع علماء مكة، وأنا وأنت من أهل المدينة، فليَعْمَل كلُّ واحد منّا صوتًا ساعتَه ثم يغنِّ به . قال

١٢٦/٧

معبد : يا ٱبنَ عائشة، قد أعجبتْك نفسُك حتى بلّغتْك هذه المرتبةَ ! . قال ٱبن عائشة:

١٥ أوَ غَضِبْتَ يا أبا عَبّاد ! إنّى لم أقل هذا وأنا أريد أن أتنقّصك فإنك لأنت المُقَادُ منه . قال معبدٌ : أمّا إذ قد ٱختلفنا وأصحابُنا المَكّيّون سكوتٌ فلنجعل بيننا حَكَمًا . قال ٱبن عائشة : إنّ أصحابنا شركاءُ فى الحكومة . قال ٱبن سُرَيج : على شَريطةٍ ؛ قال[2] : على أن يكون ما نُغَنِّى به من الشعر ما حُكِّمت فيه ٱمرأةٌ . قال ٱبن عائشة

(١) فى حـ ، ا : « مقارتها » بالنون .   (٢) كلمة « قال » هنا ظاهرة الزيادة .

ومَعْبَد : رَضِينا، وهى أمّ جُنْدَب . فأجمع رأيهم على الاجتماع فى منزل جميلة من غَدٍ. فلما حضروا قال ابن عائشة : ما ترى يا أبا عبّاد ؟ قال : أرى أن يبتدئ أصحابُنا أو أحدُهم . قال ابن سُرَيج : بل أنتما أوْلى . قالا : لم نكن لنفعلَ . فأقبل ابن سُرَيج على سَعيد بن مِسْجَح فسأله أن يبتدئ فأبَى . فأجمع رأىُ المكيّين على أن يبتدئ ابنُ سُرَيج . فغنّى ابن سريج :

صوت

ذهبتَ من الهِجْران فى غير مَذْهبٍ * ولم يَكُ حقًّا كلُّ هـذا التجنُّبِ

خليلىّ مُرّا بى على أمّ جُنْدَب * أُقَضِّ[1] لُبانات الفؤاد المُعَذَّبِ

فإنّكما إن تُنْظِرانىَ ساعةً * من الدّهر تَنْفَعْنى لدى أمّ جُنْدَبِ

ألم تَرَيانِى كلّما جئتُ طارقًا * وجدتُ بها طِيبًا وإن لم تَطَيَّبِ

— الشعر لامرئ القيس[2] . ولابن سُرَيج فيه لحنان ثانى ثقيلٍ بالسّبابة فى مجرى الوسطى، وخفيفُ رملٍ بالسّبابة فى مجرى الوسطى جميعا عن إسحاق —

وغنّى مَعْبَد :

صوت

فلِلّه عينا مَنْ رأى مِنْ تَفَرُّقٍ * أشَتَّ وأنْأى من فِراق المُحَصَّبِ[3]

عَلَوْنَ[4] بأنْطاكيّةٍ فوق عِقْمَةٍ * كجِرْمَةِ نخلٍ أو كجَنّة يَثْرِبِ

(١) فى الأصول هنا : «أقضى» . وفى شرح ديوانه : «لنقضى حاجات» . (٢) يلاحظ أن البيت الأول من هذه الأبيات من شعر علقمة الفحل وهو مطلع قصيدة له . (٣) المحصب : موضع رمى الجمار بمكة . (٤) علون : يعنى الظعائن . و إنما يريد الإبل التى تحمل الظعائن ؛ يعنى علون بالخدور التى فيها ثياب أنطاكية أى عملت بأنطاكية . والعقمة : ضرب من الوشى . والجرمة : ما جرم من البسر . شبه ما على الإبل من الألوان بالبسر الأحمر والأصفر . والجنة : البستان . يريد نخل المدينة .

فريقانِ منهم سالكٌ بطنَ نَخْـلَةٍ * وآخَرُ منهم جازِعٌ نَجْـدَ كَبْكَبِ[(١)]

فَعَيْناكَ غَرْبَا جَدْوَلٍ فى مُفَاضَـةٍ * كَمَرِّ خَلِيـجٍ فى سَـنِيحٍ مُثَقَّبِ[(٢)]

وغنّى ٱبن مِسْجَح :

صـــوت

وقالت فإن يُبْخَـلْ عليكَ ويُعْتَلَلْ * يَسُؤْكَ وإن يُكْشَفْ غرامُكَ تَدْرَبِ[(٣)]

وإنّكَ لم يَفْخَـرْ عليـكَ كفاخِرٍ * ضعيفٍ ولم يَغْلِبْكَ مثـلُ مُغَلَّبِ[(٤)]

وإنك لم تَقْطَـعْ لُبَـانَةَ عاشـقٍ * بمثـلِ بُكُورٍ أو رَوَاحٍ مُـؤَوِّبِ[(٥)]

---

(١) بطن نخلة : موضع على ليلة من مكة . والجازع : القاطع ، يقال : جزعت الوادى أى قطعتـه . وكبكب هو الجبل الأحمر الذى تجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الامام بعرفة . (٢) كذا فى ديوان امرئ القيس (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥ أدب ش) . وفى الأصـول : «مصوب» وهو تحريف . والغرب : الدلو الضخمة . والمفاضة هاهنا : الأرض الواسعة . والخليج : الخيط الذى يتناثر منه اللؤلؤ . والسنيح : اللؤلؤ . شبه ما يسيل من عينيه بالغربين ، وما يسيل من الغربين باللؤلؤ المتناثر . (عن شرح الديوان) . (٣) كل الشعر الماضى ، ما عدا البيت الأوّل كما تقدّم ، من قصيدة امرئ القيس . وقد اختلف فى هذا البيت أهو من قصيدة امرئ القيس أم من قصيدة علقمة . (راجع كتاب المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية للامام العينى فقد فصل الكلام فى ذلك) . وتدرب : من الدربة وهى التجربة . ومعنى البيت أنه إن بخل عليك بالوصال واعتل ساءك ذلك ، وإن وصلت وكشف غرامك كان ذلك عادة لك ودربة . وإنما يريد أنها كانت لا تقطع وصاله كل القطع فيحمله ذلك على اليأس والسـلو ، ولا تصله كل الوصل فيتعود ذلك ويستكثر منه حتى يدعوه الى الملل . (عن شواهد العينى) . وفى الأصول : «تذرب» بالذال المعجمة وهو تصحيف . (٤) فى ب ، س : «كعاجز» . والمغلب (بصيغة المفعول) : الذى من عادته أن يغلب . (٥) المؤوب : المردّد المكرر . ويصح أن يكون بالكسر باعتبار أن صاحبـه يؤوب فيه أى يرده مع الليل بعد سير النهار كله . وهذا البيت من شعر علقمة .

بأَدْمَاءَ حُرْجُوجٍ كأنّ قُتُودَها * على أَبْلَقِ الكَشْحَين ليس بمُغرِبِ[1]

يغرِّد بالأسحار فى كلّ سُدْفةٍ * تَغَرُّدَ مَيَّاحِ النَّدامَى المُطَرِّبِ[2]

وغنّى ابنُ عائشة :

صـــوت

(٥) وقد أغتدِى والطيرُ فى وُكُنَاتِها * وماءُ النَّدَى يَجْرِى على كل مِذْنَبِ[3]

١٢٧/٧ بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ لاحَهُ * طِرادُ الهَوَادِى كلَّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ[4]

إذَا ما جَرَى شَأْوَيْنِ وابتَلَّ عِطْفُه * تقولُ هَزِيزُ الرِّيحِ مَرَّتْ بأَثْأَبِ[5]

له أَيْطَلَا ظَبْيٍ وساقَا نَعَامةٍ * وصَهْوَةُ عَيْرٍ قائمٍ فوقَ مَرْقَبِ[6]

---

(١) الأدماء : الناقة البيضاء . والحرجوج : الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . والقتود : جمع قتد وهو أداة الرحل . وأبلق الكشحين : أبيض الخاصرتين . والإغراب : بياض الأشفار والوجه ؛ فالمغرب : الذى تتسع غرته حتى تأخذ عينيه وأشفاره . وقيل : الإغراب : بياض الأرفاغ مما يلى الخاصرة . أو المغرب الذى كل شىء منه أبيض وهو أقبح البياض . أى ليس بلقه باغراب . يريد : كأن قتود هذه الناقة على حمار وحشى موصوف بما ذكره بهذا البيت وما بعده لشدة نشاطها . وفى الشطر الأول رواية أخرى أشار اليها شارح الديوان وهى : «بمجفرة حرف...الخ» . والمجفرة : المتفخة . والحرف : الضامرة . (٢) يغرد : يطرب . وسدفة : طائفة من الليل . ومياح : وصف من ماح فى مشيته يميح ميحا وميحوحة إذا تبختر . والندامى : الفتيان الذين يتنادمون ، الواحد ندمان ونديم . يصف الحمار بانه يرفع بالأسحار صوته كأنه يطرب نفسه . (٣) المذنب : مسيل الماء الى الروضة . (٤) المنجرد : القصير الشعر . والأوابد : الوحش . ولاحه : غيره وأهزله وأضناه . والطراد : المطاردة . والهوادى : السوابق المتقدمات . والشأو : الطلق وهو جرى مرة الى الغاية . والمغرب : البعيد المدى . (٥) عطفه : ناحيته . وهزيز الريح : صوتها . والأثأب : شجر للريح فى أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت . (٦) الأيطل : الخاصرة . والصهوة : الظهر . والعير : حمار الوحش . وليس فى الدواب أحسن موضع لبد من حمار الوحش . وإنما قال : «قائم» لأنه إذا قام تمدد وإذا عدا اضطرب . والمرقب : المكان المرتفع من الأرض .

وغنّى ابن محرز :

صـــــوت

فللسَّوْطِ أُلْهُوبٌ وللساقِ دِرَّةٌ * وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ (١)
فأدْرَكَ لم يَجْهَدْ ولم يَثْنِ شَدَّه * يَمُرُّ كخُذْروفِ الوَليدِ المُثَقَّبِ (٢)
تَذُبُّ به طَوْرًا وطَوْرًا تُمِرُّه * كَذَبِّ البَشيرِ بالرِّداءِ المُهَدَّبِ (٣)
إذا ما ضربتُ الدَّفَّ أو صُلْتُ صَوْلَةً * تَرَقَّبُ مِنِّى غيرَ أَدْنَى تَرَقُّبِ (٤)

وغنّى الغريض :

صـــــوت

أخانقةٌ لا يَلْعَنُ الحىُّ شخصَه * صبورًا على العِلّاتِ غيرَ مُسَبَّبِ (٥)
رأينا شِياهًا يَرْتَعِينَ خَميلةً * كَمَشْىِ العَذارَى فى المُلاءِ المُجَوَّبِ (٦)

---

(١) الإلهاب والألهوب : شدّة العدو الذى يثير الهب وهو الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار . والساق درة أى إن حرك بالساق درّ على ذلك وزاد فى عدوه . والأخرج : الذكر من النعام الذى اختلف ريشه فى لونه . والمهذب : الشديد العدو . أى اذا زجر أخرج منه الزجر عدوا كعدو الظليم .

(٢) يريد أنه يدرك طريدته من غير جهد ولا مشقة . والخذروف : الدوّارة التى يلعب بها الصبيان .

(٣) هذا البيت والذى بعده من شعر علقمة وهما فى وصف ناقته . ويرجع الضمير فى « به » الى ذنبها الذى وصفه فى البيت الذى قبل هذا البيت وهو :

كأن بحاذيها إذا ما تشذرت * عثاكيل قنو من سميحة مرطب

وذب البشير أن يلمع للقوم بردائه إذا جاءهم بخبر خير . والمهدب : ذو الهدب . شبه خطران الناقة بذنبها بلمع البشير برداء ذى هدب . (٤) الدف : الجنب . وترقب : تلحظ السوط بمؤخر عينها من الخوف . وغير أدنى ترقب أى ترقبا شديدا . (٥) هذا البيت والأبيات التى بعده فى ديوان علقمة . وغير مسبب : غير مسبوب . (٦) شياه : بقر من الوحش . والخميلة : رملة فيها شجر قد صار لها كالخمل فى الثوب . والمجوّب : المصنوع له جيب .

وما أنتَ أَمْ مَا ذِكْرُها رَبَعِيَّةً * تَحُلُّ بإيرٍ أو بأكنافِ شُرْبُبِ[1]

أطعتُ الوُشَاةَ والمُشَاةَ بصُرْمِها * فقد أنْهَجَتْ حِبَالُها للتقضُّبِ[2]

فقالت جميلةُ: كلُّكم مُحسنٌ وكلّكم مُجيد في معناه ومذهبه. قال ابن عائشة: ليس هذا بمُقْنِع دون التفضيل. فقالت: أمّا أنت يا أبا يحيى[3] فتُضحك الثَّكْلَى بحُسْن صوتك ومشاكلته للنفوس. وأمّا أنت يا أبا عبّاد فنَسِيجُ وَحْدِك[4] بجودة تأليفك وحسن نَظْمك مع عذوبة غنائك. وأمّا أنت يا أبا عثمان فلك أوّليّةُ هذا الأمر وفضيلتُه. وأمّا أنت يا أبا جعفر فمع الخُلَفاء تصلُح. وأمّا أنت يا أبا الخطّاب فلو قدّمتُ أحدًا على نفسي لقدّمتُك. وأمّا أنت يا مَوْلَى العَبَلاتِ فلو ابتدأتَ لقدّمتُك عليهم. ثم سألوها جميعا أن تغنّيهم لحنًا كما غَنَّوْا، فغنّتهم بيتًا لامرئ القيس وأربعة أبيات لعَلْقَمة وهي:

خليليّ مُرّا بي على أمّ جُنْدَبِ * أُقَضِّ لُبَاناتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ

لَيَالِيَ لا تَبْلَى[5] نصيحةُ بيننا * ليالِيَ حَلُّوا بالسِّتَارِ[6] فغُرَّبِ

(١) قوله: وما أنت أم ما ذكرها: يوبخ نفسه وينكر عليها تتبع هذه المرأة مع بعد دارها. وإير: جبل لبني غطفان غربيّ جبلي طيئ. وشربب: واد في ديار بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم في شمال اليمامة. والأكناف: النواحي. (٢) أنهجت: خلقت وبليت. والتقضب: التقطع. (٣) أبو يحيى كنية ابن سريج، وأبو عباد كنية معبد، وأبو عثمان كنية سعيد بن مسجح، وأبو جعفر كنية ابن عائشة، وأبو الخطاب كنية ابن محرز، ومولى العبلات لقب الغريض. (٤) كذا في حـ. وفي سائر الأصول: «فنسيج وحده» وهو تحريف. (٥) كذا في ديوان علقمة. وفي الأصول: «ليل فلا تبلى» وهو تحريف. (٦) الستار (على وزن كتاب): جبل بعالية الحجاز. وغرب موضع تلقاءه. وهذا البيت واقع في ديوان علقمة بعد قوله:

ذهبت من الهجران في غير مذهب * ولم يك حقا كل هـذا التجنب

وهو مطلع القصيدة. يقول لنفسه: ذهبت من هجران هذه المرأة لك في غير مذهب يجب، أي لم تهجرك لريبة رابتك بها لكن إدلالا وتجنيا، ولم يكن تجنبها حقا، إذ لم تأت إليها ما يوجب التجنب. وقوله: ليالي لا تبلى أي فعلت هـذا بك زمن المرتبع إذ كان حيها وحيك متجاورين، فكنا نجدد النصائح ونقرب الوسائل. (راجع شرح ديوان علقمة الفحل للأعلم الشنتمرى).

مُبَتَّلَةٌ[1] كأنّ أنْضَاءَ حَلْيِها * على شادنٍ من صَاحَةٍ مُتَرَبِّبِ

مَحَالٌ[2] كأَجْوازِ الجَرادِ ولؤلؤٌ * من القَلَقِيِّ والكَبِيسِ المُلَوَّبِ

إذا أَلْحَمَ الواشون للشرّ بيننا * تبلّغ رَسَّ الحبّ غيرُ المُكَذَّبِ[3]

فكلُّهم أقرّوا لها وفضّلوها . فقالت لهم : أَلَا أحدِّثكم بحديث يتمّ به حسنُ غنائكم[4] وتمامُ اختياركم ؟ قالوا : بلَى والله . قال الغريض : قد والله فهمتُه يا سيّدتى . قالت : لعنك الله يا مخنّث ! ما أجودَ فهمَك وأحسنَ وجهَك ! وما يُلام فيك أبو يحيى إذ عرفتَه ؛ فهاته حدِّثنا . قال : يا سيّدتى وسيّدةَ مَنْ حضر، والله لا نطقتُ بحرف منه وأنت حاضرةٌ، ولكِ الفضلُ والعُتْبَى . قالت : نازع امرؤ القيس علقمةَ بنَ عَبَدَةَ الفحلَ الشعرَ ؛ فقال له : قد حكّمتُ[5] بيني وبينك امرأتَك أمَّ جُنْدَب ؛ قال : قد رضيتُ . فقالت لهما : قُولَا شعرًا على رَوِيٍّ واحد وقافيةٍ واحدةٍ صِفا فيه الخيلَ . فقال امرؤ القيس :

خَلِيلَيّ مُرّا بى على أمّ جُنْدَبِ * أُقَضِّ لُباناتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ

(١) المبتلة : المكتنزة الجسم الضامرة الكشح . وأنضاء الحلى : ما دق منه ولطف . يعنى قرطيها وقلائدها ولم يعن سوارا ولا خلخالا ، لأنه إنما قصد الى تشبيه جيدها وما عليه من الحلى بجيد الشادن . وصاحة : جبل أحمر بين الركاء والدخول ، وقيل : صاحة هضبتان عظيمتان لها زيادات وأطراف كثيرة ، وهى من عماية (جبل بالبحرين ضخم) تلى مغرب الشمس بينهما فرسخ . (عن معجم ما استعجم للبكرى) . ومتربب : مربى . (٢) المحال : ضرب من الحلى يصاغ مفقرا (أى محززا) على تفقير وسط الجراد . والجوز : وسط الشىء . والقلق : ضرب من القلائد المنظومة من اللؤلؤ . قال صاحب اللسان : والظاهر أنها سميت بذلك لقلقها (أى اضطرابها) . والكبيس : حلى يصاغ مجوفا ثم يحشى طيبا ثم يكبس . والملوب : المعطر بالملاب ، وهو نوع من العطر ، وقيل : الملاب كل عطر مائع . (٣) ألحم : أدخل . يقال : ألحم بين بنى فلان شرا اذا جناه لهم . وقوله : تبلغ رس الحب أى تبلغ فى القلب وثبت فيه . والرس : الثابت الراسخ . وغير المكذب أى غير المنقطع الزائل . (٤) فى ب ، س : «غضارتكم» . (٥) فى الأصول : «حاكت» .

وقال عَلْقَمة :

ذهبتَ من الهِجْرانِ في غيرِ مَذْهبِ * ولم يَكُ حقًّا كلُّ هذا التجنُّبِ

وأنشداها، فغلَّبتْ عَلْقمةَ. فقال لها زوجُها : بأىّ شىء غلَّبته؟ قالت : لأنك قلت :

فللسَّوْطِ أُلْهوبٌ وللساق دِرّةٌ * وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَهْوجَ مِنْعَبِ[1]

فجَهَدْتَ فرسَك بسَوْطك، ومَرَيْتَه[2] بساقك وزَجْرك، وأتعبتَه بجَهْدك. وقال علقمةُ :

فولّى على آثارهنّ بحاصِبٍ * وغَيْبَةِ شُؤْبُوبٍ من الشدِّ مُلْهِبِ[3]

فأدركهنّ ثانيًا من عِنانه * يمُرّ كمَرّ الرائحِ المُتحلِّبِ[4]

فلم يضرب فرسَه بسوط، ولم يَمْرِه بساق، ولم يُتعبْه بزَجْر. فقال ابن عائشة: جُعِلتُ فداكِ ! أتأذنين ن أُحدِّث ؟ قالت : هِيه . قال : إنما تزوج أُمَّ جُنْدَب حين هَرَب من المُنْذِر بن ماء السماء فأتى جَبَلَىْ طيِّئ، وكان مُفَرَّكًا[5] . فبينا هو معها ذاتَ ليلة إذ قالت له : قُمْ يا خيرَ الفتيان فقد أصبحتَ ، فلم يقم؛ فكرّرتْ عليه فقام فوجد الفجرَ لم يطلُع، فرجع فقال لها : ما حملكِ على ما صَنَعتِ ؟ فأمسكتْ. وألحّ عليها فقالت : حملنى أنك ثقيلُ الصدر، خفيفُ العَجيزة، سريعُ الإراقة ، بطىءُ الإفاقة. فعرف تصديقَ قولها وسكتَ . فلما أصبح أتى علقمةَ وهو فى خيمته وخلفَه أمّ جُنْدَب، فتذاكروا الشعر، فقال امرؤ القيس : أنا أشعر منك، وقال عَلْقمة مثلَ ذلك ، فتحاكما الى أمّ جُنْدَب، ففضّلت أمُّ جنـدب عَلْقمةَ على امرئ القيس .

---

(١) المنعب : الأحمق المصوت ، كذا فى اللسان واستشهد بالبيت . والمنعب أيضا : الذى يمد عنقه فى العدو .
(٢) مرى الفرس : استخرج جريه .
(٣) على آثارهنّ : يعنى البقر . وبحاصب : يعنى بعدو شديد كالحاصب من المطر وهو العظيم القطر . والغبية : المطرة التى تجىء شديدة . والشؤبوب : أول كل شىء وحدّته . وملهب : مثير للهب من شدة جريه . واللهب : الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار .
(٤) الرائح : يعنى السحاب الذى يأتى بالعشىّ، والسحاب أغزر ما يكون بالعشىّ . والمتحلب : المتساقط المتتابع .
(٥) المفرك : الذى تبغضه النساء .

فقال لها : بم فضّلته علىّ ؟ قالت : فرس ابن عَبَدَة أجودُ من فرسك ، زجرتَ وضربتَ وحرّكت ساقيك، وابنُ عَبَدَة جامدٌ لا مقتدر[1]. فغضب من قولها وطلّقها، وخلَف عليها علقمةُ . فقالت جميلة : ما أحسنَ مجلسَنا لو دام اجتماعُنا ! . ثم دعتْ بالغَداء فأُتى بألوان الأطعمة وأنواع من الفاكهة . ثم قالت : لولا شَناعةُ[2] مجلسنا لكان الشراب مُعَدًّا ولكنّ الليل بيننا . فلم يزالوا يومَهم ذلك بأطيب مجلس وأحسن حديث . فلما جَنّهم الليلُ دعتْ بالشراب ودعت لكل رجل منهم بعود، وأخذتْ هى عُودًا فضربتْ، ثم قالت : آضربوا فضربوا عليها بضربٍ واحد ، وغنّتْ بشعر امرئ القيس :

أأذكرْتَ نفسَك ما لن يَعُودَا * فهاج التذكُّرُ قلبًا عَمِيدَا
تذكّرتَ هندًا وأترابَها * وأيّامَ كنتَ لها مُستقيدا[3]
ويُعجبك اللَّهْوُ والمُسْمِعاتُ * فأصبحتَ أزمعتَ منها صُدودا
ونادمتُ قَيْصَرَ فى مُلكه * فأوجهنى[4] وركِبتُ البَرِيدا

فما سمع السامعون بشىء أحسنَ من ذلك . ثم قالت : تغنَّوْا جميعًا بلحنٍ واحد، فغنَّوْها هذا الشعر والصوتَ بعينه كما غنّتْه . وعلم القوم ما أرادتْ بهذا الشعر ؛ فقال ابن عائشة : جُعِلتُ فداكِ ! نرجو أن يدوم مجلسنا ، ويُؤْثِرَ أصحابنا المُقامَ بالمدينة فنُواسيَهم من كل ما نَملكه . قال أبو عبّاد : وكيف بذاك ! . فباتوا بأنعم ليلةٍ وأحسنها . قال إسحاق قال أبى قال لى يونس : قال أبو عبّاد : لا أعرف يومًا واحدًا منذُ عقَلتُ ولا ليلةً عند خليفة ولا غيره مثلَ ذلك اليوم، ولا أحسَبه

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س : « مقتدر » بالغين المعجمة . وكلاهما غير واضح .
(٢) تريد : لولا شهرة مجلسنا وقبح الأحدوثة عنه . (٣) استقاد له : أعطاه مقادته أى أطاعه ودل له . (٤) أوجهه : شرفه وجعله وجيها .

١٠ ١٥ ٢٠ ١٢٩/٧

يكون بعدُ . قال يونس : ولا أدركْنا نحن مثلَ ذلك اليوم ولا بلَغْنا . قال إسحاق : ولا أنا، ولا أحسب ذلك اليومَ يكون بعدُ .

زارها عبد الله بن جعفر فصرفت من عندها وأقبلت عليه تلاطفه

وحدّثنى أبى قال حدّثنا يونس قال قال لى أبو عبّاد :

أتيتُ جميلةَ يومًا وكان لى موعدٌ ظننتُ[1] أنّى سبقتُ الناسَ اليها، فاذا مجلسُها غاصٌّ، فسألتُها أن تُعلّمنى شيئا، فقالت لى : إنّ غيرَك قد سبقَك ولا يجمُلُ تقديمُك على مَن سواك . فقلتُ : جُعلتُ فِداكِ ! إلى متى[2] تفرُغِين ممّن سبقنى ! قالت : هو ذاك، الحقُّ يسَعُك ويسَعُهم . فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبدُ الله بن جعفر — وإنه لأوّل يوم رأيتُه وآخِرُه وكنت صغيرًا كيِّسًا، وكانت جميلةُ شديدةَ الفرح — فقامت وقام الناس، فتلقَّته وقبّلتْ رجليْه ويديْه، وجلس فى صدر المجلس على كرسىّ لها وتحوّق[3] أصحابُه حَوْلَه، وأشارت الى من عندها بالانصراف، وتفرّق الناسُ، وغمزَتْنى أن لا أبرحُ فأقمتُ . وقالت : يا سيّدى وسيّدَ آبائى ومَوالىَّ، كيف نشِطتَ الى أن تنقل قدميك الى أَمَتِك؟ قال : يا جَميلة، قد علمتُ ما آليتِ على نفسك ألّا تغنِّى أحدًا إلّا فى منزلكِ، وأحببتُ الاستماع وكان ذلك طريقًا مادًّا فسيحا . قالت : جُعلتُ فداكَ ! فأنا أصيرُ اليكَ وأُكفِّر . قال : لا أُكلِّفك ذلك، وبلغنى أنك تُغنّين بيتين لامرئ القيس تُجيدين الغناءَ فيهما، وكان اللهُ أنقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت . قالت : يا سيّدى نعم ! فاندفعتْ تغنِّى فغنّتْ بعُودها، فما سمعتُ منها قبلَ ذلك ولا بعدُ الى أن ماتت مثلَ ذلك الغناء، فسبّح عبدُ الله بن جعفر والقوم معه . وهما :

(١) جملة ظننت وما بعدها حال من فاعل أتيت، وليس من الضرورى فى مثل هذا المقام أن تقترن بالواو أو قد أو بهما . (٢) هكذا فى الأصول . وكلمة « الى » فى هذا المقام ظاهرة الزيادة .
(٣) تحوّقوا حوله : استداروا حوله وأحاطوا به .

ولمّا رأتْ أنّ الشَّريعةَ هَمُّها * وأنّ البَياضَ من فَرائصِها دامِى[1]

تَيَمَّمَتِ العينَ التى عند ضارِجٍ * يَفِىءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامِى[2]

حديث عبد الله بن جعفر عن جماعة ضلوا الطريق فأنقذهم الله بشعر امرئ القيس

— ولابن مِسْجَح فى هذا الشعر صوتٌ وهذا أحسنُهما — فلما فرغتْ قالت جميلة: أىْ سيّدى أَزيدُك؟ قال: حَسْبِى. فقال بعضُ من كان معه: بأبى جُعلت فداكَ! وكيف أَنْقذ اللهُ من المسلمين جماعةً بهذين البيتين؟ قال: نعم، أقبل قومٌ من أهل اليمن يريدون النبيَّ صلى الله عليه وسلم فضَلُّوا[3] الطريقَ ووقعوا على غيرها ومكثوا ثلاثًا لا يقدرون على الماء، وجعَل الرجلُ منهم يَستَذْرِى[4] بفَىْءِ السَّمُرِ والطَّلْحِ يائسا من الحياة، إذ أقبل راكبٌ على بعيرٍ له، وأنشد بعضُ القوم هذين البيتين فقال:

ولمّا رأتْ أن الشَّريعةَ هَمُّها * وأن البياضَ من فَرائِصِها دامِى

تَيَمَّمَتِ العينَ التى عند ضارِجٍ * يَفِىءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامِى

فقال الراكبُ: مَنْ يقول هذا؟ قال: آمرُؤُ القَيْس. قال: والله ما كَذَب، هذا ضارِجٌ عندكم، وأشار لهم إليه؛ فَحَبَوْا على الرُّكَب فإذا ماءٌ عَذْبٌ[5] وإذا عليه العَرْمَضُ والظِّلُّ يَفِىءُ عليه، فشربوا منه رِيَّهم وحملوا ما آكتَفَوْا به حتى بلغوا الماءَ، فأَتوا

---

(١) الشريعة: مورد الماء الذى تشرع فيه الدواب. وهمها: طلبها. والفريصة: اللحم الذى بين الكتف والصدر. والفرائص أيضا: العروق. والضمير فى رأت للحمر. يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة وأن تدمى فرائصها من سهامهم فعدلت الى «ضارج» لعدم الرماة على العين التى فيها. و«ضارج»: موضع فى بلاد بنى عبس. والعرمض: الطحلب. وطام: مرتفع. (عن اللسان مادة ضرج).

(٢) ورد فى اللسان (مادة ضرج) بعد إيراد هذه الرواية: «قال ابن برى: ذكر النحاس أن الرواية فى البيت: يفىء عليها الطلح».

(٣) فى الأصول: «فأضلوا». ولا يقال: أضللت الشىء إلا إذا ضاع منك. وأما إذا أخطأت موضع الشىء الثابت مثل الدار والمكان قلت: ضللته، ولا تقل: أضللته.

(٤) يستذرى: يستظل.

(٥) فى أ، م: «عدّ». والماء العدّ: الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر.

١٣٠/٧

النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله، أحيانا الله عزّ وجلّ ببيتين من شعر آمرئ القيس، وأنشدوه الشعرَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ذلك رجلٌ مذكور فى الدنيا شريفٌ فيها، منسىٌّ فى الآخرة خاملٌ فيها، يجىء يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء الى النار» . فكلٌّ استحسن الحديثَ . ونهض عبدُ الله ابن جعفر ونهض القومُ معه . فما رأيتُ مجلسا كان أحسنَ منه .

قال إسحاق : حدّثنى بعض أهل العلم عن ابن عيّاش عن الشّعْبىّ قال :

سئل عمر بن الخطاب عن الشعراء فقدّم آمرأ القيس

رأيت دَغْفَلًا النسّابةَ يحدّث أنه رأى العباسَ بنَ عبد المطّلب سأل عمرَ بنَ الخطّاب عن الشعراء، فقال : امرؤ القيس سابقُهم خسَف لهم عينَ الشعر فافتقر عن معانٍ[1] عُورٍ أصحَّ بصرًا[2] . قال إسحاق : معنى خسَف : آحتفر . وهو من كِنْدةَ من اليمن، وليست لهم فصاحةُ مُضَر، ولا شعرُهم بجيّد . فجعل معانىَ اليمن معانىَ عُورًا وما قاله : أصحّ[2] بصرًا أى أجودَ شعرًا . ومعنى آفتقر : آحتفر . والفَقِيرة : الحَفِيرة تُحفر للفَسِيلة لتُغرَس . وكل ما آبتدأتَ حَفْرَه فهو فَقِير . والمعنى أنه قال شعرا جيّدا وليس هو فى معنى شعر مُضَر .

وقال عُمارة بن عُقيل بن بِلال بن جَرير بن الخَطَفَى :

حديث جرير عن طرفة وامرئ القيس وزهير وذى الرمة

سمعت أبى يقول : دخل جدّى على بعض ملوك بنى أمية، فقال : ألَا تخبرُنى عن الشعراء؟ قال بلَى . قال : مَنْ أشعرُ الناس؟ قال : آبنُ العشرين (يعنى طَرَفة) . قال : فما تقول فى آمرئ القَيْس ؟ قال : اتخذ الخبيثُ الشعرَ نعلين، فأُقسِم بالله لو أدركتُه لرفعتُ له ذَلاذِلَه[3] . قال : فما رأيُك فى آبن أبى سُلْمَى؟ قال : كان يَنْرِى

(١) كذا فى لسان العرب (مادة فقر) . وفى الأصول : «من معان» . (٢) فى جميع الأصول واللسان : «أصح بصر» ولم يظهر له عندنا وجه . (٣) كذا فى حـ . والذلاذل : أسافل القميص الطويل، الواحد ذلذل . وفى سائر الاصول : «زلازله» بزايين، وهو خطأ .

الشعر . قال : فما رأيك فى ذى الرُّمّة؟ قال : قدر من طريف الكلام وغريبه وحسنه على مالم يقدر عليه أحد حتى صنّف الشعر .

زيارة معبد ومالك لجميلة وغناء معبد وجميلة على طريقة واحدة ثم غناء كل منهم وحده

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثنى أيّوب بن عَبَايَة عن رجل من الأنصار قال :

زار معبدٌ مالكَ بنَ أبى السَّمْح، فقال له : هل لك أن نصير الى جَميلة؟ فمضيا جميعا فقصداها، فأذنتْ لهما فدخلا، فأخرجتْ اليهما رُقْعة فيها أبيات، فقالت لمعبد: بَعث بهذه الرقعة الىّ فلان أغنّى فيها[1] . فقال مَعْبد: فآبتدئى، فآبتدأتْ جميلةُ فغنّت:

صـــوت

إنمـا الذَّلفـاءُ همّى * فلْيَــدَعْنِى من يَلُومُ

فغنّى معبد :

أحسنُ الناسِ جميعا * حين تمشى وتقـومْ

فغنّت جميلة :

حبّب الذَّلْفاءَ عندى * مَنْطِقٌ منهـا رَخِـيمُ

فغنّى معبد :

أَصِلُ الحبلَ لترضَى * وهى للحبــل صَرُومُ

فغنّت جميلة :

حبُّها فى القلب داءٌ * مستكنٌّ لا يَرِيمُ

طريقـةً واحدة — الشعر للأَحْوَص . وذكر آبن النَّطاح أنه للبَخْتَرِىّ[2] العِبَادىّ . والغناء لَمَعْبد، وله فيه لحنان خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالسبّابة فى مجـرى البِنْصر عن ابن

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «بها» . (٢) فى ب ، س : «البحترى العبادى» بالحاء المهملة، وهو تصحيف .

المكيّ، وثقيل أوّل بالوسطى عن عَمْرو . وذكر أحمدُ بن سَعيد المالكيّ أن له فيه خفيفَ ثقيلٍ آخَر . وذكر حَمّاد بن إسحاق أن فيه لمالك وجَميلةَ لحنين — وقالت لمَعْبد ولمالك : يغنّي كُلّ واحد منكما لحنًا مما عمله . فغنّاها مَعْبَد بشعر قاله فيها الأحوصُ يصفها به ، وكان مُعْجَبا بها، وكانت هي له مُكْرِمة، وهو قوله :

١٣١
٧

٥ شَأَتْكَ المنازلُ بالأَبْرَقِ * دوارسَ كالعين فى المُهْرَقِ
لآلِ جَميلةَ قد أَخْلقتْ * ومهما يَطُلْ عهدُه يُخْلِقِ
فإن يقلِ الناسُ لى عاشقٌ * فأين الذى هو لم يَعْشَقِ
ولم يَبْكِ نُؤْيًا على عَبْرةٍ * بداء الصَّبابة والمَعْلَقِ

— فى هذه الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر فى مجرى الوسطى، ذكر إسحاق أنه لعَطَرّد، وذكر
١٠ ابن المكيّ أنه لجَميلة . وفيها خفيفُ رملٍ بالوسطى فى مَجْراها، ذكر إسحاق أنه لعَطَرّد أيضا وعمرو، وذكر الهشاميّ أنّ الثقيل الأوّل لابن عائشة . وذكر حَبَش أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمَعْبد وأن خفيفَ الرَّمَل لمالك — قال معبد : فسُرَّتْ جميلةُ بما غنيتُها به وتبسّمت وقالت : حَسْبُك يا أبا عَبّاد! ولم تَكْنِنى قبلها ولا بعدها . ثم قالت لمالك : يا أخا طَيِّئ هاتِ ما عندك وجَنِّبْنا مثلَ قول عَبْدِ ابن قَطَن(١)؛ فاندفع وغنّى
١٥ بلحنٍ لها، وقد تغنّى به أيضا معبدٌ لها . واللحنُ :

أَلَا مَنْ لقلبٍ لا يَمَلُّ فيَذْهَلُ * أَفِقْ فالتعزِّى عن بُثينةَ أجملُ
فما هكذا أحببتَ مَنْ كان قبلها * ولا هكذا فيما مضى كنت تفعلُ
فإنّ التى أَحْببتَ قد حيلَ دونها * فكن حازمًا والحازم المتحوِّلُ

— لحنُ جَميلة هكذا ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه ألحان عِدّةٌ مع أبيات أُخَر من
٢٠ القصيدة، وهى لجميل — فقالت جميلة : أحسنتَ والله فى غنائك وفى الأداء عنّى .

(١) تعنى معبدا، اذ هو مولى ابن قطن .

أمّا قوله: "شأتك" فأراد بعدت عنك. والشأو: البعد، يقال: جرى الفرس شأوا أو شأوين أى طلقًا أو طلقين. والمهرق: الصحيفة بما فيها من الكتاب، والجمع مهارق؛ قال ذو الرمة:

كمستعبر فى رسم دارٍ كأنّها * بوعساء تنضوها الجماهير مهرق[1]

الدلفاء التى شبب بها الأحوص

والعين أن تتعيّن الإداوة أو القربة التى تخرز وتسيل الماء عن عيون الخرز. فشبّه ما بقى من الدار بتعيّن القربة وطرائق خروقها التى يتزل منها الماء شيئًا بعد شىء. فأمّا الدّلفاء التى ذكرت فيها فهى التى فتن بها أهل المدينة. وقال بعض من كانت عنده بعد ما طلّقها:

لا بارك الله فى دار عددت بها * طلاق ذلفاء من دارٍ ومن بلد
فلا يقولنّ ثلاثًا قائلٌ أبدًا * إنى وجدت ثلاثًا أنكد العدد

فكان إذا عدّ شيئا يقول: واحدٌ اثنان أربعةٌ ولا يقول ثلاثة.

حديث بثينة لما عن عفة جميل وعن حالها لما سمعت نعيه

وقالت جميلة: حدّثتنى بثينة — وكانت صدوقة[2] اللسان جميلة الوجه حسنة البيان عفيفة البطن والفرج — قالت: والله ما أرادنى جميلٌ رحمة الله عليه بريبة قطّ ولا حدّثت أنا نفسى بذلك منه. وإنّ الحىّ انتجعوا موضعا، وإنى لفى هودج لى أسير إذا أنا بهاتف ينشد أبياتًا، فلم أتمالك أن رميت بنفسى وأهل الحىّ ينظرون، فبقيت أطلب المنشد فلم أقف عليه، فناديت: أيها الهاتف بشعر جميل ما وراءك منه؟ وأنا أحسبه قد قضى نحبه ومضى لسبيله، فلم يجبنى مجيب، فناديت ثلاثًا، وفى كل ذلك لا يردّ علىّ أحدٌ شيئا. فقال صواحباتى: أصابك يا بثينة طائفٌ

---

(١) الوعساء: الرملة اللينة. والجمهور: الرمل الكثير المتراكم الواسع. (٢) التاء فى «صدوقة اللسان» لتوكيد المبالغة، فإن «فعولا» بمعنى الفاعل لا تلحقه التاء الفارقة بين المؤنث والمذكر.

١٣٢ / ٧

من الشيطان؟ فقلت: كَلّا ! لقد سمعتُ قائلا يقول! قُلْنَ : نحن معك ولم نسمعْ! فرجعتُ فركبت مطيّتي وأنا حَيْرَى والهةُ العقل كاسفةُ البال، ثم سِرْنا . فلما كان في الليل إذا ذلك الهاتفُ يَهْتِف بذلك الشعر بعينه ، فرميتُ بنفسي وسعيتُ الى الصوت، فلما قَرُبت منه آنقطع؛ فقلت : أيها الهاتف، ارحمْ حَيْرتي وسكّن عَبْرتي بخبر هذه الأبيات ؛ فإن لها شأنا! فلم يردّ علىّ شيئا . فرجعتُ الى رَحْلي فركبت وسِرْتُ وأنا ذاهبة العقل ؛ وفي كل ذلك لا يُخْبِرني صَوَاحِباتي أنهنّ سمِعْنَ شيئا . فلما كانت الليلةُ القابلةُ نزلنا وأخذ الحيُّ مضاجعَهم ونامت كلُّ عين، فإذا الهاتف يهتف بي ويقول : يا بُثَينة، أقبِلي الىّ أُنبئْك عمّا تريدين . فأقبلتُ نحوَ الصوت، فإذا شيخٌ كأنه من رجال الحيّ، فسألتُه عن آسمه وبَيْته . فقال : دَعِي هذا وخُذِي فيما هو أهمُّ عليكِ(١) . فقلتُ له : وإن هذا لَمِمّا يَهُمُّني . قال : اقنَعي بما قلتُ لكِ . قلت له : أنت المنشدُ الأبيات ؟ قال نعمْ . قلتُ : فما خبرُ جميل؟ قال : نعمْ فارقتُه وقد قَضَى نَحْبَه وصار إلى حُفْرته رحمة الله عليه . فصرَخْتُ صَرْخةً آذنتُ(٢) منها الحيَّ، وسقطتُ لوجهي فأُغْمِي علىّ، فكأنّ صوتي لم يسمَعْه أحد، وبقيتُ سائرَ ليلتي، ثم أَفَقْتُ عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي ، ورفعتُ صوتي بالعَويل والبكاء ورجعتُ إلى مكاني . فقال لي أهلي : ما خبرُكِ وما شأنُكِ؟ فقصَصْتُ عليهم القصّة . فقالوا : يَرْحَم الله جميلا . وآجتمع نساءُ الحيّ وأنشدتُهنّ الأبياتَ فأسعدْنَني بالبكاء، فأقَمْنَ(٣) كذلك لا يفارقْنَني ثلاثًا، وتحزّن الرجالُ أيضا وبَكَوْا ورَثَوْه وقالوا كلُّهم : يَرْحَمُه الله، فإنه كان عفيفًا صَدُوقا! فلم أكتحلْ بعده بإِثْمِد ولا فَرَقتُ رأسي بمَخِيط(٤) ولا مُشْط ولا دهَنْتُه إلا من صُدَاع خِفْتُ على

(١) يريد : فيما هو أجدى عليك . (٢) في ب ، س : «آذيت» وهو تصحيف .
(٣) كذا في أ ، م . وفي سائر الأصول : «فلم نزل كذلك الخ» . (٤) لعله : «بمخيط» .

بصَرى منـه ولا لبستُ خِمـارًا مصبوغا ولا إزارًا ولا أزال أَبْكيه الى الممـات .
قالت جميلة : فأنشدتْنى الشعرَ كلَّه وهذا الغناء بعضُه، وهو :

ألا مَنْ لقلبٍ لا يَمَلُّ فيَذْهَلُ * أَفِقْ فالتعزِّى عن بُثَينةَ أجمـلُ

مدحها ابن سريج فردت عليه مدحه ثم غنت وغنى هو ومعبد ومالك بشعر حاتم الطائى

قال ابن سَلّام حدّثنى جرير قال :

زار آبنُ سُرَيج جميلةَ ليسمعَ منها و يأخذَ عنها . فلما قدم عليها أنزلتْه وأكرمتْه ٥
وسألتْه عن أخبار مكة فأخبرها . و بلغ معبدًا الخبرُ[(١)] . [وكانت تُطارحه وتسأله عن
أخبار مكة فيخبرها] . وكانت عندها جاريةٌ مُحْسِنةٌ لَبِقةٌ ظريفةٌ، فآبتدأتْ تُطارحها .
فقال آبن سُرَيج : سبحانَ الله ! نحن كنّا أحقَّ بالابتداء . قالت جميلة : كلُّ إنسانٍ
فى بيتـه أمير وليس للداخل أن يتأمّر عليـه . فقال آبنُ سُرَيج : صدقتِ جُعلت
فداءكِ ! وما أَدْرِى أيُّهما أحسنُ أدبُكِ أم غناؤكِ ! . فقالت له : كُفَّ يا عُبَيد، فإنّ ١٠
النبيَّ صـلى الله عليه وسـلم قال : « احْثُوا فى وجوه المَدّاحين الترابَ[(٢)] » . فسكت
آبنُ سُرَيج . وطارحت الجاريةَ بشعر حاتم الطائى :

أتعـرفُ آثارَ الديار توهُّمـا[(٣)] * كخطِّك فى رَقٍّ كتابا مُنَمْنَما
أذاعتْ به الأرواحُ[(٤)] بعد أَنيسها * شهورًا وأيّامًا وحَوْلًا مجـرَّما[(٥)]
فأصبحْنَ[(٦)] قد غيَّرْنَ ظاهرَ تُرْبِه * وغيَّرتِ الأنواءُ ما كان مَعْلَمـا ١٥

(١) هذه الجملة المحصورة بين قوسين وردت فى ب، س، حـ . وفى سائر الأصول : « وبلغ معبدا الخبر فوجد عندها جارية الخ» . (٢) المراد بالمداحين هنا الذين عادتهم مدح الناس لغرض من الأغراض كتحصيل المال أو الجاه، وأما المدح على الفعل الحسن للتحريض على عمل الخير فليس منه . وحثو التراب فى وجوههم، يراد به تجنبهم وترك التحفى بهم . (٣) رواية هذا الشطر فى ديوانه : « أتعـرف أطلالا ونؤيا مهـدّما» . (٤) الأرواح : جمع ريح . وأذاعت به الأرواح أى ٢٠
أذهبته وطمست معالمه؛ ومنه قول الراعى : * ربع قواء أذاع المعصرات به *
(٥) حولا مجرّما : تاما كاملا . (٦) رواية الديوان : « دوارج قد غيرن الخ » .

١٣٣
٧

وغيّرها طـولُ التقادُم والبِـلَى * فما أعرف الأطلالَ إلا توهُّمَا

قال : فحُدِّثتُ(١) أنه حضر ذلك المجلسَ جماعةٌ من حُذّاق أهـل الغناء، فكلُّهم قال : مَزاميرُ داود ! . قال ابنُ سُرَيج لها : أفأُسمِعُكِ صوتاً لى فى هذا الشعر ؟ قالت : هاتِه؛ فغنّى :

دِيارُ التى قامت تُرِيكَ وقد عَفَتْ * وأقوتْ من الزُّوّار كَفًّا ومِعصَمَا
تَهادَى عليها حَلْيُها ذاتَ بهجة * وكَشْـحًا كطَىِّ السابريّة(٢) أهْضَمَا
فبـانتْ لِطِيّاتٍ(٣) لهـا وتبدّلتْ * به بَدَلًا مَرّتْ به الطيرُ أشْؤُما
وعاذلتانِ هَبّتا بعـد هَجعةٍ * تَلُومانِ مِتْلافًا مُفِيـدًا مَلُوَّما

قالت جميلةُ : أحسنتَ يا عُبيد، وقد غفرْنا لك زَلّتَك لحسن غنائك . قال مَعْبد : جُعلت فداءَكِ ! أفلا أُسمِعُكِ أنا أيضا لحنًا عملتُه فى هذا الشعر؟ قالت : هاتِ وإنّى لأعلم أنك تُحسِن . فاندفع فغنّى :

١٠

فقلتُ وقد طال العتاب عليهما * وأوعدتانى أن تَبِينَـا وتَصْرِما
ألا لا تَلُومانِى على ما تَقَـدَّما * كَفَى بصُرُوف الدّهرِ للمرء مُحْكِما
تَلُومانِ لمـا غَوّر النجمُ ضَـلّةً * فَتًى لا يَرَى الإنفاقَ فى الحقِّ مَغْرَما(٤)

قالت جميلةُ : ما عدوتَ الظنَّ بك ولا تجاوزتَ الطريقـةَ التى أنت عليها . قال : مالكٌ : أفلا أغنّيك أنا أيضا ؟ قالت : ما علمتُكَ إلّا تُجيد الغناء وتُحْسِن، فهات. فاندفع فغنّى فى هذا الشعر :

١٥

يضىءُ لنا البيتُ الظَّليلُ(٥) خَصَاصُه(٦) * إذا هى ليـلًا حاولتْ أن تَبَسَّمَا

(١) فى الأصول : « قالت » . (٢) السابرية : الثياب الرقيقة . والأهضم : اللطيف الكشح . (٣) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «فبانت لآيات به ... الخ» . (٤) يقع هذا البيت فى الديوان قبل البيتين السابقين . (٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصـول : « يضىء لها البيت القليل الخ» . (٦) الخصاص : المنافذ .

٢٠

إذا انقلبتْ(١) فوقَ الحَشِيّة مَرَّةً * تَرَنَّم وَسْـواسُ الحُلِىِّ ترنُّما

ونَحْـرًا كفَاثُورِ(٢) اللُّجَيْنِ يَزِينـه * توقُّـدُ ياقوتٍ وشَـذْرٍ(٣) منظَّما

كجَمْرِ الغَضَى هَبَّتْ به بعد هَجْعةٍ(٤) * من الليل أرواحُ الصَّبَا فتنسَّما(٥)

فقالت : جميلٌ ما قلتَ وحَسَنٌ ما نظَمْتَ ، وإنّ صوتَك يا مالكُ لمِمَّا يَزيد العقلَ قوّةً والنفسَ طِيبًا والطبيعةَ سُهولةً ، وما أحسَب أن مجاسَنا هذا إلّا سيكون عَلَمًا وفى آخر الزمان متواصَفًا ؛ والخبرُ ليس كالمشاهدة ، والواصف ليس كالمعاين وخاصّة فى الغناء .

زارها ابن أبى عتيق وابن أبى ربيعة والأحوص فغنتهم

وحدّثنى الحسن بن عُتْبة اللّهَبِىّ قال حدّثنى من رأى آبنَ أبى عَتيق وآبنَ أبى ربيعة والأحوصَ بنَ محمد الأنصارىّ وقد أتَوْا منزلَ جميلة فاستأذنوا عليها فأذِنتْ لهم ، فلما جلسوا سألت عمرَ وأَحْفتْ ؛ فقال لها : إنّى قصدتُك من مكة للسلام عليك . فقالت له : أهلُ الفضل أنتَ . قال : وقد أحببتُ أن تُفرِغى لنا نفسَك اليومَ وتُخْلِى لنا مجلسَك؛ قالت : أفعل . قال لها الأحوص : أُحبُّ ألّا تغنِّىَ إلا ما أسألك . قالت : ليس المجلس لكَ ، والقوم شركاؤكَ فيه . قال : أجَلْ . قال عمر : إن تُرِدْ لِنَ تفعل ذلك بك يكُنْ . قال الأحوص : كلّا! . قال عمر : فإنّى أَرَى أن نجعل الخيارَ اليها . قال آبنُ أبى عَتيق : وفّقَكَ الله . فدعتْ بالعود وغنّتْ :

(١) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «انصرفت» وهو تحريف . (٢) الفاثور : الخوان الذى يتخذ من فضة ، وبه يشبه الصدر الواسع . (٣) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «وشذرا» والسياق يقتضى أن يكون معطوفا على ياقوت . وهذا البيت فى ديوانه بعد قوله : «وكشحا كطىّ السابرية أهضما» . والشذر : اللؤلؤ الصغير والخرز يفصل به بين الجواهر فى النظم . (٤) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «له» . (٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «فتبسما» وهو تصحيف .

تمشى الهُوَيْنَى إذا مشتْ فُضُلًا(١) * مَشْىَ النَّزِيفِ المخمورِ فى الصُّعُدِ

تَظَلُّ من زَوْرِ(٢) بيت جارتها * واضعةً كفَّها على الكَبِدِ

يا من لقلبٍ متيَّمٍ سَدِمٍ(٣) * عانٍ رهينٍ مكلَّمٍ كَمِدِ

١٣٤ / ٧

أزجُرُه وهو غيرُ مُزْدَجِرٍ * عنها وطَرْفى مكحَّلُ السَّهَدِ

٥ فلقد سُمعتْ للبيت زَلْزلةٌ وللدار هَمْهمةٌ. فقال عمر: لله دَرُّكِ يا جُميلة! ماذا أُعطيتِ! أنتِ أوّلُ الغناء وآخره !. ثم سكتتْ ساعة وأخذوا فى الحديث، ثم أخذت العودَ وغنّتْ :

شَطَّتْ سُعادُ وأَمْسَى البَيْنُ قد أَفِدَا * وأَوْرثوكَ سَقامًا يَصْدَعُ الكَبِدا

لا أستطيع لها هَجْرًا ولا تِرَةً * ولا تَزال أحاديثى بها جُدُدا

١٠ — الغناء فيه لسِيَاطٍ خفيفُ رَمَلٍ مطلقٌ فى مجرى الوسطى عن إسحاق . ولم يذكر حبش لحن جَميلةَ . وذكر إبراهيمُ أن فيه لحنا لحَكَمٍ الوادى . وذكر الهِشَامىّ وابن خُرْداذبه أنه من ألحان عمرَ بن عبد العزيز بن مَرْوان فى سُعاد(٤) وأن طريقته من الثقيل الثانى بالوسطى . وذكر ابراهيمُ أن لابن جامع فيه أيضا صَنْعةً — فاستَخفّ(٥) القومَ أجمعين ، وصفّقوا بأيديهم ومَحَصوا بأرجلهم وحرّكوا رءوسهم،

١٥ وقالوا : نحن فِداؤُكِ من السوء ووِقاؤُكِ من المكروه، ما أحسنَ ما غنّيتِ وأجملَ ما قلتِ! . وأُحْضِر الغَداءُ فتغدّى القومُ بأنواع من الأطعمة الحارّة والباردة ومن الفاكهة الرَّطْبة واليابسة، ثم دعتْ بأنواع من الأشربة . فقال عمر : لا أشرب، وقال ابن أبى عَتيق مثلَ ذلك، فقال الأحوص: لكنّنى أشرب، وما جزاءُ جَميلة أن يُمتنع

(١) تمشى فضلا أى تمشى متبذلة فى ثوب واحد . والنزيف : السكران . والصعد : الصعود والارتفاع

٢٠ ويريد هنا المكان العالى . (٢) الزور : مصدر كالزيارة . (٣) السدم : الشديد العشق المهموم الحزين . والمكلم : المجرح . (٤) راجع هذه الألحان فى ج ٨ ص ١٥٨ من الأغانى طبع بلاق . (٥) مرجع الضمير فى « استخف » الغناء المفهوم من قوله : « وغنت » .

من شرابها ! . قال عمر : ليس ذلك كما ظننته . قالت جميلة : من شاء أن يَخْلِىَ بنفسه ويَخلِطَ رُوحى بروحه شكرناه ، ومن أبَى ذلك عذرناه ، ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأُنْس بمحادثته . قال آبن أبى عَتيق : ما يحسُن بنا إلا مساعدتُك . قال عمرُ : لا أكون أخسَّكم ، افعلوا ما شئتم تجدونى سميعا مطيعا . فشرب القوم أجمعون . فغنّت صوتا بشعر لعُمَر :

ولقد قالت لجاراتٍ لها * كالمَهَا يلعبْنَ فى حُجْرَتِها
خُذْنَ عنّى الظِّلَّ لا يتبعُنى * ومضتْ تَسْعَى الى قُبَّتِها
لم تُعَانِقْ[1] رجلًا فيما مضَى * طَفْلةٌ غَيْداءُ فى حُلَّتِها
لم يَطِشْ قَطُّ لها سَهْمٌ ومَنْ * تَرْمِه لا يَنْجُ من رَمْيَتِها

ـــ لم يذكر طريقة لحنها فى هذا الصوت . وذكر الهشامىّ أنّ فيه لآبن المكّىّ رَمَلا بالبنصر . وذكر علىّ بن يحيى أنّ فيه لآبن سُرَيج رَمَلا بالوسطى ـــ فصاح عمر : وَيْلَاه ! ويلاه ! ثلاثا ثم عَمَد الى جَيْب قميصه فشقّه الى أسفله فصار قَبَاءً ، ثم آب اليه عقلُه فندِم وآعتذر وقال : لم أملكْ من نفسى شيئا . قال القوم : قد أصابنا كالذى[2] أصابكَ وأُغْمِى علينا ، غيرأنّا فارقْناك فى تخريق الثياب . فدعت جميلةُ بثياب فخلَعَتْها على عمرَ ، فقبِلها ولبسها ، وآنصرف القومُ الى منازلهم . وكان عمر نازلًا على آبن أبى عَتيق ، فوجّه عمر الى جَميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أثواب كانت معه ، فقبِلتْها جميلةُ . وآنصرف عمرُ الى مكة جَذْلانَ مَسْرورا .

حجت ومعها الشعراء والمغنون والمغنيات ووصف ركبها فى مكة وفى المدينة حين آبت من الحج

قال[3] إسحاقُ وحدّثنى أبى عن سياط وآبنُ جامع عن يونس قالا : حَجّتْ جميلةُ ، وأخبرنى إسماعيلُ بن يونُس قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق

(١) فى ا ، م ، ء : « لم تعاين » . (٢) فى جـ : « كل الذى أصابك » .
(٣) فى الأصول : « قال » .

ابن إبراهيم قال حدّثنى أبى عن سِيَاط وآبنُ جامع عن يونُس الكاتب ، وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِّمَشْقِىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب قالوا جميعا :

إنّ جَميلة حَجّتْ — وقد جمعتُ رواياتِهم لتقارُبها، وأحسَب الخبر كلّه مصنوعا وذلك بيّنٌ فيه — فخرج معها من المغنّين مشيِّعين حتى وافَوْا مكّة ورجعوا معها من الرجال المشهورين الحُذّاقِ بالغناء هِيتٌ(1) وطُوَيْسٌ والدَّلال و بَرْدُ الفؤاد ونَوْمةُ الضُّحى وفِنْدٌ ورحْمةُ(2) وهِبَةُ الله — هؤلاء مَشَايخُ وكلُّهم طيِّبُ الغناء — ومَعْبَدٌ ومالكٌ وآبنُ عائشة ونافِعُ بنُ طُنْبورَةَ وبُدَيحٌ المَليح ونافعُ الخير، ومن المغنّيات الفَرِهَةُ [و](3) عَزّةُ المَيْلاء وحَبَابَةُ وسَلّامةُ وخُلَيدة وعُقَيلة والشَّمَّاسيّةُ وفَرْعةُ وبُلْبُلةُ(4) ولَذّةُ العيش وسُعيدة والزَّرقاء ، ومن غير المغنّين آبنُ أبى عَتِيق والأَحْوَص وكثيِّر عَزّة ونُصَيب و جماعةٌ من الأشراف، وكذلك من النساء من مَوَاليها وغيرِهنّ(5) . وأما سِيَاطٌ فذكَر أنه حَجّ معها من القِيَان مشيِّعاتٍ لها ومعظِّماتٍ لقَدْرها ولحقَّها زُهَاءُ خمسين قَينةً، وجّه بهنّ مَوَاليهنّ معهـا فأعطَوْهنّ النفقاتِ وحَملوهنّ على الإبل فى الهوادج والقِبَابِ وغيرِ ذلك؛ فأبتْ جميلةُ أن تنفق واحدةٌ منهنّ درهما فما فوقَه حتى رجَعْنَ . وأما يونُس فذكَر أنه حَجّ معهـا من الرجال المغنّين مع من سمّينا زُهَاءُ ثلاثين رجلا ، وتخـايروا فى اتخاذ أنواع اللِّباس العَجيب الظَّريف وكذلك فى الهوادج والقِباب . وقيل، فيما

(١) كذا فى الأصـول والمشتبه فى أسماء الرجال، وذهب جماعة الى أنه "هنب" (بالنون والباء). وقد رجّح الأزهرىّ أنه بالياء والتاء، واحتج برواية الشافعى له هكذا . (راجع القاموس وشرحه واللسان مادتى هنب وهيت) . (٢) كذا فى ب، سه . وفى سائر الأصول : «رحة» .

(٣) التكلة عن نهاية الأرب (ج ٥ ص ٤٤ من الطبعة الأولى) . (٤) فى نهاية الأرب : «نبيلة» . (٥) فى الأصول : «وغيرهم» ومرجع الضمير جمع مؤنث .

قال أهلُ المدينة ، : إنهم ما رأوْا مثلَ ذلك الجَمْع (١) سَفَرًا طيِّبًا وحُسْنًا ومَلَاحةً . قالوا : ولما قارَبُوا مكَّةَ تلقَّاهم سَعِيدُ بن مِسْجَح وابنُ سُرَيج والغَرِيض وابنُ مُحْرِز والهُذَلِيُّون وجماعةٌ من المغنِّين من أهل مكة وقِيَانٌ كثيرٌ لم يُسَمَّيْن لنا ، ومن غير المغنِّين عمرُ بن أبي رَبيعة والحارثُ بن خالدٍ المَخْزُوميّ والعَرْجِيّ وجماعةٌ من الأشراف . فدخلتْ جَمِيلةُ مكَّةَ وما بالحجاز مُغَنٍّ حاذقٌ ولا مغنِّيةٌ إلا وهو معها وجماعةٌ من الأشراف ممن سمَّينا وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهلِ مكَّةَ من الرجال والنساء ينظُرون الى جَمْعها وحُسْنِ هيئتهم . فلما قضتْ حجَّها سألها المكِّيون أن تجعل لهم مجلسا . فقالت : للغناءِ أم للحديث؟ قالوا : لهما جميعا . قالت : ما كنت لأخلِطَ جِدًّا بهَزْل ، وأبتْ أن تجلس للغناء . فقال عمرُ بن أبي ربيعة : أقْسمتُ على من كان فى قلبه حبٌّ لاستماع غنائها إلّا خرج معها إلى المدينة ، فإنى خارج . فعزَم القومُ الذين سمَّيناهم كلُّهم على الخروج ومعهم جماعةٌ ممَّن نشِط ، فخرجتْ فى جَمْع أكثرَ من جَمْعها بالمدينة . فلما قَدِمتِ المدينةَ تلقَّاها أهلُها وأشرافُهم من الرجال والنساء ، فدخلتْ أحسنَ مما خرجتْ به منها ، وخرج الرجالُ والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دُورِهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها . فلما دخلتْ منزلَها وتفرّق الجمعُ الى منازلهم ونزل أهلُ مكة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناسُ مسلِّمين ، وما استَنْكَف من ذلك كبيرٌ ولا صغير . فلما مضى لمَقْدَمِها عشرةُ أيام جلستْ للغناء ؛ فقالت لعمرَ بنِ أبي رَبيعة : إنى جالسةٌ لك ولأصحابك ، وإذا شئتَ فعِدِ الناسَ لذلك اليوم ، فغَصَّتِ الدارُ بالأشراف من الرجال والنساء . فابتدأتْ جميلةُ فغنّتْ صوتا بشعر عمر :

وصف مجلس غنائها بالمدينة بعد عودها من الحج ١٣٦/٧

---

(١) فى جـ : « قبل ذلك الجمع » .

هيهاتَ من أَمَة الوهّاب منزلُنا * إذا حَلَلْنا بسِيف البحر من عَدَنِ
وٱحتلّ أهلُكِ أجيادًا[1] فليس لنا * إلا التذكُّر أو حَظٌّ من الحَزَنِ
لو أنها أبصرتْ بالجِزْع عَبْرتَه * وقد تَغرّد قُمْرِىٌّ على فَنَنِ
إذًا رأتْ غيرَ ما ظَنّتْ بصاحبها * وأيقنتْ أن عَكًّا[2] ليس من وَطَنِى
ما أَنْسَ لا أَنْسَ يومَ الخَيْف موقفَها * وموقِفِى وكِلَانا ثَمّ ذو شَجَنِ
وقولَها للثُّرَيّا وهى باكيةٌ[3] * والدمعُ منها على الخدّين ذو سُنَنِ
بٱلله قُولِى له فى غير مَعْتَبَةٍ * ماذا أردتَ بطول المُكْثِ فى اليَمَنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو نَعِمْتَ بها * فما أَصبْتَ بترك الحجّ من ثَمَنِ

فكلّهم ٱستحسن الغناءَ، وضَجّ القومُ من حُسْنِ ما سمعوا. ويقال: إنهم ما سمعوا
١٠ غناءً قَطّ أحسنَ من غنائها ذلك الصوتَ فى ذلك اليوم. ودَمعتْ عينُ عمرَ حتى
جَرَى الدمعُ على ثيابه ولِحْيته. وإنه ما رُئِىَ عمرُ كذلك فى مَحْفِل غيره[4] قَطُّ. ثم أقبلتْ
على ٱبن سُرَيج فقالت: هاتِ؛ فٱندفع يغنّى ورفع صوتَه بشعر عمر[5]:

غنى ٱبن سريج فى مجلسها بشعر عمر

أليستْ بالتى قالت * لمَوْلاةٍ لها ظُهْرَا
أَشِيرِى بالسلام له * إذا هو نحوَنا نَظَرَا
١٥ وقُولِى فى مُلاطفةٍ * لزينبَ نَوِّلِى عُمَرَا
وهذا سِحْرُكِ النِّسْوا * نَ قد خَبّرْنَنِى الخَبَرَا

(١) أجياد: موضع بمكة يلى الصفا. (٢) كذا فى ب، س، وديوانه. وروايته فيما تقدّم (جـ ١ ص ١١١ من هذه الطبعة): «أن لجا...». وعك: قبيلة يضاف اليها مخلاف باليمن. ولحج: مخلاف باليمن. وفى سائر الأصول هنا: "أن نجحا..." وهو محرّف عن "لحج".
٢٠ (٣) فى الديوان: «وقولها للثريا يوم ذى خشب». (٤) فى ب، س: «فى محفل ولا غيره قط» وهو تحريف. (٥) فى الأصول ما خلا جـ: «ورفع صوته بشعر عمر فقال» بزيادة «فقال».

غناء ابن مسجح

فسمع من ابن سُرَيج فى هـذا اللحن من الحُسْن ما يقال إنه ما سُمع مثلُه . ثم قالت لسَعيد بن مِسْجَح : هاتِ يا أبا عثمان؛ فآندفع فغنّى :

قد قلتُ قبـل البَيْنِ لـمّا خَشيتُه * لتُعْقِبَ وُدًّا أو لتعلمَ ما عنـدى

لكِ الخيرُ هل من مَصْدَرٍ تَصْدُرينَهُ[1] * يُريحُ كما سَهَّلْتِ لى سُـبُلَ الوِرْدِ

فلمّا شكوتُ الحبَّ صَدّتْ كأنّما * شَكوتُ الذى ألْقَى الى حَجَرٍ صَلْدِ

تولّتْ فأبْدتْ غُـلّةً دونَ نَقْعِها * كما أرْصدتْ من بُخْلِها إذ بَدَا وَجْدى

غناء معبد

فاستُحْسِن ذلك منه وبَرَع فيه . ثم قالت : يا مَعْبَد هاتِ؛ فغنّى :

أُحَارِبُ مَنْ حاربتَ من ذى عَداوةٍ * وأَحْبِس مالِى إن غرِمتَ فأَعْقِلُ[2]

و إنّى أخوكَ الدائمُ العهدِ لم أَحُلْ * إنَ ابْزاكَ[3] خَصْمٌ أو نَبابكَ مـنزِلُ

ستقطَع فى الدنيـا اذا ما قطعتَنى * يمينَكَ فآنظـرْ أىَّ كفٍّ تَبَـدَّلُ

قالت جميلةُ : أحسنتَ يا مَعْبَد آختيارَ الشعر والغناء — هذا الشعر لمَعْنِ[4] بن أَوْس —

غناء ابن محرز

ثم قالت : هات يا بنَ مُحْرِز؛ فإنّى لم أؤخّرك لخَساسةٍ بك ولا جهـلًا بالذى يجب فى الصناعة، ولكنّنى رأيتُك تحبّ من الأمور كلِّها أوسطَها وأعدلَها، فجعلتُك حيث تحبّ واسطةً بين المكّيّين والمدنيّين . فغنّى :

١٣٧
٧

وقفتُ بربْعٍ قد تحمّـل أهـلُه * فأذْرَيْتُ دمعًا يسبِق الطَّرْفَ هامِلُهْ

---

(١) يقال : صدر هو وصدر غيره وأصدره . فالثلاثى يتعدى ويلزم . (٢) يريد : فأعقل عنه . يقال : عقل عنه اذا غرم ما لزمه من دية . وأما عقله فمعناه دفعت ديته . ومعنى البيت : إن أصابك غرم حبست مالى عليك واحتملت فيه الثقل عنك . (٣) لم أحل : لم أتغير . وأبزاك خصم، يحتمل أن يكون معناه قهرك وغلبك، من أبزيت بفلان اذا بطشت به وقهرته . ويجوز أن يكون «أبزى» منقولا بالألف عن بزى يبزى بزى (كفرح) . والبزى هو دخول الظهر وخروج البطن . ويكون المعنى : إن خفض منك خصم وحملك من الثقل ما يبزى له ظهرك فلا تطيق الثبات تحته والنهوض به . (٤) شاعر فحل من مخضرمى الجاهلية والاسلام، وله ترجمة فى الأغانى (ج ١٠ طبع بلاق) .

٢٠

بسائلة الرَّوْحاء أو بطن مَثْعَرِ (١) * لها الضاحكاتُ الرابياتُ سواهلُهْ (٢)

هو الموتُ إلّا أن للموتِ مدّةً * متى يَلْقَ يومًا فارغًا فهو شاغلُهْ

فقالت جميلة: يا أبا الخطّاب، كيف بَدَا لك فى ثلاثة (٣) وأنت لا ترى ذلك؟! قال: أحببتُ أن أواسىَ مَعْبدًا. قال معبدٌ: والله ما عدَوت ما أردت (٤). ثم قالت للغَريض: هاتِ يا مَوْلَى العَبَلاتِ فاندفع يغنّى:

غناء الغريض

فوا نَدَمِى على الشّبابِ ووا ندَمْ * نَدِمتُ وبانَ اليومَ منّى بغيرِ ذَمّْ

وإذ إخوتى حَوْلِى وإذ أنا شائخٌ * وإذ لا أُجيبُ العاذلاتِ من الصَّمَمْ

أرادتْ عرارًا (٥) بالهَوانِ ومن يُرِدْ * عرارًا لعَمْرِى بالهَوانِ فقد ظَلَمْ

قالت جميلة: أحسن عمرو بن شَأْس ولم تُحْسِن إذ أفسدتَ غناءك بالتعريض. والله ما وَضَعْناك إلّا موضعَك ولا نقَصْنا من حظّك! فماذا أَهَنَّاكَ! . ثم أقبلتْ على الجماعة ١٠ فقالت: يا هؤلاء، اصدُقوه وعرِّفوه نفسَه ليَقْنَع بمكانه. فأقبل القومُ عليه وقالوا له: قد أخطأتَ إن كنت عَرَّضْتَ. فقال: قد كان ذلك، ولستُ بعائد. وقام الى جميلة فقبّل طَرَفَ ثوبها واعتذر فقبِلتْ عذرَه وقالت له: لا تَعُدْ. ثم أقبلتْ على ابن عائشة فقالت: يا أبا جعفر هاتِ؛ فتغنّى بشعر النابغة (٦):

غناء ابن عائشة

١٥ (١) مثعر: ماء لجهينة. (٢) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، س: «سواحله» وكلتا الروايتين غير واضحة. (٣) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، س: «فى ثالثة». (٤) هكذا فى الأصول. والمراد فى هذه الجملة كلها غير واضح. (٥) هو عرار بن عمرو بن شأس. وقد ورد فى أكثر كتب الأدب، كالحماسة والكامل للبرد والشعر والشعراء وطبقات ابن سلام، مضبوطا بالقلم بكسر العين. وضبطه شارح القاموس فقال: هو كسحاب. وهو ابن عمرو بن شأس من أمة له ٢٠ سوداء، وكان بينه وبين زوج أبيه أم حسان نزاع وخصام؛ فقد كانت تؤذيه وتنهره وتشتمه. وحاول عمرو أن يصلح ما بينهما فلم يفلح فطلقها. (٦) فى الأصول: «بشعر حسان» وهو خطأ؛ فهذا الشعر للنابغة الذبيانى وليس لحسان. (راجع ديوان النابغة طبع باريس وشعراء النصرانية، ومعجم ما استعجم للبكرى، ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على جولان).

سقَى الغيثُ قبرًا بين بُصْرى وجاسِمٍ (١) * عليه من الوَسْمِىِّ جَوْدٌ ووابِلُ
وأَنْبتَ حَوْذانًا (٢) وعَوْفًا مُنَوِّرًا * سأُتْبِعُه من خيرِ ما قال قائلُ
بكَى حارثُ الجَوْلانِ (٣) من هُلْكِ ربِّه * فحَوْرانُ منه خاشعٌ مُتَضائلُ
وما كان بَيْني لو لَقِيتُك سالمًا * وبين الغِنَى إلّا ليالٍ قلائلُ (٤)

غناء نافع وبديع

قالت جميلةُ : حَسَنٌ ما قلتَ يا أبا جَعْفر . ثم أقبلتْ على نافع وبُدَيْح فقالت : أُحِبُّ أن تغنّيانِى صوتًا واحدا، فغنّيا جميعًا بصوتٍ واحد ولَحْنٍ واحد :

ألَا يا مَنْ يَلُوم على التصابِى * أَفِقْ شيئًا لتسمعَ من جوابِى
بَكَرْتَ تَلُومُنِى فى الحبِّ جَهْلًا * وما فى حبِّ مثلِى من مَعابِ

(١) كذا فى ديوانه وشعراء النصرانية ومعجم ما استعجم . وبصرى وجاسم : موضعان بالشأم . وفى الأصول : «فلا زال قبر بين بنى وجلق» . وجلق : دمشق، وقيل : موضع بقرية من قرى دمشق، وقيل غير ذلك . وأما «بنى» فلم نقف فى المراجع التى بين أيدينا إلا على «بنة» وهى ناحية من نواحى دمشق .
(٢) الحوذان : نبت يرتفع قدر ذراع، له زهرة حمراء فى أصلها صفرة، وورقته مدوّرة . والعوف : نبت طيب الرائحة . (٣) الجولان (بالفتح والسكون) : قرية، وقيل : جبل من نواحى دمشق ثم من عمل حوران . قال ابن دريد : يقال للجبل : حارث الجولان، وقيل : حارث قلة فيه . وحوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كبيرة ومزارع وحرار، وما زالت منازل العرب، وذكرها فى أشعارهم كثير، وقصبتها بصرى . (٤) هذا البيت ليس من شعر النابغة، وإنما هو من قصيدة للحطيئة رثى بها علقمة بن علاثة والى حوران من قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ومنها — كما فى الأغانى (ج ١٥ ص ٥٨ طبع بلاق) ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على حوران — :

لعمرى لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى أعلقته الحبائل

وأما بيت النابغة فهو — كما فى ديوانه طبع أوربا وشرح الشواهد الكبرى للعينى المطبوع على هامش خزانة الأدب ج ٤ ص ١٦٧ طبع بلاق — :

فما كان بين الخير لو جاء سالما * أبو حجر إلا ليال قلائل

وهو من القصيدة التى ذكر المؤلف منها هذه الأبيات والتى مطلعها :

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل * وكيف تصابى المرء والشيب شامل

رثى بها النعمان بن الحارث بن أبى شمر الغسانى . وأبو حجر (بالضم) كنيته، وحرك فى البيت لضرورة الشعر

أليس من السعادة غيرَ شكٍّ * هَوَى متواصلين على اقترابِ
كريمٌ نال وُدًّا فى عفافٍ * وسترٍ من مُنعَّمةٍ كَعابِ

فقالت جميلة: هواكما والله واحد وغناؤكما واحد، وأنتما نُحِتُّما من بقيّة الكرم وواحدِ الشرفِ: عبدِ الله بن جعفر بنِ أبى طالب[1]. ثم أقبلتْ على الهذليّين الثلاثة فقالت: غنُّوا صوتًا واحدا؛ فآندفعوا فغنَّوْا بشعر عَنْترةَ العَبْسيّ:

غناء الهذليين الثلاثة

حُيِّيتَ من طَلَلٍ تَقادم عهدُه * أَقْوَى وأَقْفَر بعد أمِّ الهَيْثَمِ
كيف المَزَارُ وقد تربَّع أهلُها * بعُنَيْزَتَيْنِ[2] وأهلُنا بالغَيْلَمِ
إن كنتِ أَزْمعتِ الفراقَ فإنما * زُمَّتْ رِكَابُكُمُ بلَيْلٍ مُظْلِمِ
شَرِبتْ بماء الدُّحْرُضَيْنِ[3] فأصبحتْ * زَوْراءَ تَنْفِر عن حِياضِ الدَّيْلَمِ

١٣٨ / ٧

قالت: ما رأيتُ شيئا أشبهَ بغنائكم من آتّفاق أرواحكم. ثم أقبلتْ على نافع بن طُنْبورةَ فقالت: هاتِ يا نَقْشَ الغَضَار[4] ويا حَسَنَ اللسان؛ فآندفع يغنّى:

غناء نافع بن طنبورة

ياطُولَ ليلى وبتُّ لم أَنَمِ * وِسَادِىَ الهَمُّ مُبْطِنٌ سَقَمِى
أنْ قمتُ يومًا على البَلَاطِ فَأَبْـ * ـصرتُ رَقَاشًا وليت لم أَقُمِ

فقالت جميلة: حَسَنٌ والله — ولآبن سُرَيج فى هذا اللحنِ أربعةُ أبياتٍ فى صَوْت — ثم قالت: يا مالكُ هاتِ؛ فإنِّى لم أؤخِّرْك لأنك فى طبقة آخرِهم، ولكنِّى أردتُ أن

غناء مالك بن أبى السمح

(١) فى ب، س: «... وواحد الشرف عنت عبد الله ...». (٢) عنيزة: موضع بين البصرة ومكة. والغيلم: موضع فى ديار بنى عبس. (٣) الباء بمعنى «من» أى شربت من ماء الدحرضين. والدحرضان: اسم موضع، وقيل: هما وسيع ودحرض، ماءان. ثناهما بلفظ الواحد كما يقال القمران للشمس والقمر. فدحرض لآل الزبرقان بن بدر، ووسيع لبنى أنف الناقة. والديلم: الأعداء، وقيل: حياض الديلم بالغور، أو ماءة لبنى عبس؛ وفيه غير ذلك أقوال كثيرة يرجع اليها فى اللسان (مادة دلم) وفى شرح التبريزى على المعلقات. (٤) الغضار: الطين اللازج الأخضر، وهو لقب له.

أختم بك يومنا تبركا بك وكى يكون أول مجلسنا كآخره ووسطه كطرفه، وإنك عندى ومعبدا لفى طريقة واحدة ومذهب واحد، لا يدفع ذلك إلا ظالم ولا ينكره إلا عاضل. الحق أقول، فمن شاء فلينكر؛ فسكت القوم كلهم إقرارا لما قالت . وآندفع يغنى :

عدو لمن عادت وسلم لسلمها * ومن قربت سلمى أحب وقربا
هبينى آمرأ إما بريئا ظلمته * وإما مسيئا تاب بعد[1] وأعتبا
أقول آلتماس العذر لما ظلمتنى * وحملتنى ذنبا وما كنت مذنبا
ليهنئك إشمات العدو بهجرنا * وقطعك حبل الوصل حتى تقضبا

قالت جميلة : ليت صوتك يامالك قد دام لنا ودمنا له . وقطعت المجلس وآنصرف عامة الناس وبقى خواصهم. فلما كان اليوم الثانى حضر القوم جميعا. فقالت لطويس: هات يا أبا عبد النعيم. قال: فأنكر ما فعلت جميلة فى اليوم الأول؛ لأن طويسا لم يكن يرضى بذلك . فأخبرنى آبن جامع أن جميلة صفتهم[2] طويسا[3] وأصحابه وآبن سريج وأصحابه ، ثم أقرعت بينهم؛ فخرجت القرعة الأولى لآبن سريج وأصحابه والثانية لطويس وأصحابه . فآبتدأ طويس[4] فغنى :

اليوم الثانى من أيام المأدبة وغناء طويس

قد طال ليلى وعاد لى طربى * من حب خود كريمة الحسب
غراء مثل الهلال آنسة * أو مثل تمثال صورة الذهب
صادت فؤادى بجيد مغزلة[5] * ترعى رياضا ملتفة العشب

(١) كذا فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٥ ص ٤٧ من طبعة دار الكتب المصرية الطبعة الأولى) . وفى الأصول : « منه » . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : « صفتهم طبقتين طويس ... » والمعنى مستقيم على كلتا الروايتين . (٣) فى الأصول : « طويس » بالرفع . والابدال فى هذا المقام خير من القطع . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « فابتدأ طويس وأصحابه فغنى » . (٥) المغزلة : الظبية ذات الغزال .

غناء الدلال

فقالت جميلة : حسنٌ والله يا أبا عبد النّعيم . ثم قالت للدّلال : هات يا أبا يَزيد؛ فاندفع فغنّى :

قد كنت آمُل فيكمُ أملًا * والمرء ليس بمدركٍ أمَلَهْ
حتى بَدا لى منكمُ خُلُفٌ * فزجرْتُ قلبى فارْعَوى جهَلَهْ(١)
ليس الفتى بمخلَّدٍ أبدًا * حيًّا وليس بفائتٍ أجَلَهْ
حىِّ البُغومَ ومَنْ بعَقْوتها(٢) * وقِفَا العَمُودِ وإن خَلا أهَلُهْ(١)

غناء برد الفؤاد ونومة الضحى

قالت : حسن والله يا أبا يزيد . ثم قالت لهيتٍ : إنّا نُجِلُّك اليومَ لكبَرِ سنّك ورقّة عَظْمِك . قال: أجل يا ماما . ثم قالت لبَرْدِ الفؤاد ونَوْمةِ الضُّحى : هاتيا جميعاً لحْناً واحدا؛ فغنّيا(٣) :

١٣٩ / ٧

١٠ إنى تذكّرتُ فلا تَلْحَنى * لؤلؤةً مكنونةً تَنْطِقُ
مسكنُها طَيْبةُ لم يَغْذُها * بؤسٌ ولا والٍ بها يَخْرُقُ
قد قلت والعيسُ سِراعٌ بنا * تُرْقِلُ إرقالًا وما تُعْنِقُ(٤)
يا صاحبى شَوْقِى أرَى قاتِلى * ومُورِدِى منها جَوًى يُقْلِقُ

غناء فند ورحمة وهبة الله

قالت جميلة : أحسنتما . ثم قالت لفِنْدٍ ورَحْمة وهبة الله : هاتوا جميعا صوتاً واحدا

١٥ فإنكم متّفقون فى الأصوات والألحان؛ فاندفعوا فغنّوا :

أشاقكَ من نحوالعَقيق بُروقُ * لوامعُ تَخْفَى تارة وتَشُوقُ
ومالِىَ لا أَهْوَى جوارِىَ بَرْبَرٍ * ورُوحى الى أرْواحِهن تَتُوقُ
لهنّ جمالٌ فائقٌ ومَلاحةٌ * ودَلٌّ على دَلِّ النساء يَفُوقُ

(١) تحريك عين الثلاثى الساكن اذا كان من الحروف الحلقية شائع كثير فى الشعر وفى النثر أيضا .

٢٠ (٢) العقوة : ساحة الدار . والعمود : هضبة مستطيلة عندها ماء لبنى جعفر . وقفاه : وراءه .

(٣) فى الأصول : « فغنتا » بتاء التأنيث وهو تصحيف . (٤) الإرقال : السير السريع . والإعناق : السير المنبسط .

وكان بَرْبَرٌ حاضرًا، فقال: جوارىّ والله على ما وصَفْتُم، فمن شاء أقرّ ومن شاء أنكر.

غناء جميلة

فقالت جميلة: صدق. ثم غنّت جميلة بشعر الأعشى — ولمعبد فيه صوتٌ أخذه عنها —:

بانت سُعادُ وأمسى حبلُها انقطعا * واحتلّتِ الغَوْرَ فالجدَّيْنِ فالفَرَعا[1]

واستنكرتْنى وما كان الذى نَكِرَتْ * من الحوادثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعا

تقول بِنْتِى وقد قَرَّبْتُ مرتحلًا * ياربِّ جَنِّبْ أبى الأوْصابَ والوَجَعا

وكانَ شىءٌ إلى شىءٍ فغيَّره * دهرٌ مُلِحٌّ على تفريق ما جَمعا

فلم يُسْمَعْ شىءٌ[2] أحسنُ من ابتدائها بالأمس وخَتْمِها فى اليوم الثانى. وقطعت المجلسَ فانصرف القومُ وأقام آخرون[3]. فلما كان اليومُ الثالثُ اجتمع الناسُ، فضربتْ سِتارة

اليوم الثالث من أيام المدينة

وأجلست الجوارىَ كلَّهن فضرَبْنَ وضَربتْ فضرَبْنَ على خمسين وترا فتزلزلتِ الدارُ، ثم غنّت على عُودها وهنّ يضرِبْنَ على ضربها بهذا الشعر:

فإن خَفِيَتْ كانت لعينك قُرّةً * وإن تَبْدُ يومًا لم يُعَمِّمْك[4] عارُها

من الخَفِراتِ البِيضِ لم تَرَ غِلْظَةً * وفى الحَسَبِ الضَّخْمِ الرَّفيعِ نِجارُها

فما رَوْضَةٌ بالحَزْنِ طيِّبةُ الثَّرَى * يَمُجُّ النَّدا جَثْجاثُها[5] وعَرارُها

بأطيبَ من فيها اذا جئتَ طارقًا * وقد أُوقِدتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها

غناء عزة الميلاء

فدمعت أعينُ كثير منهم حتى بلّ ثوبَه وتنفّس الصُّعَداءَ وقال: بنفسى أنتِ ياجميلةُ!. ثم قالت للجوارى: اكْفُفْنَ فكفَفْنَ؛ وقالت: يا عَزّ غنّى؛ فغنّت بشعر لعمرَ:

(١) الجدان: موضع. والفرع (بالتحريك): موضع بين الكوفة والبصرة. ورواية هذا الشطر فى معجم البلدان فى الكلام على الجدين والفرع: «فاحتلت الغمر... الخ». (٢) فى ب، س: «بشىء». (٣) كذا فى الأصول. ولعل صوابها: «فانصرف قوم وأقام آخرون». (٤) كذا فى ب، س، حـ. وفى م، أ، ء: «لم يعمرك عارها». ولعل صوابه: «لم يغمك عارها» أى لم تأت بعار فيغمك ويحزنك، لأنها عفيفة. (٥) قال أبو حنيفة الدينورى: الجثجاث، من أحرار الشجر، ينبت بالقيظ، له زهرة صفراء كأنها زهرة عربجة، طيبة الريح، تأكله الإبل اذا لم تجد غيره. والعرار: بهار البر وهو نبت طيب الريح. قال ابن برى: وهو النرجس البرىّ.

تذكّرتَ هنـدًا وأعصـارَها[1] * ولم تَقضِ نفسُك أوطـارَها
تذكّرتِ النفسُ ما قـد مضَى * وهاجتْ على العـينِ عُـوّارَها[2]
لتمنـحَ رامـةَ منّا الهـوى * وتَـرْعَى لرامـةَ أسـرارَها
إذا لم تَزُرْها حِـذارَ العِـدَا * حسَـدْنا على الزَّوْرِ زُوّارَها

٥ فقالت جميلة : يا عَزّ ، إنكِ لباقيةٌ على الدهر ، فهنيئًا لكِ حسنُ هذا الصوت مع جَوْدة هذا الغناء . ثم قالت لحَبَابةَ وسَلّامةَ : هاتِيَا لحنًا واحدا ، فغنّتَا :

غناء حبابة وسلامة

١٤٠ / ٧

كفَى حَزَنًا أنى أَغيبُ وتَشْهَدُ * وما نَلْتَقِي والقلبُ حَرّانُ مُقْصَدُ
ومن عَجَبٍ[3] أنّى إذا الليلُ جَنّنِي * أقوم من الشوق الشديد وأقعد
أَحِنُّ اليكم مثـلَ ما حَنّ تائقٌ * إلى الوِرْد عَطْشانُ الفؤاد مصرَّدُ[4]
١٠ ولى كَبِدٌ حَرَّى يعـذِّبها الهوَى * ولى جسدٌ يَبْـلَى ولا يتجـدَّدُ

غناء خليدة

فاستُحْسِن غناؤهما . ثم أقبلتْ على خُلَيدةَ فقالت لها : بنفسى أنت! غَنِّي ، فغنّتْ :

ألَا يا مَنْ يـلُوم على التّصـابِى * أَفِقْ شـيئًا لتسمعَ من جوابِى
بَكَرْتَ تلُومُنِى فى الحبّ جَهْـلًا * وما فى حبّ مثـلى من مَعابِ
أليس من السـعادة غيرَ شَكٍّ * هَوًى متُواصلين على آقـترابِ
١٥ كـريمٌ نال وُدًّا فى عَفَـافٍ * وسَـترٍ من منعَّمةٍ كَعَابِ

غناء عقيلة والشماسية

فاستُحْسِن منها ما غنّتْ ، وهو بلَحْنِها حسنٌ جدًّا . [ثم قالت لعُقَيلة والشَّمّاسـيّة : هاتِيَا ، فغنّتَا :

---

(١) الأعصار : جمع عصر ، يريد الأوقات التى كان يجتمع فيها معها . (٢) العوّار : ما عار فى العين من القذى والرمد فأوجعها . (٣) فى أ ، م ، د : «وما عجبى» . (٤) التصريد :
٢٠ سقى دون الرىّ ، ومنه :

* يسقون منها شرابا غير تصريد *

هجرتِ الحبيبَ اليومَ فى غير ما اجتَرَمْ * وقطَّعتِ من ذى وُدّكِ الحبلَ فانصرمْ

أطعتِ الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ * مقالةَ واشٍ يَقرَعِ السنَّ من ندَمْ](١)

غناء فرعة وبلبلة ولذة العيش

ثم قالت لفَرْعة وبُلْبُلَة ولذّةِ العَيْش : هاتِينَ فغنِّينَ؛ فاندفَعْنَ بصوتٍ واحد :

لعَمْرِى لئن كان الفؤادُ من الهوى * بَغَى سَقَمًا إنّى إذًا لسَقِيمُ

علىَّ دماءُ البُدْنِ إن كان حبُّها * على النأى فى طول الزمان يَرِيمُ

تُلِمُّ مُلِمّاتٌ فيُنْسِينَ بعدَها * ويُذْكَرُ منها العهدُ وهو قديمُ

فأُقسمُ ما صافيتُ بعدَكِ خُلّةً * ولا لكِ عندى فى الفؤاد قَسِيمُ

غناء سعدة والزرقاء

قالت : أحسنتُنَّ ! وهو لعَمْرِى حَسَنٌ . وقالت لسُعْدَة والزَّرْقاء : غَنِّيَا؛ فغنَّتا :

قد أرسلونى يُعزُّونى فقلتُ لهم * كيف العزاءُ وقد سارتْ بها الرُّفَقُ

استَهدَتِ الرِّيمَ عينيه بخادلها * بمُقلتيْه ولم تُترَكْ له عُنُقُ ١٠

فاستُحْسِن ذلك . ثم قالت للجماعة فغنَّوْا ، وانقضى المجلسُ وعاد كلُّ إنسانٍ إلى وطنه . فما رُئِى مجلسٌ ولا جَمْعٌ أحسنُ من اليوم الأوّل ثم الثانى ثم الثالث .

طلب ابراهيم الموصلى الغناء لسماعه صوتا لها

وحدّثتنى عمّتى(٢) — وكانت أسنَّ من أبى وعُمِّرتْ بعده — قالت : كان السببُ فى طلب أبيك الغناءَ والمواظبةِ عليه لحنًا سمعه لجميلة فى منزل يونُسَ بنِ محمد الكاتب، فانصرف وهو كئيبٌ حَزِين مغمومٌ لم يَطْعَمْ ولم يُقْبِلْ علينا بوجهه كما كان يفعل . فسألته عن ١٥ السبب فأمسك، فألححتُ عليه فانتهرنى، وكان لى مُكْرِما، فغضِبتُ وقمتُ من ذلك المجلس الى بيت آخر، فتبِعَنى وترضّانى وقال لى : أُحدّثكِ ولا كتمانَ منكِ : عَشِقْتُ صوتا لامرأة قدمانت، فأنا بها وبصوتها هائمٌ إن لم يتداركْنى اللهُ منه برحمته . فقالت :

---

(١) الموضوع بين قوسين انفردت به نسختا ب ، س . (٢) المتحدّث هو إسحاق بن ابراهيم ٢٠ الموصلى وهو راوى الخبر المتقدم كما مرّ بك .

أتظُنّ أن الله يُحيي لك ميّتا ! قال : بل لا أشُكّ . قالت : فما تعليقُك قلبَك بما لا يُعطاه إلا نبيٌّ ولا نبيٌّ بعد محمد صلى الله عليه وسلم ! . وأمّا عشقُك الصوتَ فهو أن تحذِقَه وتُغنّيه عشرَ مِرَارٍ ، فتملّه ويذهب عشقُك له ! . فكأنه ارْعوى(١) ورجع إلى نفسه ، وقام فقبّل رأسي ويدي ورجْلي وقال لي : فرّجتِ عنّي ما كنتُ فيه من الكَرْب والغمّ ، ثم تمثّل : «حبُّكَ الشيءَ يُعمِي ويُصِمّ» ولزِم بيتَ يونُس حتى حذَق الصوتَ ، ولم يمكث إلا زمنًا يسيرا حتى مات يونُس وانضمّ الى سِيَاط ، وكان من أحذقِ أهل زمانه بالغناء وأحسنِهم أداءً عمّن مضَى . قالت عمّتي : فقلت لإبراهيم : وما الصوتُ؟ فأنشدني الشعرَ ولم يُحسن أداءَ الغناء :

١٤١/٧

من البَكَرات عِراقيّةٌ * تُسمَّى سُبَيعةَ أطْرِبْتُها
مَن آلِ أبي بَكْرَةَ الأكرمين * خصَصتُ بودّي فأصفيتُها
ومن حبّها زرتُ أهلَ العراق * وأسخطتُ أهلي وأرضيتُها
أموتُ إذا شَحَطَتْ دارُها * وأحيا إذا أنا لاقيتُها
فأُقسِم لو أنّ ما بي بها * وكنتُ الطبيبَ لداويتُها

قالت عمّتي : هذا شعرٌ حَسَنٌ ، فكيف به اذا قُطّع ومُدّد تمديدَ الأطْرِبة(٢) وضُرب عليها بقُضبان الدِّفْلَى(٣) على بطون المِعْزَى ! فما مضت الأيامُ والليالي حتى سمعتُ اللحنَ مؤدًّى ، فما خرق مسامعي شيءٌ قطُّ أحسنُ منه ، ولقد أذكرني بما يُؤثَر من حسن صوت داودَ وجمالِ يوسفَ . فبينَا أنا يومًا جالسةٌ(٤) إذ طَلَع عليّ إبراهيمُ ضاحكا مستبشرًا ، فقال لي : ألَا أحدّثك بعجبٍ؟ قلتُ : وما هو؟ قال : إن لي شريكا

(١) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : « فكان الارعواء » . (٢) هذا جمع غريب .
(٣) الدفلى : نبت مر زهره كالورد الأحمر ، وحمله كالخروب ، وأقله للالحاق عند جماعة فينوّن نكرة ، وللتأنيث عند آخرين فلا ينون . (٤) في جميع الأصول : « جالس » .

فى عشق صوت جميلة . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : كنت عند سِيَاط فى يومنا هذا وأنا أغنّيه الصوتَ وقد وقّفَنِي فيه على شىء لم أكن أحكمتُه عن يونُس، وحضر عند سِياط شيخٌ نبيلٌ فسبّح على الصوت تسبيحا طويلا ، فظننتُ أنه نعل ذلك لأستحسانه الصوت . فلما فرغتُ أنا وسِيَاطٌ من اللحن قال الشيخ : ما أعْجب أمرَ هذا الشعر وأحْسَنَ ماغُنِّى به وأحسن ما قال قائله ! . فقلت له دون القوم : وما بلغ ٥ من العَجَب به؟ قال: نعم! حَجّتْ سُبَيعةُ من ولد عبد الرحمن بن أبى بكْرَة، وكانت من اجمل النساء ، فأبصرها عمرُ بن أبى رَبيعة ، فلما انحدرتْ الى العراق أتْبَعها يُشيّعها حتى بلَغ معها موضعًا يقال له الخَوَرْنَق . فقالت له : لو بلغتَ الى أهلى وخطبتَنى لزوّجوك . فقال لها : ما كنتُ لأخْلِطَ تشييعى إياكِ بخِطْبة، ولكن أرجعُ ثم آتيكم خاطبا، فرجع ومَرّ بالمدينة فقال فيها : ١٠

قال ابن أبى ربيعة شعرا فى سبيعة فلحنته وعلمته جارية من جواريه

من البَكَرات عِراقيّةٌ * تُسمَّى سُبَيعةَ أطريتُها

ثم أتى بيتَ جميلة فسألها أن تُغَنّى بهذا الشعر ففعلتْ . فأعجبه ما سمع من حسن غنائها وجَوْدة تأليفها ، فحَسُن موقعُ ذلك منه، فوجّه الى بعض مَوَالِيَاتِه ممن كانت تطلُب الغناء أن تأتىَ جميلةَ وتأخذَ الصوت منها ؛ فطارحتْها إياه أيّاما حتى حذَقَت ومَهَرتْ به . فلما رأى ذلك عمر قال : أرى أن تَخْرُجى الى سُبَيعة وتغنّيها هذا ١٥ الصوتَ وتُبلِّغيها رسالتى؛ قالت: نعم جعلنى الله فداكَ . فأتتها فرحّبتْ بها، وأعلمتْها الرسالةَ ، فحَيّتْ وأكْرمتْ ، ثم غنّتْها فكادت أن تموت فرحًا وسرورًا لحسن الغناء والشعر . ثم عادت رسولُ عمر فأعلمتْه ما كان وقالت له : إنها خارجة فى تلك السنة . فلما كان أوانُ الحج استأذنتْ سُبَيعةُ أباها فى الحج، فأبَى عليها وقال لها : قد حَجَجْتِ حِجّةَ الإسلام . قالت له : تلك الحِجّةُ هى التى أسهرتْ ليلى وأطالت ٢٠

حج سبيعة ثانية وسؤالها جميلة أن تغنيها بشعر عمر فيها

١٤٢/٧ نهارى وتوقّنى[1] الى أن أعود وأزُور البيتَ وذلك القبرَ؛ و إن أنت لم تأذَنْ لى مُتُّ كَمَدًا وغمًّا؛ وذلك أن بقائى إنما كان لحضور الوقت ، فإن يئستُ فالموت لا شكَّ نازلٌ بى . فلما رأى ذلك أبوها رَقّ لها وقال : ليس يَسَعُنِى منعُها مع ما أرى بها، فأذن لهـا . ووافَى عمرُ المدينةَ ليعرف خبرَها ؛ فلما قدمتْ علم بذلك . وسألها أن تأتىَ منزلَ جميلة ، وقد سبقَ اليـه عمرُ، فأ كرمتْها جميلةُ وسُرَّتْ بمكانها . فقالت ٥ لهـا سُبَيعة : جعلنى الله فِداكِ ! أقلقنى وأسهرنى صوتُكِ بشعر عمرَ فىَّ، فأسْمِعينِى إيّاه . قالت جميلةُ : وعَزَازةً لوجهكِ الجميل ! فغنّتْها الصوتَ ، فأُغمِى عليها ساعةً حتى رُشّ على وجهها المـاءُ وثاب اليها عقلُها . ثم قالت : أعيدى علىَّ، فأعادت الصوتَ مرارًا فى كل مرّة يُغْشَى عليها . ثم خرجتْ الى مكة وخرج معها . فلمـا ١٠ رجعتْ مَرّتْ بالمدينة وعمرُ معها ، فأتت جميلةَ فقالت لها : أعيدى علىّ الصوتَ ففعلتْ، وأقامتْ عليها[2] ثلاثا تسألها أن تُعيد الصوتَ . فقالت لهـا جميلة : إنى أُريد أن أغنّيَكِ صوتا فاسمعيه . قالت : هاتِيه يا سيّدتى؛ فغنّتها :

أبتِ المليحةُ أن تُواصـلَنِى * وأظنُّ أنى زائـرٌ رَمْسِى
لا خيرَ فى الدنيـا وزِينتِها * ما لم تُوافِق نفسُها نفسِى
١٥ لا صبرَ لى عنها إذا حَسَرتْ * كالبدر أو قَرْنٍ من الشمس
ورمتْ فؤادَكَ عند نظرتِها * بمَـلاحةِ الإيثار[3] والأُنْس

قالت سُبيعة: لولا أنّ الأوّل شعر عمرَ لقدّمتُ هذا على كلّ شىء سمعتُه. فقال عمر: فإنه والله أحسنُ من ذلك، فأمّا الشعرُ فلا . قالت جميلةُ : صدقتَ والله . قالت عمّتى قال لها أبى : لَعَمْرِى إنّ ذلك على ما قالا .

٢٠ (١) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : «وذوبت قلبى أن أعود ... الخ» .
(٢) فى ب ، س : «عليه» . (٣) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصـول هكذا : «الأنياب» أو «الأيناب» . وجميع الروايات غير ظاهرة .

ولابن سُرَيج فى هذا الشعر لحنٌ عن جَميلة ورُبما حُكى بزيادةٍ أو نقصانٍ أو مثلًا بمثل .

جمعت الناس فى دارها وقصت عليهم رؤياها واعتزامها ترك الغناء، فاختلفوا وخطب شيخ يحبذ الغناء فرجعت

أخبرنى من يفهم الغناء قال :

بلغنى أنّ جميلة قعدتْ يومًا على كرسىّ لها وقالت لآذنها : لا تحجُبى عنّا أحدا اليوم، وآقعدى بالباب، فكلّ من يمرّ بالباب فآعْرِضى عليه مجلسى؛ ففعلتْ ذلك حتى غَصّتِ الدارُ بالناس؛ فقالت جميلةُ : اصعَدوا الى العَلالىّ؛ فصعِدتْ جماعةٌ حتى امتلأتِ السطوحُ . فجاءتها بعض جواريها فقالت لها : يا سيّدتى، إن تمادى أمرُكِ على ما أرى لم يَبْقَ فى دارِكِ حائطٌ إلّا سقط، فأَظْهِرى ما تريدين . قالت : اجلسى . فلما تعالَى النهارُ وآشتدّ الحرّ آستسقَى الناسُ الماءَ فدَعَتْ لهم بالسَّوِيق[1]، فشرب من أراد؛ فقالت : أقسمتُ على كلّ رجل وآمرأة دخل منزلى إلّا شرب، فلم يبق فى سُفْلِ الدار ولا عُلْوِها أحد إلّا شرب، وقام على رءوسهم الجوارى بالمناديل والمَراوح الكبار، وأمرتْ جواريَها فقُمْنَ على كراسىّ صِغارٍ[2] فيما بين كلّ عشرةِ نَفَرٍ جاريةٌ تروّح . ثم قالت لهم : إنّى قد رأيتُ فى منامى شيئا أَفْزَعنى وأَرْعَبنى[3]، ولستُ أعرف ما سببُ ذلك، وقد خِفتُ أن يكون قَرُبَ أجلى، وليس ينفعنى إلّا صالحُ عملى، وقد رأيتُ أن أترك الغناء كراهةَ أن يَلْحَقنى منه شىء عند ربى . فقال قوم منهم : وفّقكِ الله وثبّت عَزْمكِ! وقال آخرون : بل لا حَرَجَ عليكِ فى الغناء . وقال شيخ منهم ذو سنّ وعلم وفقه وتجربة : قد تكلمت الجماعةُ، وكلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحُون، ولم أعترض عليهم فى قولهم ولا شَرِكْتُهم فى رأيهم ، فآستمعوا الآن لقولى وأَنْصِتُوا

(١) السويق : شراب يتخذ من الحنطة والشعير . (٢) كلمة : «على كراسىّ صغار» ساقطة من ب، س . (٣) ذكر ابن الأعرابى فى نوادره وثعلب فى الفصيح أنه لا يقال : «أرعبه» بالهمز، وتبعهما الجوهرى، وغيرهم رأى جوازه . (راجع شرح القاموس مادة رعب) .

ولا تَشْغَبُوا الى وقت انقضاء كلامى؛ فمن قبِل قولى فالله موفّقه، ومن خالفنى فلا بأس عليه إذ كنتُ فى طاعة ربى . فسكت القومُ جميعا. فتكلّم الشيخ فحمِد اللهَ وأثنى عليه وصلّى على محمد النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا معشر أهلِ الحجاز، إنكم متى تخاذلتم فَشِلتم ووثَب عليكم عدوُّكم وظفِر بكم ولا تُفلِحوا بعـدها أبدا . إنكم قد انقلبتم على أعقابكم لأهل العِراق وغيرِهم ممّن لا يزال يُنكِر عليكم ما هو وارثُه عنكم، لا ينكره عالمكم ولا يدفَعه عابدُكم بشهادة شريفكم ووَضيعكم يندب اليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزّكم[1] . فأكثرُ ما يكون عند عابدكم فيـه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهد فى الدنيا؛ لأن الغناء من أكبر اللذات وأسَرُّ للنفوس من جميع الشهوات، يُحيى القلبَ ويزيد فى العقل ويَسُرّ النفسَ ويَفْسَحُ فى الرأى ويتيسّر به العَسير وتفتح به الجيوش ويذلّل به الجبّارون حتى يمتهنوا أنفسَهم عند استماعه، ويُبْرِئُ المَرْضَى ومن مات قلبُه وعقله وبصره، ويزيد أهلَ الثروة غِنًى وأهلَ الفقر قناعةً ورضًا باستماعه فيَعْزِفُون[2] عن طلب الأموال . من تمسّك به كان عالما ومن فارقه كان جاهلا؛ لأنه لامنزلةَ أرفعُ ولا شيءَ أحسنُ منه؛ فكيف يُستصوب تركه ولا يُستعان به على النشـاط فى عبادة ربنا عزّ وجلّ . وكلامٌ كثيرٌ غيرُ هذا ذهب عن المحدِّث[3] به ، فما ردّ عليه أحد ولا أنكر ذلك منهم بَشَرٌ، وكلٌّ عاد بالخطأ على نفسه وأقرّ بالحق[4] له . ثم قال لجميلة : أوَعَيْتِ ما قلتُ ووقع من نفسك ما ذكرتُ ؟ قالت : أجلْ وأنا أستغفر اللهَ . قال لها : فاختِمى مجلسَنا وفرِّقى جماعتَنا بصوت فقط؛ فغنّتْ :

أفى رسمِ دارٍ دمعُـــك المترقرِقُ * سَفَاهًا! وما استنطاقُ ماليس يَنْطِقُ

(١) وردت هذه الجملة هكذا فى الأصول، وهى غير واضحة . (٢) فى ج : « فيستغنون » .
(٣) فى ب، س : « ذهب على المحـدث » وهو تحريف . (٤) فى ب، س : « بالفضل له » .

بحيثُ ٱلتقى جَمْـعٌ وأقْصَى مُحَسِّرٍ (١) * مَغَانِيه قد كادتْ عن العهدِ تَخْلُقُ
مُقَـامٌ لنـا بعـد العِشاء ومنزلٌ * به لم يكدِّرْه علينـا مُعَـوِّق
فأحسنُ شىء كان أوّلُ ليلنـا * وآخـرُه حزنٌ اذا نتفـرّق

فقال الشيخ : حَسَنٌ واللهِ! أمثلُ هذا يُترك (٢)! فيم تَشاهدُ الرجالُ! لا واللهِ ولا كرامةَ لمن خالف الحقّ . ثم قام وقام الناس معه ، وقال : الحمد لله الذى لم يفرّق جماعتَنا على اليأس من الغناء ولا جحودِ فضيلته ، وسلامٌ عليك ورحمةُ الله يا جميلة .

وصف مجلس لها غنت فيه ورقصت وغنى المغنون ورقصوا

وقال أبو عبد الله : جلستْ جميلة يومًا ولبست بُرْنُسًا طويلا ، وألبستْ من كان عندها برانسَ دون ذلك ، وكان فى القوم ٱبنُ سُرَيج ، وكان قبيحَ الصَّلَع قد اتخذ وَفْرةَ شعرٍ (٣) يضعها على رأسه ، وأحبّتْ جميلةُ أن ترى صَلْعتَه . فلما بلغ البرنسُ إلى ٱبن سُرَيج قال : دبّرتِ علىّ وربِّ الكعبة! وكشف صَلْعتَه ووضع القَلَنْسيةَ على رأسه ، وضحك القومُ من قُبْح صَلْعتِه ؛ ثم قامت جميلةُ ورقصتْ وضربتْ بالعود وعلى رأسها البُرْنُس الطويل وعلى عاتقها بُرْدةٌ يَمَانيةٌ وعلى القوم أمثالُها ، وقام ٱبنُ سُرَيج يرقُص ومَعْبَد والغَرِيض وٱبنُ عائشـة ومالكٌ وفى يد كلّ واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقْصِها ؛ فغنّت وغنّى القومُ على غنائها :

ذهب الشـبابُ وليتَه لم يَذْهبِ * وعَلَا المَفَارِقَ وَقْـعُ شيبٍ مُغْرِبِ (٤)
والغانياتُ يُرِدْنَ غيرَك صاحبًا * ويَعِدْنَكَ الهِجْرانَ بعـد تقـرُّبِ

١٤٤ / ٧

(١) جمع : علم المزدلفـة . ووادى محسر : موضع بين منى والمزدلفة وليس من منى ولا مزدلفة بل هو واد برأسه ، وقيل فيه غير ذلك . (راجع معجم البـلدان لياقوت) . (٢) فى ب ، س : « أمثل هذا يتزل فيه مشاهد الرجال لا والله لا يتزل هذا ولا كرامة » وهى محرفة .
(٣) كذا فيا سيأتى . وفى الأصول هنا : « وفرة شعرة » وهو تحريف . والوفرة : الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين منه . (٤) مغرب : أبيض .

إنّى أقولُ مقالةً بتجاربٍ * حقًّا ولم يُخبِرْكَ مثلُ مجرِّبِ

صَافِ الكريمَ وكُنْ لعِرْضِكَ صائنًا * وعن اللئيمِ ومثلِه فتنكَّبِ

ثم دعتْ بثياب مُصَبَّغة ووَفْرة شعر مثل وفرة ابن سُرَيج فوضعتْها على رأسها، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا، ثم ضربتْ بالعُود وتمشّتْ وتمشّى القوم خلفَها، وغنّتْ وغنّوا بغنائها بصوت واحد :

يَمْشِينَ مَشْىَ قَطَا البِطاحِ تأوُّدًا * قُبُّ البطون رواجحَ الأكفال

فيهنّ آنسةُ الحديثِ حَيِيَّةٌ * ليست بفاحشةٍ ولا مِتْفالِ (١)

وتكون ريقتُها إذا نَبَّهتَها * كالمسك فوق سُلافةِ الجِرْيالِ (٢)

ثم نعرتْ ونعَر القوم طربًا، ثم جلستْ وجلسوا وخلعوا ثيابهم ورجعوا الى زيّهم، وأذِنتْ لمن كان ببابها فدخلوا؛ وانصرف المغنّون وبقى عندها من يُطارحها من الجوارى .

استزارت عبد الله ابن جعفر لمجلس غناء هيأته له فزارها

وحدّثتنى عمّتى قالت : سمعت سِياطًا يحدّث أباك يومًا بأحاديث جميلةَ فقال: بنفسى هى وأمّى! فما كان أحسن وجهها وخَلقَها وغناءها (٣)! ما خلقتِ النساءُ مثلَها شبيها؛ فأعجبنى ذلك . ثم قال سِياط : جلستْ جميلةُ يومًا للوفادة عليها، وجعلت على رءوس جواريها شعورًا مُسْدَلةً كالعناقيد الى أعجازهنّ، وألبستهنّ أنواع الثياب المصبّغة ووضعتْ فوق الشعور التيجانَ، وزيّنتهن بأنواع الحلىّ، ووجّهتْ الى عبد الله بن جعفر تستزيره، وقالت لكاتب أملتْ عليه : "بأبى أنت وأمّى! قدْرُك يَجِلّ عن رسالتى وكَرَمُك يحتمل زلّتى (٤)؛ وذنبى لا تُقال عثرتُه ولا تُغفر حَوْبتُه . فإن

(١) المتفال : المتغيرة الريح لترك التطيب والادّهان . (٢) الجريال : من أسماء الخمر .

(٣) فى ب، س : «... وجهها وخلقها وخلقها وغناءها ...» . (٤) فى ب، س : «ولكن كرمك الخ» بزيادة كلمة «لكن» ولعلها مقحمة من الناسخ .

صَفَحْتَ فالصفحُ لكم مَعْشَرَ أهلِ البيت يُؤْثر، والخيرُ والفضلُ كله[1] فيكم مُدَّخر، ونحن العبيد وأنتم المَوَالى . فطُوبَى لمن كان لكم مُقارِباً والى وجوهكم ناظرا! وطُوبَى لمن كان لكم مُجاورا[2]، وبعزِّكم قاهرا، وبضيائكم مبصرا! والويل لمن جهِل قَدْرَكم ولم يعرف ما أوجبه الله على هذا الخَلْق لكم! فصغيرُكم كبير بل لا صغيرَ فيكم، وكبيرُكم جليلٌ بل الجلالةُ التى وَهَبها الله عزّ وجلّ للخلق هى لكم ومقصورةٌ عليكم . و بالكتاب نسألك وبحقّ الرسول ندعوك إن كنتَ نشيطا لمجلس هَيّأتُه لك لا يحسُن إلّا بك ولا يتمّ إلا معك، ولا يصلُح أن يُنْقَل عن موضعه، ولا يُسْلَكُ به غيرُ طريقه" . فلما قرأ عبد الله الكتاب قال : إنّا لنعرف تعظيمَها لنا وإ كرامَها لصغيرنا وكبيرنا . وقد علمتُ أنها قد آلتْ أليّةً ألّا تغنّىَ أحدًا إلّا فى منزلها . وقال للرسول : والله قد كنتُ على الركوب الى موضع كذا[3] وكان فى عَزْمى المرورُ بها . فأمّا إذ وافق ذلك مُرادَها فإنّى جاعلٌ بعد رجوعى طريق عليها . فلمّا صار الى بابها أدخل بعضَ مَنْ كان معه اليها وصَرَف بعضَهم . فنظر الى ذلك الحُسْنِ البارع والهيئة الباذّة[4]، فأعجبه ووقع من نفسه، فقال: يا جميلة! لقد أُوتيتِ خيراً كثيرا، ما أحسنَ ما صنعتِ! . فقالت : يا سيّدى، إنّ الجميل للجميل يصلُح ، ولك هيّأتُ هذا المجلس . فجلس عبد الله بن جعفر وقامتْ على رأسه وقامت الجَوَارِى صَفَّيْنِ ؛ فأقسم عليها فجلستْ غيرَ بعيد . ثم قالت : يا سيّدى، ألا أُغنّيك ؟ قال : بلى! فغنّتْ :

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ب ، س . (٢) فى جميع الأصول عدا ب ، س : «لمن كان لكم أيضا مجاورا» . (٣) فى ب ، س : «الى موضع كذا وكذا» . (٤) الهيئة الباذة : الغالبة الفائقة . وفى ج : «والهيئة البارزة» .

بَنِي شَيْبَةِ الحمدِ الّذي كان وجهُه * يُضِيء ظلامَ اللّيلِ كالقمر البَدْرِ[1]
كُهُولُهُمُ خيرُ الكهولِ ونَسْلُهم * كنسلِ الملوكِ لا يَبُورُ ولا يحرى[2]
أبو عُتْبَةَ المُلْقِي إليك جَمَالَه * أغرُّ هِجانُ اللّونِ من نَفَرٍ زُهْرِ
لِساقِي الحجيجِ ثم للخيرِ هاشمٍ[3] * وعبدِ منافٍ ذلك السّيّدِ الغَمْرِ
أبوكم قُصَيٌّ كان يُدْعَى مُجَمِّعًا * به جَمَّعَ الله القبائلَ من فِهْرِ

فقال عبد الله: أحسنتِ يا جميلةُ وأحسنَ حُذَافةُ ما قال! بالله أَعِيدِيه عليّ فأعادته، فجاء الصوت أحسنَ من الارتجال. ثم دعت لكل جاريةٍ بعودٍ وأمرتْهنّ بالجلوس على كراسيّ صغارٍ قد أعدّتها لهنّ، فضربن وغنّتْ عليهنّ هذا الصوتَ وغنّى جواريها على غنائها. فلمّا ضربنَ جميعًا قال عبد الله: ما ظننتُ أنّ مثلَ هذا يكون! وإنّه لَمِمّا يَفْتِن القلبَ! ولذلك كَرِهه كثيرٌ من الناس لِما علموا فيه. ثم دعا ببَغْلته فركبها وانصرف الى منزله. وقد كانت جميلةُ أعدّتْ طعامًا كثيرًا، وكان أراد المُقامَ، فقال لأصحابه: تخلّفوا للغداء، فتغدّوْا وانصرفوا مسرورين. وهذا الشعر لحُذافة[4] بن غانم بن عُبَيد الله بن عُوَيج[5] بن عَدِيّ بن كَعْب يمدح به عبد المطّلب.

(١) شيبة الحمد: لقب عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، لقب بذلك لكثرة حمد الناس له؛ لأنه كان مفزع قريش فى النوائب وملجأهم فى الأمور، فكان شرف قريش وسيدها كمالا ونعالا غير مدافع. وقيل: لأنه ولد وفى رأسه شيبة؛ وفى لفظ كان وسط رأسه أبيض؛ أو سمى بذلك تفاؤلا بأن يبلغ سن الشيب. (راجع ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه). وفيه: «بنو شيبة الحمد».

(٢) يبور: يهلك. ويحرى: ينقص.

(٣) ساقى الحجيج هو عبد المطلب هذا، فهو الذى [illegible] زمزم.

(٤) فى السيرة لابن هشام ومعجم البلدان لياقوت: «حذيفة». وقد نسب هذا الشعر أيضا لمطرود ابن كعب الخزاعى الشاعر. (راجع الطبرى ص ١٠٨٨، ١٠٩٥ من القسم الأوّل طبع أوربا، وصفحة ٥ من كتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٧٣ تاريخ).

(٥) فى الأصول: «عامر» وهو تحريف. (راجع الطبرى ص ١٠٩٥ من القسم الأول طبع أوربا ومعجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ١٤٤ طبع أوربا والسيرة ج ١ ص ٩٦، ١١١ طبع أوربا، وما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه).

أراد العرجى أن ينزل عليها حين فرّ من مكة فأبت وأنزلته على الأحوص

قال وحدّثنى بعض المكّيين قال :

كان العَرْجىّ (وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان) شاعرًا سخيًّا شجاعا أديبًا ظريفًا. ويشبَّه شعرُه بشعر عُمَر بن أبى ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قُدِّما عليه ؛ وقد نُسِبَ كثيرٌ من شعره الى شعرهما ، وكان صاحبَ صَيْد . فخرج يومًا متنزِّهًا من مكّة ومعه جماعةٌ من غِلْمانه ومَوَاليه ومعه كِلَابُه وفُهوده وصُقوره وبَوازيه نحوَ الطائف الى مالٍ له بالعَرْج — وبهذا الموضع سُمّى العَرْجىّ — فجرى بينه وبين مولًى لبنى أميّة كلامٌ ، فأمضّه المولَى فكفّ عنه العرجىّ حتى أوَى الى منزله ، ثم هجَم عليه ومعه غِلْمانه فأمَرهم أن يُوثِقوه، ثم أمرهم أن ينكِحوا آمرأته وهو يراهم ففعلوا، ثم أخرجه فقتله . فبلغ أميرَ مكّة ما فعل فطلَبه ، فخرج من منزله وأخرج معه غِلمانَه ومَوَالِيَه وآلةَ الصَّيْد وتوجّه نحو المدينة وقد ركب أفراسَه وأعدّ عُدّتَه . فلم يزل يتصيّد ويَقْصِف فى طريقه حتى دخل المدينةَ ليلًا، وأراد المُقام فى منزل جميلة ، وكانت آلت ألّا تغنّى بشعره ولا تُدخلَه منزلَها لكثرة عَبَثه وسَفَهه وحَداثة سنّه . فلما أُعلِمتْ بمكانه ليلًا قالت : طارق! إن له لشأنا! فآستخبرت خبرَه فقيل لها : إنه قدِم مُسْتَخْفِيًا، ولم يرَ بالمدينة موضعًا هو أطيبُ له من منزلك، والأيمانُ تكفَّر، والأشرافُ لا يُرَدُّون . فقالت لرسولها اليه : منزلى منزلُ جَوارٍ، ولا يمكن مثلَك الآستخفاءُ فيه، فعليك بالأحوص — وكان الأحوص مُجانبًا له لشىء جرى بينه وبينه فى منزل جميلة — فقال : أنَّى لى بالأحوص مع الذى كان بيننا! قالت : آئته عنّى وقل له : قد غنّينا بذلك الشعر، فإنْ أَحببتَ أنْ تظهر وتبقى مودّتنا لك، فأصلح ما بينك وبين عبد الله، إذ أُصْلِح ما بيننا، وأنزِلْه منزلك . قال لها : ليس هذا بمُقْنِعِى؛ أمّا إذ أبيْتِ أن أقيم بمنزلك فوجّهى معى رسولًا الى الأحْوَص؛ فإنّ منزله أحبُّ المنازل الىّ بعد منزلك .

فوجّهت معه الى الأحوص بعض مَوْلَيَاتها، فأنزله الأحوص وأكرمه وأحسن جُواره وستر أمره . فقال شعرا ووجّه به الى جميلة :

ألَا قاتَل الله الهَوى كيف أخلقَا * فلم تُلفِه إلّا مَشُوبًا مُمَذَّقَا (١)
وما من حبيبٍ يستزير حبيبَهُ * يُعاتبه فى الودّ إلا تَفَرَّقَا
أمَرَّ وصالُ الغانياتِ فأصبحت * مَضَاضتُه يشجَى بها مَنْ تَمَطَّقَا (٢)
تعلّق هذا القلبُ للحَيْن مَعلَقًا * غزالًا تحلَّى عِقْدَ دُرٍّ ويارَقَا (٣)
إذا قلتُ مهلًا للفؤاد عن التى * دعتْك اليها العينُ أغضَى وأطْرَقَا
دعانَا فلم نَسْتَبِق حُبًّا بما نَرَى * فما منك هذا العذلُ إلا تَخَرُّقَا (٤)
فقد سنّ هذا الحبَّ مَنْ كان قبلَنا * وقاد الصِّبا المرءَ الكريمَ فأعنقَا (٥)

فلمّا قرأتْ شعرَه رقّتْ له وقالت : كيف لى بإيلائى ألّا يدخل منزلى ولا أغَنِّيَه بشعره؟! فقيل لها : يدخل منزلك وتغنّين وتكفِّرين عن يمينك . فوجّهتْ إليه أنْ صِرْ إلينا والأحْوصَ فى تلك الليلة، فجاءاها؛ وعرّفت الأحوصَ تكفير اليمين؛ فقال لها : وأنا والله شفيعُه اليك؛ ففرِّجى ما به من غمٍّ فقد فارق من يحبّ ويهوَى، فتؤْنسينه وتُسَرِّينه وتغنّينه بشعره . فغنّت :

ألَا قاتَلَ اللهُ الهوَى كيف أخلقَا * فلم تُلفِه إلّا مشوبًا مُمَذَّقَا

كان الأحوص معجبا بها وملازما لها فصار اليها بغلام له جميل فأخرجته خوف الفتنة ثم دعتهما دعوة خاصة وغنتهما

وحدّثنى بعض أهلنا قال قال يونس بن محمد :

كان الأحوصُ مُعْجَبًا بجميلة، ولم يكن يكاد يُفارق منزلها اذا جلستْ . فصار اليها يومًا بغلام جميل الوجه يفتن مَنْ رآه، فشغَل أهلَ المجلس، وذهبت اللحونُ عن

(١) ممذقا : مخلوطا، يقال : فلان يمذق الود اذا لم يخلصه . (٢) تمطق : تذوّق وتمضغ .
(٣) اليارق : السوار . (٤) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول :
دعانا فلم نسبق محبا بما نرى * فما منك هذا الغدر إلا تخرقا
(٥) الإعناق : السير المنبسط . يريد أن الصبا إذا قاد المرء الكريم انقاد له وجرى فى ميدانه .

الجوارى وخلطن فى غنائهنّ . فأشارت جميلة الى الأحوص أن أخرج الغلام؛ فالخلل قد عمّ مجلسى وأفسد علىّ أمرى . فأبى الأحوصُ وتغافل ، وكان بالغلام مُعْجَبا ، فآثر لذّته بالنظر الى الغلام مع السماع . ونظر الغلامُ الى الوجوه الحسان من الجوارى ونظرن اليه ، وكان مجلسًا عامًّا . فلما خافت عاقبةَ المجلس وظهورَ أمره أمرتْ بعضَ مَنْ حضر بإخراج الغلام فأُخرِج ؛ وغضب الأحوص وخرج مع الغلام ولم يقلْ شيئا ؛ فأحمد[1] أهلُ المجلس ما كان من جميلة ، وقال لها بعضهم : هذا كان الظنّ بك ، أكرمك الله ! فقالت : إنه والله ما آستأذننى فى المجىء به ولا علمتُ به حتى رأيته فى دارى ، ولا رأيتُ له وجهًا قبل ذلك ، و إنه لَيعزّ علىّ غضبُ الأحوص ، ولكن الحقّ أولى ، وكان ينبغى له ألّا يُعَرِّض نفسَه و إيّاىَ لما نكره مثلَه . فلمّا تفرّق أهلُ المجلس بعثتْ اليه : الذنبُ لك ونحن منه بُرَءاءُ ، إذ كنتَ قد عرفتَ مذهبى ، فلِمَ عَرّضتَنى للذى كان ؛ فقد ساءنى ذلك و بلَغ منّى ، ولكن لم أجد بُدًّا من الذى رأيتَ إمّا حياءً و إمّا تصنّعًا . فردّ عليها : ليس هـذا لك بعذر إن لم تجعلى لى وله مجلسًا نخلو فيـه جميعًا تَمْحِينَ به ما كان منك . قالت : أفعلُ ذلك سرًّا ؛ قال الأحوص : قد رَضيتُ . فجاءاها ليلًا فأكرمتهما ، ولم تُظهر واحدةً من جواريها على ذلك إلّا عجائزَ من مَواليها.

وسألها الأحوص وأقسم عليها أن تغنّيه من شعره :

و بآلقَفْر دارٌ من جميلةَ هيجتْ * سوالفَ حُبٍّ فى فؤادكَ مُنْصِبِ
وكانت إذا تنأى نَوًى أو تفرّقتْ * شِدَادُ الهوَى لم تدرِ ماقولُ مِشْغَبِ[2]
أسِيلةُ مَجْرَى الدمع خُمْصانةُ الحَشَا * بَرُودُ الثّنـايا ذاتُ خَلْقٍ مُشَرْعَبِ[3]

(١) أى رضوا ما كان منها وصار عندهم محمودا . (٢) كذا فى أ ، ء ، م . والمشغب : المشاغب والعاند عن الحق . وفى ب ، س : « لم تدر ما متشعب » ولعلها : « ما متشعبى » أى لم تدر مذهبى ولا أين طريق . (٣) المشرعب : الطويل .

ترى العينُ ما تهوَى وفيها زيادةٌ * من الحسنِ إذ تبدو ومَلْهًى لمُلْعِبِ (١)

قال يونس : مالها صوتٌ أحسنُ منه ، وابنُ مُحْرِزٍ يغنيه وعنها أخذه ، وأنا أغنّيه فتُعجبني نفسي ويدخلني (٢) شيء لا أعرفه من النَّخْوة والتِّيه . وقال المحدِّث لى بهذا الحديث عن يونس : إنّ هذا للأحوص فى جميلة . والذى عندى أنه لطُفَيْل الغَنَوِىّ قاله فى ابن زيد الخيل ، وهو زيد بن المُهَلْهِل (٣) بن المُخْتَلِس بن عبد رُضًا أحدُ بنى نَبْهان ، ونبْهان لقبٌ له ، ولكنه سُودانُ (٤) بن عمرو بن الغَوْث بن طيِّئ ، أغار على بنى عامر فأصاب بنى كلاب وبنى كَعْب ، واستحرّ القتلُ (٥) فى غَنِىِّ بن أعْصُر ومالك بن أعْصُر ، وأعصر هو الدخان ، ولذلك قيل لهما ابنا دخان ، وأخوهما الحارث وهو الطُّفَاوةُ (٦) وهو مالك بن سعد بن قيس بن عَيْلان ، وغَطَفان بن سعد عمُّهم . وكانت غَنِىّ مع بنى عامر فى دارهم موالِىَ (٧) لنمير ، وكان فيهم فرسانٌ وشعراء . ثم إنّ غَنِيًّا أغارتْ على طيِّئ وعليهم سيار بن هريم (٨) ؛ فقال فى ذلك قصيدته الطويلة :

وبالقفر دارٌ من جميلة هيّجتْ * سوالفَ شوقٍ فى فؤادك مُنْصِبِ

---

(١) ألعب المرأة : جعلها تلعب أو جاءها بما تلعب به . (٢) لعلها : « ويداخلنى » .

(٣) يلاحظ أن ما أورده المؤلف هنا من الأسماء فى نسب زيد الخيل يخالف ما أورده فى ترجمته (ج ١٦ ص ٤٧ طبع بلاق) . (٤) كذا فى أسد الغابة فى ترجمة زيد الخيل . وفى ب ، س : « أسود بن عمرو » . وفى سائر الأصول : « أسودان بن عمرو » . وكلاهما تحريف .

(٥) كذا فى ب ، س . وفى أكثر الأصول : « ... واستحر القتل فى غنى بن أعصر وأعصر اسمه مالك وأعصر هو الدخان ولذلك قيل لهما ابنا دخان وأخوهما ... الخ » . وظاهر أن فى هذه العبارة خطأ . والذى فى كتاب المعارف لابن قتيبة أن أعصر بن سعد ولد غنىّ بن أعصر ومعن بن أعصر وهو أبو باهلة ومنبه بن أعصر وهم الطفاوة » . وفيما بينه وبين ما فى الأصول هنا خلاف كبير .

(٦) كذا فى الأصول . ولعل صواب العبارة : « وهو الطفاوة بن أعصر بن سعد ... الخ » .

(٧) فى الأصول : « مواليا لنمير » . (٨) كذا فى ب ، س . وفى سائر الأصول : « سنان ابن هديم » .

لحنت قصيدة لعمرو ابن أحمر بن العمرد فى عمر بن الخطاب لحنا جيلا، ونبذة عن ترجمة ابن أحمر

وحدّثنى أيّوب بن عَبَاية قال :

كان عمرو بن أحمر بن العَمَرَّد[1] بن عامر بن عبد شمس بن فَرّاص بن مَعْن بن مالك ابن أَعْصُر بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر من شعراء الجاهليّة المعدودين ، وكان ينزل الشأم ، وقد أدرك الإسلام وأسلم ، وقال فى الجاهليّة والإسلام شعرا كثيرا وفى الخلفاء الذين أدركهم : عمرَ بنِ الخطاب فمن دونه الى عبد الملك بن مروان[2]، وكان فى خيل خالد بن الوليد حين وجّه أبو بكر خالدًا الى الشأم؛ ولم يأتِ أبا بكر .

وقال فى خالد رحمه الله :

إذا قال سيفُ الله كُرُّوا عليهمُ * كَرَرْتُ بقلبٍ رابطِ الجأْش صارمِ

وقال فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصيدة له طويلة جيّدة :

أدركتُ آل أبى حَفْص وأُسْرتَه * وقبل ذاك ودهرًا بعده كَلِبَا

قد ترتمى بقوافٍ بيننا دُوَلٌ * بين المناتين[3] لا جِدًّا ولا لَعِبَا

اللهُ يعلم ما قولِى وقولُهمُ * إذ يركبون جِنَانًا[4] مُسْهَبًا وَرِبَا

وقال فى عثمان بن عفّان رضى الله عنه :

حُيِّى فليس الى عثمانَ مُرْتَجَعٌ * إلّا العداء وإلّا مُكْنِعٌ[5] ضررُ

---

(١) كذا فى نسخة المرحوم الشنقيطى والشعر والشعراء والمعارف لابن قتيبة . وفى الأصول : «عمرو بن أحمد بن العمرد» . وهو تحريف . (٢) وقيل : إنه مات فى عهد عثمان رضى الله عنه . (راجع معجم الشعراء للرزبانى) . (٣) فى ب ، س : «بين الهباتين» ، ولم نهتد الى الصواب فيه . (٤) الجنان : الأمر الخفىّ . والوِرب (وزان فرح) : الفاسد . أى يركبون أمرا ملتبسا فاسدا . (راجع اللسان مادة جنن) . (٥) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : «مكبع صور» . والمكنع : الذليل الحقير .

إخالُها سَمِعت عَــزْفًا فتحسَبه * إهابةَ القَسْرِ لَيــلًا حين تنتشر[1]

وقال فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه :

مَنْ مُبلِــغٌ مَالُكًا عــنّى أبا حَسَنٍ * فأَرْخِمْ لخَصْمِ هــداك الله مظلومِ

١٤٨ / ٧

فلما أُنشدتْ جميــلةُ قصيدتَه فى عمر بن الخطاب ، قالت : والله لأعملنّ فيها لحنًا

٥ لا يسمعه أحدٌ أبدًا إلا بكى . قال إبراهيم : وصدَقتْ ؛ والله ما سمعتُه قَطُّ إلا أبكانى ؛

لأنى أجِد حين أسمعــه شيئا يضغَط قلبى ويُحْرِقه فلا أملك عينى ، وما رأيتُ أحدًا

قطُّ سمِعه إلا كانت هذه حالَه .

صـــــوت

مِن المــائة المختــارة

١٠ يا دارَ عَبْــلةَ من مَشَارِقِ مَأْسَــلِ * دَرَس الشؤونُ وعهــدُها لم يَنْجَــلِ

فاســتبدلتْ عُفْــرَ الظِّباء كأنمــا * أبعارُها فى الصَّيف حَبُّ الفُلْفُــلِ

تمشى النَّعامُ به خَــلاءً حَــولَه * مَشْىَ النَّصارى حولَ بيت الهيكلِ

احذَرْ مَحَــلَّ السَّــوءِ لا تَحْلُلْ به * وإذا نَبَا بك مَــنزلٌ فتَحَــوَّلِ

الشعر، فيما ذكر يحيى بن علىّ عن إسحاق، لعَنْتَرة بن شَدّاد العَبْسىّ . وما رأيت هذا

١٥ الشعر فى شىء من دواوين شعر عنترة ، ولعله من رواية لم تقع إلينا ؛ فذكر غير

أبى أحمد أنّ الشعر لعبد قيس بن خُفَاف البُرْجُمىّ ، إلا أنّ البيت الأخير لعنترة صحيح

لا يُشَكّ فيه . والغناء لأبى دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلىّ ، ولحنه المختار ، على ما ذكره

---

(١) العزف : الصوت . والإهابة : مصدر أهاب بالشىء إذا دعاه . والقسر : اسم رجل كان راعيا لابن أحمر هذا . وتنتشر : تتفرق ؛ يقال : انتشرت الإبل إذا تفرقت عن غرة من راعيها . وورد هذا

٢٠ البيت فى ب ، س :

إخالها شممت عرفا فتحسبه * إهابة القصر ليلا حين تنتشر

وهو تحريف .

أبو أحمد، من الثقيل الأوّل . وذكر ابن خُرْداذبه أنّ لحن أبى دُلَف خفيفُ ثقيل بالوسطى . وذكر إسحاق أنّ فيـه لمعبد لحنًا من الثقيـل الأوّل المطلق فى مجـرى الوسطى، وأن فيه لأبى دُلَف لحنًا ولم يجنّسه . وذكر حبش أن فيه لابن مُحْرِز ثانى ثقيل بالوسطى، وأن لابن سُرَيج فى البيت الثانى ثقيلًا أوّل ، وذكر ابن خرداذبه أن خفيف الثقيل لمـالك، وليس ممن يعتمد على قوله . وقد ذكر يونس أيضا أن فيه غناء لمـالك ولم يذكر جنسه ولا طريقته .

ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره

نسب عنترة

هو عَنْتَرَةُ بن شَدّاد، وقيل : ابن عمرو بن شدّاد، وقيل : عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قُرَاد بن مخزوم بن ربيعة، وقيل : مخزوم بن عوف بن مالك ابن غالب بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر . وله لقبٌ يقال له عنترة الفَلْحاء ، وذلك لتشقّق شَفتيه . وأُمّه

أمه أمة حبشية، وكان أبوه نفاه ثم ألحقه بنسبه

أَمَةٌ حبشيّة يقال لها زَبيبة، وكان لها ولدٌ عَبِيدٌ من غير شدّاد، وكانوا إخوته لأمّه . وقد كان شدّاد نفاه مرّةً ثم اعترف به فألحق بنسبه . وكانت العرب تفعل ذلك ، تستعبد بنى الإماء، فإن أنجب اعترفتْ به وإلّا بقِىَ عبدا .

حرشت عليه امرأة أبيه فضربه أبوه فكفته عنه فقال فيها شعرا

فأخبرنى علىّ بن سليمان النحوىّ الأخفش قال أخبرنا أبو سَعيد الحسن بن الحسين السكّرىّ عن محمد بن حَبِيبَ، قال أبو سعيد وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانىّ، قالا : كان عنترة قبل أن يدّعيه أبوه حرّشتْ عليه امرأة أبيه وقالت : إنه يُراودنى عن نفسى ؛ فغضِب من ذلك شدّاد غضباً شديدًا وضربه ضرباً مبرّحًا وضربه بالسيف؛ فوقعت عليه امرأة أبيه وكفّته عنه . فلما رأتْ مابه من الجراح بكتْ — وكان اسمها سُمَيَّة وقيل : سهية[1] — فقال عَنْتَرة :

١٤٩ / ٧

صــــوت

أَمِنْ سُمَيَّةَ دمعُ العينِ مذروفُ * لو أنَّ ذا منكِ[2] قبل اليوم معروفُ

(١) كذا فى ا ، وهو المعروف . وفى سائر الأصول : « سمية » . (٢) كذا فى ديوانه نسخة مخطوطة بقلم المرحوم الشنقيطى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٨٣٧ أدب ش) . وفيها سيأتى (فى جـ ٩ ا) فى شرح الأبيات . وفى الأصول هنا : « فيك » .

كأنها يوم صدّت ما تكلمنى * ظبىٌ بعُسفانَ[1] ساجى العين[2] مطروفُ
تجللتنى إذ أهوى العَصا قبلى * كأنها صنمٌ يُعتادُ معكوف
العبدُ عبدُكمُ والمالُ مالكمُ * فهل عذابُك عنّى اليوم مصروفُ
تنمى بلائى إذا ما غارةٌ لحقتْ * تخرُج منها الطُّوَالاتُ السَّراعيف
يخرُجن منها وقد بُلّتْ رحائلها * بالماء تركُضها[3] الشُّمُّ الغطاريف ٥
قد أطعَن الطعنةَ النجلاء عن عُرُضٍ * تَصْفَرُّ كفُّ أخيها وهو منزوف

غنّى فى البيت الأوّل والثانى عَلّويه ، ولحنه من الثقيل الأوّل مطلق فى مجرى البنصر، وقيل : إنه لإبراهيم . وفيهما رَمَلٌ بالوسطى يقال : إنه لآبن سُرَيج، وهو من منحول آبن المكىّ.

قوله "مذروف": من ذَرَفت عينُه، يقال: ذَرَفت تَذْرِفُ ذَرِيفًا وذَرَفًا، وهو ١٠ قَطْرٌ يكاد يتصل . وقوله : "لو أنّ ذا منك قبل اليوم معروف". أى قد أنكرتُ هذا الحنوّ والإشفاقَ منك ، لأنه لو كان معروفًا قبل ذلك لم يُنكره . "ساجى العين" : ساكنها . والساجى : الساكن من كل شىء . "مطروف" : أصابت عينَه طَرْفةٌ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه . "تجللتنى" : ألقت نفسها علىّ . و"أهوى" : اعتمد . "صنم يعتاد" أى يُؤْتَى مرّةً بعد مرّة . و "معكوف" : يُعْكَفُ عليه . ١٥ و "السَّراعيف": السِّراع ، واحدتها سُرْعوفة . و "الطُّوالات" : الخيل . والرحائل : السروج . والشمم : ارتفاع فى الأنف . و"الغطاريف": الكرام والسادة أيضا . والغَطْرفة : ضرب من السير والمشى يُختال فيه . و"النجلاء" : الواسعة،

(١) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل فيها غير ذلك . (٢) فى بعض الأصول : « ساجى الطرف » ، وهو الأكثر فى الاستعمال . (٣) كذا فى ديوانه . ٢٠ وفى الأصول : « يقدمها » .

يقال: سِنَانٌ مِنْجَلٌ: واسع الطعنة: "عن عُرُض" أى عن شِقّ وحَرْف. وقال غيره: أَعْتَرِضه اعتراضا حين أقتله.

سبب ادعاء أبيه إياه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنى عمّى عن ابن الكلبىّ، وأخبرنى إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة قال قال ابن الكلبىّ:

شَدّادٌ جَدُّ عنترةَ غلَب على نَسَبه، وهو عنترة بن عمرو بن شدّاد؛ وقد سمعتُ من يقول: إن شدّادًا عمُّه، كان نشأ فى حِجْره فنُسب اليه دون أبيه. قال: وإنما ادّعاه أبوه بعد الكِبَر؛ وذلك لأن أمّه كانت أَمَةً سوداء يقال لها زَبِيبة، وكانت العربُ فى الجاهليّة اذا كان للرجل منهم ولدٌ من أَمَة استعبدوه. وكان لعنترة إخوةٌ من أُمّه عبيدٌ. وكان سببُ ادّعاء أبى عنترةَ إيّاه أنّ بعض أحياء العرب أغاروا على بنى عَبْس فأصابوا منهم واستاقوا إبلًا، فتبِعهم العَبْسيّون فلحِقُوهم فقاتلوهم عمّا معهم وعنترةُ يومئذ فيهم؛ فقال له أبوه: كُرَّ ياعنترةُ. فقال عنترة: العبدُ لايُحْسِنُ الكَرّ، إنما يُحْسِن الحِلَابَ والصَّرّ. فقال: كُرّ وأنت حرّ. فكرّ وهو يقول:

أنا الهجينُ عَنْـتَرَهْ * كلُّ امرئ يَحمِى حِرَهْ
أَسْوَدَه وأحمرَه * والشَّعَرَاتِ [المُشْعَرَه](1)
الوارداتِ مِشْفَرَه(2)

وقاتَل يومئذ قتالًا حسنا، فادّعاه أبوه بعد ذلك وألحَق به نسبَه.

وحكى غيرُ ابن الكلبىّ أنّ السببَ فى هذا أنّ عبسًا أغاروا على طيّئ، فأصابوا نَعَمًا، فلما أرادوا القِسْمة قالوا لعنترة: لا نَقسِم لك نصيبًا مثلَ أنصبائنا لأنك عبد. فلما طال الخَطْبُ بينهم كرّتْ عليهم طيّئ، فاعتزلهم عنترة وقال: دُونَكم القومَ، فإنّكم

(١) التكلة عن الديوان. والشطر كله ساقط من ب، س. (٢) فى أكثر الأصول: «مسفرة» بالسين المهملة، والتصويب عن أ وكتاب الشعر والشعراء.

عَدَدُهم . واستنقذت طيّئ الإبل . فقال له أبوه : كرّ يا عنترةُ . فقال : أوَ يُحْسِنُ العبد الكرّ! فقال له أبوه : العبدُ غيرُك ، فاعترف به ، فكرّ واستنقذ النَّعم ، وجعل يقـــول :

أنا الهجينُ عنْـــترَهْ * كلُّ امرئ يحمـــى حِرَهْ

الأبيـاتَ .

قال ابن الكلبيّ : وعنترةُ أحدُ أغْرِبة العرب، وهم ثلاثة[1] : عنترة وأُمّه زَبِيبة، وخُفَاف بن عُمَيْر الشَّرِيدىّ وأُمّه نُدْبة ، والسُّلَيْك بن عُمَيْر السَّعْدىّ وأُمّه السُّلَكةُ ، وإليهنّ يُنسبون . وفى ذلك يقول عنترة :

إنِّى امرؤٌ من خير عَبْسٍ مَنْصِبًا * شَـطْرِى وأحمِى سائرى بالمُنْصُلِ

وإذا الكتيبةُ أحجمتْ وتلاحظت * أُلفيتُ خيرًا من مُعَـمٍّ مُخْوَلِ

يقول : إنّ أبى من أكرم عَبْس بشَـطرى ، والشطرُ الآخر ينوب عن كرم أُمّى فيه ضَرْبى بالسيف ، فأنا خيرٌ فى قومى ممن عَمُّه وخالُه منهم وهو لا يُغنى غَنائى . وأحسب أنّ هذه القصيدة هى التى يُضاف إليهـا البيتان اللذان يُغَنَّى فيهما ، وهذه الأبيات قالها فى حرب داحِس والغَبْراء[2] .

---

(١) اقتصر المؤلف على هذا العـــدد فى أغربة العرب وهم الذين جاءهم الســـواد من قِبَل أمهاتهم . وذكر غيره أكثر من ذلك ، فنهم فى الجاهلية عنترة بن شـــدّاد وخفاف بن عمير بن الحارث وقيل : إنه مخضرم ، وأبو عمير بن الحباب السلمىّ وسليك بن السلكة وهشام بن عقبة بن أبى معيط وهو مخضرم ، ومنهم فى الاســـلام عبد الله بن خازم وعمير بن أبى عمـــير بن الحباب السلمىّ وهمام بن مطـــرف التغلبىّ ومنتشر بن وهب الباهلىّ ومطر بن أوفى المازنىّ وتأبط شرّا والشنفرى وحاجز غير منسوب . (راجـــع القاموس وشرحه مادة غرب) .

(٢) راجع عن حرب داحس والغبراء الحاشية رقم ٤ ص ٣٢ جـ ٥ من هذه الطبعة .

حامى عن بنى عبس حين انهزمت أمام تميم ، فسبه قيس ابن زهير فهجاه

قال أبو عمرو الشيبانى : غزت بنو عبس بنى تميم وعليهم قيس بن زهير، فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم ، فوقف لهم عنترة، ولحقتهم كَبْكَبةٌ من الخيل، فحامى عنترةُ عن الناس فلم يُصَبْ مُدْبِرٌ[1]. وكان قيس بن زهير سيدَهم، فساءه ما صنع عنترةُ يومئذ، فقال حين رجع : والله ما حَمَى الناسَ إلا ابنُ السوداء . وكان قيس أكولا . فبلغ عنترةَ ما قال؛ فقال يعرّض به قصيدتَه التى يقول فيها :

صـــوت

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنى الحُتوفَ كأنّنى * أصبحتُ عن عَرَض الحُتوف بمَعْزِلِ
فأجبتُها أنّ المنيّةَ مَنْهَلٌ * لا بدّ أن أُسْقَى بكأس المنهلِ
فاقْنَىْ حياءَكِ لا أبالكِ واعلمى * أنّى امرؤ سأموت إن لم أُقْتَلِ
إنّ المنيّةَ لو تُمَثَّلُ مُثِّلتْ * مِثْلى إذا نزلوا بضَنْك المنزلِ
إنى امرؤ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً * شَطْرِى وأحمِى سائرى بالمُنْصُلِ
وإذا الكتيبةُ أحجمتْ وتلاحظتْ * أُلْفِيتُ خيراً من مُعِمٍّ مُخْوِلِ
والخيلُ تعلم والفوارسُ أنّنى * فرّقتُ جَمْعَهمُ بضربةِ فيصلِ
إذ لا أبادر فى المَضِيق فوارسى * أَوَ لا أُوَكَّلُ بالرَّعيلِ الأوّلِ[2]
إن يَلْحَقوا أَكْرُرْ وإن يُسْتَلْحَموا * أَشْدُدْ وإن يُلْفَوْا بضَنْكٍ أنزلِ[3]
حين النزولُ يكون غايةَ مثلنا * ويفِرّ كلُّ مُضَلَّلٍ مُسْتَوْهِلِ[4]
والخيلُ ساهمةُ الوجوه كأنما * تُسْقَى فوارسُها نقيعَ الحنظلِ
ولقد أَبِيتُ على الطَّوَى وأظَلُّه * حتى أنالَ به كريمَ المأكلِ

(١) فى الأصول : «فلم يصب مدبرا» . (٢) فى الأصول : «ولا أوكل» بدون ألف الاستفهام ، والتصويب عن اللسان وشرح القاموس (مادة رعل) . (٣) فى الديوان : «وإن يرموا بدهم أنزل» . (٤) المستوهل : الضعيف الفزع .

عَرُوضه من الكامل . غنّت فى الأربعة الأبيات الأوَل والبيت الثانى عَرِيبُ خفيفَ رمل بالبنصر من رواية الهشامىّ وابن المعتز وأبى العُبَيْس .

"الحتوف" : ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف . "عن عَرَض" أى ما يعرض منها . "بمعزل" أى فى ناحية معتزلة عن ذلك . و"منهل" : مورد . وقوله : "فآقنى حياءك" أى آحفظيه ولا تضيّعيه . و"الضَّنْك" : الضيق . يقول : إن المنيّة لو خُلِقتْ مثالاً لكانت فى مثل صورتى . و"المَنْصِب" : الأصل . و"المُنْصُل" : السيف، ويقال مُنْصَل أيضا بفتح الصاد . وأجمت : كَعَّتْ[1] . و"الكتيبة" : الجماعة اذا آجتمعت ولم تنتشر[2] . و"تلاحظت" : نظرتْ مَنْ يُقْدِم على العدوّ . وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم الى بعض بمُؤْخِر العين . و"الفيصل" : الذى يفصل بين الناس . وقوله : "لا أبادر فى المضيق فوارسى" أى لا أكون أوّل منهزم ولكنى أكون حاميتهم . و"الرعيل" : القطعة من كل شىء . و"يُستَلْحَموا" : يُدْرَكوا[3] . والمُسْتَلْحَم : المُدْرَك، وأنشد الأصمعىّ :

نُجّى علاجًا وبِشْرًا كلُّ سَلْهَبةٍ[4] * وآستلحم الموتُ أصحابَ البَرَاذِينِ

و"ساهمة" : ضامرة متغيّرة، قد كَلَحَ[5] فوارسُها لشدّة الحرب وهَوْلها . وقوله : "ولقد أبيت على الطوى وأظلّه" . قال الأصمعىّ : أبيت بالليل على الطَّوَى وأظَلّ بالنهار كذلك حتى أنال به كريم المأكل أى ما لا عيبَ فيه علىّ ، ومثله

(١) كعّ (من بابى ضرب ونصر) : جبن وضعف . (٢) كذا فى المخصص (ج ٦ ص ١٩٨) وفى الأصول : « ولم تشرف » وهو تحريف . (٣) عبارة اللسان (مادة « لحم ») : واستلحم (مجهولا) : روهق فى القتال، واستلحم الرجل : اذا احتوشه العدوّ فى القتال .

(٤) السلهبة : الفرس الطويل، يطلق على الذكر والأنثى . (٥) هذا تفسير لقوله : « كأنما * تسق فوارسها نقيع الحنظل » .

قوله : إنه ليأتى علىّ اليومان لا أذوقهما طعامًا ولا شرابًا أى لا أذوق فيهما .
والطَّوَى : خَمَص البطن، يقال : رجل طَيّان وطاوى البطن .

أنشد النبي صلى الله عليه وسلم بيتا من شعره فود لو رآه

وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا ابن عائشة قال :

أُنْشِد النبيُّ صلّى الله عليه وسلم قولَ عَنْتَرَةَ :

ولقد أَبِيتُ على الطَّوَى وأظَلُّه * حتّى أنالَ به كريمَ المأكل

فقال صلى الله عليه وسلم : "ما وُصِف لى أعرابىٌّ قَطُّ فأحببتُ أن أراه إلّا عنترةَ" .

كيف ألحق إخوته لأمه بنسب قومه

أخبرنى علىّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السكّرىّ عن محمد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابىّ وأبى عُبَيدة :

أن عنترة كان له إخوة من أُمّه، فأحبّ عنترةُ أن يدّعيهم قومُه، فأمر أخًا له كان خيرَهم فى نفسه يقال له «حنبل»، فقال له : أَرْوِ مُهْرَك من اللَّبن ثم مُرَّ به علىّ عشاءً . فاذا قلت لكم : ما شأنُ مُهْرِكم مُتَخَدِّدًا[1] مهزولًا ضامرًا، فاضرب بطنَه بالسيف كأنّك تُرِيهم أنك قد غَضِبتَ ممّا قلتُ . فَمَرّ عليهم ، فقال له : يا حنبل، ما شأنُ مهركم متخدّدًا أعجرَ[2] من اللبن؟ فأهوَى أخوه بالسيف الى بطن مُهْره فضربه فظهر اللبن . فقال فى ذلك عَنْتَرَةُ :

أَبَنِى زَبِيبةَ ما لِمُهْرِكُمُ * مُتَخَدِّدًا وبطونُكم عُجْرُ
ألكم بإيغال الوليدِ على * أثَرِ الشِّياه بشِدّةٍ خُبْرُ[3]

(١) المتخدد : المهزول . وفى الأصول : «متخددا» فى المواضع الثلاثة . والتصويب عن اللسان (مادة عجر) . (٢) بطن أعجر : ملآن . (٣) رواية هذا البيت فى الديوان :

ألكم بآلاء الوشيج اذا * مر الشياه بوقعة خبر

والمراد فى كلتا الروايتين غامض .

وهى قصيدة . قال : فٱستلاطه نفرٌ من قومه ونفاه آخرون . ففى ذلك يقول عنترة :

ألَا يا دارَ عَبْــلةَ بٱلطَّــوِىِّ (٢) * كَرَجْعِ الوَشْمِ فى كَفِّ الهَدِىِّ

وهى طويلة يُعدِّد فيها بلاءه وآثاره عند قومه .

جوابه حين سئل أنت أشجع العرب

١٥٢ / ٧

أخبرنى عمّى قال أخبرنى الكُرَانِىّ عن النَّضر بن عمرو عن الهَيْثم بن عَدِىّ قال : قيل لعنترة : أنت أشجعُ العربِ وأشدُّها؟ قال لا . قيل : فبما ذا شاع لك هذا فى الناس ؟ قال : كنت أُقْدِمُ إذا رأيتُ الإقدام عَزْمًا ، وأُحجِمُ إذا رأيتُ الإحجام حَزْمًا، ولا أدخلُ إلا موضعًا (٣) أرى لى منه مَخْرَجًا، وكنتُ أعتمد الضعيفَ الجبانَ فأضربُه الضربةَ الهائلةَ يطير لها قلبُ الشُّجاع فأُثَنِّى عليه فأقتله .

أخبرنى حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال : قال عمر بن الخطاب للحُطَيْئة : كيف كنتم فى حربكم ؟ قال : كنا ألفَ فارس حازمٍ . قال : وكيف يكون ذلك؟ قال : كان قيس بن زُهَيْر فينا وكان حازمًا فكنّا لا نعصيه . وكان فارسنا عنترةَ فكنّا نحمِل اذا حمَل ونُحجِم إذا أحجم . وكان فينا الرَّبيع بن زِياد وكان ذا رأى فكنّا نستشيره ولا نُخالفه . وكان فينا عُروة بن الوَرْد فكنّا نأتمّ بشعره، فكنا كما وصفتُ لك . فقال عمر : صدَقتَ .

أخبرنى علىّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السكرىّ قال قال محمد بن حَبيبَ عن ابن الأعرابىّ عن المفضَّل عن أبى عبيدة وابن الكلبىّ (٤) قالا :

(١) استلاطه قومه : ألصقوه بهم وادّعوه . (٢) الطوىّ : موضع . والهدىّ : العروس . (٣) كذا فى م . وفى سائر الأصول : « ولا أدخل موضعا إلا أرى منه مخرجا » .

(٤) فى الأصول : « ... عن المفضل وعن ابن حبيب عن ابن الكلبىّ قالا » . والظاهر أنه محرف عما أثبتناه فقد تقدّمت رواية المفضل عن أبى عبيدة وابن الكلبىّ فى أكثر من موضع فى هذا الجزء والأجزاء السابقة ، ويبعد أن تكون له رواية عن ابن حبيب .

موته واختلاف الروايات فى سببه

أغار عنترةُ على بنى نَبْهان من طيِّئ فطَرَد[1] لهم طريدةً وهو شيخ كبير، فجعل يرتجز وهو يطرُدها ويقول :

* آثارُ ظُلْمانٍ بقاعٍ مُحْرِبِ[2] *

قال : وكان زِرّ بن جابر النَّبْهانىّ[3] فى فُتُوّة، فرماه وقال : خذها وأنا ٱبن سَلْمَى، فقطع مَطَاه[4]، فتحامَلَ بالرَّمْيَة حتى أتى أهلَه ؛ فقال وهو مجروح :

٥

وإنّ ٱبنَ سَلْمَى عنده فٱعلموا دَمِى * وهيهاتَ لا يُرْجَى ٱبن سلمى ولا دَمِى

يحُلُّ بأكناف الشِّعاب وينتمى * مكانَ الثُّرَيَّا[5] ليس بالمُتَهَضَّمِ

رمانى ولم يَدْهَشْ بأزرقَ لَهْذَمٍ * عشيّةَ حلُّوا بين نَعْفٍ[6] ومَخْرِمِ

قال ابن الكلبىّ : وكان الذى قتله يلقَّب بالأسد الرهيص[7]. وأما أبو عمرو الشَّيْبانىّ فذكر أنه غزا طيِّئًا مع قومه، فانهزمت عَبْسٌ، فخرّ عن فرسه ولم يَقْدِرْ من الكِبَر أن يعود فيركب ؛ فدخل دَغَلًا، وأبصره رَبِيئةُ[8] طيِّئ فنزل إليه، وهاب أن يأخذه أسيرًا فرماه وقتله .

١٠

وذكر أبو عبيدة أنه كان قد أسنّ وٱحتاج وعجز بكِبَرِ سِنّه عن الغارات، وكان له على رجل من غَطَفان بَكْرٌ، فخرج يتقاضاه إيّاه ؛ فهاجت عليه ريحٌ من صَيْف وهو بين شَرْجٍ[9] وناظرة، فأصابته فقتلته .

١٥

(١) طرد الطريدة : ساقها . وفى الأصول : «فاطرد لهم طريدة» وليس فى معجمات اللغة «أطرد» بمعنى ساق الذى هو المراد هنا . (٢) ظلمان (بضم الظاء وكسرها) : جمع ظليم وهو ذكر النعام . والقاع : أرض سهلة مطمئنة تنفرج عنها الجبال والآكام . ومحرب، لعل صوابه «مجدب» بالدال . (٣) فى ب، س، جـ : «وزر بن جابر» . (٤) المطا : الظهر . (٥) كذا فى ديوان عنترة (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٩٣٧ أدب) . وفى الأصول : «إذا ما تمشى بين أجبال طيئ * مكان الثريا الخ» . (٦) النعف : ما انحدر عن السفح وغلظ . والمخرم : منقطع أنف الجبل . (٧) الأسد الرهيص : الذى لا يبرح مكانه كأنه رهص (شدخ) باطن حافره حجر، فهو كأنه لا يستطيع المشى خبثا وتيها . (٨) الربيئة : الطليعة . (٩) شرج وناظرة : ماءان لبنى عبس .

٢٠

كان أحد الذين يباليهم عمرو بن معد يكرب

قال أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال :

كان عمرو بن معد يكرب يقول: ما أُبالى مَنْ لَقِيتُ من فُرْسان العرب مالم يلقَنى حُرّاها وهَجِيناها . يعنى بالحُـرَّيْنِ عامرَ بن الطُّفَيْـل وعُتَيْبةَ بن الحارث بن شِهَاب، وبالعَبْدَيْن عنترةَ والسُّلَيْكَ بن السُّلَكة .

هذه أخبار عنترة قد ذكرت فيها ما حضر .

٥

* * *

نبذة عن عبد قيس ابن خفاف البرجمى

وأمّا عبد قَيْس بن خُفَاف البُرْجُمِىّ فإنّى لم أجد له خبراً أَذكره إلّا ما أخبرنى به جعفر بن قُدَامة قال : قرأت فى كتاب لأبى عثمان المـازنىّ : كان عبـد قَيْس بن خُفَاف البُرْجُمِىّ أتى حاتمَ طيِّئٍ فى دِماء حَمَلها عن قومه فأسلَمُوه فيها وعجَز عنهـا ، فقال : والله لآتينّ مَنْ يحمِلها عنّى، وكان شريفًا شاعرًا شُجَاعا، فقدِم على حاتم وقال له : إنه وقعت بينى وبين قومى دماءٌ فتواكلوها ، وإنى حملتها فى مالى وأهلى، فقدّمتُ مالى وأخّرتُ أهلى، وكنتَ أوثقَ الناس فى نفسى . فان تحمّلتَها فكَمْ من حَقٍّ قَضَيْتَه وهَمٍّ كَفَيْتَه، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذمُمْ يومَك ولم أنسَ غدَك، ثم أنشأ يقول:

١٠

١٥٣ / ٧

حملتُ دماءً للـبَرَاجِمِ جَمَّـةً * فجئتُـكَ لـمّا أسلمتْنى البراجـمُ
وقالوا سَـفَاهًا لِمْ حَمَلتَ دماءَنا * فقلتُ لهـم يكفى الحَمَالةَ حاتمُ
مـتى آتِه فيها يَقُـلْ لِىَ مرحَبًا * وأهلًا وسهلًا أخطأتْكَ الأشائمُ
فيحملها عنّى وإن شئتُ زادَنى * زيادةَ مَنْ حِيزَتْ إليـه المكارمُ
يعيش النَّدَى ما عاش حاتمُ طَيِّئٍ * وإن مات قامت للسـخاء مآتمُ
يُنادِينَ مات الجودُ معْك فلا نَرَى * مُجِيبًا له ما حام فى الجـوّ حائمُ
وقال رجال أَنهبَ العـامَ مالَـه * فقلت لهم إنّى بـذلك عالمُ
ولكنه يُعطى مِنَ آمـوال طَيِّئٍ * إذا حلَق المـالَ الحقوقُ اللوازمُ

١٥

٢٠

فيُعطِى التى فيها الغِنَى وكأنه * لتصغيره تلك العطيّةَ جارمُ

بذلك أوصاه عَدِىٌّ وحَشْرَجٌ [1] * وسَعْدٌ وعبدُ الله تلك القَماقِمُ

فقال له حاتم : إنى كنتُ لأُحِبّ أن يأتينى مثلُك من قومك ، وهذا مِرباعى [2] من الغارة على بنى تميم فخذه وافراً ، فإنْ وَفَى بالحَمالة وإلا أكمَلْتُها لك ، وهى مائتا بعير سوى نِيبِها [3] وفِصالها ، مع أنّى لا أُحِبّ أن تُؤَبِّسَ [4] قومك بأموالهم . فضحك أبوجُبيل [5] وقال : [لكم ما أخذتم منّا ولنا ما أخذنا منكم] [6] ، وأىّ بعير دفعتَه إلىّ وليس ذَنَبُه فى يد صاحبه فأنت منه برىء . فأخذها وزاده مائةَ بعير ، وانصرف راجعاً الى قومه . فقال حاتم :

أتانى البُرْجُمِىّ أبو جُبَيْلٍ * لِهَمٍّ فى حَمَالتِه طويلِ

فقلت له خُذِ المِرباعَ منها * فإنّى لستُ أرضَى بالقليلِ

على حالٍ ولا عوّدتُ نفسى * على عِلّاتها عِلَلَ البخيلِ

فخُذها إنها مائتا بعيرٍ * سوى النابِ الرَّذِيّةِ والفَصيلِ

ولا مَنٌّ عليك بها فإنّى * رأيتُ المَنَّ يُزْرِى بالجميلِ

فآبَ البُرْجُمِىُّ وما عليه * مِنَ اَعْباءِ الحَمالةِ من فَتيلِ

يجُرّ الذَّيْلَ ينفُضُ مِذْرَوَيْهِ [7] * خفيفَ الظهرِ من حِملٍ ثقيلِ

---

(١) هؤلاء الذين وردوا فى البيت هم أجداد حاتم ، فهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدى بن أخزم . والقماقم : جمع قمقام وهو السيد العظيم . (٢) المرباع : ما يأخذه الرئيس من الغنيمة خاصة دون أصحابه وهو ربع الغنيمة . (٣) كذا فى نسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى الأصول : « سوى بنيها » وهو تصحيف . (٤) تؤبس : توبخ وتؤنب .

(٥) كذا فى كتاب المفضليات للضبى ونسخة الشنقيطى مصححة بخطه . وفى الأصول : «أبو جميل» بالميم وهو تحريف . وأبو جبيل : كنية عبد قيس بن خفاف ، كما هو ظاهر من السياق . (٦) هذه الجملة غير واضحة المناسبة فى هذا الكلام . (٧) يقال : جاء فلان ينفض مذرويه ، إذا جاء باغيا يتهدّد . والمذرى : فى الأصل : طرف الألية .

ذكر أبى دُلَف ونسبه وأخباره

نسب أبى دلف ومكانته

هو القاسم بن عيسى بن إدريس، أحد بنى عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل . ومحـلُّه فى الشجاعة وعُلُوّ المحلّ عنـد الخلفاء وعِظَم الغَناء فى المَشاهد وحُسْنِ الأدب وجودة الشعر محلٌّ ليس لكبير أحدٍ[1] من نُظَرائه . وذكْرُ ذلك أجمع مما لا معنى له لطُوله ؛ وفى هذا القدر من أخباره مَقْنَع . وله أشعارٌ جِيادٌ، وصنعةٌ كثيرة حسنة . فمن جيِّد شعره وله فيه صنعة قولُه :

صـــوت

بنفسى يا جِنَانُ وأنتِ منِّى * محلُّ الروح من جَسَدِ الجَبَانِ
ولو أنّى أقول مكانَ نفسى * خَشِيتُ عليكِ بادرةَ الزمانِ
لإقدامى إذا ما الخيلُ حامتْ * وهابَ كُمَاتُهـا حَرَّ الطِّعـانِ

١٥٤ / ٧

وله فيه لحن . وهذا البيت الأوّل أخذه من كلام إبراهيم النَّظّام[2] .

أخذ معنى من محاورة إبراهيم النظام لغلام

أخبرنى به علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : لقِى إبراهيم النظّام غلامًا حسنَ الوجه، فاستحسنه وأراد كلامَه فعارضه، ثم قال له : يا غلام، إنك لولا ما سَبَق من قول الحكماء مما جعلوا به السبيل لمثلى الى مثلك فى قولهم : لا ينبغى لأحد أن يكبُر عن أن يَسأل، كما أنه لا ينبغى لأحدٍ أن يصغُر عن أن يقول، لمـا أَنِبْتُ[3] إلى مُخاطبتك ولا آنشرح صدرى لمحادثتك، لكنه سببُ الإخاء وعَقْد المودّة، ومحلُّك من قلبى محلّ الروح من جسد الجبان . فقال له الغلام

(١) يظهر أن صوابه : «ليس لكبير آخر» . (٢) هو إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظام المعتزلى أحد شيوخ المتكلمين والمعتزلة فى دولة المعتصم . (٣) أنبت : رجعت . وفى ب، س : «لما أتيت» .

— وهو لا يعرفه — : لئن قلتَ ذلك أيها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النظّام:
الطبائع تُجاذب ما شاكلها بالمجانسة، وتميل الى ما قاربها بالموافقة، وكِيانى مائلٌ الى كِيانك بكُلّيّتى . ولو كان الذى أنطوى عليه عَرَضًا لم أعتدّ به وُدًّا ، ولكنه جوهر جسمى، فبقاؤه ببقاء النفس، وعَدَمُه بعَدَمها، وأقول كما قال الهذلىّ :

٥ فَتَيَقَّنِي أنْ قد كَلِفتُ بكم * ثم ٱفْعَلِي ما شئتِ عن علمِ

فقال له النظّام : إنما كلّمتك بما سمعتَ وأنتَ عندى غلام مُسْتَحْسَن، ولو علمتُ أنّ محلّك مثلُ محلّ مَعْمَرٍ (١) وطَبَقَتِه فى الجَدَل لَمَا تعرّضتُ لك . قال أبو الحسن : ومن هذا أخذ أبو دُلَف قولَه :

أُحِبُّكِ يا جِنانُ وأنتِ منّى * محلَّ الرُّوح من جسد الجَبانِ

١٠ ومن جيِّد شعره وله فيه صنعة قوله :

صوت

فى كلّ يومٍ أَرَى بيضاءَ طالعةً * كأنما أُنبِتتْ فى ناظر البَصَرِ
لئن قَصَصْتُكِ بالمِقْراضِ عن بَصَرِى * لَمَا قطعتُكِ عن هَمِّى وعن فِكَرِى

بلغه طروق الشراة وهو بالسرادن مع جارية له فأسرع لحربهم وردهم

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز الكاتب قال حدّثنى أبى قال سمعت عبد العزيز بن
١٥ دُلَف بن أبى دُلَف يقول : حدّثتنى ظَبْيَة (٣) جارية أبى قالت : إنّى لَمَعَهُ ليلةً بالسَّرادِنِ (٢) وهو جالسٌ يشرَب معى وعليه ثيابٌ ممسَّكة ، إذ أتاه الصريخ بطروق الشُّرَاة أطرافَ عسكره، فلبس الجَوْشَنَ ومضى فقتَل وأَسَر وٱنصرف إلىّ فى آخر الليل وهو يغنّى — قالت : والشعر له — :

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى من تيم قريش البصرى النحوى العلامة . قال الجاحظ فيه :
٢٠ لم يكن فى الأرض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلوم منه . أقدمه الرشيد من البصرة الى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة . (عن وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ١٥٤) . (٢) السرادن : موضع ببلاد فارس . (٣) كذا فى الأصول . ولعله يريد : «جدى» .

صـــوت

لِيــلَتِي بالسَّـــرَادِنِ * كُلِّلَتْ بالمحاســـنِ

وجَـــوَارٍ أَوَانِسٍ * كالظِّبـاءِ الشَّوادِنِ

بُـــدِّلَتْ بالمُمَسَّكَا * تِ أَدْرَاعَ الجَوَاشِنِ

الشعر لأبى دُلَف . والغناء له رملٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر .

خرج مع الإفشين لحرب بابك فأراد قتله فأنقذه ابن أبى دواد

١٥٥
٧

وقال أحمد بن أبى طاهر : كان أبو دُلَف القاسم بن عيسى فى جملة مَنْ كان مع الإفشين[1] خَيْذَر بن كاوُوس لمّا خرج لمحاربة بَابَك[2] ، ثم تنكّر له ، فوجّه يوما بمن جاء به ليقتله . وبلَغ المعتصمَ الخبرُ ، فبعث إليه بأحمد بن أبى دُوَاد وقال له : أَدْرِكْه ، وما أُرَاك تلحقه ، فاحتَلْ فى خَلاصه منه كيف شئتَ . قال ابنُ أبى دُوَاد : فمضيتُ رَكْضًا حتى وافيتُه ، فاذا أبو دُلَف واقفٌ بين يديه وقد أَخَذ بيديه غلامان له تركيّان ، فرميتُ بنفسى على البِساط ، وكنت اذا جئته دعا لى بمُصَلًّى ، فقال لى : سبحانَ الله ! ما حملك على هذا؟ قلت : أنت أجلستنى هذا المجلسَ . ثم كلّمتُه فى القاسم وسألته فيه وخضعتُ له ، فجعل لا يزداد إلّا غلظةً . فلما رأيتُ ذلك قلت : هذا عبدٌ وقد أغرقتُ فى الرِّفْق به فلم ينفع ، وليس إلا أخْذُه بالرَّهْبة والصِّدْق ؛ فقمتُ

---

(١) قد وردت هذه الكلمة فى شرح القاموس بكسر الشين مضبوطة بالعبارة وفى كتب التاريخ مضبوطة بالقلم . وفى شعر أبى تمام ما يؤيده إذ قال يمدحه من قصيدة : ١٥

لم يقرِ هذا السيف هذا الصبر فى * هيجاء إلا عزّ هـــذا الدِّينُ

قد كان عذرة مغـــرب فافتضها * بالسيف فحـــلُ المشرق الإفشِينُ

وفى رسالة الغفران طبع مصر ص ١٦٦ ما يدل على أن ضبطه بفتح الشين و إسكان الياء . وهو أحد قوّاد المعتصم المقدمين وولاته ، ولاه حرب بابك الخرمى ، ثم غضب عليه وحبسه مضيقا عليه ثم قتله . (انظر الطبرى ق ٣ ص ١١٧٠ ، ١١٧٩ ، ١١٨٦ ، ١٢٣٤ ، ١٣٠٠ ، ١٣١٨) . ٢٠

(٢) هو بابك الخرمى الطاغية الذى كاد أن يستولى على الممالك زمن المعتصم ، كان يرى رأى المزدكية من المجوس الذين خرجوا أيام قباذ وأباحوا النساء والمحرمات ، وقتلهم أنو شروان . (عن شرح القاموس مادة خرم) .

فقلت: كم تُراك قدَرتَ! تقتُل أولياء أمير المؤمنين واحدًا بعد واحد، وتُخالف أمره في قائد بعد قائد! قد حملتُ اليكَ هذه الرسالة عن أمير المؤمنين، فهاتِ الجوابَ!.
قال: فذلّ حتى لصِق بالأرض وبان لى الاضطرابُ فيه. فلما رأيتُ ذلك نهضتُ إلى أبي دُلَف وأخذت بيده، وقلت له: قد أخذتُه بأمر أمير المؤمنين. فقال: لا تفعلْ يا أبا عبد الله. فقلت: قد فعلتُ. وأخرجت القاسم فحملتُه على دابّة ووافيتُ المعتصمَ. فلما بَصُر بى قال: بكْ يا أبا عبد الله وَرِيتْ زِنَادى، ثم ردّ علىّ خبرى مع الإفشين حَدْسًا بظَنّه ما أخطأ فيه حرفا؛ ثم سألنى عما ذكره لى وهو كما قال، فأخبرتُه أنه لم يخطئ حرفا.

أنكر عليه أحمد ابن أبي دواد الغناء مع جلالة قدره وكبر سنه

وقال علىّ بن محمد حدّثنى جَدّى قال:

كان أحمد بن أبي دواد يُنكر أمرَ الغناء إنكارًا شديدا. فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دُلَف يغنّى؛ فقال: ما أُراه مع عقله يفعل ذلك. فستر أحمدَ بن أبي دُوَاد في موضع وأحضر أبا دُلَف وأمره أن يغنّى، ففعل ذلك وأطال؛ ثم أخرج أحمدَ ابن أبي دُوَاد عليه من موضعه والكراهةُ ظاهرةٌ في وجهه. فلما رآه أحمد قال له: سَوْءَةً لهذا من فِعْل[1]! بعد هذه السِّنّ وهذا المحلّ تضع نفسك كما أرى! فخجِل أبو دُلَف وتشوَّر[2]، وقال: إنهم أكرهونى على ذلك. فقال: هَبْهم أكرهوك على الغناء أفأكرهوك على الإحسان والإصابة!.

منع المعتصم غناءه عند الواثق فغضب

قال علىّ وحدّثنى جَدّى: أن سبب مُنادمته المعتصم أنه كان نديمًا للواثق، وكان أبو دُلَف قد وُصف للمعتصم فأحبّ أن يسمعه، وسأل الواثقَ عنه؛ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا على القَصْد غدًا وهم عندى. فقال له المعتصم: أُحبّ ألّا تُخفى علىّ

(١) كذا في جـ. وفي سائر الأصول: «سوءة لمن فعل هذا ...». (٢) تشوّر: خجل.

شيئا من خبركم . وقصد الواثق، فأتاه أبو دُلَف وأتته رسل الخليفة بالهدايا، وأعلمهم الواثق حضورَ أبى دُلَف عنده، فلم يلبث أن أقبل الخَدَمُ يقولون: قد جاء الخليفة. فقام الواثق وكلّ مَنْ عنده حتى تلقّوْه حين برَز من الدّهليز الى الصّحْن، فجاء حتى جلس، وأمَر بنُدماء الواثق فرُدّوا الى مجالسهم . قال حَمْدون [1] : وخَنَستُ عن مجلسى الذى كنتُ فيه لحَداثتى، فنظر المعتصم الى مكانى خاليا، فسأل عن صاحبه فسُمّيتُ له ، فأمَر بإحضارى فرجعت الى مكانى، وأمَر بأن يُؤتَى برَطْلٍ من شرابه فأُتِى به؛ فأقبل على أبى دُلَف فقال له : يا قاسم، غَنّ أميرَ المؤمنين صوتا، فما حَصِر ولا تثاقلَ وقال: أُغنّى أميرَ المؤمنين صوتاً بعينه أو ما اخترته [2]؟ قال: بل غَنّ صنعتَك فى شعر جرير:

* بَانَ الخليطُ برامَتَيْنِ فودّعوا *

فغنّاه إيّاه . فقال المعتصم : أحسن ! أحسن ! ثلاثا ، وشرب الرّطل ، ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى وَالَى بين سبعة أرطال، ثم دعا بحمار فركبه، وأمَر أبا دُلَف أن ينصرف معه، وأمرنى بالانصراف معهما، فخرجتُ أسعَى مع رِكابه، فثبّتُّ فى نُدَمائه من ذلك اليوم، وأمَر لأبى دُلَف بعشرين ألف دينار .

نسبة الصوت الذى غنّاه أبو دلف

صوت

بَانَ الخليطُ برامتَيْنِ فودّعوا * أوَ كُلّما اعتزموا لبينٍ تجزَعُ
كيف العزاءُ ولم أجِدْ مذ غِبتُمُ * قلبًا يَقَرُّ ولا شرابًا ينقَعُ

عَروضه من الكامل . الشعر لجرير، والغناء لأبى دُلَف ثانى ثقيل بالبنصر عن الهشامىّ وعمرو بن بانة .

(١) هو حمدون بن إسماعيل بن داود الكاتب، أوّل من نادم الخلفاء من أهله .
(٢) فى الأصول : «بعينه وما اخترته» .

ما كان من جعفر ابن أبى جعفر مع حماد الراوية

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

كان جعفر بن أبى جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديّة يستخفّ مُطيعَ ابن إياس، وكان منقطعًا اليه وله منه منزلةٌ حسنة . فذكر له مُطيع بن إياس حمّادًا الراوية ، وكان مُطَّرَحًا مَجْفُوًّا فى أيامهم . فقال له : دَعْنى، فانّ دولتى كانت فى بنى أُميّة وما لى عند هؤلاء خير . فأبى مُطيع إلا الذهابَ به اليه . فاستعار سوادًا وسيفًا ؛ ثم أتاه فدخل على جعفر فسلّم عليه وجلس . فقال له جعفر : أَنْشِدنى . فقال : لمن أيها الأمير؟ قال : لجرير . قال حماد : فسلخ الله شعرَه أجمع من قلبى إلّا قولَه :

* بَانَ الخليطُ برامتين فودّعوا *

فاندفعتُ أُنْشِده إيّاه حتى بلغتُ الى قوله :

وتقول بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العَصَا * هــلّا هَزِئْتَ[1] بغــيرنا يا بَوْزَعُ

قال حمّاد فقال لى جعفر : أعِدْ هذا البيتَ فأعدتُه؛ فقال : إيش هو بَوْزع؟ قلتُ : اسم امرأة . قال : امرأةٌ اسمُها بَوْزَع! هو برىءٌ من الله ورسوله ومن العبّاس بن عبد المطّلب إن كانت بَوْزَع إلا غُولًا من الغِيلان ! تركتَنى والله يا هــذا لا أنام الليل من فزع بَوْزَع! يا غِلمان، قَفَاه . قال : فصُفِعتُ والله حتى لم أدرِ أين أنا . ثم قال : جُرُّوا برجله ، فجرُّوا برجلى حتى أُخرِجتُ من بين يديه وقد تَخَرَّق السوادُ وانكسر جفنُ السيف ولقيتُ شرًّا عظيما مما جرى من ذلك . وكان أغلظ من ذلك علىّ غَرَامتى السوادَ والسيف . فلما انصرف الىّ مُطيع جعل يتوجّع لى . فقلت له : ألم أخبرك أنّى لا أصيب منهم خيرًا وأنّ حظّى قد مضى مع من مضى من بنى أمية ! .

(١) كذا فى النقائض . وفى الأصول : « هذيت » بالذال المعجمة .

رجع الحديث الى أخبار أبى دُلَف .

كان جوادا ممدحا وشعر على بن جبلة فيه

وكان أبو دُلَف جوادًا ممدَّحا، وفيه يقول علىّ بن جَبَلة :

إنما الدُّنيا أبو دُلَفٍ * بين مَغْزاهُ ومُحْتَضَرِهْ
وإذا ولّى أبو دُلَفٍ * وَلَّتِ الدُّنيا على أَثَرِهْ

وهى من جيِّد شعره وحَسَن مدائحه . وفيها يقول :

ذادَ وِرْدَ الغَىّ عن صَدَرِهْ * وآرعوى واللّهوُ من وَطَرِهْ (١)
نَدَمى أنّ الشّبابَ مضَى * لم أُبَلِّغْهُ مَدَى أَشَرِهْ
حَسَرتْ عنّى بَشاشتُه * وذوَى المحمودُ من ثَمَرِهْ
ودَمٍ أَهْدرتُ من رَشَأٍ * لم يُرِدْ عَقْلًا على هَدَرِهْ
فأتتْ دونَ الصِّبا هَنَةٌ * قلبتْ فُوقى على وَتَرِهْ (٢)
دَعْ جَدَا قَحْطانَ أو مُضَرٍ * فى يَمانِيه وفى مُضَرِهْ
وآمتدِحْ من وائلٍ رجلًا * عُصُرُ الآفاقِ من عُصُرِهْ
المنايا فى مَقانِبِهِ * والعطايا فى ذَرَا حُجَرِهْ (٣)
مَلِكٌ تَنْدَى أنامِلُهُ * كآنبلاج النَّوْءِ عن مَطَرِهْ
مستهلٌّ عن مَواهِبِه * كآبتسام الرَّوْض عن زَهَرِهْ
جَبَلٌ عزّتْ مَناكِبُه * أَمِنتْ عَدْنانُ فى ثَغَرِهْ
إنما الدُّنيا أبو دُلَفٍ * بين مَغْزاهُ ومُحْتَضَرِهْ
فإذا ولّى أبو دُلَفٍ * وَلَّتِ الدنيا على أَثَرِهْ

١٥٧
٧

(١) كذا فى جـ ونهاية الأرب (ج ٤ ص ٢٥٠ طبع دار الكتب المصرية طبعة أولى) . وفى سائر الأصول : « والهوى واللهو من وكره » وهو تحريف . (٢) الفوق من السهم : موضع الوتر .
(٣) كذا فى نهاية الأرب . وفى الأصول : «فى ذوى حجره» وهو تحريف .

كلُّ مَنْ فى الأرض من عَرَبٍ * بين باديه الى حَضَرِهْ[1]
مستعيرٌ منه مَكْرُمةً * يكتسيها يومَ مُفْتَخَرِهْ

وهذان البيتان هما اللّذان أحفظا المأمونَ على علىّ بن جَبَلة حتى سلّ لسانَه من قفاه، وقولُه فى أبى دُلَف أيضا :

أنت الذى تُنزِل الأيّامَ منزلَها * وتَنْقُلُ الدهرَ من حالٍ الى حالِ
وما مددتَ مَدَى طَرْفٍ الى أحدٍ * إلّا قضيتَ بأرزاقٍ وآجالِ

وسنذكر ذلك فى موضعه من أخبار علىّ بن جبلة إن شاء الله تعالى؛ إذ كان القصد هاهنا أمرَ أبى دُلَف .

ذكرت قصة له فى الكرم وأخرى لأبى البخترى فكان هو أكرم

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال :

كنّا عند أبى العباس المبرّد يومًا وعنده فتًى من ولد أبى البَخْتَرِى وَهْب بن وهب القاضى أمردُ حسنُ الوجه، وفتًى من ولد أبى دُلَف العِجْلىّ شبيه به فى الجمال. فقال المبرّد لابن أبى البخترىّ : أعرف لجدّك قصّةً ظريفة من الكرم حسنةً لم يُسْبَق اليها . قال : وما هى ؟ قال : دُعِى رجلٌ من أهل الأدب الى بعض المواضع، فسقَوْه نبيذًا غير الذى كانوا يشربون منه؛ فقال فيهم :

نَبيذانِ فى مجلسٍ واحدٍ * لإيثارِ مُثْرٍ على مُقْتِرِ
فلو كان فعلُك ذا فى الطعامِ * لزِمْتَ قياسَك فى المُسْكِرِ
ولو كنتَ تطلب شأوَ الكرام * صنعتَ صنيعَ أبى البَخْتَرِى
تتبّعَ إخوانَه فى البلاد * فأغنى المُقِلَّ عن المُكْثِرِ

(١) فى الأصول : « بين باديه ومحتضره » . والتصويب عن نهاية الأرب .

فبلغت الأبياتُ أبا البَخْتَرِىّ فبعث اليه بثلثمائة دينار . قال ابن عمّار : فقلت : قد فعل جَدُّ هذا الفتى فى هذا المعنى ما هو أحسنُ من هذا . قال : وما فعل؟ قلت: بلغه أنّ رجلًا ٱفتقر بعد ثروة، فقالت له ٱمرأته : اقترِضْ فى الجند، فقال :

إليـكِ عنّى فقـد كلّفتِنى شَطَطًا * حَمْلَ السلاحِ وقيلَ الدّارعِين قِفِ

تمشى المنايا الى غيرِى فأكرَهُها(1) * فكيف أمشى اليها عارِىَ الكَتِفِ

حَسِبتِ أنّ نفادَ المـال غـيّرنى * وأنّ رُوحِىَ فى جَنْـبَىْ أبى دُلَفِ

فأحضره أبو دُلَف ثم قال له : كم أمّلتِ ٱمرأتُك أن يكون رزقُك؟ قال: مائة دينار. قال : وكم أمّلتَ أن تعيش؟ قال : عشرين سنة. قال : فذلك لك علىّ على ما أمّلت ٱمرأتُك فى مالنـا دون مال السلطان، وأمر باعطائه إيّاه . قال : فرأيتُ وجهَ ٱبن أبى دلف يتهلّل، وٱنكسر ٱبن أبى البَخْتَرِىّ ٱنكسارًا شديدا .

عاتب ابن جبلة على انقطاعه عنه فأجابه ورد عليه

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد المبرّد قال أخبرنى علىّ بن القاسم قال :

قال علىّ بن جَبَلة : زرتُ أبا دُلَف بالجَبَل(2) ، فكان يُظهر من إكرامى وبِرّى والتحفّى بى أمرًا مُفْرِطا، حتى تأخّرتُ عنه حينًا حياءً. فبعث إلىّ مَعْقِلَ بن عيسى، فقال : يقـول لك الأمير : قد ٱنقطعتَ عنّى ، وأحسبك ٱسـتقللتَ بِرّى بك ، فلا يُغضبنك ذلك ، فسأزيد فيه حتى ترضَى . فقلت : والله ما قطعنى إلّا إفراطه فى البرّ، وكتبت اليه :

هجـرتُكَ لم أهجُـرْكَ من كفر نعمةٍ * وهل يُرتجَى نَيْـلُ الزيادة بالكفرِ

(1) فى جـ : « الى قوم » . (2) بلاد الجبـل : مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم .

ولكنّنى لمّا أتيتُك زائرًا * فأفرطتَ فى برّى عجزتُ عن الشكر

فَمِ الآنَ لا آتيك إلا مُسَلِّمًا * أزورُك فى الشهرين يومًا أو الشهر

فإن زدْتَنى برًّا تزايدتُ جفوةً * ولم تلقَنى طولَ الحياةِ الى الحشرِ

فلمّا قرأها مَعْقِل استحسنها جِدًّا وقال : أحسنتَ والله ! أمَا إنّ الأمير لتُعْجبه هذه

٥ المعانى . فلما أوصلها الى أبى دُلَف قال : قاتله الله . ما أشعره وأدقّ معانيه !

فأعجبتْه فأجابنى لوقته — وكان حسنَ البديهة حاضرَ الجواب — :

ألَا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بَسَطْتُه * وآنسته قبل الضِّيافة بالبِشْرِ

أتانى يرجِّينى فما حال دونه * ودونَ القِرَى والعُرْفِ من نائلى سِتْرى

وجدتُ له فضلًا علىَّ بقَصْدِه * الىَّ وبِرًّا زاد فيه على بِرِّى

١٠ فزوّدته مالًا يَقِلّ بقاؤه * وزوّدنى مدحًا يدوم على الدهر

قال : وبعث الىّ بالأبيات مع وصيف له وبعث معه إلىّ بألف دينار، فقلت

حينئذ : * إنما الدنيا أبو دُلَف * الأبيات .

أخبرنى علىّ بن سليمان قال أخبرنا المبرّد قال أخبرنى إبراهيم بن خَلَف قال :

بينا أبو دُلَف يسير مع مَعْقِل، وهما إذ ذاك بالعراق، إذ مَرّا بقَصْر، فأشرفتْ

١٥ منه جاريتان، فقالت إحداهما للأخرى : هذا أبو دُلَف الذى يقول فيه الشاعر:

* إنما الدنيا أبو دُلَف *

فقالت الأخرى : أوَ هذا ! قد والله كنتُ أُحبّ أن أراه منذ سمعتُ ما قيل

فيه . فالتفت أبو دُلَف الى مَعْقِل فقال : ما أنصفَنا علىّ بن جَبَلة ولا وفيناه حقّه،

وإن ذلك لمن كبير همّى . قال : وكان أعطاه ألفَ دينار .

صـــوت

من المـائة المختارة من رواية علىّ بن يحيى

أمّا القَطاةُ فإنّى سـوف أنعتُها * نعتًـا يُوافق منها بعضَ ما فيها

سَكّاءُ(1) مخطوبةٌ(2) فى رِيشها طَرَقٌ * صُهْبٌ قَوادِمُها كُدْرٌ خَوافِيهـا

عروضه من البسيط . والشعر مختلَف فى قائله ، ينسب الى أَوْس بن غَلْفاءَ الهُجَيْمىّ والى مُزَاحِم العُقَيلىّ والى العبّاس بن يزيد بن الأسود الكِنْدىّ والى العُجَيْر السَّلُولىّ والى عمرو بن عُقَيل بن الحَجّاج الهُجَيْمىّ وهو أصح الأقوال ؛ رواه ثعلب عن أبى نَصْر عن الأصمعىّ . وعلى أنّ فى هذه الروايات أبياتًا ليست مما يُغَنَّى فيه وأبياتًا ليست فى الرواية(3) . وقد رُوِى أيضا أنّ الجماعة المذكورة تساجلوا هـذه الأبياتَ فقال كل واحد منهم بعضًا . وأخبارُ ذلك وما يُحتاج اليه فى شرح غريبه يُذْكَر بعد هـذا . والغناء فى اللحن المختار لمعبـد خفيفُ ثقيـلٍ أوّل بالوسطى . وفى هذين البيتين مع أبيات أُخَر من القصيدة آشـتراكٌ كثيرٌ بين المغنّين يتقدّم بعضُ الأبيات فيه بعضًا ويتأخّر بعضها عن بعض على آختلاف تقـديم ذلك وتأخيره . والأبيـاتُ تُكْتَب هاهنا ثم تُنْسَب صنعةُ كلِّ صانع فى شىء منها اليه ؛ وهى بعد البيتين الأوّلين ، إذ كانا قد مضيا وآستُغْنِي عن إعادتهما ، :

لـمّا تبدّى لها طارت وقد علمتْ * أنْ قد أظل وأنّ الحىّ غاشيها

(1) السكك : صغر الأذن ولصوقها بالرأس . يقال للقطاة سكاء لأنه لا أذن لها .

(2) كذا فى نهاية الأرب (ج ١٠ ص ٢٦٢ طبعة أولى) . والمخطوبة : التى على لون الحنظلة اذا أخطبت أى اصفرّت وصارت فيها خطوط خضر . والطرق فى الريش : أن يكون بعضه فوق بعض كأن الأعلى يلبس الأسفل . والصهبة : لون يضرب الى الحمرة أو الى الشقرة . وفى الاصول : «مخطوطة» بالطاء المهملة .

(3) فى هذه الجملة غموض .

تَشُقّ[1] فى حيث لم تُبْعِدْ مُصَعِّدَةً * ولم تُصَـــوِّبْ الى أدنى مَهَاوِيها

تَنْـاشُ[2] صـــفراءَ مطروقًا بقيّتُها * قد كاد يأزِى عن الدُّعْموص آزِيها

ما هاج عينك أمْ قـــد كاد يُبكيها * من رَسْمِ دار كسَحْقِ[3] البُرْدِ باقيهـا

فلا غَنيمةَ تُوفِى بالذى وَعَـــدتْ * ولا فؤادُك حتى الموتِ ناســيها

٥ لنشيط مولى عبد الله بن جعفر خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر من رواية إسحاق فى "أمّا القطاة" والذى بعـده ، و "تناش صفراء"[4] خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو . ولإبراهيم الموصلىّ فى "لمـا تبدّى لها" و "أمّا القطاة" خفيف رمل عن الهشامىّ . ولعمرَ الوادىّ فى "أمّا القطاة" ثقيلٌ بالوسطى . ولابن جامع فى "لمـا تبدّى لها" وبعده "أمّا القطاة" خفيفُ رملٍ . ولسِيَاط فى الأوّل والثانى ١٠ وبعدهما "تشق فى حيث لم تبعد" خفيفُ ثقيل بالبنصر، ومن الناس من ينُسب لحنَه الى عمر الوادىّ وينسب لحن عمر اليه . ولعلّويه فى "أما القطاة" والذى بعده رَمَلٌ هو من صدور أغانيه ومُقَدَّمها . فجميع ما وجدتُه فى هذه الأبيات من الصنعة أحدَ عشرَ لحنًا[5] .

تفاخر جمع الشعراء فى وصف

فأمّا خبر هذا الشعر، فإن آبن الكلبىّ زعم أنّ السبب فيه أنّ العُجَيْرَ السَّلُولىّ ١٥ وأَوْس بن غَلْفاء الهُجَيْمىّ ومُزَاحمًا العُقَيْلىّ والعباس بن يزيد بن الأسود الكِنْدىّ وحُمَيْد بن ثَوْر الهلالىّ اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادّعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه . ومرّ بهم سِرْبُ قطًا ؛ فقال أحدهم : تعالَوْا حتى نَصِفَ القَطَا ثم نتحاكم الى من نتراضى به ، فأيّنا كان أحسنَ وصفًا لها غلَب أصحابَه؛ فتراهنوا على ذلك . فقال أَوْس بن غَلْفاء الأبيات المذكورة وهى "أمّا القطاة" . وقال حُميد ٢٠ أبياتا وصف ناقته فيها، ثم خرج الى صفة القطاة فقال :

(١) تشق : تقطع . (٢) سيشرح أبو الفرج فما سيأتى هذا البيت . (٣) السحق : الثوب البالى .
(٤) ليه : «وفى تناش صفراء خفيف ثقيل ... » . (٥) المذكور هنا سبعة ألحان فقط .

كما انصلتتْ كَدْراء تسقِى فِراخَها * بِشَمْظةَ[2] رِفْهًا والمياهُ شُعُوبُ[1]
غدتْ لم تُباعِدْ فى السماء ودونَها * اذا ما علتْ أُهْوِيَّةٌ[3] وصَبوبُ
قرينةُ سَبْعٍ[4] إنْ تَواتَرْنَ[5] مَرّةً * ضَرَبْنَ فصَفّتْ أرؤس وجُنوبُ
فجاءتْ وما جاء القطا ثم قَلّصتْ * بِمَفْحَصِها[6] والوارداتُ تَنُوبُ
وجاءت ومَسْقاها الذى وردتْ به * الى الصَّدْرِ مشدودُ العِصَامِ[7] كَتِيبُ
تُبادر أطفالًا مساكينَ دونها * فَلًا لا تَخَطّاه العيونُ رَغيبُ[8]
وصَفَّن لها مُزْنًا بأرض تَنُوفةٍ[9] * فما هى إلّا نَهْلَةٌ وتؤوبُ

وقال العباس بن يزيد بن الأسود — هكذا ذكر ابن الكلبىّ، وغيره يرويها لبعض بنى مُرّة — :

حَذّاءُ[10] مُدْبِرةً سَكّاء مقبلةً * للماء فى النحر منها نَوْطةٌ[11] عَجَبُ
تسقى أُزَيْغِبَ تُرْوِيه مُجاجتُها[12] * وذاك من ظَمْأةٍ[13] من ظِمْئِها شَرَبُ

(١) انصلتت: أسرعت فى السير. (٢) كذا فى معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم. وشمظة: موضع بعكاظ، وهو الذى نزلت فيه قريش وحلفاؤها أوّل يوم اقتتلوا فيه من أيام الفجار. وفى الأصول: «شمطة» بالطاء المهملة وهو تصحيف. والرفه (بالكسر): أقصر الورد، وهو أن ترد الابل الماء كل يوم أو متى شاءت. والشعوب: البعيدة، يقال: ماء شعب ومياه شعوب. (٣) كذا فى ء ومعجم البلدان لياقوت فى الكلام على شمظة. والأهوية: الهاوية. والصبوب (بالفتح): منحدر الوادى. وفى الأصول: «هوّية وهبوب». (٤) كذا فى ء واللسان (مادة وتر). وفى سائر الأصول: «قرينة سبع». (٥) التواتر: التتابع، يقال: تواترت الإبل والقطا إذا جاء بعضها فى إثر بعض ولم تجئ مصطفة. (٦) قلصت: انضمت وانزوت. والمفحص: مجثم القطاة. والواردات تنوب أى الواردات للماء ترجع. (٧) فى ا، ء: «مسدود العصام» بالسين المهملة. وفى سائر الأصول: «مسرود العظام». والعصام: حبل تشدّ به القربة. وكتيب: مخروز. (٨) رغيب: واسع. (٩) التنوفة: الأرض القفر. (١٠) الحذاء: القصيرة الذنب. (١١) النوطة: الحوصلة. (١٢) المجاجة: الريق. (١٣) الظمء: ما بين الشربين والوردين.

مُنْهَرِت الشِّدقِ لم تَنْبُتْ قَوادِمُه * فى حاجب العين من تسبيده(1) زَبَبُ

تدعو القَطَا بقصير الخطو ليس له * قُــدّامَ مَنْحَرِها رِيشٌ ولا زَغَبُ

تدعو القَطَا و به تُدْعَى اذا انتسبتْ * يا صِـدْقَها حين تدعوه وتنتسبُ

وقال مُزاحِم العُقَيلىّ :

أذلكَ أم كُدْرِيَّةٌ هاجَ وِرْدَها * مِن القيظ يومٌ واقِدٌ وسَمُــومُ

غدتْ كنواة القَسْب(2) لا مُضْمِحِلّةٌ * وَنَاةٌ(3) ولا عَجْــلَى الفُتور سَــئومُ

تُواشِكُ رَجْعَ المَنْكِبين وترتمى * الى كَلْكَل ، للهادياتِ(4) قَـدُومُ

فما انخفضتْ حتى رأتْ ما يسرُّها * وفَىْءُ الضُّحَى قــد مال فهو ذَميمُ

أباطِح وٱنتَصَّتْ(5) على حيث تستقى * بهــا شَــرَكٌ للوارداتِ مُقِــيمُ

سقتْها سيولُ المُدْجِناتِ فأصبحتْ * عَلَاجِــيمَ تَجْــرِى مرّةً وتدومُ(6)

فلما ٱستقتْ من بارد المــاء وانجلَى * عن النفس منها لَوْحةٌ(7) وهمومُ

دعتْ باسمها حين استقتْ فاستقلّها * قَــوَادِمُ جُجْنٌ(8) رِيشُهنّ مليمُ

بجَــوْزٍ(9) كحُــقّ الهــاجريّة زانَه * بأطراف عــودِ الفارسىّ وُشُــومُ

---

(1) التسبيد : أوّل ظهور ريش الفــرخ . والزبب : كثرة الزغب . (2) القسب : تمر يابس يتفتت فى الفم صلب ونواه شــديد قوى . (3) الوناة : البطيئــة القيام والقعود .

(4) الهادية : المتقدّمة ، يريد أنها توالى بين جناحيها مسرعة حتى تتقدّم غيرها من السابقات .

(5) يقال : انتصت العروس إذا جلست على المنصة لترى ، هذا هو الأصل فيه . يريد أنها وقفت على المــاء . (6) المدجنات : السحائب الدائمة المطر . والعلاجيم : جمــع علجوم وهو المــاء الغمر الكثير . وتدوم : تسكن . (7) اللوحة : العطشــة . (8) ججن : عوج . ومليم ، كذا فى الأصول ، ولم نهتد إلى وجه الصواب فى هــذه الكلمة . وظاهر أنه يريد أن ريشهن كثير متكاثف . (9) فى بعض الأصول : « تجوز » : والهــاجرية : المرأة الحضرية .

– يعنى حُقّ الطيب . شبّه حوصلتها به . والوشوم يعنى الشِّيَة[١] التى فى صدرها – :

لتسقىَ زُغْبًا بالتَّنوفة لم يكن * خِلافَ مُوَلَّاها لهنّ حميمُ
ترائكَ[٢] بالأرض الفلاة ومن يَدَعْ * بمنزلها الأولادَ فهو مُليمُ
اذا استقبلتْها الريحُ طَمّتْ[٣] رفيقةً * وهنّ بمهوًى كالكُرَاتِ جُثومُ
يُرَاطِنّ[٤] وَقْصاءَ[٥] القفا وَحْشةَ الشَّوَى * بدعوى القطا لَحْنٌ لهنّ قديمُ
فبِتْنَ قريراتِ العيونِ وقد جرى * عليهن شِرْبٌ فاستقَيْن مُنيمُ
صَبِيبُ سِقَاءٍ نِيطَ قد بَرَكَتْ به * مُعَاوِدةٌ سَقْىَ الفِراخِ رَءومُ

وقال العُجَيْر – فيما روَى ابن الكلبىّ، وقد تروى لغيره – :

سأَغلِبُ والسماءِ ومَنْ بناها * قَطاةَ مُزَاحِمٍ ومَنِ انتحاها
قَطاة مُزَاحِمٍ وأبى المُثَنَّى * على حُوزِيّةٍ[٦] صُلْبٍ شَوَاها
غدتْ كالقَطْرة السَّفْواء[٧] تَهْوِى * أمام مُجَلْجِلٍ[٨] زَجِلٍ تَقَاها
تَكَفًّا كالجُمانةِ لا تُبالى * أبالموماة أضحتْ أم سِواها
نبتْ منها العَجِيزةُ فاحزألَّتْ[٩] * ونبس[١٠] للتقتُّل منكِباها

(١) فى أكثر الأصول : «الثقبة» . وفى جـ : «الثقة» وظاهر أنه تحريف عن «الشية» وهى لون يخالف معظم لون الشئ . والمراد النمنمة التى فى الصدر . (٢) ظاهر أنه يريد بالترائك أولادها اللاتى تركتهن بالفلاة . والمليم (بضم الميم) : الذى يفعل ما يلام عليه . (٣) طمت : أسرعت .
(٤) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « يواطنّ » . (٥) الوقصاء : القصيرة .
(٦) كذا فى جـ . والحوزية (بالضم) : الناقة المنحازة عن الإبل لا تخالطها ، أو هى التى عندها سير مذخور من سيرها أى التى تغلب غيرها بالهوين وعندها سير مذخور لم تبذله ، أو هى التى لها خلفة انقطعت عن الإبل فى خلقتها وفراهتها كما تقول : منقطع القرين . (راجع القاموس وشرحه بمادة حوز) . وفى سائر الأصول : «خرزية» وهو تحريف . (٧) السفواء : السريعة . (٨) المجلجل من السحاب : الذى فيه صوت الرعد . وغيث زجل : لرعده صوت . (٩) احزألت : ارتفعت .
(١٠) نبس : تحرك . والتقتل : التثنى والتبختر . وفى الأصول ما عدا جـ : « التفتل » بالفاء .

كأنّ كعوبها أطرافُ نَبْلٍ * كساها الرّازقيّةَ[1] مَنْ بَراها

قال : واحتكموا الى ليلى الأخيليّة، فحكمت لأوْس بن غَلْفاء .

وأخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب ابن مُحْرِز الباهلىّ قال حدّثنى رجل عن أبى عبيدة قال أخبرنا حُمَيد[2] بن ثور والعُجير السَّلُولىّ ومُزاحِم العُقَيْلىّ وأَوْس بن غَلْفاء الهُجَيْمىّ أنهم تحاكموا الى ليلى الأخيليّة لمّا وصفوا القطاة أيّهم أحسنُ وصفًا لها، فقالت :

ألَا كلُّ ما قال الرُّواة وأنشدوا * بها غيرَ ما قال السَّلُولىُّ بَهْرَجُ

وحكمتْ له . فقال حُمَيْد بن ثَوْر يهجوها :

كأنّكِ وَرْهاءُ[3] العِنانَيْنِ بغلةٌ * رأت حُصُنًا فعارضَتْهنّ تَشْحَجُ

١٠ ووجدت هذه الحكاية عن أبى عُبيدة مذكورةً عن دَمَاذ عنه وأنّه سأله عن أبيات العُجَير فأنشده :

تجوبُ الدُّجى سَكّاءُ من دون فَرْخِها * بمَطْلَى أُرِيكٍ[4] نَفْنَفٌ وسُهوبُ

فجاءت وقَرْنُ الشمس بادٍ كأنّه * هِجانٌ بصحراء الخُبَيْبِ[5] شَبُوبُ

لتَسْقِىَ أفراخًا لها قد تبلّلتْ * حلاقيمُ أسماطٌ[6] لها وقلوبُ

١٥ قِصارُ الخُطَا زُغْبُ الرءوسِ كأنها * كُرَاتٌ تَلَظَّى مرّةً وتَلُوبُ[7]

(١) الرازقية : ثياب كتان بيض . (٢) كذا فى جميع الأصول . والمعروف أن أبا عبيدة معمر بن المثنى الذى كان يعاصر الرشيد لم يعاصر هؤلاء النفر الذين كانوا فى صدر الدولة الأموية . ولعل صوابه : « ... عن أبى عبيدة قال : إن حميد بن ثور ... الخ » أو أن فى السند نقصا .

(٣) الورهاء : الخرقاء . (٤) المطلى : مسيل ضيق من الأرض . وأريك (كأمير) : واد

٢٠ بديار بنى مرة . والنفنف : المفازة . والسهوب : الفلوات . (٥) هجان : أبيض . الخبيب : الأصل فيه حبل من رمل لاطئ بالأرض ، ويريد هنا موضعا بعينه . وشبوب : تجاوز رجلاه يديه فى العدو . شبه قرن الشمس بفرس أبيض تجاوز رجلاه يديه حين يشتد فى العدو حتى يصير كالكرة . (٦) حلاقيم أسماط أى لا لحمة فيها . (٧) تلوب : تعطش .

فأمّا ما ذكرتُ من رواية ثعلب فى الأبيات التى فيها الغناءُ فإنه أنشدها عن أبى حاتم عن الأصمعىّ أن أبا الخُضَير أنشده لعمرو بن عُقَيل بن الحجّاج الهُجَيمىّ :

أمّا القطاةُ فإنى ســوف أنعتُها * نعتًا يُوافِق نعتى بعضَ ما فيهـا

صفراءُ مطروقةٌ فى ريشها خَطَبٌ * صُــفْرٌ قوادمُهـا سُــودٌ خَوافيها

مِنْقارُهـا كنَواة القَسْبِ قلَّمهـا * بمِبرَد حاذقُ الكفَّيْن يَبْريهـا

تمشى كَمَشْيِ فتـاةِ الحىّ مسرعةً * حِذارَ قــومٍ الى سِـترٍ يُواريها

— قال الأصمعىّ : مطروقة يعنى أنّ ريشها بعضــه فوق بعض . والخَطَب : لون الرماد، يقال للشبه به أخطب — :

تَنْتـاشُ صـــفراءَ مطروقًا بَقيّتُها * قد كاد يأْزِىْ عن الدُّعْموص آزِيها

— تنتاش : تتناول بقية من المـاء . والمطروق : المـاء الذى قد خالطه البول . ١٠ وقوله : يأزى أى يَقِلّ عن الدعموص فيخرج منه لقلته . والدّعموص : الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص —

تسـقى رَذِيَّيْنِ بالمَــوْماةِ قُوتُهما * فى ثُغْــرةِ النَّحْرِ من أعلى تَراقِيهـا

— الرَذِىّ : الساقط من الضعف . يعنى فرخيها —

كأنّ هَيْـدَبةً[1] من فـوق جُؤْجئها * أو جِرْوُ حَنْظَـلةٍ لم يعـــدُ راميها ١٥

— جرو الحنظل : صغاره . وقوله : لم يعدُ من العَداء ، أى لم يعد عليها فيكسرها —

تَشْتَقّ من حيث لم تُبْعِـدْ مُصَعِّدةً * ولم تُصَــوِّبْ الى أدنى مَهاويها

حتى إذا استأنسا للوقت واَحتَضرت[2] * تَوَجَّسا الوَحْىَ منها عنــد غاشيها

— ويروى : حتى اذا اسـتأنسا للصوت . وتوجّسا : تسمّعا . وَحْيها أى سُرْعة طيرانها . وغاشيها أى حين تغشاهما وتنتهى اليهما — ٢٠

(١) الهيدبة : خمـل الثوب . (٢) احتضرت : حضرت .

١٦٢ / ٧

تَرَفَّعا عن شؤون غير ذاكيةٍ * على لَدِيدَىْ أعالى المَهْدِ أُدْحيها(١)

ـــ الذاكية : الشديدة الحركة . والمهد : أفحوصها . ولديداه : جانباه ـــ

مَدّا إليها بأفواهٍ مُزَيَّنةٍ * صُعْدًا ليستنزلا الأرزاقَ مِنْ فيها

كأنّها حين مَدّاها لِجَنّاتها * طَلَى بَوَاطنَها بالوَرْسِ طاليها

٥ ـــ جَنّاتها أى جنأت عليهما بصدرها لتزقّهما ـــ

حِثْلَيْنِ رَضًّا رُقاضَ البَيْضِ عن زَغَبٍ * وُرْقٍ(٢) أسافلُها بِيضٌ أعاليها

حِثْلَيْنِ : دقيقين ضاويين . رَضّا : كسرا . والرُّقاض : ما ارفضّ وتفرّق ـــ

تَرَأّدا حين قاما ثُمّتَ احتطبا * على نَحائفَ مُنْآدٍ مَحانيها

تَرأّدا : تثنّيا . واحتطبا : دنَوا . والمنآد : المنعطف . ومَحانيها : حيث انحنت ـــ

١٠ تكاد من لِينها تنآد أسْؤُقُها * تأَوُّدَ الرِّبْلِ(٣) لم تَعْرِمْ نواميها

ـــ تعرم : تشتد . ونواميها : أعاليها ـــ :

لا أشتكى نَوْشَةَ(٤) الأيام من وَرَقٍ * إلّا الى مَنْ أرَى أن سوف يُشْكيها(٥)

لِدِلْهِمٍ مأثُراتٌ قد عُدِدْنَ له * إنّ المآثرَ معدودٌ مَساعيها

تَنْمى به فى بنى لأْيٍ دَعائمُها * ومن جُمانة لم تخضعْ سَوَاريها

١٥ بنَى له فى بيوت المجد والدُه * وليس مَنْ ليس يبنيها كبانيها

وأنشدنى هذه الأبيات الحسن بن محمد الضَّبَعىّ الشاعر المعروف بابن الحدّاد قال: وجدتها بخط محمد بن داود بن الجرّاح عن إسماعيل بن يونس الشِّيعى شيخنا رحمه

(١) الأدحى : موضع البيض الذى يفرخ فيه . (٢) الورقة : سواد فى غبرة .

(٣) الربل : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر.

٢٠ (٤) النوش : التناول . (٥) يشكيها : يريد ينصف منها ويزيل أسباب شكواها .

الله عن أخيه عن أبى محلم مثل رواية ثعلب وزاد فيها : قال أبو محلم : جمانة ابن جرير بن عبد ثعلبة بن سعد بن الهجيم ، وهم أخوال دلهم[1] هذا الممدوح . ودلهم من بنى لأى ثم من بنى يزيد بن هلال بن بذل بن عمرو بن الهيثم ، وكان أحد الشجعان ، وهو قتل الضحاك[2] بن قيس الخارجى بيده مع مروان بن محمد ليلة كفرتوثا[3] .

صـــوت

من المائة المختارة عن على بن يحيى

أيها القلب لا أراك تفيق * طالما قد تعلقتك العلوق[4]

من يكن من هوى حبيب قريبا * فأنا النازح البعيد السحيق

قدر الحب بيننا فالتقينا * وكلانا الى اللقاء مشوق

الشعر لعمر بن أبى ربيعة وقد مضت أخباره . والغناء فى اللحن المختار لبابويه ١٠

الكوفى خفيف ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج ١٦٣/٧

ثقيل أول بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه أيضا لمخارق[5] خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامى . وفيه لعلويه رمل بالبنصر عنه[6] وعن الهشامى . وبابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة ، ليس ممن خدم الخلفاء ولا الأكابر ، ولا أعلم له خبرا فأذكره . ١٥

---

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : « وهو أخ لدلهم » وهو تحريف ، كما هو ظاهر من سياق نسب دلهم . (٢) هو الضحاك بن قيس الشيبانى الحرورى ، خرج على مروان بن محمد سنة سبع وعشرين ومائة بالجزيرة واستولى على الموصل وكورها ؛ فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير اليه ، ثم سار إليه مروان وقتله . (أنظر الكامل لأبن الأثير جـ٥ص ٢٥٤ ، ٢٦٥ — ٢٦٧) .

(٣) كفرتوثا : قرية كبيرة من أعمال الجزيرة . (٤) العلوق : جمع علق ، كأسود وأسد ، وشجون وشجن . والعلق : الهوى والحب . يريد طالما تعلقت بك هموم الحب وأشجانه . (٥) فى الأصول : « ولابن مخارق » وظاهر أنه محرف عما أثبتناه . (٦) هذه الكلمة « عنه » وردت فى جميع الأصول . ٢٠

صوت
من المائة المختارة

مَنْ لِقَلْبٍ أضحى بكم مُستهامَا * خائفًا للوُشاةِ يُخْفِى الكلاما
إنّ طَرْفِى رسولُ نفسى ونفسى * عن فؤادى تقرا عليك السلاما

لم يقع إلينا قائل الشعر فنذكُرَ خبره . والغناء لرياض جارية أبى حمّاد خفيف ثقيل بالوسطى . وكان أبو حماد هذا أحد القوّاد الخُراسانية ومن أولاد الدُّعاة، وكان يُعاشر إسحاق ويَبَرّه ويُهاديه، فأخذت رياض عنه غناءً كثيرا، وكانت محسنةً ضاربةً كثيرة الرواية، وأحبّ إسحاق أن ينوِّه باسمها ويرفعَ من شأنها، فذكر صنعتها فى هذا الصوت فيما اختاره للواثق قضاءً لحقّ مولاها . وليس فيما قلتُه فى هذا لأنّ الصوت غير مختار ولكن فى الغناء ما هو أفضل منه بكثير ولم يذكره ؛ وقد فعل ذلك بجماعة ممن كان يودّه ويتعصّب له مثل مُتَيَّمَ وأبى دُلَف وغيرهم . ومن يعلم هذه الصناعة يعرف صحّة ما قلناه . وماتت رياض هذه مملوكةً لمولاها لم تخرج من يده ولا شُهِرت ولا رُوِى لها خبر .

صوت
من المائة المختارة عن علىّ بن يحيى

راح صحبى وعاود القلبَ داءُ * من حبيبٍ طِلَابُه لى عَناءُ
حَسَنُ الرأى والمواعيدِ لا يُلْـ * ـفَى لشىء ممـا يقول وفاء
مَنْ تَعَـزَّى عمن يحبّ فإنى * ليس لى ما حَيِيتُ عنه عزاء
أُمَّ عثمان قد قتلتِ قتيـلًا * عَمْـدَ عَيْنٍ قتلتِـه لا خَطَاءُ

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر فنذكرَه . والغناء لنافع بن طُنْبورة، ولحنه المختار خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى . وفى هذا الشعر لحنٌ لعبداللّه بن طاهر ثانى ثقيل

من جيّـد صَنْعته، وكان نسبه الى لَمِيس جاريته ، وله خبر سنذكره فى أخباره إذا انتهينا . وكان نافع بن طُنبورة يُكْنَى أبا عبد الله، مُغَنٍّ[1] محسنٌ من أهل المدينة، حسن الوجه نظيف الثوب، يلقّب تَقْش الغَضَار لحسن وجهه . وجعلته جميلة فى المرتبة، لمّـا اجتمع المغنّون اليها، بعد نافع و بُدَيح وقبل مالك بن أبى السَّمْح . وغنّاها يومئذ :

نبذة عن نافع بن طنبورة

يا طُولَ ليلِى وبِتُّ لم أَنَم * وِسادِىَ الهَمُّ مُبطِنٌ سَقَمِى
أنْ قمتُ يوماً على البَلَاطِ وأبـ * ـصرتُ رَقَاشًا فليتَ لم أَقُمِ[2]

فقالت جميلة : أحسنت والله يا نَقْش الغَضَار و ياحلو اللسان و ياحسنَ البيان ! .

ولم يفارق ٱبن طُنبورة الحجاز ولا خدم الخلفاء ولا ٱنتجعهم بصنعة نحمَل ذكره .

١٦٤ / ٧

صــــوت

من المـائة المختارة عن علىّ بن يحيى

عَتَق الفـؤادُ من الصِّبَا * ومن السَّـفاهة والعَـلَاقِ
وحططتُ رحلى عن قَلُو * صِ الغىّ فى قُلُص عِتَاقِ
و رفعت فضلَ إزارىَ ٱلْـ * ـمَجرور عن قدمى وساقى
وكَفَفْتُ غَرْبَ النفسِ حتّى ما تتــوقُ الى مَتَـاقِ

الشعر لسَعيد بن عبد الرحمن بن حَسّان بن ثابت . والغناء لٱبن عبّاد الكاتب، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل، وقيل : إنه لغيره .

(١) فى ب، سـ : «ابن معن» وهو تحريف . (٢) فى ب، سـ . «أن تمت ... فليت لم أنم» وهو تحريف .

أخبار سعيد بن عبد الرحمن

سعيد بن عبد الرحمن ومنزلته فى الشعر

وقد مضى نسبُه فى نسب جدّه حسّان بن ثابت متقدّما . وهو شاعر من شعراء الدولة الأُموية، متوسِّطٌ فى طبقته ليس معدودًا فى الفحول . وقد وفد الى الخلفاء من بنى أُميّة فمدحهم و وصَلوه . ولم تكن له نباهةُ أبيه وجدّه .

وفد على هشام فلم ينل منه ودعاه الوليد فأكرمه

٥ أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أحمد بن الهَيْثَم بن فِرَاس قال حدّثنى أبو عمرو الخَصّاف عن العُتْبىّ قال :

خرج سَعيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان مع جماعة من قريش الى الشأم فى خلافة هشام بن عبد الملك ، وسألهم مُعاونَته ، فلم يُصادفوا من هشام له نشاطًا . وكان الوليد بن يزيد قد طلّق آمرأته العثمانيّة ليتزوّج أختَها ، فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباها أن يزوِّجه . فمرّ يومًا بالوليد وقد خرج من داره ليركب ؛ فلما رآه وقف؛ ١٠ فأمر به الوليد فدُعى اليه ؛ فلما جاءه قال : أنت آبن عبد الرحمن بن حسّان ؟ قال : نعمْ أيها الأمير . فقال له : ما أقْدَمَكَ؟ قال : وفدتُ على أمير المؤمنين منتجعًا ومادحًا ومستشفعًا بجماعة صحِبتُهم من أهله، فلم أنَلْ منه حُظوةً ولا قبولا . قال: لكنّك تجد عندى ما تُحِبّ، فأقِمْ حتى أعود. فأقام ببابه حتى دخل إلى هشام وخرج من عنده ؛ فنزل ودعا بسعيد، فدخل اليه، فأمر بتغيير هيئته و إصلاح ١٥ شأنه؛ ثم قال له : أنشِدْنى قصيدةً بلغتْنى لك فشوّقتْنى اليك، وغُنِّيتُ فى بعضها، فلم أزَلْ أتمنّى لقاءك . فقال : أىّ قصيدة أيها الأمير؟ قال قولك :

أبائنـــةٌ سُعْدَى ولم تُوفِ بالعَهْدِ * ولم تَشْفِ قلبًا تيمتْه على عَمْـــدِ

نَعَمْ أَفَمُودٍ أنت إن شَطَّتِ النَّوَى * بسُعْدَى وما من فُرقةِ الدهرِ من ردِّ[1]

كأنْ قد رأيتَ البينَ لا شيءَ دونه * فَمِ الآنَ أعلِنْ ما تُسِرّ من الوجدِ

لعلك منها بعد أن تَشْحَطَ النَّوى * مُلاقٍ كما لاقى ابنُ عَجْلانَ[2] من هندِ

فوَيْلُ ابنِ سَلْمَى[3] خُلّةً غيرَ أنها * تُبلِّغ منّى وهى مازحةٌ جِدّى

وتدنو لنا فى القول وهى بعيدةٌ * فما إنْ بسَلْمَى[4] من دُنُوٍّ ولا بُعْدِ

ومهما أكُنْ جَلْدًا عليه فإنّنى * على هَجْرِها غيرُ الصَّبُورِ ولا الجَلْدِ

إذا سُمْتُ نفسى هجرَها قُطِعتْ[5] به * بجانبتُه فيما أُسِرّ وما أُبْدِى

كأنّى أرى فى هجرِها، أىَّ ساعةٍ * هَمَمْتُ به، موتى وفى وصلها خُلْدى

ومن أجلِها صافيتُ مَنْ لا تَرُدُّنى * عليه له قُرْبَى ولا نعمةٌ عندى

وأغضيتُ عينى من رجالٍ على القَذَى * يقولون أقوالًا أمَضُّوا بها جِلْدى

وأقصيتُ مَنْ قد كنتُ أُدْنِى مكانَه * وأدنيتُ من قد كنتُ أقصيتُه جَهْدى

فإن يَكُ أمسى وصلُ سَلمَى خِلابةً * فما أنا بالمفتونِ فى مثلِها وحدى

فأصبحَ ما مَنَّتْكَ دَيْنًا مُسَوَّفًا * لواه غريمٌ ذو اعتلالٍ وذو جَحْدِ

تجودُ بتقريبِ الذى هو آجلٌ * من الوعدِ ممطولٌ وتبخَلُ بالنَّقْدِ

وقد قلت إذ أهدتْ إلينا تحيّةً * عليها سلامُ الله من نازحٍ مُهْدِى

سقى الغيثُ ذاك الغورَ ما سكنتْ به * ونجدًا إذا صارت نَواها الى نجدِ

---

(١) فى أ، م: «من بدّ». (٢) هو عبد الله بن عجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب، جاهلىّ يضرب به المثل فى العشق. وهند هى بنت كعب بن عمرو بن الليث النهدى، تتصل بعبد الله هذا فى النسب. (أنظر قصتهما مطوّلة فى كتاب تزيين الأسواق جـ ١ ص ٩٠، والأغانى جـ ١٩ ص ١٠٢ طبع بلاق). (٣) كذا فى الأصول. ولعله «فويل أم سلمى الخ» أو «فياويل سلمى». (٤) كذا فى جـ. وفى سائر الأصول. «فما إن تسلى». (٥) أى كلت وأعيت.

قال : فجعل يُنشدها ودموعُ الوليد تحدر على خَدَّيه حتى فرَغ منها . ثم قال له :
لن تحتاج الى رِفْد أحد ولا معونته ما بَقيتُ ، وأمر له بخمسمائة درهم ، وقال :
ابعثْ بها الى أهلك وأقم عندى، فلن تعدَم ما تُحِبّه ما بَقيت (١) . فلم يزل معه زماناً،
ثم استأذنه وانصرف . وفى بعض هذه الأبيات غناءٌ نسبتُه :

صــــوت

أبانَتْ سُعْدَى ولم تُوف بالعهـد * ولم تَشفِ قلبًا أقصدتْه على عَمْـد
ومهما أكن جلدًا عليـه فإنّنى * على هجرها غيرُ الصَّبور ولا الجَلْد

الغناء لمالك خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشامىّ . ومن هذه القصيدة :

صــــوت

وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القَذَى * يقولون أقوالًا أمَضُّوا بها جِلْدِى
إذا سُمْتُ نفسى هجرَها قُطعتْ به * فخانتْــه فيما أسِرّ وما أبْـدِى

الغناء لابن مُحْرِز ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو .

قصته مع عبد الصمد ابن عبد الأعلى

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنا أحمد بن زهَير قال حدّثنا الزُّبير بن
بَكّار قال حدّثنى عمّى ومحمد بن الضحّاك بن عثمان قالا (٢) :

وفَد سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان على هشام بن عبد الملك وكان حسن الوجه؛
فاختلف الى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّب الوليد بن يزيد بن عبد الملك ،
فأراده على نفسه، وكان لُوطيًّا زِنْديقا؛ فدخل سعيد على هشام مُغْضَبًا وهو يقول :

إنــه والله لولا أنتَ لم * ينجُ منّى سالمًا عبدُ الصَّمَدْ

(١) كذا فى أ . وفى سائر الأصول : « فلم » وهو تحريف . (٢) فى الأصول : « قال » .

فقال له هشام : ولماذا ؟ قال :

إنه قد رام منّى خُطّةً * لم يَرُمْها قبله منّى أحدْ

١٦٦ / ٧

فقال : وما هى ؟ قال :

رامَ جهلًا بى وجهلًا بأبى * يُدْخِلُ الأفعَى الى خِيسِ الأَسَدْ

قال : فضحك هشامٌ وقال له : لو فعلتَ به شيئًا لم أُنكر عليك .

سأل أبا بكر بن محمد حاجة لدى سليمان ابن عبد الملك فلم يقضها وقضاها غيره فهجاه

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال أخبرنا ابن عائشة [لا أعلمه[1] إلا عن أبيه] قال :

سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان صديقًا له حاجةً — وقال هاشم بن محمد فى خبره : سأل سعيد بن عبد الرحمن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم حاجةً — يكلّم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يَقْضِها له ، ففَزِع فيها إلى غيره فقضاها ؛ فقال : ١٠

سُئلتَ فلم تفعلْ وأدركتُ حاجتِى * تولَّى سواكم حَمْدَها واصطناعَها

أبى لك كَسْبَ الحمد رأىٌ مُقَصِّرٌ * ونفسٌ أضاق الله بالخير باعَها

إذا ما أرادته على الخير مرّةً * عصاها وإن هَمّتْ بشرٍّ أطاعها

قال ابن عمّار : وقد أنشدَنا هذه الأبياتَ سليمان بن أبى شَيْخ لسعيد بن عبد الرحمن ولم يذكر لها خبرا . ١٥

مدح عدىّ بن الرقاع شعره

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغَلَابىّ عن ابن عائشة قال :

قال رجلٌ من الأنصار لعَدِىّ بن الرِّقاع : أَكْتِبْنِى[2] شيئًا من شعرك . قال : ومن أىّ العرب أنت ؟ قال : أنا رجلٌ من الأنصار . قال : ومَنْ منكم القائل :

(١) كذا وردت هذه الجملة فى الأصول . (٢) كذا فى أ . وأكتبه شعره وغيره : أملاه عليه . وفى سائر الأصول : « اكتب لى ... » . ٢٠

إنّ الحَمَامَ الى الحجازِ يهيجُ لى * طَرَبًا ترنُّمُه إذا يترنّمُ
والبرقُ حين أشيمُه متيامنًا * وجنائبُ الأرواحِ حين تنسَّمُ

فقال له : سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت . فقال : عليكم بصاحبكم فاكتُبْ شعره، فلستَ تحتاج معه إلى غيره .

٥ وفى أوّل هذه القصيدة غناءٌ نسبتُه :

صوت

بَرِحَ الخفاءُ فأىُّ ما بك تكتُمُ * والشّوقُ(١) يُظهِرُ ما تُسِرّ فيُعلَمُ
وحملتَ سُقْمًا من علائقِ حبِّها * والحبُّ يَعلَقُه الصحيحُ فيَسقَمُ

الغناء لحَكَم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن الهشامىّ، وذكره إبراهيم له ولم يجنّسه .

١٠ وفى هذه القصيدة يقول :

علويّةٌ أمستْ ودونَ وِصالها * مضمارُ مصرَ وعايدٌ(٢) والقُلزُمُ
خَوْدٌ تُطيفُ بها نواعمُ كالدُّمَى * ممّا اصطفى ذو النِّيقةِ(٣) المتوسِّمُ
حُلّينَ مَرجانَ البحورِ وجوهرًا * كالجمر فيه على النحور يُنظَّمُ
قالت وماءُ العينِ يغسل كحلَها * عند الفراق بمستهِلٍّ يَسجُمُ
١٥ يا ليتَ أنك يا سعيدُ بأرضنا * تُلْقِى المَراسِىَ ثاويًا وتُخيِّمُ
فتُصيبَ(٤) لذّةَ عيشِنا ورخاءَه * فنكونَ أجوارًا فماذا تَنقِمُ

(١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى الأصول : «ولسوف» . (٢) كذا فى معجم البلدان لياقوت فى كلامه على القلزم . وعايد : جبل بمصر، وقيل : موضع أو صقع بها . وفى الأصول : «عائذ» وهو تصحيف . والقلزم : بلدة شرق مصر قرب جبل الطور، اليها يضاف البحر الأحمر فيقال بحر القلزم .

٢٠ (٣) النيقة : اسم التنوّق أى التخير . (٤) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : « فنصيب » بالنون .

لا تَرجِعَنّ الى الحجازِ فإنه * بلدٌ به عيشُ الكريم مُذَمَّمُ
وهَلُمّ جاوِرْنا فقلت لها اقْصِرِى * عيشٌ بطَيْبةَ ويحَ غيرِك أنعمُ
أيُفارِقُ الوطنَ الحبيبُ لمنزلٍ * ناءٍ ويُشْرَى(1) بالحديث الأقدمُ
إنّ الحمامَ الى الحجاز يَهِيجُ لى * طَرَبًا تَرَنُّمُه إذا يترنّمُ
والبرقُ حين أَشِيمُه متيامنًا * وجنائبُ الأرواح حين تَنَسَّمُ
لو لجّ ذو قَسَمٍ على أنْ لم يكن * فى الناس مُشْبِهُها لبَرّ المُقْسِمُ
من أجلها تَرْكى القَرارَ وخَفْضَه * وتجشّمِى ما لم أكن أتجشّمُ
ولقد كتمتُ غداةَ بانتْ حاجةً(2) * فى الصدر لم يعلم بها متكلّمُ
تَشْفِى برؤيتها السقيمَ وترتمى * حَبَّ القلوب، رَمِيُّها لا يَسْلَمُ
رَقْراقةٌ فى عُنفوانِ شَبابها * فيها عن الخُلُقِ الدَّنِىِّ تَكَرُّمُ
ضَنَّتْ على مُغْرًى بطول سؤالها * صَبٍّ كما يَسَلُ الغَنِىَّ المُعْدِمُ

سأل عنبسة بن سعيد أن يكلم له الخليفة فتأخر فسرق متاعه فقال شعر

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنى أبو مُسْلِم عن الحِرْمازىّ قال :

خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان الى عسكر يزيد بن عبد الملك، فأتى عَنْبَسة ابن سَعيد بن العاصى، وكان أبوه صديقًا لأبيه، فسأله أن يرفع أمرَه الى الخليفة؛ فوعده أن يفعل؛ فلم يمكث إلّا يسيرًا حتى طرَقه لصٌّ فسرَق متاعَه وكلَّ شىء كان معه؛ فأتى عنبسةَ فتنجّزه ما وعده ؛ فاعتلّ عليه ودافَعه؛ فرجع سعيد من عنده فارتحل وقال :

أعَنبَسُ قد كنت لا تعتزى(3) * الى عِدَةٍ منك كانت ضَلَالَا

(1) يشرى هنا : يباع . يقال : شراه اذا باعه ، وشراه اذا ملكه بالشراء ، فهو من أفعال الأضداد .
(2) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «حاجتى» . (3) تعتزى : تنتسب .

وعدتَ عِــدَاتٍ لَو آنجزتَهـا * إذًا لَحُـمِـدْتَ ولم تُرْزَ[1] مالاَ

وما كان ضَرَّكَ لو قـد شفعتَ * فأعطى الخليفـةُ عفوًا نَوالا

وقــد يُنْجِـزُ الحـرُّ موعودَه * ويفعل ما كان بالأمس قالا

فياليتنى والمُـنَى كاسمها * وقــد يصرف الدهرُ حالًا لحالا

قعدتُ ولم ألتمس ما وعــدتَ * ويا ليت وعــدَك كان اعتلالا

٥ وكانت نَعَمْ منــك مخزونةً * وقلت مِنَ آول يومٍ ألّا لا

أرى كذبَ القولِ من شرِّ ما * يُعَدّ اذا الناسُ عَدُّوا الخِصالَا

فأبقيتَ لى عنــكَ منــدوحةً * ونفسًا عَـزُوفًا تُقِـلّ السؤالا

فإن عدتُ أرجوكُمُ بعــدَها * فبُدِّلْتُ بعــد العَــلَاء السِّفَالا

١٠ أأرجوك من بعـد ما قد عَرَفْتَ[2] * لَعَمْرِى لقد جئتُ شيئًا عُضَالا

نسخت من كتاب عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ يأثُرُه عن أبيه قال :

لقى الوليد لما حج فاستأنس به الوليد

كان سَعيد بن عبد الرحمن بن حسّان اذا وفَد الى الشأم نزل على الوليد بن يزيد، فأحسن نُزُلَه وأعطاه وكساه وشفَع له . فلما حجّ الوليــد لَقِيه سعيد بن عبد الرحمن فى أوّل مَنْ لقيه، فسلّم عليه، فردّ الوليد عليه السلام وحيّاه وقرّبه وأمر بإنزاله معه

١٥ وبسَطه، ولم يأنَس بأحد أُنْسَه به . وأنشده سعيدٌ قولَه فيه :

يا لَقَوْمِى لِلهَجْرِ بعــد التَّصافِى * وتَنَائِى الجميــع بعــد آئتلافِ

ما شجا القلبَ بعــد طول آندمال * غيرُ هابٍ[3] كالفَــرْخِ بين أثافِى

١٦٨/٧

ونعيبِ الغرابِ فى عَرْصــةِ الدا * رِ ونُؤْىٍ تَسْفِى عليــه السَّوافى

(١) ترز : أصلها «ترزأ» سهلت الهمزة ثم حذفت للجازم . (٢) كذا فى ب ، سـ : بالزاى المعجمة . وفى سائر الأصول : «عرفت» بالراء المهملة . (٣) الهابى : الرماد الدقيق

٢٠ أو التراب المنتشر فى الجو كالهباء ؛ وأنشد الأصمعىّ :

وهابٍ كجُثمان الحمامة أجفلت * به ريح ترج والصبا كل مجفل

وقد رُوى عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان قال : رأى علىّ آبنُ عمر أوضاحا[1] فقال : ألقِها عنك فقد كَبِرتَ .

صــــوت

من المــائة المختــارة من رواية جَحْظة

ما جرتْ خَطْرةٌ على القلب منّى * فيك إلّا آستترتُ[2] عن أصحابى

من دموعٍ تجرى فإن كنتُ وحدى[3] * خالياً أسعدتْ دموعى انتحابى

إنّ حُبّى إيّاكِ قد سَلّ جِسْمِى * ورَمانى بالشيب قبل الشّباب

ارْحَمِى[4] عاشقًا لكِ اليوم صبًّا * هائمَ العقل قد ثوَى فى التّراب

الشعر للسيّد الحِمْيَرىّ، والغناء لمحمد نَعْجة خفيفُ رمل أيضا . ولم أجد لهذا المغنّى خبرًا ولا ذكرًا فى موضع من المواضع أذكره . وقد مضت أخبار السيّد متقدما .

صــــوت

من المــائة المختــارة

أكَرّعُ الكَرْعةَ الرويّةَ منها * ثم أصحو وما شَفَيتُ غَليلى

كم أتى دون عهدِ أُمّ جميلٍ * من إنَى[5] حاجةٍ ولُبْثٍ طويلِ

وصياح الغراب أن سِرْ فأسْرِعْ * سوف تحظَى بنائلٍ وقَبُولِ

الشعر للأحوص . والغناء للبُرْدَان خفيفُ ثقيلٍ مطلق فى مجرى البنصر .

---

(١) الأوضاح : حلى من الفضة . (٢) كذا فى الأغانى ج ٧ ص ٢٢٨ من هذه الطبعة . وفى الأصول هنا : «إلا اشتهرت من أصحابى» وهو تحريف . (٣) كذا فى الأغانى فى الموضع السابق . وفى الأصول : «فأبكيت وحدى» وهو تحريف . (٤) ورد هذا الشطر فيا مرّ هكذا : «لو منحت القا شفى بك صبا» . (٥) إنى حاجة : إدراكها وبلوغها . والإنى : التأخير أيضا وهو المراد هنا .

أخبار البُرْدَان

البُرْدانُ لقب غلَب عليه . ومن الناس من يقول : بُرْدان من أهل المدينـة ، وأخذ الغنـاء عن معبد وقبـلَه عن جميـلة وعَزَّةَ المَيْـلاء . وكان مُعَدَّلًا مقبولَ الشّهادة ، وكان متولِّيَ السّوق بالمدينة .

كان متولى السوق بالمدينة وأخذ عن معبد وجميلة وعزة الميلاء

٥ قال هارون بن الزيّات حدّثنى أبو أيّوب المَدينىّ عن محمـد بن سـلّام قال : هو بُرْدَانُ بضم الباء وتسكين الراء .

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر وحُسَين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن ٱبن خُرْدَاذْبه قال قال إسحـاق : كان بُرْدَانُ متولِّيَ السوق بالمدينة . فقدّم اليه رجل خَصْماً يدّعى عليه حقاً ؛

١٠ فوجب الحكم عليه فأمر به الى الحبس . فقال له الرجل : أنت بغير هذا أعلمُ منك بهـذا . فقال : رُدُّوه فرُدّ ؛ فقـال : لعلك تعنى الغنـاء ! إنى والله به لعارف ؛ ولو سمعت شيئا جاء البارحةَ لٱزددت علماً بأنى عارف ، ومهما جَهلتُ فإنى بوجوب الحق عليك عالم ؛ اذهبوا به الى الحبس حتى يخرج الى غريمه من حقه .

رآه سياط بالمدينة وأخذ عنه أصواتا

قال وحدّثنى أبو أيّوب عن حمّاد عن أبيه عن ٱبن جامع عن سِياط قال :

١٥ رأيت البُرْدانَ بالمدينة يتولّى سوقَها وقد أسنّ ؛ فقلت له : يا عمّ ، إنى رويت لك صوتاً صنعتَه ، وأحببتُ أن تصحّحه لى . فضـحك ثم قال : نَعَمْ يا بُنَيّ وحبًّا وكرامة . لعله :

١٦٩ / ٧

* كم أتى دون عهد أمّ جميل *

فقلت . قال : مِل بنا الى هاهنا ؛ فمال بى الى دار فى السُّوق ، ثم قال : غنّه ؛

٢٠ فقلت : بل تُتمّ إحسانَك يا عمّ وتغنّينى به فإنه أطيب لنفسى ؛ فإن سمعتُه كما أقول

غنّيته وأنا غير متهيِّب ، وإن كان فيه مُسْتَصْلَحٌ[1] آستعدته . فضحك ثم قال : أنت لستَ تريد أن تصحِّح غناءك ، إنما تُريد أن تقول سمعتنى وأنا شيخ وقد آنقطعتُ وأنت شابّ. فقلت للجماعة[2] : إن رأيتم أن تسألوه أن يُشَفِّعنى فيما طلبتُ منه ! فسألوه، فاندفع فغنّاه فأعاده ثلاثَ مرّات؛ فما رأيتُ أحسنَ من غنائه على كِبَرِ سِنّه ونُقصان صوته . ثم قال : غَنّه فغنّيته ؛ فطرِب الشيخ حتى بكى، وقال : اذهب يا بُنَيّ، فأنت أحسن النّاس غناءً ، ولئن عِشْتَ ليكوننّ لك شأن . قال : وكان بُرْدانُ خفيفَ الرُّوح طَيِّبَ[3] الحديث مليح النادرة مقبول الشهادة قد لقِى النّاسَ ، فكان بعد ذلك اذا رآنى يدعونى فيأخذنى معه الى منزله ويسألنى أن أُغنّيه فأفعل؛ فاذا طابت نفسُه سألته أن يطرَح علىّ شيئا من أغانى القدماء فيفعل إلى أن أخذتُ عنه عِدّة أصوات .

صــــوت

من المـائة المختـارة

لِمَنِ الدِّيارُ بحائِــلٍ[4] فوُعَالِ * دَرَستْ وغيَّرها سِـنُونَ خَوالِى

دَرَجَ البَــوارِحُ[5] فوقها فتنكّرتْ * بعـد الأنيس مَعارِفُ الأطلال

---

(١) لعلها : «استفدته» . (٢) لعله يعنى جماعة كانوا فى الدار التى مال به اليها .

(٣) فى أ ، م : «حسن الحديث» . (٤) حائل : موضع باليمامة . ووعال (كغراب) : جبل قيــل إنه بسماوة كلب بين الكوفة والشأم . (انظــر معجم البلدان لياقوت وشرح ديوان الأخطل ص ١٥٦ طبع الآباء اليسوعيين) . (٥) كذا فى أ ، م وديوانه . والبوارح : الرياح الحارة الشديدة . أى جرت الرياح عليها جريانا شــديدا فغيرت هيئتها حتى لم تعد تعرف . وفى سائر الأصول : «درج البواكر» .

دِمَنٌ تُذَعْذِعها[1] الرياحُ وتارةً * تعفو بمُرْتَجِــزِ السَّحابِ ثِقَـالِ
فكأنما هى من تَقادُمِ عهــدِها * وَرَقٌ نُشِرنَ من الكتّاب بَوالِى

الشعر للأخطل، والغناء لسائب خاثر، ولحنه المختار من الثقيــل الأوّل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه . وذكر عمرو بن بانة أنّ فى الثانى والرابع من الأبيات للأبجر ثقيلاً أوّل . وذكر حبش أنّ لمعبد فيه ثقيلاً أوّل بالوسطى وأنه أحد السبعة[2]، وأن لإسحاق فيه ثانىَ ثقيل، وذكر الهشامىّ أنّ لحن إسحاق خفيف ثقيل .

(١) كذا فى جـ وديوانه . وتذعذعها : تحركها تحريكا شـديدا وتفرقها وتبددها . وفى سائر الأصول : «تزعزعها» بالزاى . والزعزعة : التحريك .

(٢) يريد سبعة أصوات معبد المعروفة بالمدن .

ذكر الأخطل وأخباره ونسبه

نسب الأخطل

هو غِيَاثُ بن غَوْث بن الصَّلْت بن الطَّارِقة ، ويقال ابن سَيْحَان بن عَمْرو بن الفَدَوْكَس بن عمرو بن مالك بن جُشَمَ بنِ بكر بن حَبِيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلِب. ويكنى أبا مالك . وقال المدائنىّ : هو غِياث بن غَوْث بن سَلَمة بن طَارِقة، قال : ويقال لسَلَمة سَلَمةُ الحَـام[1] . قال : وبعث النُّعْمان بن المُنْذِر بأربعة أرماح لفُرسان العرب ، فأخذ أبو بَرَاء عامر بن مالك رُمْحًا ، وسَلَمةُ بن طارِقة الحَام[1] رمحا وهو جدّ الأخطل، وأَنَس بن مُدْرِك رمحا، وعمرو بن مَعْدِيكَرِب رمحا .

سبب تلقيبه بالأخطل والهجاء بينه وبين كعب ابن جعيل

١٧٠
٧

والأخطل لقبٌ غلبَ عليه . ذكر هارون بن الزيّات عن ابن النطّاح عن أبى عُبَيدة أنّ السبب فيه أنه هجا رجلًا من قومه؛ فقال له : يا غلام، إنك لأخطل، فغلبتْ عليه . وذكر يعقوب بن السِّكِّيت أنّ عُتْبة بن الزَّعِل[2] بن عبد الله بن عمر بن عمرو بن حبيب بن الهجرس[3] بن تَيْم بن سَعْد بن جُشَمَ بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غُنْم بن تَغْلِب حَمَل حَمالةً، فأتى قومَه يسأل فيها؛ فجعل الأخطلُ يتكلّم وهو يومئذ غلام . فقال عُتْبة : مَنْ هذا الغلام الأخطل؟! فلُقِّب به .

قال يعقوب وقال غير أبى عُبيدة : إنّ كَعْب بن جُعَيْل كان شاعرَ تَغْلِبَ ، وكان لا يأتى منهم قومًا الا أكرموه وضربوا له قُبَّة؛ حتى إنه كان تُمَدّ له حبالٌ بين وَتِدَين فتُمْلَأ له غَنَمًا . فأتى فى مالك بن جُشَمَ ففعلوا ذلك به ؛ فجاء الأخطل وهو

(١) فى جـ : «سلمة الجام» بالجيم. (٢) فى جـ : «ابن الزغل» بالزاى والغين المعجمتين. وورد فى الطبرى (ق ١ ص ٢٤٧٦ طبع أوربا) : «عتبة بن الوعل أحد بنى سعد بن جشم» .
(٣) فى جـ : «ابن الهجر» وفى أ ، م : «ابن البحر» .

غلام فأخرج الغَـنَمَ وطرَدها، فسبّه عُتْبة وردّ الغـنم الى مواضعها، فعاد وأخرجها وكعبٌ ينظر اليه ؛ فقال : إنّ غلامكم هـذا لأخْطَلُ — والأخطل : السفيه — فغلَب عليه . ولَجّ الهجاء بينهما، فقال الأخطل فيه :

سُمِّيتَ كعبًا بشــرّ العظـام * [وكان أبوك يُسَمَّى الجُعَلْ[1]

وإنّ مَحَلَّك من وائـلٍ * محلُّ القُرَاد من آست الجمل]

فقال كعب : قد كنتُ أقول لا يقهرنى إلّا رجل له ذِكْرٌ ونَبأ، ولقد أعددتُ هذين البيتين لأن أُهْجَى بهما منذ كذا وكذا، فغلَب عليهما هذا الغلام .

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى قَبِيصةُ بن مُعاوية المهلّبىّ قال حدّثنى عيسى بن إسماعيل قال حدّثنى القَحْذَمىّ قال :

وقع بين آبنَى جُعَيل وأمِّهما ذَرْءٌ[2] من كلام، فأدخلوا الأخطـل بينهم؛ فقـال الأخطل :

لَعَمْرُك إنّنى وآبنَىْ جُعَيلٍ * وأُمَّهما لَإسْـتارٌ[3] لئـيمُ

فقال آبن جُعَيل : يا غلام، إنّ هذا لَخَطَلٌ من رأيك ؛ ولولا أنّ أُمّى سَمِيّـةُ أُمّك لتركتُ أمّك يحدو بهـا الرُّكبان ؛ فسُمّى الأخطـلَ بذلك . وكان آسم أُمّهما وأمّ الأخطل ليلى .

وقال هارون حدّثنى إسماعيل بن مُجَمِّع عن آبن الكلبىّ عن قوم من تَغْلِب فى قصّة كعب بن جُعَيل والأخطل بمثـل ما ذكره يعقوب عن غير أبى عُبَيدة ممن لم يسمّه، وقال فيها : وكان الأخطل يومئذ يُقَرْزِم[4] — والقرزمة : الابتداء بقول

(١) التكلة عن ديوانه . (٢) الذرء : الشيء اليسير من القول . (٣) إستار : أربعة .

(٤) كذا فى معجمات اللغة . وفى الأصول : «يغرزم» بالغين المعجمة، وهو تصحيف .

الشعر — فقال له أبوه : أبِقَرْزَمتك تُريد أن تُقاوم ٱبنَ جُعَيل! وضربه . قال: وجاء ٱبن جُعَيل على تَفِئـةِ[1] ذلك فقال : مَنْ صاحبُ الكلام ؟ فقال أبوه : لا تَحْفِل به فإنه غلام أخطل . فقال له كعب :

* شَاهِدُ هذا الوجه غِبُّ الحُمَّـهْ *

فقال الأخطل :

* فناكَ كعبُ بن جُعَيْلٍ أُمَّهْ *

فقال كعب : ما ٱسم أمّك ؟ قال : ليـلى . قال : أردتَ أن تُعيذها باسم أُمّى . قال : لا أعاذها الله إذًا . وكان اسم أُمّ الأخطل[2] ليلى، وهى امرأة من إيَاد؛ فسُمّى الأخطلَ يومئذ، وقال :

هجـا الناسَ ليلى أُمّ كَعْبٍ فمُزِّقتْ * فـلم يبقَ إلا نَفْنَفٌ[3] أنا رافعُـهْ

وقال فيه أيضا :

هجـانى المُنْتِنَانِ ٱبنـا جُعَيْلٍ * وأىُّ النـاسِ يقتـله الهجاءُ
وُلِدتم بعـد إخوتكم من ٱستٍ * فهـلّا جئتُمُ من حيث جاءوا

فانصرف كعب، ولجّ الهجاء بينهما .

طبقته فى الشعراء والخلاف فيه وفى جرير والفرزدق

وكان نَصْرانيّا من أهل الجزيرة[4]. ومحلّه فى الشعر أكبر من أن يحتاج الى وَصف. وهو وجرير والفرزدق طبقةٌ واحدة، جعلها ٱبن سـلّام أوّل طبقات الإسلام . ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل، ولكل واحدٍ منهم طبقةٌ تفضّله[5] عن الجماعة.

---

(١) يقال : أتيته على تفئة ذلك أى على حينه وزمانه . (٢) كذا فى الأصول، والظاهر أن صواب العبارة : « وكان اسم أم كعب ... الخ » . (٣) النفنف : الهواء . يريد : لم يبق إلا شىء يسير . (٤) كذا فى جـ . والجزيرة : منازل تغلب قبيلة الأخطل . وفى سائر الأصول : «من أهل الحيرة» . (٥) لعلها : «تفضله على الجماعة» .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل قال حدّثني إسحاق ابن ابراهيم عن أبي عُبَيدة قال :

جاء رجلٌ الى يونس فقال له : مَنْ أشعرُ الثلاثة؟ قال : الأخطل . قلنا : مِنَ الثلاثة؟ قال : أيّ ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم . قلنا : عمّنْ تروى هذا؟ قال : عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق الحَضْرَميّ[1] وأبي عمرو بن العَلَاء وعَنْبَسةَ الفيل وميمون الأقْرَن الذين ماشُوا[2] الكلامَ وطَرَقوه . أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال قال أبو عُبيدة عن يونس، فذكر مثله وزاد فيه : لا كأصحابك هؤلاء لا بدويّون ولا نحويّون . فقلتُ[3] للرجل : سَلْه وبأيّ شيء فَضَّلوه ؟ قال : بأنه كان أكثرهم عددَ طِوَالٍ جِيادٍ ليس فيها سَقَطٌ ولا فُحْش وأشدَّهم تهذيباً للشعر . فقال أبو وَهْب الدقّاق : أمَا إنّ حَمّاداً وجَنّاداً[4] كانا لا يفضِّلانه . فقال : وما حَمّاد وجنّاد! لا نحويّان ولا بدويّان ولا يُبصِران الكسور ولا يُفصِحان ، وأنا أُحدِّثك عن أبناء تسعين أو أكثر أدَّوْا الى أمثالهم ماشُوا الكلام وطَرَقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تَشِذّ عنهم زِنَةُ كلمة ، وألحقوا السليمَ بالسليم والمضاعفَ بالمضاعف والمعتلّ بالمعتلّ والأجوفَ بالأجوف وبناتِ الياء بالياء وبناتِ الواو بالواو ، فلم تَخْفَ عليهم كلمةٌ عربيّة، وما عِلمُ حَمّادٍ وجنّاد ! .

(١) كذا في طبقات ابن سلام ص (٦، ٧، ٨، ١٦) ونسخة الشنقيطي مصححة بقلمه . وفي الأصول : «الحضري» .

(٢) ماش الكلام : خلطه . ويقال : طرق النجاد الصوف اذا ضربه بالمطرقة ونفشه . يريد أنهم يخلطون الكلام ثم يغربلونه ليستخرجوا أحسنه . وفي ب، س : «ماثوا» بالثاء المثلثة ، وهو أيضا بمعنى خلط .

(٣) كذا في جـ . وفي سائر الأصول : «فقال الرجل» وهو تحريف .

(٤) يعني حمادا الراوية المعروف . وجناد هو جناد بن واصل الكوفي مولى بني عاضدة ، من رواة الأخبار والأشعار لا علم له بالعربية ، وكان يصحف ويكسر الشعر ولا يميز بين الأعاريض المختلفة فيخلط بعضها ببعض ، وهو من علماء الكوفيين القدماء ، وكان كثير الحفظ في قياس حماد الراوية . (عن معجم الأدباء لياقوت ج ٢ ص ٤٢٥) .

قال هارون حدّثنى القاسم بن يوسف عن الأصمعىّ :
أنّ الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيُطيّرها[1] .

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحُباب قال أخبرنا محمد بن سَلّام قال سمعت سَلَمة بن عَيّاش وذكر أهلُ المجلس جريرًا والفرزدقَ والأخطلَ ففضّله سلمةُ عليهما. قال : وكان إذا ذُكر الأخطل يقول : ومَنْ مثل الأخطل وله فى كلّ [بيتِ] شعرٍ بيتان! ثم يُنشِد قوله : ٥

ولقد علمت إذا العشارُ تَرَوّحتْ * هَــدَجَ الرِّئال تَكُبُّهنّ شَمَـالا[2]
أنّا نُعَجِّـــلُ بالعَبِيط[3] لضَـــيفنا * قبل العِيـال ونضرب الأبطالا

ثم يقول ولو قال :

ولقد علمت إذا العِشا * رُ تروّحت هَدَجَ الرئال ١٠

كان شعرا، وإذا زدتَ فيه تكبهنّ شمالا، كان أيضا شعرا من رَوِىٍّ آخر .

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنى أبو يحيى الضَّبّىّ قال : كَعْبُ بن جُعَيل لَقّبه الأخطلَ، سمعه يُنشد هجاءً فقال : يا غلام إنك لأخْطَلُ اللِّسان، فلزمتْه .

سأل نوح بن جرير عنه أباه فمدحه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أحمد بن معاوية قال حدّثنا بعض أصحابنا عن رجل من بنى سَعْد قال : ١٥

(١) أى يذيعها . (٢) كذا فى ديوانه ص ٤٣ . والعشار من الابل : التى أتت عليها عشرة أشهر من ملقحها . وتروّحت : ذهبت فى الرواح . والرئال : أولاد النعام . والهدج : عدو متقارب . وقوله : تكبهن شمالا أى تكبهن الريح شمالا، يريد وهى هابة شمالا . وفى ب، س :

ولقد علمت اذا الرياح تناوحت * هـوج الرئال تكبهن شمالا ٢٠

وفى سائر الأصول : « ... الرياح تناوحت * هدج الرئال ... » . (٣) العبيط من اللحم : الطرى (الطازج) غير النضيج .

كنتُ مع نوح بن جرير فى ظِلّ شجرة ، فقلت له : قبّحك الله وقبح أباك ! أمّا أبوك فأفنَى عمرَه فى مديح عبد ثقيف (يعنى الحجّاج) . وأمّا أنت فامتدحتَ قُثَم ابن العبّاس فلم تهتد لمَناقبه ومَناقب آبائه حتى امتدحتَه بقصر بناه . فقال : والله لئن سُؤتَنى فى هذا الموضع لقد سُؤتُ فيه أبى : بينا أنا آكل معه يومًا وفى فيه لقمةٌ وفى يده أخرى، فقلت : يا أبتِ، أنت أشعر أم الأخطل ؟ فَجَرِضَ[1] باللُّقْمة التى ٥ فى فيه ورمى بالتى فى يده وقال : يا بُنَىَّ، لقد سَرَرْتَنى وسُؤتَنى . فأمّا سرورُك إيّاى فلتعهُّدكَ لى مثلَ هذا وسؤالك عنه . وأما ما سُؤتَنى به فلذِكْرِكَ رجلاً قد مات . يا بُنَىَّ أدركتُ الأخطلَ وله نابٌ واحد ، ولو أدركتُه وله ناب آخر لأكلنى به ، ولكنى أعاننى عليه خَصْلتان : كِبَرُ سِنّ، وخُبْثُ دِين .

آراء الأئمة والشعراء فيه

١٠ أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد قال :

سُئلَ حمّاد الراوية عن الأخطل، فقال : ما تسألونى عن رجلٍ قد حَبَّبَ شعرُه إلى النَّصرانيةَ ! .

١٧٢ / ٧

قال إسحاق وحدّثنى أبو عُبيدة قال قال أبو عمرو : لو أدرك الأخطلُ يومًا واحدًا من الجاهليّة ما قدّمتُ عليه أحدا .

١٥ قال إسحاق وحدّثنى الأصمعىّ أن أبا عمرو أنشد بيتَ شعر، فاستجاده وقال : لو كان للأخطل ما زاد .

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت عن الأصمعىّ عن أبى عمرو :

أنّ جريرا سُئل أىّ الثلاثة أشعر؟ فقال : أمّا الفرزدق فتكلّف منّى ما لا يُطيق . وأمّا الأخطل فأشدّنا اجتراءً وأرمانا للفرائص . وأمّا أنا فمدينة الشعر .

٢٠ (١) جرض : غص .

وقال ابن النطّاح حدّثنى الأصمعىّ قال :

إنما أدرك جريرٌ الأخطلَ وهو شيخٌ قد تحطّم . وكان الأخطل أسنّ من جرير، وكان جرير يقول : أدركته وله نابٌ واحد، ولو أدركتُ له نابين لأكلنى . قال : وكان أبو عمرو يقول : لوأدرك الأخطلُ يوماً واحدا من الجاهلية مافضّلتُ عليه أحدا .

٥ أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال :

قال العَلَاء بن جَرير : إذا لم يجئ الأخطلُ سابقًا فهو سُكَيْتٌ ، والفرزدقُ لا يجيء سابقًا [ولا سُكَيْتًا، وجرير يجيء سابقًا][1] ومُصَلّيًا وسُكَيْتًا .

وقال يعقوب بن السكّيت قال الأصمعىّ :

قيل لجرير : ما تقول فى الأخطل ؟ قال : كان أشدّنا اجتراءً بالقليل وأنعتَنا ١٠ للحُمُر[2] والخمر .

وروى إسماعيل بن عُبَيد الله عن مؤرِّج عن شُعْبة عن سِمَاك بن حَرْب :

أنّ الفرزدق دخل الكوفة ، فلقيه ضَوْءُ بن اللَّجْلَاج[3]، فقال له : مَنْ أمدحُ أهل الإسلام ؟ فقال له : وما تُريد الى ذلك؟ قال : تَمَارَيْنا فيه . قال : الأخطل أمدحُ العرب .

١٥ وقال هارون بن الزيّات حدّثنى هارون بن مسلم عن حَفْص بن عمر قال :

سمعتُ شيخا كان يجلس الى يونس كان يكنى أبا حَفْص، فحدّثه أنه سأل جريرًا عن الأخطل فقال : أمدَحُ الناسِ لكريمٍ وأوصَفُه للخَمْرِ . قال : وكان أبو عُبَيدة يقول : شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق . قال أبو عبيدة : وكان أبو عمرو يشبّه الأخطلَ بالنابغة لصحّة شعره .

٢٠ (١) التكلة عن الأغانى فيما تقدم فى ترجمة جرير ص ٦ من هذا الجزء . (٢) فى جـ : «للحم» .

(٣) كذا فى شرح القاموس (مادة «ضوأ») . وفى الأصول : «ضوء بن الجلاح» .

وقال ابن النطّاح حدّثني عبد الله بن رُؤْبة بن العجاج قال :

كان أبو عمرو يفضّل الأخطل .

وقال ابن النطّاح حدّثني عبد الرحمن بن بَرْزَخ قال : كان حمّاد يفضّل الأخطلَ على جرير والفرزدق . فقال له الفرزدق : إنما تفضّله لأنه فاسق مثلك . فقال : لو فضّلته بالفسق لفضّلتُك .

قال ابن النطّاح قال لي إسحاق بن مَرّار الشَّيْبانيّ : الأخطلُ عندنا أشعرُ الثلاثة . فقلت : يقال إنه أمدحُهم ! فقال : لا والله! ولكن أهجاهم . مَنْ منهما يُحْسن أن يقول :

ونحن رفعنا عن سَلُولَ رماحَنا * وعَمْدًا رَغِبنا عن دماء بني نَصْرِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال :

قال الأخطل : أشعرُ الناسِ قبيلةً بنو قَيْس بن ثَعْلَبة، وأشعرُ الناس بيتًا آلُ أبي سُلْمَى[1] وأشعر الناس رجل[2] في قميصي .

أنشد عبد الملك ابن مروان مدحه فيه فأجازه

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد قال حدّثني الخَرّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن حمّاد — هكذا قال، وأظنه عليّ بن مجاهد — قال :

قال الأخطل لعبد الملك : يا أمير المؤمنين ، زعم ابنُ المَراغة أنه يبلُغ مِدْحَتك في ثلاثة أيام وقد أقمتُ في مِدْحتك :

* خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك أو بَكَرُوا *

(١) يعني بيت زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي الأشهر . وفي ب، س، ج : «سلمة» وهو تحريف . (٢) كذا في الأصول . ومقتضى السياق أن يكون : «وأشعر الناس رجلا في قميصي» على أن يكون «رجل» تمييزا ، كما كانت «قبيلة» و «بيت» وأن يكون «في قميصي» خبرا .

١٧٣
٧

سنةً فما بلغتُ كُلّ ما أردتُ . فقال عبد الملك : فأسْمِعْنَاها[1] يا أخطلُ ؛ فأنشده إيّاها؛ فجعلتُ أرى عبد الملك يتطاول لها؛ ثم قال : وَيْحَك يا أخطل ! أتريد أن أكتب الى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ قال : أكتفى بقول أمير المؤمنين . وأمر له بجَفْنة كانت بين يديه فمُلِئتْ دراهمَ وألقى عليه خِلَعًا ، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب .

أنشد عبد الملك شعرا له وازنه بشعر لكثير

وقال ابن الزيّات حدّثنى جعفر بن محمد بن عُيَيْنة بن المِنْهال عن هشام عن عَوَانة قال :

أنشد عبدُ الملك قولَ كُثَيِّر فيه :

فما تَركوها عَنْوةً عن مودّة ۞ ولكن بحدِّ المَشْرَفِىِّ آستقالَها

فأعْجِب به . فقال له الأخطل : ما قلتُ لك والله يا أمير المؤمنين أحسنُ منه . قال : وما قلتَ؟ قال قلت :

أهَلُّوا[2] من الشهر الحَرامِ فأصبحوا ۞ مَوالِىَ مُلْكٍ لا طَرِيفٍ ولا غَصْبِ

جعلتَه لك حقًّا وجعلك أخذتَه غَصْبا؛ قال : صدَقتَ .

حلف باللات أنه أشعر من جرير والفرزدق

قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال أخبرنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا أبو دُقَاقة[3] الشامىّ مولى قريش عن شيخ من قريش قال :

رأيتُ الأخطل خارجًا من عند عبد الملك؛ فلما آنحدر دنوتُ منه فقلت : يا أبا مالك، مَنْ أشعرُ العرب؟ قال: هذان الكلبان المتعاقِران من بنى تميم . فقلت : فأين أنت منهما ؟ قال : أنا واللّاتِ أشعرُ منهما . قال : فحلَف باللّاتِ هُزؤا وآستخفافا بدينه .

---

(١) فى ب، س : «ما سمعناها» . (٢) أهلوا من الشهر الحرام : خرجوا فى استهلاله . وموالى ملك أى يتولونه . (٣) فى ح : «أبو دفافة» . بفاءين .

وروى هذا الخبرَ أبو أيّوب المَديني عن المدائني عن عاصم بن شِبْل الجَرْمي أنه سأل الأخطل عن هذا، فذكر نحوَه، وقال : واللّاتِ والعُزّى .

نصحه شيباني بألا يهجو جريرا

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال ذكر الجِرْمازي :

٥ أنّ رجلًا من بني شَيْبان جاء الى الأخطل فقال له : يا أبا مالك، إنّا، وإن كنّا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتّصال الحرب والعداوة، تجمعنا ربيعةُ ، وإنّ لك عندي نُصْحا . فقال : هاته، فما كَذَبتَ . فقلت : إنك قد هجوتَ جريرًا ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأنت غنيٌّ عن ذلك ولا سيما أنه يبسُط لسانه بما ينقبض عنه لسانُك ويَسُبّ ربيعةَ سبًّا لا تقدر على سبّ مُضَرَ بمثله والمُلْكُ فيهم والنبوّة قبله ؛

١٠ فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشارّته ومُهارّته . فقال : صدقتَ في نُصْحك وعرفتُ مُرادَك، وصَلَتْك رَحِمٌ ! فوالصَّليبِ والقُرْبان لأتخلّصنّ الى كُلَيْب خاصّةً دون مُضَر بما يَلْبَسُهم خِزْيُه ويَشْمَلُهم عارُه . ثم اعلم أنّ العالِمَ بالشعر لايُبالي وحقّ الصليب إذا مرّ به البيتُ المُعايِرُ(١) السائرُ الجيّد، أمُسْلِمٌ قاله أم نَصْراني .

أنشد عبد الملك من شعره وتخيله في حانوت بدمشق فبحث عنه فكان كما ظن

أخبرني وَكيع قال حدّثني أبو أيّوب المَديني عن أبي الحسن المدائني قال :

١٥ أصبح عبد الملك يومًا في غداة باردة، فتمثّل قولَ الأخطل :

إذا اصطبح الفتى منها ثلاثًا * بغير الماءِ حاول أن يَطُولا

مَشَى قرشيّةً لا شكّ فيها * وأرخَى من مآزِرِه الفُضُولا

ثم قال : كأنّي أنظر اليه الساعةَ مُجَلَّلَ(٢) الإزار مستقبِلَ الشمس في حانوت من حوانيت دِمَشْق، ثم بعث رجلًا يطلبه فوجده كما ذكره .

٢٠ (١) المعاير : المتداول بين الناس . وفي ب، س : «السائر» وهو أيضا السائر بين الناس .

(٢) لعل صوابه «مجللا بالإزار» أي متغط به .

قال أبو عمرو لأبى حية وقد أنشد معجبا بنفسه : كأنك الأخطل

وقال هارون بن الزيات حدّثنى طائع عن الأصمعىّ قال : أنشد أبو حيّة النُّميرىّ يومًا أبا عمرو :

يا لَمَعَدٍّ ويا للنّاس كلِّهمُ * ويا لَغائبهم يومًا ومَنْ شَهِدا

١٧٤/٧

كأنه مُعْجَبٌ بهذا البيت ؛ فجعل أبو عمرو يقول له : إنك لَتُعْجَبُ بنفسك كأنك الأخطل .

عرض عليه عبد الملك الاسلام وحواره معه فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا الغَلَابىّ عن عبد الرحمن التَّيْمىّ عن هشام ابن سليمان المخزومىّ :

أن الأخطل قدم على عبد الملك، فنزل على ٱبن سرحون[1] كاتبه . فقال عبد الملك : على مَنْ نزلتَ؟ قال : على فلان . قال : قاتلك الله! ما أعلمَكَ بصالح المنازل! فما تريد أن يُنَزِّلك[2]؟ قال: دَرْمَكٌ[3] من دَرْمَكِكم هذا ولحمٌ وخمر من بيت رأس[4] . ١٠

فضحك عبد الملك ثم قال له : وَيْلَك ! وعلى أىّ شىء ٱقتتلنا إلا على هذا ! . ثم قال : ألَا تُسْلِمُ فنفرِضَ لك فى الفَىْء[5] ونُعطيَك عشرة آلاف؟قال : فكيف بالخمر؟ قال : وما تصنع بها وإنّ أوّلها لَمُرّ وإن آخِرَها لَسُكْرٌ! فقال : أمّا إذ قلتَ ذلك فإن فيما بين هاتين لَمَنزلةً ما مُلْكُكَ فيها إلّا كَعُلْقة ماء من الفراتِ بالإصبع . فضحك ثم قال : ألّا تزور الحجّاج! فإنه كتب يستزيرك . فقال : أطائعٌ أم كاره؟ قال : ١٥ بل طائع . قال : ما كنتُ لأختار نوالَه على نوالك ولا قُرْبَه على قربك؛ إننى إذًا لَكَما قال الشاعر :

(١) كذا فى الأصول . والذى فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٣١٧) : «وكان كاتبه — يعنى عبد الملك — سرحون بن منصور الرومى» . وذكره الطبرى باسم «سرجون بن منصور الرومى» بالجيم ، وذكر أنه كان كاتبا لمعاوية بن أبى سفيان ثم لمعاوية بن يزيد بن معاوية . (٢) أى يقدّم لك النزل، وهو ما يهيأ للضيف من طعام وغيره . (٣) الدرمك : دقيق الحوارى . (٤) بيت رأس : اسم لقريتين فى كل واحدة منهما كروم كثيرة ، تنسب اليهما الخمر . (٥) فى جـ : «فنفرض لك فى ألفين» . ٢٠

كَمُبْتاعٍ ليركبَه حمارًا * تَخيَّره من الفرس الكبير[1]

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحجّاج، فمدحه بقوله :

صَرَمتْ حِبالَك زينبٌ ورَعُومُ[2] * وبَدا المُجَمْجَمُ[3] منهما المكتومُ

ووجّه بالقصيدة مع ابنه اليه وليست من جيِّد شعره .

حاج أبو غسان ابن خاقان ببيتين من شعره

٥ وقال هارون بن الزيّات حدّثنى محمد بن إسماعيل عن أبى غَسّانَ قال :

ذكروا الفرزدق وجريرا فى حَلْقة المدائنىّ ، فقلت لصَبَاح بن خَاقَان : أُنْشِدكَ

بيتين للأخطل وتجىء لجرير والفرزدق بمثلهما؟ قال : هات، فأنشدتُه :

أَلَمْ يأتِها أنّ الأراقِمَ[4] فَلَّقتْ * جَماجِمَ قَيْسٍ بين رَاذَانَ والحَضْرِ[5]

جَماجِمَ قومٍ لم يعافوا ظُلامةً * ولم يعرِفوا أينَ الوفاءُ من الغَدْرِ

١٠ قال : فسكت .

حديث يونس النحوى عن الأخطل وسبقه جريرا والفرزدق

قال إسحاق وحدّثنى أبو عبيدة أن يونس سُئل عن جرير والفرزدق والأخطل :

أيهم أشعر ؟ قال : أجمعت العلماء على الأخطل . فقلت لرجل الى جنبه : سَلْه

ومَنْ هم؟ فقال : مَنْ شئتَ، ابن أبى إسحاق وأبو عمرو بن العَلَاء وعيسى بن عمر

وعَنْبَسة الفِيل وميمون الأَقْرَن، هؤلاء طرَقوا الكلام وماشُوه لا كمن تحكُون عنه

١٥ لا بدويّين ولا نحويّين . فقلت للرجل : سَلْه : وبأىّ شىء فُضِّل على هؤلاء؟ قال :

بأنه كان أكثرهم عددَ قصائدَ طِوالٍ جِيادٍ ليس فيها فُحْش ولا سَقَط . قال أبو عُبيدة :

(١) فى ب، س : « عن » . (٢) كذا فى شعر الأخطل ص ٤٣ من النسخة التى نشرها أنطون صالحانى اليسوعى ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٣٧ أدب . ورعوم : اسم امرأة كما فى شرح القاموس . وفى الأصول : «زعوم» بالزاى المعجمة . (٣) جمجم فى صدره شيئا :

٢٠ أخفاه ولم يبده . (٤) الأراقم : حى من تغلب وهم جشم و بنو بكر ومالك والحارث ومعاوية .

(٥) الحضر : اسم مدينة بازاء تكريت بينها وبين الموصل والفرات . وراذان : قرية بنواحى نسا (بلد من خراسان) .

فنظرنا فى ذلك فوجدنا للأخطل عَشْرًا بهذه الصفة و إلى جانبها عَشْرًا إن لم تكن مثلَها فليست بدونها، ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثا . قال إسحاق : فسألت أبا عُبيدة عن العشر فقال :

* عَفَا واسِطٌ(١) من آل رَضْوَى(٢) فَنَبْتَلُ(٣) *

و * تأبّد الرَّبْعُ من سَلْمَى بأحفارِ(٤) *

و * خَفّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكَروا *

و * كَذَبتْك عينُك أم رأيتَ بواسِطٍ *

و * دَعِ المُعَمَّر لا تسأل بمَصْرَعِه *

و * لمن الديارُ بحائلٍ فَوُعَالِ *

قال إسحاق : ولم أحفظ بقيّة العَشْر . قال : وقصائد جرير :

* حىِّ الهِدَمْلةَ(٥) من ذات المَوَاعِيس *

و * ألا طرقتْكَ وأهلِى هُجُودُ *

و * أَهَوًى أَرَاكَ برامَتَيْنِ وَقُودا *

قال وقال أبو عُبيدة : الأخطل أشبه بالجاهليّة وأشدُّهم أَسْرَ شعرٍ وأقلُّهم سَقَطا . وأخبرنا الجوهرىّ عن عمر بن شَبّة عن أبى عُبَيدة مثلَه .

وفى بعض هذه القصائد التى ذُكِرت للأخطل أغانٍ هذا موضع ذكرها .

---

(١) واسط : فى عدة مواضع ، ومنها واسط الجزيرة ، وهى التى يعنيها الأخطل فى شعره ، لأن الجزيرة منازل تغلب قبيلة الأخطل . (٢) كذا فى شرح القاموس فى مادتى « وسط و رضى » ومعجم ما استعجم البكرى فى الكلام على نبتل و ياقوت فى الكلام على واسط . وفى جـ : « آل بنوى » . وفى سائر الأصول : « آل بندى » . ورضوى : اسم امرأة ، كما جاء فى القاموس . (٣) نبتل : موضع بنجد ، كذا فى معجم ما استعجم ، وساق البيت . (٤) أحفار : موضع فى بلاد بنى تغلب ، كذا فى معجم ما استعجم ، واستشهد بالبيت . (٥) أنظر شرحه فى ترجمة جرير ص ٨٤ من هذا الجزء .

منهـا :

صـــوت

تأبّد الرَّبْعُ من سَـــلْمَى بأحفارِ * وأقفرتْ من سُلَيْمَى دِمْنةُ الدارِ
وقد تحُــلُّ بهـا سَلْمَى تُحاذِبُنِي * تَسَاقُطَ الحَلْيِ حاجاتي وأسراري

٥ غنّاه عمــر الوادى هزجاً بالسـبّابة فى مجرى الوسطى . وسنذكر خبر هذا الشعر فى أخبـار عبد الرحمن بن حسّان لـمّا هجاه الأخطل وهجا الأنصار ، إذ كان هـذا الشعر قيل فى ذلك .

ومنهـا :

صـــوت

١٠ خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك وأبتكروا * وأزعجتْهـم نَوًى فى صَرْفِها غِـيَرُ
كأنّنى شاربٌ يومَ آسـتُبِدّ بهم * من قَهْوةٍ ضُمِّنَتْها حِمْصُ أو جَـدَرُ(١)
جادتْ بها من ذواتِ القـارِ مُتْرَعةٌ * كَلْفاءُ(٢) يَنْحَتُّ عن خُرْطومها المَدَرُ

غنّاه إبراهيم خفيفَ ثقيل بالبنصر . ولأبن سُرَيج فيه رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه رمل آخر يقال : إنه لعَـلُّويه ، ويقال : إنه لإبراهيم . وفيه لعَـلُّوية خفيفُ
١٥ ثقيلٍ آخر لا يُشَكّ فيه .

سأله عمر بن الوليد عن أشعر الناس فأجابه

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى ابن النطّاح عن أبى عمرو الشَّيْبانىّ عن رجل من كَلْب يقال له مهوش عن أبيه :

أنّ عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الناس ؛ قال : الذى كان اذا مدَح رفَع ، واذا هجـا وضَع . قال : ومَنْ هو ؟ قال : الأعشى . قال :
٢٠ ثم مَنْ ؟ قال : ابن العشرين (يعنى طَرَفة) . قال : ثم من ؟ قال : أنا .

(١) جدر . قرية بين حمص وسلمية ، تنسب اليها الخمـر . (٢) الكلف : حمرة كدرة . وينحت عن خرطومها المدر أى يفض ختام الطين الذى على فيها .

اخبر الراعى فى حضرة بشر بن مروان

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال أخبرنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْمىّ قال حدّثنا أبو قُحَافَةَ المُرّىّ عن أبيه قال :

دخل الأخطل على بِشْر بن مَرْوان وعنده الراعى ؛ فقال له بِشْرٌ : أنت أشعر أم هذا ؟ قال : أنا أشعر منه وأكرم . فقال للراعى : ما تقول ! قال : أمّا أشعر منّى فعسى ، وأمّا أكرم فإن كان فى أمّهاته من ولَدتْ مثَل الأمير فنعم . فلمّا خرج الأخطل قال له رجلٌ : أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك ! . قال : وَيْلَك ! إنّ أبا نسطوس وضع فى رأسى أكؤسًا ثلاثا ، فوالله ما أعقل معها .

استنشده عبد الملك ابن مروان فشرب خمرا ثم أنشده

قال : ودخل الأخطلُ على عبد الملك بن مَرْوان، فآستنشده ؛ فقال : قد يَبِس حَلْق ، فمُرْ مَنْ يسقينى . فقال : اسقُوه ماء . فقال : شراب الحمار ، وهو عندنا كثير . قال : فآسقُوه لبنا . قال : عن اللبن فُطِمتُ . قال : فآسقُوه عسلا . قال : شراب المريض . قال : فتُرِيد ماذا؟ قال : خمرًا يا أمير المؤمنين . قال : أوَعَهِدتَنى أسقِى الخمرَ لا أمّ لك ! لولا حُرْمتك بنا لفعلتُ بك وفعلت ! . فخرج فلقى فرّاشًا لعبد الملك فقال : وَيْلَك ! إنّ أمير المؤمنين آستنشدنى وقد صَحِلَ صوتى[1] ، فآسقِنى شربةَ خمر فسقاه ؛ فقال : اعْدِلْه بآخر فسقاه آخر . فقال : تركتَهما يعتركان فى بطنى ، اسقِنى ثالثا فسقاه ثالثا . فقال : تركتنى أمشى على واحدة ، اعدِلْ مَيْلى برابع فسقاه رابعا ؛ فدخل على عبد الملك فأنشده :

١٧٦ / ٧

خَفَّ القطينُ فراحوا منك وآبتكروا * وأزعجتْهم نَوًى فى صرفها غِيَرُ

فقال عبد الملك : خُذْ بيده يا غلام فأخْرِجْه ، ثم ألقِ[2] عليه من الخِلَع ما يغمُره ، وأحسن جائزتَه ، وقال : إنّ لكل قوم شاعرًا و إنّ شاعر بنى أُميّة الأخطل .

(١) صحل صوته : بح . (٢) فى ب ، س ، جـ : «ثم ألقى» بإثبات الياء على أن الفعل ماض . والسياق يحتمله .

حوار بينه وبين ذهلي في شعره وشعر الفرزدق

أخبرني أبو خَليفة إجازةً عن محمد بن سَلّام قال قال أبَانُ بن عثمان حدّثني سِمَاك بن حَرْب عن ضَوْء بن الّلجلاج[1] قال :

دخلتُ حمّامًا بالكوفة وفيه الأخطل ؛ قال فقال : مِمّن الرجل؟ قلت : من بني ذُهْل . قال : أتروِي للفرزدق شيئا ؟ قلت نعم . قال : ما أشعرَ خليلي! على أنه ما أسرعَ ما رجع في هِبَته . قلت : وما ذاك ؟ قال قوله :

أبَنِي غُدَانةَ[2] إنّني حَرّرتكم * فوَهبتُكم لعطيّة بن جِعَالِ

لولا عَطيّةُ لاَجتدعتُ أُنوفَكم * من بين الأمّ آنُفٍ وسِبَالِ[3]

وهبهم في الأوّل ورجع في الآخر . فقلت : لو أنكر الناس كلُّهم هذا ما كان ينبغي أن تُنكره أنت . قال : كيف ؟ قلتُ : هجوتَ زُفَر[4] بن الحارث ثم خَوّفتَ الخليفةَ منه فقلتَ :

بني أُميّةَ إنّي ناصحٌ لكمُ * فلا يَبِيتَنّ فيكم آمِنًا زُفَرُ

مفترشًا كافتراش الليث كَلْكَلَه * لوقعةٍ كائنٍ فيها له جَزَرُ[5]

مدحتَ عِكْرِمةَ بن رِبْعِيّ فقلتَ :

قد كنتُ أحسَبه قَيْنًا وأُخْبَرُه * فاليومَ طُيِّرَ عن أثوابه الشَّرَرُ

---

(١) في الأصول هنا : «الجلاح بن ضوء» . (أنظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٨٦ من هذه الترجمة) .

(٢) بنو غدانة : بطن من يربوع . وعطية بن جعال بن مجمع كان من ساداتهم . (راجع الأغاني ج ١٩ ص ٥٠ طبع بلاق) . (٣) سبلة الرجل : الدائرة التي في وسط الشفة العليا ، وقيل : السبلة : ما على الشارب من الشعر . (٤) هو زفر بن الحارث العامري الكلابي ، خرج على مروان بن الحكم بمرج راهط مع الضحاك بن قيس . (انظر الطبري ق ٢ ص ٤٧٤) .

(٥) جزر : قتلى .

قال[1] : لو أردتَ المبالغةَ فى هجائه مازدتَ على هذا . [فقال له الأخطل[2]] : والله لولا أنك من قوم سبَق لى منهم ما سبَق لهجوتُك هجاءً يدخل معك قبرك . ثم قال :

ما كنتَ هاجىَ قومٍ بعد مَدْحِهِمُ * ولا تُكَدِّرُ نُعمَى بعـد ما تَجِبُ

أُخْرُجْ عنّى .

هو وزفر بن الحارث فى حضرة عبد الملك ابن مروان

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى أحمد بن إسماعيل الفِهْرِىّ[3] عن أحمد بن عبد العزيز ابن علىّ بن ميمون عن مَعْن بن خَلاد عن أبيه قال :

لمّـا استنزَل عبدُ الملك زُفَرَ بن الحارث الكِلابىّ من قِرْقِيسيا[4] ، أقعده معه على سريره ؛ فدخل عليـه ابن ذى الكَلَاع[5] . فلما نظر اليه مع عبـد الملك على السرير بكى . فقال له : ما يُبكيك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف لا أبكى وسيفُ هذا يقطُر من دماء قومى فى طاعتهم لك وخِلَافِه عليك ، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض ! قال : إنى لم أُجلسه معى أن يكون أكرمَ علىّ منك ؛ ولكنّ لسانه لسانى وحديثه يُعجِبُنى . فبلغتِ الأخطلَ وهو يشرب فقـال : أمَا والله لأقومَنّ فى ذلك مقامًا لم يقُمْه ابن ذى الكَلَاع ! ثم خرج حتى دخل على عبد الملك . فلما ملأ عينَه منه قال :

وكأسٍ مثلِ عين الدِّيك صِرْفٍ * تُنَسِّى الشاربين لها العقولَا

إذا شَرِب الفـتَى منهـا ثلاثًا * بغـير المـاء حاول أن يَطُولَا

مَشَى قُرَشِـيّةً لا شـكّ فيها * وأرخَى من مآزِره الفُضـولا

(١) كذا فى أ ، م . وفى سائر الأصول : «فقال» ، على أن سياق الكلام غير محتاج الى هـذه الكلمة . (٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) كذا ورد هذا الاسم فى الأصول .

(٤) قرقيسيا : بلد على الفرات قرب رحبـة مالك بن طوق . (٥) هو ابن ذى الـكلاع الحميرى ، شهد صفين مع معاوية ، وكان من رجالاته . (انظر الطبرى ق ١ ص ٣٢٧٢ ، ٣٢٨٣ ، ٣٢٨٦ طبع أوربا) .

فقال له عبد الملك : ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خُطّةٌ فى رأسك . قال : أجَلْ والله يا أمير المؤمنين حين تُجْلِس عدوّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس :

وقد يَنْبُتُ المَرْعَى على دِمَنِ الثَّرَى(١) * وتبقَى حزازاتُ النفوسِ كما هيا

قال: فقبض عبدالملك رجلَه ثم ضرب بها صدْرَ زُفَرَ فقلبه عن السرير وقال : أذْهَبَ الله حزازاتِ تلك الصدور . فقال : أَنشُدُكَ الله يا أمير المؤمنين والعهدَ الذى أعطيتَنى ! . فكان زُفَرُ يقول : ما أيقنتُ بالموت قطُّ إلا تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال .

١٧٧ / ٧

قال إنى فضلت الشعراء وأنشد من عيون شعره

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى هارون بن مُسْلِم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حَنْظَلَةَ الشَّيْبانىّ قال :

قال الأخطل : فَضَلْتُ الشعراءَ فى المديح والهجاء والنَّسيب بما لا يُلْحَق بى فيه . فأمّا النَّسيب فقولى :

ألَا يا اَسْلَمِى يا هندُ هندَ بنى بَدْرِ * وإن كان حَيَّانَا عِدًى(٢) آخرَ الدَّهْرِ

من الخَفِراتِ البِيضِ أمّا وِشاحُها * فيجرى وأمّا القُلْبُ(٣) منها فلا يجرى

تموت وتحيا بالضجيع وتلتوى * بمُطَّرِدِ المَتْنَيْنِ مُنْبَتِرِ الخَصْرِ

وقولى فى المديح :

نفسى فداءُ أميرِ المؤمنين إذا * أبدى النَّواجذَ يومًا عارِمٌ(٤) ذَكَرُ

الخائضُ الغَمْرةِ الميمونُ طائرُه * خليفةُ الله يُسْتَسْقَى به المَطَرُ

(١) يقول : قد يبدو على وجه المرء البشر وفى قلبه الحقد والعداوة، مثل نبات الدمن يبدو حسن المنظر ومنبته خبيث ردىء . (٢) كذا فى ديوانه طبع بيروت (ص ١٢٨) وتجريد الأغانى ونسخة الشنقيطى مصححة بقلمه . وفى الأصول : « وإن كان حيا قاعدا ... الخ » وهو تحريف .
(٣) القلب : السوار . (٤) العارم : الشديد الشرس .

وقولى فى الهجاء :

وكنتَ اذا لَقِيتَ عبيدَ تَيْمٍ * وتيماً قلتَ أيُّهُمُ العبيدُ
لئيمُ العالَمين يَسُودُ تَيْماً * وسيِّدُهم وإن كَرِهوا مَسُودُ

قال عبد الخالق : وصدَق لعَمْرى، لقد فَضَلَهم .

تزوج مطلقة أعرابى فذكرته، وكان هو طلق زوجته وشعره فى ذلك

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عمر بن شَبّة عن أحمد بن معاوية عن محمد بن داود قال : ٥

طَلَّق أعرابىٌّ آمرأتَه فتزوّجها الأخطل؛ وكان الأخطل قد طلّق آمرأته قبل ذلك . فبينا هى معه إذ ذكرتْ زوجَها الأوّل فتنفّست؛ فقال الأخطل :

كِلانَا على هَمٍّ يبيتُ كأنما * بجَنْبَيْهِ من مَسِّ الفِراش قُروحُ
على زوجِها الماضى تنوحُ وإننى * على زوجتى الأُخْرى كذلك أنوحُ ١٠

حديثه مع عبد الملك بن المهلب

أخبرنى الحسن بن علىّ قال أخبرنا أحمد بن زُهَيْر بن حَرْب عن خالد بن خِدَاش :

أنّ الأخطل قال لعبد الملك بن المُهَلَّب : ما نازعتْنى نفسى قطُّ الى مدح أحدٍ ما نازعتنى الى مَدْحِكم، فأَعطِنى عطيّةً تبسُط بها لسانى ؛ فوالله لأُرَدِّيَنَّكم أرديةً لا يذهب صِقَالُها الى يوم القيامة . فقال : أَعْلَمُ والله يا أبا مالك أنك بذلك ملىء؛ ١٥ ولكنى أخاف أن يبلُغ أميرَ المؤمنين أنّى أُسألُ فى غُرْمٍ وأُعطى الشعراء فأهلِك ويظنّ ذلك منّى حيلةً . فلما قدِم على إخوته لامُوه كل اللَّوْم فيما فعله . فقال : قد أخبرتُه بعُذْرِى .

حديث جرير عنه

أخبرنى أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال قال أبو الخطّاب حدّثنى نوح بن جرير قال : ٢٠

قلت لأبى : أنت أشعرُ أم الأخطلُ؟ فنَهَرنى وقال : بئس ما قلتَ! وما أنت وذاك لا أمّ لك! فقلت : وما أنا وغيره! قال : لقد أُعِنتُ عليه بكُفر وكِبَر سِنّ، وما رأيتُه إلّا خَشِيتُ أن يبتلعنى .

حديث أبى عمرو عن منزلة الأخطل

أخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ عن دَمَاذ عن أبى عُبَيْدة قال :

٥ قال رجل لأبى عمرو : يا عجبًا للأخطل! نَصْرانىّ كافر يهجو المسلمين! . فقال أبو عمرو : يالُكَع! لقد كان الأخطل يجىء وعليه جُبّة خَزّ وحِرْزُ خَزّ، فى عنقه سلسلةُ ذهب فيها صليب ذهب تنفُض لحيتُه خمرًا حتى يدخل على عبــد الملك بن مَرْوان بغير إذن .

١٧٨ / ٧

رأى أبى العسكر فيــه وفى جرير والفرزدق

وقال هارون حدّثنى أحمد بن إسماعيل الفِهْرِىّ عن أحمــد بن عبد الله بن علىّ ١٠ الدّوْسىّ عن مَعْقِل بن فلان عن أبيه عن أبى العَسْكر قال :

كنّا بباب مَسْلَمَة بن عبــد الملك ، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة ، فقال أصحابى : حَكّمناك وتراضَيْنا بك . فقلت : نعم، هم عندى كأفراسٍ ثلاثةٍ أرسلتهن فى رِهانٍ، فأحدُها سابقُ الدهرَ كلّه، وأحدُها مُصَلٍّ، وأحدُها يجىء أحياناً سابقَ الريح وأحياناً سُكَيْتاً وأحياناً متخلّفًا . فأمّا السابق فى كل حالاته فالأخطل . وأمّا المصلّى فى كل ١٥ حالاته فالفرزدق . وأمّا الذى يسبق الريح أحياناً ويتخلّف أحياناً فجرير، ثم أنشد له :

سَرَى لهمُ ليــلٌ كأنّ نجومَه * قناديلُ فيهنّ الذُّبَالُ المُفَتَّلُ

وقال : أحسن فى هذا وسبَق . ثم أنشد :

التّغلِبيّــةُ مَهْرُها فَلْسانِ * والتغلَبىّ جِنازةُ الشّــيْطانِ

وقال : تخلّف فى هذه . فخرجنا من عنده على هذا .

حديثه هو والفرزدق مع فتى من أهل اليمامة

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى محمد بن عمرو الجُرْجانىّ عن أبيه :

أنّ الفرزدق والأخطل، بينا هما يشربان وقد اجتمعا بالكوفة فى إمارة بِشْر ابن مروان إذ دخل عليهما فتًى من أهل اليَمَامة، فقالا له : هل تَرْوِى لجرير شيئا؟ فأنشدهما :

لو قد بعثتُ على الفرزدقِ مِيسَمِى * وعلى البَعِيثِ لقد نكحتُ الأخطلَا

فأقبل الفرزدق فقال : يا أبا مالك، أتُراه إنْ وَسَمَنِى يتوَرّكك على كِبَرِ سِنّك! ففزِع الفتى فقام وقال : أنا عائذٌ بالله من شرّكما . فقالا : اجلس لا بأسَ عليك! ونادماه بقيةَ يومهما .

الفرزدق فى ضيافته

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال أخبرنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو يَعْلَى قال حدّثنى عبد السلام بن حَرْب قال :

نزل الفرزدق على الأخطل ليلًا وهو لا يعرفه، فجاءه بعَشَاء ثم قال له : إنّى نَصْرانىّ وأنت حَنِيفٌ، فأىُّ الشراب أحبُّ اليك؟ قال : شرابُك . ثم جعل الأخطل لا يُنْشِد بيتا إلا أتمّ الفرزدق القصيدة . فقال الأخطل : لقد نزل بى الليلةَ شَرٌّ، مَنْ أنت؟ قال : الفرزدق بن غالب . قال : فسجَد لى وسجدتُ له . فقيل للفرزدق فى ذلك، فقال : كَرِهتُ أن يفضُلَنى . فنادى الأخطلُ : يابنى تَغْلِبَ هذا الفرزدق . فجمعوا له إبلًا كثيرة . فلما أصبح فرّقها ثم شخَص .

كان خبيث الهجاء فى عفة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

كان ممّا يُقَدّم به الأخطل أنه كان أخبثَهم هجاءً فى عَفَاف[1] عن الفحش . وقال الأخطل : ما هجوتُ أحدًا قطُّ بما تستحى العذراءُ أن تُنْشِده أباها .

(١) فى الأصول : «فى عفاف من الفحش» .

أجازيتا ليزيد بن معاوية

أخبرنى أحمد وحبيب بن نصر المُهَلَّبى قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى محمد بن عبّاد المَوْصِلى قال :

خرج يزيد بن معاوية معه عامَ حَجّ بالأخطل . فاشتاق يزيدُ أهلَه فقال :

بَكَى كلُّ ذى شَجْوٍ من الشأم شاقهُ * تَهامٍ فأنّى يلتــقِى الشَّجِيَانِ

٥ أَجِزْ يا أخطل؛ فقال :

يغورُ الذى بالشأم أو يُنجِدُ الذى * بغَــوْرِ تِهـاماتٍ فيلتقيـانِ

١٧٩ / ٧

مدح أبو العباس شعرا له فى بنى أمية

أخبرنى أحمد وحبيب قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

قيل لأبى العبّاس أمير المؤمنين : إنّ رجلًا شاعرًا قد مدَحك، فتسمع شعرَه؟ قال : وما عسى أن يقول فىّ بعد قول ابن النّصْرانيّة فى بنى أُمَيّة :

١٠ شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أحلامًا اذا قَدَرُوا

أخبرنى به وَكِيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِى بمثله .

حادثة له مع أمه

قال هارون وحدّثنى هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التَّيمى عن أبى بُرْدة الفَزارى عن رجل من تَغْلِب قال :

لَحَظ الأخطل شَكْوةً[1] لأُمّه فيها لبن وجِرابًا فيه تمر وزبيب ، وكان جائعا ١٥ وكان يُضَيِّق عليه ؛ فقال لها : يا أُمّه ، آلُ فلان يزورونكِ ويقضُون حقّكِ وأنتِ لا تأتينهم وعندهم عليــلٌ ، فلو أتيتِهم لكان أجمــلَ وأولى بكِ . قالت : جُزِيتَ خيرًا يا بُنَىّ ! لقــد نبّهتَ على مَكْرُمة . وقامت فلبست ثيابهــا ومضت اليهــم . فمضى الأخطلُ الى الشّكوة ففرّغ ما فيهــا والى الجراب فأكل التمر والزبيب كلّه .

(١) الشكوة : وعاء من جلد للماء واللبن .

وجاءت فلحظت موضعَها فرأته فارغًا، فعلمتْ أنه قد دهاها، وعمَدت الى خَشَبة لتضربَه بها؛ فهرَب وقال :

ألَمَّ عـلى عِنَبات العجوزِ * وشَكْوَتِها من غِيَاثٍ[1] لَمَمْ

فظلّتْ تُنادى ألاَ وَيْلَها * وتَلْعَن واللعنُ منها أَمَمْ[2]

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت هذه القصة، فحكى أنها كانت مع آمرأةٍ لأبيه لها منه بنون، فكانت تُؤْثرهم باللّبن والتمر والزبيب وتبعَث به يرعَى أعنُزًا لها . وسائرُ القصة والشعر متّفق . وقال فى خبره : وهذا أوّل شعر قاله الأخطل .

نسب بأمامة ورعوم ابنتى سعيد بن إياس

أخبرنى الحسن بن علىّ عن آبن مَهرويه عن علىّ بن فَيْرُوز عن الأصمعىّ عن أَمَامَةَ ورَعُومَ اللّتين قال فيهما الأخطل :

* صَرَمتْ أَمَامةُ حبلَها ورَعومُ *

١٠

ورَعُومُ وأُمامةُ بنتا سَعِيد بن إيَاس بن هانئ بن قَبِيصة، وكان الأخطل نزل عليه فأطعمه وسقاه خمرًا وخرجتا وهما جُوَيْرِيتان تخدمانه . ثم نزل عليه ثانيةً وقد كَبِرتا فحُجِبتا عنه؛ فسأل عنهما وقال : فأينَ آبنتاى؟ فأُخْبِر بكبرهما، فنسَب بهما . قال : والرَّعُوم هى التى كانت عند قُتَيْبة بن مُسْلِم وكان يقال لها أُمّ الأخماس، تزوّجت فى أخماس[3] البَصْرة محمدَ بن المهلّب وعامرَ بن مِسْمَع وعبّادَ بن الحُصَيْن وقتيبةَ بن مُسْلِم؛ وكان يقال لها الجارُود .

١٥

(١) غياث : اسم الأخطل، كما مر فى أوّل الترجمة . (٢) أمم : قريب يسير .

(٣) أخماس البصرة : خمسة . فالخمس الأوّل العالية، والخمس الثانى بكر بن وائل، والخمس الثالث تميم، والخمس الرابع عبد القيس، والخمس الخامس الأزد . وفى ب، س، جـ : «الأحماس» بالحاء المهملة، وهو تصحيف .

٢٠

كان حكم بكر بن وائل

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيدى قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنى قال قال أبو عبد الملك :

كانت بكر بن وائل اذا تشاجرتْ فى شىء رَضِيتْ بالأخطل، وكان يدخل المسجدَ فيَقْدَمون اليه . قال : فرأيته بالجزيرة وقد شُكِيَ الى القَسّ وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه[1] وهو يَصِىء[2] كما يَصىء الفَرْخ . فقلت له : أين هذا مما كنت فيه بالكوفة ؟ فقال : يابن أخى، اذا جاء الدِّين ذَلَلنا .

استنشده داود بن المساور فأنشده ثم سأله عن أشعر الناس فأجابه

وقال يعقوب بن السِّكِّيت زعم غَيْلان عن يحيى بن بِلَال عن عمر بن عبد الله عن داود بن المُسَاوِر قال :

دخلتُ الى الأخطل فسلّمت عليه ، فنسبنى[3] فانتسبت، واستنشدته فقال : أُنْشِدك حبّة قلبى، ثم أنشدنى :

١٨٠ / ٧

لَعَمْرِى لقد أَسْرَيتُ لا ليلَ عاجز * بسَلْهَبة[4] الخَدَّيْنِ ضاويةِ القُرْبِ[5]

إليكَ أميرَ المؤمنين رَحَلْتُها * على[6] الطائرِ الميمون والمنزلِ الرَّحْبِ

فقلت : مَنْ أشعرُ الناس؟ قال : الأعشى . قلت : ثمّ مَنْ؟ قال : ثم أنا .

أعطاه هشام فاستقل عطاءه وفرّقه فى الصبيان

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه عن أبى أيّوب المَدينىّ عن المدائنىّ قال :

امتدح الأخطلُ هشامًا فأعطاه خمسمائة درهم، فلم يرضها وخرج فاشترى بها تُفّاحًا وفرّقه على الصِّبيان . فبلغ ذلك هشامًا فقال : قبّحه الله! ما ضرّ إلّا نفسَه .

(١) كذا فى ب، س . وفى سائر الأصول : «وضربه فعضله ...» . (٢) يصىء : يصيح .
(٣) نسبنى : سألنى أن أنتسب . (٤) سلهبة الخدين : طويلتهما . (٥) القرب : الخاصرة . (٦) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «عن الطائر ...» وهو تحريف .

تمثل هشام بشطر بيت فى ناقة، فأتمه جرير والفرزدق وهو فأخذها

وقال يعقوب بن السكّيت حدّثنى سَلَمة النُّمَيْرِىّ — وتُوُفِّى وله مائةٌ وأربعون سنة — أنه حضر هشامًا وله يومئذ تسعَ عَشْرَةَ سنة وحضر جريرٌ والفرزدق والأخطل عنده، فأحضر هشامٌ ناقةً له فقال متمثّلا :

* أَنِخْها ما بَدَالى ثم أَرْحَلُها *

ثم قال : أيكم أتمّ البيتَ كما أُريد فهى له . فقال جرير :

* كأنّها نِقْنِقٌ[1] يَعْدُو بصَحْراءِ *

فقال : لم تصنع شيئا . فقال الفرزدق :

* كأنّها كاسرٌ[2] بالدَّوّ فَتْخاءُ *

فقال : لم تُغنِ شيئا . فقال الأخطل :

* تُرْخِى المَشافِرَ واللَّحْيينِ إرخاءَ * ١٠

فقال : اركبها لاحملك الله ! .

هجته جارية من قومه فحذر أباها ثم هجاها

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى الخرّاز عن المدائنى قال :

هجتِ الأخطلَ جاريةٌ من قومه ؛ فقال لأبيها : يا أبا الدَّلْماء، إن ابنتك تعرّضتْ لى فاكْفُفْها . فقال له : هى امرأةٌ مالكةٌ لأمرها . فقال الأخطل :

أَلَا أَبْلِغْ أبا الدَّلْماءِ عنّى * بأن سِنانَ شاعرِكم قصيرُ ١٥

فإنْ يَطْعَنْ فليس بذى غَناءٍ * وإن يُطْعَنْ فَطَعْنَتُه يسيرُ

متى ما أَلْقَه ومعى سِلاحى * يَخِرّ على قفاه فلا يُحِيرُ[3]

فمشى[4] أبوها فى رجال من قومه الى الأخطل فكلّموه؛ فقال : أمّا ما مضى فقد مضى ولا أزيد .

(١) النقنق : الظليم وهو ذكر النعام . (٢) الدوّ : الفلاة الواسعة . والكاسر : العقاب . والفتخاء : اللينة الجناح لأنها اذا انحطت كسرت جناحيها وغمزتهما . (٣) فى شعر الأخطل ص ١١٨ : «يخر على القفا وله نخير» . (٤) فى ب، س : «فمضى» . ٢٠

وصيته عند موته

أخبرنا أبو خَليفة إجازةً عن محمد بن سَلّام قال :

لمّا حضرتِ الأخطلَ الوفاةُ قيل له : يا أبا مالك، ألَا تُوصِى ؟ فقال :

أُوَصِّى الفرزدق عند المماتِ * بأُمِّ جريرٍ وأعيارِها

وزار القبورَ أبو مالكٍ * برغم العُداة وأوْتارِها

رأى ابن سلام فى شعره وشعر جرير

اخبرنا أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سَلّام قال قال لى معاوية بن أبى عمرو ابن العَلَاء : أىُّ البيتين عندك أجودُ : قول جرير :

ألستم خيرَ مَنْ رَكِب المَطَايَا * وأَنْدَى العالمين بُطُونَ رَاحِ

أم قول الأخطل :

شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتَقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أحلامًا إذا قَدَرُوا

١٠ فقلت : بيتُ جرير أحلى وأسْيَر، وبيتُ الأخطل أجْزَل وأرْزَن . فقال : صَدقتَ، وهكذا كانا فى أنفسهما عند الخاصّة والعامّة .

رأى حماد الراوية فى شعره

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الحلَبِىّ وجعفر بن سعيد أنّ رجلًا سأل حمّادًا الراوية عن الأخطل فقال : وَيْحكم ! ما أقول فى شعر رجل قد واللهِ حَبَّبَ[1] الىّ شعرُه النّصْرانية ! .

١٨١ / ٧

فضله كثير من العلماء على صاحبيه

١٥ أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو عثمان الأشْنانْدانىّ[2] عن أبى عُبَيْدة قال : كان يونس بن حَبيب وعيسى بن عُمَر وأبو عَمْرو يفضّلون الأخطل على الثلاثة[3] .

---

(١) فى ب، س : « قد والله حبب الىّ شعر النصرانية » . (٢) فى أ، م : «الاشناناداى» . (٣) لعل صوابها : « من الثلاثة » أو « على الاثنين » .

فضله عمر بن عبد العزيز على جرير

وقال هارون بن الزيّات حدّثنى أبو عثمان المازنىّ عن العُتْبىّ عن أبيه :

أنّ سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز : أجريرٌ أشعرُ أم الأخطلُ ؟ فقال له : أعْفِنى . قال : لا والله لا أُعفيك . قال : إنّ الأخطل ضيّق عليه كفرُه القولَ، وإنّ جريرًا وسّع عليه إسلامُه قولَه ؛ وقد بلغ الأخطلُ منه حيث رأيتَ . فقال له سليمان : فضّلتَ والله الأخطلَ .

أثنى عليه الفرزدق

قال هارون وحدّثنى أبو عثمان عن الأصمعىّ عن خالد بن كُلْثُوم قال :

قال عبد الملك للفرزدق : مَنْ أشعرُ الناسِ فى الإسلام؟ قال : كفاك بآبن النّصْرانيّة اذا مدَح .

مهاجاته جريرا فى حضرة عبد الملك وقصة أبى سواج

أخبرنا أحمد وحبيب قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

حُدِّثتُ أنّ الحجّاج بن يوسف أوفد وفدًا الى عبد الملك وفيهم جريرٌ. فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدُعِى له ؛ فلما دخل عليه قال له : يا أخطل، هذا سَبُّك — يعنى جريرا، وجريرٌ جالسٌ — فأقبل عليه جريرٌ فقال : أين تركتَ خنازيرَ أمّك؟! قال: راعيةً مع أعيار أُمِّك[1]؛ وإن أتيتنا قَرَيْناك منها . فأقبل جريرٌ على عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ رائحة الخمرِ لتفوحُ منه . قال : صدَق يا أمير المؤمنين ، وما آعتذارى من ذلك ! .

تَعيبُ الخمرَ وهى شرابُ كِسْرَى * و يشرَب قومُك العَجَبَ العجيبَا

مَنِيُّ العبدِ عبدِ أبى سُوَاجٍ * أحَقُّ من المُدامةِ أن تَعيبا

فقال عبد الملك : دعوا هذا، وأَنْشِدْنى ياجرير، فأنشده ثلاثَ قصائدَ كلُّها فى الحجّاج يمدَحه بها، فأحفظ عبدُ الملك، وقال له : يا جرير، إنّ الله لم ينصر الحجّاج و إنما نَصر خليفته ودينه . ثم أقبل على الأخطل فقال :

(١) فى تجريد الأغانى وطبقات ابن سلام : « مع أعيار أبيك » .

شُمْسُ العـــداوةِ حتى يُستقادَ لهم * وأعظمُ النـاسِ أحلامًا اذا قَدَروا

فقال عبد الملك : هذه المُزَمِّرة، والله لو وُضِعتْ على زُبَرِ الحديدِ[1] لأذابتها . ثم أمر له بخِلَعٍ فخُلِعتْ عليه حتى غاب فيها ، وجعل يقول : إنّ لكل قومٍ شاعرًا ، و إنّ الأخطل شاعرُ بنى أُميّة .

فأمّا قول الأخطل :

* مَنِيّ العبدِ عبدِ أبى سُوَاجِ *

فأخبرنى بخبر أبى سُـوَاجٍ علىّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبّاس اليزيدىّ قالا حدّثنا أبو سـعيد السُّكّرىّ قال حدّثنا محمـد بن حَبِيبَ وأبو غَسّان دَمَاذ عن أبى عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنّى أنّ أبا سُوَاجٍ وهو عَبّاد بن خَلَف الضَّبّىّ جاور بنى يَربوع ، وكانت له فرسٌ يقال لها بَذْوة[2] ، وكان لِصُرَد بن جَمْرة اليَربُوعىّ فرس يقال لها القَضِيب ، فتراهنا عشرين بعشرين ، فسبقت بَذْوةُ فظلمه ابن جَمْرةَ حقّه ومنعه سَبَقَه[3] ، وجعل يفجُر بامرأته . ثم إنّ أبا سُوَاج ذهب الى البَحْرَين يمتارُ ، فلما أقبل راجعا ، وكان رجلًا شديدًا مُعْجَبًا بنفسه ، جعل يقول وهو يَحْدو :

* يا ليتَ شِعْرِى هل بَغَتْ من بعدى *

فسمع قائلًا يقول من خَلْفه :

* نَعَمْ بمكوِىٍّ قَفـاهُ جَعْـدِى *

فعاد الى قوله فأجابه بمثل ذلك . وقَدِم الى منزله فأقام به مدّةً ، فتغاضَبَ صُرَدُ على امرأة أبى سُوَاج وقال : لا أرضَى أو تَقُدِّى من آست أبى سُوَاج سيرًا . فأخبرتْ زوجَها بذلك فقام إلى نعجةٍ له فذبحها وقَدّ من باطن أَلْيَتَيْهَا سيرًا فدفعه اليها ، فحمله

182 / 7

(1) الزبرة : القطعة الضخمة من الحديد . (2) كذا فى تجريد الأغانى وشرح القاموس مادة «سوج» وفى الأصول «ندوة» . (3) السبق بفتح الباء الخطر الذى يوضع بين أهل السباق .

صُرَدُ بن جَمْرة فى نعله ، فقال لقومه : إذا أقبلتُ وفيكم أبو سُوَاج فسلُونى من أين أقبلت ففعلوا، فقال : من ذى بِلِيَّان[1] وأريد ذا بِلِيّان، وفى نعلى شرًا كان، من آست إنسان . فقام أبو سُوَاج : فطرح ثوبه وقال : أنشدكم اللهَ ! هل ترون بأسا ؟ ثم أمر أبو سُوَاج غلامين له راعيَيْن أن يأخذا أمَةً له فيتراوحاها ، ودفع إليهما عُسًّا وقال : لئن قطرتْ منكما قطرةٌ فى غير العُسّ لأقتلنّكما . فباتا يتراوحانها و يصُبّان ما جاء منهما فى العُسّ ، وأمرهما أن يحلُبا عليه حَلَبا حتى ملأه، ثم قال لآمرأته : والله لتسقِنّه صُرَدَ أو لأقتلنّك : وآختبأ وقال : ابعثى اليـه حتى يأتيكِ ففعلتْ . وأتاها لعادتها كما كان يأتيها ، فرحّبتْ به وآستبطأته ثم قامت إلى العُسّ فناولته إيّاه . فلما ذاقه رأى طعمًا خبيثًا وجعل يتمطّق[2] من اللبن الذى يشرب وقال : إنى أرى لبنكم خاثرًا ، أحسب إبلكم رعتِ السَّعْدان . فقالت : إنّ هذا من طُول مُكثه فى الإناء، أقسمتُ عليك إلّا شربتَه . فلما وقع فى بطنه وجد الموتَ ، فخرج الى أهله ولا يعلم أصحابُه بشىء من أمره . فلما جَنّ على أبى سُوَاج اللّيل أتى أهلَه وغلمانَه فانصرفوا الى قومه وخلّف الفرسَ وكلبَه فى الدار؛ فجعـل الكلب ينبح والفرس يصهل ، وذلك ليظنّ القومُ أنّه لم يرتحل . فساروا ليلتهم والدارُ ليس فيها غيرُه وكلبِه وفرسِه وعُسِّه . فلما أصبح ركب فرسَه وأخذ العُسَّ فأتى مجلسَ بنى يَرْبُوع فقال : جزاكم الله من جيرانٍ خيرا ! فقد أحسنتم الجوار ، وفعلتم ما كنتم له أهلًا . فقالوا له : يا أبا سُـوَاج ، ما بَدَالك فى الآنصراف عنّا؟ قال : إنّ صُرَدَ بن جَمْرة لم يكن فيما بينى و بينه محسـنًا ، وقد قلتُ فى ذلك :

---

(١) ذو بليان : موضـع وراء اليمن ، وقال أبو نصر : أقصى الأرض ، وقال غيره : ذو بليان من أعمال هجر . كذا فى معجم ما استعجم البكرى . وقد جاء فى معجم البلدان لياقوت : ذو بليان موضع فى قصة أبى سواج الضبيّ .

(٢) يتمطق : يتذوق .

إنّ المَنِىَّ إذا سَرَى * فى العبد أصبح مُسْمَغِدًا[(١)]

أتُسَالُ سَلْمَى باطِـلًا * وخُلِقْتُ يوم خُلِقتُ جَلْدَا

صُرَدَ بنَ جمرةَ هـل لَقِيـ * ـتَ رثيئةً لبنًا وعَصْدَا[(٢)]

وآعلموا أنّ هـذا القَدَح قد أحبَل منكم رجلًا وهو صُرَد بن جَمْرة . ثم رَمى بالعُسّ على صخرة فانكسر وركَض فرسَه . وتنادَوْا : عليكم الرجلَ ، فأعجزهم ولَحِق بقومه . وقال فى ذلك عمر بن لجأ التَّيْمىّ :

تُمسِّحُ يربوعٌ سِبالًا لئيمةً * بها من مَنِىِّ العبدِ رَطْبٌ ويابسُ

وإيّاهُ عَنَى الأخطلُ بقوله :

* ويشرَب قومُك العَجبَ العجيبا *

حبسه القس ثم أطلقه بشفاعة هاشمى

١٠ أخبرنا أبو خَليفةَ قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال زعم محمد بن حَفْص بن عائشة التَّيْمىّ عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطّلب قال :

قَدِمتُ الشامَ وأنا شابٌّ مع أبى ، فكنت أطوفُ فى كنائسها ومساجدها ، فدخلتُ كنيسةَ دِمَشْق ، وإذا الاخطلُ فيها محبوس ، فجعلتُ أنظر اليه . فسأل عَنِّى فأُخْبِر بنسبى ، فقال : يافتى ، إنك لَرجلٌ شريف ، وإنى أسألك حاجةً . فقلت : حاجتُك

١٥ مقضيّةٌ . قال : إنّ القَسّ حبَسنى هاهنا فتكلِّمه لِيُخَلِّىَ عنّى . فأتيتُ القَسّ فانتسبتُ له ، فرحّب وعظَّم ، قلت : إنّ لى اليك حاجةً . قال : ما حاجتك ؟ قلت : الأخطلُ تُخَلِّى عنه . قال : أُعيذُك بالله من هذا ! مثلُك لا يتكلّم فيه ، فاسقٌ يشتُم أعراضَ الناس ويهجوهم ! فلم أزل أطلُب اليه حتى مضى معى متّكئا على عصاه ، فوقف عليه

١٨٣ / ٧

(١) كذا فى تجريد الأغانى . والمسمغد : المرتوى من اللبن . وفى ب، س « مصمغدا » . وفى حـ : «مسمدا» بالسين . وفى سائر الأصول «مصمدا» بالصاد ، وكله تحريف . (٢) الرثيئة : اللبن الحامض . والعصد : تحريك العصيدة بالمسواط فتنقلب فلا يبقى فى الإناء منها شىء الا انقلب .

٢٠

ورفع عصاه وقال : ياعَدُوَّ الله ! أتعود تَشتمُ الناس وتهجوهم وتقذف المُحْصَنات ! وهو يقول: لستُ بعائدٍ ولا أفعل، ويَسْتَخْذِى له . قال : فقلت له : يا أبا مالك، الناسُ يَهابونك والخليفةُ يُكرمك وقَدْرُك فى النـاس قَدْرُك ، وأنت تخضع لهذا هذا الخضوعَ وتستخذى له ! . قال : فجعل يقول لى : إنّه الدِّين ! إنه الدِّين ! .

مر به أسقف فأمر امرأته أن تمسح به

أخبرنا اليزيدىّ عن عمه عُبيد الله عن ابن حَبيبَ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال : كانت امرأة الأخطل حاملاً، وكان متمسِّكا بدينـه . فمّر به الأُسْقُفُ يوماً . فقال لهـا : الحَقِيه فتَمَسَّحِى به؛ فعدَتْ فلم تلحَق إلاّ ذَنَبَ حمـاره فتمسّحتْ به ورجعتْ . فقال لهـا : هو وذنب حماره سواء .

هنأه هشام بالإسلام فأجابه

أخبرنا أبو خَليفة قال حدّثنا ابن سَلّام قال حدّثنى يونس قال قال أبو الغَرّاف: سمِـع هشامُ بن عبد الملك الأخطلَ وهو يقول :

وإذا افتقرتَ إلى الذخائرِ لم تَجِدْ * ذُخْراً يكون كصالحِ الأعمالِ

فقال: هنيئًا لك أبا مالك هذا الإسلام ! . فقال له : يا أميرالمؤمنين (١)، ما زلتُ مُسْلِمًا فى دِينى .

وفد على الغضبان ابن القبعثرى فى حمالة نفر فى عطاءين، وقصة ذلك

أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا ابن سَلّام قال حدّثنى يونُس وعبـد الملك وأبو الغَرّاف، فألّفتُ ما قالوا، قالوا :

أتى الأخطلُ الكوفةَ، فأتى الغَضْبانَ بن القَبَعْثَرَى (٢) الشَّيْبانىّ فسأله فى حَمَالة، فقال: إن شئت أعطيتُك ألفين ، وإن شئتَ أعطيتُك درهمين . قال : وما بالُ الألفين

(١) ورد فى ترجمته فى ذيل ديوانه طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت أن الأخطل توفى فى خلافة الوليد بن عبد الملك نحو سنة ٧١٠ ميلادية . وهشام بن عبد الملك ولى الخلافة بعد ذلك . وقد ورد هذا الخبر فى طبقات الشعراء لابن سلام (ص ١١٥ طبعة أوربا) وليس فيه كلمة «يا أمير المؤمنين»

(٢) الغضبان بن القبعثرى من أشراف العراق، وكان من دعاة المروانية أيام حرب عبـد الملك بن مروان مصعب بن الزبير . (انظر الطبرى جـ ٢ ص ٨٠٤ من القسم) .

وما بال الدرهمين ؟ قال : إن أعطيتُك ألفين لم يُعْطكَها إلّا قليلٌ ، وإن أعطيتُك درهمين لم يبقَ فى الكوفة بَكْرِىٌّ إلّا أعطاك درهمين ؛ وكتبنا إلى إخواننا بالبَصْرة فلم يبقَ بكرىٌّ بها إلّا أعطاك درهمين ، فخفّتْ عليهم المئونةُ وكَثُر لك النَّيْل . فقال : فهذه إذًا . فقال : نَقْسِمها لك على أن تَرِد علينا . فكتب بالبصرة الى سُوَيْد بن مَنْجُوف السَّدُوسىّ[1] فقدِم البَصْرةَ — فقال يونس فى حديثه — : فنزل على آل الصَّلْت بن حُرَيْث الحنفىّ ؛ فأخبر مَنْ سمعه يقول[2] : والله لا أزال أفعل ذلك . ثم رجع الحديث الأوّل : فأتى سويدًا فأخبره بحاجته . فقال نعم ! وأقبل على قومه فقال : هذا أبو مالكٍ قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له ، وهو الذى يقول :

إذا ما قلتُ قد صالحتُ بَكْرًا * أَبَى البَغضاءُ والنَّسبُ البعيدُ

وأيّامٌ لنا ولَهُم طِوَالٌ * يَعَضّ الهامَ فيهنّ الحديدُ

ومُهْراقُ الدماءِ بوارِداتٍ[3] * تَبِيدُ المُخْزِياتُ ولا تَبِيدُ

هُمَا أخوانِ يَصطلِيانِ نارًا * رِداءُ الحربِ بينهما جديدُ

فقالوا : فلا والله لا نُعطيه شيئا . فقال الأخطلُ :

فإنْ تَبخَلْ سَدُوسُ بدِرْهَمَيْها * فإنّ الرِّيحَ طَيّبةٌ قَبُولُ[4]

تَوَاكَلَنِي[5] بنو العَلّاتِ[6] منهم * وغالتْ مالكًا ويزيدَ غُولُ[7]

(١) سويد بن منجوف : من أشراف البصرة . (انظر الكلام عليه فى الطبرى ق ٢ ص ٤٤٣ ، ٧٧٩) . (٢) فى ب ، س : « ... سمعه بأنه يقول ... » .

(٣) يريد يوم واردات وهو يوم كان بين بكر وتغلب فى حروبهما (انظر الكلام مفصلا عليه فى ج ٥ ص ٥٣ من الأغانى من هذه الطبعة) . (٤) القبول : هى ريح الصبا . (٥) تواكل القوم : اذا اتكل بعضهم على بعض فى الأمر . (٦) يقال : هم بنو العلات : اذا كان الأب واحدا والأمهات شتى . (٧) يريد مالك بن شيبان الجحدرى من قيس بن ثعلبة ، ويزيد بن الحارث ابن يزيد بن رويم الشيبانىّ صاحب شرطة الحجاج .

صَرِيعًا وائــلٍ هَلَكَا جميعًــا * كأنّ الأرضَ بعــدَهما مُحُولُ[1][2]

وقال فى سُوَيْد بن مَنْجُوف — وكان رجلا ليس بذى منظر — :

وما جِذْعُ سَوْءٍ خَرَّبَ السُّوسُ أصلَه * لِـمَا حَمَّلتْــه وائــلٌ بمُطِيــقِ

١٨٤
٧

كان مع مهارته وشعره يسقط أحيانا

أخبرنا أبو خَليفة قال قال محمد بن سَلّام :

كان الأخطلُ مع مَهَارته وشعره يسقُط أحياناً : كان مدح سِماكًا الأَسَدىَّ، وهو سِمَاك الهالكىّ من بنى عمرو بن أسد، وبنو عمرو يلقَّبون القُيُونَ، ومسجد سِمَاك بالكوفة معروف ، وكان من أهلها ؛ فخرج أيام علىّ هارباً فلَحِق بالجزيرة ، فمدحه الأخطل فقال :

نعم المُجِــيرُ سِمَاكٌ من بنى أَسَــدٍ * بالقــاع إذ قتلت جيرانَهــا مُضَرُ

قد كنتُ أحسَــبه قَيْنًا وأُخْبَرُه * فاليــومَ طُيِّرَ عن أثوابه الشَّرَرُ

إنّ سمــاكًا بنى مجــدًا لأُسرته * حتى الممــاتِ وفعلُ الخير يُبْتــدَرُ

فقال سِمَــاك : يا أخطلُ، أردتَ مَدْحِى فهجوتَنِى، كان النــاس يقولون قولًا فحقّقتَه . فلمــا هجا سُــوَيْدًا قال له سُــوَيْد : والله يا أبا مالك ، ما تُحْسِن تهجو ولا تمدح؛[3] لقد أردتَ مَدْحَ الأَسَدىّ فهجوتَه — يعنى قوله :

قد كنتُ أحسَــبه قينًا وأُنْبَؤُه * فاليــومَ طُيِّرَ عن أثوابه الشَّرَرُ

إنّ سمــاكًا بنى مجــدًا لأُسرته * حتى الممــاتِ وفعلُ الخير يُبْتــدَرُ

— وأردتَ هِجائى فمدحتَنى، جعلتَ وائلًا حَمَّلَتْنى أمورَها، وما طَمِعتُ فى بنى تَغْلب فضلًا عن بكر .

(١) فى ديوانه (طبع بيروت ص ١٢٥) : « قريعا وائل » ويعنى بهما بكرا وتغلب .

(٢) كذا فى ديوانه وفى الأصول « محول » وهو تحريف . (٣) المعنى على تقدير « أن » أى ما تحسن أن تهجو ولا أن تمدح .

أبى الصلاة فى مسجد بنى رؤاس وهجاهم

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال حدّثنى أَبَانُ البَجَلِيّ قال :

مرّ الأخطل بالكوفة فى بنى رُؤَاس[1] ومؤذّنُهم يُنادى بالصلاة . فقال له بعض فتيانهم : ألَا تدخل يا أبا مالك فتصلّىَ ؟ فقال :

أُصَلّى حيث تُدرِكُنى صَلاتِى * وليس البِرُّ عنــد بنى رُؤَاسِ

خلا فى نزهة مع صديق له فطرأ عليهما ثقيل فهجاه

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال حدّثنى أبو الحُصَيْن الأُمَوِىّ قال :

بينا الأخطلُ قد خلا بجُمَيْرة له فى نُزْهة مع صاحب له ، وطرأ عليهما طارئٌ لا يعرفانِه ولا يَستخِفّانِه ، فشرِب شرابَهما وثقُل عليهما . فقال الأخطل فى ذلك :

صــوت

وليس القَذَى بالعُودِ يسقُط فى الإنَا * ولا بذُبابٍ خَطْبُــه أيسرُ الأمرِ

١٠ ولكنّ شخصًــا لا نُسَرُّ بقُــرْبِه * رمَتْنا به الشيطانُ من حيث لا ندرى

ويُرْوَى :

* ولكن قَذَاها زائرٌ لا نُحِبُّه *

وهو الجيّــد . الغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيــلٍ بالوسطى عن عمرو . وقد أخبرنا بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أسَد قال حدّثنا العُمَرىّ

١٥ قال حدّثنا الهَيْثم بن عَدِىّ عن آبن عيّاش قال :

بينا الأخطلُ جالسٌ عنــد آمرأةٍ من قومه ، وكان أهلُ البَدْو إذ ذاك يتحدّث رجالُهم إلى النساء لا يرون بذلك بأسًا ، وبين يديه باطِيةُ شَرابٍ والمرأةُ تُحدّثه وهو يشرب ، إذ دخل رجلٌ فجلس ، فثقُل على الأخطل وكرِه أن يقول له قُم آستحياءً منه . وأطال الرجل الجلوسَ إلى أن أقبل ذُبابٌ فوقع فى الباطية فى شرابه ؛ فقال

٢٠ الرجل : يا أبا مالك ، الذُّبابُ فى شَرابك . فقال :

(١) بنو رؤاس : حى من بنى عامر بن صعصعة ، وهو رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

١٨٥ / ٧

وليس القَذَى بالعود يسقُط فى الخمر * ولا بذُبَابٍ نَزْعُــه أيسرُ الأمرِ
ولكن قَذاها زائرٌ لا نُحِبّــه * رمتْنا به الغيطانُ من حيث لا ندرى

قال : فقام الرجل فانصرف .

وأخبرنى عمّى رحمه الله بهذا الحديث عن الكُرَانىّ عن الزِّيادىّ عن علىّ بن الحفّار أخى أبى الحجّاج[1] :

٥

أنّ الأخطل جاء إلى مَعْبَد فى قَدْمة قدِمها إلى الشأم . فقال له مَعْبَد : إنّى أحبّ محادثتَك . فقال له : وأنا أحبّ ذلك . وقاما يتصبّحان الغُدْرانَ[2] حتى وقفا على غدير فنزلا وأكلا، فتبعهما[3] أعرابىّ فجلس معهما . وذكر الخبر مثل الذى قبله .

لهى دعوة شاب من أهل الكوفة وشعره فى ذلك

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال قال أَبَان بن عثمان حدّثنى أبى قال :

١٠

دعا الأخطلَ شابٌّ من شَبَاب أهل الكوفة إلى منزله . فقال له : يابن أخى، أنت لا تحتمل المئونةَ وليس عندك مُعْتَمَدٌ؛ فلم يزل به حتى أتبعه، فأتى الباب فقال : يا شَقْراء، فخرجتْ إليه امرأةٌ، فقال لأُمّه : هذا أبو مالك قد أتانى؛ فباعتْ غَزْلًا لها واشترت له لحمًا ونبيذًا وريحانًا . فدخل خُصًّا لها فأكل معه وشرب، وقال فى ذلك :

وبيتٍ كظهر الفيل جُلُّ متاعِه * أباريقُــه والشاربُ المُتَقَطِّرُ[4]
ترى فيه أثلامَ الأُصَيص[5] كأنّها * إذا بال فيها الشيخُ جفرٌ[6] مُعوّرُ

١٥

لَعَمْرُك ما لاقيتُ يومَ معيشــةٍ * من الدهرِ إلّا يومُ شقراءَ أقصرُ
حَوَارِيّةٌ لا يدخــل الذّمُّ بيتَها * مُطَهَّرةٌ يأوِى إليهـا مُطَهَّــرُ

---

(١) فى جـ : « عن على بن على الحفار أخى أبى الحجاج » . (٢) يتصبحان الغدران : يأتيانها صباحا . (٣) فى الأصول « فتبعهم » وهو تحريف . (٤) كذا فى أكثر الأصول وشعر الأخطل . والمتقطر : المصروع . وفى ب، س : « الشادن المتعطر » .

٢٠

(٥) الأصيص : أسفل الدن كان يوضع ليبال فيه . (٦) الجفر : البئر الواسعة . والمعور : المكبوس بالتراب . وفى ب، س : « نحير مقور » وهو تحريف .

وذكر هارون بن الزيّات هذا الخبر عن حمّاد عن أبيه أنه كان نازلًا على عِكْرِمة الفيّاض وأنه خرج من عنده يومًا، فمرّ بفتيان يشربون ومعهم قَيْنةٌ يقال لها شَقْراء. وذكر الخبرَ مثل ما قبله، وزاد فيه: فأقام عنـدهم أربعة أيّام. وظنّ عِكرِمةُ أنه غضب فانصرف عنه. فلما أتاه أخبره بخبره، فبعث الى الفتيان بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف، فمضى بها اليهم وقال: استعينوا بهذه على أمركم. ولم يزل ينادمهم حتى رحل.

حكم بين جرير والفرزدق بأمر بشر بن مروان

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال حدّثني أبو يحيى الضّبّيّ قال: اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بِشْر بن مَرْوان، وكان بِشْرٌ يغْرِى بين الشعراء. فقال للأخطل: آحكُمْ بين الفرزدق وجرير. فقال: أعْفِنى أيها الأمير. قال: آحكم بينهما، فاستعفاه بجُهْده فأبى إلا أن يقول؛ فقال: هذا حكمٌ مشئومٌ؛ ثم قال: الفرزدق يَنْحِتُ من صخْر، وجريرٌ يغرف من بحـر. فلم يرضَ بذلك جرير، وكان سببَ الهجاء بينهما. فقال جرير في حُكومته:

يا ذَا الغباوة إنّ بِشْرًا قد قضَى (١) * ألّا تجوزَ حكومةُ النَّشْوانِ
فدَعُوا الحكومةَ لستُم من أهلِها * إنّ الحكومةَ في بني شَـيْبانِ
قتَلوا كُلَيْبَكُمُ (٢) بِلَقْحةِ جارِهمْ * يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستمُ بِهِجانِ

فقال الأخطل يردّ على جرير:

ولقـد تَناسبتمْ (٣) إلى أحسابكم * وجعلتمُ حَكَمًا من السُّلطانِ

---

(١) في جـ: «ياذا العباءة». (٢) يشير الى حادثة كليب وجساس بن مرة الشهيرة. واللقحة: الناقة الحلوب. (٣) في ديوانه ص (٢٧٤): «ولقد تجاريتم على أحسابكم».

فإذا كُلَيْبٌ لا تُساوِى دارِمًا * حتى يُساوِىَ حَزْوَرٌ[1] بأَبَانِ

١٨٦ / ٧

وإذا جعلتَ أباكَ فى مِيزانهم * رَجَحُوا وشالَ أبوكَ فى الميزانِ

وإذا وردتَ الماءَ كان لدارِمٍ * عِفْوَاتُه[2] وسهولةُ الأعطانِ

ثم آستطارا فى الهجاء .

مناقضة بينه وبين جرير

أخبرنى أبو خَلِيفةَ قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنا أبو الغَرّاف قال :

لما قال جرير :

إذا أخَذتْ قَيْسٌ عليكَ وخِنْدِفٌ * بأقطارِها لم تَدْرِ من أين تَسْرَحُ

قال الأخطل[3] . لا أين ! سَدّ واللهِ علىّ الدنيا . فلما أُنشد قولَه :

فما لك فى نَجْدٍ حَصَاةٌ تَعُدّها * وما لك من غَوْرَىْ تِهامَةَ أبطَحُ

قال الأخطل : لا أُبالى واللهِ ألّا يكونَ فُتِحَ لى والصَّليبِ القولُ ، ثم قال :

١٠

ولكنْ لنا بَرُّ العِراقِ وبَحْرُه * وحيثُ تَرَى القُرْقُورَ[4] فى الماءِ يَسْبَحُ

استشهد تغلبى بشعر لجرير فى محاورة بينه وبين تيمى

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلّام قال حدّثنى محمد بن الحَجّاج الأُسَيِّدىّ قال :

خرجتُ الى الصائفة[5] فنزلتُ منزلًا ببنى تَغْلِبَ فلم أجِدْ به طعامًا ولا شرابًا ولا عَلَفًا لدوابّى شِرًى ولا قِرًى ولم أجد ظِلًّا ، فقلت لرجل منهم : ما فى داركم هذه مسجد

(١) حزورم : جبيل فوق الهضبة فى ديار بنى أسد . (عن شرح القاموس مادة حزرم) . وأبان : جبل شرقى الحاجر فيه نخل وماء ، ويعرف بالأبيض ، وهو أيضا جبل لبنى فزارة وهو المعروف بالأسود ، وبينهما ميلان وقيل فيهما غير ذلك . (انظر معجم البلدان لياقوت وشرح القاموس مادة أبن) .

١٥

(٢) عفوة كل شىء : صفوته وكثرته . والعطن : مناخ الإبل حول الورد .

(٣) فى ج ، م ، أ : « فلما أنشدها الأخطل قال ... » .

(٤) القرقور : السفينة العظيمة . (٥) فى أ ، م : « الطائف » والصائفة : الغزو فى الصيف .

٢٠

يُستَظَلُّ فيه ؟ فقال : ممّن أنت ؟ قلت : من بنى تميم . قال : ما كنتُ أرى عمّك جريرًا إلّا قد أخبرك حين قال :

فينا المساجدُ والإمامُ ولا ترى * فى آلِ تَغلِبَ مسجدًا معمورا

لقيه جرير حين خرج الى الشام فتناشدا وتمارقا

أخبرنى أبو خَليفة قال أنبأنا محمد بن سَلّام قال حدّثنى شيخ من ضُبَيْعة قال: خرج جريرٌ إلى الشأم فنزل منزلًا ببنى تَغلِبَ فخرج متلثّمًا عليه ثيابُ سفره ، فلقيه رجلٌ لا يعرفه . فقال : ممّن الرجل؟ قال : من بنى تميم . قال : أمَا سمعتَ ما قلتُ لغاوى بنى تميم؟! فأنشده مما قال لجرير . فقال : أمَا سمعتَ ما قال لك غاوى بنى تميم ؟! فأنشده . ثم عاد الأخطل وعاد جريرٌ فى نَقْضه حتى كثُر ذلك بينهما . فقال التغلبىّ : من أنت ؟ لا حيّاك الله ! والله لكأنك جرير . قال : فأنا جرير . قال : وأنا الأخطل .

دخل على عبد الملك وهو سكران فخلط فى كلامه وأنشده

أخبرنى عمّى قال أنبأنا الكُرّانىّ قال أنبأنا أبو عبد الرحمن عن المدائنىّ قال : دخل الأخطل على عبد الملك وقد شرب، فكلّمه فخلّط فى كلامه . فقال له : ما هذا ؟ فقال :

إذا شرِب الفتى منها ثلاثًا * بغير الماء حاول أن يَطُولَا

مشى قُرَشِيّةً لا عيبَ فيها * وأرخَى من مآزره الفُضولا

نزل به الفرزدق ضيفا فى طريقه الى الشام فتناشدا وتمارقا

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل قال أخبرنى إسماعيل بن أبى محمد اليزيدىّ قال أخبرنى أبو محمد اليزيدىّ قال : خرج الفرزدق يؤُمّ بعض الملوك من بنى أميّة ، فرُفِع له فى طريقه بيتُ أحمر من أدَم، فدنا منه وسأل فقيل له : [بيت](1) الأخطل . فأتاه فقال : أنزل . فلمّا نزل قام

(1) زيادة يقتضيها السياق .

إليه الأخطلُ وهو لا يعرفه إلا أنه ضيفٌ ، فقعدا يتحدّثان . فقال له الأخطل :
ممّن الرجل ؟ قال : من بنى تميم . قال : فإنك إذًا من رَهط أخى الفرزدق . فقال :
تحفظ من شعره شيئا؟ قال : نعم كثيرًا . فما زالا يتناشدان ويتعجّب الأخطل من
حفظه شعرَ الفرزدق إلى أن عمِل فيه الشراب ، وقد كان الأخطلُ قال له قبل ذلك :
أنتم معشرَ الحَنيفيّة لا ترون أن تشربوا من شرابنا . فقال له الفرزدق : خَفِّضْ قليلاً ٥
وهاتِ من شرابك فاسْقِنا . فلمّا عمِلت الرّاحُ فى أبى فِرَاس قال : أنا والله الذى
أقول فى جرير فأنشده . فقام إليه الأخطل فقبّل رأسه وقال : لا جزاك الله عنّى
خيرًا ! لِمَ كتمتَنى نفسَك منذ اليوم ! وأخذا فى شرابهما وتناشُدهما ، إلى أن قال له
الأخطل : والله إنك وإيّاى لأشعرُ منه ولكنه أُوتِى من سَيرِ الشعر ما لم نُؤْتَه ؛
قلت أنا بيتًا ما أعلم أنّ أحدًا قال أهجَى منه ، قلت : ١٠

قومٌ إذا آستنبح الأضيافُ كلبَهُمُ * قالوا لأُمّهِمُ بُولِى على النارِ

فلم يَرْوِه إلّا حُكماء أهل الشعر . وقال هو :

والتغلبىّ إذا تنحنح للقِرَى * حَكّ آستَه وتمثّلَ الأمثالا

فلم تبقَ سُقاة ولا أمثالُها إلا روَوْه . فقضَيا له أنه أسْيَرُ شعرًا منهما .

كان له دار ضيافة فمر به عكرمة الفياض وهو لا يعرفه فأكرمه

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال المدائنىّ : ١٥
كان للأخطل الشاعر دارُ ضيافة ، فمرّ به عِكْرِمة الفيّاض وهو لا يعرفه ، فقيل
له : هذا رجل شريف قد نزل بنا . فلمّا أمسى بعث إليه فتعشّى معه ، ثم قال
له : أتُصيب من الشراب شيئا؟ قال نعم . قال : أيّه؟ قال : كلَّه إلّا شرابَك .
فدعا له بشراب يُوافقه ، وإذا عنده قَينتانِ هما خلفَه وبينه وبينهما سِترٌ ، وإذا
الأخطل أشهب اللِّحية له ضفيرتان ؛ فغمز الستر بقضيبٍ فى يده وقال : غنّيانى بأردية ٢٠
الشعر ، فغنّتاه بقول عمرو بن شَأْس :

وبِيضٍ تَطَلَّى بالعَبيرِ كأنما * يَطَأْنَ وإن أَعنقنَ[1] في جُدَدٍ وَحْلا

لَهَوْنا بها يومًا ويومًا بشاربٍ * إذا قلتَ مغلوبًا وجدتَ له عقلا

السبب في مدحه عكرمة بن ربعي الفياض

فأمّا السبب في مدح الأخطل عِكْرِمةَ بن رِبْعيّ الفيّاض فأخبرنا به أبو خَليفة عن محمد بن سلّام قال:

قدِم الأخطل الكوفةَ فأتى حَوْشَبَ بن رُوَيْم الشَّيْبانيّ، فقال: إني تحمّلتُ حَمَالتين لأَحقِن بهما دماء قومي فنَهَره، فأتى سَيّارَ بن البَزِيعة، فسأله فٱعتذر اليه، فأتى عِكْرِمةَ الفيّاض، وكان كاتبًا لبِشْر بن مَرْوان، فسأله وأخبره بما رَدّ عليه الرجلان؛ فقال: أمّا إني لا أنهرُك ولا أعتذر اليك، ولكني أعطيك إحداهما عينًا والأخرى عَرَضًا. قال: وحدَث أمرٌ بالكوفة فٱجتمع له الناس في المسجد، فقيل له: إن أردتَ أن تكافئ عِكْرِمة يوما فاليوم. فلبِس جُبّة خَزٍّ وركب فرسًا وتقلّد صليبًا من ذهب وأتى باب المسجد ونزل عن فرسه. فلما رآه حَوْشَب وسيّار نَفِسا عليه ذلك، وقال له عِكْرِمة: يا أبا مالك، فجاء فوقف وٱبتدأ[2] يُنشد قصيدته:

* لِمَنِ الدِّيارُ بحائلٍ فوُعالِ *

حتى ٱنتهى إلى قوله:

إنّ ٱبنَ رِبْعيٍّ كفاني سَيْبُهُ * ضِغْنَ العدوِّ وغَدْرةَ المُحتالِ[3]

أغْلَيتَ حين تواكَلَني وائلٌ * إنّ المكارمَ عند ذاك غَوالِ

ولقد مَنَنْتَ على ربيعةَ كلِّها * وكَفَيْتَ كلَّ مُواكِلٍ خَذّالِ

كابن البَزِيعة أو كآخَرَ مثلِه * أوْلَى[4] لك ٱبنَ مُسِيمةِ الأجمالِ

(١) الإعناق: سير فسيح سريع. والجدد: الطرق. (٢) عبارة تجريد الأغاني: «فلما رآه حوشب وسيار [...] بها؛ فقال له عكرمة الفياض: إلينا يا أبا مالك؛ فابتدأ ينشده قصيدته». (٣) وردت هذه الأبيات في ديوانه ص ١٥٩ باختلاف يسير عما هنا. (٤) أولى لك: ويل لك فهي كلمة تقال في مقام التهديد والوعيد وقال الأصمعي معناه: قاربك ما تكره أي نزل وحاق بك.

إنَّ اللَّئيم إذا سألتَ بَهَرْتَه * وترى الكريمَ يَراحُ[1] كالمختال

وإذا عدلتَ به رجالًا لم تَجِدْ * فيضَ الفُرات كراشحِ الأوشالِ

١٨٨ / ٧

قال : فجعل عِكْرِمة يبتهج ويقول : هذه واللهِ أحبُّ إلىَّ من حُمْر النَّعَم .

ومما فى شعر الأخطل من الأصوات المختارة :

صـــوت

من المـائة المختـارة

أراعكَ بالخابورِ[2] نوقٌ[3] وأجمالُ * ودارٌ عَفَتْها الرِّيحُ بعدى بأذيالِ

ومَبْنَى قِبَابِ المـالكيّة حَوْلَنا * وجُرْدٌ تَعَادَى بين سَهْلٍ وأجبالِ

عروضه من الطويل . الشعر للأخطل . والغناء لابن محرز ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف رمل فى هذا الوجه ١٠ نسبه يحيى المكىّ إلى ابن محرز ، وذكر الهشامىّ أنه منحول . وفيه لحُنَين الحِيرىّ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشامىّ .

---

(١) راح الانسان الى الشىء : إذا نشط له وسرّ به . (٢) الخابور : نهر بين رأس عين والفرات ، وهو أيضا واد بالجزيرة . (٣) فى جـ : «برق» .

ذكر سائب خاثر ونسبه

نسب سائب خاثر

كان سائب خاثر مولى بنى لَيْث . وأصلُه من فَىْء كِسْرَى، وآشترى عبدُ الله آبن جعفر ولاءَه من مواليه، وقيل : بل آشتراه فأعتقه، وقيل : بل كان على وَلائه لبنى لَيْث، وإنما آنقطع إلى عبد الله بن جعفر فلزمه وعُرِف به . وكان يبيع الطعام بالمدينة . وآسم أبيه الذى أعتقه بنو ليث "يشا"(١) .

هو أوّل من عمل العود بالمدينة وغنى به وأخذ عنه المغنون الأولون

قال ابن الكَلْبىّ وأبو غسّان وغيرُهما : هو أوّل من عمل العُودَ بالمدينة وغنّى به . وقال آبن خُرْدَاذْبه : كان عبد الله بن عامر آشترى إماءً صَنّاجات(٢) وأتى بهنّ المدينة، فكان لهنّ يومٌ فى الجمعة يلعبن فيه، وسمِع الناسُ منهنّ، فأخذ عنهنّ . ثم قدِم رجل فارسىٌّ يسمّى بنَشِيط، فغنّى فأُعْجِب عبدُ الله بن جعفر به . فقال له سائب خاثر : ١٠ أنا أصنع لك مثلَ غِناء هذا الفارسىّ بالعربيّة، ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد صنع :

* لِمَنِ الدِّيارُ رسومُها قَفْرُ *

قال ابن الكلبىّ : وهو أوّل صوت غُنِّى به فى الإسلام من الغناء العربىّ المُتْقَن الصنعة . قال : ثم آشترى عبد الله بن جعفر نَشِيطًا بعد ذلك، فأخذ عن سائب ١٥ خاثر الغناء العربىّ وأخذ عنه آبنُ سُرَيج وجميلةُ ومَعْبَد وعَزّةُ المَيْلاءُ وغيرُهم .

---

(١) فى ج : «يشا» بالياء الموحدة . وفى تجريد الأغانى : «يسار» . (٢) كذا فى نهاية الأرب (ج ٤ ص ٢٣٧ من الطبعة الأولى) . والصناجات : اللاعبات بالصنج وهو صفيحة مستديرة من نحاس تضرب بأخرى مثلها، وهو أيضا شىء ذو أوتار تختص به العجم . وفى الأصول : «نائحات» .

قتل يوم الحرة

قال ٱبن الكلبىّ وحدّثنى أبو مِسْكين قال :

كان سائب خاثر يُكْنَى أبا جعفر، ولم يكن يضرب بالعود إنما كان يَقْرَع بقَضِيب ويغنّى مرتجِلًا، ولم يزل يغنّى . وقُتل يومَ الحَرّة . ومرّ به بعض القُرَشيّين وهو قتيل، فضربه برجله وقال : إنّ هاهنا لحنجرةً حسنةً . وكان سائب من ساكنى المدينة .

قال ٱبن الكلبىّ : وكان سائب تاجرًا مُوسِرًا يبيع الطعامَ ، وكان تحتــه أربعُ نسوة، وكان ٱنقطاعُه إلى عبد الله بن جعفر، وكان مع ذلك يُخالط سَرَواتِ الناس وأشرافَهم لظَرْفه وحلاوته وحسن صــوته . وكان قد آلَى ألا يغنّىَ أحدًا ســوى عبد الله بن جعفر، إلا أن يكون خليفةً أو ولىَّ عهــد أو ٱبنَ خليفــة ؛ فكان على ذلك إلى أن قُتِل. قال: وأَخَذ معبد عنه غناءً كثيرا فنحَل الناسُ بعضَه إليه(١)، وأهلُ العلم بالغناء يعرفون ذلك . وزعم ٱبن خُرْدَاذْبه أنّ أُمّ محمد بن عمرو الواقدىّ القاضى المحدِّث بنتُ عيسى بن جعفر بن سائب خاثر .

١٨٩ / ٧

هو أول من غنى بالعربيــة الغنــاء الثقيــل

وقال ٱبن الكلبىّ : سائب خاثر أوّل من غَنّى بالعربيّــة الغناءَ الثقيــل؛ وأوّل لحنٍ صنعه منه :

* لِمَنِ الدّيارُ رسومُها قَفْرُ *

قال : فأَلِفتُ هذا الصوتَ الفَرُوحَ .

قال وحدّثنى محمد بن يزيد أنّ أوّلَ صوت صنعه فى شعر ٱمرئ القيس :

* أفاطِمُ مَهْلًا بعضَ هذا التدلُّلِ *

وأنّ معبدًا أخَذ لحنَه فيه فغنّى عليه :

* أمِنْ آل ليــلى باللّوَى مُتَرَبَّعُ *

(١) الذى فى أمهات كتب اللغة : نحله القول ينحله نحلا شبه إليه ونحلته القول أنحله نحلا بالفتح إذا أضفت إليه قولا قاله غيره وادّعيته عليه .

وفد على معاوية مع عبد الله بن جعفر فسمع منه وأجازه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبىّ عن لَقِيط قال :
وفَد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقّع له فى حوائجه ،
ثم عرَض عليه حاجةً لسائب خاثر، فقال معاوية : مَنْ سائب خاثر؟ قال : رجلٌ
من أهل المدينة لَيْثِىٌّ يَرْوِى الشعر . قال : أوَ كُلٌّ من روَى الشعر أراد أن نَصِلَه !
قال : إنه حسّنه . قال : وإنْ حسّنه! قال : أفأُدْخِله اليك يا أمير المؤمنين؟ قال نعم .
قال : فألبستُه مُمَصَّرتين(1) إزارًا ورداء . فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنّى :

* لِمَنِ الديارُ رُسومُها قَفْرُ *

فالتفت معاويةُ إلى عبد الله بن جعفر فقال : أشْهَد لقد حسّنه ! فقضى حوائجه
وأحسن إليه .

نسبة هذا الصوت

لِمَنِ الديارُ رُسُومُها قَفْـرُ * لَعِبتْ بها الأرواحُ والقَطْرُ
وخَلَا لها من بعـد ساكنِها * حِجَجٌ مَضَينَ ثَمَانٍ أوْ عَشْرُ
والزَّعْفرانُ على تَرَائبِها * شَرِقٌ(2) به اللَّبّاتُ والنَّحْـرُ

الشعر يُنسب إلى أبى بكر(3) بن المِسْوَر بن مَخْرَمة الزُّهْرِىّ، وإلى الحارث بن خالد
المخزومىّ، وإلى بعض القرشيّين من السبعة المعدودين من شعراء العرب . والغناء(4)
لسائب خاثر ثقيلٌ أوّل بالسبّابة عن الكلبىّ وحَبَش، وذكر أنّ لحن سائب خاثر ثقيلٌ

(1) كذا فى تجريد الأغانى . والممصر من الثياب : الذى فيه صفرة خفيفة . وفى الأصول : «مخصرتين» بالخاء المعجمة وهو تحريف . (2) شرق الجسد بالطيب : امتلأ . (3) كذا فى ب، وكتاب المعارف لابن قتيبة ص ٢١٨ ؛ وفى سائر الأصول : «أبى ذكر» وهو تحريف . وقد ورد البيت الأخير فى لسان العرب وشرح القاموس (مادة شرق) منسوبا للخبل . (4) هذه الألحان رويت هكذا فى أكثر الأصول وفى أ ، م : «والغناء لسائب خاثر ثقيل أول بالوسطى ووافق اسحاق فى ذلك وذكر أن الثقيل الأول لنشيط ... الخ» . وفى كلتا الروايتين اضطراب لا يخفى .

أوّل بالوسطى ، و وافق إسحاق فى ذلك، وذكر أنّ الثقيل الأوّل لنشيط . وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه، وذكر الهشامىّ أن لحن معبد خفيف ثقيل، وأنّ فيه لابن سُرَيج خفيفَ رَمَل .

سمعه معاوية عند ابنه يزيد فأعجبه وأمر يزيد بصلته

أخبرنا أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ و إسماعيل آبن يونس قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى قَبيصة بن عمرو قال حدّثنا محمد بن المنهال عن رجل حدّثه، وذكر ذلك أيضا آبن الكلبىّ عن لَقيط قال :

أشرف معاوية بن أبى سفيان ليلًا على منزل يزيدَ آبنه ، فسمع صوتًا أعجبه، وآستخفّه السماعُ فاستمع قائمًا حتى ملّ، ثم دعا بكرسىّ فجلس عليه، وآشتهى الاستزادةَ فاستمع بقيّة ليلته حتى ملّ . فلما أصبح غدا عليه يزيدُ. فقال له : يابُنَىّ! مَنْ كان جليسَك البارحةَ؟ قال : أىّ جليس يا أمير المؤمنين؟ وآستعجَم عليه. قال: عرِّفْنى فإنه لم يخفَ علىّ شىءٌ من أمرك . قال : سائب خاثر . قال: فأخْثِر(١) له يابُنَىّ من بِرّك وصِلَتك، فما رأيتُ بمجالسته بأسًا .

سمعه معاوية عند ابن جعفر فأعجب به

قال آبن الكلبىّ : قدم معاويةُ المدينةَ فى بعض ما كان يقدَم، فأمر حاجبَه بالإذن للناس، فخرج الآذنُ ثم رجع فقال : ما بالباب أحدٌ. فقال معاوية : وأين الناس؟ قال: عند آبن جعفر. فدعا ببغلته فركبها ثم توجّه اليهم . فلما جلس قال بعض القرشيّين لسائب خاثر : مُطْرِفى هذا لك — وكان من خَزٍّ — إن أنتَ آندفعتَ تغنّى ومشيتَ بين السِّماطَيْن وأنت تغنّى . فقام ومشى بين السماطين وغنّى :

لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى * وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نجدةٍ دَمَا

فسمع منه معاويةُ وطَرِب وأصغى اليه حتى سكَت وهو مُسْتحسِنٌ لذلك، ثم قام وآنصرف الى منزله . وأخذ سائب خاثر المُطْرَفَ .

(١) أخثر : أكثر .

١٩٠/٧

قتله يوم الحرة وكلام يزيد فيه

أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شبّة عن الزُّبيري، وأخبرني أبو بكر بن أبي شَيْبة البزّاز قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال:

قُتل سائب خاثر يومَ الحَرّة، وكان خَشِي على نفسه من أهل الشأم فخرج اليهم وجعل يحدّثهم ويقول: أنا مُغَنٍّ، ومن حالي وقصّتي كيتَ وكيتَ، وقد خدَمتُ أمير المؤمنين يزيدَ وأباه قبلَه. قالوا: فغنِّ لنا، فجعل يغنّي؛ فقام اليه أحدُهم فقال له: أحسنتَ والله! ثم ضربه بالسيف فقتله. وبلغ يزيدَ خبرُه ومرّ به آسمُه في أسماء من قُتِل يومئذ فلم يعرفه وقال: مَنْ سائب خاثر هذا؟ فقيل له: هو سائب خاثر المغنّي. فعرَفه فقال: وَيْلَه! ماله ولنا! ألم نُحْسِنْ اليه ونَصِلْه ونَخلِطْه بأنفسنا! فما الذي حمله على عداوتنا! لا جَرَمَ أن بَغْيَه صرَعه. وقال المدائنيّ في خبره: فقال إنّا لله! أو بلغَ القتلُ الى سائب خاثر وطبقتِه! ما أرَى أنه بقي بالمدينة أحدٌ. ثم قال: قبّحكم الله يا أهلَ الشأم! تجِدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال أنبأنا عمر بن شبّة قال حدّثني قَبِيصةُ بن عمرو قال حدّثني حاتم بن قَبِيصة قال حدّثني آبن جُعْدُبة قال حدّثني مُوَيْلك عن أبيه قال قال لي سائب خاثر يومَ الحَرّة: هل سمعتَ شيئا صنعتُه؟ فغنّاني صوتاً:

صـــوت

لِمَنْ طَلَلٌ بين الكُرّاع[1] الى القَصْرِ * يُغَيِّب عنا آيَه سَبَلُ القَطْرِ
الى خالداتٍ ما تَرِيمُ وهامِدٍ * وأشعثَ[2] تُرْسِيه[3] الوَلِيدةُ بالفِهْرِ[4]

(١) كراع الأرض: ناحيتها وهو أيضا ما سال من أنف الجبل أو الحرة. وكراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال. (٢) الأشعث: الوتد.
(٣) كذا في أ، م. وأرسى الشيء: ثبته. وفي سائر الأصول «ترميه» بالميم وهو تحريف.
(٤) الفهر: حجر يملأ الكف. وقد ورد هذا البيت في اللسان مادة «رسا» منسوبا للأحوص.

قال : فسمعتُ عجبا مُعْجِبًا، ثم ذكر أهلَه وولَده فبكى . فقلت له : وما يمنعك منهم؟ فقال: أمّا بعدَ شيء سمعتُه ورأيتُه من يزيدَ بن معاوية فلا! ثم تقدّم حتى قُتِل .

٢/٨

صـــوت

من المـائة المختـارة

أَقْفَر من أهلِه مَصِيفُ * فبَطْنُ نَخْلَةَ(١) فالعَرِيفُ(٢)

هـل تُبْلِغَنّى دِيارَ قومى * مَهْرِيَّةٌ(٣) سَـيْرُها زَفِيفُ

يا أمّ نُعْمانَ نَوِّلِينا * قد ينفعُ النائلُ الطَّفِيفُ

أعمامُها الصِّيدُ من لُؤَىٍّ * حقًّا وأخوالُها ثَقِيفُ

الشعر لأبى قَرْعَةَ الكِنانىّ، والغناء لجرادَتَىْ عبد الله بن جُدْعان، ولحنُه من خفيف الثقيل . وفيه فى الثالث والرابع ثقيلٌ أوّلُ مطلق .

١٠

---

(١) بطن نخلة : موضع بين مكة والطائف . (٢) ظاهر أن مصيف والعريف : اسمان لموضعين . ولم نقف عليهما فى كتب البلدان التى بين أيدينا . (٣) إبل مهرية : منسوبة الى مهرة ابن حيدان أبى قبيلة . وزفيف : سريع .

ذكر جَرَادَتَىْ عبد الله بن جُدْعان وخبرهما

وشىء من أخبار ٱبن جُدْعان

جرادتا ابن جدعان

نسب عبد الله بن جدعان

هو عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ بن غالب .

كان جوادا فوهب لأمية ابن أبى الصلت أمتيه الجرادتين

قال ٱبن الكلبىّ : كانت لابن جُدْعانَ أَمَتانِ تُسمَّيانِ الجَرَادتين تتغنَّيان فى الجاهليّة، سمّاهما بجَرَادَتَىْ عادٍ[(1)]. و وهبهما عبدُ الله بن جُدْعانَ لأميّة بن أبى الصَّلْت الثّقفىّ، وقد كان ٱمتدحه . وكان ٱبنُ جُدْعانَ سيِّدا جَوادا، فرأى أُميّةَ ينظر اليهما هو عنده فأعطاه إيّاهما .

سؤال عائشة النبى صلى الله عليه وسلم عنه

٣/٨

وأخبرنى أبو اللَّيْث نصرُ بن القاسم الفَرَائضىّ قال حدّثنا أبو بكر بن أبى شَيْبة قال حدّثنا حَفْص بن غِياث عن داود عن الشَّعْبىّ عن مسروق عن عائشة قالت : قلتُ : يارسول الله إن ٱبن جُدْعانَ كان فى الجاهليّة يَصِلُ الرَّحِمَ و يُطْعِم المسكينَ فهل ذلك نافعُه ؟ قال "لا لم يقل يوما ٱغفرلى خطيئتى يومَ الدِّين" .

قدم عليه أمية وهو عليل فضمنه قضاء دينه، فدحه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى جعفر ٱبن الحسين قال حدّثنى إبراهيم بن أحمد قال :

قدم أُميّة بن أبى الصَّلْت على عبد الله بن جُدْعانَ ؛ فلما دخل عليه قال له عبد الله : أمرٌ مّا أتى بك ! فقال أميّة : كلابُ غُرَماءُ نَبَحتْنِى ونَهَشَتْنِى . فقال له عبدُ الله : قدِمتَ علىّ وأنا عليلٌ من حقوق لَزِمتْنى ونهشَتْنى، فأنظِرْنى قليلا، مافى يدى[(2)]، وقد ضَمِنتُك قضاءَ دينك ولا أَسْأل عن مبلَغه . قال : فأقام أُمَيّةُ أيّامًا، فأتاه فقال:

(1) فى أ، م : «يسميهما» . (2) الظاهر أنه يريد : «ما فى يدى شىء» .

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك إن شيمتك الحياء
وعلمك بالأمور وأنت قرم * لك الحسب المهذب والسناء
كريم لا يغيره صباح * عن الخلق السنى ولا مساء
تبارى الريح مكرمة وجودا (١) * اذا ما الكلب أجحره الشتاء
اذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء
إذا خلفت عبد الله فاعلم * بأن القوم ليس لهم جزاء
فأرضك كل مكرمة بناها * بنو تيم وأنت لهم سماء
فأبرز فضله حقا عليهم * كما برزت لناظرها السماء
فهل تخفى السماء على بصير * وهل بالشمس طالعة خفاء

فلما أنشده أمية هذا الشعر كانت عنده قينتان فقال: خذ أيتهما شئت، فأخذ إحداهما ١٠
وانصرف. فمر بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا له: لقد لقيته
عليلا، فلو رددتها عليه، فإن الشيخ يحتاج الى خدمتها، كان ذلك أقرب لك عنده
وأكثر من كل حق ضمنه لك، فوقع الكلام من أمية موقعا وندم، ورجع اليه ليردها
عليه. فلما أتاه بها قال له ابن جدعان: لعلك إنما رددتها لأن قريشا لاموك على أخذها
وقالوا كذا وكذا، فوصف لأمية ما قال له القوم. فقال أمية: والله ما أخطأت ١٥
يا أبا زهير. فقال عبد الله بن جدعان: فما الذى قلت فى ذلك؟ فقال أمية:

صوت

عطاؤك زين لامرئ إن حبوته * ببذل وما كل العطاء يزين
وليس بشين لامرئ بذل وجهه * اليك كما بعض السؤال يشين

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول: «وجدا».

— غنّت فيه جرادتا عبد الله بن جُدْعان — فقال عبد الله لأمية : خُذِ الأخرى ؛ فأخذهما جميعا وخرج . فلما صار إلى القوم بهما أنشأ يقول — وقد أنشدَنا هذه الأبياتَ أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شبّة وفيها زيادة — :

ومالِي لا أُحيّيه وعندي * مواهبُ يَطَّلِعْنَ من النِّجادِ
لأبيضَ من بني تَيْمِ بن كَعْبٍ * وهم كالمَشْرَفِيّاتِ الحِدادِ
لكلّ قبيلةٍ هادٍ ورأسٌ * وأنت الرأسُ تَقْدُمُ كلَّ هادي[1]
له بالخَيْفِ قد علمتْ مَعَدٌّ * وإنّ البيتَ يُرْفَعُ بالعِمادِ
لـه داعٍ بمكّة مُشْمَعِلٌّ[2] * وآخرُ فوقَ دارته يُنادي
الى رُدُحٍ[3] من الشِّيزَى مِلاءٍ * لُبابَ البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ

١٠ وقال فيه أيضا :

ذُكِرَ ٱبنُ جُدْعانٍ بخيـ * ـرٍ كلَّما ذُكِرَ الكِرامُ
مَنْ لا يخون ولا يَعُـ * ـقُّ ولا تُغَيِّرُه اللِّئامُ
نَجْبُ[4] النَّجيبةِ والنجيـ * ـبِ لـه الرِّحالةُ والزِّمامُ

وفد على كسرى وأكل عنده الفالوذ فصنعه بمكة ودعا الناس إليه

أخبرني محمد بن العباس اليَزِيديّ قال حدّثنا محمد بن إسحاق البَغَويّ قال حدّثنا

١٥ الأثرم عن أبي عُبيدة قال :

كان ٱبنُ جُدْعانَ سيّدًا من قريش ؛ فوفَد على كسرى فأكل عنده الفالُوذَ، فسأل عنه فقيل له : هذا الفالوذُ . قال : وما الفالوذُ؟ قالوا[5] : لُبابُ البُرِّ يُلْبَكُ مع عسل

---

(١) الهادي : العنق لأنها تتقدم على البدن ولأنها تهدي الجسد وكل متقدم هاد . (٢) المشمعل : القوم في الطلب إذا بادروا فيه وتفرقوا . (٣) ردح : جمع رداح وهي الجفنة العظيمة .
٢٠ والشيزى : خشب أسود تتخذ منه القصاع . (٤) النجب : السخيّ الكريم كالنجيب .
(٥) كذا في تجريد الأغاني . وفي الأصول «قال» وهو تحريف .

النحل. قال: ابغُونى غلاماً يصنعه؛ فأتَوْه بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدِم به مكةَ معه، ثم أمره فصنع له الفالوذَ بمكة، فوضع الموائدَ بالأبْطَح إلى باب المسجد، ثم نادى مُنادِيه: ألَا مَنْ أراد الفالُوذَ فليَحْضُرْ لحضر النـاسُ؛ فكان فيمن حضَر أميّـةُ بن أبى الصَّلْت؛ فقال فيه:

ومالى لا أُحيِّيـه وعنـدى * مواهبُ يَطَّلِعْنَ من النِّجاد

إلىّ وإنّـه للنـاس نِهْىٌ(١) * ولا يَعْتَلُّ بالكَلِم الصَّوادِى(٢)

وذكر باقى الأبيات التى مضت متقدِّماً.

استشهاد سفيان ابن عيينة فى تفسير حديث بشعر لأمية فيه

حدّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال أخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثنى محمد بن عِمْران الجُرْجانىّ — وليس بصاحب إسحاق الموصلىّ؛ قال: وهو شيخ لَقِيتُه بجُرْجان — قال حدّثنا الحسين بن الحسن المَرْوَزىّ قال: ١٠

سألتُ سفيان بن عُيَينة فقلت: يا أبا محمد، ما تفسيرُ قول النبىّ صلى الله عليه وسلم وعلى آله: "كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلى لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير" وانما هو ذِكْرٌ وليس فيه من الدعاء شىءٌ؟ فقال لى: أعَرفتَ حديث مالك بن الحارث: يقول الله جلّ ثناؤه: "اذا شَغل عبدى ثناؤه علىّ عن مسألتى أعطيتُه أفضلَ ما أُعطِى السائلين"؟ قلت: نعمْ! أنتَ حدّثْتَنيه عن منصور عن مالك بن الحارث. قال: فهـذا تفسير ذلك، ثم قال: أمَا علمتَ ما قال أُميّـةُ بن أبى الصَّلْت حين خرج الى آبن جُدْعانَ يطلب نائلَه وفَضْلَه. قلت: لا أدرى؟ قال قال: ١٥

(١) النهى: الغدير، وهو أيضا كل موضع يجتمع فيه الماء. (٢) الصوادى: العطاش. يريد أنه لا يلجأ الى الكلم التى لا تجدى. ٢٠

أأذكُرُ حاجتى أم قد كَفَانِى * حيـاؤك إنّ شيمتَك الحياءُ

إذا أثنى عليك المـرءُ يوماً * كفاه من تعرُّضـه الثنـاءُ

ثم قال سفيان : فهذا مخلوقٌ يُنْسَب الى الجود فقيل له : يكفينا من مسألتك أن نُثْنِىَ عليك ونسكتَ حتى تأتىَ على حاجتنا ، فكيف بالخالق ! .

زاره أمية فى احتضاره وقال فيه شعرا

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا حُمَيْد بن حُمَيْد قال حدّثنى جَبّار آبن جابر قال :

دخل أميّةُ بن أبى الصَّلْت على عبـد الله بن جُدْعانَ وهو يجود بنفسه ، فقال له أُميّةُ : كيف تجِدُك أبا زُهَير؟ قال : إنى لمُدَابِر (أى ذاهب) . فقال أُميّةُ :

٥/٨

علِمَ آبنُ جُدْعانَ بنِ عمـ * ـرو أنّـه يـوماً مُـدَابِرْ

١٠ ومسافـرٌ سـفرًا بعيـ * ـدًا لا يؤوب به المُسافِر

فقُـدُورُه بفنـائـه * للضيـف مُتْرَعةٌ زَوَاخِر

تبدو الكسورُ[1] من آنضرا[2] * جِ الغَلْى فيهـا والكَرَاكِرْ

فكأنهنّ بمـا حَمِيـ * ـنَ وما تُحِنُّ[3] بها ضَرَائر

بَـذَّ المعَـاشِرَ كلَّهـا * بالفضل قد علِم المعَاشِرْ

١٥ وعلا عُـلُوَّ الشمس حـتّى ما يُفَـاخِرُه مُفَـاخِرْ

دانت له أبنـاءُ فِهْـ * ـرٍ من بنى كعبٍ وعامر

أنتَ الجـوادُ آبنُ الجوا * د بكم يُنَافِرُ من يُنَافِرْ

(١) الكسور : جمع كسر وهو نصف العظم بما عليه من اللحم . (٢) الانضراج : الانفراج . يريد أن القدر اذا غلت واضطرب ماؤها بان اللحم الموضوع فيها . والكركرة : كالقهقهة ويعنى بها صوت

٢٠ الماء فى غليانه . (٣) كذا فى ا ، م وشعراء النصرانية . وفى سائر الأصول : «وما شحين» .

ترك الخمر قبل موته وذمها بشعر

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّرىّ قال أخبرنى أبو عبد الرحمن الغَلَابىّ عن الواقدىّ عن ٱبن أبى الزِّناد قال :

ما مات أحد من كبراء قُرَيش فى الجاهليّة إلّا ترك الخمر ٱستحياءً ممّا فيها من الدَّنَس؛ ولقد عابها ٱبن جُدْعانَ قبل موته فقال :

شَرِبتُ الخمـرَ حتى قال قومى * ألستَ عن السَّـفَاه بمُستفيقِ

وحـتّى ما أُوسَّـدُ فى مَبِيتٍ * أنام به سـوى التُّرْبِ السَّحيقِ

وحتى أُغْلِقَ[1] الحانوتُ رَهْـنى * وآنَسْتُ الهَوانَ من الصـديق

قال : وكان سببُ تَركه الخمـرَ أن أميّةَ بن أبى الصَّلْت شرب معـه فأصبحت عين أميّةَ مُخضَرّةً يخاف عليها الذَّهاب . فقال له : ما بال عينك ؟ فسكت . فلمـا ألحّ عليه قال له : أنت صاحبُها أصبتَها البارحةَ . فقال : أوَ بلَغ منّى الشَّراب الذى أَبلُغ[2] معه من جليسى هذا ! لاجَرَمَ لأَدِيَنّها لك دِيَتَين؛ فأعطاه عشرةَ آلاف درهم، وقال : الخمرُ علىّ حرام أن أذوقها أبدًا، وتركها من يومئذ .

صـــوت

من المـائة المختـارة

قد لَعَمْرِى بِتُّ لَيْـلِى * كأخى الداءِ الوَجيـعِ

ونَجِىُّ الهـمّ مـنّى * بات أدنى من ضجيعى

كلمـا أبصرتُ رَبْعًـا * خاليًـا فاضت دموعى

(١) أغلق الرهن : ٱستحقه . والحانوت : الخمار، والحانوت أيضا : دكان الخمار .

(٢) يريد أوبلغ منى الشراب هذا الحد الذى يجرى فيه لجليسى ذلك ! .

لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا ❊ أو هَمَمْنا بالخشـــوع

إذ فقـــدْنا سـيِّدًا كا ❊ ن لنـا غيرَ مُضِيـع

الشعر للأحوص . والغناء لسَلّامةِ القَسّ . ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالوسطى فى مجْراها . وقد قيل : إن الشعر والغناء جميعًا لهـا ، وقد قيل : إن الغناء لمعبد وإنها أخذتْه عنه .

٦/٨

ذكر سَلّامةِ القَسّ وخبرها

نشأة سلامة القس ومن أخذت عنه الغناء، وسبب تسميتها بذلك

كانت سَلّامةُ مولَّدة من مولَّدات المدينة وبها نشأت . وأخذت الغناءَ عن معبد وآبن عائشة وجميلةَ ومالك بن أبى السَّمْح وذَوِيهم فمهَرت . وإنما سمِّيت سَلّامةَ القَسّ لأن رجلًا يُعرف بعبد الرحمن بن أبى عَمّار الجُشَمِىّ من قُرّاء أهل مكة، وكان يُلَقَّب بالقَسّ لعبادته، شُغِف بها وشُهِر، فغلَب عليها لقبُه . وآشتراها يزيد بن عبد الملك فى خلافة سليمان، وعاشت بعده، وكانت إحدى من آتُّهِم به الوليدُ من جوارى أبيه حين قال له قَتَلَتُه : نَنْقِمُ عليك أنك تَطَأ جوارىَ أبيك . وقد ذكرنا ذلك فى خبر مقتله .

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال :

كانت حَبَابةُ وسَلّامةُ القَسّ من قِيَان أهل المدينة، وكانتا حاذقتين ظريفتين ضاربتين، وكانت سَلّامةُ أحسنَهما غناءً، وحَبَابةُ أحسنَهما وجهًا، وكانت سَلّامةُ تقول الشعر، وكانت حَبَابة تتعاطاه فلا تُحْسِن . وأخبرنى بذلك المَدائنىّ عن جَرير .

وحدّثنى الزُّبَيْرِىّ قال حدّثنى مَنْ رأى سَلّامةَ قال :

ما رأيتُ من قِيان المدينة فتاةً ولا عجوزًا أحسنَ غناءً من سَلّامةَ . وعن جميلةَ أخذتِ الغناءَ .

كانت لسهيل بن عبد الرحمن، وشعر ابن قيس الرقيات فيها

حدّثنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وإسماعيل بن يونُس قالا حدّثنا أبو زيد عمر بن شَبّة قال حدّثنى المَدائنىّ قال :

كانت حَبَابةُ وسَلّامةُ قَيْنَتين بالمدينة، أمّا سَلّامةُ فكانت لسُهَيْل بن عبد الرحمن، ولها يقول آبنُ قَيْس الرُّقَيَّات :

لقـــد فَتَنَتْ رَيًّا وسَــلّامةُ القَسّا * فلم تتركا للقَسّ عقــلًا ولا نَفْسا

فتــاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ * ـهلالِ وأُخرى منهما تُشبه الشمسا

وغنّاه مالكُ بن أبي السَّمْح . وفيها يقول آبن قيس الرُّقيّات :

أُختانِ إحداهما كالشمس طالعةً * فى يوم دَجْنٍ وأُخرى تشبه القمرا

قال : وفُتِن القسُّ بسَلّامةَ، وفيها يقول :

أهابُكِ أن أقول بذلتُ نفسى * ولو أنّى أُطيـــع القلبَ قالا

حيـاءً منك حتى سُـــلّ جسمى * وشَـــقّ علىّ كتمانى وطالا

سبب افتتان عبد الرحمن بن أبى عمار القس بها وشعره فيها

قال : والقَسّ هو عبـد الرحمن بن أبى عمّار من بنى جُشَمَ بنِ معاوية ، وكان منزلُه بمكة . وكان سببُ آفتتانه بهـا فيما حدّثنى خَلّاد الأَرْقَط قال سمعت من شيـوخنا أهل مكة يقولون : كان القَسُّ من أَعْبَد أهل مكة ، وكان يُشَبَّه بعَطاء بن أبى رَبَاح ، وأنّه سمع غناءَ سَلّامةِ القَسِّ على غير تعمُّد منه لذلك . فبلغ غناؤها منـه كلَّ مبلغ ؛ فرآه مولاها فقال له : هل لك أن أُخرِجَها اليك أو تدخلَ فتسمع ! فأبى . فقال مولاها : أنا أُقعِدها فى موضع تَسمع غناءَها ولا تَراها فأبى ؛ فلم يزل به حتى دخل فأسمعــه غناءها فأعجبه . فقال له : هــل لك فى أن أُخرجها اليك؟ فأبى . فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه ، فتغنّت فشُغِف بها وشُغِفت به ، وعرَف ذلك أهلُ مكة . فقالت له يوماً : أنا والله أُحبّك . قال : وأنا والله أُحبّك . قالت : وأُحبّ أن أضَعَ فمى على فمك . قال : وأنا والله أُحبّ ذاك . قالت : فما يمنعك! فوالله إنّ الموضع لخالٍ . قال : إنّى سمعت الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وأنا أكره أن تكون خُلّةٌ ما بينى وبينك تؤول الى عداوة . ثم قام وآنصرف وعاد الى ما كان عليه من النُّسك[1] ، وقال من فوره فيها :

(١) عبارة ا ، م : « ... من النسك من فوره وفيها يقول » .

إنّ التى طرقتْــكَ بين ركائبٍ * تمْشى بمِزْهَرِها وأنتَ حَرامُ
لتَصِيدُ قلبَــك أو جزاءَ مودّةٍ * إنّ الرفيق له عليك ذِمامُ
باتت تعلّلنــا وتحسب أنّنــا * فى ذاك أيقاظٌ ونحن نيــامُ
حتى إذا سطَع الضّياءُ لناظرٍ * فإذا وذلك بيننــا أحــلامُ
قد كنتُ أعذُلُ فى السّفاهة أهلَها * فاعْجَبْ لِمــا تأتى به الأيّامُ
فاليــومَ أعــذِرُهم وأعلم أنمــا * سُبُلُ الضّلالة والهُــدَى أقسامُ

ومن قوله فيهــا :

ألم تَرهــا لا يُبْعِــد الله دارَهــا * إذا رَجّعتْ فى صوتها كيف تصنعُ
تَمُــدّ نظــامَ القــولِ ثم تَــرُدّه * الى صَلْصَلٍ(١) فى صوتهــا يترجّعُ

وفيها يقول :

ألَا قُلْ لهذا القلبِ هل أنت مُبْصِرُ * وهل أنت عن سَلّامةَ اليومَ مُقْصِرُ
ألَا ليت أنّى حين صارتْ بها النّوَى * جليسٌ لسَلْمَى كلّمــا عَجّ(٢) مِزْهَــرُ

وقال فى قصيدة له :

سَلامٌ وَيْحَكِ هل تُحيِين مَنْ ماتا * أو تَرْجِعــينَ على المحــزون ما فاتا

وقال أيضا :

سَــلّامُ هــل لى منــكُمُ ناصرُ * أم هــل لقلبى عنــكُمُ زاجــرُ
قد سمِــع النــاسُ بوجدى بكم * فمنهــمُ اللائــمُ والعــاذرُ

فى أشعار كثيرة يطول ذكرها .

---

(١) الصلصلة : ترجيع الصوت .
(٢) عج : رفع صوته وصاح .

غنت هى وأختها ريا فى شعر لابن قيس الرقيات وللأحوص وأجادتا فى شعر الأحوص فحسده ابن قيس

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثنى الجُمَحىّ قال : كانت سلّامة ورَيّا أختين ، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناءً . فاجتمع الأحْوَص وابن قَيْس الرقيّات عندهما؛ فقال لهما ابن قيس الرقيّات : إنّى أريد أن أمدحكما بأبياتٍ وأصدُقَ فيها ولا أكذبَ ؛ فان أنتما غنّيتمانى بذلك وإلّا هجوتكما ولا أقربكما . قالتا : فما قلتَ؟ قال قلتُ :

لقد فتنتْ رَيّا وسَلّامةُ القَسّا * فلم تتركا للقَسّ عقلًا ولا نفسا

فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ * ـهلالِ وأُخْرَى منهما تُشبه الشمسا

تكُنّانِ أبشارًا رِقاقًا وأوجُهًا * عِتاقًا(١) وأطرافًا مُخَضَّبةً مُلْسا

ففنّته سَلّامة واستحسنتاه. وقالتا للأحوص: ما قلتَ يا أخا الأنصار؟ قال قلت :

صــــوت

أسَلَامُ هل لمتيَّمٍ تنويلُ * أم هل صَرَمْتِ وغالَ ودَّكِ غولُ

لا تَصرِفى عنّى دلالَكِ إنّه * حَسَنٌ لدىّ وان بَخِلْتِ جميلُ

أزَعمتِ أنّ صَبابتى أُكذوبةٌ * يومًا وأنّ زيارتى تعليلُ

٨/٨

— الغناء لسَلّامةِ القَسّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن الهشامىّ وحَمّاد. وفيه لإبراهيم لحنان، أحدهما خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر فى مجراها عن إسحاق وعمرو، والآخر ثقيل أوله استهلال عن الهشامىّ — فغنّت الأبياتَ . فقال ابن قيس الرُّقَيّات : يا سلّامة ! أحسنتِ والله! وأظنُّك عاشقة لهذا الحَلَق(٢)! فقال له الأحوص : ما الذى أخرجكَ(٣) الى هذا ؟ قال : حُسْنُ غنائها بشعرك، فلولا أنّ لك فى قلبها محبّةً مُفْرِطةً ما جاءها هكذا حَسَنًا على هذه البديهة. فقال له الأحوص : على قَدْر حُسْنِ شعرى على شعرك هكذا حَسُنَ الغناءُ به،

(١) العتق : الجمال والكرم . (٢) كذا فى جـ . يقال : أتان حلقية (بالتحريك) إذا تداولتها الحمر فأصابها داء فى رحمها . والمراد هنا واضح . (٣) فى حـ : « ما الذى أحوجك » .

وما هذا منك إلّا حسد، ونُبَيِّن لك الآن ماحسدتَ عليه . فقالت سَلّامة: لولا أنّ الدخول بينكما يُوجب بِغْضةً لحكمتُ بينكما حكومةً لا يردّها أحدٌ. قال الأحوص: فأنت من ذلك آمنة . قال ٱبن قيس الرقيّات : كلّا! قد أمِنتَ أن تكون الحكومة عليك، فلذلك سبقت بالأمان لها . قال الأحوص : فرأيُك يدلّك على أن معرفتك بأنّ المحكوم علَيه أنت؛ وتفرّقا. فلما صار الأحوص الى منزله جاءه ابن قيس الرقيّات فقرَع بابه، فأذِن له وسلّم عليه وٱعتذر .

ومما قاله الأحوص فى سَلّامةِ القَسّ وغُنِّىَ به :

صـــوت

أسَلامُ إنكِ قد ملكتِ فأَسْجِحِى * قد يملِك الحُـرُّ الكريم فيُسْجِحُ

مُـــنِّى على عانٍ أطَلْتِ عَنـاءَه * فى الغُـلِّ عندكِ والعُنَـاةُ تُسَرَّحُ

إنّى لأنصَـــحُكم وأعـــلَمُ أنّه * سِيّانِ عندكِ من يَغُشّ و يَنصَحُ

و إذا شكوتُ الى سَـلَامةَ حُبَّها * قالت أجِدٌّ منـك ذَا أم تمـزَحُ

الشعرُ للأحوص . والغناء لٱبن مِسْجَح فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . ولدَحمانَ فى الأربعة الأبيات ثقيلٌ أوّل بالبنصر فيه ٱستهلال. وفيه خفيفُ ثقيلٍ يقال : إنه لمـالك، و يقال : إنه لسَلّامةِ القَسّ .

أخبرنى الحسين عن حَمّاد عن أبيه قال قال أيّوب بن عَبَاية :

كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عَمّار من بنى جُشَم بنِ معاوية، وكان فقيها عابدًا من عُبّاد مكة، يسـمّى القَسّ لعبادته؛ وكانت سَـلّامة بمكة لسُهَيل ، وكان يدخل عليها الشعراء فيُنشدونها وتُنشدهم وتغنّى مَنْ أحبّ الغناء؛ ففُتن بها عبد الرحمن ابن عبد الله بن أبى عَمّار القَسّ؛ فشاع ذاك وظهر، فسُمِّيت سَلّامةَ القَسّ بذلك.

سألها القس أن تغنيه بشعره

قال إسحاق وحدّثنى أيوب بن عَبَاية قال : سألها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمّار القسّ أن تغنّيه بشعر مدحها به ففعلتْ، وهو :

ما بالُ قلبِكَ لا يزال يَهِيجُه * ذِكَرٌ عَوَاقِبُ غِبِّهِنّ سَقَامُ
إنّ التى طرقتْك بين رَكائبٍ * تمشى بمِزْهَرِها وأنت حَرَامُ
لِتَصِيدُ قلبَك أو جزاءَ مَودّةٍ * إنّ الرفيقَ لــه عليك ذِمامُ
٥ باتت تعلّلنا وتحسَب أننا * فى ذاك أيقاظٌ ونحن نِيَامُ
حتى إذا سطَع الصباحُ لناظرٍ * فاذا وذلك بيننا أحلامُ
قد كنتُ أعذِلُ فى السَّفاهة أهلَها * فاعْجَبْ لِمَا تأتى به الأيّامُ
فاليومَ أعذِرهم وأعلَمُ أنما * سُبُلُ الغَوايةِ والهُدَى أقسامُ

٩/٨

أراد يزيد بن عبد الملك شراءها حين قدم مكة فأمرها أن تغنى

١٠ قال إسحاق وحدّثنى المدائنىّ قال حدّثنى جَرير قال :

لمّا قدم يزيد بن عبد الملك مكّةَ وأراد شراءَ سَلّامةِ القَسّ وعُرِضتْ عليه، أمرَها أن تغنّيه؛ فكان أوّل صوت غنّته :

إنّ التى طرقتك بين ركائبٍ * تمشى بمِزْهَرِها وأنت حرامُ
والبيضُ تَمْشِى كالبُدورِ وكالدُّمَى * ونَوَاعِمٌ يَمْشِين فى الأرْقام[(١)]
١٥ لِتَصِيدُ قلبَك أو جزاءَ مودّةٍ * إنّ الرفيق له عليك ذمامُ

فاستحسنه يزيد فاشتراها . فكان أوّلَ صوت غنّته لمّا اشتراها :

ألَا قُلْ لهذا القلبِ هل أنت مبصرُ * وهل أنت عن سَلّامةَ اليومَ مُقْصِرُ
ألَا ليتَ أنّى حين صار بها النّوَى * جليسٌ لسَلْمَى حيث ما عَجّ مِزْهَرُ

---

(١) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز أو البرود . وهذا البيت غير موجود فى أ ، م
٢٠ وفيه إقواء .

وإنّى إذا ما الموتُ زالَ[1] بنَفْسها * يُزَالُ بنفسى قبلَها حين تُقْبَرُ
إذا أخذتْ فى الصوتِ كادَ جليسُها * يطيرُ إليها قلبُه حين ينظرُ
كأنّ حَمَامًا راعِبيًّا[2] مُؤَدِّيًا * إذا نطقتْ من صدرها يتغشمرُ[3]

فقال لها يزيد : يا حبيبتى ، مَنْ قائلُ هذا الشعر ؟ فقصّت عليه القصّة ، فرَقّ له وقال : أحسنَ وأحسنتِ ! .

قال الأحوص شعرا وبعث به اليها حين رحل بها يزيد فغنت به يزيد

قال إسحاق وحدّثنى المدائنىّ قال :

لمّا اشترى يزيدُ بن عبد الملك سَلّامة، وكان الأحوصُ مُعْجَبًا بها وبحُسْن غنائها وبكثرة مجالستها، فلما أراد يزيد الرِّحْلة، قال أبياتًا وبعث بها إلى سَلّامةَ . فلما جاءها الشعر غَنّتْ به يزيدَ وأخبرتْه الخبر، وهو :

صوت

عاودَ القلبَ من سَلّامةَ نَصْبُ[4] * فلعينىّ من جَوَى الحُبِّ غَرْبُ
ولقد قلتُ أيها القلبُ ذُو الشو * قِ، الّذى لا يُحِبّ حُبَّك حِبُّ
إنه قد دنا فِراقُ سُلَيْمَى * وغدَا[5] مَطْلَبٌ عن الوصل صَعْبُ

غنّاه ابن مُحْرِز ثانىَ ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن عبّاد وعَلّويه رَمَلان . وفيه لدَحْمانَ خفيفُ رَمَلٍ . هذه الحكايات الثلاث عن الهشامىّ . وذكر حَبَشٌ أنّ لسَلّامةِ القَسّ فيه ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى .

---

(١) زال : ذهب . (٢) الراعبى : جنس من الحمام، وحمامة راعبية : ترعب فى صوتها ترعيبا وهو شدّة الصوت، جاء على لفظ النسب وليس به، وقيل : هو نسب الى موضع لا أعرف صيغة اسمه . (عن لسان العرب مادة رعب) . (٣) يتغشمر : يصوّت . (٤) النصب : الداء والبلاء . والغرب : الدمع . (٥) غدا هنا تامة مستغنى عن منصوبها .

عاتبت حبابة حين استخفت بها لأثرتها عند يزيد

قال إسحاق وحدّثنى أيّوب بن عَبَايةَ قال : كانت سلّامة ورَيّا لرجل واحد، وكانت حَبَابة لرجل، وكانت المقدَّمة منهنّ سَلّامةَ، حتى صارتا الى يزيد بن عبد الملك، فكانت حَبَابةُ تنظر إلى سَلّامةَ بتلك العين الجليلة المتقدّمة وتعرف فضلها عليها. فلمّا رأت أُثرتها عنـد يزيد ومحبّةَ يزيد لهـا ٱستخفّتْ بها. فقالت لهـا سَلّامةُ:

٥ أىْ أُخَيَّه! نَسِيتِ لى فضلى عليكِ! ويلكِ! أين تأديبُ الغناء وأين حقُّ التعليم! أنسيتِ قولَ جميلةَ يوماً [وهى][1] تُطارحنا وهى تقول لك : خُذى إحكام ما أُطارحك من أُختِـك سَلّامةَ، ولن تَزالِى بخـير ما بقيتْ لكِ وكان أمرُكما مؤتلفا! . قالت : صَدَقتِ خليلتى! والله لاعدتُ إلى شىء تكرهينه؛ فما عادت لها إلى مكروه. وماتت حَبَابةُ وعاشت سَلّامة بعدها دهرا.

١٠/٨

احتال ابن أبى عتيق على والى المدينة حتى جعله يسمع منها ويعدل عن إبعاد المغنين من المدينة

١٠ أخبرنى الحَـرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنـا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب عن عبد الرحمن بن المُغيرة الحِزَامىّ الأكبر قال :

لمّـا قدم عثمانُ بن حَيّانَ المُرّىّ المدينةَ والياً عليها، قال له قومٌ من وجوه الناس : إنّك قد وَلِيتَ على كثرةٍ من الفساد، فإن كنتَ تُريد أن تُصلِح فطَهِّرها من الغناء والزِّنا. فصاح فى ذلك وأجّلَ أهلَها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة. وكان ابن

١٥ أبى عَتِيق غائباً، وكان من أهل الفضل والعَفَاف والصلاح. فلما كان آخرُ ليلةٍ من الأَجَل قَدِم فقال : لا أدخُل منزلِى حتى أدخلَ على سَلّامةِ القَسّ. فدخل عليهـا فقـال : ما دخلتُ منزلى حتّى جئتُكم أُسَلِّم عليكم. قالوا : ما أغفلَكَ عن أمرنا! وأخبروه الخبر. فقال : آصبِروا علىّ الليلةَ[2]. فقالوا : نخاف ألّا يُمكِّنَك شىءٌ ونُنْكَظَ[3].

---

(١) زيادة عن حـ. (٢) كذا فى نهاية الأرب (حـ ٥ ص ٥٤ طبع دار الكتب المصرية

٢٠ طبعة أولى). وفى الأصول : « الى الليلة ». (٣) كذا فى حـ. يقال : أنكظه اذا أعجله عن حاجته. وفى سائر الأصول : « وننكص ».

قال : إن خفتم شيئًا فأخرِجوا فى السَّحَر . ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حَيّان فأذِن له، فسلّم عليه وذكر له غَيْبَته وأنه جاءه ليقضى حَقّه، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغِناء والزِّنا ، وقال : أرجو ألّا تكون عَمِلتَ عملًا هو خيرٌ لك من ذلك . قال عثمان : قد فعلتُ ذلك وأشار به علىّ أصحابُك . فقال : قد أصبتَ ، ولكن ما تقول — أمتع الله بك — فى آمرأة كانت هذه صناعتَها وكانت تُكرَه على ذلك ثم تركتْه وأقبلتْ على الصَّلاة والصيام والخير، وأتى رسولُها اليك تقول : أتوجّه اليك وأعوذ بك أن تُخرِجَنى من جِوار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومسجده؟ قال : فإنّى أدَعُها لك ولكلامك . قال آبن أبى عتيق : لا يَدَعُك الناسُ، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر اليها ، فإنْ رأيتَ أنّ مثلَها ينبغى أن يُترَكَ تركتها ؛ قال نعم . فجاءه بها وقال لها : آجعلى معك سُبْحةً وتخشّعى ففعلتْ . فلمّا دخلتْ على عثمان حدّثته ، واذا هى من أعلمِ الناس بالناس وأعجَبَ بها، وحدّثته عن آبائه وأمورهم ففَكِه لذلك . فقال لها آبن أبى عتيق : آقرئى للأمير فقرأتْ له ؛ فقال لها آحْدِى له ففعلتْ ، فكَثُر تعجّبه . فقال : كيف لو سَمِعتَها فى صِناعتها ! فلم يزلْ يُنْزِله شيئًا شيئًا حتى أمرها بالغناء . فقال لها آبن أبى عَتيق : غَنِّى، فغنَّتْ :

سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ[2] لمّا دخَلْنَهُ * بكلِّ لَبَانٍ[3] واضحٍ وجبينِ

فغنّته؛ فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال : لا والله ما مِثلُ هذه تخرج !. قال آبن أبى عتيق : لا يَدَعُك الناسُ، يقولون : أقرّ سلّامة وأخرج غيرَها . قال: فدَعْهم جميعا؛ فتركهم جميعا .

---

(١) رواية أ ، م : «احملى» . (٢) الخصاص : الخروق . (٣) اللبان : الصدر .

لما اشتراها رسل يزيد ورحلوا بها غنت مشيعيها عند سقاية سليمان بن عبد الملك

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنا عبد الله بن أبي فَرْوة قال :

قَدمتْ رسلُ يزيدَ بنِ عبـد الملك المدينةَ فاشتَرَوْا سَلّامةَ المغنّيةَ من آل رُمّانةَ بعشرين ألفَ دينار . فلمـا خرجتْ من مِلْك أهلِها طلبوا إلى الرُّسُلِ أن يتركوها عندهم أيّاماً ليجهِّزوها بما يُشْبِهها من حُلِيٍّ وثيابٍ وطيبٍ وصِبْغ . فقالت لهم الرسل : هذا كلُّه معنا لا حاجةَ بنا إلى شيء منه ، وأمروها بالرّحيل . فخرجتْ حتى نزلتْ سِقَايةَ سليمانَ بنِ عبد الملك وشيَّعها الخَلْق من أهل المدينة . فلما بلغوا السِّقايةَ قالت للرسل : قومٌ كانوا يَغْشَوْنَنِي ويسلِّمون عليّ ، ولا بدّ لى من وَداعهم والسـلام عليهم ، فأُذِن للناس عليها فانقَضُّوا حتى ملئوا رحبـةَ القصر(1) ووراءَ ذلك(2) ، فوقفتْ بينهم ومعها العُود ، فغنّتْهم :

١١ / ٨

فارَقُونى وقـــد علمتُ يقينًـا * ما لِمَنْ ذاقَ مِيتـــةً من إيابِ

إنّ أهلَ الحِصَابِ قد تركونى * مُولَعًـا مُوزَعًا بأهل الحِصَابِ

أهـــلُ بيتٍ تَتَايَعُـــوا(3) للمنـايا * ما على الدهر بعدهم من عِتابِ

سكنوا الجِزْعَ جِزْعَ بيتِ أبى مو * سى إلى النخل من صُفَيِّ السِّبَابِ(4)

كم بذاك الحَجُونِ(5) من حَىّ صِدْقٍ * وكُهولٍ أعِفَّةٍ وشَـــبابِ

قال عيسى(6) : وكنتُ فى الناس ، فلم تَزَلْ تُرَدِّد هذا الصوت حتى راحت ، وانتحب الناسُ بالبكاء عند ركوبها ، فما شئتُ أن أرى باكيًا إلّا رأيتُه .

(1) لعله يريد قصر سعيد بن العاص وهو بجوار المدينة . (انظر الكلام عليه فى الأغانى جـ ١ من هذه الطبعة فى الكلام على أبى قطيفة) . (2) فى أ ، م : «فوقفت فيهم» . (3) تتايعوا : تهافتوا . (انظر الحاشية رقم ٨ ص ٣٢١ جـ ١ من هذه الطبعة) . (4) صفيّ السباب : موضع بمكة . (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٢) . (5) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .
(6) كذا فى الأصول . ولم يتقدّم لعيسى ذكر فى هذا الخبر .

كلفت الأحوص أن يحتال لدخول الغريض على يزيد حين قدم معه الى دمشق

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

وَجّه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص فى القُدوم عليه، وكان الغَريض معه، فقال له : اخرُجْ معى حتى آخُذ لك جائزة أمير المؤمنين وتغنّيه ؛ فإنّى لا أحمِل اليه شيئًا هو أحبُّ اليه منك، فخرجا . فلمّا قدم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به . فأنشـده مدائحَ فآستحسنها ، وخرج من عنده ؛ فبعثتْ اليه سَـلّامةُ جاريةُ يَزِيدَ بلَطَف . فأرسل اليها : إن الغريض عندى قَدِمتُ به هـديّةً اليك . فلمّـا جاءها الجوابُ آشـتاقتْ إلى الغَريض و إلى الآسـتمـاع منه . فلمّـا دعاها أميرُ المؤمنين تمارضتْ وبعثتْ إلى الأحوص : إذا دعاك أميرُ المؤمنين فاحْتَلْ له فى أنْ تذكر له الغَريض . فلمـا دعا يزيدُ الأحوصَ قال له يزيد : وَيْحَـك يا أحوص ! هـل سَمِعْتَ شـيئًا فى طريقك تُطْرِفنا به؟ قال : نعم يا أميرالمؤمنين، مررتُ فى بعض الطريق فسمعتُ صوتًا أعجبنى حسنُه وجودةُ شعره، فوقفتُ حتى آستقصَيْتُ خبرَه، فإذا هو الغريض ، و إذا هو يغنّى بأحسن صوتٍ وأشجاه :

ألَا هاجَ التّذكُّرُ لى سَقَامَا * ونُكْسَ الداءِ والوجعَ الغَرَاما[1]

سَـلّامةُ إنهـا هَمِّى ودائى[2] * وشَرُّ الداءِ ما بَطَن العظاما

فقلتُ له ودمعُ العينِ يجرِى * على الخَدَّيْنِ أربعـةً سِجَاما[3]

عليكَ لها السلامُ فمَنْ لِصَبٍّ * يبيت الليلَ يَهْذِى مُستهاما

قال يزيد : وَيْلَك يا أحـوص ! أنا ذاك فى هـوَى خليلتى ؛ وما كنتُ أحسَبُ مثل هذا يتّفق، وإنّ ذاك لمـا يزيد لها فى قلبى . فما صنعتَ يا أحوصُ حين

(١) الغرام : الملازم الشـديد . (٢) كذا فى أ، م . وفى سائر الأصـول : « انمـا هى ... » . (٣) أربعة سجـام : يريد بها الماقين والموقين للعينين؛ فان الدمع يجـرى من الموقين، فاذا غلب وكثر جرى من الماقين أيضا .

سمعت ذاك ؟ قال : سمعتُ ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسنَ منه ، فما صَبَرتُ حتى أخرجتُ الغريضَ معي وأخفيتُ أمره ، وعلمتُ أنّ أمير المؤمنين يسألنى عما رأيتُ فى طريق . فقال له يزيد : ائتِنى بالغريض ليلًا وأخْفِ أمرَه . فرجع الأحوص إلى منزله وبعث الى سَلّامةَ بالخبر . فقالت للرسول : قل له ٥ جُزِيتَ خيرًا ، قد انتهى الىّ كلُّ ما قلتَ ، وقد تَلَطَّفتَ وأحسنتَ . فلمّا وارى الليلُ أهلَه بعث الى الأحوص أن عَجِّل المجىءَ إلىّ مع ضيفك . فجاء الأحوصُ مع الغريض فدخلا عليه . فقال غَنِّنى الصوت الذى أخبرنى الأحوصُ أنه سمعه منك — وكان الأحوص قد أخبر الغريضَ الخبرَ ؛ وإنما ذلك شعر قاله الأحوص يُريد يحرِّكه به على سَلّامةَ ويحتال للغريض فى الدخول عليه — فقال : ١٠ غَنِّنى الصوتَ الذى أخبرنى الأحوصُ . فلما غنّاه الغريضُ دمعتْ عينُ يزيدَ ثم قال : وَيْحَكَ! . هل يمكن أن تصير إلى مجلسى؟ قيل له : هى صالحة . فأرسل اليها فأقبلتْ . فقيل ليزيد : قد جاءت ؛ فضُرِب لها حجابٌ فجلستْ[1] ، وأعاد عليه الغريضُ الصوتَ؛ فقالت : أحسَنَ واللهِ يا أمير المؤمنين، فاسمَعْه منّى ؛ فأخذتِ العودَ فضربتْه وغنّت الصوتَ ، فكاد يزيدُ أن يطير فرحًا وسُرورا، وقال : ١٥ يا أحوصُ، إنّك لمبارَك! يا غريض غَنّنى فى ليلتى هذا الصوتَ؛ فلم يزلْ يغنّيه حتى قام يزيد وأمر لهما بمال، وقال : لا يُصبح الغريضُ فى شىء من دِمَشْق . فارتحل الغريض من ليلته ، وأقام الأحوص بعده أيّامًا ثم لَحِق به ؛ وبعثت سَلّامةُ اليهما بكسوة ولَطَف كثير .

(١) كذا فى جـ . وفى سائر الأصول : «عليها»

رثت يزيد وناحت عليه حين مات

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوفلىّ قال حدّثنى رجل من أهلى من بنى نَوْفل قال :

قَدِمتُ فى جماعةٍ من قريش على يزيدَ بنِ عبد الملك، فألفَيْناه فى عِلّته التى مات فيها بعد وفاة حَبَابة، فنزلْنا منزلًا لاصقًا بقصر يزيد ، فكنّا إذا أصبحْنا بعثْنا بمولًى لنا يأتينا بخبره ، وربما أتينا البابَ فسألْنا ؛ فكان يَثْقُل فى كلّ يوم . فإنّا لفى منزلنا ليلةً اذ سمعنا هَمْسًا من بكاء ثم يزيدُ ذلك ، ثم سمِعْنا صوتَ سَلّامةِ القَسّ وهى رافعةٌ صوتَها تنوح وتقول :

لا تَلُمْنا إنْ خَشَعْنا * أوْ هَمَمْنا بخشوع

قد لَعَمْرِى بِتُّ ليلى * كأخى الداءِ الوجيع

كلّما أبصرتُ ربعًا * خاليًا فاضتْ دموعى

قد خلا من سيّدٍ كا * ن لنا غيرَ مُضيع

ثم صاحت وا أميرَ المؤمنين ! فعلِمنا وفاتَه، فأصبحنا فغدَوْنا فى جنازته .

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسماعيل بن أبى أُوَيْس عن أبيه قال :

قال يزيدُ بن عبد الملك ما يُقرُّ عينى ما أُوتيتُ من أمر الخلافة حتى أشترِىَ سَلّامةَ جاريةَ مُصْعَب بن سُهَيْل الزُّهْرىّ وحَبَابةَ جاريةَ آل لاحِقٍ المكيّة؛ فأرسل فاشتُرِيتا له . فلمّا اجتمعتا عنده قال : أنا الان كما قال الشاعر :

فألقتْ عَصاها وآستقرّ بها النَّوَى * كما قَرَّ عينًا بالإيابِ المسافرُ

فلمّا تُوُفّى يزيد رثته سَلّامةُ فقالت وهى تنوح عليه هذا الشعر :

لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا * أو هَمَمْنا بخُشوع

إذ فقدْنا سَـيِّدًا كا * ن لنـا غـيرَ مُضيع

وهو كاللَّيْث إذا ما * عُدّ أصحـابُ الدروع

يَقْنِصُ الأبطالَ ضربًا * فى مُضِىٍّ ورجـوع

أخبرنا الحسين بن يحيى قال حدّثنا الزُّبَير والمدائنىّ أن سَلّامة كانت لسُهَيل بن عبد الرحمن بن عَوْف، فاشتراها يزيدُ بن عبد الملك، وكانت مغنّيةً حاذقةً جميلةً ظريفةً تقول الشعر، فما رأيتُ خِصالًا أربعًا[1] اجتمعْنَ فى امرأةٍ مثلِها: حُسْن وجهها وحسن غنائها وحسن شِعْرها. قال: والشعر الذى كانت تغنّى به:

لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا * أو هَمَمْنا بخُشـوعِ

لِلّذى حَلّ بنا اليو * مَ من الأمر الفظيع

وذكر باقىَ الأبيات مثل ما ذكره غيرُه.

قال إسحاق وحدّثنى الجُمَحىّ قال حدّثنا مَنْ رأى سَلّامةَ تندُب يزيدَ بن عبد الملك بمَرْثِيَةٍ رثته بهـا، فما سمع السامعون شيء أحسنَ من ذلك ولا أشْجَى، ولقد أبكت العيونَ وأحرقت القلوبَ وأفْتنت[2] الأسماعَ، وهى:

يا صاحبَ القـبرِ الغريـبِ * بالشأم فى طَرَف الكثيبِ

بالشأم بيـن صـفائحٍ * صُمٍّ تُرَصَّـفُ بالجَبُوبِ[3]

لمّا سمعتُ أنينَــه * وبكـاءه عنـد المَغيبِ

أقبلتُ أطلُبُ طِبَّــه * والداءُ يُعْضِـلُ بالطبيب

(١) لم يرد فى الأصول إلا ثلاث خصال. (٢) هكذا فى الأصول بالهمز، وهى لغة أهل نجد، وأهل الحجاز يقولون فتنه المرأة وقد جاء باللغتين قول الشاعر:

لئن فتنتنى لهى بالأمس أفتنت * سعيدا فأمسى قد قلى كل مسلم

(٣) كذا فى م ونسخة الأستاذ الشنقيطى مصححة بقلمه. والجبوب: المدر المفتت. وفى ب، س، أ: «بالجنوب». وفى جـ: «بالجيوب» وكلاهما تصحيف.

الشعر لرجل من العرب كان خرج بٱبن له من الحجاز الى الشأم بسبب ٱمرأةٍ هَوِيها وخاف أن يفسُد بحبّها، فلما فقَدها مرِض بالشأم وضَنِى فمات ودُفن بها . كذا ذكر ٱبن الكلبيّ، وخبره يُكتَب عَقِبَ أخبار سَلّامةِ القَسّ . والغناء لسَلّامةَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن حَبَش . وفيه لحَكَمٍ رَمَلٌ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحن لٱبن غَزْوانَ الدِّمَشْقيّ من كتاب ابن خُرْدَاذْبه غيرُ مجنَّس . ٥

سألها الوليد بن يزيد أن تغنيه فبارثت به أباه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى الجُمَحيّ قال : حدّثنى مَنْ حضر الوليدَ بن يزيد وهو يسأل سَلّامةَ أن تغنّيَه شعرَها فى يزيد وهى تتنغّص من ذلك وتدمَع عيناها، فأقسم عليها فغنّته ، فما سمعتُ شيئًا أحسنَ من ذلك . فقال لها الوليد : رحم الله أبى وأطال عمرى وأمتعنى بحسن غنائك يا سلّامة! . بِمَ كان أبى يقدِّم عليكِ حَبَابة ؟ قالت : لا أدرى والله! . قال لها، لكنّنى والله أدرى! ذلك بما قسَم الله لها . قالت : يا سيِّدى أجَلْ . ١٠

انتحل إسحاق الموصلى ما ناحت به على يزيد حين كلفته أم جعفر أن يصوغ لحنا تنوح به على الرشيد

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى عبد الله بن عبد الملك الهَدَاديّ عن بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال :

سمعت نائحةً مدنيّةً تنوح بهذا الشعر :

قَدْ لعَمْرى بتُّ ليلِي * كأخى الداءِ الوَجِيعِ ١٥
ونجيُّ الهمّ منّى * بات أدنى من ضلوعى
كلّما أبصرتُ رَبْعًا * دارسًا فاضتْ دموعى
مُقفِرًا من سيِّدٍ كا * ن لنا غيرَ مُضيع

والشعر للأحوص . والنَّوح لمعبد؛ وكان صنَعه لسَلّامةَ وناحت به سَلّامةُ على يزيد . فلما سمعتُه منها ٱستحسنتُه وٱشتهيتُه ولهَجتُ به، فكنتُ أترنّم به كثيرا . فسمع ذلك ٢٠

منّى أبى فقال : ما تصنع بهذا ؟ قلت : شعرٌ قاله الأحوصُ وصنَعه معبدٌ لسَلّامةَ وناحت به سَلّامةُ على يزيد . ثم ضَرَب الدهرُ؛ فلما مات الرشيد إذا رسولُ أمّ جعفر قد وافانى فأمرنى بالحضور . فسِرتُ اليها؛ فبعثتْ إلىّ : إنى قد جمعتُ بناتِ الخلفاء وبنات هاشم لتنوح على الرشيد فى ليلتنا هذه؛ (١) فقُل الساعةَ أبياتاً رقيقةً وآصنَعْهن صنعةً حسنةً حتى أنوحَ بهن. فأردتُ نفسى على أن أقول شيئاً فما حضَرنى وجعلتْ تُرسِل إلىّ تَحُثّنى، فذكرتُ هذا النَّوحَ فأَرَيتُ أنّى أصنع شيئا، ثم قلت : قد حضَرنى القولُ وقد صنعتُ فيه ما أمرتْ؛ فبعثتْ إلىّ بكُنَيْزةَ وقالت : طارِحْها حتى تُطارِحَنِيه . فأخذتْ كُنَيْزةُ العود وردّدْته عليها حتى أخذتْه، ثم دخلتْ فطارحتْه أمّ جعفر؛ فبعثتْ إلىّ بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأصوات

صــــوت

لقد فتنَتْ ريّا وسلّامةُ القسّا * فلم تتركا للقَسّ عقلاً ولا نفسا

فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ * ـهلالِ وأخرى منهما تُشبه الشمسا

الشعر لعبد الله بن قَيْس الرُّقَيّات . والغناء لمالك خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل عن الهشامىّ . وزعم عمرو بن بانة أن خفيف الثقيل لحُنَين الحِيرى . وقيل : إنّ الثقيلَ الأوّل لدَحْمان .

ومنها الشعرُ الذى أوّلُه :

* أهابُك أن أقولَ بذلتُ نفسى *

---

(١) فى الأصول : «لتنوح» بالتاء، وسياق الكلام يقتضى أن تكون بالنون، كما أثبتناها .

صــــوت

أَأَثْلةُ جُــرّ[1] جِيرتُكِ الزِّيالا[2] * وعاد ضمــــيرُ ودِّكِ خَبـالَا

فإنّى مســـتقيلُكِ أَثْلَ لُبِّى * ولُبُّ المرء أفضلُ ما ٱستقالا

أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسى * ولو أنّى أُطيع القلبَ قالا

حياءً منكِ حتى سُلّ جِسْمِى * وشــقّ علىّ كِتْمانى وطالا ٥

الشعر للقَسّ . والغناء لَمْعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق فى مجرى البنصر . وفيه لَمْعْبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى، أوّله :

* أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسى *

كيف تعلق القس بها وقصة لها معه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا بَكّار بن رَبَاح قال : ١٠

كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عَمّار من بنى جُشَمَ بنِ معاوية، وقد كانت أصابتْ جَدَّه مِنَــةٌ من صَفْوانَ بنِ أُمَيّــة، وكان ينزل مكّةَ، وكان من عُبّاد أهلها، فسُمِّى القَسّ من عبادته . فمرّ ذاتَ يومٍ بسَلّامةَ وهى تغنّى فوقف فتسمّع[3] غناءها . فرآه مولاها فدعاه الى أن يُدخله اليها فيسمعَ منها، فأبى عليه . فقال له : فإنى أُقْعِدك فى مكانٍ تَسْمع منها ولا تَراها . فقال : أمّا هذا فنَعَمْ . فأدخله دارَه وأجلسه حيث ١٥ يسمع غناءها، ثم أمرها فخرجت اليه . فلمّــا رآها عَلِقتْ بقلبه فهامَ بها، وٱشتَهر وشاع خبرُه بالمدينــة . قال : وجعل يتردّد إلى منزل مولاها مدّةً طويلة . ثم إنّ

(١) جرجيرتك الزيالا أى سبيوه وفى ب، م : «جد» بالدال المهملة والمستعمل متعديا فى هذه المادة عو «أجد» وأما «جد» الثلاثى فيستعمل لازما . (٢) الزيال : الفراق . وفى ب، س : «الذيال» بالذال المعجمة، وهو تحــريف . (٣) كذا فى أ، م . وفى سائر الأصول : «فسمع» . ٢٠

مولاها خرج يومًا لبعض شأنه وخلّفه مقيمًا عندها ؛ فقالت له : أنا والله أحبُّك ! فقال لها : وأنا والله الذى لا إله إلا هو . قالت : وأنا والله أشتهى أن أعانقك وأقبّلك ! قال : وأنا والله . قالت : وأشتهى والله أن أضاجعك وأجعل بطنى على بطنك وصَدْرِى على صدرك ! قال : وأنا والله . قالت : فما يمنعك من ذلك ؟ فوالله إنّ المكان لخالٍ ! . قال : يمنعنى منه قولُ الله عزّ وجلّ ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ فأكره أن تحُولَ مودّتى لك عداوةً يوم القيامة . ثم خرج من عندها وهو يبكى؛ فما عاد اليها بعد ذلك .

لما ملكها يزيد وملك حبابة صار لايبالى بعدهما شيئا

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن المدائنىّ قال : لما مَلَك يزيدُ بن عبد الملك حَبابةَ وسَلّامةَ القَسّ تمثّل :

فألقتْ عصاها وٱستقرّ بها النّوَى * كما قَـرّ عينًا بالإياب المسافرُ

ثم قال : ما شاء بعدُ من أمر الدنيا فليَفُتْنِى .

١٥/٨

صوت
من المائة المختارة

وإنّى لَيُرْضِينى قليلُ نَوالِكمْ * وإن كنتُ لا أرضَى لكم بقليلِ

بحُرْمةِ ما قد كان بينى وبينكم * من الوصلِ إلا عُدْتُمُ بجميلِ

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لسليمان الفَزَارىّ . ولحنه المختار من الرَّمَل بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفُ رملٍ أوّله الثانى ثم الأوّل، ينسب الى حَكَم الوادىّ وإلى سليمانَ أيضا . وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل يقال : إنه لمُخَارِق، ذكر حَبَش أنّ لحن مُخَارِق ثانى ثقيلٍ .

أخبار العَبّاس بن الأحنف ونسبه

نسب العباس بن الأحنف

هو — فيما ذكر ابن النطّاح — العبّاس بن الأحنف بن الأسْوَد بن طَلْحَةَ ابن جَدّانَ[1] بن كَلَدةَ[2] من بنى عَدِىّ بن حَنِيفةَ .

وأخبرنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنى القاسم بن إسماعيل قال سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يقول :

العبّاس بن الأحنف بن الأسْوَد بن قُدَامةَ بن هِمْيَانَ من بنى هَفان بن الحارث ابن الذُّهْل بن الدُّوَل[3] بن حَنيفة . قال : وكان حاجبُ بن قُدَامة عمُّ العبّاس من رجال الدّولة .

قال محمد بن يحيى وحدّثنى أبو عبد الله الكِنْدِىّ قال حدّثنى محمد بن بكر الحَنَفِىّ الشاعر قال حدّثنى أبى قال :

سمعت العبّاس بن الأحنف يذكر أنّ هَوْذةَ بن علىّ الحنفىّ قد ولَده من قِبَل بعض أمّهاته .

هو شاعر غزل عفيف لم يهج ولم يمدح

وكان العبّاس شاعرًا غَزِلًا ظريفًا[4] مطبوعًا، من شعراء الدّولة العبّاسيّة ، وله مذهبٌ حسنٌ ، ولديباجةِ شعره رَوْنَقٌ ، ولمعانيه عُذوبةٌ ولُطْف . ولم يكن يجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء، ولا يتصرّف فى شىء من هذه المعانى. وقدّمه أبو العباس المبرّد فى كتاب الرّوْضة على نُظَرائه ، وأطنبَ فى وصفه، وقال : رأيتُ جماعةً من

(١) فى ابن خلكان (ج ١ ص ٣٤٦) : «حردان» . (٢) كذا فى تجريد الأغانى وابن خلكان . وفى ب، س، جـ : «صلدة» . وفى ا، م : «طرة» . (٣) فى الأصول : «الديل بن حنيفة» وهو تحريف . (راجع القاموس وشرحه مادة دول ولسان العرب وكتاب المعارف لابن قتيبة ص ٤٧ طبعة أوربا) . (٤) فى ب، س، جـ : «شريفا» .

الرُّواة للشعر يقدِّمونه . قال : وكان العبّاس من الظُّرفاء ، ولم يكن من الخُلَعاء[1] ؛ وكان غَزِلًا ولم يكن فاسقا ؛ وكان ظاهرَ النِّعمة مُلوكىَّ المَذْهبِ شديدَ التَّترُّف[2]، وذلك بيِّنٌ فى شعره . وكان قصدُه الغَزَلَ وشغلُه النسيب، وكان حلواً مقبولاً غَزِلًا غزيرَ الفكر واسعَ الكلام كثيرَ التصرُّف فى الغَزَل وحدَه، ولم يكن هَجَّاء ولا مَدّاحا .

كان حلو الحديث

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا أبو ذَكْوان قال :

سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يصف العبّاسَ بن الأحنف، فقال : كان والله ممّن إذا تكلّم لم يُحِبَّ سامعُه أن يسكت، وكان فصيحًا جميلًا ظريفَ اللِّسان، لو شئتَ أن تقول كلامُه كله شعرٌ لقلتَ .

حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

١٠ رأيت نُسَخًا من شعر العبّاس بن الأحنف بخُراسان ، وكان عليها مكتوب : "شعرُ الأمير أبى الفضل العبّاس" .

هو من عرب خراسان ومنشؤه بغداد

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنى صالح ابن عبد الوهّاب :

أنّ العبّاس بن الأحنف كان من عَرَب خُراسان، ومنشؤه ببغداد، ولم تزل العلماء

١٥ تقدِّمه على كثير من المُحْدَثين ، ولا تزال قد ترى له الشىء البارعَ جِدًّا حتى تُلحِقه بالمحسنين .

١٦ / ٨

---

(١) كذا فى تجريد الأغانى . وفى ب ، س : « الحلفاء » . وفى سائر الأصول : « الخلفاء » وكلاهما تصحيف .

(٢) كذا فى تجريد الأغانى . والترف : التنعم . وفى ب ، س : « التزيف » . وفى ح : « التريف » . وفى أ ، م : « التزايف » وكله تحريف .

٢٠

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا يَمُوت بن المُزَرّع قال :

سمعتُ خالى (يعنى الجاحظ) يقول : لولا أنّ العبّاس بن الأحنف أحذقُ الناس وأشعرُهم وأوسعُهم كلامًا وخاطرًا ما قدَر أن يكثر شعره فى مذهب واحد لا يجاوزه ؛ لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسّب ولا يتصرّف ؛ وما نعلم شاعرًا لَزِم فنًّا واحدًا لزومَه فأحسنَ فيه وأكثر .

حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن القاسم بن خلّاد قال : أنشد الحِرْمَازِىّ أبو علىّ وأنا حاضرٌ للعبّاس بن الأحنف :

صـــوت

لا جَزَى اللهُ دمعَ عينىَ خيرًا * وجزى اللهُ كلَّ خيرٍ لسانى

نَمَّ دمعِى فليس يكتمُ شيئًا * ورأيتُ اللِّسانَ ذا كِتْمانِ

كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طَىٌّ * فآستدلُّوا عليه بالعُنْوانِ

ــ الغناء لعَرِيبَ رَمَلٌ ــ ثم قال الحِرْمازِىّ : هذا واللهِ طِرَازٌ يطلُب الشعراء مثلَه فلا يقدِرون عليه .

لعنه أبو الهذيل العلاف لشعر قاله فيهباه

أخبرنى محمد قال حدّثنى حسين بن فَهْم قال سمعت العَطَوِىّ يقول :

كان العبّاس بن الأحنف شاعرًا مُجيدًا غَزِلًا ، وكان أبو الهُذَيل العلّاف يُبْغِضه ويلعَنه لقوله :

إذا أردتُ سُلُوًّا كان ناصرَكم * قلبى، وما أنا من قلبى بمنتصِرِ

فأَكْثِروا أو أَقِلُّوا من إساءتكم * فكلُّ ذلك محمولٌ على القَدَرِ

قال : فكان أبو الهُذَيل يلعَنه لهذا ويقول : يعقِد الكفرَ والفجورَ فى شِعْره .

قال محمد بن يحيى : وأنشدنى محمد بن العباس اليزيدىّ شعراً للعباس أظنّه يهجو به أبا الهُذَيل — وما سمعت للعبّاس هجاءً غيرَه — :

يا من يُكَذِّبُ أخبارَ الرسولِ لقد * أخطأتَ فى كلِّ ما تأتى وما تَذَرُ
كَذَّبتَ بالقَدَرِ الجارى عليك فقد * أتاك منِّى بما لا تَشتهى القدرُ

سئل الأصمعى عن أحسن ما يحفظ للمحدثين فأنشد من شعره

حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى محمد بن سعيد عن الرِّياشىّ قال : قيل للأصمعىّ — أو قلتُ له — ما أحسنُ ما تحفَظ للمُحْدَثين ؟ قال : قول العبّاس بن الأحنف :

صوت

لو كنتِ عاتبةً لَسَكَّنَ رَوْعَتِى * أَمَلِى رضاكِ وزرتُ غيرَ مُرَاقِبِ
لكن مَلِلْتِ فلم تكن لِىَ حيلةٌ * صَدُّ المَلُولِ خلافُ صدِّ العاتبِ

١٠ الغناء للعبّاس أخى بَحْر رَمَلٌ .

مداعبته الأصمعى فى مجلس الرشيد

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ ومحمد بن العبّاس اليزيدىّ قالا ، واللفظ لهاشم ، قال حدّثنا عبد الرحمن آبن أخى الأصمعىّ قال :

دخل عمّى على الرشيد والعبّاسُ بن الأحنف عنده ؛ فقال العبّاس للرشيد :

١٥ دَعْنِى أعبَث بالأصمعىّ . قال له الرشيد : إنه ليس ممن يحتمل العبثَ . فقال : لستُ أعبَثُ به عبثاً يَشُقّ عليه . قال : أنت أعلم . فلما دخل عمّى قال له : يا أبا سعيد ، مَن الذى يقول :

إذا أحببتَ أن تصنـ * ـع شيئاً يُعجب الناسا
فصوِّرْ هاهُنَا فَوْزًا * وصَوِّرْ ثَمّ عبّاسا

٢٠ فإنْ لم يَدْنُوَا حتّى * ترى رأسَيْهما راسا
فكذِّبْها بما قاستْ * وكذِّبْهُ بما قاسى

فقال له عمّى يعرّض بأنه نَبَطِىٌّ : قاله الذى يقول :

إذا أحببتَ أن تُبْصِـ * ـرَ شيئاً يُعجب الخَلْقا

فصَـــوِّرْ هاهنا دورا * وصَـــوِّرْ هاهنا قلقا (١)

فإنْ لم يَدْنُوَا حتّى * ترى خَلْقَيْهما خَلْقـا

فـكَذِّبْها بما لاقتْ * وكَـذِّبْه بمـا يَلْـقَى

قال : فخجِل العبّاس، وقال له الرشيد : قد نهيتُك فلم تقبَل .

حديث ابراهيم بن العباس مع ابن مهرويه عن شعره

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال أنشدنى إبراهيم بن العبّاس للعبّاس بن الأحنف :

صـــوت

قالت ظَلُومُ سَمِيّـــةُ الظُّـلْمِ * مالى رأيتُـك ناحلَ الجسمِ

يا مَنْ رَمَى قلبى فأقصَـــده * أنت العليمُ بموضـع السَّهْمِ

فقلت له : إن أبا حاتم السِّجِسْتانىّ حكَى عن الأصمعىّ أنه أنشد للعبّاس بن الأحنف :

صـــوت

أتأذَنُون لِصَبٍّ فى زيارتكم * فعنـــدكم شَهَواتُ السمع والبَصَرِ

لا يُضْمِرُ السُّوءَ إن طال الجلوسُ به * عَفُّ الضمير ولكن فاسقُ النظرِ

فقال الأصمعىّ : مازال هذا الفتى يُدْخِل يده فى جِرَابه فلا يُخْرِج شيئا، حتى أدخلها فأخرج هذا، ومَنْ أدْمَنَ طلب شىء ظفِر ببعضه . فقـال إبراهيم بن العبّاس : أنا لا أدرى ما قال الأصمعىّ، ولكن أُنْشِدُك للعبّاس مالا تدفع أنت ولا غيرُك فضلَه، ثم أنشدنى قولَه :

(١) الظاهر من السياق أن «دورا» و «قلقا» اسمان من الأسماء النبطية .

والله لو أنّ القلوبَ كقلبها * ما رَقّ للولدِ الضعيفِ الوالدُ

وقوله :

لكن مَلِلْتِ فلم تكن لىَ حيلةٌ * صَدُّ المَلُولِ خِلافُ صدّ العاتِبِ

وقوله :

حتى إذا اقتحم الفتى لُجَجَ الهوَى * جاءت أمورٌ لا تُطَاقُ كِبارُ

ثم قال : هذا والله مالا يقدر أحدٌ على أن يقول مثلَه أبدًا .

طلب الحسن بن وهب من بنان أن تغنيه بشعر فتندرت عليه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى ميمون بن هارون قال : كنّا عند الحسن بن وهب فقال لِبَنَانَ : غَنّينى :

أتأْذَنون لِصَبٍّ فى زيارتكم * فعندكم شَهَواتُ السّمْعِ والبصرِ

١٠ لا يُضْمِرُ السوءَ إن طال الجلوسُ به * عَفُّ الضميرِ ولكن فاسقُ النظرِ

قال : فضحكتْ ثم قالت : فأىُّ خيرٍ فيه إنْ كان كذا أو أىَّ معنًى ! فخجل الحسن من نادرتها(١) عليه، وعجبنا من حدّة جوابها وفطنتها .

مدح سعيد بن جنيد شعره فى إخفاء أمره

حدّثنى الصُّولىّ قال أخبرنا أحمد بن إسماعيل النّصيبِينى قال سمعتُ سعيد بن جُنيد(٢) يقول : ما أَعْرِف أحسنَ من شعر العبّاس فى إخفاء أمره حيث يقول :

١٥ أُرِيدُكِ بالسلام فأتّقيهم * فأَعمِدُ بالسلام إلى سِواكِ

وأُكْثِرُ فيهمُ ضَحِكِى لِيَخْفَى * فسِنّى ضاحكٌ والقلبُ باكِ

تمثل الواثق بشعره إذ كان غضبان على بعض جواريه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى علىّ بن محمد بن نصر قال حدّثنى خالى أحمد بن حَمْدون قال :

كان بين الواثق وبين بعض جَوارِيه شَرٌّ فخرج كسلانَ؛ فلم أَزَلْ أنا والفتحُ

٢٠ ابن خَاقَانَ نحتال لِنَشاطه ؛ فرآنى أُضاحِك الفتحَ فقال : قاتل اللهُ ابنَ الأحنف حيث يقول :

(١) فى ب ، س : «بادرتها» . (٢) فى جـ : «حنيذ» .

عَدْلٌ من الله أبكانى وأضحكها * فالحمـــدُ لله عدلٌ كلُّ ماصنَعا

اليوم أبكى على قلـــبى وأندُبُه * قلبٌ أَلَحّ عليه الحُبُّ فآنصدَعا

فقـال الفتح : أنت والله يا أمير المؤمنـين فى وَضْع التَّمَثُّل موضعَه أشعرُ منه وأعلمُ وأظرفُ .

تمثـل بشـعره فى عتاب جارية له

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى أحمد بن يزيد المهلّبىّ عن أبيه قال : ٥

قالت للواثق جاريةٌ له كان يهواها وقد جَرَى بينهما عَتْبٌ : إن كنتَ تَستطيلُ بعزّ الخلافة فأنا أدلّ بعزّ الحُبّ . أتُراكَ لم تَسمع بخليفة عشِق قبلَك قطُّ فآستوفى من معشوقه حقَّه؛ ولكنّى لا أرى لى نظيرا فى طاعتك . فقال الواثق : لله درُّ ٱبن الأحنف حيث يقول :

أمَا تَحْسَبِينى أرى العاشقينَ * بلَى،ثم لستُ أرى لى نظيرا ١٠

لعـلّ الذى بيديه الأمورُ * سيَجعل فى الكُرْه خيرًا كثيرا

مدح الزبير بن بكار شـعره

حدّثنى الصُّـولىّ قال حدّثنى المُغـيرةُ بن محمـد المُهَلّبىّ قال : سمعتُ الزبير يقول : ابن الأحنف أشعرُ الناس فى قوله :

تَعْتَـلّ بالشُّغْلِ عَنّا ما تكلّمنا * الشغلُ للقلب ليس الشغلُ للبَدَنِ

ويقول : لا أعلم شيئا من أمور الدنيا خيرِها وشرِّها إلا وهو يصلُح أن يُتَمَثَّلَ فيــه بهذا النصف الأخير . ١٥

استظرف إسحاق الموصلى شعره فى مجافاة النوم

حدّثنى الصُّـولىّ قال حدّثنى محمد بن سعيد عن حماد بن إسحاق قال : كان أبى يقول : لقد ظَرُف ٱبنُ الأحنف فى قوله يَصِفُ طولَ عهده بالنَّوْم :

قِفَـا خَـبِّرانى أيُّهـا الرجـلانِ * عن النوم إنّ الهجرَ عنه نَهانى

وكيف يكون النومُ أم كيف طَعْمُه * صِفَا النّـومَ لى إن كنتما تَصِفَانِ ٢٠

قال : على قلّة إعجابه بمثل هذه الأشعار .

كان سلمة بن عاصم معجبا بشعره حتى كان يحمله معه

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون بن مَخْلَد قال حدّثنا أحمد بن إبراهيم قال : رأيتُ سَلَمة بن عاصم ومعه شعر العباس بن الأحنف ، فعجِبتُ منه وقلتُ : مثلُك — أعزّك الله — يحمِل هذا ! فقال : ألا أحمِل شعرَ من يقول :

صــــوت

أسَأتُ أنْ أحسنتُ ظنِّي بكم * والحَزْمُ سوءُ الظنِّ بالنّــاس

يُقلقني الشــوقُ فآتيكــمُ * والقلبُ ممــلوءٌ من الياس

غنّى هذين البيتين حسين بن مُحْرِز خفيفَ رملٍ بالوسطى . وأوّلُ الصوت :

يا فــوزُ يا مُنيةَ عبّــاسٍ[1] * وا حَرَبَا من قلبـك القاسى

أعجب أعرابي بشعره

وروى أحمد بن إبراهيم قال : أتاني أعرابيٌّ فصيحٌ ظريف ، فجعلت أكتب عنه أشياء حسانًا ؛ ثم قال : أنشِدْني لأصحابكم الحَضَريّين . فأنشدتُه للعبّاس بن الأحنَف :

ذكرتُك بالتُّفّاح لمّــا شَممتُــه * وبالرّاح لما قابلتْ أوجُهَ الشَّرْبِ

تذكّرتُ بالتفّاح منك سَوالِفًا * وبالرّاح طعمًا من مُقبَّلِك العَذْبِ

فقال : هذا عندك وأنت تكتب عنّى ! لا أُنشِدك حرفًا بعد هذا .

فضل العباس بن الفضل بعض شعره على قول أهل العراق

وحدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى الكاتب قال سمعت عبد الله ابن العبّاس بن الفضل يقول : ما أعرف في العراق أحسنَ من قول ابن الأحنف :

سبحانَ ربِّ العُــلا ما كان أغفلَني * عمّــا رمتْني به الأيامُ والزمنُ

مَنْ لم يَذُقْ فُرقةَ الأحبابِ ثم يرى * آثارَهم بعـــدهم لم يَدْرِ ما الحَزَنُ

قال أبو بكر : وقد غنّى عبد الله بن العبّاس فيه صوتًا خفيفَ رملٍ .

(١) كذا في ديوانه طبع مطبعة الجوائب ص ٩١ ؛ وقد ورد فيه هذا البيت هكذا :

يا فوز يا منيــة عباس * قلبي يفــدّى قلبك القاسى

وفي الأصول : « يا هية عباس » وهو تحريف .

مدح حسين بن الضحاك شعره واستجاده

حدّثنى الصُّولى قال حدّثنا ميمون بن هارون قال : سمعتُ حسين بن الضحّاك يقـول :

لو جاء العبّاس بن الأحنف بقوله ما قاله فى بيتين فى أبيات لعُذر، وهو قولُه :

لَعَمْـرُك ما يسـتريح المُحِبُّ حـتى يبـوحَ بأسرارِه

فقـد يكتُم المـرءُ أسرارَه * فتظهرُ فى بعض أشـعارِه

ثم قال : أمّا قولُه فى هذا المعنى الذى لم يتقدّمه فيه أحدٌ فهو :

الحُبُّ أملَكُ للفـؤاد بقهره * من أن يُرَى للسّتر فيه نصيبُ

وإذا بَدَا سرُّ اللبيبِ فإنّه * لم يَبْدُ إلّا والفتى مغـلوبُ

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى الغَلابىّ قال حدّثنى الزُّبَير بن بكّار قال قال ابو العتاهية : ما حسَدْتُ أحدًا إلا العبّاس بن الأحنف فى قوله :

إذا امتنع القريبُ فلم تَنَلْهُ * على قُرْبٍ فذاك هو البعيدُ

فإنى كنتُ أولى به منه وهو بشعرى أشبه منه بشعره . فقلت له : صدقت ، هو يُشبه شعرك .

استجاد الكندى ضروب شعره

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى أبو الحسن الأنصارىّ قال : سمعتُ الكِنْدىّ يقول : العباس بن الأحنف مليحٌ ظريفٌ حكيم جَزْلٌ فى شعره، وكان قليلّاما يُرضينى الشعرُ . فكان يُنشد له كثيرا :

صـــوت

ألَا تَعْجبون كما أعجَبُ * حبيبٌ يُسىء ولا يُعتِبُ

وأبغى رضاهُ على سُخْطِه * فيأبَى علىّ ويستصعِبُ

فيا ليتَ حَظّى إذا ما أسأ * تَ أنّك ترضَى ولا تغضَبُ

كان إبراهيم الموصلي مشغوفا بشعره كثير الغناء فيه

أخبرني الصولي قال حدّثنا محمد بن الفضل قال حدّثني حماد بن إسحاق قال: كان جدّي إبراهيم مشغوفاً بشعر العبّاس، فتغنّى في كثيرٍ من شعره، فذكر أشعارًا كثيرةً حفظتُ منها :

صـــوت

وقد مُلِئتْ ماءَ الشّبابِ كأنّها * قضيبٌ من الرَّيحان رَيّانُ أخضر

همُ كتموني سَيْرَهم حين أزمَعوا * وقالوا اتّعَدْنا للرَّواح وبكّروا

٢٠/٨

ذكر الهشاميّ أنّ اللحن في هذين البيتين لعَلُّويه رمل، وفي كتاب ابن المكّيّ أنه لابن سُرَيج، وهو غلطٌ .

كلمة المأمون لما أنشد بيتا له

وقد أخبرني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فَهْم قال :

١٠ أنشد المأمون قولَ عبّاس بن الأحنف :

همُ كتموني سَيْرَهم حين أزمعوا * وقالوا اتّعَدْنا للرّواح وبكّروا

فقال المأمون : تَخبروا بأبي الفضل .

قال : وحفظتُ منها :

صـــوت

١٥ تمنّى رجالٌ ما أحبّوا وإنما * تمنّيتُ أن أشكو إليكَ وتَسْمعا

أَرَى كلّ معشوقَيْن[1] غيري وغيرها * قد استعذَبا طولَ الهوى وتمتّعا

الغناءُ لإبراهيم ثقيلٌ أوّل بالبنصر . وفيه ثقيل أوّل بالوسطى يُنْسَب إلى يزيد حوراء وإلى سُلَيم بن سَلّام .

---

(١) في جـ : « كل مشغوفين » .

قال وحفظتُ منها :

بكتْ عينى لأنواعٍ * من الحزن وأوجاعِ

وأنى كلَّ يومٍ عنـ * ـدكم يَحْظَى بىَ السّاعى

أعيشُ الدّهرَ إن عشتُ * بقلبٍ منكِ مُرتاعِ

وإن حلّ بىَ البعدُ * سينْعانى لكِ النّاعى

الغناء لإبراهيم المَوْصلىّ ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفى كتاب إبراهيم بن المهدىّ الذى رواه الهشامىّ عنه أن لإبراهيمَ بن المهدىّ فيه لحنَيْن : ثقيلًا أوّل وماخُوريًّا . وفيه هزَجٌ محدَثٌ .

غنى إبراهيم الموصلى فى شعره وشعر ذى الرمة أكثر مما غنى فى شعر غيرهما

أخبرنى الصولىّ قال حدّثنا أصحابُنا عن محمد بن الفضل عن حمّاد بن إسحاق قال :

١٠

ما غنّى جَدّى فى شعر أحد من الشعراء أكثَرَ ممّا غنّى فى شعر ذى الرُّمّة وعبّاس آبن الأحنف .

مدح ابن الأعرابى شعرا له غنى به فى حضرة أحد أولاد الرشيد

أخبرنى الصّولىّ قال حدّثنى محمد بن عبد الله التّميمىّ قال :

كنّا فى مجلس آبن الأعرابىّ ، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يَلْزَم آبنَ الأعرابىّ ، وكان يحبّه ويأنَس به ، فقال له : ما أخّرك عنّى؟ فآعتذر بأشياء

١٥

ثم قال : كنتُ مع مُخارق عند بعض بنى الرّشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنّاه به ، فآستكثر ذلك آبنُ الأعرابىّ وآستهاله وعجِب منه ، وقال : ما هو؟ قال : غنّاه بشعر عبّاس بن الأحنف :

بكتْ عينى لأنواعٍ * من الحزن وأوجاعِ

وأنى كلَّ يومٍ عنـ * ـدكم يَحْظَى بىَ السّاعى

٢٠

فقال ابنُ الأعرابىّ : أمّا الغناء فما أدرى ما هو ، ولكن هذا والله كلامٌ قريبٌ مليحٌ .

تغنى الواثق بشعره

حدّثنى الصّولى قال حدّثنا محمد بن الهيثم قال حدّثنى محمد بن عمرو الرومى (١) قال : كنّا عند الواثق فقال : أريد أن أصنع لحنًا فى شعرٍ معناه أنّ الإنسان كائنًا من كان لا يقدر على الاحتراس من عدوّه ، فهل تعرفون فى هذا شيئًا؟ فأنشدنا ضروبًا من الأشعار، فقال : ما جئتم بشىء مثل قول عبّاس بن الأحنف :

قلبى إلى ما ضرّنى داعى * يُكْثِر أسقامى وأوجاعى

كيف احتراسى من عدوّى إذا * كان عدوّى بين أضلاعى

أسلمنى للحبّ أشياعى * لمّا سعى بى عندها السّاعى

لقلّما أبقى على كلّ ذا * يوشك أن ينعانِىَ النّاعى

قال : فعمل فيه الواثقُ لحنه الثقيلَ الأوّل، النّشيد (٢) بالوسطى .

قصة المتوكل وعلى ابن الجهم فى صدد شعره

حدّثنى الصّولى قال حدّثنى محمد بن موسى أو حُدِّثتُ به عنه عن علىّ بن الجَهْم قال :

انصرفتُ ليلةً من عند المتوكل ، فلما دخلتُ منزلى جاءنى رسولُه يطلُبنى، فراعنى ذلك وقلت : بلاءٌ تُتُبِّعتُ به بعد انصرافى ، فرجعتُ إليه وَجِلًا، فأُدخلتُ عليه وهو فى مَرْقَده . فلما رآنى ضحك ، فأيقنتُ بالسلامة، فقال: يا علىّ، أنا مُذْ فارقتُك ساهرٌ، خطر (٣) على قلبى هذا الشعرُ الذى يُغَنِّى فيه أخى، قولُ الشاعر :

* قلبى إلى ما ضرّنى داعى *

الأبيات . فحرَصْتُ أن أعمَل مثلَ هذا فلم يجئنى ، أو أن أعمَل مثلَ اللحن فما أمكننى ، فوجدتُ فى نفسى نقصًا، فقلت : يا سيّدى، كان أخوك خليفةً يغنّى وأنت خليفةٌ لا تغنّى؛ فقال : قد والله أهديتَ إلى عينى نومًا، أعطوه ألفَ دينار، و... وانصرفتُ .

(١) ... و ح : «عمرو الدورى» . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ح : «الثقيل النشيد بالوسطى» . ومن الصواب : «الثقيل الأوّل بالوسطى» . (٣) فى ب، س : «فخطر» بزيادة الفاء .

وجدتُ فى كتاب الشّاهينى بغير إسناد :

أنشد أبو الحارث جُمَيْز[(1)] قول العباس بن الأحنف .

أنشد أبو الحارث جميز من شعره فقال : إنه قاله فى طباخة

* قلبى إلى ما ضرّنى دَاعى *

الأبيـات . فبكى ثم قال : هـذا شعرُ رجلٍ جائعٍ فى جارية طبّاخةٍ مليحةٍ ؛ فقلت له : من أين قلت ذاك؟ قال : لأنه بَدَأ فقال :

* قلبى إلى ما ضرّنى داعى *

وكذلك الإنسـان يدعوه قلبُه وشهوتُه إلى ما يضرُّه من الطّعام والشّراب فيأكله ، فتكثر عِلَلُه وأوجاعُه ، وهذا تعريض؛ ثم صرّح فقال :

كيف آحتراسى من عدوّى إذا * كان عدوّى بيـن أضلاعى

وليس للإنسان عدوٌّ بين أضلاعه إلا مَعِدتُه ، فهى تُتلِف مالَه ، وهى سببُ أسقامِه ، وهىَ مفتاح كلّ بلاء عليه ، ثم قال :

إن دام لى هجرُك يا مالِكى * أوْشَـك أن يَنْعانىَ النّاعى

فعلمتُ أنّ الطبّاخةَ كانت صديقتَه ، وأنها هجرتْه ففقَدها وفقد الطّعامَ ، فلو دام ذلك عليه لمـات جوعًا ونَعاه النّاعى .

وحدّثنى الصّولىّ قال حدّثنى محمد بن عيسى قال :

تمثل الحسن بن وهب بشعره فى حادثة له مع بنان

جاء عبـد الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرّبيع إلى الحسن بن وهب ، وعنده بَنَان جاريةُ محمد بن حمّاد ، وهى نائمةٌ سَكْرَى وهو يبكى عندها . فقال له : مالَكَ؟ قال : قد كنتُ نائمًا فجاءتنى فأنبَهتْنى وقالت : آجلس حتى تشربَ فجلستُ ، فوالله ما غنّتْ

(1) كذا فى شرح القاموس والأغانى (ج ١ ص ٨٣ من هذه الطبعة) وقد ورد فيهما خلاف وتصويب فيه فانظره . وفى أ ، ء ، م : «حبين» . وفى ب ، س : «حميد» بالحاء المهملة . وكلاهما تحريف .

عشرةَ أصوات حتى نامت وما شرِبتُ إلّا قليلا، فذكرتُ قولَ أشعرِ الناس وأظرفهم، العبّاس بن الأحنف :

صوت

أبكى الذين أذاقونى مودّتَهم * حتى إذا أيقظونى للهوى رقَدُوا

فأنا أبكى وأنشِد هذا البيت .

كلام ابنه ابراهيم فى مدح شعره و بلاغته وابشاده له

وحدّثنى الصّولىّ قال حدّثنى القاسم بن إسماعيل قال : سمعت إبراهيم بن العبّاس يقول: مارأيتُ كلامًا مُحْدَثا أجزلَ فى رقّة، ولا أصعبَ فى سهولة، ولا أبلغَ فى إيجاز، من قول العباس بن الأحنف :

تعالَىْ نُجَدِّدْ دارسَ العهد بيننا * كلانا على طول الجفـاء مَلُومُ

٢٢/٨

١٠ قال الصّولىّ: ووجدتُ بخطّ عبد الله بن الحسن: أنشد أبو محمد الحسن بن مَخْلَد قال : أنشدنى إبراهيم بن العباس بن الأحنف :

صوت

إن قال لم يفعَل وإن سِيلَ لم * يبْــذُل وإن عُوتبَ لم يُعتِبِ

صبٌّ بعِصْيانى ولو قال لى * لا تَشربِ(١) البـاردَ لم أشرَبِ

١٥ إليك أشكو ربِّ ما حلّ بى * من صدّ هذا المُذْنِب المُغْضَبِ

ــ غنّى فى هذه الأبيات أحمد بن صَدَقة هزجًا بالوسطى . وفيها لحنٌ آخر لغيره ــ

قال الحسن بن مَخْلَد(٢) : ثم قال لى إبراهيم بن العباس: هذا واللهِ الكلامُ الحسنُ المعنى، السهلُ المَوْرِد، القريبُ المتناوَل، المليحُ اللفظ، العذبُ المستَمع .

(١) فى الأصول : « لم تشرب ... » . والتصويب عن الديوان . (٢) فى الأصول هنا :

٢٠ «الحسن بن خالد» .

مدح على بن يحيى شعره وقال على رويه شعرا

حدّثنى الصّولىّ قال حدّثنى أحمد بن يزيد المهلّبىّ قال :

سمعتُ علىّ بن يحيى يقول: من الشعر المرزوق[1] من المغنّين خاصّة [شعر][2] العباس ابن الأحنف، وخاصّة قوله :

نامَ من أهْـدى لىَ الأرَقَا * مســتريحًا سامَنى قَلَقَـا

فإنّه غنّى فيه جماعةٌ من المغنّين، منهم إبراهيم الموصلىّ وابنه إسحاق وغيرهما . قال : وكان يَسْتحسن هذا الشعر، وأظن استحسانه إيّاه حمَلَه على أن قال فى رَوِيّه وقافيته :

بأبى واللهِ مَن طرَقَا * كابتسام البرق إذ خَفَقَا

وعمِل فيه لحنًـا من خفيف الثقيل فى الإصْبع الوسـطى . هكذا رواه الصُّولىّ .

وأخبرنى جَحْظة قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال : قال أبى : هذا الصوت :

* نام من أهدى لىَ الأرَقا *

مدح إسحاق شعره وقال إنه محظوظ من المغنين

من الأشـعار المحظوظة فى الغنـاء لكثرة ما فيـه من الصَّنْعة واشـتراك المغنّين فى ألحـانه . وذكر محمد بن الحسن الكاتب عن علىّ بن محمـد بن نصر عن جدّه حَمْدون[3] أنّه قال ذلك ولم يذكره عن إسحاق .

نســبة هــذين الصوتين منهما

صــــوت

نام من أهْدى لِىَ الأرَقا * مســـتريحًا زادَنى قَلَقَا

لو يَبِيتُ النـاسُ كلُّهم * بسهادى بيَّض الحَدَقا

(١) فى ب، س، م : «الموزون» وهو تحريف . (٢) تكلة يقتضيها سياق الكلام. وعبارة تجريد الأغانى «ومن رقيق شعر العباس المحظوظ فى الغناء قوله ... الخ» .

(٣) فى الأصول : « ابن حمدون » . وهو تحريف . (راجع الاستدراك الأول ص ٥٣٧ ج ٥ من هذه الطبعة) .

كان لى قلبٌ أعيش به * فاصطلى بالحبّ فاحترقا

أنا لم أرْزَق مودّتكم * إنما للعبد ما رُزِقا

لإسحاق فى هذا الشعر خفيفٌ بالوسطى فى مجراها . ولأبيه إبراهيم أيضا فيه خفيفُ ثقيل آخرُ . ولابن جامع فيه لحنان : رمَلٌ مُطْلَق فى مجرى الوسطى فى الأوّل والثالث، وخفيفُ رملٍ مطلَق فى مجرى الوسطى أيضا فى الأبيات كلها . وفيه لسُلَيْم هزَجٌ، ٥
وفيه لعَلّويه ثقيلٌ أوّل .

نسبة صوت على بن يحيى

صوت

٢٣/٨

بأبى والله مَنْ طَرَقا * كابْتسام البرق إذْ خَفَقا

زادنى شوقًا بزَوْرَته * وملا قلبى به حُرَقا ١٠

مَنْ لقلبٍ هائمٍ دَنِفٍ * كلّما سلّيتُه قَلِقا

زارنى طيفُ الحبيب فما * زاد أن أغْرى بىَ الأَرَقا

الشعر لعلىّ بن يحيى ؛ وذكر الصّولىّ أن الغناء له خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . وذكر أبو العُبَيْس بن حمدون أنّ هذا الخفيفَ الثقيلَ من صنعته . وفيه لعَريب
ثانى ثقيل بالوسطى أيضا . ١٥

مدح عبد الله بن المعتز شعره

حدّثنى الصّولىّ قال : سمعتُ عبد الله بن المعتزّ يقول : لو قيل : ما أحسنُ شىء تعرِفه؟ لقلتُ : شعرُ العبّاس بن الأحنف :

صوت

قد سحَبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا * وفرّق الناسُ فينا قولَهم فِرَقَا

فكاذبٌ قد رمَى بالحبّ غيرَكمُ * وصادقٌ ليس يَدْرى أنه صدَقا ٢٠

قال: وللسّدود[1] فى هذا الشعر لحن . قال : ولم يُغَنّ المسدودُ أحسنَ من غنائه فى شعر العبّاس بن الأحنف . هكذا ذكر الصّولىّ، ولم يأت بغير هذا . ولإسحاق فى هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة الثانية . ولابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشامىّ . وليزيد حَوْراء خفيفُ ثقيل عنه . وللسّدود رملٌ . ولعبد الله آبن العباس الرّبيعىّ خفيفُ رَمَلٍ .

شكا الفضل بن الربيع جاريته الى ابراهيم الموصلى فأحاله على شعره

وأخبرنى الصّولىّ قال حدّثنى محمد بن سعيد قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

غَضِب الفضلُ بن الربيع على جارية له كانت أحبَّ الناس إليه، فتأخّرت عن آسترضائه ، فغمّه ذلك، فوجّه إلى أبى يُعْلِمُهُ ويشكوها إليه . فكتب إليه أبى : لك العزّةُ والشرف، ولأعدائك الذّل والرَّغْم . آستعمِلْ قولَ العباس بن الأحنف : ١٠

تحمّــلْ عظيمَ الذنب ممّن تحبّه * وإن كنتَ مظلوماً فقُلْ أنا ظالمُ

فإنك إلّا تَغْفِر الذنبَ فى الهوى * يُفارِقْك من تَهوى وأنفُك راغِمُ

فقال : صدقتَ، وبعث إليها فترضّاها .

دافع مصعب الزبيرى عن شعره

أخبرنى الصّولىّ قال حدّثنى أبو بكر بن أبى خَيْثَمةَ قال :

قيل لمُصْعَب الزّبيرىّ : إن الناس يَسْتبرِدُون شعرَ العباس بن الأحنف . ١٥ فقال : لقد ظلموه، أليس الذى يقول :

---

(١) كذا فى الأغانى فى ترجمته (ج ٢١ ص ٢٥٦) واسمه الحسن ، وكنيته أبو على ، وكان أبوه قصابا ، وكان هو بسدود فرد منخر ومفتوح الآخر، وكان يقول : لو كان منخرى الآخر مفتوحا لأذهلت بغنائى أهل الحلوم وذوى الألباب . وفى الأصول هنا فى كل المرات التى ذكر فيها : «المشدود» بالشين المعجمة ، وهو تصحيف . ٢

صـــوت

قالت ظلومُ سَمِيـــةُ الظُّلْمِ * مالى رأيتُـك ناحلَ الجسمِ
يا من رمى قلبى فأقصَــدَه * أنت العليمُ بموقــع السَّهْمِ

الغناء لأبى العُبَيْس أو ابنه إبراهيم، ماخُورىّ .

قال شعرا فى البكاء فأجازته أم جعفر

٥ أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال حدّثنى أبو عبد الله الهشامىّ الحسن بن أحمد[1] قال حدّثنا عمرو بن بانَةَ قال :

كنّا فى دار أُمّ جعفر جماعةً من الشعراء والمغنّين ؛ فخرجتْ جاريةٌ لها وكُمُّها مملوء دراهم، فقالت : أيّكم القائل :

من ذا يُعيرك عينَه تبكى بها * أرأيت عيـــنًا للبكاء تُعارُ

٢٤/٨

١٠ فأُومِئ إلى العباس بن الأحنف؛ فنثرتْ الدراهمَ فى حِجره فنفضَها فلقطَها الفرّاشون؛ ثم دخلتْ ومعها ثلاثةُ نفرٍ من الفرّاشين على عُنُق كلِّ فرّاش بَدْرةٌ فيها دراهم، فمضَوْا بها إلى منزل العبّاس بن الأحنف .

أنشد الرشيد شعره فى البكاء فدعا عليه وسخط

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال حدّثنى محمّـدُ بن موسى قال :
أنشد الرشيدُ قولَ العبّاسِ بنِ الأحنف :

١٥ * من ذا يُعيرك عينَه تبكى بها *

فقال : مَنْ لا صَحِبه الله ولا حاطه .

سرق مخلد الموصلى من شعره فكشفه عبد الله بن ربيعة الرقى

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْنُ بن محمّد الكِندىّ قال :

(١) فى الأصول : « أبو عبد الله الهشامى أحمد بن الحسين » . وهو تحريف . (راجع الجزء السابع من هذه الطبعة ص ٢٩٣) .

كنّا مع مَخْلَد المَوْصِلىّ فى مجلس وكان معنا عبدُ الله بن رَبيعةَ الرَّقّىّ، فأنشد مخلد المَوْصلى قصيدةً له يقولُ فيها :

كلُّ شىء أَقْوى عليه ولكنْ * ليس لى بالفِراق منك يَدانِ

فجعل يستحسنه ويردّده ، فقال له عبدُ الله : أنتَ الفداء لمن آبتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول :

سلبتْنى من السُّرور ثياباً * وكستْنى من الهموم ثِيابَا

كلما أغْلقتْ من الوصل بابا * فتَحَتْ لى إلى المنيّة بابا

عذَّبِينى بكلِّ شىء سوى الصـ * ـدِّ فما ذقتُ كالصدود عذابا

قال : فضحك المَوْصِلىّ . والشعرُ للعبّاس بن الأحنف .

مدح الرياشى شعره

وأخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى أبو الحسن الأسدىُّ قال :

سمعت الرِّياشىَّ يقولُ، وقد ذُكِر عندَه العباسُ بنُ الأحنف : والله لو لم يقُلْ من الشعر إلا هذين البيتين لكفَيا :

صـــوت

أَحْرَمُ منكم بما أقولُ وقد * نالَ به العاشقونَ مَن عَشِقُوا

صِرْت كأنى ذُبالةٌ نُصِبَتْ * تُضىءُ للنّاس وهى تحترقُ

وفى هذين البيتين لحنٌ لعبد الله بنِ العبّاس من الثقيل الثانى بالبِنصر . وفيه لخَزْرَج رَمَلٌ أوّلُ عن عبد الله بن العبّاس :

أنتِ لا تعلمينَ ما الهمُّ والحُزْ * نُ ولا تعلَمين ما الأرَقُ[1]

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصول مفردا ، وهو وإن كان على روىّ البيتين السابقين إلا أنه لم يمهد له ، فالظاهر أن فى الأصول نقصا .

اختلف الرشيد وإسحاق الموصلي في مدحه ومدح أبي العتاهية

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني بعضُ مشايخ الأزد عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال :

كان الرشيد يقدِّم أبا العتاهية حتى يجوزَ الحدَّ في تقديمه، وكنت أقدِّم العبّاس ابنَ الأحنف؛ فاغتابني بعضُ الناس عند الرشيد وعابني عنده، وقال عَقِبَ ذلك : وبِحَسْبِك يا أميرَ المؤمنين أنه يُخالفُك في العباس بن الأحنف على حداثة سنّه وقلّة حِذْقه وتجربته، ويقدِّمُه على أبي العتاهية مع ميْلك إليه . وبلغني الخبرُ فدخلت على الرّشيد، فقال لي ٱبتداءً : أيما أشعرُ عندك : العباسُ بن الأحنف أو أبو العتاهية؟ فعلِمتُ الذي يريدُ، فأطرقتُ كأني مُستَثْبِتٌ ثم قلت : أبو العتاهية أشعرُ . قال : أَنْشِدْني لهذا ولهذا؛ قلت : فبأيّهما أبدأ ؟ قال : بالعباس . قال : فأنشدتُه أجودَ ما أرويه للعبّاس، وهو قوله :

أُحْرَم منكم بما أقولُ وقد ٭ نال به العاشقون مَنْ عَشِقُوا

فقال لي : أحسَن، فأنشدني لأبي العتاهية، فأنشدتُه أضعفَ ما أقدرُ عليه، وهو قوله :

كأنَّ عُتّابةَ من حُسْنها ٭ دُمْيةُ قَسٍّ فتنتْ قَسَّها

يا ربِّ لو أنسيتَنِيها بما ٭ في جَنّة الفردوس لم أنْسَها

إني إذًا مثلُ التي لم تزل ٭ دائبةً في طحنها كُدْسَها[1]

حتى إذا لم يبق منها سوى ٭ حَفْنةٍ بُرٍّ قتلتْ نفسَها

قال : أتميره هذا[2] ! فأين أنت عن قوله :

قال لي أحمدٌ ولم يدرِ ما بي ٭ أتحبُّ الغداةَ عُتبةَ حقّا

فتنفّستُ ثم قلت نعم حُـ ٭ ـبًّا جرى في العروق عِرْقًا فعِرْقا

(١) الكدس : العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك . (٢) في الأصول «أتميره بهذا» وهي لغة رديئة .

ويحك! أتعرف لأحدٍ مثلَ هذا، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله: "فتنفَّسْتُ ثم قلت كذا وكذا"! . اذهبْ ويحك فآحفَظْها؛ فقلت: نعم يا أميرَ المؤمنين، ولو كنت سمعتُ بها لحفظتُها . قال إسحاق: وما أَشُكّ أنى كنت أحفَظ لها حينئذ من أبى العتاهية، ولكنّى إنما أنشَدتُ ما أنشدْتُ تعصُّباً .

صحب الرشيد الى خراسان وعرض الرجوع بشعر فاذن له

قال محمدُ بنُ يزيد:

وحُدِّثت من غير وجهٍ أنّ الرشيدَ ألِف العباسَ بن الأحنف ؛ فلما خرج إلى خُراسان طال مُقامُه بها، ثم خرج إلى أَرْمِينيَة والعباسُ معه ماشيًا إلى بغدادَ ، فعارَضه فى طريقه فأنشده:

قالوا خُراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا * ثم القُفولُ فقد جئنا خراسانا

ما أقدرَ اللهَ أن يُدْنى على شَحَط * سكانَ دِجلةَ من سُكّان جَيْحانا [(1)]

متى الذى كنتُ أرجوه وآمُلُه * أمّا الذى كنتُ أخشاه فقد كانا

عينُ الزمانِ أصابتْنا فلا نَظَرتْ * وعذِّبتْ بصنوفِ الهجر ألوانا

— فى هذين البيتين الأخيرين رمَلٌ بالوسطى يُنسَب إلى مخارق وإلى غيره —

قال فقال له الرشيد: قد آشتقتَ يا عباس وأذِنتُ لك خاصّة، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

لم يبتذل هو ولا العراف شعرهما فى رغبة ولا رهبة

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنا محمدُ بن القاسم قال: سمعتُ مُصْعَبًا الزُّبَيْرىّ يقول: العباسُ بن الأحنف وعمرو العرّاف [(2)] ما آبتذلا شعرَهُما فى رَغْبة ولا رَهْبة، ولكن فيا أحبّاه، فلَزِما فنًّا واحدا لو لَزِمه غيرُهما ممّن يُكثر إكثارَهما لضعُف فيه .

(١) جيحان: اسم نهر. (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى جـ: «العراق». والظاهر أنه تحريف عن «الوراق»، فقد كان عمرو الوراق شاعرا غزلا ظريفا معاصرا للعباس بن الأحنف .

ذكر الأصوات التى تجمع النَّغَم العشر

منها :

صــــوت

توهَّمتُ بالخَيْف رسمًا مُحِيلا * لعَـزَّةَ تَعرِفُ منـــه الطُّلولَا

تَبَدَّلَ بالحىِّ صوتَ الصَّدى * ونوحَ الحمامــة تدعو هَدِيلا

عروضُه من المتقارِب . الخَيْفُ الذى عناه كُثَيِّر ليس بخَيف مِنًى، بل هو موضع آخر فى بلاد ضَمْرَة . والطُّلول : جمع طَلَل، وهو ما كان له(١) شخص وجسم عالٍ من آثار الدّيار . والرَّسم : ما لم يكن له شخص [وجسم](٢) . والصَّدَى ها هنا : طائر، وفى موضع آخر : العطش . ويزعُم أهل الجاهليّة أن الصَّدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح [أسقونى](٢) حتى يُدرَكَ بثأره . قال طَرَفَةُ :

كريم يروِّى نفســـه فى حياته * ستعلم إن مِتْنا صَدًى(٣) أيُّنا الصَّدِى

والحمام : القَمارِىّ ونحوها من الطير . والهديل : أصواتها .

الشعر لكثيّر والغناء لعُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر، ونَسَبه إلى جاريته وكَنَى عنها، فذكر أنّ الصَّنعةَ لبعض من كثُرت دُرْبَتُه بالغناء وعظُم علمُـه وأتعب نفسَه حتى جمع النَّغَم العشرَ فى هذا الصوت، وذكر أن طريقتَه من الثقيل الأوّل، وأنّه ليس يجوز أن يَنْسُبَه إلى موضع إصْبع مُفْردة؛ لأن ٱبتداءه على المَثْنى مُطْلقًا، ثم بسبّابة المَثْنى، ثم وُسْطى المثنى، ثم بِنْصر المَثْنى، ثم خنصر المَثْنى، ثم سبّابة الزِّير، ثم وُسْطاه، ثم بِنصره، ثم خِنصره، ثم النَّغمة الحادّة، وهى العاشرة . وفيه لابن مُحْرِز ثانى ثقيلٍ مطلَق فى مجرى البِنصر . وفيه لابن الهِرْبِذ رمَلٌ بالوُسطى عن عمرو، وهذا الصوتُ من الثقيل

(١) فى حـ « ما بان » . (٢) زيادة عن حـ . (٣) الصدى : العطشان .

الثانى، وهو الذى ذكر إسحاق فى كتاب النَّغم وعلَلها أن لحن ابن محرز فيه يجمع ثمانيا من النغم العَشر، وأنه لا يعرف صوتًا[1] يجمعها غيرُه، وأنه يمكن من كان له علمٌ ثاقبٌ بالصناعة أن يأتىَ فى صوتٍ واحدٍ بالنَّغم العشر، بعد تعبٍ طويل ومُعاناةٍ شديدة. وذكَرَ عُبَيْد الله أن صانع هذا الصوتِ الذى كَنَى عنه فعلَ ذلك وتلطّف له حتى أتى بالنغم العشر فى هذا متواليةً من أوّلها إلى آخرها، وأتى بها فى الصوت الذى بعده متفرّقةً على غير توالٍ إلّا أنها كلّها فيه، وذكر أن ذلك الصوتَ أحسنُ مسموعًا وأحلى. وحَكى ذلك أيضا عنه يحيى بن علىّ بن يحيى فى كتاب النَّغَم.
وإذ فرغتُ من حكايةِ ما ذكَره وحكاه عُبَيْد الله فى نِسبة هذا الصوتِ فقد ينبغى ألّا أُجرِىَ الأمرَ فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاه. والذى وصفه من جهة النغم العشر متواليةً فى صوت واحد محالٌ لا حقيقة له، ولا يُمكن أحدًا بتّةً[2] أن يفعله. وأنا أُبيِّن العلّةَ فى ذلك على تقريبٍ، إذ كان استقصاء شرحها طويلا. وقد ذكرتُه فى رسالة إلى بعض إخوانى فى علل النغم، وشرحتُ هناك العلّةَ فى أنْ قُسِّم الغناءُ قسمين وجُعل على مجريَيْن: الوُسطى والبِنْصر دون غيرهما، حتى لا يُدْخِل[3] واحدةً منهما على صاحبتها فى مجراها قُرْبُ مخرج الصوت، إذا كان على الوُسطى منه [أو][4] إذا كان على البنصر وشبهه به. فإذا أراد مُريدٌ إلحاقَ هذا بهذا لم يُمكنه بتّةً على وجهٍ ولا سببٍ، ولا يُوجد فى استطاعة حيوان أن يتلو إحداهما بالأخرى. وإذا أُثْبِتت[5] إحداهما بالأخرى فى ناى أو آلة من آلات الزمر تفصّلت إحداهما.

(١) فى الأصول: «وأنه لا يعرف صوتا أتى عشرة يجمعها ... الخ». والظاهر أن كلمة «إلى عشرة» مقحمة. (٢) المشهور فى هذه الكلمة أنها لا تنكر. قال ابن برى: مذهب سيبويه وأصحابه أن البتة لا تكون إلا معرفة لا غير، وإنما أجاز تنكيرها الفراء وحده، وهو كوفى. (٣) فى الأصول: «لا تدخل» بالتاء المثناة الفوقية. (٤) زيادة يقتضيها السياق. (٥) فى الأصول: «ولا اذا اتبعت ... الخ». والظاهر أنها محرفة عما أثبتناه.

من الأخرى . وإنما قلّت النغمُ فى غِناء الأوائل لأنهم قسّموها قسمين بين هاتين الإصْبَعين ، فوجدوهما إذا دخلت إحداهما مع الأخرى فى طريقتها لم يكن ذلك إلا بعد أن يُفْصَلَ بينهما بنغم أخرى للسّبّابة والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافةُ بينهما ، ثم لا يكون لذلك الغناءِ ملاحةٌ ولاطِيبٌ للضادّة فى المَجْرَيَيْن ، فتركوه ولم يستعملوه ؛ فإن كان صحّ لعُبَيْد الله عملٌ فى النغم العشر فى صوت ، فلعلّه صحّ له فى الصوت الذى ذكر أنه فرّقها فيه ؛ فأما المتوالية — على ما ذكره ها هنا — فمحالٌ، ولستُ أقدر فى هذا الموضع على شرحٍ أكثرَ من هذا ، وهو فى الرسالة التى ذكرتُها مشروح .

٢٧ / ٨

انتهى الجزء الثامن من كتاب الأغانى
ويليه الجزء التاسع
وأوّله نسب كثير وأخباره

التراجم التى فى هذا الجزء

تراثنا



تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

ترجمة

حارثة بن بدر

بتحقيق

ابراهيم الأبياري

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

ترجمــة

حارثة بن بدر

الحــق

بالجزء الثامن من طبعة دار الكتب

بتحقيــق

إبراهيم الأبيــاري

تقديم

(١) هـذه الترجمة، من تراجم الجـزء الحادى والعشرين . وتقع فيه بعد ترجمة « أم جعفر » وقبل ترجمة « خالد الكاتب » ، وقد رمزنا إلى هـذا الجزء الحادى والعشرين بالحرف « س » .

(٢) لم يورد ابن واصل هذه الترجمة، وهو الذى أورد فى كتابه «تجريد الأغانى» جميع التراجم المزيدة التى انفرد بها الجزء الحادى والعشرون .

(٣) ذكر أبو الفـرج حديثه عن « الصوت من المـائة المختارة » هنـاك (٧ : ١٤٨ طبعة بلاق — ٨ : ٢٣٥ طبعة دار الكتب) ، وهو يقـدم لعنترة، ثم كرره هنا بنصه — مع خلاف يسير — وهو يترجم لحارثة بن بدر .

(٤) قوبلت هـذه الترجمة على مخطوطتين من مخطوطات « الأغانى » المحفوظة فى دار الكتب :

(ا) الأولى من هاتين المخطوطتين قطعة قـديمة كانت من بين مخطوطات مكتبة « الظافر » الخليفة الفاطمى . وتقع هـذه المخطوطة فى مائة وخمس وسبعين ورقة، وأخبار حارثة تشغل الثمانى عشرة ورقة الأخيرة منها، وهـذه النسخة تحمل رقم ٤٢٧ أدب ، وقد رمزنا إليها أثنـاء المقابلة بحرف « ا » .

(ب) وثانية المخطوطتين ، مصوّرة مأخوذة عن نسخة مكتبة « فيض الله » بتركيا، ويرجع تاريخ نسخها إلى القرن التاسع أو العاشر الهجرى، وتضم مائة لوحة، تقع أخبـار « حارثة » فى اللوحات من ٨٠ إلى ٨٩ . وهذه النسخة تحمل رقم ١٩٠٢٠ ز . وقد رمزنا إليها بحرف «ب» .

(٥) تتفق المخطوطتان على إيراد أخبار «حارثة بن بدر» قبل أخبار «أبى دلف» ، وبعد أخبار « جميلة » .

صـــوت (*)

من المـائة المختـارة

يادار عَبْلَةَ من مَشارق مَأْسَل (1) * دَرس الشّؤون وعَهدُها لم يَنْجَلِ

وٱستبدلتْ عُفْرَ الظّباء كأنما * أبعارُها فى الصَّيف حَبُّ الفُلْفُل

ذكر يحيى بن علىّ أن الشعر لعَنترة بن شدّاد، وليس ذلك بصحيح. وذكر غيره من الرُّواة أنه لعَبد قَيس بن خُفاف البُرْجمى، وليس ذلك بصحيح أيضا، والشعر لحارثة بن بَدر الغُدانى من قصيدة له طويلة يفتخر فيها ويذكر سالف أيامه. وقد ذكرتُ المختار منها بعقب أخبار حارثة وبعد ٱنقضائها. والغناء المختار لأبى دُلف العِجلى، ولحنه فى المختار [ثقيل أول، وفيه ألحان كثيرة] (2).

(*) جاء هذا الصوت من المائة المختارة (٧: ١٤٨ طبعة بلاق — ٨: ٢٣٥ طبعة دار الكتب) عقب أخبار جبلة وقبل أخبار عنترة. وقد أضاف أبو الفرج هناك إلى هذين البيتين بيتين آخرين وهما:

تمشى النعام به خلاء حوله * مشى النصارى حول بيت الهيكل

احذر محل السوء لا تحلل به * وإذا نبا بك منزل فتحول

ثم عقب أبو الفرج على الأبيات الأربعة بقوله: «الشعر فيما ذكر يحيى بن على من إسحاق، لعنترة بن شداد العبسى. وما رأيت هذا الشعر فى شىء من دواوين شعر عنترة، ولعله من رواية لم تقع إلينا، فذكر غير أبى أحمد أن الشعر لعبد قيس بن خفاف البرجمى، إلا أن البيت الأخير لعنترة صحيح لا يشك فيه. والغناء لأبى دلف القاسم بن عيسى العجلى. ولحنه المختار على ما ذكره أبو أحمد من الثقيل الأول».
ثم مضى أبو الفرج يذكر ألحانا أخرى مختلفة.

(1) دارة مأسل: من ديار بنى عقيل. (معجم البلدان فى رسم: دارة مأسل).

(2) تكملة من: ب.

نسب حارثة بن بدر وأخباره (*)

نسبه

حارثة بن بدر بن حُصين بن قَطن بن غُدانة بن يَربوع .

وقال خالد بن حبل :

حارثة بن بدر بن مالك بن كُليب (1) بن غُدانة بن يربوع (2) .

نسب أمه

وأُم حارثة بن بَدر آمرأة من بنى صَريم بن الحارث ، يقال لها : الصَّدُوف ، بنت صُدى (3) .

رأى ابن الأهتم فيه وفى الأحنف وابن جبلة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدّثنا عُمر بن شَبّة ، قال : حدّثنى العلاء ابن الفَضل بن [عبد الملك بن] (4) أبى سَوِيّة المِنْقرى ، قال :

مرّ عَمرو بن الأهتم بحارثة بن بَدر ، والأَحنف بن قَيس ، وزَيدِ بن جَبلة ، وهم مُجتمعون ، فسلّم عليهم ، ثم بَقى مُفكِّرًا ، فقالوا : مالك؟ فقال : مافى الأرض ثلاثة أنجب من آبائكم ، حيثُ جاءوا بأمثالكم من أمثال أمهاتكم ! فضحكوا منه .

أمه وأما الأحنف وابن جبلة

قال :

وأُم الأحنف : الزّافرية ، وآسمها حُبّى ، من باهلة ؛ وأُم زيد بن جبلة : عَمرة بنت حذلم ، من بنى الشُّعيراء . وأُم حارثة : الصَّدوف بنت صُدى (3) ، من بنى صَريم بن الحارث .

وقد مضى نسب بنى يَربوع فى نَسب جرير وغيره [من عشيرته] (5) من هذا الكتاب .

(*) ترجم له ابن عساكر فى كتابه « تاريخ دمشق » (٨ : ١٣٣ — ١٤٢ تاريخ تيمور ١٠٤١) معتمدا فيا ترجم على كتاب الأغانى فى الكثير مما نقل .

(1) أ ، ب : « كلب » . (2) سياق النسب فى الجمهرة لابن الكلبى (٢٢٦) : « حارثة ابن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع » . (3) أ ، ب : « الصدى » .

(4) التكملة من تهذيب التهذيب . (5) تكملة من أ ، ب .

شعر الفرزدق في بني غدانة وحديث هذا

وفي بني غُدانة يقول الفرزدق :

أبني غُدانة إنني حَرّرتُكم * فوهبتُكم[1] لعطيّة بن جِعَالِ

لولا عَطيّة لأجتدعتُ أُنوفكم * من بين ألأَم أعيُنٍ وسِبالِ[2]

وكان عُطية استوهب منه أعراضهم لصهرٍ كان بينه و بينهم ، وكان عطية سيّدا من سادات بني تميم . فلما سمع هذا الشعر قال : والله لقد آمتن علىّ أبو فراس بهذه الهبة وما تمّمها[3] حتى آرتجعها ، ووصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم .

عطية وشعر جرير فيه

قال :

وكان عطية هذا جوادا ، وفيه يقول جرير[4] :

إن الجوادَ على المواطن كُلها * وابنَ الجواد عطيةُ بن جِعَالِ

يهبُ النجائبَ لا يَمَلُّ عطاءها * والمُقْرَبات[5] كأنهن سَعالى

١٠

شيء عن حارثة

وحارثة بن بدر من فُرسان بني تميم ووجوهها وساداتها [وجُودائها[6]] ، وأحسب أنه قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم في حال صباه وحداثته . وهو من ولد[7] بني الأحنف آبن قيس ، وليس بمعدودٍ في فحول الشعراء ، ولكنه كان يعارض نظراءه الشعرَ ، وله من ذلك أشياء كثيرة ليست مما يُلحقه بالمُتقدمين في الشعر والمُتصرفين في فنونه .

١٥

(١) في الديوان (٧٢٦) : « ووهبتكم » . (٢) السبال : جمع سبلة ، بالتحريك ، وهو الشارب .
(٣) أ ، ب : « تمها » .
(٤) أ ، ب : « وفيه يقول الشاعر وهو جرير » . ولم يرد الشعر في ديوان جرير .
(٥) النجائب : جمع نجيبة ، وهي الكريمة العتيقة ، من النوق والأفراس . والمقربات : جمع مقربة ، وهي الفرس يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . والسعالى : جمع سعلاة ، وهي الغول .
(٦) التكلة من أ ، ب . ويقال في جمع الجواد من الرجال : جود ، وأجواد ، وأجاود ، وجوداء .
(٧) أ ، ب : « من لدات » . واللدات : جمع لدة ، وهو من يولد معك .

هو وابن زياد وقد عاتبه على الشراب

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز [الجوهرى][1]، قال: أنبأنا عمر بن شبة، قال: أنبأنا المدائنى، قال:

كان زيادٌ مُكرِمًا لحارثة بن بدر، قابلا لرأيه، محتملا لما يعلمه من تناوله الشراب. [فلما وَلِىَ عُبيد الله بن زياد أخّر حارثةَ بعض التأخير، فعاتبه على ذلك. فقال له عبيد الله: إنك تتناول الشراب][2]. فقال له: قد كان أبوك يعلم هذا منّى، ويُقربنى[3] ويكرمنى. فقال له: إن أبى كان لا يخاف من القَالة فى تقريبك ما أخاف، وإنّ اللسان إلىّ فيك لأسرعُ منه إلى أبى. فقال حارثة:

وكم من أميرٍ قد تجبَّر بعدما * مَرَيت له الدنيا[4] بسَيفى فدرَّت

إذا ماهى احلولتْ[5] تَقى حقَ مَقسمى * ويَقْسِم لى منها إذا ما أمرَّت

اذا زَبَنَتْهُ عن فُواقٍ[6] يريدُه * دُعيتُ ولا أُدْعَى إذا ما أقَرَّت

شعره لابن زياد وقد شاوره

وقال حارثة بن بدر أيضًا، و[قد][7] شاوره عُبيد الله فى بعض الأمر:

أُهَانُ وأُقصَى ثم يَنتصحونَنى * وَمَنْ ذا الذى يُعطِى نصيحتَه قَسْرَا

رأيتُ أكفَّ المُصْلِتِينَ عليكمُ * مِلاءً وكفّى من عَطاياكُمُ صِفرا

مَتى تسألونى ما علىَّ وتَمنعوا الـ * ـذى لىَ لم أسطِعْ على ذلكم صبرا[8]

فقال له عبيد الله: فإنى مُعوِّضك ومولّيك، فولّاه.

(١) تكملة من أ، ب. (٢) التكملة من س. (٣) أ، ب: «وهو يقربنى».

(٤) مريت له الدنيا: ذللتها لتعطى، وأصله من مرى الناقة، إذا مسحت ضرعها لتدر.

(٥) احلولت: صارت حلوة. وفى أ، ب: «احولت».

(٦) الفواق، بالضم: اللبن يجتمع بين الحلبتين فى الضرع. وزبنته: دفعته، وأصله فى الناقة: إذا ضربت برجلها عند الحلب. (٧) التكملة من ب.

(٨) أ، ب: «لا أستطيع لذلكم صبرا».

هجاء رجل من بنى كليب له حين حوّل زياد دعوته فى قريش

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً(١)، قال : أنبأنا أحمد بن يحيى بن جابر البَلاذُرِىّ، قال : قال لى أبو اليقظان :

حوّل زيادٌ دعوة حارثة بن بدر وديوانَه فى قُريش، لمكانه منه، فقال [فيه](٢) رجل من بنى كُليب يهجوه بذلك :

شهدتُ بأن حارثةَ بنَ بدرٍ * غُدانىُّ اللّهـازمِ(٣) والكلامِ
سَجاحِ فى كتاب الله أدنى * له من نَوفلٍ وبنى هشام

يعنى : سَجاحِ، التى ادعت النبوة، وهى امرأة من بنى تميم .

شعره فى احتراق داره

قال أحمد بن يحيى : وقال المدائنى :

احترقت دار حارثة بن بدر بالبصرة ، أحرقها بعضُ أعدائه من بنى عمه، فقال فى ذلك :

رأيتُ المنايا بادئاتٍ وعُوَّدًا(٤) * إلى دارنا سهلًا إليها طَرِيقُها
لهـا نَبعةٌ(٥) كانت تَقينا فُروعها * فقد تَلِفت إلا قليلا عُروقها

قال :

احتراق أخيه

وكان لحارثة أخٌ يقال له : دَارِع(٦) ، فأُحرق مع ابن الحَضْرمى بالبصرة .

وقال أحمد يحيى أيضا :

هجاؤه لبنى سليط وسبب ذلك

كان عَطيةُ بن جِعال يُهاجى حارثة بن بدر، ثم اصطلحا . وكان أيضا يُهاجيه من قومه العُكَمِصُ، وكانت بنو سَليط تروى هجاءه لحارثة بن بدر، فقال حارثة يهجوهم :

---

(١) ب : «يحيى بن على بن يحيى» . (٢) التكلة من ا، ب . (٣) اللهازم : جمع لهزمة، بكسر اللام، وهى مانتأ تحت الأذنين . وغدانيها : أى يشبه غداة فيها، وهى قبيله، كما يشبهها فى الكلام .
(٤) العود : العائدات . والذى فى ا ، ب : « سهلا إلينا طريقها » .
(٥) س : « سعة » . (٦) س : « دراع » .

أراويةٌ علىَّ بنو سَــليط * هجاءَ الناس يا لَبَنِى سَـليط
فما لَحْمى لتأكله سَليط * شبيها بالذكىِّ ولا العَبيط[(١)]

هو وابن زنيم وابن زياد

أخبرنا أحمـد بن محمد [بن عبد الله][(٢)] بن صالح بن سمح[(٣)] بن عمرة الأسـدى أبو الحسن، قال : أنبأنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال : قال : روح بن السَّكن :

كان أنس بن زُنَيْم الليثى صـديقاً لعُبيد الله بن زياد، فرأى منـه جفوة وأثرة لحارثة بن بدر الغُدانى، فقال :

أُهانُ[(٤)] وأُقصى ثم تُرجَى نَصيحتى * وأىُّ آمرئٍ يُعطى نصيحته قَسْرَا
رأيتُ أَكُفَّ المُصْلِتِينَ عليكمُ * مِلاءً وكفِّى من عَطاياكُمُ صِفْرا
فإن تسـألونى ما علىَّ وتمنعوا الَّـ * ـذى لِىَ لم أسطع على ذلكم صبرا
رأيتكُمْ تُعطون من تَرهبونه * زَرِبيةً[(٥)] قـد وُشِّحتْ[(٦)] حِلَقاً صُفرا
وإنِّى مع الساعى عليكم بسـيفه[(٧)] * إذا عَظْمكم يوماً رأيتُ به كَسرا

فقال عُبيد الله بن زياد لحارثة بن بدر : أجبه . فاستعفاه[(٨)] لمودة كانت بينهما، فأكرهه على ذلك وأقسم عليه [لَيُجيبنّه][(٩)]، فقال :

---

(١) الذكى : ماذبح تذكية . والعبيط : لحم الذبيحة السمينة الفتية تنحر من غير داء .

(٢) التكلة من س .

(٣) أ : « شيخ بن عمرة »، وفى ب : « شيخ بن عميرة » .

(٤) مرت الأبيات الثلاثة الأولى (ص ٣٧٩) منسوبة لحارثة .

(٥) الزربية : الطنفسة . ووشحت : غشيت . وقبل هذا البيت فى أ، ب بيت آخر، هو :

فمهلا صدقت الناس عما يريبكم * ولو شئت قد أغليت فى حربكم قدرا

(٦) س : « خلعا » . (٧) س : « بسلمة » .

(٨) س : « فأجابه واستعفاه » . (٩) التكلة من أ، ب .

تبدلْتُ من أنسٍ إنّه * كَذُوبُ المـودّةِ خَوّانُها
أراهُ بصيرًا بضُرّ[1] الخليـلِ * وخير الأخـلّاءِ عُورَانُها[2]

فأجابه أنس فقال :

إن الخيانةَ شرُّ الخَليـلِ * والكُفْرُ عندك دِيوانُها
٥ بَصُرْتُ به فى قديم الزمانِ * كما بَصُرَ[3] العيـنِ إنسانُها

فأجابه حارثة بن بدر فقال :

أَلِـكْنِى[4] إلى أنسٍ إنّـه * عَظِيمُ الحُوَاشَةِ[5] عِنْدِى مَهِيبْ
فما أبْتَغِى عَثَرَاتِ الخليـلِ * وَلَا أبتغِى[6] عليـه الوثوب[7]
وما إنْ أَرَى مالَهُ مغنمًا * من الدهرِ إنْ أعوزَتْنِى الكُسُوب[8]

١٠ فقال أنس :

أحارِ بنَ بدرٍ وأنت امرؤٌ * لَعمرى المتاعُ إلى الحبيب[9]
متى كان مالُكَ لى مَغْنَمًا * من الدهرِ إنْ أعوزتْنِى الكُسُوب[10]
وشرُّ الأخـلّاءِ عند البلاءِ * وعند الرزيّةِ خِـلٌّ[11] كَذُوب

---

(١) س : « وشر » .
١٥ (٢) عوران : من جموع أعور . يريد الذين لا تقع عيونهم على الضر .
(٣) س : « تبصر » . (٤) ألكنى إلى أنس : كن رسولى إليه .
(٥) ا ، ب : « القرابة » وهما بمعنى . تقول : لى فى بنى فلان حواشة ، أى من يتصرف من قرابة أوذى مودة . (٦) س : « ولا أبتغى » . (٧) ا ، ب : « عليه الذنوب » .
(٨) ا ، ب : « من الدهر فى نائبات الخطوب » .
٢٠ (٩) ا ، ب : « إليه حبيب » .
(١٠) ا : « الخطوب » . ب : « كسوب » .
(١١) ا ، ب : « خب » . والخب ، بالفتح والكسر : الخداع الخبيث .

قال : فتهادى أنس وحارثة الشعر عند عُبيد الله زمانا ، ووقع بينهما شرٌّ حتى قدِم سَلْمُ بن زيادٍ من عند يزيد بن معاوية عاملًا على خُراسان وسجستان، فجعل ينتخب ناسًا من أهل البصرة والكوفة ، وكان الذى بين عُبيد الله و بين سَلْم شيئا(1)، فأرسل سَلْم إلى أنس يعرض عليه صحبته وجعل له أن يستعمله على كورة ؛ فقال له أنس : أمهلْني حتى أنظر فى أمرى، وكتب إلى عُبيد الله بن زياد :

ألم تَرَنِي خُيِّرْتُ والأمرُ واقــعٌ(2) * فما كنت لما قلت بالمُتَــخيِّرِ

رضاك على شيءٍ سواهُ ومن يكن * إذا اختار ذا حزمٍ من الأمر يَظْفَرِ(3)

قَعَدْتُ لترضَى عن جهادٍ وصاحبٍ * شــفيقٍ قديمِ الوُدِّ كان موقِّرِي(4)

على أحد الثَّغــرينِ ثم تركتَه * وقد كنتَ فى تأميره غير مُمْتَرِي

فأمسكتُ عن سَلْمٍ عِنانِي(5) وصُحبتِي * ليعرفَ وجهَ العُــذرِ قبل التعذرِ

فإن كنتَ لمّا تَدرِ ما هِي شيمتِي * فسلْ بِيَ أكفائِي وسَلْ بِيَ معشرِي

ألستُ مع الإحسانِ والجُودِ ذاغِنًى * وبأسٍ إذا ما كُفِّروا فى التّسَــتُّرِ(6)

ورأيٍ(7) وقد أعصى الهوى خشيةَ الرَّدَى * وأعرفُ غِبَّ الأمرِ قبلَ التَّدبُّرِ

وما كنتُ لولا ذاك ترتدُّ بُغيتِي * علىَّ ارتدادَ المُظَّــلِمِ المُتَجبِّرِ

قال : ودفعها إلى عُبيــد الله [بن زياد](8) فى صحيفة ، فقرأها ثم دفعها إلى حارثة ابن بدر، وقال له : أردد على أنسٍ صحيفتَه فلا حاجةَ لنا فيها(9) . فقال حارثة :

---

(1) س : « سيئى » .
(2) أ ، ب : « والحزم » .
(3) أ ، ب : « القوم » .
(4) أ، س : « مؤمرى » .
(5) ب : « لسانى » .
(6) أ، ب : « بالتستر » .
(7) س : « ورائى » .
(8) التكملة من أ ، ب .
(9) أ، ب : « نصيحته فلا حاجة لى فيها » .

ألِكْنى إلى مَن قال هذا وقُلْ له * كذبتَ فما إنْ أنت بالمتخيِّرِ
وإنك لو صاحبتَ سَلْمًا وجدتَه * كعهدك عَهْدِ السَّوءِ لم يتغيّرِ
أتنصحُ لى يوما ولستَ بناصحٍ * لنفسك فانْقُشْ ما بدالك أوذَرِ
كذبتَ ولكنْ أنت رَهْنُ بِخِزْيَةٍ[1] * ويومٍ كأيامٍ عبُوسٍ مُذَكَّرِ[2]
٥ كأشقرَ أضحى بين رُمحين إنْ مَضَى * على الرُّمْح يُنحَرْ أو تأخّر يُعقَرِ

(قال): وأعجبتْ عُبيدَ الله[3]، وقال: لعمرى لقد أجبتَه. على إرادتى وأمسك عبيد الله فى يده الصحيفة، فلما دخل عليه أنس دفعها إليه، فنظر فيها، ثم قال لعبيدالله: لقد ردّ علىّ من لا أستطيعُ جوابَه. وظنّ أن عبيد الله قالها[4]، وخرج أنسٌ والصحيفةُ فى يده، فلقيهُ عبدُ الرحمن بن رَأْلان فدفعها إليه أنس، فلما قرأها قال: هذا شعرُ حارثةَ بنِ
١٠ بدر، أعرفه. فقال له أنس: صدقت والله، ثم قال لحارثة:

عجبتُ لِمَرْجٍ[5] من زمان مُضلَّلٍ * ورأيٍ لألباب الرجالِ مُغَيِّرِ
ومن حِقْبَةٍ عَوْجاءَ[6] غَولٍ تلبَّسَتْ * على الناس جلدَ الأرْبَدِ المُتَنمِّرِ
فلا يُعرَفُ المعروفُ فيه لأهله * وإنْ قِيلَ فيه مُنْكَرٌ لم يُنَكَّرِ
لحارثةَ المُهْدِى الخَنَى لِىَ ظالمًا * ولم أرَ مِثْلَ مُدْرٍ صَيْدَ مُدْرِى[7]
١٥ لِحارِ[8] بن بدرٍ قد أتَى[9] مقالةٌ * فما بال نُكْرٍ منك من غير مُنكَر[10]

(١) أ، ب: «لخزية». (٢) مذكر: شديد صعب.
(٣) أ، ب: «فأعجبت». (٤) أ، ب: «قالها».
(٥) كذا فى أ، ب. والمرج: الكذب والخداع. والذى فى س. «فوج»
(٦) كذا فى أ، ب. والذى فى س: «عقبة عرجاء».
٢٠ (٧) المدرى: الذى يختل الصيد ليصيده. يريد: لم ير مثل صائد هو صيد لصائد.
(٨) أ، ب: «أحار». (٩) أ: «أتتنا».
(١٠) أ، ب: ... «نكر قيل فى غير منكر».

أيَروِى عليك الناسُ مالا تَقُولُه * فتُعْذَرَ أم أنت امرؤٌ غيرُ مُعْذَرِ
فإنْ يكُ حقًّا ما يُقالُ فلا يكُن * دَبِيبًا وجاهِرْنِى فما من تَستُّرِ
أقَلِّدْكَ[1] إن كنتَ امرأً خانَ عِرْضَه * قوافِىَ من بَاقِى الكلامِ المُشَهَّرِ
وقد كنتَ قبلَ اليومِ جرَّبتَ أنّنى * أشُقُّ على ذى الشِّعْرِ والمُتَشَعِّرِ[2]
وأن لسانى بالقصائد ماهِرٌ * تَعِنُّ له غُرُّ[3] القوافى وتَبْرِى
أصادِفُها حينًا يسيرًا وأبتغى * لها مِرَّةً شَزْرًا[4] إذا لم تَيَسَّرِ
تَنَاوَلُنِى بالشتم فى غيرِ كُنْهِه * فهلّا[5] أبا الحنّاء[6] وابنَ المعذَّرِ
هجوتَ[7] وقد سَامَاكَ فى الشعر خُطَّةَ الـ * ـذَّليلِ ولم يفعل[8] كأفعالِ مُنْكِرِ

قال : وقال أنس بن زُنَيم لعُبيد الله بن زياد ، وفيه غناء :

سَلْ أميرى ما الذى غَيَّره * عن وِصَالى اليومَ حتى ودَعه[9]
لا تُهِنِّى بعد إكرامك لِى[10] * فشديدٌ عادةٌ مُنْتَزَعه
لا يكن وعدُكَ بَرْقًا خُلَّبًا * إنَّ خيرَ البرقِ ما الغيثُ معه

(١) سكنت الدال فى جواب « إن » . (٢) البيت ساقط من أ .

(٣) الأصول : « عن » . وظاهر أنه محرف عما أثبتنا .

(٤) الشزر من الفتل : ما كان عن اليسار ، أى اليسار ، وهو أن يبدأ الفاتل من خارج ويرده إلى بطنه . وأمر الحبل شزرا : إذا فتل به ذلك ؛ وأمره يسرا : إذا كان عن اليسار ، أى عن اليمين . يقول : حاوله عن اليسار فإن استعصى فمن اليمين ، كما يفعل بالحبل عند فتله . والمعنى أنه يأتى الشعر من أى جانب شاء لا يستعصى عليه .

(٥) أ ، ب : « فهلا » . (٦) أ : « ابن الحناء » . ب : « أبا الحناء » .

(٧) من : « هجرت » . (٨) أ ، ب : « تفعل » .

(٩) أ ، ب : « وزعه » . (١٠) أ : « بعد أن أكرمتنى » .

بينه وبين ابن ظبيان في شرب الخمر

أخبرني محمد بن مَزْيَد [بن أبي الأزهر][1]، قال : حدثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه، قال :

زعم عاصم بن الحدثان[2] أن حارثةَ بن بدر قال لعُبيد الله بن ظَبيان ، وكانا في عُرْسٍ لابن مِسْمَع : هل لك في شراب؟ قال : نعم؛ فأُتِيا بنبيذٍ من زَبيب وعسل، فأخذ ابنُ ظبيان العُسّ فكَرَع فيه حتى كاد يأتي عليه[3]، ثم ناوله حارثة. فقال له حارثة : [يابن ظَبيان] ، إنك لَطَب بحَسْوِها[4] . فقال : أجل ، والله إني لأشربُها حلالًا وأجاهرُ بها إذا أخفَى غيري شُرْبَ الحرام . فقال له حارثة : مَن غيرك هذا ؟ قال : سائلي عن هذا الأمر . فقال حارثة :

إذا كنتَ نَدْمانِي فخُذْها وسَقِّني[5] * ودَعْ عنك من رآك تَكرعُ في الخمرِ
فإنّي امرؤٌ لا أشرب الخمرَ في الدُّجَا * ولكنني أَحْسُو النبيذَ من التمر
حَيَّا وتُقًى لله والله عالمٌ * بكُل الذي نأتيه في السِّر والجهر[6]
ومثلُكَ قد جرّبتُه وخَبَرْتُه * أبَا مطرٍ[7] والحَيْنُ[8] أسبابُه تجرى
حساها كمُسْتَدْمَى الغزال عتيقةً * إذا شُعْشِعَتْ بالماءِ طَيِّبَةَ النشْر[9]
أقام عليها دَهْرَه كلَّ ليلةٍ * يُشَافِهُها حتى يرى وضَحَ الفجر

(١) التكلة من أ ، ب . (٢) س : «الحارث» .
(٣) أ ، ب : «على آخره» .
(٤) التكلة من أ ، ب . والطب، بفتح الطاء وتشديد الباء : الحاذق الماهر .
(٥) س : «واسقني» . (٦) البيت ساقط من أ ، ب .
(٧) أبا مطر : كنية ابن ظبيان . (٨) في أ ، ب : «والخير» .
(٩) مستدمى الغزال : دمه .

فأصبح ميْتاً مِيتَةَ الكلب ضُحْكَةً * لأصحابه حتى يُدَهْدَهَ فى القبرِ(1)
فما إن بكاهُ غيرُ دَنٍّ ومِزْهرٍ * وغانيةٍ كالبدر واضحةِ الثغْر
وباطيةٍ(2) كانت له خِدْنَ زِينةٍ * يُعاقِرُها(3) والليلُ مُعتَكِرُ السِّتْر

شعره فى الرد على الأحنف وقد عاتبه على شربه الخمر

أخبرنى عمّى، قال: حدثنا الكُرانىّ، قال: حدثنا العُمرى عن عاصم بن الحدثان، قال:

عاتب الأحنفُ بنُ قيس حارثةَ بنَ بدرٍ على مُعاقَرة الشراب وقال له: قد فضَحْتَ نفسك وأسقطت قدرك، وأوجعه عتاباً. فقال له: إنى سأُعْتِبُك(4). فانصرف الأحنف طامعاً فى صلاحه، فلما أمسى راح إليه(5) فقال له: اسمع يا أبا بحرٍ(6) ما قلتُ لك. فقال: هات، فأنشده:

يَذُمُّ أبو بَحْرٍ أُموراً يُريدها * ويكرهُها للأريحىِّ المُسَوَّدِ ١٠
فإن كنتَ عيَّاباً(7) فقُلْ ما تُريده * ودَعْ عنك شُرْبِى لستَ فيه بأوحدِ(8)
سأشربُها صهباءَ كالمسك رِيحُها * وأشربُها فى كل نادٍ ومشهدِ
فنفسَك فانْصحْ يابن قيس وخلِّنى * ورأيى فما رأيِى برأىِ مُفَنَّدِ(9)
وقائلةٍ يا حارِ هل أنت مُمسكٌ * عليك من التبذير قلتُ لها اقْصِدى
ولا تأمُرِينى بالسَّدَادِ فإننى * رأيتُ الكثيرَ المالِ غيرَ مُخَلَّدِ ١٥
ولا عيبَ لى إلا اصْطِباحِى قَهْوَةً * متى يَمتزِجْها الماءُ(10) فى الكأس تُزْبِدِ

(1) الضحكة: بضم فسكون: من يضحك عليه. ويدهده فى القبر: يدحرج إليه.
(2) الباطية: ناجود الخمر. وخدن زينة: أى رفيق غىّ. (3) س: «يباهرها».
(4) سأعتبك: سأقبل عتبك. (5) أ، ب: «فأمسك وانصرف الأحنف».
(6) أبو بحر: كنية الأحنف. (7) أ: «عيارا». (8) أ، ب: «لست فى ذا بأوحد». ٢٠
(9) المفند: المكذب. (10) أ، ب: «المرء».

مُعتّقَــةً صهباءَ كالمســك رِيحُهــا * إذا هى فاحت[1] أذهبتْ غُلّةَ الصّدى
ألا إنمــا الرُّشْــدُ المُبِينُ طَرِيقُه * خلافَ الذى قدقلتَ إذأنتَ مُرْشِدى
سأشربُهــا ما حجّ لله راكــبٌ * مجاهرةً وَحْدِى ومعْ كل مُسْــعِد
وأُسْــعِدُ نَدمانى وأتبــعُ شهــوتى * وأبذل عَفْوًا كُلَّ مَا مَلَكَتْ يَــدى
كذا العيشُ لاعيشُ آبن قيسٍ وصحبه * من الشُّربِ للمــاء القَــراح المُصَرَّد[2]

فقــال له الأحنف : حسبك ، فإنى أراك غير مُقْلِع عن غيّك ، ولن أعاتبك بعدها أبدا .

قال عاصم : ثم كان بعد ذلك بين الأحنف وحارثة كلامٌ وخصومة ، فافترقا عن مجلسهما متغاضبَيْن ، فبلغ حارثةَ أن الأحنف قال : أما والله لولا ما يَعْلم لقلتُ فيه ما هو أهلُه . فقال حارثة : وهل يَقدر على أن يذُمنى بأكثرَ من الشرابِ وحُبِّى له ؟ وذلك أمرٌ لستُ أعتذرُ منه إلى أحد ، ثم قال فى ذلك :

وكم لائمٍ لى فى الشرابِ زَجَرْتُه * فقلتُ له دَعنى وما أنا شــاربُ
فلستُ عن الصهباء ماعشتُ مُقْصِرًا * وإنْ لامنى فيهــا اللئامُ الأَشَائب[3]
أأَتْرُكُ لذّاتى وآتِى هــوا كُمُ * ألا ليس مثلى يا بنَ قيسٍ يُخالَب[4]
أنا الليث مَعْــدُوًّا عليه وعاديا * إذا سُلّتِ البِيضُ الرِّقَاقُ القَوَاضِب
فأنتَ[5] حليمٌ تزجرُ الناسَ عن هوى * تقوسهمُ جَهْــلًا وحلمُكَ عَازِب
فحِلمَكَ صُــنْهُ لا تُذِلْهُ[6] وخلّــنى * وشأنى وَأَرْكَبْ كلَّ ما أنت راكب

(١) ب : «هاجت» . والبيت ساقط من أ .
(٢) القراح : الخالص لا يخالطه شىء . والمصرد : القليل دون الرى .
(٣) الأشائب : جمع أشابة ، وهم الأخلاط غير الصرحاء .
(٤) يخالب : يخدع .
(٥) أ ، ب : «وأنت» .
(٦) لا تذله : لا تبتذله .

فإنى امرؤٌ عوّدتُ نفسىَ عادةً * وكلّ امرئٍ لا شك ما آعتاد طالبُ (١)

أجُود بمالى ما حييتُ سماحةً * وأنت بخيلٌ يحتويك (٢) المُصاحِب

فما أنت أو ما غَىُّ مَن كان غاويًا * إذا أنت لم تُسْدَدْ عليك المذاهب

زيادة الوليد له فى عطائه وقصة ذلك

أخبرنى هاشمُ بن محمد الخُزاعى، قال: أنبأنا أبو الأسود الخليلُ بنُ أسد، قال: أنبأنا العُمرى عن العُتبى، قال:

٥

أجرى الوليد بن عبد الملك الخيلَ وعنده حارثةُ بن بدرٍ الغُدانى، وهو حينئذ فى ألف وسمّائة من العطاء، فسبق الوليدُ، فقال حارثة: هذه فرصة. فقام فهنّاه ودعا له، ثم قال:

إلى الألفين (٣) مُطّلَعٌ قريب * زيادةُ أربعٍ لى قد بَقِينَا

فإنْ أهلِكْ فهنّ لكم وإلا * فهنّ من المتاع لكم (٤) سِنِينَا

١٠

فقال له الوليد: فتشاطرنى ذلك: لك مائتان ولى مائتان. فصيّر عطاءه ألفا وثمانمائة. ثم أجرى الوليدُ الخيلَ (٥)، فسبق أيضا؛ فقال حارثةُ: هذه فرصة [أخرى] (٦). فقام فهنّأه ودعا له، ثم قال:

وما آحتجب الألفان إلا بهيّنٍ * هما الآن أدنى منهما قبلَ ذالكا

فَجُدْ بهما تَفْديك نفسى فإننى * مُعَلّقُ آمالى ببعض حبالكا

١٥

فأمر الوليدُ له بالمائتين، فانصرف وعطاؤه ألفان.

(١) ب: «وكل امرئ ما اعتاد لا شك طالب». والبيت ساقط من أ.

(٢) يحتويك: يكرهك. (٣) أ، ب: «إلى ألفين».

(٤) أ، ب: «لنا». (٥) أ، ب: «الفرس».

(٦) التكلمة من أ، ب.

٢٠

شهادة زياد له بالبيان

أخبرني[1] محمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا مهديُّ بن سابق، قال: أنبأنا عبدُ الرحمن بنُ شَبِيب بن شَيْبَة، عن أبيه، قال:

قال زيادٌ يومًا لحارثةَ بنِ بدرٍ: مَنْ أخطبُ الناس، أنا أو أنتَ؟ فقال: الأميرُ أخطبُ منى إذا توعَّد ووَعَد، وأَعْطَى ومَنع، وبَرَق ورَعَد؛ وأنا أخطب منه فى الوفادة وفى الثناءِ والتَّحبير، وأنا أكذِب إذا خطبتُ، فأحشو كلامى بزيادةٍ مليحةٍ شهيَّة، والأميرُ يَقْصِد إلى الحقِّ وميزانِ العدل ولا يَزِيد فيه شُعَيْرَة ولا يَنقص منه. فقال له زياد: قاتلك الله! فلقد أجدتَ تخليصَ صفتِك وصفتى، من حيثُ أعطيتَ نفسك الخطابةَ كلَّها وأرضيتَنى وتخلَّصْت. ثم التفتَ إلى أولاده فقال: هذا لَعمرِكم البيانُ الصريح.

هو وزياد فى شربه الخمر صرفا

أخبرنى محمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا عن الحِرمازىّ، قال: شرب حارثةُ بن بدرٍ مع بنى زيادٍ ليلةً إلى الصُّبح فأكثر، وصرف[2] ومَزَجوا، فلما أن غدا على زيادٍ كان وجهه شديدَ الحمرة، ففَطِن له زياد، فقال: مالك ياحارثة؟ فقال: أكلت البارحةَ رُمَّانا فأكثرت. قال: قد عَرفت مع من أكلتَه، ولكنهم قَشَّروه وأكلتَه بِقِشره فأصارك إلى ما تَرَى.

رثاؤه زيادا

قال الحِرمازى:

قال بعضُ أهلِ العلم: إنَّ زيادًا استعمل حارثةَ على سُرَّق[3]. فمات زيادٌ وهو بها، ثم إنه بلَغه موتُه، فقال حارثةُ يرثيه:

(١) الكلام من هنا إلى قوله «أخبرنى محمد بن يحيى» (ص ٣٩٥) ساقط من أ، ب.

(٢) صرف: أى شرب الشراب غير ممزوج.

(٣) سرق، كسكر: كورة بالأهواز.

إن الرزيّة فى قبرٍ بمنزلةٍ * تجرى عليها بظهر الكوفة المورُ[(١)]

أدّت إليه قريش نعش سيدها * ففيه ضافى الندى والحزم مقبور

أبا المغيرة والدنيا مغيّرة * وإنّ من غُرّ بالدنيا لمغرور

قد كان عندك للمعروف معرفة * وكان عندك للنّكراء تنكير

وكنت تؤتى فتُعطى الخير عن سعة * فاليوم بابك دون الهجر مهجور

ولا تلين إذا عُوسرت مُقتسِرًا[(٢)] * وكلّ أمرك ما يُوسرت ميسور

قال : وكان الذى أتاه بنعيه مسعودُ بن عمرٍو الأزدىّ، فقال حارثة :

لقد جاء مسعودٌ أخو الأزد غُدوةً * بداهيةٍ غرّاء بادٍ جُحولُها[(٣)]

من الشر ظلّ الناسُ فيها كأنهم * وقد جاء بالأخبار من لا يُحيلها

بينه وبين سعد الرابية فى مجلس ابن زياد

أخبرنى الحسنُ بن علىّ، قال: أنبأنا العُمرى عن أحمد بن خالد بن منجوف، عن مؤرّج السّدوسى، قال :

دخل حارثةُ بن بدر على عبيد الله بن زيادٍ وعنده سعد الرّابيةُ، أحدُ بنى عمرو بن يربوع بن حنظلة، وكان شريرا يُضحك ابنَ زيادٍ ويُلهيه، وله يقول الفرزدق :

إنى لأُبغض سعدًا أن أجاوره * ولا أُحب بنى عمرو بن يربوع

قومٌ إذا حاربوا لم يخشهم أحدٌ[(٤)] * والجارُ فيهم ذليلٌ غير ممنوع

(١) المور : الريح المثيرة للتراب .

(٢) مقتسرا : مكرها .

(٣) جحولها : جمع جحل، بالكسر، وهو الخلخال، ولا يكون ذلك إلا مع الشديد من الدواهى .

(٤) الديوان (٥٢٧ — ٥٢٨ طبعة الصاوى) .

فلما جلس حارثةُ قال له سعد : ياحارثة، أيْنَعَ الكَرْمُ؟ قال : نعم، واستودع ماءه الأصيص، فَمَهْ[1] ؟ قال : إنى لم أُرِد بأسًا . قال : أجل ! ولستَ من أهل الباس، ولكن هل لك علمٌ بالأتان إذا اعْتَاصَ[2] رحمها، كيف يُسْطَى عليها، أكما يُسطى على الفـرس، أم كيف ؟ قال : واحِدةٌ بواحدة، والبادى أظلم، سألتنى عما لا عِلمَ لى به، وسألتُك عما تعلم . قال : أنت بمـا سألتك عنه أعلم منى بمـا سألتنى عنه، ولكن من شاء جَهَّل نفسَه وأنكر ما يَعرف . وقال حارثةُ يهجو سعدًا :

لا ترْجُ منى يابْنَ سـعدٍ هـوادةً * ولا صُحبةً ما أرْزَمَتْ أمُّ حائـلِ[3]

أعند الأمـير ابنِ الأمـير تَعيبنى * وأنت ابنُ عمرو مُضْحكٌ فى القبائل

ولو غيرَنا يا سـعد رُمْتَ حريمَـه * بِخَسْفٍ لقد غُودِرْتَ لحمًا لآكل

فشالت بك العنقاءُ أو صِرت لحمة * لأغْبَسَ[4] عوّاء العشيّات عاسِـلِ

أخبرنى هاشم بن محمد، قال: أنبأنا الرّياشى عن الأصمعى وأبى عُبيدة، قالا :

هو وابن مسمع حين أراد أن يعرض به

كان حارثة بن بدر يجالس مالكَ بن مسمع فإذا جاء وقتٌ يشرب فيـه قام، فأراد مالك أن يُعلِم مَن حضره أنه قام ليشرب، فقـال له : إلى أين تمضى يا أبا العَنبس؟ قال، أجىء بعبّادِ بن الحُصينِ يَفْقَأ عينَك الأخرى — وقال الأصمعىّ: أمضى فأفقأ عين عبّادِ بن الحُصين لآخذ لك بثأرك — وكان عبـادُ فقأ عينَ مالكٍ يوم المِـرْبَدِ[5] .

(١) الأصيص : الباطية، والدن المقطوع الرأس . (٢) اعتاص : التاث .

(٣) أم حائل : كنية الناقة . وأرزمت . حنت إلى ولدها . (٤) الأغبس : الذئب، من الغبسة، وهى لونه التى هى بياض مع كدرة . والعاسل : الذى يضطرب فى عدوه ويهز رأسه من مضائه، وهى مشية الذئب والفرس . (٥) حديث هذا كان يوم الجفرة، وكان بين عبد الملك بن مروان ومصعب (ابن الأثير فى حوادث سنة سبعين) .

شعره فى فتنة مسعود

قال :

وذكر المدائنىّ أن حارثة بن بدر كان يومئذ — وهو يومُ فتنة مسعود — على خيل حنظلةَ بإزاء بكر بن وائل ، فجعل عَبْسَ بنَ مطلق بنِ ربيعةَ الصُّريمى على الخيل بحيال الأزد ، ومعه سَعد والرِّباب والأساورة ، وقال حارثةُ بن بدر :

سيكفيكَ عبسٌ أخُو كَهْمَسٍ * مُقارعةَ الأزْدِ بالمِرْبَدِ[1]

ويكفيكَ عمرو وأشياعُه * لُكيز بنَ أفصى وما عدَّدوا

وأكفيكَ بَكرًا إذا أقبلَتْ * بِطَعْنٍ يَشيب له الأمْرَد

فلما اصطف الناسُ ، أرسل مالكُ بنُ مَسمع إلى ضرارِ بنِ القَعقاع يسأله الصلْحَ على أن يعطيَه ما أحبّ ، فقال له حارثة : إنه والله ما أَرسل إليك نظرًا لك ولا إبقاءً عليك ، ولكنه أراد أن يُغْرِيَ بينَك وبين سعد . فمضى ضرارٌ إلى راية الأحنف فحملها وحمل على مالكٍ فهزمه ، وفقئت عينه يومئذ .

هو ومسجد الأحامرة

أخبرنى محمدُ بن يحيى قال : أنبأنا محمد بن زكريا ، عن محمد بن سلام ، عن أبى اليقظان قال :

مرّ حارثة بن بدرٍ بالمسجد الذى يقال له « مسجد الأحامرة » بالبصرة فرأى مَشْيَخَةً قد خضبوا لِحَاهم بالحنّاء فقال : ما هذه الأحامرة ؟ فالمسجدُ الآنَ يُلقَّب « مَسجد الأحامرة » منذ يومٍ قال حارثةُ هذا القول .

شعره فى رجل من الخلج

أخبرنى محمد بنُ يحيى ، قال : أنبأنا محمد بن زكريا ، عن القَحذمى ، قال : عرض لحارثة بن بدر رجلٌ من الخُلُج[2] فى أمرٍ كرهه عند زياد ، فقال فيه حارثةُ :

---

(١) فى الشعر إقواء ، وهو اختلاف اعراب القوافى .

(٢) الخلج : أولاد الحارث بن فهر . (جمهرة أنساب العرب ١٧٦ — ١٧٧) .

لقد عجبتُ وكم للدهر من عَجَبٍ * مما تزيّد فى أنسابها الخُلُجُ
كانوا خَسًا أوزَكًا من دون أربعة * لم يُخلَقوا وجُدود الناسِ تعتلج[1]

الخَسَا : الفَرْد، والزَّكَا : الزوج .

أنشد الشعبي من شعره عبد الله بن جعفر فأجازه

أخبرنى الحسنُ بن علىّ، قال: أنبأنا أحمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمدُ بن عمرو بن
٥ زياد الكِندى، قال: أنبأنا يحيى بنُ آدم، عن أبى زائدةَ، عن مجالد، عن الشعبي، قال:

كنتُ عند عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فأنشدتُه لحارثة بن بدرٍ:

وكان لنا نَبْعٌ تَقينا عُروقه * فقد بلغت إلا قليلًا حُلوقها[2]
وشيَّب رأسى واستَخَفّ حُلومَنا * رُعودُ المنايا فوقَنا وبُروقُها
وإنّا لَتَسْتحلى المنايا نفوسنا[3] * وتترك أخرى مُرّةً ما تذوقها
١٠ رأيتُ المنايا بادئاتٍ وعُوّدا * إلى دارنا سهلًا إليها طريقها
فقد قُسِّمتْ نفسى فريقين منهما * فريقٌ مع الموتى وعندى فريقها

قال الشّعبي: فقال لى ابنُ جعفر: نحن كنا أحقّ بهذا الشعر. وجاءه غلامُه بدراهمَ فى منديل، فقال له: هذه غلّة أرضك بمكان كذا وكذا. فقال: أَلْقِها فى حِجر الشّعبي. فألقاها فى حِجرى.

شعر علقمة المازنى فى ولاية حارثة كوار

١٥ أخبرنى الحسنُ بن على، قال: أنبأنا أحمدُ بن الحارث الخرازُ، عن المدائنى، عن مسلمةَ بن محارِب:

أن زيادا استعملَ حارثةَ بن بدرٍ على كُوارٍ[4]، وهو إذْ ذاك عاملُ علىّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه على فارس، وكان حارثةُ بن بدرٍ صاحبَ شراب، فكتب زيادٌ إلى حارثةَ يحثّه على جباية الخراج، فكتب إليه علقمةُ بن مَعْبَد المازنى:

٢٠ (١) أنشد ابن منظور البيت (خسا) منسوبا إلى الدبيرية . (٢) مرّ هذا البيت برواية أخرى (ص ٣٨٠) . (٣) أ: «لتستحى» . (٤) كوار: من نواحى فارس . (معجم البلدان) .

أَلَمْ تَرَ أنَّ حارثةَ بنَ بدرٍ * يُصلِّي وهو أكفر من حمارِ (١)
وأنَّ المالَ يُعرف من حَوَاهُ * ويُعرَفُ بالزَّواني والعُقَارِ (٢)

شعره فى بغلة حرنت به وكان زياد أهداها له

وقال المدائني فى خبره هذا :

حَمل زيادُ بن أبيه حارثةَ بن بدر على بغلة يقال لها « أطلال » كان خرزاذ ابن المرزبد ابتاعها بأربعة آلاف درهم وأهداها له ، فركبها حارثةُ ، وكان فيها نِفَارٌ ، فصرعته عن ظهرها ، فقام فركبها ، وقال :

ما هاج أطلالَ بجَنبي حَوْمَةْ (٣) * تحمل وضَّاحا رفيع الحكمه
* قَـرْمًا إذا زاحم قَرْمًا زَحَمَهْ *

بينه وبين سليمان ابن عمرو وقد قراه

أخبرني (٤) محمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمدُ بن زكرياء، قال: أنبأنا إبراهيمُ بن عمرو عن أبي عُبيدةَ وعبد الله بن محمد، قالا :

مرَّ سليمانُ بن عمرو بن مرثد بحارثةَ بن بدر وهو بفارس يريد خراسان، فأنزله وقراه وقرى أصحابه ، وحملهم وإياه، فلما ركبوا للسير قال سليمان (٥) :

---

(١) قال الميداني فى كتابه « مجمع الأمثال » : « أكفر من حمار » هو رجل من عاد يقال له : حمار ابن مويلع — وقال الشرقي : هو حمار بن مالك بن نصر الأزدي — كان مسلما ، وكان له واد طوله مسيرة يوم فى عرض أربعة فراسخ ، لم يكن ببلاد العرب أخصب منه ، فيه من كل الثمار ، فخرج بنوه يتصيدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر وقال : لا أعبد من فعل هـذا ببني . ودعا قومه إلى الكفر فمن عصاه قتله ، فأهلكه الله تعالى وأخرب واديه ، فضربت به العرب المثل فى الكفر وأنشد البيت » .

(٢) العقار ، بالضم : الخمر .

(٣) حومه ، بالفتح ثم السكون : موضع فى جانب حمى ضرية . (معجم البلدان) .

(٤) ا ، ب : « أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن النضر بن حديد قال » :

(٥) ا ، ب : مر سليمان بن عمرو بن مرثد وهو يريد خراسان بحارثة بن بدر الغداني وهو بالأهواز ومعه أصحاب له ، فنزلوا به فقراهم حارثة بن بدر وسقاهم وكساهم وحملهم ، فقال سليمان يمدحه » .

قَرِيتَ فأحسنتَ القِـرى وسَقَيْتنا * مُعتَّقةً صهبـاءَ كالعَنـبرِ الرَّطْبِ
وواسـيْتَنا[1] فيما ملكْتَ تـبرُّعا * وكنتَ ابنَ بَدرٍ نعم ذو منزل الرَّكب
وأنتَ لَعمـرى فى تَمِيم عِمـادُها[2] * إذا ما تداعتْ لِلعُلى موضع القُطبِ
وفارسُها فى كل يـومِ كـريهةٍ * وملجؤُها[3] إن حلَّ خَطْبٌ من الخَطْب
وعنـدكمُ نال الغـنى مَن أراده[4] * إذا ما خَطـرتم كالضَّراغمة الغُلْب
يُرى الحَلَقُ[5] المـاذىّ[6] فوق كُماتهـم * إذا الحربُ شُبَّتْ بالمُهنَّدة القُضب[7]
وعنـد الرَّخا والأمن غيثٌ ورحمةٌ * لمن يعتريهم خائفا صـولةَ الحرب
وجدتُهـمُ جُودًا صِـباحًا وجوهُهم * كِرامًا على العِلاَّتِ فى فادح الخَطْبِ[8]
كأنَّ دنانيراً عـلى قَسَماتهـمْ * إذا جئتَهم قد خِفت نُكْبًا من النُّكْب
فمَنْ مُبْـلغٌ عنّى تمـيًما بخـيرُكُمْ * عُدانةَ حقًّا قاله غـيرُ ذى لعب

فقال حارثة يجيبه :

وأسحمَ مـلآنٍ جررتُ لِفتيـةٍ[9] * كرامٍ أبوهم خـيرُ بكرِ بن وائلِ
وأطولُهم كفًّا وأصـدقُهم حيًا * وأكرمُهم عند اختلافِ المَنَاصِل
مِنَ المَرثديِّين الذين إذا انتَـدَوا * رأيتَ نَـدِيًّا[10] جِــدُّه غير خامل
فَعـالُهمُ زَيْـنٌ لهم ووجوهُهمْ * تَزِين الذى يأتونه فى المحَافل
فَسَقْيًا ورَعْيًا لابن عمرو بن مَرثَد * سليمانَ ذى المجد التليد الحُلاَحِل[11]

(١) أ ، ب : « وآسيتنا » . (٢) أ ، ب : « وإنك قرم من تميم عماده » .
(٣) أ ، ب : « وفارسهم ... وملجؤهم » . (٤) أ ، ب : « المنى » .
(٥) الحلق : الدروع . والماذىّ : ما كان من حديد . (٦) أ ، ب « كاتهم » .
(٧) أ ، ب : « الشهب » . (٨) هذا البيت ساقط من أ ، ب .
(٩) الأسحم : زق الخمر . (١٠) أ ، ب : « جدهم » .
(١١) الحلاحل ، بضم الحاء : السيد الشجاع الكثير المروءة .

فتًى لم يزل يسمو إلى كُل نجدةٍ * فيُدرك ما أعيَتْ[1] يدَ المتناوِل

فحَسبُك بى علمًا به وبفَضله * إذا ذُكر الأقوامُ أهل الفضائل

بينه وبين أنس بن زنيم فى حضرة ابن زياد

أخبرنى[2] عمى، قال: أنبأنا الكرانى، قال: أنبأنا العمرى، عن عطاء بن مُصعب، عن عاصم بن الحدثان، قال:

دخل أنس بن زنيم على عُبيد الله بن زياد، وعنده حارثة بن بدر، وكان بينهما تعارُض ومُقارضه قبل ذلك، فلما خرج أنسٌ قال عُبيد الله لحارثة: أىّ رجلٍ هو أنسٌ عندك؟ قال: هو عندى — أصلح الله الأمير — كما قلتُ فيه:

يَبيتُ بَطينًا من لحُومِ صديقِه * خَميصًا من التَّقوى ومن طلب الحَمْدِ

ينام إذا ما الليلُ جَنّ ظلامُه * ويَسرى إلى حاجاته نومة الفَهْدِ[3]

يُراعى عَذارَى قومه كلما دجَا * له الليلُ والسوآت كالأسد الوَرْدِ

جريئًا على أكل الحَرام وفعله * جبانًا عن الأقران مُعتَرمَ الكَرْدِ[4]

فلما كان من الغد، دخل أنسٌ على عُبيد الله، فقال له عبيدُ الله بحضرة حارثة: إنى سألتُ هذا عنك فأخبرنى بما كرهتُه لك، ولم أكن إخالُك كما نُعتَّ لى — فقال: أصلح اللهُ الأميرَ، إن يكن قال خيرًا فأنا أهلُه، وإن قال غير ذلك فلم يَعْدُ ما هو أَوْلَى به منّى، أما والله لو كان — أصلح الله الأمير — حقًّا، لحَفظ غيبتى، فلقد أوليتُه حسنَ الثَّناء بما ليس أهلَه، والله يعلم أنى كنت كاذبًا، وما إخالُ ما قالهُ فىّ إلا عقوبةً، فإن عقوبةَ الكذبِ حاضرةٌ، وثمرةُ الكذب الندامة، فقد لعمرى أُجْنيتُها بكذبى وقولى فيه ما ليس فيه. وهو عندى كما أقول — أصلح الله الأمير — وأنشد:

---

(١) أ، ب: «ما أعيا». (٢) هذا الخبر ساقط من أ، ب. (٣) الفهد: حيوان معروف، وبه يضرب المثل فى كثرة النوم. (٤) الكرد، بالفتح: العنق، أو أصله. ومعترمه: صلبه شديده.

يُحـلِّى لِيَ الطرفَ ٱبنُ بَدْر وإنى * لأعرفُ فى وجه ٱبنِ بدرٍ لِىَ البُغْضا
رآنى شَجًـا فى حَلقه ما يُسيغُه * فما إنْ يزال الدهرَ يُجْرَضُ بى جَرْضا (١)
وما لِىَ من ذنبٍ إليه علمتُه * سوى أن رآنى فى عشيرته مَحْضا
وإنّ ٱبنَ بدرٍ فى تميمٍ مُكَرْكَسٌ * إذا سِيمَ خَسفًا أو مُشنَّعةً أَغْضى (٢)
فعِشْ يا ٱبنَ بدر ما بقيتَ كما أَرَى * كثيرَ الخنَا لا تسأم الذلَّ والقضَّا
تعيبُ الرجالَ الصالحين وفعلَهم * وتبذُلُ بُخْلًا دون ما نلتَه العِرْضا
وتَرضى بما لا يرتضى الحرُّ مثلَه * وذو الحلم بالتَّخْييس والذلِّ لا يَرضى (٣)

قال: وقال أنس فى حارثة بن بدر ينسُبه إلى الخمر والفجور:

أحارِ بنَ بدرٍ باكِرِ الراحَ إنها * تُنَسِّيكَ ما قدَّمتَ فى سالف الدَّهْرِ
تُنَسِّيكَ أسبابًا عظاما ركبتَها * وأنتَ على عَمياءَ فى سَنَنٍ تَجرى
أتذكرُ ما أسديتَ واخترتَ فعلَه * وجئتَ من المكروه والشرِّ والنُّكْرِ
إذا قلتُ مهلًا نلتَ عِرضى فما الذى * تَعيب على مثلى هُبِلْتَ أبا عَمْرو
أليس عظيمًا أن تُكَايِدَ حُرَّةً * مُهفْهَفَةَ الكَشْحَيْنِ طيبةَ النَّشْرِ
فإنْ كنتَ قد أزمعتَ بِشُربِك بالذى * عُرِفتَ به إذ أنتَ تَخزى ولا تدرى
فدعْ عنك شُرْبَ الخمرِ وارجع إلى التى * بها يرتضِى أهلُ النباهة والذِّكْرِ
عليك نبيذَ التمرِ إن كنتَ شاربًا * فإن نبيذَ التمرِ خيرٌ من الخمرِ
ألا إنَّ شُرْبَ الخمر يُزْرِى بذى الحِجَى * ويَذْهب بالمال التِّلاد وبالوَفْرِ

(١) يجرض: خفض.
(٢) المكركس، بفتح الكافين بينهما سكون: من ولدته الإماء.
(٣) التخييس: الإذلال.

فَصَبْرًا عن الصَّهْبَاءِ وَاعلَمْ بأنى * نَصِيحٌ وأنّى قد كبِرتُ عن الزَّجْرِ
وأنك إن كَفْكَفْتَنِى عن نصيحةٍ * تركْتُك يا حَارِ بْنَ بدرٍ إلى الحَشْرِ
أأبذل نُصْحِى ثم تَعصِى نَصِيحتى * وتَهجرنى عنها هُبِلْتَ أبا بَدْرِ

بينه وبين أبى الأسود حين ولى سرق

أخبرنى أحمدُ بنُ عبدالعزيز الجوهرى، قال: حدّثنا عمرُ بن شبّة، قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال:

[لمّا][1] وَلِىَ حارثةُ بن بدرٍ سُرَّق[2] خرج معه المُشيِّعون من البصرة وفيهم أبو الأسود الدُّؤَلى، فلما انصرف المشيعون دنا منه أبو الأسود فقال [له][3]:

أحارِ[4] بن بدرٍ قد وَلِيتَ إمارةً * فكن جُرَذًا فيها تَخُون وتَسرقُ
ولا تَحقِرنْ يا حارِ شيئًا تُصيبُه * فحظُّك من مُلْك العراقين سُرَّق
فإن جميعَ الناسِ إما مُكَذِّبٌ * يقول بما يَهوى وإما مُصَدِّق
يقولون أقوالًا بِظَنٍّ وشُبهةٍ * فإن قيل هاتوا حقِّقوا لم يُحقِّقوا
فلا تَعجزنْ فالعجزُ أبطأُ مَركبٍ * وما كل من يُدْعَى إلى الرِّزق يُرزَق[5]
وكاثِرْ تميمًا بالغنى إن[6] للغنَى * لسانًا به يَسطو العَيِيُّ وينطق[7]

فقال له حارثة:

جزاك مليكُ الناس خيرَ جزائه * فقد قلتَ معروفًا وأوصيتَ كافيًا
أمرتَ بحزمٍ لو أمرتَ بغيره * لألفيتَنى فيه لرأيك عاصيا
ستلقَى أخًا يُصفيك بالوُدّ حاضرًا * ويُوليك حِفظَ الغيبِ إن كنتَ نائيا

(١) التكلة من س. (٢) سرق: من كور الأهواز. (معجم البلدان).
(٣) تكلة من أ، ب. (٤) أحار، أى أحارثة، منادى مرخم. (٥) أ، ب:
ولا تعجزن فالعجز أبطأ مركب * وما كل مدفوع إلى الرزق يرزق
(٦) ب: «وبار». (٧) ب: * لسانا به المرء الهيوبة ينطق *

تشبيه أصحابه بدولاب وهجاء غوث له

أخبرنى محمدُ بن مَزيد، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال:

لمّا نُدِبَ حارثةُ بن بَدر لقتال الأزارقة بدُولاب لقيهم، فلما حميت الحربُ بينهم واشتدّت، قال حارثة لأصحابه:

كَرْنِبُوا وَدَوْلِبُوا * وحيث شئتم فَاذْهَبُوا[1]

ثم انهزم، فقال غوث بن الحُباب يهجوه ويُعيره بالفِرار[2]، ويُعيره بشُرب الخمر [ومُعاقرتها][3].

أحارِ بنَ بدرٍ دونك الكأسَ إنها * بمثلك أولى من قِراع الكتائبِ
عليك بها صَهْباءَ كالمسك ريحُها * يَظَلُّ أخوها للعِدا غيرَ هائبِ
فدَعْ عنك أقواماً وَلِيتَ قتالَهم * فلستَ صَبوراً عند وقْع القواضبِ
وخُذها كعين الدِّيك تَشفِى من الجوَى * وتَتركُ ذا الهمّات[4] حصْرَ المذاهب[5]
إذا شُعشِعتْ بالماء خِلْتَ حَبابَها * نظائمَ دُرٍّ أو عيونَ الجنادبِ
كأنك إذ تَحْسُو ثلاثةَ أكؤُسٍ * من التِّيه قَرْمٌ من قُروم المرازِبِ[6]
ودَعْ عنك أبناءَ الحُروبِ وشدَّهم * إذا خَطروا مثل الجِمال المَصاعبِ

حلمه حالتين عن قومه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ، قال: حدثنا عمر بن شَبّة، قال: حدّثنا العَلاء بن الفَضل بن أبى سُويّة، قال: حدّثنى أبى، قال:

(١) كرنبوا: خذوا طريق كَرْنَبى، وكَرْنَبى، بالفتح: موضع فى نواحى الأهواز. ودولبوا خذوا طريق دولاب، ودولاب: قرية قريبة من الأهواز.

(٢) أ، ب: «ويعيبه».

(٣) التكملة من س.

(٤) س: «الهمام».

(٥) حصر المذاهب، أى مسدودة عليه مذاهبه فهو كالمحبوس.

(٦) المرازب: جمع مرزبان، بفتح فسكون فضم: الرئيس من الفرس.

كانت فى تميم حَمَالتان(1) ، فاجتمعوا فى مَقبرة بَنى شَيبان ، فقال لهم الأحنف : لا تَعجلوا حتى يحضر سيدُكم . فقالوا : مَن سيدُنا(2) غيرُك ؟ قال : حارثةُ بن بدر . قال : وقَـدِم حارثة من الأهواز بمـالٍ كثير فبَلغـه ما قال الأحنف ، فقال : اغْرَمَنيها والله ابنُ الزّافـرِيّة ! ثم أتاهم كأنه لم يعلم فيما اجتمعوا ، [فقـال فيم اجتمعتم؟ فأخبروه](3) . فقال : لا تَلْقَوا فيهما أحدا [فهما علىّ](3)، ثم أتى منزله فقـال :

خَلتِ الديارُ فسُدْتُ غـير مُسَوّدِ * ومن الشّـقاء(4) تفَـرُّدى بالسُّوددِ

تمثل سفيان ابن عيينة ببيت له

أخبرنى أحمدُ بن عُبيد الله بن عمار، قال : حدثنا أحمدُ بن سليمان بن أبى شيخ عن أبيه، قال :

خرج أصحـاب الحديث إلى(5) سُفْيان بنِ عُيَينة فازدحموا ، فقال : لقد هَمَمْتُ ألا أحدّثكم شهرا . فقام إليه شاب من أهل العراق ، فقال له : يا أبا محمد ، ألِنْ جانبَك، وحَسِّنْ قولَك، وتأسَّ بصالحى سَلفك، وأجْمِل مُجالسةَ جُلَسائك، فقـد أصبحتَ بقيةَ الناسِ ، وأمينًا لله ورسـوله على العلم ، والله إن الرجلَ ليريد الحجّ فَتتعاظَمه مشقتُه حتى يكاد أن يقيم ، فيكونُ لقاؤُه إياكَ وطمعُه فيكَ أكثرَ(6) ما يحرّكه عليـه . قال : فخضـع سفيان [وتواضع](3) ورقّ وبكى ، ثم تمثّل بقول(7) حارثة :

خَلت الديارُ فسُدت غـير مُسوّد * ومن الشّـقاء(8) تَفَـرُّدى بالسُّوددِ

ثم حدّثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا .

(1) الحمالة : الكفالة .
(2) أ ، ب : « قالوا : ومن سيدنا » .
(3) التكلة من أ ، ب .
(4) أ ، ب : « ومن البلاء » .
(5) أ ، ب : « على » .
(6) أ ، ب : « أكبر » .
(7) أ ، ب : « ثم تمثل قول » .
(8) أ ، ب : « ومن البلاء » .

مدحه سعيد ابن قيس لإجاره حين أهدر على دمه

أخبرنى هاشمُ بن محمد الخُزاعىّ ومحمدُ بن الحسين الكِندى، قالا : حدّثنا الخليلُ بن أسد، قال : حدّثنا العمرى، عن الهيثم بن عدىّ، عن الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عُتيبة[1] :

أن حارثة بن بدر الغُدانى كان سعى فى الأرض فسادًا[2]، فأهدر علىُّ ابنُ أبى طالبٍ عليه السلام دَمه، فهرب فاستجار[3] بأشراف الناس، فلم يُجِرْه أحد، فقيل له : عليكَ بسعيدِ بن قيسٍ الهمدانىّ فلعله [أن][4] يُجيرك . فطلب سعيداً فلم يجده، فجلس فى طلبه حتى جاء، فأخذ بلجام فرسه فقال[5] : أَجِرْنى أجارك الله، قال : ويحك ، مالك ؟ قال : أهدر أمير المؤمنين دَمى[6] . قال : وفيم [ذاك][7] ؟ قال : سعيتُ فى الأرض فسادا . قال : ومن أنت ؟ قال : حارثة بن بدر الغُدانى . قال : أَقِمْ . وانصرفَ إلى علىٍّ عليه السلام فوجده قائمًا على المنبرِ يَخْطُب ، فقال : يا أمير المؤمنين، ما جزاءُ الّذِينَ يُحَارِبون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فَسَادًا ؟ قال : أَنْ يُقَتَّلوا أو يصلَّبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ أو يُنفوا من الأرض . قال : يا أمير المؤمنين، إلا من ؟ قال : إلا من تاب . قال : فهذا حارثةُ بن بدر قد جاء تائبًا، وقد أجرتُه . قال : أنت رَجلٌ من المسلمين وقد أَجَرْنا من أَجَرْت[8] . ثم قال علىٌّ عليه السلام وهو على المنبر : أيها الناس[9]، إنى كنت

(١) ب : « عتبة » .
(٢) أ ، ب : « فتنر » .
(٣) أ ، ب : « واستجار » .
(٤) التكملة من أ ، ب .
(٥) أ ، ب : « وقال » .
(٦) أ ، ب : « نذر » .
(٧) تكلة من ب .
(٨) أ ، ب : « . . . وقد أجرناه . قال علىّ » .
(٩) أ ، ب : « يا أيها الناس » .

نذرتُ دَمَ حارثة بن بدر، فمن لقيه فلا يَعرِضْ[1] له . فانصرفَ إليه سعيدُ بن قيس فأطعمه وحمله وكساه،[2] وأجازه [بجائزة سَنية][3] ، فقال فيه حارثة :

اللهُ يجزى سعيدَ الخيرِ نافلةً * أعنى سعيد بن قيس قَرْمَ هَمْدانِ

أنقذَنى من شَفَا غَبراء مُظلمةٍ * لولا شفاعتُه أُلبِسْتُ أكفانى

قالت تَميمُ بن مُرٍّ لا نُخاطِبُه * وقد أَبَتْ ذلكم قيسُ بنُ عَيلانْ

قال الهَيثم :

لم يكن الحسن بن عُمارة يروى من هذا الشعر غير هذه الثلاثة الأبيات ، وأخذتُ الشعرَ كلَّه من حمادٍ الراوية ، فقلت له : ممّن أخذتَه ؟ قال : من سِمَاك ابن حَرب . وهو :

أساغ فى الحَلْقِ رِيقًا كان يُجرِضُنى[4] * وأظهر الله سِرّى بعد كتمانِ

إنى تداركنى عفٌّ شمائلُه * آباؤه حين يُنمَى خيرُ قحطانِ

يَنميه قيسٌ وزيدٌ والفتى كُرَبٌ * وذو جَبابرَ من أولاد عثمانِ

وذو رُعَينٍ وسيفٌ وآبن ذى يزنٍ * وعلقمٌ قبلهم أعنى آبنَ نَبهانِ[5]

قال[6] : فلما أراد الانصرافَ إلى البصرة شيّعه سعيد بن قيس إلى نهر البصريين[7] فى ألفِ راكب، وحمله وجهزه، فقال حارثة :

---

(١) ا، ب : « فلا يعرضنّ له » . (٢) ا، ب : « وكساه وحمله » .
(٣) التكملة من س . (٤) ا، ب : « كنت أجرضه » . ويجرضنى : يغصنى .
(٥) ا، ب : « أعنى ابن قيقان » . (٦) تكملة من ا ، ب .
(٧) س : « النصريين » .

لقد سُررتُ غَدَاةَ النهر إذ بَرزت * أشياخُ همدانَ فيها المجدُ والخير

يقودهم ملكٌ جَـزْلٌ مواهبُـه * وَارِى الزِّناد لدى الخيرات مذكور

أعنى سعيدَ بن قيس خيرِ ذى يَزَنٍ[1] * سامِى العِماد[2] لدى السُّلطانِ محبور

ما إنْ يلين إذا ما سِيمَ مَنْقَصةً[3] * لكن له غَضب فيها وتَنكير[4]

أغرُّ أَبلَجُ يُستسقى الغمامُ به * جَنابُه الدهرَ يُضحِى وهو ممطور[5]

٥

أنس ابن زياد به رغمة ذلك

أخبرنى[6] محمد بن يحيى، قال : حدّثنا محمد بن زكريا، قال : حدّثنا محمد ابن معاوية الزيادى، عن القحذمى، قال :

كان حارثة بن بدر فصيحا بليغا عارفا بأخبار الناس وأيامهم، حلوًا شاعرا ذا فكاهة، فكان زيادٌ يأنس به طُول حياته، فلما مات وولى عُبيدُ الله ابنُه، كان يجفوه، فدخل إليه فى جمهور الناس، فجلس متواريا منه حتى خفَّ الناسُ،

١٠

ثم قام فأذكره بحقوقه على زيادٍ وأُنسه به . فقال له : ما أعرفنى بما قلت ! غير أنّ أبى كان قد عَرفه الناسُ وعرفوا سيرتَه، فلم يكن يَلصق به من أهل الرِّيبة مثلُ ما يلحقنى، مع الشباب وقُربِ العهدِ بالإمارة، فأما إن قلت ما قلت فاختر مُجالستى إن شئت ليلاً وإن شئت نهاراً . فقال : الليلُ أحبُّ إلىّ . فكان يدعوه ليلا فيسامره، فلما عرفه استحلاه، فغلب عليه ليلَه ونهارَه حتى كان يغيب

١٥

فيبعثُ من يُحضره، فجاءه ليلةً وبوجهه آثار، فقال له : ما هذا ياحار ؟ قال :

(١) أ، ب : « خير ذى يمن » .
(٢) أ : « جم الفضائل » . ب : « حامى الديار » .
(٣) أ : « منقبة » . وفى ب : « مندبة » .
(٤) أ، ب : « وتذكير » . (٥) البيت ساقط من ب .

٢٠

(٦) هذا الخبر والأخبار الثلاثة بعده ساقطة من أ، ب .

ركبت فرسى الأشقر[1] فلجّج بى مَضِيقًا[2] فسحَجَنى . قال : لكنك لو ركبتَ أحدَ الأشهبين لم يُصبك شىء من هذا . يعنى : اللبن والماء[3] .

طلاقه لزوجته وحسرته عليها

أخبرنى محمدُ بن يحيى، قال : أنبأنا محمد بن زكريا، قال : أنبأنا محمد ابن معاوية الزيادى، عن القحذمى، عن عمه، قال :

خرج حارثة بن بدر إلى سَلم بن زياد بخُراسان فأوصى رجلًا من غُدانةَ أن يتعاهد امرأته الشمّاء ويقومَ بأمرها، فكان الغُدانىّ يأتيها فيتحدث عندها ويُطيل، حتى أحبّها وصَبا بها ، فكتب إلى حارثة يخبره أنها فَسدتْ عليه وتغيّرت ، ويُشير عليه بفراقها، ويقول له : إنها قد فَضحتْك من تَلعُّب الرجالِ بها . فكتب إليها بطلاقها، وكتب فى آخر كتابه :

ألا آذِنَا شمّاءَ بالبَيْن إنه * أبَى أوَدُ الشمّاء أن يتقوّمَا

قال : فلما طلّقها وقضت عِدّتَها ، خطبها الغُدانىّ فتزوجها، وكان حارثةُ شديدَ الحبِّ لها ، وبلغه ذلك ، وما صَنعت ، فقال :

لعمركَ ما فارقتُ شمّاءَ عن قِلًى * ولكنْ أطلّتُ النأْىَ عنها فَمَلّتِ
مُقيمًا بِمَرْوَرُّوذَ لا أنا قافلٌ * إليها ولا تَدْنو إذا هى حَلّتِ

رثاء زوجته له

أخبرنى محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمدُ بن زكريا، قال: أنبأنا مَهدى بن سابق، قال : أنبأنا عطاء، عن عاصم بن الحدثان ، قال :

تزوج حارثة بن بَدر ميسةَ بنت جابر، وكانت تُذكر بجمال وعقل ولسان، فلما هَلك حارثةُ تزوّجها بِشرُ بن شِعاف بعدَه فلم تَحمَده ، فقالت تَرْثى حارثةَ :

(١) يعنى : الخمر .

(٢) لجج : إذا خاض لجة .

بُدِّلْتُ بِشْرًا شَقَاءً أو مُعَاقِبَةً * من فَارِسٍ كان قِدْمًا غَيْرَ خَوَّارِ
ياليتني قبلَ بِشْرٍ كان عَاجَلَنِي * دَاعٍ من اللهِ أو دَاعٍ من النَّارِ

وقالت أيضا فيه :

مَاخَارَ لي ذُو العرشِ لمَّا اسْتَخَرْتُه * وعَذَّبَنى أن صِرْتُ لابنِ شِعَافِ
فما كان لى بَعْلًا وما كان مثله * يكون حَلِيفًا أو يَنَالُ إلافى
فيارَبِّ قد أَوْقَعْتَنِى فى بَلِيَّةٍ * فكُن لى حِصْنًا منه رَبِّ وكَافِ (١)
وَنَجِّ إِلْهِى رِبقتِى من يَدِ امْرِئٍ * شَتِيمٍ مُحَيَّاهُ لكُلِّ مُصَافِ (٢)
هو السَّوْأَةُ السَّوْآءُ لا خيرَ عنده * لطالبِ خَيْرٍ أو أَحَذَّ قُوَافِ (٣)
يَرَى أَكْلَةً إن نَالَتْهَا قَلْعَ ضِرْسِهِ * وما تلك زُلْفَى يَالَ عَبدِ مَنَافِ
وإن حَادِثٌ عَضَّ الشُّعَافِىَّ لم يَكُنْ * صَلِيبًا ولا ذا تُدْرَأٍ وقُذَافِ (٤)

بينه وبين ابن زنيم

أخبرنى محمدُ بنُ مَزْيدٍ(٥)، قال : أنبأنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال :

لقِىَ أنس بن زُنَيم الدُّئلى حارثةَ بن بدرٍ فقال له : يا حارثة، قد قُلْتُ لك أبياتًا فاسْمَعْهَا . فقال : هاتها، فأنشده :

فَتًى متى أنتَ ابنَ بَدْرٍ مُخَيِّمٌ * وصَحْبُكَ يَحْسُونَ الحَلِيبَ من الكَرْمِ
فإنْ كان شَرًّا قَالَهُ عنه وَخَلِّهِ * لغيرك من أهلِ التَّخَبُّطِ والظُّلْمِ

---

(١) الوجه : « وكافيا »، فعدل عنها للقافية، وهذه من أقبح الضرورات .
(٢) الربقة، بكسر الراء وسكون الباء : العقدة . وشتيم المحيا : كريهه .
(٣) الأحذ : الذى لايتعلق به شىء لجودته . (٤) الشعافى، هو بشر بن شعاف، المذكور قبل . وذو تدرأ : ذو عزة ومنعة . والقذاف : الرمى . (٥) ب : « يزيد » .

وإن كان غُنْمًا يا ابن بدرٍ فقد أرَى * سَمِنْتُ من الإكثار من ذلك الغُنْمُ

وإن كنتَ ذا علم بها واحْتِسائها (١) * فمالك تأتى ما يَشينك عن علم

تَقِ اللهَ واقْبلْ يابنَ بدرٍ نصيحتى * ودَعْها لمن أمسَى بعيدًا من الحَزْم

فلو أنها كانت شرابًا مُحلَّلا * وقُلتَ لىَ اتركها لأوضَعْتُ (٢) فى الحُكْم (٣)

وأيقنتُ أن القولَ ماقلتَ فانْتَفِعْ (٤) * بقولى ولا تَجْعلْ كلامى من الجُرْمْ

فرُبَّ نَصِيح الجَيْبِ رُدَّ انْتِصاحُه * عليه بلا ذَنْبٍ وعُوجِلَ بالشَّتْمْ (٥)

فقال له حارثةُ : لقد قلتَ فأحسنتَ ، ونصحتَ فبالغتَ (٦) ، جُزِيتَ الخيرَ أبا زُنَيمٍ (٧).

فلما رجع إلى منزله ، أتاه ندماؤه فذكر لهم ما قال ابنُ زنيم ، فقالوا : والله ما نَرَى ذلك إلا حَسَدًا (٨) . ثم قال حارثة بن بدر لابن زُنَيم :

يَعيبُ علىَّ الرَّاحَ مَنْ لو يَذُوقُها * لَجُنَّ بها حتى يُغَيَّبَ فى القَبرِ

فَدَعْها (٩) أو امْدَحْها فإنَّا نُحِبُّها * صُرَاحًا (١٠) كما أغراكَ رَبُّكَ بالهَجْر

عَلامَ تَذُمُّ الرَّاحَ والرَّاحُ كاسْمِها * تُرِيحُ الفتى من هَمِّهِ آخرَ الدَّهرِ

فَلُمْنِى فإن اللَّوْمَ فيها يَزِيدُنى * غَرامًا بها إنَّ المَلامةَ قد تُغْرِى

وبالله أُولِى صادقًا (١١) لو شَرِبْتَها * لأقْصَرْتَ عن عَذْلى ومِلْتَ إلى عُذْرى

(١) أ ، ب : « بما فى احتسائها » . (٢) أوضعت : أسرعت .
(٣) أ ، ب : « فى الحلم » . (٤) أ ، ب : « الحلم » .
(٥) نصيح الجيب : أمين . (٦) س : « . فبالغت » .
(٧) أ : « يا زنيم » .
(٨) أ ب ، : « فقالوا : ما أراد إلا تبكيتك . قال : وأنا والله أرى ذلك » .
(٩) أ ، ب « فعبها » . (١٠) صراح ، بضم الصاد : صرفة غير ممزوجة .
(١١) أولى صادقا : أحلف صادقا .

وإن شئتَ[1] جَرَّبْهــا وذُقْهَا عتيقةً * لهــا أَرَجٌ كالمسك محمودةَ الخُبْرِ
فإن أنت لم تَخْلَعْ عِذَارَكَ فالحَنِي * وقُلْ لِي لحَــاكَ اللهُ من عاجزٍ غُمْرِ
وَقَبْلَكَ ما قد لامنى فى اصْطِبَاحِها * وفى شُرْبِها[2] بَدْرٌ فأعرضتُ عن بدرِ
وحَاسَيْتُها قوماً[3] كأنَّ وُجوهَهم * دنانيرُ فى اللَّأْواءِ والزَّمَنِ النُّكْرِ
فَدَعْنِى من التَّعْذَالِ فيهــا فإننى * خُلِقْتُ أَبِيًّا لا أَلِينُ على القَسْرِ
أَجُـودُ وأُعطِى المُنْفِسَاتِ تَبَرُّعاً * وأُغْلِى بهــا عنـد اليَسَارةِ والعُسْرِ
وأشربها حــتى أَخِرَّ مُجَــدَّلا * مُعَتَّقَةً صَهْباءَ طَيِّبَــةَ النَّشْـرِ
ولولا النُّهَى لم أَصْحُ ما عشتُ ساعةً * ولكننى نَهْنَهْتُ نفسى عن الهَجْرِ
فَقَصَّرْتُ عنها بعد طُولِ لجَــاجَةٍ * وحُبٌّ لها فى سِرِّ أَمْرِى وفى الجَهْرِ[4]
١٠ وحَقٌّ لمِثْلِى أن يَكُفَّ عن الخَنَى * ويُقْصِرَ عن بعض الغَوَايَةِ والنُّكْرِ[5]

أخبرنى الحسين بنُ يحيى[6]، عن حمّــاد عن أبيه، عن أبى عُبيدة :

هو وابن زياد فى خراج نيسابور

أن عُبيدَ الله بنَ زياد استعمل حارثةَ بن بدر على نَيسابور[7] فغاب عنه أشهرًا ، ثم قدم فدخل عليه، فقال له : ما جاء بك ولم أكتب إليـك ؟ قال : اسْتَنْظَفْتُ خَرَاجَكَ[8] وجئتُ به وليس لى [بها[9]] عملٌ، فمــا مُقَامى ؟ قال : أَوَ بذلك أمرتك؟ ١٥ ارْجِع فارْدُدْ عليهم الخراجَ وخُذْه منهـم نُجُومًا حتى تنقضى السنةُ وقد فرَغْتَ من

(١) أ ، ب : « فإن شئت » .
(٢) أ ، ب : « وفى إدمانها » .
(٣) وحاسيتها قوما : شربتها معهم .
(٤) أ : « فى سر أمرى والجهر » .
(٥) أ ، ب : « والسكر » .
(٦) ب : « الحسن » .
(٧) ب : « على جند نيسابور » .
(٨) استنظفت خراجك : استوفيته .
٢٠ (٩) تكلة من أ ، ب .

ذلك ، فإنه أرْفَقُ بالرعيّة وبك[1] ، واحذرْ أن تحملَهم على بَيْع غلّاتهم ومواشيهم ولا التّعْنِيفَ عليهم[2] . فرجع فردَّ الخراجَ عليهم ، وأقام يستخرجه منهم نجوماً حتى مَضَتْ السنة .

شهادة الأحنف له

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى، قال : حدّثنا الرياشىُّ عن الأصمعى، قال :

قال الأحنفُ بنُ قيس : ما غِبْتُ عن أمرٍ قطّ فحضره حارثة بن بدرٍ إلا وثِقتُ بإحكامه إيّاه وجَوْدةِ عَقْدِه له ، وكان حارثةُ بن بدرٍ من الدُّهاة . ٥

عوتب زياد على تقريبه إياه فأجاب

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان الأخفش ، قال : حدّثنا أحمدُ بن يحيى ، عن ابن الأعرابىّ ، قال :

كان حارثةُ بنُ بدرٍ يُصيب من الشراب ، وكان حَظِيًّا عند زياد ، فعُوتِب زِيادٌ على رأيِه فيه . فقال : أتلومُونَنِى على حارثة ؟ فوالله ما تَفَلَ فى مجلسى قطّ، ١٠ ولاحكّ رِكابُه رِكابى ، ولا سار معى فى عُلاوة الريح[3] فَغَبَّرَ علىّ ، ولا دَعَوْتُه قطّ فاحْتَجْتُ إلى تَجَشُّم الالتفات إليه حتى يوازينى ، ولا شاورتُه فى شىءٍ إلا نَصَحنى ، ولا سألتُه عن شىءٍ من أمر العرب وأخبارها إلا وجدتُه به بصيرا .

موقفه يوم دولاب

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز [الجوهرى][4] وأحمدُ بنُ عبيدِالله بن عمّارٍ، قالا : حدّثنا عمر بنُ شبّة، قال : حدّثنا الأصمعىّ، قال : ١٥

(١) أ ، ب : « وقد فرغت من خراجك » .
(٢) أ ، ب : « ولا التنير عليها » .
(٣) علاوة الريح : أن تكون فى مهبها .
(٤) تكلة من أ ، ب .

لما كان يوم دُولَاب وأفضت الحربُ إلى حارثةَ بن بدر صاح : مَنْ جاءنا من الموالى فله فريضةُ العـرب[1] ، ومن جاءنا من الأعراب فله فريضةُ المهاجر .
فلما رأى ما يَلْقى أصحابه من الأزارقة قال :

أَيْرُ الحمـارِ فَرِيضـةٌ لشبابكم * والخُصْيَتانِ فريضةُ الأَعْرابِ
عَضَّ المَـوَالِي جِلْدَ أَيْرِ أبيهمُ * إن المَـوَالِيَ مَعْشَرُ الخُيَّـابِ

ثم قال :

كَرْنِبُوا وَدَوْلِبُـوا * وشَرِّقُـوا وغَرِّبُوا
* وحَيْثُ شِـئْتُمْ فَاذْهَبُوا *

يَعْنِي بقوله « كَرْنِبُوا » أى : خُذُوا طريقَ كَرْنَبَى ، و« دولبوا » : خذوا طريق دُولاب[2] .

سؤال ابن زياد له وللأحنف عن الشراب

أخبرنى محمدُ بن زكريا الصحّاف ، قال : حدّثنا قَعنب بن مُحْرِز ، قال : حدثنا الهيثم بنَ عدىّ ، عن ابن عيّاش[3] ، عن المغيرة بن المُنْتشر ، قال :

إنّا[4] عنـد عُبيد الله بن زياد ، وعنده الأحنفُ [بن قيس][5] وحارثةُ بن بدر ، وكان حارثةُ يُتَّهم بالشراب . فقال له عبيدُ الله : ياحارثة ، أىُّ الشراب أطيب ؟ قال : بُرّة طبريّة[6] ، بأقطـة عَتَرِيّة ، بسَـمنة عَرَبيّه ، بسُـكّرة سُوسِيّة[7] . فتبسّم عبيدُ الله ، ثم قال للأحنف : يا أبا بحر ، أىُّ الشرابِ أطْيبُ ؟ قال : الخمر . فقال له عبيدُ الله : وما يُدْرِيكَ ولَسْتَ[8] من أهلِهـا ؟ قال : مَنْ يَسْتَحِلُّها لا يَعْـدُوها إلى غَيْرِها ، ومن يُحرِّمُها يتأوّل فيها حتى يَشْربها . قال : فضحك عُبيد الله .

(١) ب : « العـرب » .
(٢) مر بعض هذا الخبر (ص ٤٠٠) .
(٣) س : « أبي عياش » ، تحريف .
(٤) أ ، ب : « كنا عند » .
(٥) تكلة من أ ، ب .
(٦) س : « طيسارية » .
(٧) « سوسية » : نسبة إلى سوس ، كورة بالأهواز .
(٨) أ ، ب : « وما يدريك من أهلها » .

هو ورجل أجازه بيتا

أخبرنى أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدى(1) وعمرو بنُ عبد الله العتكى، قالا : حدّثنا الرياشىّ . وقال العتكى فى خبره : « عن أبى عبيدة »، ولم يَقُلْهُ الأسدىُّ ولا تجاوزَ الرياشىَّ به :

إن حارثةَ كان بكُوار(2) من أردشير خُره(3) [يتنزه(4)] فقال :

ألم تَرَ أن حارثة بن بَدْرٍ * أقامَ بِدَيْرِ أبْلَقَ(5) من كُوارَا

ثم قال لجُند كانوا معه : من أجاز هذا البيت فله حُكْمُه . فقال له رجلٌ منهم : أنا أجيزُه على أن تجعَلَ لِى الأمانَ من غضبك ، وتجعلَنى رسولك إلى البصرة، وتطلبَ لِى القَفَل(6) من الأمير . قال : ذلك لك . قال : ثم رد عليه نشيد البيت، فقال الرجل :

مُقيمًا يشربُ الصَّهباءَ صِرْفًا * إذا ماقلتَ تَصْرعه اسْتَدَارَا

١٠

فقال له حارثةُ : لك شرطُك، ولو كنتَ قلتَ لنا شيئا يسُرنا لَسَرَرْناك .

طلب منه الأبيرد ثوبين فأعطاه ما لم يرضه فهجاه

كتب إلىّ أبو خليفة الفضلُ بنُ الحُبَاب، أخبرنا محمدُ بنُ سلّام ، قال :

قدم الأُبَيْرِدُ الرِّيَاحِىُّ على حارثةَ بن بدر فقال له : اكْسُنِى ثَوْبَيْنِ أدخلُ بهما(7) على الأمير . فكساه ثوبين لم يَرْضَهُما، فقال فيه :

---

(1) أ : « أخبرنى محمد أبو الحسن الأسدى » . س : « أخبرنى محمد بن محمد الحسن الأسدى » .

١٥

(2) كوار، بالضم وتخفيف الواو : بلدة بينها وبين شيراز عشرة فراسخ .

(3) أرد شير خره : كورة بفارس ، منها شيراز وكوار .

(4) تكملة من أ ، ب .

(5) ذكر ياقوت هذا الدير فى « دير الأبلق » وقال : « بكوار من ناحية أردشير خره » ثم أورد البيتين، هذا البيت والذى بعده، منسوبين لحارثة .

٢٠

(6) القفل، بالفتح : الرجوع ، كالقفول . (7) أ ، ب : « فيهما » .

أحارِثُ أمسِكْ فَضلَ بُرديْكَ إنما * أجاعَ وأعرى اللهُ من كُنتَ كاسيَا
وكُنتُ إذا استمطرتُ منك سَحابةً * لتُمطرنى عادتْ عَجاجًا وسافيا (١)
أحارِثُ عاودْ شُربَكَ الخمرَ إننى * رأيتُ زيادًا عنك أصبحَ لاهيا (٢)

فبلغتْ زيادا، وبلغتْ حارثة، فقال: قبحه الله! لقد شهد [علىّ] (٣) بما لم يعلم، ولم أدعْ (٤) جوابه إلا لما يعلم.

مجاهرة الحكم ابن المنذر بالشراب لأبيات حارثة

أخبرنى محمد بنُ مزيد، قال: حدثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال:

كان الحكم بن المنذر بن الجارود يشرب الشراب، فقيل له فى ذلك وعُوتب، وعرف أن الصَّلتان العبدى هجاه فقال فيه:

١٠
تَرَكَ الاشياءَ طُرًّا وانْحنى (٥) * يَشربُ الصَّهباءَ من ماءِ العِنَبْ
لا يخافُ الناسَ قد أدمَنَها * وهْىَ تُزرِى باللئيمِ المؤتَشِبْ (٦)
وَهْىَ بالأشرافِ أزْرَى وإلى * غايةِ التأنيبِ تدعُو ذا الحسَبْ
فَدعِ الخمرَ أبا حَرْبٍ وسُدْ (٧) * قومَكَ الأدْنَيْنَ من بينِ العربْ

فقال: لعنه الله! والله ما ترك للصلح موضعًا، ولقد صدق، ولولا الشُّرْبُ (٨) لكنتُ الرجلَ الكامل، وما يخفى علىَّ قبيحُه (٩) وسوء القالَة فيه، ولكنى سمعتُ حارثةَ بنَ بدرٍ الغُدانى أنشد أبياتًا يومًا فحملتنى على المجاهرة بالشراب، وإن كان ذلك إلىَّ بغيضا.
١٥
قيل له: وما الأبيات؟ قال: سمعتُه يُنشد:

(١) العجاج: الغبار. والسافى: التراب المتبدد.
(٢) أ، ب: * أرى ابن زياد عنك أصبح لاهيا *
٢٠
(٣) تكلة من أ، ب. (٤) أ، ب: «وما أدع». (٥) س: «وانحنى».
(٦) المؤتشب: الذى جمع ماله من الأشابات، وهى الأخلاط فيها الحرام.
(٧) أ، ب: «تسد». (٨) أ، ب: «الشراب». (٩) أ، ب: «قبحه».

أذهبَ عنى الغمَّ والهمَّ والذى * به تُطرَدُ[1] الأحداثُ شُربُ المُروّقِ
فواللهِ ما أنفكُّ[2] بالرّاح مُهْتَرًا[3] * ولو لامَ فيها كلُّ حُرٍّ مُوفّقِ
فما لائمى فيها وإن كان ناصحًا * بأعلمَ منّى بالرّحيق المُعتّقِ
ولكنّ قلبى مُستهامٌ بحبّها * وحُبّ القِيانِ رأىُ كلِّ مُحمّقِ
أُحبُّ التى لا أَملكُ الدّهرَ بُغضَها * وذلك فِعلٌ مُعجِبٌ كلَّ أخرقِ
سأشربُها صِرفًا وأَسقِى صحابتى * وأطلب غِرّاتِ الغزالِ المُنطّقِ[4]

هو ونديم له من قريش

أخبرنى محمدُ بن مَزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال:

كان لحارثةَ بن بدر نديمٌ من قُريش يُصيب معه الشرابَ، ولا يفارقُه إذا شرب، وقال فيه .

١٠

وأبيضَ من أولاد سَعد بن مالك * سَقيتُ من الصّهباء حتى تقطّرا[5]
وحتى رأى الشّخصَ القريبَ بِسُكرِه * شُخوصًا فنادى يآلَ سعدٍ وكبّرا
فقلتُ أسكرانٌ؟ فقال مُكابِرًا[6] * أبَى اللهُ لى أن أُستخفَّ وأُسكَرا
فقلتُ له اشرَبْ هذه بابِليّةً * تَخالُ بها مِسكًا ذَكيًّا وعنبرا[7]
فلما حَساها هَرّها[8] ثمّ إنّه * تماسَكَ شيئًا واجمًا متفكّرا

١٥

(١) أ، ب: «تطرق».
(٢) أ، ب: «لا أنفك».
(٣) المهتر: المولع.
(٤) المنطق: لابس المنطقة.
(٥) تقطر: ألقى على قطره، أى ظهره.
(٦) أ، س: «مكابر».
(٧) أ، ب: «مخالطة مسكا ذكيا وعنبرا».
(٨) كذا فى أ، ب. وهرها: أطلقها من بطنه. وفى س: «هدها».

٢٠

وقال أعِدْهَا قلتُ صَبْرًا سُوَيعةً * فَهَوَّمَ شَيئًا ثم قام فَبَربَرا (١)

فقلتُ له نَم ساعةً عَلَّ ما أَرَى (٢) * من السُّكْرِ يَبْدِى منك صُرْمًا مُذَكَّرًا (٣)

هو ومخارق ابن صخر وقد دخل عليه وهو مصطبح

قال إسحاق : قال عاصم بن الحدثان :

كان أبو صخر مخارق بن صخر أحد بنى ربيعة بن مالك شاعرًا ، وهو خال أبى حُزانة ، أو خال أبى جميعة (٤) ، وكان صديقًا لحارثةَ بن بدر، فدخل عليه يومًا وهو مُصْطَبِحٌ ، فعاتبه [حارثة بن بدر] (٥) وقال [له] (٦) : قَدْ أسقطَت الخمرُ قَدرك (٧) ومُروءَتك . قال له : دع عنك هذا الجنونَ وهلمّ نتساعدَ واسمع ما قلت .

قال : هاته ، فأنشده :

غدا نَاصِحًا لم يَأْلُ جُهْدًا مُخَارِقٌ * يَلُومُ على شُرْبِ السُّلافِ المُعَتَّقِ

فقلتُ أبا صَخْرٍ دَعِ الناسَ يَجْهَلُوا * ودُونَكَها صَهْبَاءَ ذَاتَ تَأَلُّقِ

تراها إذا ما المَاءُ خَالَطَ جِسْمَها * تَخَايَلُ فى كَفِّ الوَصِيفِ المُنَطَّقِ (٨)

لهَا أَرَجٌ كالمِسْكِ تُذْهِب رِيحُها * عَمَايَةَ حَاسِيها بِحُسْنِ تَرَفُّقِ

وكم لائِمٍ فيها بصيرٍ بفَضْلِها * رَمَتْهُ بِسَهْمٍ صَائِبٍ مُتَزَلِّقِ (٩)

فَظَلَّ لِرَيَّاها يَعضّ نَدَامَةً * يديه وأَرْغَى بعد طُولِ تَمَطُّقِ (١٠)

وقال لَكَ العُذْرُ ابنَ بدرٍ على التى * تُسَلِّى هُمُومَ المُسْتَهَامِ المُشَوَّقِ

(١) هوّم : هز رأسه من النعاس . وبربر : خلط فى كلامه هاذيا . (٢) أ ، ب : «عل ما ترى» .

(٣) الصرم : الهجر . ومذكر : قاطع حاسم . يريد إقلاعا عن شرب الخمر لا رجعة بعده .

(٤) أ ، ب : « حنيفة » (٥) التكملة من أ .

(٦) تكملة من أ ، ب . (٧) المنطق : لابس المنطقة . والبيت ساقط من ب .

(٨) أ ، ب : « فكم لائم ... بسهم صائب لم يذلق » . (٩) متزلق : محدد .

(١٠) التمطق : التصويت باللسان والغار الأعلى ، وذلك عند استطابة الشىء .

فلستُ ابنَ صخرٍ تاركًا شُرْبَ قهوةٍ (١) * لقولِ لئيمٍ جاهلٍ مُتحذلِقِ

يعيب علىَّ الشُّربَ والشربُ همُّه * ليُحْسَبَ ذا رأيٍ أصيلٍ مُصدَّقِ

فما أنا بالغِرِّ ابنَ صخرٍ ولا الذى * يُصمِّمُ فى شىءٍ من الأمرِ مُوبِقِ (٢)

فقال له مخارق بن صخر: إنما عاتبتك لأن الناسَ قد كَثَّروا (٣) فيك، ورأيتُ النصيحةَ لله واجبةً علىَّ، وكرهتُ (٤) أن تضعَ لذَّتُك قدْرَك، فإن أطعتَنى فى تركها وإلا فلا تجاهرْ بها، فإنك قادرٌ [على] (٥) أن تَبلُغَ حاجتَك فى سترٍ. فقال حارثة: ما عندى غير ما سمعتَ، فتركه وانصرف.

هو وأبو الأسود وفيل مولى زياد

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعى، قال: أنبأنا الرياشىّ عن محمد بن سلام، عن يونس بن حبيب، قال:

لمّا بنى فيل مولى زيادٍ داره (٦) بالسَّبابجة (٧)، صنع طعامًا ودعا أصحابَ زيادٍ، فدخلوا الحمامَ المعروفَ بحمّام فيل (٨)، وخرجوا (٩) فتغدَّوا عنده، وركب فيلٌ وأصحابُه الهماليجَ والمقاريفَ (١٠) والبغال، واجتاز بهم معه (١١) على حارثة بن بدر وأبى الأسود الدُّؤَلىّ وهما جالسان، فقال أبو الأسود:

(١) أ، ب: «عاجز». (٢) موبق: مهلك. (٣) أ، ب: «قد أكثروا».

(٤) أ، ب «ورأيت النصيحة لك واجبة، فكرهت أن».

(٥) تكملة من أ، ب.

(٦) أ: «لما بنى فيل مولى داره بالسبابجة». س: «لما بنى داره فيل مولى زياد بالسبابجة».

(٧) السبابجة: قوم من السند، كانوا نواب البصرة جلاوزة وحراس السجن، يريد الحى الذى كانوا ينزلونه. (٨) حمام فيل: بالبصرة. وكان أهل البصرة يضربون المثل به. (معجم البلدان).

(٩) أ، ب: «ثم خرجوا». (١٠) الهماليج: البراذين، جمع هملاج، بكسر الهاء. والمقاريف: الخيل غير الأصيلة، واحدها مقرف، بضم فسكون فكسر.

(١١) أ: «واجتازوهم معه». وفى ب: «واجتازوا وهم معه».

لَعَمْرُ أبيكَ ما حَمَّامُ كِسْرَى * على الثُّلُثَيْنِ من حَمَّامِ فِيلِ

فقال له حارثة :

وما إيجافُنَا خَلْفَ المَوالى * بِسُنَّتِنا على عَهْدِ الرَّسُولِ

تعقب الأحنف له فى قول بلغه عنه بمحضر ابن زياد

أخبرنى محمدُ بن مَزْيد، قال : أنبأنا حمادٌ عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال : حدثنى عمى عن الحارث المُجَيْمى، قال :

ذُكِرَ حِلْمُ الأحنف بن قيس عند عُبيد الله بنِ زياد وعنده حارثةُ بنُ بدر، فنفس عليه حارثة ذلك، فقال لعبيد الله : أيها الأمير، ما يَبلغ[1] حِلمُ مَنْ لا قَدْرَةَ له ولا يملكُ لعدوِّه ضرًّا ولا لصديقه نفعا . و إنما يتكلَّفُ الدخولَ فيما لا يعنيه ؟ فبَلَغ ذلك من قوله الأحنفَ فقال : أَهْونْ بحارثةَ وكلامه ؟ وما حارثةُ ومقدارُه ؟ أليس الذى يقولُ — قبح اللهُ رأيَه — فى قوله :

إذا ما شَرِبْتُ الراحَ أَبْدَتْ مَكَارِمى * وَجُدْتُ بما حَازَتْ يدَاىَ من الوَفْرِ
و إن سَبَّنِى جَهْلًا نَدِيمِى لم أَزِدْ * على اشْرَبْ سَقَاكَ اللهُ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
أَرَى ذاك حَقًّا وَاجِبًا لِمُنَادِمِى * إذا قالَ لى غَيْرَ الجميل من النُّكْرِ

هو وجاريته ميسة

أخبرنى عمِّى، قال : أنبأنا الكُرانى[2]، قال : أنبأنا الرياشىُّ عن الأصمعى، قال :

كان لحارثة بنِ بدرٍ جاريةٌ يقال لها « مَيْسَة » وكان بها مَشْغُوفًا ، فلما مات تزوجَتْ بعدَه بِشْر بن شغاف . فهؤلاء الشِّغافيون[3] من ولدها، وفيها يقول حارثة:

(١) أ، ب : « وما يبلغ... » .
(٢) أ ، ب : « العنبى » .
(٣) س : « الشعافيون » تصحيف . (الاشتقاق لابن دريد ص ٢٧٧) .

خليلىَّ لولا حُبُّ مَيْسَةَ لم أُبَلْ * أفى اليومِ لاقيْتُ المَنيَّةَ أمْ غَدَا

خليلىَّ إنْ أَفْشَيْتُ سِرِّى إليْكُما * فلا تَجعَلا سِرِّى حديثاً مُبَدَّدا (١)

وإنْ أنتُما أفشيْتُماه فلا رأتْ * عُيونُكما يَوْمَ الحِسابِ مُحمَّدا

ولا زِلْتُما فى شِقْوةٍ ما بَقِيتُما * تَذُوقانِ عَيْشاً سَيِّءَ الحَالِ (٢) أنكَدا

هو ومولاه فى تسويد قومه له

أخبرنى حبيبُ بن نصر المُهَلَّبىّ، قال: أنبأنا الحُسين بن عليل، قال: أنبأنا مسعودُ بن بِشرٍ عن أبى عبيدة، قال:

اجتاز حارثة بن بدر الغُدانى بمجلس من مجالس قومه [من] (٣) بنى تميم ومعه كَعْبٌ مولاه، فكلما اجتاز بقومٍ قاموا إليه وقالوا: مرحباً بسيدنا، فلما ولّى قال له كعبٌ: ما سمعتُ كلاماً قطّ أقرَّ لعينى ولا ألذَّ (٤) بسمعى من هذا الكلام الذى سمعته اليوم. فقال له حارثة: لكنى لم أسمعْ كلامًا قطّ أكْرَهَ لنفسى وأبغضَ إلىَّ مما سَمِعْتُه (٥). قال: ولِمَ؟ قال: ويحك يا كعب! إنما سوَّدَنى قومى حين ذهب خيارُهم وأَماثِلُهم، فاحفظْ عنى هذا البيت:

خَلَت الدِّيارُ فَسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ * ومن الشَّقاءِ (٦) تَفَرُّدى بالسُّودَدِ

مطلبه فى وفاته

قال:

واشتكى حارثةُ [بن بدر] (٧) وأشرفَ على الموت، فجعل قومه يعودونه (٨) فقالوا له: هل لك من حاجةٍ أو شىء تريده؟ قال: نعم، اكسروا رِجْلَ مولاى (٩) كعب لئلا يَبْرحَ من عندى فإنه يُؤْنسُنى. ففعلوا، وأنشأ (١٠) يقول:

(١) هذا البيت ساقط من ب.
(٢) ب: «البال».
(٣) تكملة من أ، ب.
(٤) أ، ب: «لسمعى».
(٥) أ، ب: «حيث».
(٦) أ، ب: «ومن البلاء».
(٧) التكملة من أ، ب.
(٨) أ، ب: «ودخل عليه قومه يعودونه».
(٩) تكملة من س.
(١٠) أ، ب: «فأنشأ».

يا كَعْبُ مَهْلًا فلا تَجْزَع على أَحَدٍ * يا كَعْبُ لم يَبْقَ منّا غيرُ أجْسادِ
يا كَعْبُ مَا رَاحَ من قَوْمٍ ولا بَكَرُوا(1) * إلا ولِلْمَوتِ فى آثارِهِمْ حَادِى
يا كعبُ ما طَلَعَتْ شمسٌ ولا غَرُبَتْ * إلا تُقَرِّبُ آجالاً(2) لِمِيعَادِ
يا كَعْبُ كم من حِمَى قَوْمٍ نَزَلْتُ بِهِ(3) * على صَوَاعِقَ من زَجْرٍ وَإِيعَادِ
فإنْ لَقِيتَ بوادٍ حيّةً ذَكَرًا * فاذْهَبْ ودَعْنِى(4) أُمَارِسْ حَيَّةَ الوادى(5)

جاء بعقب هذه الترجمة فى الجزء الحادى والعشرين :

صوت

عِشْ فَحُبِّيكِ سَرِيعًا قاتِلى * والضَّنَى إنْ لَمْ تَصِلْنى واصِلى
ظَفِرَ الشَّوْقُ بِقَلْبٍ دَنِفٍ * فيكِ والسُّقْمُ بِجِسْمٍ نَاحِلِ
فهما بين اكتئابٍ وَضَنًى * تَرَكَانِى كالقضيبِ الذَّابِلِ

الشعر لخالد الكاتب . والغناء للمسدود ، رمل مطلق فى مجرى الوسطى . وذكر جحظة أن هذا الرمل أخذ عنه، وأنه أول صوت سمعه فكتبه .

ثم جاءت بعد هذا أخبار خالد الكاتب

---

(1) أ ، ب : «ولا ابتكروا»
(2) س : «. آجال»
(3) أ ، ب : «بهم»
(4) أ : «وذرنى» ب : «فامرر وذرنى فإنى حية الوادى»
(5) حية الوادى : من هو نهاية فى الدهاء والخبث والعقل .

مطابع كوستاتسوماس وشركاه
• شارع وقف الخربوطلي بالظاهر ج.ع.م
تليفون ٩٠٠١١٨ س. ت ٦٣٤١١


Bibliotheca Alexandrina
0488374